﴿فهرست الجزء السابع من تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري﴾

صحيفة

٢ (سنة اثنتين وستين)
٢ مقدم وفد أهل المدينة على يزيد بن معاوية وسبب مقدمهم عليه
٥ (سنة ثلاث وستين)
٥ اخراج أهل المدينة عامل يزيد بن معاوية عثمان بن محمد بن أبي سفيان من المدينة
٥ كتاب مروان بذلك الى يزيد بن معاوية
١٣ (سنة أربع وستين)
١٣ مسير أهل الشام الى مكة لحرب ابن الزبير ومن معه من الممتنعين على يزيد بن معاوية
١٤ ذكر موت مسلم بن عقبة ورمي الكعبة واحراقها
١٥ ذكر السبب في احراقها
١٥ هلاك يزيد بن معاوية
١٦ ذكر عدد ولده
١٦ (سنة خمس وستين)
(هذه الترجمة وقعت في الاصل غلطا فلزم التنبيه عليها وستأتي هذه الترجمة في نمرة ٦٦)
١٦ خلافة معاوية بن يزيد وذكر المبايعة له
١٨ ذكر الخبر عما كان من أمر عبيد الله بن زياد وأمر أهل البصرة معه بها بعد موت يزيد
٣٠ طرد أهل الكوفة عمرو بن حريث وتأميرهم عامر بن مسعود والخبر عن ذلك
٣٤ مبايعة أهل الشام لمروان بن الحكم والسبب في ذلك
٣٧ ذكر الخبر عن الوقعة بمرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم وتمام الخبر عن الكائن من جليل الاخبار والأحداث في سنة أربع وستين
٤٣ مبايعة جند خراسان لسلم بن زياد بعد موت يزيد بن معاوية
٤٣ فتنة عبد الله بن خازم بخراسان وذكر الخبر عن ذلك
٤٧ تحرك الشيعة بالكوفة واجتماعهم بالنخيلة في سنة خمس وستين للمسير الى أهل الشام للطلب بدم الحسين وذكر الخبر عن مبدإ أمرهم في ذلك
٥٥ فراق عبد الله بن الزبير الخوارج الذين كانوا قد مواعليه مكة فقاتلوا معه حصين بن نمير السكوني الخ وذكر الخبر عن فراقهم ابن الزبير والسبب الذي من أجله فارقوه والذي من أجله افترقت كلمتهم
٥٨ مقدم المختار بن أبي عبيد الكوفة وذكر الخبر عن سبب مقدمه اليها
٦٦ (سنة خمس وستين) وذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث الجليلة

صحيفة
٨٣ أمر مروان بن الحكم أهل الشأم بالبيعة من بعده لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وجعلهما ولي العهد وذكر الخبر عن سبب عقد مروان ذلك لهما
٨٣ موت مروان بن الحكم بدمشق وذكر الخبر عن سبب هلاكه
٨٤ قتل حبيش بن دلجة عامل مروان بن الحكم
٨٥ اشتداد شوكة الخوارج بالبصرة وقتل نافع بن الأزرق وذكر الخبر عن مقتله
٩٠ توجيه مروان بن الحكم ابنه محمدا الى الجزيرة
٩٠ عزل عبد الله بن الزبير عبد الله بن يزيد عن الكوفة وتوليته عليها عبد الله بن مطيع وعزل عبيدة بن الزبير عن المدينة وتولية مصعب بن الزبير
٩٠ بناء عبد الله بن الزبير البيت الحرام
٩١ احتلاف من كان بخراسان من بني تميم على عبد الله بن خازم والبها حتى وقعت بينهم حروب وذكر الخبر عن السبب في ذلك
٩٣ (سنة ست وستين) وذكر الخبر عن الكائن فيها من الامور الجليلة فمن ذلك وثوب المختار ابن أبي عبيد بالكوفة طالبا بدم الحسين واخراجه منها عامل الزبير عبد الله بن مطيع
٩٣ ذكر الخبر عما كان من أمرهما وظهور المختار للدعوة الى ما دعا اليه الشيعة بالكوفة
١١٢ وثوب المختار على من كان بالكوفة من قتلة الحسين والمشايعين على قتله وذكر الخبر عن سبب وثوبه بهم وتسمية من قتل منهم ومن هرب الخ
١٣٠ دعاء المثنى بن مخربة العبدي آل البصرة الى البيعة للمختار
١٣٣ بعث المختار جيشا الى المدينة للمكر بابن الزبير الخ وذكر الخبر عن السبب الداعي للمختار الى توجيه ذلك الجيش والى ما صار أمرهم
١٣٦ قدوم الخشبية مكة للحج وذكر الخبر عن سبب قدومهم
١٣٧ حصار عبد الله بن خازم من كان بخراسان من بني تميم بسبب قتل من قتل منهم ابنه محمدا
١٣٩ شخوص ابراهيم بن الاشتر الى عبيد الله بن زياد لحربه
١٤٠ ذكر الخبر عن سبب كرسي المختار الذي يستنصر به هو وأصحابه
١٤١ (سنة سبع وستين) وذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ومقتل عبد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشأم
١٤٢ ذكر الخبر عن صفة مقتله
١٤٦ عزل عبد الله بن الزبير القباع عن البصرة وتوليته أخاه مصعب بن الزبير
١٤٦ سير مصعب بن الزبير الى المختار وقتله وذكر الخبر عن سبب مسير مصعب اليه والخبر عن مقتل المختار

صحيفة

١٦١ عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعب عن البصرة وتوليته ابنه حمزة والاختلاف فى سبب عزله
١٦٢ (سنة ثمان وستين) ذكر الخبر عما كان فيها من الامور الجليلة مرجع الازارقة من فارس الى العراق وذكر الخبر عن أمرهم
١٦٧ ذكر الخبر عن حصول القحط الشديد بالشأم
١٦٧ ذكر الخبر عن قتل عبيد الله بن الحر والسبب الذى جر ذلك عليه
١٧٥ (سنة تسع وستين) خروج عبد الملك بن مروان الى عين وردة واستخلافه عمرو بن سعيد بن العاص على دمشق الخ
١٨١ (سنة سبعين) ثورة الروم على من بالشأم من المسلمين
١٨١ شخوص مصعب بن الزبير الى مكة بأموال عظيمة قسمها فى قومه
١٨١ (سنة احدى وسبعين) مسير عبد الملك بن مروان الى العراق لحرب مصعب بن الزبير
١٨٨ دخول عبد الملك بن مروان الكوفة
١٨٩ تنازع الرياسة بالبصرة عبيد الله بن أبى بكرة وحمران بن ابان
١٩٠ بعث عبد الملك خالد بن عبد الله على البصرة واليا
١٩٠ رجوع عبد الملك الى الشأم
١٩١ قتح عبد الملك قيسارية
١٩١ (سنة اثنتين وسبعين) وذكر خبر الخوارج وأمرهم وأمر المهلب بن أبى صفرة الخ
١٩٣ خروج أبى فديك الخارجى وتغلبه على البحرين الخ
١٩٥ توجيه عبد الملك الحجاج بن يوسف الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير
١٩٦ كتاب عبد الملك الى عبد الله بن خازم السلمى يدعوه الى بيعته
١٩٧ فصل فى ذكر الكتاب من بدء أمر الاسلام
٢٠٢ (سنة ثلاث وسبعين) ومقتل عبد الله بن الزبير
٢٠٥ تولية عبد الملك طارق مولى عثمان المدينة
٢٠٥ وفاة بشر بن مروان
٢٠٥ توجيه عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر لقتال أبى فديك
٢٠٦ عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وتوليته أخاه بشر بن مروان
٢٠٦ غزو محمد بن مروان الصائفة وهزمه الروم
٢٠٦ (سنة أربع وسبعين) وعزل عبد الملك طارق بن عمر وعن المدينة واستعماله عليها الحجاج بن يوسف

صحيفة

٢٠٦ نقض الحجاج بن يوسف بنيان الكعبة وتولية عبد الملك أبا ادريس الخولانى على القضاء
٢٠٦ شخوص بشر بن مروان من الكوفة الى البصرة وتولية المهلب حرب الأزارقة وذكر الخبر عن أمره وأمرهم فيها
٢٠٨ عزل عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان وتولية أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد
٢١٠ (سنة خمس وسبعين) غزوة محمد بن مروان الصائفة وتولية عبد الملك يحيى بن الحكم ابن أبى العاص المدينة
٢١٠ تولية عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق وقدوم الحجاج الكوفة وخطبته بها
٢١٤ خروج الحجاج من الكوفة الى البصرة
٢١٥ نفى المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز وما كان من أمرهم
٢١٧ تحرك صالح بن مصرح وذكر خبر ما كان منه
٢١٧ (سنة ست وسبعين)
٢٢٢ دخول شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة وما كان من أمره وأمر الحجاج
٢٤٢ أمر عبد الملك بن مروان بنقش الدنانير والدراهم ووفود يحيى بن الحكم على عبد الملك
٢٤٢ (سنة سبع وسبعين) قتل شبيب عتاب بن ورقاء الرياحى وزهرة بن حوية والخبر عن سبب مقتلهما
٢٤٩ دخول شبيب الكوفة وحربه بها الحجاج
٢٥٥ ذكر سبب هلاك شبيب
٢٦٩ وقوع الاختلاف بين الازارقة والسبب الذى من أجله حدث الاختلاف بينهم حتى صار أمرهم الى الهلاك
٢٧٤ هلاك قطرى وعبيدة بن هلال وعبد ربه الكبير ومن كان معهم من الازارقة وذكر سبب مهلكهم
٢٧٥ قتل بكير بن وشاح السعدى أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وذكر سبب قتله اياه
٢٨٠ (سنة ثمان وسبعين) عزل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله عن خراسان وضمه خراسان وسجستان الى الحجاج بن يوسف
٢٨٠ ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج خراسان وسجستان وذكر السبب فى توليته من ولى ذلك وشيأ منه
٢٨١ (سنة تسع وسبعين) وغزوة عبيد الله بن أبى بكرة رتبيل وذكر الخبر عن غزوه اياه.

﴿تمت﴾

الجزء السابع

تاريخ الأمم والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الطبعة الأولى
بالمطبعة الحسينية المصريه
على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه

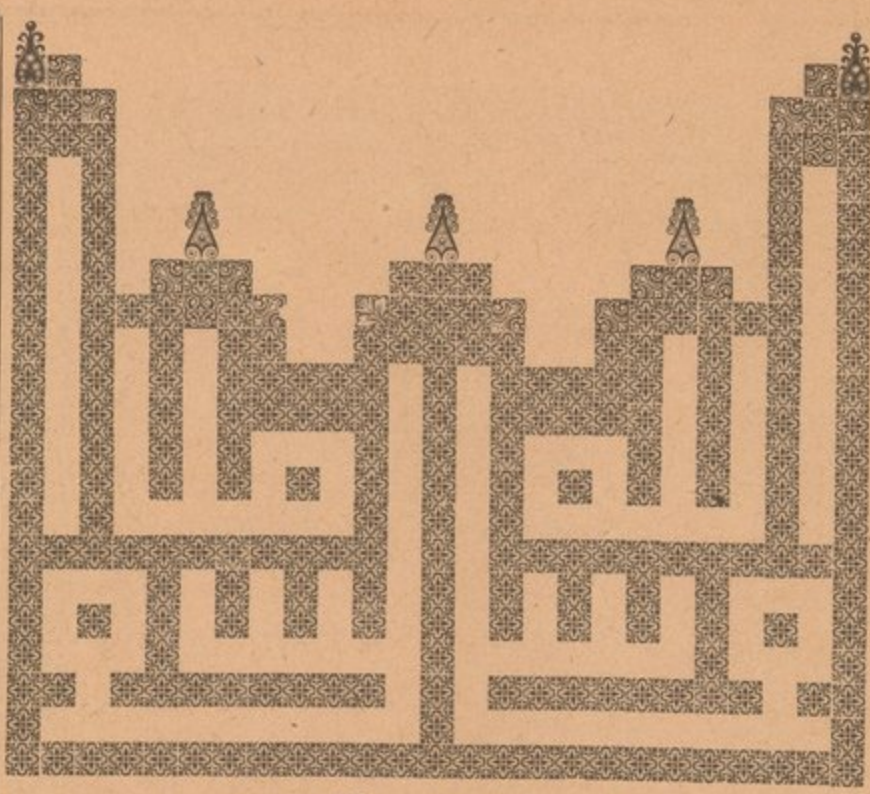

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة اثنتين وستين

ذكر الخبر عما كان فى هذه السنة من الاحداث

فمن ذلك مقدم وفد أهل المدينة على يزيد بن معاوية

ذكر الخبر عن سبب مقدمهم عليه

وكان السبب فى ذلك فيما ذكر لوط بن يحيى عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن عبد الله ابن عروة ان يزيد بن معاوية لما سرّح الوليد بن عتبة على الحجاز أميرا وعزل عمرو بن سعيد قدم الوليد المدينة فأخذ غلمانا كثيرا لعمرو وموالى له فحبسهم فكلمه فيهم عمرو فأبى أن يخليهم وقال له لا تجزع يا عمرو فقال أخوه أبان بن سعيد بن العاص أعمرٌو يجزع والله لو قبضتم على الجمر وقبض عليه ما تركه حتى تتركوه وخرج عمرو سائرا حتى نزل من المدينة على ليلتين وكتب الى غلمانه وموالية وهم نحو من ثلثمائة رجل انى باعث الى كل رجل منكم جملا

وحقيبة وأداته وتُناخ لكم الابل في السوق فاذا أتاكم رسولي فاكسروا باب السجن ثم ليقم كلُّ رجل منكم الى جمله فليركبه ثم أقبلوا عليّ حتى تأتوني فجاء رسوله حتى اشترى الابل ثم جهّزها بما ينبغي لها ثم أناخها في السوق ثم أتاهم حتى أعلمهم ذلك فكسروا باب السجن ثم خرجوا الى الابل فاستووا عليها ثم أقبلوا حتى انتهوا الى عمرو بن سعيد فوجدوه حين قدم على يزيد بن معاوية فلما دخل عليه رحّب به وأدنى مجلسه ثم انه عاتبه في تقصيره في أشياء كان يأمره بها في ابن الزبير فلا ينفذ منها الا ما أراد فقال يا أمير المؤمنين الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وانّ جلّ أهل مكة واهل المدينة قد كانوا مالوا اليه وهووه وأعطوه الرضا ودعا بعضهم بعضا سرًّا وعلانية ولم يكن معي جند أقوى بهم عليه لو ناهضته وقد كان يحذرني ويتحرّزمني وكنت أرفق به وأداريه لاستكرمنه فأتب عليه مع أني قد ضيّقتُ عليه ومنعته من أشياء كثيرة لو تركته وإياها ما كانت له الا معونة وجعلت على مكة وطُرُقها وشعابها رجالا لا يدعون أحدا يدخلها حتى يكتبوا الى باسمه واسم أبيه ومن أي بلاد الله هو وما جاء به وما يريد فان كان من أصحابه أو ممن أرى انه يريده رددته صاغرا وان كان ممن لا أتهم خليت سبيله وقد بعثت الوليد وسيأتيك من عمله وأثره ما لعلك تعرف به فضل مبالغتي في أمرك ومناصحتي لك ان شاء الله والله يصنع لك ويكبت عدوّك يا أمير المؤمنين فقال له يزيد أنت أصدق ممن رقّى هذه الاشياء عنك وحملني بها عليك وأنت ممن أثق به وأرجو معونته وادّخره لرأب الصدع وكفاية المُهِمّ وكشف نوازل الامور العظام فقال له عمرو وما أرى يا أمير المؤمنين ان أحدا أولى بالقيام بتشديد سلطانك وتوهين عدوّك والشدة على من نابذك مني وأقام الوليد بن عتبة يريد ابن الزبير فلا يجده الا متعذرا ممتنعا وثار نجدة بن عامر الحنفي باليمامة حين قتل الحسين وثار ابن الزبير فكان الوليد يُفيض من المُعَرَّف وتفيض معه عامة الناس وابن الزبير واقفٌ وأصحابه ونجدة واقفٌ في أصحابه ثم يفيض ابن الزبير بأصحابه ونجدة بأصحابه لا يفيض واحد منهم بافاضة صاحبه وكان نجدة يلقى ابن الزبير فيكثر حتى ظن الناس انه سيبايعه ثم ان ابن الزبير عمل بالمكر في أمر الوليد بن عتبة فكتب الى يزيد بن معاوية انك بعثت الينا رجلا أخرق لا يتّجه لامر رشد ولا يرعوي لعظة الحكيم ولو بعثت الينا رجلا سهل الخُلق ليّن الكتف رجوتُ أن يسهُل من الامور ما استوعر منها وان يجتمع ما تفرّق فانظرْ في ذلك فإنّ فيه صلاح خواصنا وعوامنا ان شاء الله والسلام فبعث يزيد بن معاوية الى الوليد فعزله وبعث عثمان بن محمد بن أبي سفيان فيما ذكر أبو مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن حميد بن حمزة مولى لبني أميّة قال فقدم فتى غرٌّ حدثٌ غمرٌ لم يُجرّب الأمور ولم يحنكه السنّ ولم تضرّسه التجارب وكان لا يكاد ينظر في شيء من سلطانه ولا عمله وبعث الى يزيد وفدا من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل

الانصاري وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي والمنذر بن الزبير ورجالا كثيرا من أشراف أهل المدينة فقدموا على يزيد بن معاوية فأكرمهم وأحسن اليهم وأعظم جوائزهم ثم انصرفوا من عنده وقدموا المدينة كلهم إلا المنذر بن الزبير فإنه قدم على عبيد الله بن زياد بالبصرة وكان يزيد قد أجازه بمائة ألف درهم فلما قدم أولئك النفر الوفد المدينة قاموا فيهم فأظهروا شتم يزيد وعتبه وقالوا انا قد منا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويعزف بالطنابير ويضرب عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسامر الخراب والقيان وإنا نشهدكم انا قد خلعناه فتابعهم الناس (قال لوط) بن يحيى فحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق ان الناس أتوا عبد الله بن حنظلة الغسيل فبايعوه وولوه عليهم قال لوط وحدثني أيضا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ورجع المنذر من عند يزيد بن معاوية فقدم على عبيد الله بن زياد البصرة فأكرمه وأحسن ضيافته وكان لزياد صديقا اذ سقط اليه كتاب من يزيد بن معاوية حيث بلغه أمر أصحابه بالمدينة أن أوثق منذر ابن الزبير واحبسه عندك حتى يأتيك فيه أمري فكره ذلك عبيد الله بن زياد لانه ضيفه فدعاه فأخبره بالكتاب وأقرأه اياه وقال له انك كنت لزياد ودا وقد أصبحت لي ضيفا وقد آتيت اليك معروفا فأنا أحب ان أسدي ذلك كله باحسان فاذا اجتمع الناس عندي فقم فقل ائذن لي فلأنصرف الى بلادي فاذا قلت لا بل أقم عندي فان لك الكرامة والمواساة والاثرة فقل لي ضيعة وشغل لا أجد من الانصراف بدا فأذن لي فاني آذن لك عند ذلك فالحق بأهلك فلما اجتمع الناس عند عبيد الله قام اليه فاستأذنه فقال لا بل أقم عندي فاني مكرمك ومواسيك ومؤثرك فقال له ان لي ضيعة وشغلا ولا أجد من الانصراف بدا فأذن لي فأذن له فانطلق حتى لحق بالحجاز فأتى أهل المدينة فكان فيمن يحرض الناس على يزيد وكان من قوله يومئذ ان يزيد والله لقد أجازني بمائة ألف درهم وانه لا يمنعني ما صنع الى أن أخبركم خبره وأصدقكم عنه والله انه ليشرب الخمر وانه ليسكر حتى يدع الصلاة وعابه بمثل ما عابه به أصحابه الذين كانوا معه وأشد فكان سعيد بن عمرو يحدث بالكوفة أن يزيد بن معاوية بلغه قوله فيه فقال اللهم اني آثرته وأكرمته ففعل ما قد رأيت فاذكره بالكذب والقطيعة (قال أبو مخنف) فحدثني سعيد بن زيد أبو المثلم ان يزيد بن معاوية بعث النعمان بن بشير الانصاري فقال له آت الناس وقومك فافتأهم عما يريدون فانهم ان لم ينهضوا في هذا الامر لم يجترئ الناس على خلافي وبها من عشيرتي من لا أحب ان ينهض في هذه الفتنة فيهلك فأقبل النعمان بن بشير فأتى قومه ودعا الناس اليه عامة وأمرهم بالطاعة ولزوم الجماعة وخوفهم الفتنة وقال لهم انه لا طاقة لكم بأهل الشام فقال عبد الله بن مطيع العدوي ما يحملك يا نعمان على تفريق جماعتنا وفساد ما أصلح الله من

أمرنا فقال النعمان أم والله لكأني بك لو قد نزلت تلك التي تدعو اليها وقامت الرجال على الركب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف ودارت رحا الموت بين الفريقين قد هربت على بغلتك تضرب جنبيها الى مكة وقد خلفت هؤلاء المساكين يعني الانصار يُقتلون في سككهم ومساجدهم وعلى أبواب دورهم فعصاه الناس فانصرف وكان والله كما قال وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة وكانت العمال في هذه السنة على العراق وخراسان العُمال الذين ذكرت في سنة ٦١ وفي هذه السنة وُلد فيما ذُكر محمد بن عبد الله بن العباس

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وستين ﴾

﴿ ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها ﴾

فمن ذلك ما كان من اخراج أهل المدينة عامل يزيد بن معاوية عثمان بن محمد بن أبي سفيان من المدينة وإظهارهم خلع يزيد بن معاوية وحصارهم من كان بها من بني أمية ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن حبيب بن كرة ان أهل المدينة لما بايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد بن معاوية وثبوا على عثمان ابن محمد بن أبي سفيان ومن بالمدينة من بني أمية وموالهم ومن رأى رأيهم من قريش فكانوا نحوا من ألف رجل فخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دار مروان بن الحكم فحاصرهم الناس فيها حصارا ضعيفا قال فدعت بنو أمية حبيب بن كرة وكان الذي بعث اليه منهم مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان بن عفان وكان مروان هو يدبر أمرهم فأما عثمان ابن محمد بن أبي سفيان فإنما كان غلاما حدثا لم يكن له رأي قال عبد الملك بن نوفل فحدثني حبيب بن كرة قال كنت مع مروان فكتب معي هو وجماعة من بني أمية كتابا الى يزيد بن معاوية فأخذ الكتاب عبد الملك بن مروان حتى خرج معي الى ثنية الوداع فدفع الي الكتاب وقال قد أجلتك اثنتي عشرة ليلة ذاهبا واثنتي عشرة ليلة مقبلا فوافني لاربع وعشرين ليلة في هذا المكان تجدني ان شاء الله في هذه الساعة جالسا أنتظرك وكان الكتاب ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أما بعد فإنا قد حُصرنا في دار مروان بن الحكم ومُنعنا العذاب ورمينا بالحبوب فيا غوثاه يا غوثاه قال فأخذت الكتاب ومضيت به حتى قدمت على يزيد وهو جالس على كرسي واضع قدميه في ماء في طست من وجع كان يجده فيهما ويقال كان به النقرس فقرأه ثم قال فيما بلغنا متمثلا

لقد بدّلوا الحلم الذي من سجيّتي * فبدلت قومي غلظة بليان

ثم قال أما يكون بنو أمية وموالهم ألف رجل بالمدينة قال قلت بلى والله وأكثر قال فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار قال فقلت يا أمير المؤمنين أجمع الناس كلهم عليهم فلم يكن لهم بجمع الناس طاقة قال فبعث الى عمرو بن سعيد فأقرأه الكتاب وأخبره الخبر

وأمره أن يسير اليهم في الناس فقال له قد كنت ضبطت لك البلاد وأحكمت لك الامور فأما الآن اذ صارت انما هي دماء قريش تهراق بالصعيد فلا أحب ان أكون أنا أتولى ذلك يتولاها منهم من هو أبعد منهم مني قال فبعثني بذلك الكتاب الى مسلم بن عقبة المري وهو شيخ كبير ضعيف مريض فدفعت اليه الكتاب فقرأه وسألني عن الخبر فأخبرته فقال لي مثل مقالة يزيد أما يكون بنو أمية وموالي هم وأنصارهم بالمدينة ألف رجل قال قلت بلى يكونون قال فما استطاعوا ان يقاتلوا ساعة من نهار ليس هؤلاء بأهل ان ينصر واحتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوهم وعز سلطانهم ثم جاء حتى دخل على يزيد فقال يا أمير المؤمنين لا تنصر هؤلاء فإنهم الأذلاء أما استطاعوا أن يقاتلوا يوما واحدا أو شطره أو ساعة منه دعهم يا أمير المؤمنين حتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوهم وعز سلطانهم ويستبين لك من يقاتل منهم على طاعتك ويصبر عليها أو يستسلم قال ويحك انه لا خير في العيش بعدهم فاخرج فأنبئني نبأك وسر بالناس فخرج مناديه فنادى ان سيروا الى الحجاز على أخذ أعطياتكم كملا ومعونة مائة دينار توضع في يد الرجل من ساعته فانتدب لذلك اثنا عشر ألف رجل ﴿ حدثنا ﴾ ابن حميد قال حدثنا جرير عن مغيرة قال كتب يزيد الى ابن مرجانة أن اغز ابن الزبير فقال لا أجمعهما للفاسق أبدا أقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأغزو البيت قال وكانت مرجانة امرأة صدق فقالت لعبيد الله حين قتل الحسين عليه السلام ويلك ماذا صنعت وماذا ركبت ﴿ رجع الحديث الى حديث حبيب بن كرة ﴾ قال فأقبلت حتى أوافي عبد الملك بن مروان في ذلك المكان في تلك الساعة أو بعيدها شيأ قال فوجدته جالسا متقنعا تحت شجرة فأخبرته بالذي كان فسر به فانطلقنا حتى دخلنا دار مروان على جماعة بني أمية فنبأتهم بالذي قدمت به فحمدوا الله عز وجل قال عبد الملك بن نوفل حدثني حبيب انه بلغه في عشرة قال فلم أبرح حتى رأيت يزيد ابن معاوية خرج الى الخيل يتصفحها وينظر اليها قال فسمعته وهو يقول وهو متقلد سيفا متنكبا قوسا عربية

أبلغ أبا بكر إذا الليل سرى * وهبط القوم على وادي القرى
عشرون ألف بين كهل وفتى * أجمع سكران من القوم ترى
أم جمع يقظان نفى عنه الكرى * يا عجبا من ملحد يا عجبا
مخادع في الدين يقفو بالعرى

قال عبد الملك بن نوفل وفصل ذلك الجيش من عند يزيد وعليهم مسلم بن عقبة وقال له ان حدث بك حدث فاستخلف على الجيش حصين بن نمير السكوني وقال له ادع القوم ثلاثا فإن هم أجابوك والا فقاتلهم فإذا أظهرت عليهم فأبحها ثلاثا فما فيها من مال أو رقة

أو سلاح أو طعام فهو للجند فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس وانظر علي بن الحسين فاكفف عنه واستوص به خيرا وأذن مجلسه فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه وقد أتاني كتابه وعلي لا يعلم بشيء مما أوصى به يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة وقد كان علي بن الحسين لما خرج بنو أمية نحو الشأم أوى اليه ثقل مروان بن الحكم وامرأته عائشة بنت عثمان ابن عفان وهي أم أبان بن مروان وقد حدثت عن محمد بن سعد عن محمد بن عمر قال لما أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد من المدينة كلم مروان بن الحكم ابن عمر ان يغيب أهله عنده فأبى ابن عمر أن يفعل وكلم علي بن الحسين وقال يا أبا الحسن ان لي رحما وحرمي تكون مع حرمك فقال افعل فبعث بحرمه الى علي بن الحسين فخرج بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم بينبع وكان مروان شاكرا لعلي بن الحسين مع صداقة كانت بينهما قديمة ﴿رجع الحديث الى حديث أبي مخنف﴾ عن عبد الملك بن نوفل قال وأقبل مسلم بن عقبة بالجيش حتى اذا بلغ أهل المدينة اقباله وثبوا على من معهم من بني أمية فحصروهم في دار مروان وقالوا والله لا نكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم أو تعطونا عهد الله وميثاقه لا تبغونا غائلة ولا تدلوا الناس على عورة ولا تظاهروا علينا عدوا فنكف عنكم ونخرجكم عنا فاعطوهم عهد الله وميثاقه لا نبغيكم غائلة ولا ندل الكم على عورة فأخرجوهم من المدينة فخرجت بنو أمية بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادي القرى وخرجت عائشة بنت عثمان بن عفان الى الطائف فمر بعلي بن حسين وهو بمال له الى جنب المدينة قد اعتزلها كراهية أن يشهد شيأ من أمرهم فقال لها احملي ابني عبد الله معك الى الطائف فحملته الى الطائف حتى نقضت أمور أهل المدينة * ولما قدمت بنو أمية على مسلم بن عقبة بوادي القرى دعا بعمرو بن عثمان بن عفان أول الناس فقال له أخبرني خبر ما وراءك وأشر علي قال لا أستطيع ان أخبرك أخذ علينا العهود والمواثيق ألا ندل على عورة ولا نظاهر عدوا فانتهره ثم قال والله لولا انك ابن عثمان لضربت عنقك وايم الله لا أقيلها قرشيا بعدك فخرج بما لقي من عنده الى أصحابه فقال مروان بن الحكم لابنه عبد الملك ادخل قبلي لعله يجتزئ بك عني فدخل عليه عبد الملك فقال هات ما عندك أخبرني خبر الناس وكيف ترى فقال له نعم أرى ان تسير بمن معك فتنكب هذا الطريق الى المدينة حتى اذا انتهيت الى أدنى نخل بها نزلت فاستظل الناس في ظله وأكلوا من صقره حتى اذا كان الليل اذكيت الحرس الليل كله عقبا بين أهل العسكر حتى اذا أصبحت صليت بالناس الغداة ثم مضيت بهم وتركت المدينة ذات اليسار ثم أدرت بالمدينة حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقا ثم تستقبل القوم فاذا استقبلتهم وقد أشرقت عليهم وطلعت الشمس طلعت بين اكتاف أصحابك فلا تؤذيهم وتقع في وجوههم فيؤذيهم حرها ويصيبهم أذاها ويرون

ما دمتم مشرقين ائتلاف بيضكم وحرابكم واسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم وسواعدكم مالاتركونه أنتم لشئ من سلاحهم ماداموا مغربين ثم قاتلهم واستعن بالله عليهم فإن الله ناصرك اذا خالفوا الامام وخرجوا من الجماعة فقال له مسلم لله أبوك أي امرئ ولد اذ ولدك لقد رأى بك خلفا ثم ان مروان دخل عليه فقال له ايه قال أليس قد دخل عليك عبد الملك قال بلى وأي رجل عبد الملك قلما كلمت من رجال قريش رجلا به شبيها فقال له مروان اذا لقيت عبد الملك فقد لقيتني قال أجل ثم ارتحل من مكانه ذلك وارتحل الناس معه حتى نزل المنزل الذى أمره به عبد الملك فصنع فيه ما أمره به ثم مضى فى الحرة حتى نزلها فأتاهم من قبل المشرق ثم دعاهم مسلم بن عقبة فقال يا أهل المدينة ان أمير المؤمنين يزيد بن معاوية يزعم انكم الأصل وإني أكره هراقة دمائكم واني اؤجلكم ثلاثا فمن ارعوى وراجع الحق قبلنا منه وانصرفت عنكم وسرت الى هذا الملحد الذى بمكة وإن أبيتم كنا قد أعذرنا اليكم وذلك فى ذى الحجة من سنة ٦٤ هكذا وجدته فى كتابى وهو خطأ لأن يزيد هلك فى شهر ربيع الأول سنة ٦٤ وكانت وقعة الحرة في ذى الحجة من سنة ٦٣ يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه ولما مضت الايام الثلاثة قال يا أهل المدينة قد مضت الايام الثلاثة فما تصنعون أتسالمون أم تحاربون فقالوا بل نحارب فقال لهم لا تفعلوا بل ادخلوا فى الطاعة ونجعل حدنا وشوكتنا على هذا الملحد الذى قد جمع اليه المراق والفساق من كل أوب فقالوا لهم يا أعداء الله والله لو أردتم ان تجوزوا اليهم ما تركناكم حتى نقاتلكم نحن ندعكم أن تأتوا بيت الله الحرام وتخيفوا أهله وتلحدوا فيه وتستحلوا حرمته لا والله لا نفعل وقد كان أهل المدينة اتخذوا خندقا فى جانب المدينة ونزله جمع منهم عظيم وكان عليهم عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف ابن عم عبد الرحمن بن عوف الزهري وكان عبد الله بن مطيع على ربع آخر في جانب المدينة وكان معقل بن سنان الأشجعي على ربع آخر فى جانب المدينة وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري فى أعظم تلك الأرباع وأكثره عددا (قال هشام) وأما عوانة بن الحكم الكلبي فذكر ان عبد الله بن مطيع كان على قريش من أهل المدينة وعبد الله بن حنظلة الغسيل على الأنصار ومعقل ابن سنان على المهاجرين (قال هشام) عن أبي مخنف قال عبد الملك بن نوفل وصمد مسلم ابن عقبة بجميع من معه فأقبل من قبل الحرة حتى ضرب فسطاطه على طريق الكوفة ثم وجه الخيل نحو ابن الغسيل فحمل ابن الغسيل على الخيل في الرجال الذين معه حتى كشف الخيل حتى انتهوا الى مسلم بن عقبة فنهض فى وجوههم بالرجال وصاح بهم فانصرفوا فاقتتلوا قتالا شديدا ثم إن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب جاء الى عبد الله ابن حنظلة الغسيل فقاتل فى نحو من عشرين فارسا قتالا شديدا حسنا ثم قال لعبد الله مر

من معك فارسا فليأتني فليقف معي فاذا حملت فليحملوا فوالله لا أنتهي حتى أبلغ مسلما فإما ان أقتله وإما ان أقتل دونه فقال عبد الله بن حنظلة لعبد الله بن الضحاك من بني عبد الأشهل من الأنصار نادِ في الخيل فلتقف مع الفضل بن العباس فنادى فيهم الضحاك فجمعهم الى الفضل فلما اجتمعت الخيل اليه حمل على أهل الشأم فانكشفوا فقال لأصحابه ألا ترونهم كشفا لياما احملوا أخرى جُعلتُ فداكم فوالله لئن عاينتُ أميرهم لأقتلنه أولا أقتلن دونه إن صبر ساعة معقب سرورا انه ليس بعد لصبرنا الا النصرُ ثم حمل وحمل أصحابه معه فانفرجت خيل أهل الشأم عن مسلم بن عقبة في نحو من خمسمائة راجل جثاة على الركب مشرعي الاسنة نحو القوم ومضى كما هو نحو رايته حتى يضرب رأس صاحب الراية وان عليه لمغفرا فقطّ المغفر وفلق هامته فخرّ ميّتا فقال خذها مني وأنا ابن عبد المطلب فظن انه قتل مسلما فقال قتلتُ طاغية القوم ورب الكعبة فقال مسلم اخطأت أستُك الحمرة وإنما كان ذلك غلاما له يقال له رومي وكان شجاعا فأخذ مسلم رايته ونادى يا أهل الشأم أهذا القتال قتال قوم يريدون ان يدفعوا به عن دينهم وان يُعزّوا به نصر امامهم قبح الله قتالكم منذ اليوم ما أوجعه لقلبي وأغيظه لنفسي أم والله ما جزاؤكم عليه إلا ان تحرموا العطاء وان تجمروا في أقاصي الثغور شدوا مع هذه الراية ترّح الله وجوهكم ان لم تعتبوا فمشى برايته وشدت تلك الرجال امام الراية فصرع الفضل بن عباس فقتل وما بينه وبين أطناب مسلم بن عقبة الا نحو من عشر أذرع وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف وقتل معه ابراهيم بن نعيم العدوي في رجال من أهل المدينة كثير (قال هشام) عن عوانة وقد بلغنا في حديث آخران مسلم بن عقبة كان مريضا يوم القتال وانه أمر بسرير وكرسيّ فوضع بين الصفّين ثم قال يا أهل الشأم قاتلوا عن أميركم أودعوا ثم زحفوا نحوهم فأخذوا لا يصمدون لربع من تلك الأرباع إلا هزموه ولا يقاتلون الا قليلا حتى تولوا ثم انه أقبل الى عبد الله بن حنظلة فقاتله أشدّ القتال واجتمع من أراد القتال من تلك الأرباع الى عبد الله بن حنظلة فاقتتلوا قتالا شديدا فحمل الفضل بن العباس بن ربيعة في جماعة من وجوه الناس وفرسانهم يريد مسلم بن عقبة ومسلم على سريره مريض فقال احملوني فضعوني في الصف فوضعوه بعد ما حملوه امام فسطاطه في الصف وحمل الفضل بن العباس هو وأصحابه أولئك حتى انتهى الى السرير وكان الفضل أحمر فلما رفع السيف ليضربه صاح بأصحابه ان العبد الأحمر قاتلي فأين أنتم يا بني الحرائر اعجروه بالرماح فوثبوا اليه فطعنوه حتى سقط (قال هشام) قال أبو مخنف ثم ان خيل مسلم ورجاله أقبلت نحو عبد الله بن حنظلة الغسيل ورجاله بعدّة كما حدثني عبد الله بن منقذ حتى دنوا منه ورئب مسلم بن عقبة فرساله فأخذ يسير في أهل الشأم ويحرضهم ويقول يا أهل الشأم انكم لستم بأفضل العرب في أحسابها ولا أنسابها ولا أكثرها عددا ولا أوسعها بلدا ولم يخصّكم

الله بالذى خصكم به من النصر على عدوكم وحسن المنزلة عند أئمتكم الإبطاعتكم واستقامتكم وان هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غيروا فغيّر الله بهم فقوموا على أحسن ما كنتم عليه من الطاعة يتم الله لكم أحسن ما ينيلكم من النصر والفلج ثم جاء حتى انتهى الى مكانه الذى كان فيه وأمر الخيل ان تقدم على ابن الغسيل وأصحابه فأخذت الخيل اذا أقدمت على الرجال فثار وافي وجوهها بالرماح والسيوف نفرت وابذعرّت وأجمت فنادى فيهم مسلم بن عقبة يا أهل الشأم ما جعلهم الله أولى بالأرض منكم يا حُصَين بن نُمَير انزل فى جندك فنزل فى أهل حمص فمشى اليهم فلما رآهم قد أقبلوا يمشوا تحت راياتهم نحو ابن الغسيل قام في أصحابه فقال يا هؤلاء ان عدوكم قد أصابوا وجه القتال الذى كان ينبغى ان تقاتلوهم به وانى قد ظننت ألا تلبثوا إلا ساعة حتى يفصل الله بينكم وبينهم إما لكم وإما عليكم أما انكم أهل البصيرة ودار الهجرة والله ما أظن ربّكم أصبح عن أهل بلد من بلدان المسلمين بأرضى منه عنكم ولا على أهل بلد من بُلدان العرب بأسخط منه على هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم ان لكل امرئ منكم ميتة هو ميت بها والله ما من ميتة بأفضل من ميتة الشهادة وقد ساقها الله اليكم فاغتنموها فوالله ما كل ما أردتموها وجدتموها ثم مشى برايته غير بعيد ثم وقف وجاء ابن نمير برايته حتى أدناها وأمر مسلم بن عقبة عبد الله بن عضاه الأشعرى فمشى فى خمسمائة مرام حتى دنوا من ابن الغسيل وأصحابه فأخذوا ينضحونهم بالنبل فقال ابن الغسيل علام تستهدفون لهم من أراد التعجل الى الجنة فليلزم هذه الراية فقام اليه كل مسمّيت فقال اتعدوا الى ربكم فوالله انى لأرجوان تكونوا عن ساعة قريرى عين فنهض القوم بعضهم الى بعض فاقتتلوا أشد قتال رؤى فى ذلك الزمان ساعة من نهار وأخذ يقدّم بنيه أمامه واحدا واحدا حتى قتلوا بين يديه وابن الغسيل يضرب بسيفه ويقول

بُعدًا لمن رام الفسادَ وطغى * وجانبَ الحقّ وآياتِ الهدى
لا يُبعدِ الرحمنُ إلا من عصى

فقتل وقتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس استقدم فقاتل حتى قتل وقال ما أحب ان الديلم قتلونى مكان هؤلاء القوم ثم قاتل حتى قتل وقتل معه محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى فمر عليه مروان بن الحكم وكأنه برطيل من فضة فقال رحمك الله فربّ سارية قد رأيتك تطيل القيام في الصلاة الى جنبها (قال هشام) فحدثنى عوانة قال فبلغنا ان مسلم بن عقبة كان يجلس على كرسى ويحمله الرجال وهو يقاتل ابن الغسيل يوم الحرة وهو يقول

أحيا أباه هاشمُ بن حَرْمَلَهْ * يومَ الهباتين ويومَ اليَعْمَلَهْ
كلُّ الملوكِ عندَه مُغرْبَلَهْ * ورُمحُه للوالداتِ مُثْكِلَهْ

لا يلبث القتيل حتى يجد له * يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

(قال هشام) عن أبي مخنف وخرج محمد بن سعد بن أبي وقاص يومئذ يقاتل فلما انهزم الناس مال عليهم يضربهم بسيفه حتى غلبته الهزيمة فذهب فيمن ذهب من الناس وأباح مسلم المدينة ثلاثا يقتلون الناس ويأخذون الأموال فأفزع ذلك من كان بها من الصحابة فخرج أبو سعيد الخدري حتى دخل في كهف في الجبل فبصر به رجل من أهل الشأم فجاء حتى اقتحم عليه الغار (قال أبو مخنف) فحدثني الحسن بن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال دخل الى الشامي يمشي بسيفه قال فانتضيت سيفي فمشيت اليه لأرعبه لعله ينصرف عني فأبى إلا الإقدام علي فلما رأيت ان قد جد شمت سيفي ثم قلت له لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك اني أخاف الله رب العالمين فقال لي من أنت لله أبوك فقلت أنا أبو سعيد الخدري قال صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم فانصرف عني (قال هشام) حدثني عوانة قال دعا الناس مسلم بن عقبة بقبا الى البيعة وطلب الامان لرجلين من قريش ليزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ابن عبد العزى ومحمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي ولمعقل بن سنان الأشجعي فأتى بهم بعد الوقعة بيوم فقال بايعوا فقال القرشيان نبايعك على كتاب الله وسنة نبيه فقال لا والله لا أقيلكم هذا أبدا فقدمهما فضرب أعناقهما فقال له مروان سبحان الله أتقتل رجلين من قريش أتياليؤمنا فضربت أعناقهما فتغمس بالقضيب في خاصرته ثم قال وأنت والله لوقلت بمقالتهما ما رأيت السماء إلا برقة (قال هشام) قال أبو مخنف وجاء معقل بن سنان فجلس مع القوم فدعا بشراب ليسقي فقال له مسلم أي الشراب أحب اليك قال العسل قال اسقوه فشرب حتى ارتوى فقال له أقضيت ربك من شرابك قال نعم قال لا والله لا تشرب بعده شرابا أبدا إلا الحميم في نار جهنم أتذكر مقالتك لأمير المؤمنين سرت شهرا ورجعت شهرا وأصبحت صفرا اللهم غير تعني يزيد فقدمه فضرب عنقه (قال هشام) وأما عوانة بن الحكم فذكر ان مسلم بن عقبة بعث عمرو بن محرز الأشجعي فأتاه بمعقل بن سنان فقال له مسلم مرحبا بأبي محمد أراك عطشان قال أجل قال شوبوا له عسلا بالثلج الذي حملتموه معنا وكان له صديقا قبل ذلك فشابوه له فلما شرب معقل قال له سقاك الله من شراب الجنة فقال له مسلم أم والله لا تشرب بعدها شرابا أبدا حتى تشرب من شراب الحميم قال أنشدك الله والرحم فقال له مسلم أنت الذي لقيتني بطبرية ليلة خرجت من عند يزيد فقلت سرنا شهرا ورجعنا من عند يزيد صفرا نرجع الى المدينة فنخلع هذا الفاسق ونبايع لرجل من أبناء المهاجرين قيم غطفان وأشجع من الخلع والخلافة اني آليت بيمين لا ألقاك في حرب أقدر فيه على ضرب عنقك إلا فعلت ثم أمر به فقتل (قال هشام) قال عوانة وأتى يزيد بن وهب

ابن زمعة فقال بايع قال أبايعك على سنة عمر قال اقتلوه قال أنا أبايع قال لا والله لا أقيلك عثرتك فكلمه مروان بن الحكم لصهر كان بينهما فأمر بمروان فوجئت عنقه ثم قال بايعوا على انكم خول ليزيد بن معاوية ثم أمر به فقتل (قال هشام) قال عوانة عن أبي مخنف قال قال عبد الملك بن نوفل بن مساحق ثم ان مروان أتى بعلي بن الحسين وقد كان علي بن الحسين حين أخرجت بنو أمية منع ثقل مروان وامرأته وآواها ثم خرجت الى الطائف فهي أم أبان ابنة عثمان بن عفان فبعث ابنه عبد الله معها فشكر ذلك له مروان وأقبل على ابن الحسين يمشي بين مروان وعبد الملك يلتمس بهما عند مسلم الأمان فجاء حتى جلس عنده بينهما فدعا مروان بشراب ليتحرم بذلك من مسلم فأتي له بشراب فشرب منه مروان شيأ يسيرا ثم ناوله عليا فلما وقع في يده قال له مسلم لا تشرب من شرابنا فأرعدت كفه ولم يأمنه على نفسه وأمسك القدح بكفه لا يشربه ولا يضعه فقال انك انما جئت تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي والله لو كان هذا الأمر اليهما لقتلتك ولكن أمير المؤمنين أوصاني بك وأخبرني انك كاتبته فذلك نافعك عندي فإن شئت فاشرب شرابك الذي في يدك وان شئت دعونا بغيره فقال هذه التي في كفي أريد قال اشربها فشربها ثم قال الى ههنا فأجلسه معه (قال هشام) قال وقال عوانة بن الحكم لما أتى بعلي بن الحسين الى مسلم قال من هذا قالوا هذا علي ابن الحسين قال مرحبا وأهلا ثم أجلسه معه على السرير والطنفسة ثم قال ان أمير المؤمنين أوصاني بك قبلا وهو يقول ان هؤلاء الخبثاء شغلوني عنك وعن وصلتك ثم قال لعلي لعل أهلك فزعوا قال اي والله فأمر بدابته فأسرجت ثم حمله فرده عليها (قال هشام) وذكر عوانة أن عمرو بن عثمان لم يكن فيمن خرج من بني أمية وأنه أتي به يومئذ الى مسلم بن عقبة فقال يا أهل الشأم تعرفون هذا قالوا لا قال هذا الخبيث ابن الطيب هذا عمرو بن عثمان بن عفان أمير المؤمنين هي يا عمرو اذا ظهر أهل المدينة قلت أنا رجل منكم وان ظهر أهل الشأم قلت أنا ابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان فأمر به فتُتِفت لحيته ثم قال يا أهل الشأم ان أم هذا كانت تُدخِل الجعل في فيها ثم تقول يا أمير المؤمنين حاجبتك ما في فمي وفي فمها ما ساء ها وناءها فخلى سبيله وكانت أمه من دوس ﴿قال أبو جعفر الطبري﴾ فحدثني أحمد بن ثابت عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وحدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد عن محمد ابن عمر قالا كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ٦٣ وقال بعضهم لثلاث ليال بقين منه ﴿وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير﴾

حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عبد الله ابن جعفر عن ابن عوف قال حج ابن الزبير بالناس سنة ٦٣ وكان يسمى يومئذ العائذ ويرون الامر شورى قال فلما كانت ليلة هلال المحرم ونحن في منزلنا اذ قدم علينا سعيد

مولى المسور بن مخرمة فخبّرنا بما أوقع مسلم بأهل المدينة وما نيل منهم فجاءهم أمر عظيم فرأيت القوم شهروا وجدّوا وأعدّوا وعرفوا انه نازل بهم وقد ذكر من أمر وقعة الحرّة ومقتل ابن الغسيل أمرٌ غيرُ الذى رُوى عن أبى مخنف عن الذين رَوَى ذلك عنهم وذلك ما حدثنى أحمد بن زهير قال حدثنا أبى قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا جويرية ابن أسماء قال سمعت أشياخ أهل المدينة يحدثون ان معاوية لما حضرته الوفاة دعا يزيد فقال له ان لك من أهل المدينة يوما فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفت نُصحه فلما هلك معاوية وفد اليه وفدٌ من أهل المدينة وكان ممن وفد عليه عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر وكان شريفا فاضلاً سيّدا عابدا معه ثمانية بنين له فأعطاه مائة ألف درهم وأعطى بنيه لكل واحد منهم عشرة آلاف سوى كُسوتهم وحُملانهم فلما قدم المدينة عبد الله بن حنظلة أتاه الناس فقالوا ماوراءك قال جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد الا بنىّ هؤلاء لجاهدته بهم قالوا قد بلغنا انه أجدك وأعطاك وأكرمك قال قد فعل وما قبلت منه الا لأتقوّى به وحضّض الناس فبايعوه فبلغ ذلك يزيد فبعث مسلم بن عقبة اليهم وقد بعث أهل المدينة الى كل ما بينهم وبين الشأم فصبّوا فيه زقا من قَطِران وعُوِّرفارسل الله السماء عليهم فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة فخرج اليهم أهل المدينة بجموع كثيرة وهيئة لم يُرَ مثلها فلما رآهم أهل الشأم هابوهم وكرهوا قتالهم ومسلم شديد الوجع فبينما الناس فى قتالهم اذ سمعوا التكبير من خلفهم فى جوف المدينة وأقحم عليهم بنو حارثة أهل الشأم وهم على الجدّ فانهزم الناس فكان من أصيب فى الخندق أكثر ممن قُتل من الناس فدخلوا المدينة وهُزم الناس وعبد الله بن حنظلة مستند الى أحد بنيه يغطّ نوما فنبّهه ابنه فلما فتح عينيه فرأى ما صنع الناس أمر أكبر بنيه فتقدم حتى قُتل فدخل مسلم بن عقبة المدينة فدعا الناس للبيعة على انهم خَوَل ليزيد بن معاوية يحكم فى دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين ﴾

﴿ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث ﴾

﴿ قال أبو جعفر ﴾ فمن ذلك مسيرُ أهل الشأم الى مكة لحرب عبد الله بن الزبير ومن كان على مثل رأيه فى الامتناع على يزيد بن معاوية ولما فرغ مسلم بن عقبة من قتال أهل المدينة وإنهاب جنده أموالهم ثلاثة أيام بمن معه من الجند متوجها الى مكة كالذى ذكر هشام بن محمد عن أبى مخنف قال حدثنى عبد الملك بن نوفل ان مسلما خرج بالناس الى مكة يريد ابن الزبير وخلف على المدينة رَوْح بن زِنباع الجذامى * وأما الواقدى فانه قال خلف عليها عمرو ابن محرز الاشجعى قال ويقال خلف عليها روح بن زنباع الجذامى

﴿ذكر موت مسلم بن عقبة ورمي الكعبة واحراقها﴾

﴿رجع الحديث الى أبي مخنف﴾ قال حتى اذا انتهى الى المشلل ويقال الى قفا المشلل نزل به الموت وذلك في آخر المحرم من سنة ٦٤ فدعا حصين بن نمير السكوني فقال له يا ابن برذعة الحمار أما والله لو كان هذا الامر الي ما وليتك هذا الجند ولكن أمير المؤمنين ولاك بعدي وليس لأمر أمير المؤمنين مرد خذ عني أربعا أسرع السير وعجل الوقاع وعم الاخبار ولا تمكن قريشا من أذنك ثم انه مات فدفن بقفا المشلل (قال هشام) بن محمد الكلبي وذكر عوانة ان مسلم بن عقبة شخص يريد ابن الزبير حتى اذا بلغ ثنية هرشا نزل به الموت فبعث الى رؤس الاجناد فقال ان أمير المؤمنين عهد الي ان حدث بي حدث الموت ان أستخلف عليكم حصين بن نمير السكوني والله لو كان الامر الي ما فعلت ولكن أكره معصية أمير المؤمنين عند الموت ثم دعا به فقال انظر يا برذعة الحمار فاحفظ ما أوصيك به عم الاخبار ولا تترع سمعك قريشا أبدا ولا تردن أهل الشأم عن عدوهم ولا تقيمن الا ثلاثا حتى تناجز ابن الزبير الفاسق ثم قال اللهم اني لم أعمل عملا قط بعد شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أحب الي من قتلي أهل المدينة ولا أرجى عندي في الآخرة ثم قال لبني مرة زرا عني التي بحوران صدقة علي مرة وما أغلقت عليه فلانة بابها فهو لها يعني أم ولده ثم مات ولما مات خرج حصين بن نمير بالناس فقدم على ابن الزبير مكة وقد بايعه أهلها وأهل الحجاز (قال هشام) قال عوانة قال مسلم قبل الوصية ان ابني يزعم ان أم ولدي هذه سقتني السم وهو كاذب هذا داء يصيبنا في بطوننا أهل البيت قال وقدم عليه يعني ابن الزبير كل أهل المدينة وقد قدم عليه نجدة بن عامر الحنفي في أناس من الخوارج يمنعون البيت فقال لاخيه المنذر ما لهذا الامر ولدفع هؤلاء القوم غيري وغيرك وأخوه المنذر ممن شهد الحرة ثم لحق به فجرد اليهم أخاه في الناس فقاتلهم ساعة قتالا شديدا ثم ان رجلا من أهل الشأم دعا المنذر الى المبارزة قال والشأمي على بغلة له فخرج اليه المنذر فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة خر صاحبه لها ميتا فجثا عبد الله بن الزبير على ركبتيه وهو يقول يا رب أبرها من أصلها ولا تشدها وهو يدعو على الذي بارز أخاه ثم ان أهل الشأم شدوا عليهم شدة منكرة وانكشف أصحابه انكشافة وعثرت بغلته فقال تعسا ثم نزل وصاح بأصحابه الي فأقبل اليه المسور بن مخرمة ابن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري فقاتلوا حتى قتلوا جميعا وصابرهم ابن الزبير بجالدهم حتى الليل ثم انصرفوا عنه وهذا في الحصار الاول ثم انهم أقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرم وصفر كله حتى اذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الاول يوم السبت سنة ٦٤ قذفوا البيت بالمجانيق وحرقوه بالنار وأخذوا يرتجزون ويقولون

خطارة مثل الفنيق المزبد * نرمي بها أعواد هذا المسجد

(قال هشام) قال أبو عوانة جعل عمرو بن حوط السدوسي يقول

كيف ترى صنيع أم فروه * تأخذهم بين الصفا والمروه

يعني بأم فروة المنجنيق ﴿وقال الواقدي﴾ سار الحصين بن نمير حين دفن مسلم بن عقبة بالمشلل لسبع بقين من المحرم وقدم مكة لاربع بقين من المحرم فحاصر ابن الزبير أربعا وستين يوما حتى جاءهم نعي يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر ﴿وفي هذه السنة﴾ حرقت الكعبة

﴿ذكر السبب في احراقها﴾

قال محمد بن عمر احترقت الكعبة يوم السبت لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة ٦٤ قبل أن يأتي نعي يزيد بن معاوية بتسعة وعشرين يوما وجاء نعيه لهلال ربيع الآخر ليلة الثلاثاء * قال محمد بن عمر حدثنا رياح بن مسلم عن أبيه قال كانوا يوقدون حول الكعبة فأقبلت شرارة هبت بها الريح فاحترقت ثياب الكعبة واحترق خشب البيت يوم السبت لثلاث ليال خلون من ربيع الاول * قال محمد بن عمر وحدثني عبد الله بن زيد قال حدثني عروة بن أذينة قال قدمت مكة مع أمي يوم احترقت الكعبة قد خلصت اليها النار ورأيتها مجردة من الحرير ورأيت الركن قد اسود وانصدع في ثلاثة أمكنة فقلت ما أصاب الكعبة فأشاروا الى رجل من أصحاب عبد الله بن الزبير فقالوا هذا احترقت بسببه أخذ قبسا في رأس رمح له فطيرت الريح به فضرب أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والاسود ﴿وفيها﴾ هلك يزيد بن معاوية وكانت وفاته بقرية من قرى حمص يقال لها حوارين من أرض الشأم لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة ٦٤ وهو ابن ثمان وثلاثين سنة في قول بعضهم

حدثني عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى عن هشام بن الوليد المخزومي ان الزهري كتب لجده اسنان الخلفاء فكان فيما كتب من ذلك ومات يزيد بن معاوية وهو ابن تسع وثلاثين وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر في قول بعضهم ويقال ثمانية أشهر

وحدثني أحمد بن ثابت عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر انه قال توفي يزيد بن معاوية يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول وكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر الا ثماني ليال وصلى على يزيد ابنه معاوية بن يزيد (وأما هشام) بن محمد الكلبي فانه قال في سن يزيد خلاف الذي ذكره الزهري والذي قال هشام في ذلك فيما حدثنا عنه استخلف أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وهو ابن اثنين وثلاثين سنة وأشهر في هلال رجب سنة ٦٠ وولي سنتين وثمانية أشهر وتوفي لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة ٦٣ وهو ابن خمس وثلاثين وأمه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن وحية بن قنافة ابن عدي بن زهير بن حارثة الكلبي

﴿ذكر عدد ولده﴾

فمنهم معاوية بن يزيد بن معاوية يُكنى أبا ليلى وهو الذى يقول فيه الشاعر

انى أرى فتنة قد حان أوّلها * والملكُ بعد أبى ليلى لمن غلبا

وخالد بن يزيد وكان يكنى أبا هاشم وكان يقال انه أصاب علم الكيمياء وأبو سفيان وأمهما أم هاشم بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس تزوجها بعد يزيد مروان وهى التى يقول لها الشاعر

إنعمى أمّ خالدٍ * ربّ ساعٍ لقاعدِ

وعبد الله بن يزيد قيل انه من أرمى العرب فى زمانه وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر وهو الاسوار وله يقول الشاعر

زعم الناس أنّ خير قريش * كلهم حين تذكر الاسوارُ

وعبد الله الاصغر وعمر وأبو بكر وعتبة وحرب وعبد الرحمن والربيع ومحمد لامهات أولاد شتى

﴿ثم دخلت سنة خمس وستين﴾

﴿خلافة معاوية بن يزيد﴾

﴿وفى هذه السنة﴾ بويع لمعاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بالشأم بالخلافة ولعبد الله ابن الزبير بالحجاز * ولما هلك يزيد بن معاوية مكث الحصين بن نمير وأهل الشأم يقاتلون ابن الزبير وأصحابه بمكة فيما ذكر هشام عن عوانة أربعين يوما قد حصروهم حصارا شديدا وضيّقوا عليهم ثم بلغ موته ابن الزبير وأصحابه ولم يبلغ الحصين بن نمير وأصحابه ﴿حدثنا﴾ أحمد حدثنا اسحاق بن أبى اسرائيل قال حدثنا عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعانى أبو محمد قال حدثنا زياد بن جبل قال بينا حصين بن نمير يقاتل ابن الزبير اذ جاء موت يزيد فصاح بهم ابن الزبير فقال انّ طاغيتكم قد هلك فمن شاء منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فليفعل فمن كره فليلحق بشأمه فغدوا عليه يقاتلونه قال فقال ابن الزبير للحصين بن نمير ادنُ منى أحدّثك فدنا منه فحدثه فجعل فرس أحدهما يجفل والجفل الروث فجاء حمام الحرم يلتقط من الجفل فكف الحصين فرسه عنهن فقال له ابن الزبير مالك قال أخاف أن يقتل فرسى حمام الحرم فقال له ابن الزبير أتحرّج من هذا وتريد أن تقتل المسلمين فقال له لا أقاتلك فأذن لنا نطوف بالبيت وننصرف عنك ففعل فانصرفوا * وأما عوانة بن الحكم فانه قال فيما ذكر هشام عنه قال لما بلغ ابن الزبير موت يزيد وأهل الشأم لا يعلمون بذلك قد حصروه حصارا شديدا وضيّقوا عليه أخذ يناديهم هو وأهل مكة علام تقاتلون قد هلك طاغيتكم وأخذوا لا يصدّقونه حتى قدم ثابت بن قيس بن المُنتفع النخعى من أهل الكوفة فى رؤس أهل العراق فربا الحصين ابن نمير وكان له صديقا وكان بينهما صهر وكان يراه عند معاوية فكان يعرف فضله واسلامه وشرفه فسأل عن الخبر فأخبره بهلاك يزيد فبعث الحصين بن نمير الى عبد الله بن الزبير فقال

موعدُ ما بيننا وبينك الليلة الابطحُ فالتقيا فقال له الحصين ان يك هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الامر هلمَّ فلنبايعك ثم اخرج معي الى الشأم فان هذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشأم وفرسانهم فوالله لا يختلف عليك اثنان وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك والتي كانت بيننا وبين أهل الحرَّة فكان سعيد بن عمرو يقول ما منعه أن يبايعهم ويخرج الى الشأم الا تطيُّر لانَّ مكة التي منعه الله بها وكان ذلك من جند مروان وان عبد الله والله لو سار معهم حتى يدخل الشأم ما اختلف عليه منهم اثنان فزعم بعض قريش انه قال أنا أهدر تلك الدماء أم والله لا أرضى أن أقتل بكل رجل منهم عشرة وأخذا الحصين يكلمه سرا وهو يجهر جهرا وأخذ يقول لا والله لا أفعل فقال له الحصين بن نمير قبح الله من يعدك بعد هذه داهيا قط أو أديبا قد كنت أظن ان لك رأيا ألا أراني أكلمك سرا وتكلمني جهرا وأدعوك الى الخلافة وتعدني القتل والهلكة ثم قام فخرج وصاح في الناس فأقبل فيهم نحو المدينة وندم ابن الزبير على الذي صنع فأرسل اليه امّا ان أسير الى الشأم فلست فاعلا وأكره الخروج من مكة ولكن بايعوا لي هنالك فاني مؤمنكم وعادلٌ فيكم فقال له الحصين أرأيت ان لم تقدم بنفسك ووجدتُ هنالك أناسا كثيرا من أهل هذا البيت يطلبونها يجيبهم الناس ما أنا صانعٌ فأقبل بأصحابه ومن معه نحو المدينة فاستقبله علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومعه قَتٌّ وشعيرٌ وهو على راحلة له فسلم على الحصين فلم يكد يلتفت اليه ومع الحصين بن نمير فرسٌ له عتيقٌ وقد فنى قتُّه وشعيرُه فهو غرضٌ وهو يسبّ غلامه ويقول من أين نجد ههنا لدابتنا علفا فقال له علي بن الحسين هذا علفٌ عندنا فاعلف منه دابتك فأقبل علي على علي عند ذلك بوجهه فأمر له بما كان عنده من علف واجترأ أهل المدينة وأهل الحجاز على أهل الشأم فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل الا أخذ بلجام دابته ثم نُكس عنها فكانوا يجتمعون في معسكرهم فلا يفترقون وقالت لهم بنو أمية لا تبرحوا حتى تحملونا معكم الى الشأم ففعلوا ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشأم وقد أوصى يزيد بن معاوية بالبيعة لابنه معاوية بن يزيد فلم يلبث الا ثلاثة أشهر حتى مات * وقال عوانة استخلف يزيد بن معاوية ابنه معاوية بن يزيد فلم يمكث الا أربعين يوما حتى مات ﴿ وحدثني عمر عن علي بن محمد قال لما استخلف معاوية بن يزيد وجمع عمّال أبيه وبويع له بدمشق هلك بها بعد أربعين يوما من ولايته ويكنى أبا عبد الرحمن وهو أبو ليلى وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة وتوفي وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثمانية عشر يوما ﴿ وفي هذه السنة ﴾ بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد على أن يقوم لهم بأمرهم حتى يصطلح الناس على امام يرتضونه لانفسهم ثم أرسل عبيد الله رسولا الى الكوفة يدعوهم الى مثل الذي فعل من ذلك أهل البصرة فأبوا عليه وحصبوا الوالي الذي كان عليهم ثم خالفه أهل البصرة أيضا فهاجت بالبصرة فتنةٌ ولحق

عبيد الله بن زياد بالشأم

﴿ذكر الخبر عما كان من أمر عبيد الله بن زياد وأمر أهل البصرة معه بها بعد موت يزيد﴾

وحدثني عمر بن شبة قال حدثني موسى بن اسماعيل قال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن قال كتب الضحاك بن قيس الى قيس بن الهيثم حين مات يزيد بن معاوية سلام عليك أما بعد فان يزيد بن معاوية قد مات وأنتم اخواننا فلا تسبقونا بشيء حتى نختار لانفسنا وحدثني عمر قال حدثنا زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن جماد قال حدثنا محمد بن أبي عيينة قال حدثني شهرك قال شهدت عبيد الله بن زياد حين مات يزيد ابن معاوية قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل البصرة انسبوني فوالله لتجدني أهاجر والدي ومولدي فيكم وداري ولقد وليتكم وما أحصى ديوان مقاتلتكم الا سبعين ألف مقاتل ولقد أحصى اليوم ديوان مقاتلتكم ثمانين ألفا وما أحصى ديوان عمالكم الا تسعين ألفا ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفا وما تركت لكم ذا ظنة أخافه عليكم الا وهو في سجنكم هذا وان أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد توفي وقد اختلف أهل الشأم وأنتم اليوم أكثر الناس عددا وأعرضه غناء وأغناه عن الناس وأوسعه بلادا فاختاروا لانفسكم رجلا ترتضونه لدينكم وجماعتكم فأنا أول راض من رضيتموه وتابع فان اجتمع أهل الشأم على رجل ترتضونه دخلتم فيما دخل فيه المسلمون وان كرهتم ذلك كنتم على جديلتكم حتى تعطوا حاجتكم فما بكم الى أحد من أهل البلدان حاجة وما يستغني الناس عنكم فقامت خطباء أهل البصرة فقالوا قد سمعنا مقالتك أيها الامير وانا والله ما نعلم أحدا أقوى عليها منك فهلم فلنبايعك فقال لا حاجة لي في ذلك فاختاروا لانفسكم فأبوا عليه وأبى عليهم حتى كرروا ذلك عليه ثلاث مرات فلما أبوا بسط يده فبايعوه ثم انصرفوا بعد البيعة وهم يقولون لا يظن ابن مرجانة أنا نستقاد له في الجماعة والفرقة كذب والله ثم وثبوا عليه وحدثني عمر قال زهير قال حدثنا وهب قال وحدثنا الاسود بن شيبان عن خالد بن سمير ان شقيق بن ثور ومالك بن مسمع وحصين بن المنذر أتوا عبيد الله ليلا وهو في دار الامارة فبلغ ذلك رجلا من الحي من بني سدوس قال فانطلقت فلزمت دار الامارة فلبثوا معه حتى مضى عليه الليل ثم خرجوا ومعهم بغل موقر مالا قال فأتيت حصينا فقلت مر لي من هذا المال بشيء فقال عليك ببني عمك فأتيت شقيقا فقلت مر لي من هذا المال بشيء قال وعلى المال مولى له يقال له أيوب فقال يا أيوب أعطه مائة درهم قلت أما مائة درهم والله لا أقبلها فسكت عني ساعة وسار هنيهة فأقبلت عليه فقلت مر لي من هذا المال بشيء فقال يا أيوب أعطه مائتي درهم قلت لا أقبل والله مائتين ثم أمر لي بثلثمائة ثم أربعمائة فلما انتهينا الى الطفاوة قلت مر لي بشيء قال أرأيت ان لم أفعل ما أنت صانع قلت انطلق والله حتى اذا توسطت دور الحي

وضعت

وضعت إصبعي في أذني ثم صرخت بأعلى صوتي يامعشر بكر بن وائل هذا شقيق بن نور وحصين بن المنذر ومالك بن المسمع قد انطلقوا الى ابن زياد فاختلفوا في دمائكم قال ماله فعل الله به وفعل وبلك أعطه خمسمائة درهم قال فأخذتها ثم صبحت غاديا على مالك قال وهب فلم أحفظ ما أمر له به مالك قال ثم رأيت حصينا قد دخلت عليه فقال ما صنع ابن عمك فأخبرته وقلت أعطني من هذا المال فقال انا قد أخذنا هذا المال ونجونا به فلن نخشى من الناس شيأ فلم يعطني شيأ ﴿قال أبو جعفر﴾ وحدثني أبو عبيدة معمر بن المثنى ان يونس بن حبيب الجرمي حدثه قال لما قتل عبيد الله بن زياد الحسين بن علي عليه السلام وبني أبيه بعث برؤسهم الى يزيد بن معاوية فسر بقتلهم أولا وحسنت بذلك منزلة عبيد الله عنده ثم لم يلبث الا قليلا حتى ندم على قتل الحسين فكان يقول وما كان علي لو احتملت الاذى وأنزلته معي في داري وحكمته فيما يريد وان كان علي في ذلك وكف ووهن في سلطاني حفظا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورعاية لحقه وقرابته لعن الله ابن مرجانة فانه أخرجه واضطره وقد كان سأله أن يخلي سبيله ويرجع فلم يفعل أو يضع يده في يدي أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين يتوفاه الله عز وجل فلم يفعل فأبى ذلك وردّه عليه وقتله فبغضني بقتله الى المسلمين وزرع لي في قلوبهم العداوة فبغضني البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسينا مالي ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه ثم ان عبيد الله بعث مولى له يقال له أيوب بن حمران الى الشأم ليأتيه بخبر يزيد فركب عبيد الله ذات يوم حتى اذا كان في رحبة القصابين اذا هو بأيوب بن حمران قد قدم فلحقه فأسر اليه موت يزيد بن معاوية فرجع عبيد الله من مسيره ذلك فأتى منزله وأمر عبد الله بن حصن أحد بني ثعلبة بن يربوع فنادى الصلاة جامعة (قال أبو عبيدة) وأما عمير بن معن الكاتب فحدثني قال الذي بعثه عبيد الله حمران مولاه فعاد عبيد الله عبد الله بن نافع أخا زياد لأمه ثم خرج عبيد الله ماشيا من خوخة كانت في دار نافع الى المسجد فلما كان في صحنه اذا هو بمولاه حمران أدنى ظلمة عند المساء وكان حمران رسول عبيد الله بن زياد الى معاوية حياته والى يزيد فلما رآه ولم يكن له أن يقدم قال مهيم قال خير قال وما وراءك قال ادنو منك قال نعم وأسر اليه موت يزيد واختلاف أمر الناس بالشأم وكان يزيد مات يوم الخميس للنصف من شهر ربيع الاول سنة ٦٤ فأقبل عبيد الله من فوره فأمر مناديا فنادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر فنعى يزيد وعرض بثلبه لقصد يزيد اياه قبل موته حتى يخافه عبيد الله فقال الاحنف لعبيد الله انه قد كانت ليزيد في أعناقنا بيعة وكان يقال أعرض عن ذي فنن فأعرض عنه ثم قام عبيد الله يذكر اختلاف أهل الشأم وقال اني قد وليتكم ثم ذكر نحو حديث عمر بن شبة عن زهير بن حرب الى فبايعوه عن رضى منهم ومشورة ثم قال فلما خرجوا من عنده جعلوا

يمسحون أكفهم بباب الدار وحيطانه ويقولون ظن ابن مرجانة انا نوليه أمرنا في الفرقة قال فاقام عبيد الله أميرا غير كثير حتى جعل سلطانه يضعف ويأمرنا بالامر فلا يقضى ويرى الرأى فيرد عليه ويأمر بحبس المخطئ فيحال بين أعوانه وبينه (قال أبو عبيدة) فسمعت غيلان بن محمد يحدث عن عثمان البتى قال حدثنى عبد الرحمن بن حوشب قال تبعت جنازة فلما كان في سوق الابل اذا رجل على فرس شهباء متقنع بسلاح وفي يده لواء وهو يقول أيها الناس هلموا الى أدعكم الى مالم يدعكم اليه أحد أدعوكم الى العائذ بالحرم يعنى عبد الله بن الزبير * قال فتجمع اليه نويس فجعلوا يصفقون على يديه ومضينا حتى صلينا على الجنازة فلما رجعنا اذا هو قد انضم اليه أكثر من الاولين ثم أخذ بين دار قيس بن الهيثم بن أسماء بن الصلت السلمى ودار الحارثيين قبل بنى تميم فى الطريق الذى ياخذ عليهم فقال ألا من أرادنى فأنا سلمة بن ذؤيب وهو سلمة بن ذؤيب بن عبد الله ابن محكم بن زيد بن رياح بن يربوع بن حنظلة قال فلقينى عبد الرحمن بن بكر عند الرحبة فأخبرته بخبر سلمة بعد رجوعى فأتى عبد الرحمن عبيد الله فحدثه بالحديث عنى فبعث الى فأتيته فقال ما هذا الذى خبر به عنك أبو بحر قال فاقتصصت عليه القصة حتى أتيت على آخرها فأمر فنودى على المكان الصلاة جامعة فتجمع الناس فانشأ عبيد الله يقص أول أمره وأمرهم وما قد كان دعاهم الى من يرتضونه فيبايعه معهم وانكم أبيتم غيرى وانه بلغنى انكم مسختم أكفكم بالحيطان وباب الدار وقلتم ما قلتم وانى آمر بالامر فلا ينفذ ويرد على رأيى وتحول القبائل بين أعوانى وطلبتى ثم هذا سلمة بن ذؤيب يدعو الى الخلاف عليكم ارادة أن يفرق جماعتكم ويضرب بعضكم جباه بعض بالسيف فقال الاحنف صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد ابن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم والناس جميعا نحن نأتيك بسلمة فأتوا سلمة فاذا جمعه قد كثف واذا الفتق قد اتسع على الراتق وامتنع عليهم فلما رأوا ذلك قعدوا عن عبيد الله بن زياد فلم يأتوه (قال أبو عبيدة) فحدثنى غير واحد عن سبرة ابن الجارود الهذلى عن أبيه الجارود قال وقال عبيد الله فى خطبته يا أهل البصرة والله لقد لبسنا الخز واليمنة واللين من الثياب حتى لقد أجمنا ذلك وأجمته جلودنا فما بنا الى أن نعقبها الحديد يا أهل البصرة والله لواجتمعتم على ذنب عير لتكسروه ما كسرتموه (قال الجارود) فوالله ما رمى بجماح حتى هرب فتوارى عند مسعود فلما قتل مسعود لحق بالشأم (قال يونس) وكان في بيت مال عبيد الله يوم خطب الناس قبل خروج سلمة ثمانية آلاف ألف أو أقل وقال على بن محمد تسعة عشر ألف ألف فقال للناس ان هذا فيئكم فخذوا أعطياتكم وأرزاق ذراريكم منه وأمر الكتبة بتحصيل الناس وتخريج

الاسماء واستعجل الكتّاب في ذلك حتى وكّل بهم من يحبسهم بالليل في الديوان وأسرجوا بالشمع * قال فلما صنعوا ما صنعوا وقعدوا عنه وكان من خلاف سلمة عليه ما كان كف عن ذلك ونقلها حين هرب فهي الى اليوم تردّد في آل زياد فيكون فيهم العُرس أو المأتم فلا يُرى في قريش مثلهم ولا في قريش أحسن منهم في الغضارة والكسوة فدعا عبيد الله رؤساء خاصّة السلطان فأرادهم أن يقاتلوا معه فقالوا ان أمرنا قوّادنا قاتلنا معك فقال اخوة عبيد الله لعبيد الله والله ما من خليفة فتقاتل عنه فان هُزمت فئت اليه وان استمددته أمدّك وقد علمت ان الحرب دُول فلا ندري لعلها تدول عليك وقد اتخذنا بين أظهر هؤلاء القوم أموالا فان ظفروا اهلكونا واهلكوها فلم تبق لك باقية وقال له أخوه عبد الله لأبيه وأمه مرجانة والله لئن قاتلت القوم لأعتمدنّ على ظُبة السيف حتى يخرج من صُلبي فلما رأى ذلك عبيد الله أرسل الى حارث بن قيس بن صُهبان بن عون بن علاج ابن مازن بن أسود بن جُهضم بن جذيمة بن مالك بن فهم فقال له يا حار ان أبي كان أوصاني ان احتجتُ الى الهرب يوما أن أختاركم وإن نفسي تأبى غيركم فقال الحارث قد أبلوك في أبيك ما قد علمت وبلوه فلم يجدوا عنده ولا عندك مُكافاة ومالك مردّ اذا اخترتنا وما أدري كيف ابائي لك ان أخرجتك نهارا انى أخاف ألا أصل بك الى قومي حتى تُقتل وأقتل ولكني أقيم معك حتى اذا وارى دمْس دمْسا وهدأت القدم رددت خلفي لئلا تُعرف ثم أخذتك على اخوالي بني ناجية قال عبيد الله نعم ما رأيت فأقام حتى اذا قلت أخوك أم الذئب حمله خلفه وقد نقل تلك الأموال فأحرزها ثم انطلق به يمرّ به على الناس وكانوا يتحارسون مخافة الحارورية فيسأل عبيد الله أين نحن فيخبره فلما كانوا في بني سُليم قال عبيد الله أين نحن قال في بني سليم قال سلمنا ان شاء الله فلما أتى بني ناجية قال أين نحن قال في بني ناجية قال نجونا ان شاء الله فقال بنو ناجية من أنت قال الحارث بن قيس قالوا ابن أخيكم وعرف رجل منهم عبيد الله فقال ابن مرجانة فأرسل سهما فوقع في عمامته ومضى به الحارث حتى ينزله دار نفسه في الجهاضم ثم مضى الى مسعود بن عمرو بن عدىّ بن محارب ابن صُدَيم بن مُليح بن شرْطان بن مَعْن بن مالك بن فهم فقالت الأزد ومحمد بن أبي عيينة فلما رآه مسعود قال يا حار قد كان يُتعوّذ من سوء طوارق الليل فنعوذ بالله من شرّ ما طرقتنا به قال الحارث لم أطرقك إلا بخير وقد علمت ان قومك قد أنجوا زيادا فوفوا له فصارت لهم مكرُمة في العرب يفتخرون بها عليهم وقد بايعتم عبيد الله بيعة الرضا رضى من مشورة وبيعة أخرى قد كانت في أعناقكم قبل هذه البيعة يعني بيعة الجماعة فقال له مسعود يا حار أترى لنا ان نعادي أهل مصرنا في عبيد الله وقد أبلينا في أبيه ما أبلينا ثم لم نُكافَ عليه ولم نُشكر ما كنت أحسب ان هذا من رأيك قال الحارث انه لا يعاديك أحد على الوفاء ببيعتك

حتى تبلغه مأمنه (قال أبو جعفر) وأما عمر فحدثني قال حدثني زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي عن الزبير بن الخريت عن أبي لبيد الجهضمي عن الحارث ابن قيس قال عرض نفسه يعني عبيد الله بن زياد على فقال أم والله اني لأعرف سوء رأي كان في قومك قال فرقفت له فأردفته على بغلتي وذلك ليلا فأخذت على بني سليم فقال من هؤلاء قلت بنو سليم قال سلمنا ان شاء الله ثم مررنا ببني ناجية وهم جلوس ومعهم السلاح وكان الناس يتعارسون اذ ذاك في مجالسهم فقالوا من هذا قلت الحارث بن قيس قالوا امض راشدا فلما مضينا قال رجل منهم هذا والله ابن مرجانة خلفه فرماه بسهم فوضعه في كور عمامته فقال يا أبا محمد من هؤلاء قال الذين كنت تزعم انهم من قريش هؤلاء بنو ناجية قال نجونا ان شاء الله ثم قال يا حارث انك قد أحسنت وأجملت فهل أنت صانع ما أشير به عليك قد علمت منزلة مسعود بن عمرو في قومه وشرفه وسنه وطاعة قومه له فهل لك ان تذهب بي اليه فأكون في داره فهي وسط الأزد فإنك ان لم تفعل صدع عليك أمر قومك قلت نعم فانطلقت به فما شعر مسعود بشيء حتى دخلنا عليه وهو جالس ليلتئذ يوقد بقضيب على لبنة وهو يعالج خفيه قد خلع أحدهما وبقي الآخر فلما نظر في وجوهنا عرفنا وقال انه كان يتعوذ من طوارق السوء فقلت له أفتخرجه بعد ما دخل عليك بيتك قال فأمره فدخل بيت عبد الغافر بن مسعود وامرأة عبد الغافر يومئذ حيرة بنت خفاف ابن عمرو قال ثم ركب مسعود من ليلته ومعه الحارث وجماعة من قومه فطافوا في الأزد ومجالسهم فقالوا ان ابن زياد قد فقدنا وإنا لا نأمن ان تلطخوا به فاصبحوا في السلاح وفقد الناس ابن زياد فقالوا أين توجه فقالوا ما هو إلا في الأزد قال وهب فحدثنا أبو بكر ابن الفضل عن قبيصة بن مروان انهم جعلوا يقولون أين ترونه توجه فقالت عجوز من بني عقيل أين ترونه توجه اند حس والله في أجمة أبيه وكانت وفاة يزيد حين جاءت ابن زياد وفي بيوت مال البصرة ستة عشر ألف ألف ففرق ابن زياد طائفة منها في بني أبيه وحمل الباقي معه وقد كان دعا الخارية الى القتال معه ودعا بني زياد الى ذلك فأبوا عليه ﴿ حدثني عمر قال حدثني زهير بن حرب قال حدثنا الأسود بن شيبان عن عبد الله بن جرير المازني قال بعث الي شقيق بن ثور فقال لي انه قد بلغني ان ابن مخوف هذا وابن مسمع يدلجان بالليل الى دار مسعود ليردا ابن زياد الى الدار ليصلوا بين هذين الغارين فهيا قوادماء كم ويعزوا أنفسهم ولقد هممت ان أبعث الى ابن مخوف فأشد وثاقا وأخرجه عني فاذهب الى مسعود فاقرأ عليه السلام مني وقل له ان ابن مخوف وابن مسمع يفعلان كذا وكذا فاخرج هذين الرجلين عنك قال وكان معه عبيد الله وعبد الله ابنا زياد قال فدخلت على مسعود وابنا زياد عند أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فقلت السلام عليك أبا

قيس قال وعليك السلام قلت بعثني اليك شقيق بن ثور يقرأ عليك السلام و يقول لك انه بلغني فرد الكلام بعينه الى فاخرجهما عنك قال مسعود والله قلت ذاك فقال عبيد الله كيف أبا ثور ونسي كنيته انما كان يكنى أبا الفضل فقال أخوه عبد الله اما والله لانخرج عنكم قد أجرتمونا وعقدتم لنا ذمتكم فلانخرج حتى نقتل بين أظهركم فيكون عارا عليكم الى يوم القيامة قال وهب حدثنا الزبير بن الخريت عن أبي لبيد ان أهل البصرة اجتمعوا فقلدوا أمرهم النعمان بن صهبان الراسبي و رجلا من مضر ليختاروا لهم رجلا فيولوه عليهم وقالوا من رضيتما لنا فقد رضيناه وقال غير أبي لبيد الرجل المضري قيس ابن الهيثم السلمي قال أبو لبيد ورأى المضري في بني أمية ورأى النعمان في بني هاشم فقال النعمان ما أرى أحدا أحق بهذا الأمر من فلان لرجل من بني أمية قال وذلك رأيك قال نعم قال قد قلدتك أمري و رضيت من رضيت ثم خرجا الى الناس فقال المضري قد رضيت من رضي النعمان فمن سمى لكم فأنا به راض فقالوا للنعمان ما تقول فقال ما أرى أحدا غير عبد الله بن الحارث وهو يبكي فقال المضري ما هذا الذي سمعت لي قال بلى لعمري انه لهو فرضي الناس بعبد الله و بايعوه قال أصحابنا دعت مضر الى العباس بن الأسود بن عوف الزهري ابن أخي عبد الرحمن بن عوف ودعت اليمن الى عبد الله بن الحارث بن نوفل فتراضى الناس ان حكموا قيس بن الهيثم والنعمان بن صهبان الراسبي لينظرا في أمر الرجلين فاتفق رأيهما على ان يوليا المضري الهاشمي الى أن يجتمع أمر الناس على امام فقيل في ذلك

نزعنا وليّنا وبكر بن وائل * تجر خصاها تبتغي من تحالف

فلما أمر وابية على البصرة ولى شرطته هميان بن عدي السدوسي ﴿قال أبو جعفر﴾ وأما أبو عبيدة فإنه فيما حدثني محمد بن علي عن أبي سعد ان عنه قص من خبر مسعود وعبيد الله ابن زياد وأخيه غير القصة التي قصها وهب بن جرير عمن روى عنهم خبرهم قال حدثني مسلمة بن محارب بن سلم بن زياد وغيره من آل زياد عمن أدرك ذلك منهم ومن مواليهم والقوم أعلم بحديثهم ان الحارث بن قيس لم يكلم مسعودا ولكنه آمن عبيد الله فحمل معه مائة ألف درهم ثم أتى بها الى أم بسطام امرأة مسعود وهي بنت عمه ومعه عبيد الله وعبد الله ابناز ياد فاستأذن عليها فأذنت له فقال لها الحارث قد أتيتك بأمر تسود بن به نساءك وتتمين به شرف قومك وتعجلين غنى ودنيا لك خاصة هذه مائة ألف درهم فاقبضيها فهي لك وضمى عبيد الله قالت اني أخاف ألا يرضى مسعود بذلك ولا يقبله فقال الحارث البسيه ثوبا من أثوابك وأدخليه بيتك وخلي بيننا و بين مسعود فقبضت المال وفعلت فلما جاء مسعود أخبرته فأخذ برأسها فخرج عبيد الله والحارث من حجلتها عليه فقال عبيد الله قد

أجارتني ابنة عمك عليك وهذا ثوبك علي وطعامك في بطني وقد التفت على بيتك وشهد له على ذلك الحارث وتلطفا له حتى رضي قال أبو عبيدة وأعطى عبيد الله الحارث نحوا من خمسين ألفا فلم ينزل عبيد الله في بيت مسعود حتى قتل مسعود قال أبو عبيدة فحدثني يزيد ابن سمير الجرمي عن سوار بن عبد الله بن سعيد الجرمي قال فلما هرب عبيد الله غبر أهل البصرة بغير أمير فاختلفوا فيمن يؤمرون عليهم ثم تراضوا برجلين يختاران لهم خيرة فيرضون بها اذا اجتمعا عليها فتراضوا بقيس بن الهيثم السلمي وبنعمان بن سفيان الراسبي راسب بن جرثم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أن يختارا من يرضيان لهم فذكرا عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وأمه هند بنت ابي سفيان ابن حرب بن أمية وكان يلقب ببة وهو جد سليمان بن عبد الله بن الحارث وذكرا عبد الله بن الأسود الزهري فلما أطبقا عليهما اتعدا المربد وواعدا الناس ان يجتمع آراؤهم على أحد هذين قال فحضر الناس وحضرت معهم قارعة المربد أي أعلاه فجاء قيس بن الهيثم ثم جاء النعمان بعد فتجاول قيس والنعمان فأرى النعمان قيسا ان هواه في ابن الأسود ثم قال انا لا نستطيع أن نتكلم معا وأراده أن يجعل الكلام اليه ففعل قيس وقد اعتقد أحدهما على الآخر فأخذ النعمان على الناس عهد البرضون بما يختار قال ثم أتى النعمان عبد الله بن الأسود فأخذ بيده وجعل يشترط عليه شرائط حتى ظن الناس انه مبايعه ثم تركه وأخذ بيد عبد الله بن الحارث فاشترط عليه مثل ذلك ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وحق أهل بيته وقرابته ثم قال يا أيها الناس ما تنقمون من رجل من بني عم نبيكم صلى الله عليه وسلم وأمه هند بنت أبي سفيان فإن كان فيهم فهو ابن أختكم ثم صفق على يده وقال ألا اني قد رضيت لكم به فنادوا قد رضينا فأقبلوا بعبد الله بن الحارث الى دار الإمارة حتى نزلها وذلك في أول جمادى الآخرة سنة ٦٤ واستعمل على شرطته هميان بن عدي السدوسي ونادى في الناس ان احضروا البيعة فحضروا فبايعوه فقال الفرزدق حين بايعه

وبايعت أقواما وفيت بعهدهم * وببة قد بايعته غير نادم

قال أبو عبيدة فحدثني زهير بن هنيدة عن عمرو بن عيسى قال كان منزل مالك بن مسمع الجحدري في الباطنة عند باب عبد الله الاصبهاني في خط بني جحدر الذي عند مسجد الجامع فكان مالك يحضر المسجد فبينا هو قاعد فيه وذلك بعد يسير من أمر ببة وافى الحلقة رجل من ولد عبد الله بن عامر بن كريز القرشي يريد ببة ومعه رسالة من عبد الله بن خازم وبيعته بهراة فتنازعوا فأغلظ القرشي لمالك فلطم رجل من بكر بن وائل القرشي فتهايج من ثم من مضر وربيعة وكثرتهم ربيعة الذين في الحلقة فنادى رجل يا آل تميم فسمعت

الدعوة عصبة من ضبة بن أدّ كانوا عند القاضي فأحذوا رماح حرس من المسجد وترسهم ثم شدّوا على الرَّبعيين فهزموهم وبلغ ذلك شقيق بن ثور السدوسي وهو يومئذ رئيس بكر ابن وائل فأقبل الى المسجد فقال لا تجدن مضريًا إلا قتلتموه فبلغ ذلك مالك بن مسمع فأقبل متفضلاً يسكن الناس فكفّ بعضهم عن بعض فمكث الناس شهرا أو أقلّ وكان رجل من بني يشكر يجالس رجلا من بني ضبة في المسجد فتذاكرا الطمة البكري القرشي ففخر اليشكري قال ثم قال ذهبت طلقا فأحفظ الضبي بذلك فوجأ عنقه فوقذه الناس في الجمعة فحمل الى أهله ميتا أعني اليشكري فثارت بكر الى رأسهم أشيم بن شقيق فقالوا سر بنا فقال بل أبعث اليهم رسولا فإن سيبوا الناحفناوالا سرنا اليهم فأبت ذلك بكر فأتوا مالك بن مسمع وقد كان قبل ذلك ملكا عليهم قبل أشيم فغلب أشيم على الرئاسة حين شخص أشيم الى يزيد بن معاوية فكتب له الى عبيد الله بن زياد ان ردّوا الرئاسة الى أشيم فأبت اللهازم وهم بنو قيس بن ثعلبة وحلفاؤهم عنزة وشيع اللات وحلفاؤها عجل حتى توافوا هم وآل ذهل بن شيبان وحلفاؤها يشكر وذهل بن ثعلبة وحلفاؤها ضبيعة بن ربيعة بن نزار أربع قبائل وأربع قبائل وكان هذا الحلف في أهل الوبر في الجاهلية فكانت حنيفة بقيت من قبائل بكر لم تكن دخلت في الجاهلية في هذا الحلف لأنهم أهل مدر فدخلوا في الاسلام مع أخيهم عجل فصاروا الهزمة ثم تراضوا بحكم عمران بن عصام العنزي أحد بني هُمَيم وردّها الى أشيم فلما كانت هذه الفتنة استخفت بكر مالك بن مسمع فخف وجمع وأعدّ فطلب الى الازد أن يجددوا الحلف الذي كان بينهم قبل ذلك في الجماعة على يزيد بن معاوية فقال حارثة بن بدر في ذلك

نزعنا وأمرّنا وبكر بن وائل * تجر خصاها تبتغي من تحالف

ومابات بكري من الدهر ليلة * فيُصبحُ إلا وهو للذل عارفُ

قال فبلغ عبيد الله الخبر وهو في رحل مسعود من تباعد ما بين بكر وتميم فقال لمسعود الق مالكا فجدّد الحلف الأول فلقيه فتراذا ذلك وتأبّى عليهما نفر من هؤلاء وأولئك فبعث عبيد الله أخاه عبد الله مع مسعود فأعطاه جزيلا من المال حتى أنفق في ذلك أكثر من مائتي ألف درهم على ان بايعوهما وقال عبيد الله لأخيه استوثق من القوم لأهل اليمن فجددوا الحلف وكتبوا بينهم كتابا سوى الكتاب اللذين كانا كتبا بينهما في الجماعة فوضعوا كتابا عند مسعود بن عمرو قال أبو عبيدة فحدّثني بعض ولد مسعود ان أول تسمية من فيه الصلت بن حريث بن جابر الحنفي ووضعوا كتابا عند الصلت بن حريث أول تسميته ابن رجاء العوذي من عوذ بن سود وقد كان بينهم قبل هذا حلف قال أبو عبيدة وزعم محمد ابن حفص ويونس بن حبيب وهبيرة بن جدير وزهير بن هنيدان مضر كانت تكثر ربيعة

بالبصرة وكانت جماعة الأزد آخر من نزل بالبصرة كانوا حيث مُصرت البصرة فحوّل عمر بن الخطاب رحمه الله من تنوخ من المسلمين الى البصرة وأقامت جماعة الأزد لم يحوّلوا ثم لحقوا بالبصرة بعد ذلك في آخر خلافة معاوية وأول خلافة يزيد بن معاوية فلما قدموا قالت بنو تميم للاحنف بادر الى هؤلاء قبل ان تسبقنا اليهم ربيعة وقال الأحنف ان أتوكم فاقبلوهم والا تأتوهم فانكم ان أتيتموهم صرتم لهم أتباعا فأتاهم مالك بن مسمع ورئيس الأزد يومئذ مسعود بن عمرو المعنى فقال مالك جدّدوا حلفنا وحلف كندة في الجاهلية وحلف بني ذهلي بن ثعلبة في طيء بن أدد من ثعل فقال الأحنف اما اذ أتوهم فلن يزالوا لهم اتباعا اذنابا قال أبو عبيدة فحدّثني هبيرة بن جُدير عن اسحاق بن سويد قال فلما ان جرت بكر الى نصر الأزد على مضر وجدّدوا الحلف الاول وأرادوا أن يسيروا قالت الأزد لا نسير معكم الا أن يكون الرئيس منا فرأسوا مسعودا عليهم قال أبو عبيدة فحدّثني مسلمة بن محارب قال قال مسعود لعبيد الله سر معنا حتى نعيدك في الدار فقال ما أقدر على ذلك امض أنت وأمر برواحله فشدّوا عليها أدواتها وسوادها وترحل في أهبة السفر وألقوا له كرسيا على باب مسعود فقعد عليه وسار مسعود وبعث عبيد الله غلمانا له على الخيل مع مسعود وقال لهم اني لا أدري ما يحدث فأقول اذا كان كذا فليأتني بعضكم بالخبر ولكن لا يحدث خير ولا شر الا أتاني بعضكم به فجعل مسعود لا يأتي على سكة ولا يتجاوز قبيلة الا أتى بعض أولئك الغلمان بخبر ذلك وقدم مسعود ربيعة وعليهم مالك بن مسمع فأخذوا جميعا سكة المربد فجاء مسعود حتى دخل المسجد فصعد المنبر وعبد الله بن الحارث في دار الامارة فقيل له إن مسعودا وأهل اليمن وربيعة قد ساروا وسيهيج بين الناس شر فلو أصلحت بينهم أو ركبت في بني تميم عليهم وقال أبعدهم الله لا والله لا أفسدت نفسي في اصلاحهم وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول

لأنكحنّ بَبَّهْ * جارية في قبّهْ * تمشط رأس لعبهْ

فهذا قول الأزد وربيعة فأما مضر فيقولون ان أمه هند بنت أبي سفيان كانت ترقصه وتقول هذا فلما لم يخل أحد بين مسعود وبين صعود المنبر خرج مالك بن مسمع في كتيبته حتى علا الجبّان من سكة المربد ثم جعل يمر بعدد دور بني تميم حتى دخل سكة بني العدوية من قبل الجبان فجعل يحرق دورهم للشحناء التي في صدورهم لقتل الضبّي اليشكري ولاستعراض ابن خازم ربيعة بهراة قال فبينا هو في ذلك اذ أتوه فقالوا قتلوا مسعودا وقالوا سارت بنو تميم الى مسعود فأقبل حتى اذا كان عند مسجد بني قيس في سكة المربد وبلغه قتل مسعود وقف قال أبو عبيدة فحدثني زهير بن هنيدة قال حدثنا الضحاك أو الوضاح بن خيثمة أحد بني عبد الله بن دارم قال حدثني مالك بن دينار قال ذهبت في الشباب الذين ذهبوا

الى

الى الاحنف ينظرون قال فأتيته وأتته بنو تميم فقالوا ان مسعودا قد دخل الدار وأنت سيدنا فقال لستُ بسيدكم انما سيدكم الشيطان وأما هبيرة بن جدير فحدثني عن اسحاق بن سويد العدوى قال أوتيت منزل الاحنف فى النظارة فأتوا الاحنف فقالوا ايا ابا بحران ربيعة والازد قد دخلوا الرحبة فقال لستم بأحق بالمسجد منهم ثم أتوه فقالوا قد دخلوا الدار فقال لستم بأحق بالدار منهم فتسرع سلمة بن ذؤيب الرياحىّ فقال انى يامعشر الفتيان فانما هذا جيش لاخير لكم عنده فبدرت ذؤبان بنى تميم فانتدب معه خمسمائة وهم معماه أفريذون فقال لهم سلمة أين تريدون قالوا ايا لم أردنا قال فتقدموا قال أبو عبيدة فحدثنى زهير بن هنيدة عن أبى نعامة عن ناشب بن الحسحاس وحميد بن هلال قالا أتينا منزل الاحنف بحضرة المسجد قالا فكنا فيمن ينظر فأتته امرأة بمجمر فقالت مالك والرئاسة تجمّر فانما أنت امرأة فقال است المرأة أحق بالمجمر فأتوه فقالوا ان عليه بنت ناجية الرياحىّ وهى أخت مطر وقال آخرون عزّة بنت الحرّ الرياحية قد سلبت خلاخيلها من ساقيها وكان منزلها شارعا فى رحبة بنى تميم على الميضاة وقالوا قتلوا الصباغ الذى على طريقك وقتلوا المقعد الذى كان على باب المسجد وقالوا ان مالك بن مسمع قد دخل سكة بنى العدوية من قبل الجبان فحرّق دورا فقال الأحنف أقيموا البينة على هذا فى دون هذا ما يحلّ قتالهم فشهدوا عنده على ذلك فقال الاحنف أجاء عبّاد وهو عباد بن حصين بن يزيد بن عمرو بن أوس بن سيف بن عزم بن حلزّة بن بيان بن سعد بن الحارث الحبطة بن عمرو بن تميم قالوا لا ثم مكث غير طويل فقال أجاء عباد قالوا لا قال فهل ههنا عبّاس بن طلق بن ربيعة بن عامر بن بسطام بن الحكم بن ظالم ابن صريم بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد فقالوا نعم فدعاه فانتزع معجرا فى رأسه ثم جثا على ركبتيه فعقده فى رُمح ثم دفعه اليه فقال سر قالا فلما ولى قال اللهم لا تخزها اليوم فانك لم تخزها فيما مضى وصاح الناس هاجت زبرا وزبرا أمة الاحنف وانما كنوا بها عنه قالا فلما سار عبس جاء عباد فى ستين فارسا فسأل ما صنع الناس فقالوا سار وا قال ومن عليهم قالوا عباس بن طلق الصّريمىّ فقال عباد أنا أسير تحت لواء عبس فرجع والفرسان الى أهله فحدثنى زهير قال حدثنا أبو ريحانة العرينىّ قال كنتُ يوم قتل مسعود تحت بطن فرس الزرد بن عبد الله السعدى أعدو حتى بلغنا شريعة القديم قال اسحاق بن سويد فاقبلوا فلما بلغوا أفواه السكك وقفوا فقال لهم ماه أفريذون بالفارسية مالكم يامعشر الفتيان قالوا تلقونا بأسنة الرماح فقال لهم بالفارسية صكوهم بالفنجقان أى بخمس نُشابات فى رمية بالفارسية والأساورة أربعمائة فصكوهم بألفى نشابة فى دفعة فأجلوا عن أبواب السكك وقاموا على باب المسجد ودلفت التميمية اليهم فلما بلغوا الأبواب وقفوا فسألهم ماه أفريذون مالكم قالوا اسندوا الينا أطراف رماحهم قال أرموهم أيضا فرموهم بالفى نشابة فأجلوهم عن الابواب

فدخلوا المسجد فأقبلوا ومسعود يخطب على المنبر ويحضض فجعل غطفان بن أنيف بن يزيد بن فهدة أحد بني كعب بن عمرو بن تميم وكان يزيد بن فهدة فارسا في الجاهلية يقاتل ويحض قومه ويرتجز

يال تميم انها مذكورة * إن فات مسعودٌ بها مشهورة
فاستمسكوا بجانب المقصورة

أي لا يهرب فيفوت قال اسحاق بن يزيد فأتوا مسعودا وهو على المنبر يحض فاستنزلوه فقتلوه وذلك في أول شوال سنة ٦٤ فلم يكن القوم شيأ فانهزموا وبادر أشيم بن شقيق القوم باب المقصورة هاربا فطعنه أحدهم فتجابها ففي ذلك يقول الفرزدق

لو أنّ أشيم لم يسبق أسنّتنا * وأخطأ الباب إذ نيرانُنا تقدُ
إذ الصاحب مسعودا وصاحبه * وقد تهافتت الأعفاج والكبدُ

قال أبو عبيدة فحدثني سلام بن أبي خيرة وسمعته أيضا من أبي الخنساء كُسيب العنبري يحدث في حلقة يونس قالا سمعنا الحسن بن أبي الحسن يقول في مجلسه في مسجد الأمير فأقبل مسعود من ههنا وأشار بيده الى منازل الازد في أمثال الطير معلما بقباء ديباج أصفر مغيّر بسواد يأمر الناس بالسنة وينهى عن الفتنة ألا إنّ من السنّة ان تأخذ فوق يديك وهم يقولون القمر القمر فوالله ما لبثوا الا ساعة حتى صار قمرهم قُمَيرا فأتوه فاستنزلوه عن المنبر وهو عليه قد علم الله فقتلوه (قال سلام في حديثه) قال الحسن وجاء الناس من ههنا وأشار بيده الى دور بني تميم قال أبو عبيدة فحدثني سلمة بن محارب قال فأتوا عبيد الله فقالوا قد صعد مسعود المنبر ولم يُرِم دون الدار بكتاب فبيناهم في ذلك يتهيأ ليجيء الى الدار اذ جاؤا فقالوا قد قتل مسعود فاغتر زفي ركابه فلحق بالشأم وذلك في شوال سنة ٦٤ قال أبو عبيدة فحدثني رواد الكعبيّ قال فأتى مالك بن مسمع اناسٌ من مضر فحصروه في داره وحرّقوا ففي ذلك يقول غطفان بن أنيف الكعبي في أرجوزة

وأصبح ابنُ مسمع محصورا * يبغي قصورا دونه ودورا
حتى شببنا حوله السعيرا

ولما هرب عبيد الله بن زياد اتبعوه فأعجز الطلبة فانتهبوا ما وجدوا له ففي ذلك يقول وافد بن خليفة بن أسماء أحد بني صخر بن منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد

يارُبَّ جبّارٍ شديد كلبُهْ * قد صار فينا تاجُهُ وسَلَبُهْ
منهم عُبيدُ الله حين نسلبُهْ * جيادَهُ وبزّهُ ونَهْبُهْ
يوم التقى مقنبُنا ومقنبُهْ * لولم ينج ابن زياد هربُهْ

وقال جرهم بن عبد الله بن قيس أحد بني العدوية في قتل مسعود في كلمة طويلة

ومسعود بن عمرو إذ أتانا * صبحناحدّ مطرور سنينا

رجا النأمير مسعود فأضحى * صريعا قد أزرّ ناه المنونا

﴿قال أبو جعفر﴾ محمد بن جرير وأما عمر فانه حدثني في أمر خروج عبيد الله الى الشأم قال حدثنا زهير قال حدثنا وهب بن جرير بن حازم قال حدثنا الزبير بن الخريت قال بعث مسعود مع ابن زياد مائة من الأزد عليهم قرة بن عمرو بن قيس حتى قدموا به الشأم

وحدثني عمر قال حدثنا أبو عاصم النبيل عن عمرو بن الزبير وخلاد بن يزيد الباهلي والوليد بن هشام عن عمه عن أبيه عن عمرو بن هبيرة عن يساف بن شريح اليشكري قال وحدثنيه علي بن محمد قال قد اختلفوا فزاد بعضهم على بعض ان ابن زياد خرج من البصرة فقال ذات ليلة انه قد ثقل علي ركوب الابل فوطئوا لي على ذي حافر قال فألقيت له قطيفة على حمار فركبه وان رجليه لتكادان تخدّان في الارض قال اليشكري فإنه ليسير أمامي اذ سكت سكتة فأطالها فقلت في نفسي هذا عبيد الله أمير العراق أمس نائم الساعة على حمار لو قد سقط منه أعنته ثم قلت والله لئن كان نائما لأنغصن عليه نومه فدنوت منه فقلت أنائم أنت قال لا قلت فما أسكتك قال كنت أحدث نفسي قلت أفلا أحدثك ما كنت تحدث به نفسك قال هات فوالله ما أراك تكيس ولا تصيب قال قلت كنت تقول ليتني لم أقتل الحسين قال وماذا قلت تقول ليتني لم أكن قتلت من قتلت قال وماذا قلت كنت تقول ليتني لم أكن بنيت البيضاء قال وماذا قلت تقول ليتني لم أكن استعملت الدهاقين قال وماذا قلت وتقول ليتني كنت أسفى مما كنت قال فقال والله ما نطقت بصواب ولا سكت عن خطإ أما الحسين فانه سار الى يريد قتلي فاخترت قتله على ان يقتلني وأما البيضاء فاني اشتريتها من عبد الله بن عثمان الثقفي وأرسل يزيد بألف ألف فأنفقتها عليها فإن بقيت فلأهلي وان هلكت لم آس عليها مما لم أعنف فيه وأما استعمال الدهاقين فان عبد الرحمن بن أبي بكرة وزاذان فروخ وقعا في عند معاوية حتى ذكرا قشور الأرز فبلغا بخراج العراق مائة ألف ألف فخيرني معاوية بين الضمان والعزل فكرهت العزل فكنت اذا استعملت الرجل من العرب فكسر الخراج فتقدمت اليه أو أغرمت صدور قومه أو أغرمت عشيرته أضررت بهم وان تركته تركت مال الله وأنا أعرف مكانه فوجدت الدهاقين أبصر بالجباية وأوفى بالامانة وأهون في المطالبة منكم مع اني قد جعلتكم أمناء عليهم لئلا يظلموا أحدا وأما قولك في السخاء فوالله ما كان لي مال فأجود به عليكم ولو شئت لأخذت بعض مالكم فخصصت به بعضكم دون بعض فيقولون ما أسخاه ولكني عممتكم وكان عندي أنفع لكم وأما قولك ليتني لم أكن قتلت من قتلت فما عملت بعد كلمة الإخلاص عملا هو أقرب الى الله عندي من قتلي من قتلت من الخوارج ولكني سأخبرك بما حدثت به نفسي قلت ليتني كنت قاتلت أهل

البصرة فانهم بايعونى طائعين غير مكرهين وايم الله لقد حرصتُ على ذلك ولكن بنى زياد أتونى فقالوا انك اذ قاتلتهم فظهر واعليك لم يبقوا منا أحدا وإن تركتهم يغيب الرجل منا عند احواله وأصهاره فرفقت لهم فلم أقاتل وكنت أقول ليتنى كنت أخرجت أهل السجن فضربت أعناقهم فاما اذ فاتت هاتان فليتنى كنت أقدم الشأم ولم يبرموا أمرا قال بعضهم فقدم الشأم ولم يبرموا أمرا فكانما كانوا معه صبيانا وقال بعضهم قدم الشأم وقد أبرموا فنقض ما أبرموا الى رأيه ﴿وفي هذه السنة﴾ طرد أهل الكوفة عمرو بن حريث وعزلوه عنهم واجتمعوا على عامر بن مسعود

﴿ذكر الخبر عن عزلهم عمرو بن حُريث وتأميرهم عامرا﴾

﴿قال أبو جعفر﴾ ذكر الهيثم بن عدى قال حدثنا ابن عياش قال كان أول من جمع له المصران الكوفة والبصرة زيادا وابنه فقتلا من الخوارج ثلاثة عشر ألفا وحبس عبيد الله منهم أربعة آلاف فلما هلك يزيد قام خطيبا فقال ان الذى كنا نقاتل عن طاعته قد مات فان أمرتمونى جبَيْتُ فيئكم وقاتلت عدوكم وبعث بذلك الى أهل الكوفة مقاتل بن مسمع وسعيد بن قرحا أحد بنى مازن وخليفته على الكوفة عمرو بن حريث فقاما بذلك فقام يزيد ابن الحارث بن رُويم الشيبانى فقال الحمد لله الذى أراحنا من ابن سُمَيَّة لا ولا كرامة فأمر به عمر فلبّب ومضى به الى السجن فحالت بكر بينهم وبينه فانطلق يزيد الى أهله خائفا فأرسل اليه محمد بن الأشعث انك على رأيك وتتابعت عليه الرُّسل بذلك وصعد عمرو المنبر فحصبوه فدخل داره واجتمع الناس فى المسجد فقالوا نؤمر رجلا الى أن يجتمع الناس على خليفة فاجمعوا على عمرو بن سعيد فجاءت نساء همدان يبكين حسينا ورجالهم متقلدو السيوف فأطافوا المنبر فقال محمد بن الاشعث جاء أمرٌ غير ما كنا فيه وكانت كندة تقوم بأمر عمرو ابن سعيد لانهم أخواله فاجتمعوا على عامر بن مسعود وكتبوا بذلك الى ابن الزبير فأقرّه وأما عوانة بن الحكم فانه قال فيما ذكر هشام بن محمد عنه لما بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد بعث وافدين من قبله الى الكوفة عمرو بن مسمع وسعد بن القرحا التميمى ليعلم أهل الكوفة ما صنع أهل البصرة ويسألانهم البيعة لعبيد الله بن زياد حتى يصطلح الناس فجمع الناس عمرو بن حريث فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان هذين الرجلين قد أتيا كم من قبل أميركم يدعوانكم الى أمر يجمع الله به كلمتكم ويصلح به ذات بينكم فاسمعوا منهما واقبلوا عنهما فانهما بر شد ما أتيا كم فقام عمرو بن مسمع فحمد الله وأثنى عليه وذكر أهل البصرة واجتماع رأيهم على تأمير عبيد الله بن زياد حتى يرى الناس رأيهم فيمن يولون عليهم وقد جئنا كم لنجمع أمرنا وأمركم فيكون أميرنا وأميركم واحدا فانما الكوفة من البصرة والبصرة من الكوفة وقام ابن القرحا فتكلم نحوا من كلام صاحبه قال فقام يزيد

ابن الحارث بن يزيد الشيبانى وهو ابن رويم فحصبهما أول الناس ثم حصبهما الناس بعد ثم قال أنحن نبايع لابن مرجانة لا ولا كرامة فشرفت تلك الفعلة يزيد فى المضر ورفعته ورجع الوفد الى البصرة فأعلم الناس الخبر فقالوا أهل الكوفة يخلعونه وأنتم تولونه وتبايعونه فوثب به الناس وقال ما كان فى ابن زياد وصمة الا استجارته بالأزد قال فلما نابذه الناس استجار بمسعود بن عمرو الأزدى فأجاره ومنعه فمكث تسعين يوما بعد موت يزيد ثم خرج الى الشأم وبعثت الأزد وبكر بن وائل رجالا منهم معه حتى أوردوه الشأم فاستخلف حين توجه الى الشأم مسعود بن عمرو على البصرة فقالت بنو تميم وقيس لا نرضى ولا نجيز ولا نولى إلا رجلا ترضاه جماعتنا فقال مسعود فقد استخلفنى فلا أدع ذلك أبدا فخرج فى قومه حتى انتهى الى القصر فدخله واجتمعت تميم الى الأحنف بن قيس فقالوا له ان الأزد قد دخلوا المسجد قال ودخل المسجد فمه انما هو لكم ولهم وأنتم تدخلونه فالوا فانه قد دخل القصر فصعد المنبر وكانت خوارج قد خرجوا فنزلوا بنهر الأساورة حين خرج عبيد الله بن زياد الى الشأم فزعم الناس ان الأحنف بعث اليهم ان هذا الرجل الذى قد دخل القصر لنا ولكم عدو فما يمنعكم من ان تبدؤا به فجاءت عصابة منهم حتى دخلوا المسجد ومسعود بن عمرو على المنبر يبايع من أتاه فيرميه علج يقال له مسلم من أهل فارس دخل البصرة فأسلم ثم دخل فى الخوارج فاصاب قلبه فقتله وخرج وجال الناس بعضهم فى بعض فقالوا قتل مسعود ابن عمرو وقتلته الخوارج فخرجت الأزد الى تلك الخوارج فقتلوا منهم وجرحوا وطردوهم عن البصرة ودفنوا مسعودا فجاءهم الناس فقالوا لهم تعلمون ان بنى تميم يزعمون انهم قتلوا مسعود بن عمرو فبعثت الأزد تسأل عن ذلك فاذا أناس منهم يقولونه فاجتمعت الأزد عند ذلك فرأسوا عليهم زياد بن عمرو العتكى ثم ازدلفوا الى بنى تميم وخرجت مع بنى تميم قيس وخرج مع الأزد مالك بن مسمع وبكر بن وائل فاقبلوا نحو بنى تميم وأقبلت تميم الى الأحنف يقولون قد جاء القوم اخرج وهو متمكث اذ جاءته امرأة من قومه بمجمر فقالت يا أحنف اجلس على هذا أى انما أنت امرأة فقال استك أحق بها فما سمع منه بعد كلمة كانت ارفث منها وكان يعرف بالحلم ثم انه دعا برايته فقال اللهم انصرها ولا تذللها وإن نصرتها ألا يظهر بها ولا يظهر عليها اللهم أحقن دماءنا وأصلح ذات بيننا ثم سار وسار ابن أخيه اياس بن معاوية بين يديه فالتقى القوم فاقتتلوا أشد القتال فقتل من الفريقين قتلى كثيرة فقالت لهم بنو تميم الله الله يا معشر الأزد فى دمائنا ودمائكم بيننا وبينكم القرآن ومن شئتم من أهل الاسلام فإن كانت لكم علينا بينة أتاقتلناصاحبكم فاختاروا أفضل رجل فينا فاقتلوه بصاحبكم وان لم تكن لكم بينة فإنا نحلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا ولا نعلم لصاحبكم قاتلا وان لم تريدوا ذلك فهن ندى صاحبكم بمائة ألف درهم فاصطلحوا فاتاهم الأحنف بن

قيس فى وجوه مضر الى زياد بن عمرو العتكى فقال يا معشر الأزد أنتم جيراننا فى الدار واخوتنا عند القتال وقد آتينا كم فى رحالكم لإطفاء حشيشتكم وسل سخيمتكم ولكم الحكم مرسلا فقولوا على أحلامنا وأموالنا فانه لا يتعاظمنا ذهاب شىء من أموالنا كان فيه صلاح بيننا فقالوا أتدون صاحبنا عشر ديات قال هى لكم فانصرف الناس واصطلحوا فقال الهيثم بن الاسود

أعلى بمسعود النامى فقلت له * نعم اليمانى تجرّ أعلى النامى
أوفى ثمانين ما بسطيعه أحد * فتى دعاه لرأس العدة الدامى
أدّى ابن حرب وقد سدّت مذاهبه * فأوسع الشرب منه أى ايساع
حتى توارث به أرض وعامرها * وكان ذا ناصر فيها وأشياع

وقال عبد الله بن الحر

ما زلت أرجو الأزد حتى رأيتها * تقصر عن بنيانها المتطاول
أيقتل مسعود ولم يثأروا به * وصارت سيوف الأزد مثل المناجل
وما خير عقل أورث الأزد ذلة * تسبّ به أحياؤهم فى المحافل
على أنهم شمط كأنّ لحاهم * ثعالب فى أعناقها كالجلاجل

واجتمع أهل البصرة على أن يجعلوا عليهم منهم أميرا يصلى بهم حتى يجتمع الناس على امام فجعلوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر شهرا ثم جعلوا بيّة وهو عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب فصلى بهم شهرين ثم قدم عليهم عمر بن عبد الله بن معمر من قبل ابن الزبير فمكث شهرا ثم قدم الحارث بن عبد الله بن ربيعة المخزومى بعزله فوليها الحارث وهو القباع ﴿قال أبو جعفر﴾ وأما عمر بن شبّة فانه حدّثنى فى أمر عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كريز وأمر بيّة ومسعود وقتله وأمر عمر بن عبد الله غير ما قال هشام عن عوانة والذى حدّثنى عمر بن شبّة فى ذلك انه قال حدّثنى على بن محمد عن أبى مقرّن عبيد الله الدهنى قال لما بايع الناس بيّة ولى بيّة شرطته همّيان بن عدى وقدم على بيّة بعض أهل المدينة وأمر همّيان بن عدى بإنزاله قريبا منه فأتى همّيان دارا للفيل مولى زياد التى فى بنى سليم وهم بتفريغها لينزلها اياه وقد كان هرب وأقفل أبوابه فمنعت بنو سليم همّيان حتى قاتلوه واستصرخوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كريز فأرسل بخاريته ومواليه فى السلاح حتى طردوا همّيان ومنعوه الدار وغدا عبد الملك من الغد الى دار الامارة ليسلم على بيّة فلقيه على الباب رجل من بنى قيس بن ثعلبة فقال أنت المعين علينا بالأمس فرفع يده فلطمه فضرب قوم من البخارية يد القيسى فأطارها ويقال بل سلم القيسى وغضب ابن عامر فرجع وغضبت له مضر فاجتمعت وأتت بكر بن وائل أشيم بن شقيق بن ثور فاستصرخوه

فأقبل ومعه مالك بن مسمع حتى صعد المنبر فقال أى مضرى وجدتموه فاسلبوه وزعم بنو مسمع ان مالكا جاء يومئذ متفضلا فى غير سلاح ليرد أشيم عن رأيه ثم انصرفت بكر وقد تحاجز واهم والمضرية واغتنمت الأزد ذلك فحالفوا بكرا وأقبلوا مع مسعود الى المسجد الجامع وفزعت تميم الى الأحنف فعقد عمامته على قناة ودفعها الى سلمة بن ذؤيب الرياحى فأقبل بين يديه الأساورة حتى دخل المسجد ومسعود يخطب فاستنزلوه فقتلوه وزعمت الأزد أن الأزارقة قتلوه فكانت الفتنة وسفر بينهم عمر بن عبيد الله بن معمر وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام حتى رضيت الأزد من مسعود بعشر ديات ولزم عبد الله بن الحارث بيته وكان يتدين وقال ما كنت لأصلح الناس بفساد نفسى قال عمر قال أبو الحسن فكتب أهل البصرة الى ابن الزبير فكتب الى أنس بن مالك يأمره بالصلاة بالناس فصلى بهم أربعين يوما ﴿ حدثنى ﴾ عمر قال حدثنا على بن محمد قال كتب ابن الزبير الى عمر بن عبيد الله ابن معمر التيمى بعهده على البصرة ووجه به اليه فوافقه وهو متوجه يريد العمرة فكتب الى عبيد الله يأمره أن يصلى بالناس فصلى بهم حتى قدم عمر ﴿ حدثنى ﴾ عمر قال حدثنى زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنى أبى قال سمعت محمد بن الزبير قال كان الناس اصطلحوا على عبد الله بن الحارث الهاشمى فولى أمرهم أربعة أشهر وخرج نافع بن الأزرق الى الأهواز فقال الناس لعبد الله ان الناس قد أكل بعضهم بعضا تؤخذ المرأة من الطريق فلا يمنعها أحد حتى تفضح قال فتريدون ماذا قالوا تضع سيفك وتشد على الناس قال ما كنت لأصلحهم بفساد نفسى ياغلام ناولنى نعلى فانتعل ثم لحق بأهله وأمر الناس عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى قال أبى عن الصعب بن زيدان الجارف وقع وعبد الله على البصرة فمات أمه فى الجارف فاوجد والها من يحملها حتى استأجر والها أربعة اعلاج فحملوها الى حفرتها وهو الأمير يومئذ ﴿ حدثنى ﴾ عمر قال حدثنى على بن محمد قال كان ببنة قد تناول فى عمله على البصرة أربعين ألفا من بيت المال فاستودعها رجلا فلما قدم عمر بن عبيد الله أميرا أخذ عبد الله بن الحارث فحبسه وعذب مولى له فى ذلك المال حتى أغرمه اياه ﴿ حدثنى ﴾ عمر قال حدثنى على بن محمد عن القافلانى عن يزيد بن عبد الله بن الشخير قال قلت لعبد الله بن الحارث بن نوفل رأيتك زمان استعملت علينا اصبت من المال واتقيت الدم فقال ان تبعة المال أهون من تبعة الدم

﴿ وفى هذه السنة ﴾ ولى أهل الكوفة عامر بن مسعود أمرهم فذكر هشام بن محمد الكلبى عن عوانة بن الحكم انهم لما ردوا وافدى أهل البصرة اجتمع أشراف أهل الكوفة فاصطلحوا على ان يصلى بهم عامر بن مسعود وهو عامر بن مسعود بن خلف القرشى وهو ذو الرقيبة الجعل الذى يقول فيه عبد الله بن همام السلولى

أشد ديدنك بزيدا إن ظفرت به * واشف الأراملَ من دحروجة الجعل

وكان قصيرا حتى يرى الناس رأيهم فمكث ثلاثة أشهر من مهلك يزيد بن معاوية ثم قدم عليهم عبد الله بن يزيد الأنصاري ثم الخطمي على الصلاة وابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله على الخراج فاجتمع لابن الزبير أهل الكوفة وأهل البصرة ومن بالقبلة من العرب وأهل الشام وأهل الجزيرة إلا أهل الأردن ﴿وفي هذه السنة﴾ بويع لمروان بن الحكم بالخلافة بالشام

﴿ذكر السبب في البيعة له﴾

حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال حدثنا محمد بن عمر قال لما بويع عبد الله ابن الزبير ولي المدينة عبيدة بن الزبير وعبد الرحمن بن جحدم الفهري مصر وأخرج بني أمية ومروان بن الحكم الى الشام وعبد الملك يومئذ ابن ثمان وعشرين فلما قدم حصين ابن نمير ومن معه الى الشام أخبر مروان بما خلف عليه ابن الزبير وأنه دعاه الى البيعة فأبى فقال له ولبني أمية نحن نراكم في اختلاط شديد فأقيموا أمركم قبل أن يدخل عليكم شأمكم فتكون فتنة عمياء صماء فكان من رأي مروان ان يرحل فينطلق الى ابن الزبير فيبايعه فقدم عبيد الله بن زياد واجتمعت عنده بنو أمية وكان قد بلغ عبيد الله ما يريد مروان فقال له استحييت لك مما تريد أنت كبير قريش وسيدها تصنع ما تصنعه فقال ما فات شيء بعد فقام معه بنو أمية ومواليهم وتجمع اليه أهل اليمن فسار وهو يقول ما فات شيء بعد فقدم دمشق ومن معه والضحاك بن قيس الفهري قد بايعه أهل دمشق على أن يصلي بهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع أمر أمة محمد (وأما عوانة) فإنه قال فيما ذكر هشام عنه أن يزيد بن معاوية لما مات وابنه معاوية من بعده وكان معاوية بن يزيد بن معاوية فيما بلغني أمر بعد ولايته فنودي بالشام الصلاة جامعة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإني قد نظرت في أمركم فضعفت عنه فابتغيت لكم رجلا مثل عمر بن الخطاب رحمة الله عليه حين فزع اليه أبو بكر فلم أجده فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر فلم أجدها فأنتم أولى بأمركم فاختاروا له من أحببتم ثم دخل منزله ولم يخرج الى الناس وتغيب حتى مات فقال بعض الناس دس اليه فسقى سما وقال بعضهم طعن ﴿رجع الحديث الى حديث عوانة﴾ ثم قدم عبيد الله بن زياد دمشق وعليها الضحاك بن قيس الفهري فثار زفر بن عبد الله الكلابي بقنسرين يبايع لعبد الله بن الزبير وبايع النعمان بن بشير الأنصاري بحمص لابن الزبير وكان حسان بن مالك بن بحدل الكلبي بفلسطين عاملا لمعاوية بن أبي سفيان ثم ليزيد بن معاوية بعده وكان يهوى هوى بني أمية وكان سيد أهل فلسطين فدعا حسان بن مالك بن بحدل الكلبي روح بن زنباع الجذامي فقال اني مستخلفك على فلسطين وأدخل

هذا

هذا الحي من لخم وجذام ولست بدون رجل اذ كنت عينهم فاتلت بمن معك من قومك وخرج حسان بن مالك الى الأردن واستخلف روح بن زنباع على فلسطين فثار نائل بن قيس بروح بن زنباع فأخرجه فاستولى على فلسطين وبايع لابن الزبير وقد كان عبد الله ابن الزبير كتب الى عامله بالمدينة ان ينفى بني أمية من المدينة فنفوا بعيالاتهم ونسائهم الى الشام فقدمت بنو أمية دمشق وفيها مروان بن الحكم فكان الناس فريقين حسان بن مالك بالأردن يهوى هوى بني أمية ويدعو اليهم والضحاك بن قيس الفهري بدمشق يهوى هوى عبد الله بن الزبير ويدعو اليه قال فقام حسان بن مالك بالأردن فقال يا أهل الأردن ما شهادتكم على ابن الزبير وعلى قتلى أهل الحرة قالوا نشهد ان ابن الزبير منافق وان قتلى أهل الحرة في النار قال فما شهادتكم على يزيد بن معاوية وقتلاكم بالحرة قالوا نشهد ان يزيد على الحق وان قتلانا في الجنة قال وأنا أشهد لئن كان دين يزيد بن معاوية وهو حي حقا يومئذ انه اليوم وشيعته على حق وإن كان ابن الزبير يومئذ وشيعته على باطل انه اليوم على باطل وشيعته قالوا له قد صدقت نحن نبايعك على ان نقاتل من خالفك من الناس وأطاع ابن الزبير على ان تجنبنا هذين الغلامين فإنا نكره ذلك يعنون ابني يزيد بن معاوية عبد الله وخالدا فانهما حديثة اسنانهما ونحن نكره ان يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبي وقد كان الضحاك بن قيس بدمشق يهوى هوى ابن الزبير وكان يمنعه من اظهار ذلك ان بني أمية كانوا بحضرته وكان يعمل في ذلك سرا فبلغ ذلك حسان بن مالك بن بحدل فكتب الى الضحاك كتابا يعظم فيه حق بني أمية ويذكر الطاعة والجماعة وحسن بلاء بني أمية عنده وصنيعهم اليه ويدعوه الى طاعتهم ويذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشتمه ويذكر انه منافق قد خلع خليفتين وأمره أن يقرأ كتابه على الناس ودعا رجلا من كلب يدعى ناغضة فسرح بالكتاب معه الى الضحاك بن قيس وكتب حسان بن مالك نسخة ذلك الكتاب ودفعه الى ناغضة وقال ان قرأ الضحاك كتابي على الناس والا فقم فاقرأ هذا الكتاب على الناس وكتب حسان الى بني أمية يأمرهم ان يحضروا ذلك فقدم ناغضة بالكتاب على الضحاك فدفعه اليه ودفع كتاب بني أمية اليهم فلما كان يوم الجمعة صعد الضحاك المنبر فقام اليه ناغضة فقال أصلح الله الأمير ادع بكتاب حسان فاقرأه على الناس فقال له الضحاك اجلس فجلس ثم قام اليه الثانية فقال له اجلس ثم قام اليه الثالثة فقال له اجلس فلما رآه ناغضة لا يفعل اخرج الكتاب الذي معه فقرأه على الناس فقام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فصدق حسانا وكذب ابن الزبير وشتمه وقام يزيد بن أبي النمس الغساني فصدق مقالة حسان وكتابه وشتم ابن الزبير وقام سفيان بن الأبرد الكلبي فصدق مقالة حسان وكتابه وشتم ابن الزبير وقام عمرو بن يزيد الحكمي فشتم حسانا وأثنى على ابن الزبير واضطرب الناس تبعا لهم ثم أمر

الضحاك بالوليد بن عتبة ويزيد بن أبي النمس وسفيان بن الأبرد الذين كانوا صدّقوا مقالة حسان وشتموا ابن الزبير فحبسوا وجال الناس بعضهم في بعض ووثبت كلب على عمرو بن يزيد الحكمي فضربوه وحرّقوه بالنار وخرّقوا ثيابه وقام خالد بن يزيد بن معاوية فصعد مرقاتين من المنبر وهو يومئذ غلام والضحاك بن قيس على المنبر فتكلم خالد بن يزيد بكلام أو جزفيه لم يُسمع مثله وسكن الناس ونزل الضحاك فصلى بالناس الجمعة ثم دخل فجاءت كلب فاخرجوا سفيان بن الأبرد وجاءت غسان فأخرجوا يزيد بن أبي النمس فقال الوليد بن عتبة لو كنتُ من كلب أو غسان أخرجتُ قال فجاء ابنا يزيد بن معاوية خالد وعبد الله معهما اخوالهما من كلب فأخرجوه من السجن فكان ذلك اليوم يسمّيه أهل الشأم يوم جيرون الأول وأقام الناس بدمشق وخرج الضحاك الى مسجد دمشق فجلس فيه فذكر يزيد بن معاوية فوقع فيه فقام اليه شابٌ من كلب بعصا معه فضربه بها والناس جلوسٌ في الحلق متقلدي السيوف فقام بعضهم الى بعض في المسجد فاقتتلوا قيس تدعو الى ابن الزبير ونصرة الضحاك وكلب تدعو الى بني أمية ثم الى خالد بن يزيد ويتعصبون ليزيد ودخل الضحاك دار الإمارة وأصبح الناس فلم يخرج الى صلاة الفجر وكان من الأجناد ناسٌ يهوون هوى بني أمية وناس يهوون هوى ابن الزبير فبعث الضحاك الى بني أمية فدخلوا عليه من الغد فاعتذر اليهم وذكر حسن بلائهم عنده ومواليه وعنده وأنه ليس يريد شيأ يكرهونه قال فتكتبون الى حسان ونكتب فيسير من الأردن حتى ينزل الجابية ونسير نحن وأنتم حتى نوافيه بها فنبايع لرجل منكم فرضيت بذلك بنو أمية وكتبوا الى حسان وكتب اليه الضحاك وخرج الناس وخرجت بنو أمية واستقبلت الرايات وتوجهوا يريدون الجابية فجاء نور بن معن بن يزيد بن الأخنس السُلمي الى الضحاك فقال دعوتنا الى طاعة ابن الزبير فبايعناك على ذلك وأنت تسير الى هذا الأعرابي من كلب تستخلف ابن أخيه خالد ابن يزيد فقال له الضحاك فما الرأي قال الرأي أن نُظهر ما كنا نُسرّ وندعو الى طاعة ابن الزبير ونقاتل عليها فمال الضحاك بمن معه من الناس فعطفهم ثم أقبل يسير حتى نزل بمرج راهط واختلف في الوقعة التي كانت بمرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم فقال محمد بن عمر الواقدي بويع مروان بن الحكم في المحرّم سنة ٦٥ وكان مروان بالشأم لا يُحدّث نفسه بهذا الأمر حتى أطمعه فيه عبيد الله ابن زياد حين قدم عليه من العراق فقال له أنت كبير قريش ورئيسها يلي عليك الضحاك بن قيس فذلك حين كان ما كان فخرج الى الضحاك في جيش فقتلهم مروان والضحاك يومئذ في طاعة ابن الزبير وقُتلت قيس بمرج راهط مقتلة لم يُقتل مثلها في موطن قط قال محمد ابن عمر حدّثني ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال قتل الضحاك يوم مرج راهط على انه يدعو الى عبد الله بن الزبير وكُتب به الى عبد الله لنا وذكر من طاعته عنه وحُسن رأيه

وقال غير واحد كانت الوقعة بمرج راهط بين الضحاك ومروان في سنة ٦٤ وقد حُدِّثت عن ابن سعد عن محمد بن عمر قال حدّثني موسى بن يعقوب عن بني الحُوَيرث قال قال أهل الأردن وغيرهم لمروان أنت شيخ كبير وابن يزيد غلام وابن الزبير كهل وانما يقرع الحديد بعضه ببعض فلا تباره بهذا الغلام وارم بنحرك في نحره ونحن نبايعك ابسط يدك فبسطها فبايعوه بالجابية يوم الاربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة ٦٤ قال محمد بن عمر وحدّثني مصعب بن ثابت عن عامر بن عبد الله ان الضحاك لما بلغه ان مروان قد بايعه من بايعه على الخلافة بايع من معه لابن الزبير ثم سار كل واحد منهما الى صاحبه فاقتتلوا قتالاً شديداً فقُتل الضحاك وأصحابه قال محمد بن عمر وحدّثني ابن أبي الزناد عن أبيه قال لما ولي المدينة عبد الرحمن بن الضحاك كان فتى شاباً فقال ان الضحاك بن قيس قد كان دعا قيساً وغيرها الى البيعة لنفسه فبايعهم يومئذ على الخلافة فقال له زفر بن عقيل الفهري هذا الذي كنا نعرف ونسمع وإن بني الزبير يقولون انما كان بايع لعبد الله بن الزبير وخرج في طاعته حتى قُتل الباطل والله يقولون كان أول ذلك ان قريشاً دعته اليها فأبى عليها حتى دخل فيها كارهاً

﴿ذكر الخبر عن الوقعة بمرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم وتمام الخبر عن الكائن من جليل الاخبار والاحداث في سنة ٦٤﴾

﴿قال أبو جعفر﴾ حدّثنا نوح بن حبيب قال حدّثنا هشام بن محمد عن عوانة بن الحكم الكلبي قال مال الضحاك بن قيس بمن معه من الناس حين سار يريد الجابية للقاء حسان ابن مالك فعطفهم ثم أقبل يسير حتى نزل بمرج راهط وأظهر البيعة لابن الزبير وخلع بني أمية وبايعه على ذلك جُل أهل دمشق من أهل اليمن وغيرهم قال وسارت بنو أمية ومن تبعهم حتى وافوا حسان بالجابية فصلى بهم حسان أربعين يوماً والناس يتشاورون وكتب الضحاك الى النعمان بن بشير وهو على حمص والى زُفر بن الحارث وهو على قِنَّسرين والى ناتل بن قيس وهو على فلسطين يستمدهم وكانوا على طاعة ابن الزبير فأمده النعمان بشُرَحبيل بن ذي الكلاع وأمده زفر بأهل قنسرين وأمده ناتل بأهل فلسطين فاجتمعت الأجناد الى الضحاك بالمرج وكان الناس بالجابية لهم اهواء مختلفة فأما مالك بن هبيرة السَّكوني فكان يهوى هوى بني يزيد بن معاوية ويحب أن تكون الخلافة فيهم وأما الحصين بن نمير السكوني فكان يهوى أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم فقال مالك بن هبيرة لحصين بن نمير هلم فلنبايع لهذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه وهو ابن أختنا فقد عرفت منزلتنا كانت من أبيه فانه يحملنا على رقاب العرب غداً يعني خالد بن يزيد فقال الحصين لا لعمر الله لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيهم بصبي فقال مالك هذا ولم ترِدِي تهامة وما يبلغ الحزام

الطُّبَيْن فقالوا مهلاً يا أبا سليمان فقال له مالك والله لئن استخلفت مروان وآل مروان ليجدُنَّك على سوطك وشراك نعلك وظلّ شجرة تستظلّ بها ان مروان أبو عشيرة وأخو عشيرة وعمّ عشيرة فإن بايعتموه كنتم عبيدًا لهم ولكن عليكم بابن أختكم خالد فقال حصين انى رأيت في المنام قنديلا معلقا من السماء وان من يمدّ عنقه الى الخلافة تناوله فلم ينله وتناوله مروان فناله والله لنستخلفنه فقال له مالك ويحك يا حصين أتبايع لمروان وآل مروان وأنت تعلم انهم أهل بيت من قيس فلما اجتمع رأيهم للبيعة لمروان ابن الحكم قام روح بن زنباع الجذامىُّ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انكم تذكرون عبد الله بن عمر بن الخطاب وصحبَتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمه فى الإسلام وهو كما تذكرون ولكن ابن عمر رجل ضعيفٌ وليس بصاحب أمة محمد الضعيفُ وأما ما يذكر الناس من عبد الله بن الزبير ويدَّعون اليه من أمره فهو والله كما يذكرون بأنه لابن الزبير حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أسماء ابنة أبى بكر الصدّيق ذات النطاقين وهو بعد كما تذكرون فى قدمه وفضله ولكن ابن الزبير منافق قد خلع خليفتين يزيد وابنه معاوية ابن يزيد وسفك الدماء وشق عصا المسلمين وليس صاحب أمر أمة محمد صلى الله عليه المنافقُ وأما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الاسلام صدْعٌ قطّ الا كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع وهو الذى قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار والذى قاتل علىّ بن أبى طالب يوم الجمل وإنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشبّوا الصغير يعنى بالكبير مروان بن الحكم وبالصغير خالد بن يزيد بن معاوية قال فأجمع رأى الناس على البيعة لمروان ثم لخالد بن يزيد من بعده ثم لعمرو بن سعيد بن العاص من بعد خالد على ان امارة دمشق لعمرو بن سعيد بن العاص وامارة حمص لخالد بن يزيد بن معاوية قال فدعا حسّان بن مالك ابن بحدل خالد بن يزيد فقال أبُنَىّ أخبرنى ان الناس قد أبوك لحداثة سنّك وانى والله ما أريد هذا الامر الا لك ولاهل بيتك وما أبايع مروان الا نظرا لكم فقال له خالد بن يزيد بل عجزت عنا فقال لا والله ما عجزت عنك ولكن الرأى لك ما رأيتُ ثم دعا حسان بمروان فقال يا مروان ان الناس والله ما كلهم يرضى بك فقال له مروان ان يرد الله أن يعطنيها لا يمنعنى اياها أحدٌ من خلقه وان يرد أن يمنعنيها لا يعطنيها أحدٌ من خلقه قال فقال له حسان صدقت وصعد حسان المنبر يوم الاثنين فقال يا أيها الناس انا نستخلف يوم الخميس ان شاء الله فلما كان يوم الخميس بايع لمروان وبايع الناس له وسار مروان الى الجابية في الناس حتى نزل مرج راهط على الضحاك في أهل الاردن من كلب وأتته السكاسك والسكون وغسان وربيع حسان بن مالك بن بحدل الى الاردن قال وعلى ميمنته أعنى مروان عمرو بن سعيد بن العاص وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد وعلى ميمنة الضحاك زياد بن عمرو بن معاوية العقيلىُّ وعلى

ميسرته رجل آخر لم أحفظ اسمه وكان يزيد بن أبي النمس الغسانيّ لم يشهد الجابية وكان مختبئًا بدمشق فلما نزل مروان مرج راهط نار يزيد بن أبي نمس بأهل دمشق في عبيدها فغلب عليها وأخرج عامل الضحاك منها وغلب على الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وأمده بالأموال والرجال والسلاح فكان أوّل فتح فُتح على بني أمية قال وقاتل مروان الضحاك عشرين ليلة ثم هزم أهل المرج وقتلوا وقُتل الضحاك وقُتل يومئذ من أشراف الناس من أهل الشأم ممن كان مع الضحاك ثمانون رجلاً كلهم كان يأخذ القطيفة والذي كان يأخذ القطيفة يأخذ ألفين في العطاء وقتل أهل الشأم يومئذ مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قطّ من القبائل كلها وقتل مع الضحاك يومئذ رجل من كلب من بني عُليم يقال له مالك بن يزيد ابن مالك بن كعب وقتل يومئذ صاحب لواء قضاعة حيث دخلت قضاعة الشأم وهو جدّ مُدلج بن المقدام بن زَمل بن عمرو بن ربيعة بن عمرو الجرشيّ وقتل ثور بن معن بن يزيد السلميّ وهو الذي كان ردّ الضحاك عن رأيه قال وجاء برأس الضحاك رجلٌ من كلب وذكروا ان مروان حين أتي برأسه ساءه ذلك وقال الآن حين كبرت سنّي ودقّ عظمي وصرت في مثل ظِمء الحمار أقبلت بالكتائب أضرب بعضها ببعض قال وذكروا انه مرّ يومئذ برجل قتيل فقال

وما ضرّهم غير حين النفو * س أيّ أميريّ قريش غلبْ

وقال مروان حين بويع له ودعا الى نفسه

لما رأيت الأمر أمرًا انهبا * يسّرت غسّان لهم وكلبا
والسكسكيين رجالاً غلبا * وطيّئًا تأباه إلا ضربا
والقين تمشي في الحديد نكبا * ومن تنوخ مُشمخرًّا صعبا
لا يأخذون الملك إلا غصبا * وإن دنت قيس فقل لا قربا

(قال هشام بن محمد) حدثني أبو مخنف لوط بن يحيى قال حدثني رجل من بني عبد ودّ من أهل الشأم قال حدثني من شهد مقتل الضحاك بن قيس قال مرّ بنا رجل من كلب يقال له زحنة بن عبد الله كأنما يرمي بالرجال الجدّاء ما يطعن رجلاً إلا صرعه ولا يضرب رجلاً الا قتله فجعلت أنظر اليه أتعجب من فعله ومن قتله الرجال اذ حمل عليه رجل فصرعه زحنة وتركه فأتيته فنظرت الى المقتول فاذا هو الضحاك بن قيس فأخذت رأسه فأتيت به الى مروان فقال أنت قتلته فقلت لا ولكن قتله زحنة بن عبد الله الكلبي فأعجبه صدق اياه وتركي ادّعاءه فأمر لي بمعروف وأحسن الى زحنة (قال أبو مخنف) وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن حبيب بن كرة قال والله ان راية مروان يومئذ لمعي وانه ليدفع بنعل سيفه في ظهري وقال ادنُ برايتك لا أبالك ان هؤلاء لو قد وجدوا لهم حدّ السيوف انفرجوا

انفراج الرأس وانفراج الغنم عن راعيها قال وكان مروان فى ستة آلاف وكان على خيله عبيد الله بن زياد وكان على الرجال مالك بن هبيرة قال عبد الملك بن نوفل وذكر وان بشر بن مروان كانت معه يومئذ راية يقاتل بها وهو يقول

إن على الرئيس حقا حقا * أن يخضب الصعدة أو تندقا

قال وصرع يومئذ عبد العزيز بن مروان قال ومر مروان يومئذ برجل من محارب وهو فى نفر يسير تحت راية يقاتل عن مروان فقال مروان يرحمك الله لوانك انضممت بأصحابك فإنى أراك فى قلة فقال ان معنا يا أمير المؤمنين من الملائكة مددا أضعاف من تأمرنا ننضم اليه قال فسر بذلك مروان وضحك وضم أناسا اليه ممن كان حوله قال وخرج الناس منهزمين من المرج الى أجنادهم فانتهى أهل حمص الى حمص والنعمان بن بشير عليها فلما بلغ النعمان الخبر خرج هاربا ليلا ومعه امرأته نائلة بنت عمارة الكلبية ومعه ثقله وولده فتحير ليلته كلها وأصبح أهل حمص فطلبوه وكان الذى طلبه رجل من الكلاعيين يقال له عمرو بن الخلى فقتله وأقبل برأس النعمان بن بشير وبنائلة امرأته وولدها فألقى الرأس فى حجر أم أبان ابنة النعمان التى كانت تحت الحجاج بن يوسف بعد قال فقالت نائلة القوا الرأس الى فأنا أحق به منها فألقى الرأس فى حجرها ثم أقبلوا بهم وبالرأس حتى انتهوا بهم الى حمص فجاءت كلب من أهل حمص فأخذوا نائلة وولدها قال وخرج زفر بن الحارث من قنسرين هاربا فلحق بقرقيسيا فلما انتهى اليها وعليها عياض الجرشى وهو ابن أسلم بن كعب بن مالك بن لغز بن أسود بن كعب بن حدس بن أسلم وكان يزيد بن معاوية ولاه قرقيسيا فحال عياض بين زفر وبين دخول قرقيسيا فقال له زفر أوثق لك بالطلاق والعتاق اذا أنا دخلت حمامها ان أخرج منها فلما انتهى اليها ودخلها ليدخل حمامها وأقام بها وأخرج عياضا منها وتحصن زفر بها وثابت اليه قيس قال وخرج نائل بن قيس الجذامى صاحب فلسطين هاربا فلحق بابن الزبير بمكة وأطبق أهل الشأم على مروان واستوثقوا له واستعمل عليها عماله (قال أبو مخنف) حدثنى رجل من بنى عبد ود من أهل الشأم يعنى الشرقى قال وخرج مروان حتى أتى مصر بعد ما اجتمع له أمر الشأم فقدم مصر وعليها عبد الرحمن بن جحدم القرشى يدعو الى ابن الزبير فخرج اليه فيمن معه من بنى فهر وبعث مروان عمرو بن سعيد الأشدق من ورائه حتى دخل مصر وقام على منبرها يخطب الناس وقيل لهم قد دخل عمر ومصر فرجعوا وأمر الناس مروان وبايعوه ثم أقبل راجعا نحو دمشق حتى اذا دانا منها بلغه ان ابن الزبير قد بعث أخاه مصعب بن الزبير نحو فلسطين فسرح اليه مروان عمرو بن سعيد بن العاص فى جيش واستقبله قبل ان يدخل الشأم فقاتله فهزم أصحاب مصعب وكان معه رجل من بنى عذرة يقال

له محمد بن حريث بن سليم وهو خال بني الأشدق فقال والله ما رأيت مثل مصعب بن الزبير رجلا قط أشد قتالا فارسا وراجلا ولقد رأيته في الطريق يترجل فيطرد بأصحابه ويشد على رجليه حتى رأيتهما قد دميتا قال وانصرف مروان حتى استقرت به دمشق ورجع اليه عمرو بن سعيد قال ويقال انه لما قدم عبيد الله بن زياد من العراق فنزل الشأم أصاب بني أمية بتدمر قد نفاهم ابن الزبير من المدينة ومكة ومن الحجاز كله فنزلوا بتدمر وأصابوا الضحاك بن قيس أميرا على الشأم لعبد الله بن الزبير فقدم ابن زياد حين قدم ومروان يريد ان يركب الى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة فيأخذ منه الأمان لبني أمية فقال له ابن زياد أنشدك الله ان تفعل ليس هذا برأي ان تنطلق وأنت شيخ قريش الى أبي خبيب بالخلافة ولكن ادع أهل تدمر فبايعهم ثم سر بهم وبمن معك من بني أمية الى الضحاك بن قيس حتى تخرجه من الشأم فقال عمرو بن سعيد بن العاص صدق والله عبيد الله بن زياد ثم أنت سيد قريش وفرعها وأنت أحق الناس بالقيام بهذا الأمر انما ينظر الناس الى هذا الغلام يعني خالد بن يزيد بن معاوية فتزوج أمه فيكون في حجرك قال ففعل مروان ذلك فتزوج أم خالد بن يزيد وهي فاختة ابنة أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ثم جمع بني أمية فبايعوه بالامارة عليهم وبايعه أهل تدمر ثم سار في جمع عظيم الى الضحاك بن قيس وهو يومئذ بدمشق فلما بلغ الضحاك ما صنع بنو أمية ومسيرتهم اليه خرج بمن تبعه من أهل دمشق وغيرهم فيهم زفر بن الحارث فالتقوا بمرج راهط فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل الضحاك بن قيس الفهري وعامة أصحابه وانهزم بقيتهم فتفرقوا وأخذ زفر بن الحارث وجها من تلك الوجوه هو وشابان من بني سليم فجاءت خيل مروان تطلبهم فلما خاف السلميان ان تلحقهم خيل مروان قالا لزفر ياهذا انج بنفسك فأما نحن فنقتل ان فضى زفر وتركهما حتى أتى قرقيسيا فاجتمعت اليه قيس فرأسوه عليهم فذلك حيث يقول زفر بن الحارث

أربني سلاحي لا أبا لك إنني * أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا
أتاني عن مروان بالغيب أنه * مقيد دمي أو قاطع من لسانيا
ففي العيس منجاة وفي الأرض مهرب * إذا نحن رفعنا لهن المثانيا
فلا تحسبوني إن تغيبت غافلا * ولا تفرحوا إن جئتكم بلقائيا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا
أتذهب كلب لم تقلها رماحنا * وتترك قتلى راهط هي ماهيا
لعمري لقد أبقت وقيعة راهط * لحسان صدعا بيننا متنائيا
أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا * ومقتل همام أمنى الأمانيا

فلم ترمني نبوة قبل هذه * فراري وتركي صاحبي ورائيا
عشية أعدوا بالقران فلا أرى * من الناس إلا من علي ولاليا
أيذهب يوم واحد إن أسأته * بصالح أيامي وحسن بلائيا
فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا * وتثأر من نسوان كلب نسائيا
ألا ليت شعري هل تصيبن غارتي * تنوخا وحيي طيء من شفائيا

فأجابه جواس بن قعطل

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط * على زفر داء من الداء باقيا
مقيما ثوى بين الضلوع محله * وبين الحشا أعيا الطبيب المداويا
تبكي على قتلى سليم وعامر * وذبيان معذورا وتبكي البواكيا
دعا بسلاح ثم أحجم إذ رأى * سيوف جناب والطوال المذاكيا
عليها كأسد الغاب فتيان نجدة * اذا شرعوا نحو الطعان العواليا

فأجابه عمرو بن المخلاة الكلبي من تيم اللات بن رفيدة فقال

بكى زفر القيسي من هلك قومه * بعبرة عين ما يجف سجومها
يبكي على قتلى أصيبت براهط * تجاوبه هام القفار ويومها
أبحنا حمى للحي قيس براهط * وولت شلالا واستبيح حريمها
يبكيهم حران تجري دموعه * يرجي نزارا أن تؤوب حلومها
فت كمدا أو عش ذليلا مهضما * بحسرة نفس لا تنام همومها
إذا خطرت حولي قضاعة بالقنا * تخبط فعل المصعبات قرومها
خبطت بهم من كادني من قبيلة * فمن ذا إذا عز الخطوب يرومها

وقال زفر بن الحارث أيضا

أفي الله أما بخدل وابن بخدل * فيحيى وأما ابن الزبير فيقتل
كذبتم وبيت الله لا تقتلونه * ولما يكن يوم أغر محجل
ولما يكن للمشرفية فوقكم * شعاع كقرن الشمس حين ترجل

فأجابه عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم فقال

أتذهب كلب قد حمتها رماحها * وتترك قتلى راهط ما أجنت
لحا الله قيسا قيس عيلان انها * أضاعت ثغور المسلمين وولت
فباه بقيس في الرخاء ولا تكن * أخاها اذا ما المشرفية سلت

(قال

﴿قال أبو جعفر﴾ ولما بايع حصين بن نمير مروان بن الحكم وعصا مالك بن هبيرة فيما أشار به عليه من بيعة خالد بن يزيد بن معاوية واستقر لمروان بن الحكم الملك وقد كان الحصين بن نمير اشترط على مروان أن ينزل البلقاء من كان بالشأم من كندة وأن يجعلها لهم مأكلة فأعطاه ذلك وان بني الحكم لما استوثق الامر لمروان وقد كانوا اشترطوا لخالد بن يزيد بن معاوية شروطا قال مروان ذات يوم وهو جالس في مجلسه ومالك بن هبيرة جالس عنده ان قوما يدّعون شروطا منهم عطارة مكحلة يعني مالك بن هبيرة وكان رجلا يتطيب ويكتحل فقال مالك بن هبيرة هذا ولما ترد تهامة ولما يبلغ الحزام الطبيين فقال مروان مهلا يا أبا سليمان انما داعبناك فقال مالك هو ذاك وقال عويج الطائي يمتدح كلبا وحميد بن بحدل

لقد علم الاقوام وقع ابن بحدل * وأخرى عليهم ان بقي سيعيدها
يقودون أولاد الوجيه ولاحق * من الريف شهرا ما بني من يقودها
فهذا لهذا ثم اني لنافض * على الناس أقوالا كثيرا حدودها
فلولا أمير المؤمنين لاصبحت * قضاعة أربابا وقيس عبيدها

﴿وفي هذه السنة﴾ بايع جند خراسان لسلم بن زياد بعد موت يزيد بن معاوية على أن يقوم بأمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة ﴿وفيها﴾ كانت فتنة عبد الله بن خازم بخراسان

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

حدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد قال أخبرنا مسلمة بن محارب قال بعث سلم بن زياد بما أصاب من هدايا سمرقند وخوارزم الى يزيد بن معاوية مع عبد الله بن خازم وأقام سلم واليا على خراسان حتى مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد فبلغ سلما موته وأتاه مقتل يزيد بن زياد في سجستان وأسر أبي عبيدة بن زياد وكتم الخبر سلم فقال ابن عرادة

يا أيها الملك المغلق بابه * حدثت أمور شأنهن عظيم
قتلى بجزة والذين بكابل * ويزيد أعلن شأنه المكتوم
أبني أمية ان آخر ملككم * جسد بحوارين ثم مقيم
طرقت منيته وعند وساده * كوب وزق راعف مرثوم
ومرنة تبكي على نشوانه * بالصنج تقعد تارة وتقوم

(قال مسلمة) فلما ظهر شعر ابن عرادة أظهر سلم موت يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ودعا الناس الى البيعة على الرضا حتى يستقيم أمر الناس على خليفة فبايعوه ثم مكثوا بذلك شهرين ثم نكثوا به * قال علي بن محمد وحدثنا شيخ من أهل خراسان قال لم يحب أهل خراسان أميرا قط حبهم سلم بن زياد فسمي في تلك السنين التي كان بها سلم أكثر من عشرين

ألف مولود بسلم من حبهم سلما قال وأخبرنا حفص الازدى عن عمه قال لما اختلف الناس بخراسان ونكثوا بيعة سلم خرج سلم عن خراسان وخلف عليها المهلب بن أبى صفرة فلما كان بسرخس لقيه سليمان بن مرثد أحد بنى قيس بن ثعلبة فقال له من خلفت على خراسان قال المهلب فقال ضاقت عليك نزار حتى وليت رجلا من أهل اليمن فولاه مرو الروذ والفارياب والطالقان والجوزجان وولى أوس بن ثعلبة بن زفر وهو صاحب قصر أوس بالبصرة هراة ومضى فلما سار بنيسابور لقيه عبد الله بن خازم فقال من وليت خراسان فأخبره فقال أما وجدت فى مضر رجلا تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل ومزون عمان وقال له اكتب لى عهدا على خراسان قال أوالى خراسان أنا قال اكتب لى عهدا وخلاك ذم قال فكتب له عهدا على خراسان قال فأعنى الآن بمائة ألف درهم فأمر له بها وأقبل الى مرو وبلغ الخبر المهلب بن أبى صفرة فأقبل واستخلف رجلا من بنى جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم قال وأخبرنا المفضل بن محمد الضبى عن أبيه قال لما صار عبد الله ابن خازم الى مرو بعهد سلم بن زياد منعه الجشمى فكانت بينهما مناوشة فأصابت الجشمى رمية بحجر فى جبهته وتحاجزوا وخلى الجشمى بين مرو الروذ وبينه فدخلها ابن خازم ومات الجشمى بعد ذلك بيومين * قال على بن محمد المدائنى حدثنا الحسن بن رشيد الجوزجانى عن أبيه قال لما مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وثب أهل خراسان بعمالهم فأخرجوهم وغلب كل قوم على ناحية ووقعت الفتنة وغلب ابن خازم على خراسان ووقعت الحرب ﴿ قال أبو جعفر ﴾ وأخبرنا أبو الذيال زهير بن هنيد عن أبى نعامة قال أقبل عبد الله بن خازم فغلب على مرو ثم سار الى سليمان بن مرثد فلقيه بمرو الروذ فقاتله أياما فقتل سليمان بن مرثد ثم سار عبد الله بن حازم الى عمرو بن مرثد وهو بالطالقان فى سبعمائة وبلغ عمرا اقبال عبد الله اليه وقتله أخاه سليمان فأقبل اليه فالتقوا على نهر قبل أن يتوافى الى ابن خازم أصحابه فأمر عبد الله من كان معه فنزلوا فنزل وسأل عن زهير بن ذؤيب العدوى فقالوا لم يجئ حتى أقبل وهو على حاله فلما أقبل قيل له هذا زهير قد جاء فقال له عبد الله تقدم فالتقوا فاقتتلوا طويلا فقتل عمرو بن مرثد وانهزم أصحابه فلحقوا بهراة بأوس بن ثعلبة ورجع عبد الله بن خازم الى مرو * قال وكان الذى ولى قتل عمرو بن مرثد زهير بن حيان العدوى فيمايرون فقال الشاعر

أتذهب أيام الحروب ولم تبئ * زهير بن حيان بعمرو بن مرثد

قال وحدثنا أبو السرى الخراسانى وكان من أهل هراة قال قتل عبد الله بن خازم سليمان وعمرا ابنى مرثد المرثديين من بنى قيس بن ثعلبة ثم رجع الى مرو وهرب من كان بمرو الروذ من بكر بن وائل الى هراة وانضم اليهم من كان بكور خراسان من بكر بن وائل فكان لهم بها جمع

كثير عليهم أوس بن ثعلبة قال فقالوا له نبايعك على أن تسير الى ابن خازم وتخرج مضر من خراسان كلها فقال لهم هذا بغي وأهل البغي مخذولون أقيموا مكانكم هذا فان تركتكم ابن خازم وما أراه يفعل فارضوا بهذه الناحية وخلوه وما هو فيه فقال بنو صهيب وهم موالي بني جحدر لا والله لا نرضى أن نكون نحن ومضر في بلد وقد قتلوا ابني مرثد فان أجبتنا الى هذا والا أمرنا علينا غيرك قال انما أنا رجل منكم فاصنعوا ما بدا لكم فبايعوه وسار اليهم ابن خازم واستخلف ابنه موسى وأقبل حتى نزل على وادٍ بين عسكره وبين هراة قال فقال البكريون لأوس اخرج فخندق خندقا دون المدينة فقاتلهم فيه وتكون المدينة من ورائنا فقال لهم أوس الزموا المدينة فانها حصينة وخلوا ابن خازم ومنزله الذي هو فيه فانه ان طال مقامه ضجر فأعطاكم ما ترضون به فان اضطررتم الى القتال قاتلتم فأبوا وخرجوا من المدينة فخندقوا خندقا دونها فقاتلهم ابن خازم نحوا من سنة * قال وزعم الاحنف بن الاشهب الضبي وأخبرنا أبو الدلال زهير بن الهنيد سار ابن خازم الى هراة وفيها جمع كثير لبكر بن وائل قد خندقوا عليهم وتعاقدوا على اخراج مضر ان ظفروا بخراسان فنزل بهم ابن خازم فقال له هلال الضبي أحد بني ذهل ثم أحد بني أوس انما تقاتل اخوتك من بني أبيك والله ان نلت منهم ما تريد ما في العيش بعدهم من خير وقد قتلت بمرو الروذ منهم من قتلت فلو أعطيتهم شيأ يرضون به وأصلحت هذا الامر قال والله لو خرجت لهم عن خراسان ما رضوا به ولو استطاعوا أن يخرجوكم من الدنيا لأخرجوكم قال لا والله لا أرمي معك بسهم ولا رجل يطيعني من خندق حتى تعذر اليهم قال فانت رسولي اليهم فأرضهم فأتى هلال الى أوس بن ثعلبة فناشده الله والقرابة وقال أذكرك الله في نزار أن تسفك دماءها وتضرب بعضها ببعض قال لقيت بني صهيب قال لا والله قال فالفهم فخرج فلقي أرقم بن مطرف الحنفي وضمضم بن يزيد أو عبد الله بن ضمضم بن يزيد وعاصم بن الصلت بن الحريث الحنفيين وجماعة من بكر ابن وائل وكلمهم بمثل ما كلم به أوسا فقالوا هل لقيت بني صهيب فقال لقد عظم الله أمر بني صهيب عندكم لا ألم لقهم قالوا القهم فأتى بني صهيب فكلمهم فقالوا لولا انك رسول لقتلناك قال أفما يرضيكم شيء * قالوا واحدة من اثنتين إما أن تخرجوا عن خراسان ولا يدعو فيها المضر داع وإما أن تقيموا وتنزلوا الناس عن كل كراع وسلاح وذهب وفضة قال أفاشيء غير هاتين قالوا لا قال حسبنا الله ونعم الوكيل فرجع الى ابن خازم فقال ما عندك قال وجدت اخوتنا قطعا للرحم قال قد أخبرتك ان ربيعة لم تزل غضابا على ربها منذ بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم من مضر ﴿قال أبو جعفر﴾ وأخبرنا سليمان بن مجالد الضبي قال أغارت الترك على قصر اسفاد وابن خازم بهراة فحصروا أهله وفيه ناس من الازد هم أكثر من فيه فهزمتهم فبعثوا الى من حولهم من الازد فجاؤا لينصروهم فهزمتهم الترك فارسلوا الى ابن خازم فوجه اليهم

زهير بن حيان في بني تميم وقال له اياك ومشاولة الترك اذا رأيتموهم فاحملوا عليهم فأقبل فوافاهم في يوم بارد قال فلما التقوا شدوا عليهم فلم يثبتوا لهم وانهزمت الترك واتبعوهم حتى مضى عامة الليل حتى انتهوا الى قصر في المفازة فأقاموا الجماعة ومضى زهير في فوارس يتبعهم وكان عالما بالطريق ثم رجع في نصف من الليل وقد يبست يده على رمحه من البرد فدعا غلامه كعبا فخرج اليه فأدخله وجعل يسخن له الشحم فيضعه على يده ودهنوه وأوقدوا له نارا حتى لان ودفئ ثم رجع الى هراة فقال في ذلك كعب بن معدان الاشقري

أتاك أتاك الغوث في برق عارض * دروع وبيض حشوهن تميم
أبوا أن يضموا حشو ما تجمع القرى * فضمهم يوم اللقاء صميم
ورزقهم من رائحات تزينها * ضروع عريضات الخواصر كوم

وقال ثابت قطنة

فدت نفسي فوارس من تميم * على ما كان من ضنك المقام
بقصر الباهلي وقد أراني * أحامي حين قل به المحامي
بسيفي بعد كسر الرمح فيهم * أذود هم بذي شطب حسام
أكر عليهم اليحموم كرا * ككر الشرب آنية المدام
فلولا الله ليس له شريك * وضربي قونس الملك الهمام
اذا فاظت نساء بني دثار * أمام الترك بادية الخدام

(قال أبو جعفر) وحدثني أبو الحسن الخراساني عن أبي حماد السلمي قال أقام ابن خازم بهراة يقاتل أوس بن ثعلبة أكثر من سنة فقال يوما لاصحابه قد طال مقامنا على هؤلاء فنادوهم يا معشر ربيعة انكم قد اعتصمتم بخندقكم أفرضيتم من خراسان بهذا الخندق فاحفظهم ذلك فتنادى الناس للقتال فقال لهم أوس بن ثعلبة الزموا خندقكم وقاتلوهم كما كنتم تقاتلونهم ولا تخرجوا اليهم بجماعتكم قال فعصوه وخرجوا اليهم فالتقى الناس فقال ابن خازم لاصحابه اجعلوه يومكم فيكون الملك لمن غلب فان قتلت فأميركم شماس بن دثار العطاردي فان قتل فأميركم بكير بن وشاح الثقفي * قال علي وحدثنا أبو الذيال زهير بن هنيدة عن أبي نعامة العدوي عن عبيد بن نقيد عن اياس بن زهير بن حيان لما كان اليوم الذي هرب فيه أوس بن ثعلبة وظفر ابن خازم ببكر بن وائل قال ابن خازم لاصحابه حين التقوا انى قلع فشدوني على السرج واعلموا ان علي من السلاح مالا أقتل قدر جزر جزور فان قيل لكم انى قد قتلت فلا تصدقوني قال وكانت راية بني عدي مع أبي وأنا على فرس محزم وقد قال لنا ابن خازم اذا لقيتم الخيل فاطعنوها في مناخرها فانه لن يطعن فرس في نحرته الا أدبر أو رمى بصاحبه فلما سمع فرسي قعقعة السلاح وثب بي واديا كان بيني وبينهم قال فتلقاني رجل من بكر بن وائل

فطعنت فرسه فى نحرته فصرعه وحمل أبى ببنى عدى وأتبعته بنو تميم من كل وجه فاقتتلوا ساعة فانهزمت بكر بن وائل حتى انتهوا الى خندقهم وأخذوا يمينا وشمالا وسقط ناس فى الخندق فقتلوا قتلا ذريعا وهرب أوس بن ثعلبة وبه جراحات وحلف ابن خازم لا يؤتى بأسير الا قتله حتى يغيب الشمس فكان آخر من أتى به رجل من بنى حنيفة يقال له محمية فقالوا لابى خازم قد غابت الشمس قال وفوا به القتلى فقتل قال فأخبرنى شيخ من بنى سعد بن زيد مناة ان أوس بن ثعلبة هرب وبه جراحات الى سجستان فلما صار بها أوقر بيا منها مات وفى مقتل ابن مرثد وأمر أوس بن ثعلبة يقول المغيرة بن حبناء أحد بنى ربيعة بن حنظلة

وفى الحرب كنتم فى خراسان كلها * قتيلا ومسجونا بها ومسيرا
ويوم احتواكم فى الحفير ابن خازم * فلم تجدوا الا الخنادق مقبرا
ويوم تركتم فى الغبار ابن مرثد * وأوسا تركتم حيث سار وعسكرا

قال وأخبرنى أبو الذيال زهير بن هنيد عن جده أبى أمه قال قتل من بكر بن وائل يومئذ ثمانية آلاف * قال وحدثنا التميمى رجل من أهل خراسان عن مولى لابن خازم قال قاتل ابن خازم أوس بن ثعلبة وبكر بن وائل فظفر بهراة وهرب أوس وغلبه ابن خازم على هراة واستعمل عليها ابنه محمدا وضم اليه شماس بن دثار العطاردى وجعل بكير بن وشاح على شرطته وقال لهما بيا به فانه ابن أختكما فكانت أمه من بنى سعد يقال لها صفية وقال له لا تخالفهما ورجع ابن خازم الى مرو * قال أبو جعفر * وفى هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة واتعدوا الاجتماع بالنخيلة فى سنة ٦٥ للمسير الى أهل الشأم للطلب بدم الحسين بن على وتكاتبوا فى ذلك

﴿ ذكر الخبر عن مبدأ أمرهم فى ذلك ﴾

(قال هشام) بن محمد حدثنا أبو مخنف قال حدثنى يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الاحمر الازدى قال لما قتل الحسين بن على ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة فدخل الكوفة تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم ورأت انها قد أخطأت خطأ كبيرا بدعائهم الحسين الى النصرة وتركهم اجابته ومقتله الى جانبهم لم ينصروه ورأوا انه لا يغسل عارهم والاثم عنهم فى مقتله الا بقتل من قتله أو القتل فيه ففزعوا بالكوفة الى خمسة نفر من رؤس الشيعة الى سليمان بن صرد الخزاعى وكانت له صحبة مع النبى صلى الله عليه وسلم والى المسيب بن نجبة الفزارى وكان من أصحاب على وخيارهم والى عبد الله بن سعد بن نفيل الازدى والى عبد الله بن وال التيمى والى رفاعة بن شداد البجلى ثم ان هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا فى منزل سليمان بن صرد وكانوا من خيار أصحاب على ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم قال فلما اجتمعوا الى منزل سليمان بن صرد بدأ المسيب بن نجبة القوم بالكلام فتكلم فحمد الله

وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فانا قد ابتلينا بطول العمر والتعرض لانواع الفتن فنرغب الى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غدا أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فان أمير المؤمنين قال العمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وليس فينا رجل الا وقد بلغه وقد كنا مغرمين بتزكية أنفسنا وتقريظ شيعتنا حتى بلا الله أخيارنا فوجدنا كاذبين فى موطنين من مواطن ابن ابنة نبينا صلى الله عليه وسلم وقد بلغتنا قبل ذلك كتبه وقدمت علينا رسله وأعذر الينا يسألنا نصره عودا وبدءا وعلانية وسرا فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قتل الى جانبنا لا نحن نصرناه بأيدينا ولا جادلنا عنه بألسنتنا ولا قويناه باموالنا ولا طلبناله النصرة الى عشائرنا فما عذرنا الى ربنا وعند لقاء نبينا صلى الله عليه وسلم وقد قتل فينا ولده وحبيبه وذريته ونسله لا والله لا نعذر دون أن نقتلوا قاتله والموالين عليه أو نقتلوا فى طلب ذلك فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن أيها القوم ولوا عليكم رجلا منكم فانه لا بد لكم من أمير تفزعون اليه ورايه تحفون بها أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم قال فبدر القوم رفاعة بن شداد بعد المسيب الكلام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الله قد هداك لأصوب القول ودعوت الى أرشد الامور بدأت بحمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم ودعوت الى جهاد الفاسقين والى التوبة من الذنب العظيم فسموع منك مستجاب لك مقبول قولك قلت ولوا أمركم رجلا منكم تفزعون اليه وتحفون برايته وذلك رأى قد رأينا مثل الذى رأيت فان تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضيا وفينا متنصحا وفى جماعتنا محبا وان رأيت ورأى أصحابنا ذلك ولينا هذا الامر شيخ الشيعة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذا السابقة والقدم سليمان بن صرد المحمود فى بأسه ودينه والموثوق بحزمه أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم قال ثم تكلم عبد الله بن وال وعبد الله ابن سعد فحمدا ربهما وأثنيا عليه وتكلما بنحو من كلام رفاعة بن شداد فذكرا المسيب بن نجبة بفضله وذكرا سليمان بن صرد بسابقته ورضاهما بتوليته فقال المسيب بن نجبة أصبتم ووفقتم وأنا أرى مثل الذى رأيتم فولوا أمركم سليمان بن صرد (قال أبو مخنف) فحدثت سليمان بن أبى راشد بهذا الحديث فقال حدثنى حميد بن مسلم قال والله انى لشاهد بهذا اليوم يوم ولوا سليمان بن صرد وانا يومئذ لأكثر من مائة رجل من فرسان الشيعة ووجوههم فى داره قال فتكلم سليمان بن صرد فشهد وما زال يردد ذلك القول فى كل جمعة حتى حفظته بدأ فقال أثنى على الله خيرا وأحمده آلاءه وبلاءه وأشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسوله أما بعد فانى والله لخائف ألا يكون آخرنا الى هذا الدهر الذى نكدت فيه المعيشة وعظمت فيه الرزية وشمل فيه الجور أولى الفضل من هذه الشيعة لما هو خيرا نا كنا

نمدّ أعناقنا الى قدوم آل نبينا ونمنيهم النصر ونحثهم على القدوم فلما قدموا وبينا وعجزنا وأدهنا وتربّصنا وانتظرنا ما يكون حتى قتل فينا ولدنا ولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه اذ جعل يستصرخ ويسأل النصف فلا يعطاه اتخذه الفاسقون غرضا للنبل ودريّة للرماح حتى أقصدوه وعدوا عليه فسلبوه ألا انهضوا فقد سخط ربّكم ولا ترجعوا الى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله والله ما أظنه راضيا دون ان تناجزوا من قتله أو تبيروا ألا لا تهابوا الموت فوالله ما هابه امرؤ قط الا ذل كونوا كالأولى من بني اسرائيل اذ قال لهم نبيهم إنّكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فافعل القوم جثوا على الركب والله ومدّوا الأعناق ورضوا بالقضاء حتى حين علموا انه لا ينجيهم من عظيم الذنب الا الصبر على القتل فكيف بكم لو قد دعيتم الى مثل ما دعي القوم اليه اشحذوا السيوف وركبوا الأسنة وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل حتى تدعوا حين تدعوا وتستنفروا قال فقام خالد بن سعد بن نفيل فقال أما أنا فوالله لو أعلم ان قتلي نفسي يخرجني من ذنبي ويرضى عني ربي لقتلتها ولكن هذا أمر به قوم كانوا قبلنا ونهينا عنه فأشهد الله ومن حضر من المسلمين ان كلما أصبحت أملكه سوى سلاحي الذي أقاتل به عدوّي صدقة على المسلمين أقوّيهم به على قتال القاسطين وقام أبو المعتمر حنش بن ربيعة الكناني فقال وأنا أشهدكم على مثل ذلك فقال سليمان بن صرد حسبكم من أراد منهذا شيأ فليأت بماله عبد الله بن وال التيمي تيم بكر بن وائل فاذا اجتمع عنده كلما تريدون اخراجه من أموالكم جهزنا به ذوي الخلة والمسكنة من أشياعكم (قال أبو مخنف) لوط بن يحيى عن سليمان بن أبي راشد قال فحدثنا حميد بن مسلم الأزدي ان سليمان بن صرد قال لخالد بن سعد بن نفيل حين قال له والله لو علمت ان قتلي نفسي يخرجني من ذنبي ويرضى عني ربي لقتلتها ولكن هذا أمر به قوم غيرنا كانوا من قبلنا ونهينا عنه قال أخوكم هذا غدا فريس أول الأسنة قال فلما تصدّق بماله على المسلمين قال له ابشر بجزيل ثواب الله الذين لأنفسهم يمهدون (قال أبو مخنف) حدثني الحصين بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نفيل قال أخذت كتابا كان سليمان بن صرد كتب به الى سعد بن حذيفة بن اليمان بالمدائن فقرأته زمان ولي سليمان قال فلما قرأته أعجبني فتعلمته فما نسيته كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن صرد الى سعد بن حذيفة ومن قبله من المؤمنين سلام عليكم أما بعد فإن الدنيا دار قد أدبر منها ما كان معروفا وأقبل منها ما كان منكرا وأصبحت قد تشنأت الى ذوي الألباب وأزمع بالترحال منها عباد الله الأخيار وباعوا قليلا من الدنيا لا يبقى بجزيل مثوبة عند الله لا يفتى ان أولياء الله من اخوانكم وشيعة آل نبيكم نظروا لأنفسهم فيما ابتلوا به من أمر ابن بنت

نبيهم الذى دعى فأجاب ودعا فلم يجب وأراد الرجعة فحبس وسأل الأمان فمنع وترك الناس فلم يتركوه وعدوا عليه فقتلوه ثم سلبوه وجردوه ظلما وعدوانا وغرة بالله وجهلا وبعبر الله مايعملون وإلى الله مايرجعون وسيعلم الذين ظلموا أى مقلب ينقلبون فلما نظروا اخوانكم وتدبروا عواقب ماستقبلوا رأوا ان قد خطئوا بخذلان الزكى الطيب واسلامه وترك مواساته والنصر له خطأ كبيرا ليس لهم منه مخرج ولا توبة دون قتل قاتليه أو قتلهم حتى تفنى على ذلك أرواحهم فقد جدوا اخوانكم فجدوا وأعدوا واستعدوا وقد ضربنا لاخواننا أجلا يوافوننا اليه وموطنا يلقوننا فيه فأما الأجل فغرة شهر ربيع الآخر سنة ٦٥ وأما الموطن الذى يلقوننا فيه فالنخيلة أتم الذين لم تزالوا لنا شيعة واخواننا وإنا قد رأينا ان ندعوكم الى هذا الأمر الذى أراد الله به اخوانكم فيما يزعمون ويظهرون لنا انهم يتوبون وانكم جدرآء بتطلاب الفضل والتماس الأجر والتوبة الى ربكم من الذنب ولو كان فى ذلك حز الرقاب وقتل الأولاد واستيفاء الأموال وهلاك العشائر ماضر أهل عذراء الذين قتلوا ألا يكونوا اليوم أحياء وهم عند ربهم يرزقون شهداء قد لقوا الله صابرين محتسبين فأثابهم ثواب الصابرين يعنى حجرا وأصحابه وماضر اخوانكم المقتلين صبرا والمصلبين ظلما والممثول بهم المعتدى عليهم ألا يكونوا أحياء مبتلين بخطاياكم قد خير لهم فلقوا ربهم ووافاهم الله ان شاء الله أجرهم فاصبروا رحمكم الله على البأساء والضراء وحين البأس وتوبوا الى الله عن قريب فوالله انكم لأحرياء ان لا يكون أحد من اخوانكم صبر على شىء من البلاء ارادة ثوابه إلا صبر تم التماس الأجر فيه على مثله ولا يطلب رضاء الله طالب بشىء من الاشياء ولو انه القتل الا طلبتم رضاء الله به ان التقوى أفضل الزاد فى الدنيا وماسوى ذلك يبور ويفنى فلتعزف عنها أنفسكم ولتكن رغبتكم فى دار عافيتكم وجهاد عدو الله وعدوكم وعدو أهل بيت نبيكم حتى تقدموا على الله تائبين راغبين أحيانا الله وإياكم حياة طيبة وأجارنا وإياكم من النار وجعل منايانا قتلا فى سبيله على يدى أبغض خلقه اليه وأشدهم عداوة له انه القدير على مايشاء والصانع لأوليائه فى الأشياء والسلام عليكم قال وكتب ابن صرد الكتاب وبعث به الى سعد ابن حذيفة بن اليمان مع عبد الله بن مالك الطائى فبعث به سعد حين قرأ كتابه الى من كان بالمدائن من الشيعة وكان بها أقوام من أهل الكوفة قد أعجبتهم فأوطنوها وهم يقدمون الكوفة فى كل حين عطاء ورزق فيأخذون حقوقهم وينصرفون الى أوطانهم فقرأ عليهم سعد كتاب سليمان بن صرد ثم انه حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانكم قد كنتم مجتمعين مرتعين على نصر الحسين وقتال عدوه فلم يفجأكم أول من قتله والله مثيبكم على حسن النية وما أجمعتم عليه من النصر أحسن المثوبة وقد بعث اليكم اخوانكم يستنجدونكم

ويستمدونكم ويدعونكم الى الحق والى ماترجون لكم به عند الله أفضل الأجر والحظ فماذا ترون وماذا تقولون فقال القوم بأجمعهم نجيبهم ونقاتل معهم ورأينا في ذلك مثل رأيهم فقام عبد الله بن الحنظل الطائى ثم الجزمرى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنا قد أجبنا اخواننا الى مادعونا اليه وقد رأينا مثل الذى قد رأوا فسر حتى اليهم في الخيل فقال له رويد الاتعجل استعد واللعدو وأعد واله الحرب ثم نسير ونسيرون وكتب سعد بن حذيفة ابن اليمان الى سليمان بن صرد مع عبد الله بن مالك الطائى بسم الله الرحمن الرحيم الى سليمان ابن صرد من سعد بن حذيفة ومن قبله من المؤمنين سلام عليكم أما بعد فقد قرأنا كتابك وفهمنا الذى دعوتنا اليه من الأمر الذى عليه رأى الملأ من اخوانك فقد هديت لحظك ويسرت لرشدك ونحن جادون مجدون معدون مسرجون ملجمون ننتظر الأمر ونسمع الداعى فاذا جاء الصريخ أقبلنا ولم نعرج ان شاء الله والسلام فلما قرأ كتابه سليمان ابن صرد قرأه على أصحابه فسروا بذلك قال وكتب الى المثنى بن مخربة العبدى نسخة الكتاب الذى كان كتب به الى سعد بن حذيفة بن اليمان وبعث به مع ظبيان بن عمارة التميمى من بنى سعد فكتب اليه المثنى أما بعد فقد قرأت كتابك وأقرأته اخوانك فحمدوا رأيك واستجابوا لك فنحن موافوك ان شاء الله للأجل الذى ضربت وفي الموطن الذى ذكرت والسلام عليك وكتب فى أسفل كتابه

تبصر كانى قد أتيتك معلما * على أتلع الهادى أجش هزيم
طويل القرى نهد الشواء مقلص * ملح على فأس اللجام أزوم
بكل فتى لايملأ الروع نحره * محس لعض الحرب غير سؤوم
أخى ثقة ينوى الإله بسعيه * ضروب بنصل السيف غير أثيم

(قال أبو مخنف) لوط بن يحيى عن الحارث بن حصيرة عن عبد الله بن سعد بن نفيل قال كان أول ما ابتدعوا به من أمرهم سنة ٦١ وهى السنة التى قتل فيها الحسين رضى الله عنه فلم يزل القوم في جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال ودعاء الناس فى السر من الشيعة وغيرها الى الطلب بدم الحسين فكان يجيبهم القوم بعد القوم والنفر بعد النفر فلم يزالوا كذلك وفى ذلك حتى مات يزيد بن معاوية يوم الخميس لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول سنة ٦٤ وكان بين قتل الحسين وهلاك يزيد بن معاوية ثلاث سنين وشهران وأربعة أيام وهلك يزيد وأمير العراق عبيد الله بن زياد وهو بالبصرة وخليفته بالكوفة عمرو بن حريث المخزومى فجاء الى سليمان أصحابه من الشيعة فقالوا قد مات هذا الطاغية والامر الآن ضعيف فإن شئت وثبنا على عمرو بن حريث فأخرجناه من القصر ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبعنا قتلته ودعونا الناس الى أهل هذا البيت المستأثر عليهم المدفوعين عن حقهم

فقالوا في ذلك فأكثروا فقال لهم سليمان بن صرد رويد الا تعجلوا انى قد نظرت فيما تذكرون فرأيت ان قتلة الحسين هم أشراف أهل الكوفة وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه ومتى علموا ما تريدون وعلموا انهم المطلوبون كانوا أشد عليكم ونظرت فيمن تبعني منكم فعلمت انهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم ولم يشفوا أنفسهم ولم ينكوا في عدوهم وكانوا لهم جزرا ولكن بثوا دعاتكم في المصر فادعوا الى أمركم هذا شيعتكم وغير شيعتكم فانى أرجو أن يكون الناس اليوم حيث هلك هذا الطاغية أسرع الى أمركم استجابة منهم قبل هلاكه ففعلوا وخرجت طائفة منهم دعاة يدعون الناس فاستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد ابن معاوية أضعاف من كان استجاب لهم قبل ذلك (قال هشام) قال أبو مخنف وحدثنا الحصين بن يزيد عن رجل من مزينة قال ما رأيت من هذه الأمة أحدا كان أبلغ من عبيد الله بن عبد الله المرى في منطق ولا عظة وكان من دعاة أهل المصر زمان سليمان بن صرد وكان اذا اجتمعت اليه جماعة من الناس فوعظهم بدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول أما بعد فإن الله اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم على خلقه بنبوته وخصه بالفضل كله وأعزكم باتباعه وأكرمكم بالايمان به فحقن به دماءكم المسفوكة وآمن به سبلكم المخوفة وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون فهل خلق ربكم في الاولين والآخرين أعظم حقا على هذه الأمة من نبيها وهل ذرية أحد من النبيين والمرسلين أو غيرهم أعظم حقا على هذه الامة من ذرية رسولها والله ما كان ولا يكون لله أنتم ألم تروا ويبلغكم ما اجترم الى ابن بنت نبيكم أما رأيتم الى انتهاك القوم حرمته واستضعافهم وحدته وترميلهم اياه بالدم وتجرارهموه على الأرض لم يرقبوا فيه ربهم ولا قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذوه للنبل غرضا وغادروه للضباع جزرا فالله عينا من رأى مثله ولله حسين بن على ماذا غادروا به ذا صدق وصبر وذا امانة ونجدة وحزم ابن أول المسلمين اسلاما وابن بنت رسول رب العالمين قلت حماته وكثرت عداته حوله فقتله عدوه وخذله وليه فويل للقاتل وملامة للخاذل ان الله لم يجعل لقاتله حجة ولا لخاذله معذرة إلا أن يناصح لله في التوبة فيجاهد القاتلين وينابذ القاسطين فعسى الله عند ذلك أن يقبل التوبة ويقيل العثرة انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل بيته والى جهاد المحلين والمارقين فإن قتلنا فما عند الله خير للأبرار وان ظهر نا رددنا هذا الأمر الى أهل بيت نبينا قال وكان يعيد هذا الكلام علينا في كل يوم حتى حفظه عامتنا قال ووثب الناس على عمر و ابن حريث عند هلاك يزيد بن معاوية فاخرجوه من القصر واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحى وهو حرو جة الجعل الذى قال له ابن همام

السلولي

أشد ذيدك بزيد إن ظفرت به * واشف الارامل من دحر وجة الجعل

وكان كانه ابهام قصر اوزيد مولاه وخازنه فكان يصلي بالناس وبايع لابن الزبير ولم يزل أصحاب سليمان بن صرد يدعون شيعتهم وغيرهم من أهل مصرهم حتى كثر تبعهم وكان الناس الى اتباعهم بعد هلاك يزيد بن معاوية أسرع منهم قبل ذلك فلما مضت ستة أشهر من هلاك يزيد بن معاوية قدم المختار بن أبي عبيد الكوفة فقدم في النصف من شهر رمضان يوم الجمعة قال وقدم عبد الله بن يزيد الانصاري ثم الخطمي من قبل عبد الله ابن الزبير أميرا على الكوفة على حربها وثغرها وقدم معه من قبل ابن الزبير ابراهيم بن محمد ابن طلحة بن عبيد الله الأعرج أميرا على خراج الكوفة وكان قدوم عبد الله بن يزيد الأنصاري ثم الخطمي يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان سنة ٦٤ قال وقدم المختار قبل عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بثمانية أيام ودخل المختار الكوفة وقد اجتمعت رؤس الشيعة ووجوهها مع سليمان بن صرد فليس يعدلونه به فكان المختار اذا دعاهم الى نفسه والى الطلب بدم الحسين قالت له الشيعة هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة قد انقادوا له واجتمعوا عليه فأخذ يقول للشيعة اني قد جئتكم من قبل المهدي محمد بن علي ابن الحنفية مؤتمنا مأمونا منجبا ووزيرا فوالله مازال بالشيعة حتى انشعبت اليه طائفة تعظمه وتجيبه وتنتظر أمره وعظم الشيعة مع سليمان بن صرد فسليمان أثقل خلق الله على المختار وكان المختار يقول لأصحابه أتدرون مايريد هذا يعني سليمان بن صرد انما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم ليس له بصر بالحروب ولا له علم بها قال وأتى يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيباني عبد الله بن يزيد الأنصاري فقال ان الناس يتحدثون ان هذه الشيعة خارجة عليك مع ابن صرد ومنهم طائفة أخرى مع المختار وهي أقل الطائفتين عددا والمختار فيما يذكرون الناس لا يريد أن يخرج حتى ينظر الى مايصير اليه أمر سليمان بن صرد وقد اجتمع له أمره وهو خارج من أيامه هذه فان رأيت أن تجمع الشرط والمقاتلة ووجوه الناس ثم تنهض اليهم وتنهض معك فإذا دفعت الى منزله دعوته فان أجابك حسبه وان قاتلك قاتلته وقد جمعت له وعبأت وهو مغتر فاني أخاف عليك ان هو بدأك وأقررته حتى يخرج عليك ان تشتد شوكته وأن يتفاقم أمره فقال عبد الله بن يزيد الله بيننا وبينهم ان هم قاتلونا قاتلناهم وان تركونا لم نطلبهم حدثني مايريدون الناس قال يذكر الناس انهم يطلبون بدم الحسين ابن علي قال فأنا قتلت الحسين لعن الله قاتل الحسين قال وكان سليمان بن صرد وأصحابه يريدون أن يثبوا بالكوفة فخرج عبد الله بن يزيد حتى صعد المنبر ثم قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد فقد بلغني ان طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا

فسألت عن الذى دعاهم الى ذلك ماهو فقيل لى زعموا انهم يطلبون بدم الحسين ابن على فرحم الله هؤلاء القوم قد والله دللت على أماكنهم وأمرت بأخذهم وقيل أبدأهم قبل ان يبدؤك فأبيت ذلك فقلت ان قاتلونى فاقاتلهم وان تركونى لم أطلبهم وعلام يقاتلونى فوالله ماأنا قتلت حسينا ولا أنا ممن قاتله ولقد أصبت بمقتله رحمة الله عليه فإن هؤلاء القوم آمنون فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا الى من قاتل الحسين فقد أقبل اليهم وأنا لهم على قاتله ظهير هذا ابن زياد قاتل الحسين وقاتل خياركم وأماثلكم قد توجه اليكم عهد العاهد به على مسيرة ليلة من جسر منبج فقتاله والاستعداد له أولى وأرشد من ان تجعلوا بأسكم بينكم فيقتل بعضكم بعضا ويسفك بعضكم دماء بعض فيلقاكم ذلك العدو غدا وقد رققتم وتلك والله أمنية عدوكم وانه قد أقبل اليكم أعدى خلق الله لكم من ولى عليكم هو وأبوه سبع سنين لا يقلعان عن قتل أهل العفاف والدين هو الذى قتلكم ومن قبله أوتيتم والذى قتل من تثأرون بدمه قد جاءكم فاستقبلوه بحدكم وشوكتكم واجعلوها به ولا تجعلوها بأنفسكم انى لم آلكم نصحا جمع الله لنا كلمتنا وأصلح لنا أئمتنا قال فقال ابراهيم بن محمد ابن طلحة أيها الناس لا يغرنكم من السيف والغشم مقالة هذا المداهن الموادع والله لئن خرج علينا خارج لنقتلنه ولئن استيقنا ان قوما يريدون الخروج علينا لنأخذن الوالد بولده والمولود بوالده ولنأخذن الحميم بالحميم والعريف بمافى عرافته حتى يدينوا للحق ويذلوا للطاعة فوثب اليه المسيب بن نجبة فقطع عليه منطقه ثم قال يا ابن الناكثين أنت تهددنا بسيفك وغشمك أنت والله أذل من ذلك انا لا نلومك على بغضنا وقد قتلنا أباك وجدك والله انى لأرجو ان لا يخرجك الله من بين ظهرانى أهل هذا المصر حتى يثلثوا بك جدك وأباك وأما أنت أيها الامير فقد قلت قولا سديدا والله انى لأظن من يريد هذا الأمر مستنصحا لك وقابلا قولك فقال ابراهيم بن محمد بن طلحة أى والله ليقتلن وقد أدهن ثم أعلن فقام اليه عبد الله بن وال التيمى فقال ما اعتراضك يا أخا بنى تيم بن مرة فيما بيننا وبين أميرنا فوالله ما أنت علينا بأمير ولا لك علينا سلطان انما أنت أمير الجزية فأقبل على خراجك فلعمر الله لئن كنت مفسدا أما أفسد أمر هذه الأمة الا والدك وجدك الناكثان فكانت بهما اليدان وكانت عليهما دائرة السوء قال ثم أقبل مسيب بن نجبة وعبد الله بن وال على عبد الله بن يزيد فقالا امار أيك أيها الأمير فوالله انا لنرجو أن تكون به عند العامة محمودا وان تكون عند الذى عنيت واعتريت مقبولا فغضب أناس من عمال ابراهيم بن محمد بن طلحة وجماعة ممن كان معه فتشاتموا دونه فشتمهم الناس وخصموهم * فلما سمع ذلك عبد الله بن يزيد نزل ودخل وانطلق ابراهيم بن محمد وهو يقول قد داهن عبد الله بن يزيد أهل الكوفة والله لأكتبن بذلك الى عبد الله بن الزبير فأتى شبث بن ربعى التيمى

عبد الله بن يزيد فأخبره بذلك فركب به وبيزيد بن الحارث بن رُوَيم حتى دخل على ابراهيم بن محمد بن طلحة فحلف له بالله ما أردت بالقول الذى سمعت الا العافية وصلاح ذات البين انما أتانى يزيد بن الحارث بكذا وكذا فرأيت ان أقوم فيهم بما سمعت ارادة أن لا تختلف الكلمة ولا تتفرق الإلفة وألا تقع بأس هؤلاء القوم بينهم فعذره وقبل منه قال ثم ان أصحاب سليمان بن صرد حرجوا ينشرون السلاح ظاهرين وبه يتجهّزون يجاهرون بجهازهم وما يصلحهم ﴿وفى هذه السنة﴾ فارق عبد الله بن الزبير الخوارج الذين كانوا قد موا عليه مكة فقاتلوا معه حصين بن نمير السكونى فصاروا الى البصرة ثم افترقت كلمتهم فصاروا احزابا

﴿ذكر الخبر عن فراقهم ابن الزبير والسبب الذى من أجله فارقوه والذى من أجله افترقت كلمتهم﴾

حدثت عن هشام بن محمد الكلبى عن أبى مخنف لوط بن يحيى قال حدثنى أبو المخارق الراسبى قال لما ركب ابن زياد من الخوارج بعد قتل أبى بلال ما ركب وقد كان قبل ذلك لا يكفّ عنهم ولا يستبقيهم غير انه بعد قتل أبى بلال تجرّد لاستئصالهم وهلاكهم واجتمعت الخوارج حين ثاروا بابن الزبير بمكة وسار اليه أهل الشأم فتذاكروا ما أتى اليهم فقال لهم نافع ابن الأزرق ان الله قد أنزل عليكم الكتاب وفرض عليكم فيه الجهاد واحتج عليكم بالبيان وقد جرّد فيكم السيوف أهل الظلم وأولو العدى والغشم وهذا من قد ثار بمكة فاخرجوا بنا نأت البيت ونلق هذا الرجل فإن يكن على رأينا جاهدنا معه العدو وان يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا ونظرنا بعد ذلك فى أمورنا فخرجوا حتى قدموا على عبد الله بن الزبير فسرّ بمقدمهم ونبأهم انه على رأيهم وأعطاهم الرضا من غير توقف ولا تفتيش فقاتلوا معه حتى مات يزيد بن معاوية وانصرف أهل الشأم عن مكة ثم ان القوم لقى بعضهم بعضا فقالوا ان هذا الذى صنعتم أمس بغير رأى ولا صواب من الامر تقاتلون مع رجل لا تدرون لعله ليس على رأيكم انما كان أمس يقاتلكم هو وأبوه ينادى يال ثارات عثمان فأتوه وسلوه عن عثمان فإن برئ منه كان وليّكم وان أبى كان عدوّكم فشوا نحوه فقالوا له أيها الإنسان انا قد قاتلنا معك ولم نفتشك عن رأيك حتى نعلم أمنّا أنت أم من عدونا حبّرنا ما مقالتك فى عثمان فنظر فاذا من حوله من أصحابه قليل فقال لهم انكم أنيتمونى فصادفتمونى حين أردت القيام ولكن روحوا الىّ العشيّة حتى أعلمكم من ذلك الذى تريدون فانصرفوا وبعث الى أصحابه فقال البسوا السلاح واحضرونى بأجمعكم العشية ففعلوا وجاءت الخوارج وقد أقام أصحابه حوله سماطين عليهم السلاح وقامت جماعة منهم عظيمة على رأسه بايديهم الاعمدة فقال ابن الازرق لاصحابه خشى الرجل غائلتكم وقد أزمع بخلافكم واستعدّ لكم

ماترون فدنا منه ابن الازرق فقال له يا ابن الزبير اتق الله ربك وابغض الخائن المستأثر وعاد أول من سن الضلالة وأحدث الاحداث وخالف حكم الكتاب فانك ان تفعل ذلك ترض ربك وتنج من العذاب الأليم نفسك وان تركت ذلك فأنت من الذين استمتعوا بخلاقهم واذهبوا فى الحياة الدنيا طيباتهم يا عبيدة بن هلال صف لهذا الانسان ومن معه أمرنا الذى نحن عليه والذى ندعو الناس اليه فتقدم عبيدة بن هلال (قال هشام) قال أبو مخنف وحدثنى أبو علقمة الخثعمى عن أبى قبيصة بن عبد الرحمن القحافى من خثعم قال أنا والله شاهد عبيدة بن هلال اذ تقدم فتكلم فما سمعت ناطقا قط ينطق كان أبلغ ولا أصوب قولا منه وكان يرى رأى الخوارج قال وان كان ليجمع القول الكثير فى المعنى الخطير فى اللفظ اليسير قال فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو الى عبادة الله وإخلاص الدين فدعا الى ذلك فأجابه المسلمون فعمل فيهم بكتاب الله وأمره حتى قبضه الله اليه صلى الله عليه واستخلف الناس أبا بكر واستخلف أبو بكر عمر فكلاهما عمل بالكتاب وسنة رسول الله فالحمد لله رب العالمين ثم ان الناس استخلفوا عثمان ابن عفان فحمى الاحماء فآثر القربى واستعمل الفتى ورفع الدرة ووضع السوط ومزق الكتاب وحقر المسلم وضرب منكرى الجور وآوى طريد الرسول صلى الله عليه وضرب السابقين بالفضل وسيرهم وحرمهم ثم أخذ فى الله الذى أغاثه عليهم فقسمه بين فساق قريش ومجان العرب فسارت اليه طائفة من المسلمين أخذ الله ميثاقهم على طاعته لا يبالون فى الله لومة لائم فقتلوه فنحن لهم أولياء ومن ابن عفان وأوليائه برآء فما تقول أنت يا ابن الزبير قال فحمد الله ابن الزبير وأثنى عليه ثم قال أما بعد فقد فهمت الذى ذكرتم وذكرت به النبى صلى الله عليه وسلم فهو كما قلت صلى الله عليه وفوق ما وصفته وفهمت ما ذكرت به أبا بكر وعمر وقد وفقت وأصبت وقد فهمت الذى ذكرت به عثمان بن عفان رحمة الله عليه وانى لا أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم أعلم بابن عفان وأمره منى كنت معه حيث نقم القوم عليه واستعتبوه فلم يدع شيأ استعتبه القوم فيه الا أعتبهم منه ثم انهم رجعوا اليه بكتاب له يزعمون انه كتبه فيهم بأمر فيه بقتلهم فقال لهم ما كتبته فان شئتم فهاتوا بينتكم فان لم تكن حلفت لكم فوالله ما جاؤه ببينة ولا استحلفوه ولو ثبوا عليه فقتلوه وقد سمعت ما عبته به فليس كذلك بل هو لكل خير أهل وأنا أشهدكم ومن حضرانى ولى لابن عفان فى الدنيا والآخرة وولى أوليائه وعدو أعدائه قالوا فبرئ الله منك يا عدو الله قال فبرئ الله منكم يا أعداء الله وتفرق القوم فأقبل نافع بن الازرق الحنظلى وعبد الله بن صفار السعدى من بنى صريم بن مقاعس وعبد الله بن أباض أيضا من بنى صريم وحنظلة بن بيهس وبنو الماحوز عبد الله وعبيد الله والزبير من بنى سليط بن يربوع حتى أتوا البصرة وانطلق أبو طالوت من

بنى

بنى زمان بن مالك بن صعب بن على بن مالك بن بكر بن وائل وعبد الله بن ثور أبو فديك من بنى قيس بن ثعلبة وعطية بن الاسود الشكرى الى اليمامة فوثبوا باليمامة مع أبى طالوت ثم أجمعوا بعد ذلك على نجدة ابن عامر الحنفى فأما البصريون منهم فانهم قدموا البصرة وهم مجمعون على رأى أبى بلال (قال هشام) قال أبو مخنف لوط بن يحيى فحدثنى أبو المثنى عن رجل من اخوانه من أهل البصرة انهم اجتمعوا فقالت العامة منهم لو خرج منا خارجون فى سبيل الله فقد كانت منا فترة منذ خرج أصحابنا فيقوم علماؤنا فى الارض فيكونون مصابيح الناس يدعونهم الى الدين ويخرج أهل الورع والاجتهاد فيلحقون بالرب فيكونون شهداء مرزوقين عند الله أحياء فانتدب لهما نافع بن الازرق فاعتقد على ثلثمائة رجل فخرج وذلك عند وثوب الناس بعبيد الله بن زياد وكسر الخوارج أبواب السجون وخروجهم منها واشتغل الناس بقتال الازد وربيعة وبنى تميم وقيس فى دم مسعود بن عمرو فاغتنمت الخوارج اشتغال الناس بعضهم ببعض فتهيؤا واجتمعوا فلما خرج نافع بن الازرق تبعوه واصطلح أهل البصرة على عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب يصلى بهم وخرج ابن زياد الى الشأم واصطلحت الازد وبنو تميم فتجرد الناس للخوارج فأتبعوهم وأخافوهم حتى خرج من بقى منهم بالبصرة فلحق بابن الازرق الا قليلا منهم ممن لم يكن أراد الخروج يومه ذلك منهم عبد الله بن صفار وعبد الله بن أباض ورجال معهما على رأيهما ونظر نافع بن الازرق ورأى ان ولايته من تخلف عنه لا تنبغى وأن من تخلف عنه لانجاة له فقال لاصحابه ان الله قد أكرمكم بمخرجكم بصركم ما عمى عنه غيركم ألستم تعلمون انكم انما خرجتم تطلبون شريعته وأمره فأمر الكم فائد والكتاب الكم امام وانما تتبعون سننه وأثره فقالوا بلى فقال أليس حكمكم فى وليكم حكم النبى صلى الله عليه وسلم فى وليه وحكمكم فى عدوكم حكم النبى صلى الله عليه وسلم فى عدوه وعدوكم اليوم عدو الله وعدو النبى صلى الله عليه وسلم كما ان عدو النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ هو عدو الله وعدوكم اليوم فقالوا نعم قال فقد أنزل الله تبارك وتعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وقال لا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فقد حرم الله ولايتهم والمقام بين أظهرهم وإجازة شهادتهم وأكل ذبائحهم وقبول علم الدين عنهم ومناكحتهم ومواريثهم وقد احتج الله علينا بمعرفة هذا وحق علينا أن نعلم هذا الدين الذين خرجنا من عندهم ولا نكتم ما أنزل الله والله عز وجل يقول ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون فاستجاب له الى هذا الرأى جميع أصحابه فكتب من عبد الله نافع بن الازرق الى عبد الله بن صفار وعبد الله بن اباض ومن قبلهما من الناس سلام على أهل طاعة الله من عباد الله فان من الامر كيت وكيت فقص هذه القصة ووصف

هذه الصفة ثم بعث بالكتاب اليهما فأتيا به فقرأه عبد الله بن صفار فأخذه فوضعه خلفه فلم يقرأه على الناس خشية أن يتفرقوا ويختلفوا فقال له عبد الله بن اباض مالك لله أبوك أي شيء أصبت ان قد أصيب اخواننا أو أسر بعضهم فدفع الكتاب اليه فقرأه فقال قاتله الله أيّ رأي رأى صدق نافع بن الازرق لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأيا وحكما فيما يشير به وكانت سيرته كسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في المشركين ولكنه قد كذب وكذب فيما يقول ان القوم كفار بالنعم والاحكام وهم برآء من الشرك ولا يحل لنا الا دماؤهم وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام فقال له ابن صفار برئ الله منك فقد قصرت وبرئ الله من ابن الازرق فقد غلا برئ الله منكما جميعا وقال الآخر فبرئ الله منك ومنه وتفرق القوم واشتدت شوكة ابن الازرق وكثرت جموعه وأقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر فبعث اليه عبد الله بن الحارث مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ابن عبد مناف في أهل البصرة ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي النصف من شهر رمضان من هذه السنة كان مقدم المختار بن أبي عبيد الكوفة

﴿ذكر الخبر عن سبب مقدمه اليها﴾

وتعبيه (قال هشام بن محمد الكلبي) قال أبو مخنف قال النضر بن صالح كانت الشيعة تشتم المختار وتعتبه لما كان منه في أمر الحسن بن علي يوم طعن في مظلم ساباط فحمل الى أبيض المدائن حتى اذا كان زمن الحسين وبعث الحسين مسلم بن عقيل الى الكوفة نزل دار المختار وهي اليوم دار سلم ابن المسيب فبايعه المختار بن أبي عبيد فمن بايعه من أهل الكوفة وناصحه ودعا اليه من أطاعه حتى خرج ابن عقيل يوم خرج والمختار في قرية له بخطرنية تدعى لقفا فجاءه خبر ابن عقيل عند الظهر انه قد ظهر بالكوفة فلم يكن خروجه يوم خرج على ميعاد من أصحابه انما خرج حين قيل له ان هانئ بن عروة المرادي قد ضرب وحبس فأقبل المختار في موال له حتى انتهى الى باب الفيل بعد المغرب وقد عقد عبيد الله بن زياد لعمرو بن حريث راية على جميع الناس وأمره أن يقعد لهم في المسجد فلما كان المختار فوقف على باب الفيل مر به هانئ بن ٦٤ أبي حية الوادعي فقال للمختار ما وقوفك ههنا لا أنت مع الناس ولا أنت في رحلك قال أصبح رأيي مر تجالعظم خطيئتكم فقال له أظنك والله قاتلا نفسك ثم دخل على عمرو بن حريث فأخبره بما قال للمختار وما رد عليه المختار (قال أبو مخنف) فأخبرني النضر بن صالح عن عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي قال كنت جالسا عند عمرو بن حريث حين بلغه هانئ بن أبي حية عن المختار هذه المقالة فقال لي قم الى ابن عمك فأخبره ان صاحبه لا يدري أين هو فلا يجعلن على نفسه سبيلا فقمت لآتيه ووثب اليه زائدة بن قدامة بن مسعود فقال له يأتيك على انه آمن فقال له عمرو بن حريث امامني فهو آمن وان رقي الى الامير عبيد الله بن زياد ثم

من

من أمره أقمت له بمحضر الشهادة وشفعت له أحسن الشفاعة فقال له زائدة بن قدامة لا يكونن مع هذا ان شاء الله الا خيرا * قال عبد الرحمن فخرجت وخرج معي زائدة الى المختار فأخبرناه بمقالة ابن أبي حية وبمقالة عمرو بن حريث وناشدناه بالله أن لا يجعل على نفسه سبيلا فنزل الى ابن حريث فسلم عليه وجلس تحت رايته حتى أصبح وتذاكر الناس أمر المختار وفعله فمشى عمارة بن عقبة بن أبي معيط بذلك الى عبيد الله بن زياد فذكر له فلما ارتفع النهار فتح باب عبيد الله بن زياد وأذن للناس فدخل المختار فيمن دخل فدعاه عبيد الله فقال له أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل فقال له لم أفعل ولكني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حريث وبت معه وأصبحت فقال له عمرو صدق أصلحك الله قال فرفع القضيب فاعترض به وجه المختار فخبط به عينه فشترها وقال أولى لك أم والله لولا شهادة عمرو لك لضربت عنقك انطلقوا به الى السجن فانطلقوا به الى السجن فحبس فيه فلم يزل في السجن حتى قتل الحسين ثم ان المختار بعث الى زائدة بن قدامة فسأله أن يسير الى عبد الله بن عمر بالمدينة فيسأله أن يكتب له الى يزيد بن معاوية فيكتب الى عبيد الله بن زياد بتخلية سبيله فركب زائدة الى عبد الله بن عمر فقدم عليه فبلغه رسالة المختار وعلمت صفية أخت المختار بمحبس أخيها وهي تحت عبد الله بن عمر فبكت وجزعت فلما رأى ذلك عبد الله بن عمر كتب مع زائدة الى يزيد بن معاوية أما بعد فان عبيد الله بن زياد حبس المختار وهو صهري وأنا أحب أن يعافى ويصلح من حاله فان رأيت رحمنا الله واياك أن تكتب الى ابن زياد فتأمره بتخليته فعلت والسلام عليك فمضى زائدة على رواحله بالكتاب حتى قدم به على يزيد بالشأم فلما قرأه ضحك ثم قال يشفع أبو عبد الرحمن وأهل ذلك هو فكتب له الى ابن زياد أما بعد فخل سبيل المختار بن أبي عبيد حين تنظر في كتابي والسلام عليك فأقبل به زائدة حتى دفعه فدعا ابن زياد بالمختار فأخرجه ثم قال له قد أجلتك ثلاثا فان أدركتك بالكوفة بعدها فقد برئت منك الذمة فخرج الى رحله وقال ابن زياد والله لقد اجترأ علي زائدة حين يرحل الى أمير المؤمنين حتى يأتيني بالكتاب في تخلية رجل قد كان من شأني ان أطيل حبسه علي به فمر به عمرو بن نافع أبو عثمان كاتب لابن زياد وهو يطلب وقال له النجاء بنفسك واذكرها يد الى عندك * قال فخرج زائدة فتوارى يومه ذلك ثم انه خرج في أناس من قومه حتى أتى القعقاع بن شور الذهلي ومسلم بن عمرو الباهلي فأخذ له من ابن زياد الأمان (قال هشام) قال أبو مخنف ولما كان اليوم الثالث خرج المختار الى الحجاز قال فحدثني الصقعب بن زهير عن ابن العرق مولى لثقيف قال أقبلت من الحجاز حتى اذا كنت بالبسيطة من وراء واقصة استقبلت المختار بن أبي عبيد خارجا يريد الحجاز حين خلى سبيله ابن زياد فلما استقبلته رحبت به وعطفت اليه * فلما رأيت شترعينه استرجعت له وقلت له بعد ما توجعت له

مابال عينك صرف الله عنك السوء فقال خبط عيني ابن الزانية بالقضيب خبطة صارت الى ماترى فقلت له ماله شلت أنامله فقال المختار قتلني الله ان لم أقطع أنامله وأباجله وأعضاءه إربا إربا قال فعجبت لمقالته فقلت له ماعلمك بذلك رحمك الله فقال لي ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه قال ثم طفق يسألني عن عبد الله بن الزبير فقلت له لجأ الى البيت فقال انما أنا عائذ برب هذه البنية والناس يتعدون انه يبايع سرا ولا أراه إلا لو قد اشتدت شوكته واستكثف من الرجال الا سيظهر الخلاف قال أجل لاشك في ذلك أما إنه رجل العرب اليوم أما إنه ان يحفظ في أثري ويسمع قولي أكفه أمر الناس والا يفعل فوالله ما أنا بدون أحد من العرب يا ابن العرق ان الفتنة قد أرعدت وأبرقت وكأن قد انبعثت فوطئت في خطامها فإذا رأيت ذلك وسمعت به بمكان قد ظهرت فيه فقيل ان المختار في عصائبه من المسلمين يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطف سيد المسلمين وابن سيدها الحسين بن علي فوربك لا قتلن بقتله عدة القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكرياء عليه السلام قال فقلت له سبحان الله وهذه أعجوبة مع الأحدوثة الأولى فقال هو ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه ثم حرك راحلته فمضى ومضيت معه ساعة أدعو الله له بالسلامة وحسن الصحابة قال ثم انه وقف فاقسم علي لما انصرفت فأخذت بيده فودعته وسلمت عليه وانصرفت عنه فقلت في نفسي هذا الذي يذكر لي هذا الانسان يعني المختار مما يزعم انه كائن أشيء حدث به نفسه فوالله ما أطلع الله على الغيب أحدا وانما هو شيء يتمناه فيرى انه كائن فهو يوجب رأيه فهذا والله الرأي الشعاع فوالله ما كل ما يرى الإنسان انه كائن يكون قال فوالله ما مت حتى رأيت كل ما قاله قال فوالله لئن كان ذلك من علم ألقي اليه لقد أثبت له ولئن كان ذلك رأيا رآه وشيأ تمناه لقد كان (قال أبو مخنف) فحدثني الصقعب ابن زهير عن ابن العرق قال فحدثت بهذا الحديث للحجاج بن يوسف فضحك ثم قال لي انه كان يقول أيضا

ودافعة ذيلها * وداعية ويلها * بدجلة أو حولها

فقلت له أترى هذا شيأ كان يخترعه ويتخرصه أم هو من علم كان أوتيه فقال والله ما أدري ما هذا الذي تسألني عنه ولكن لله درة أي رجل دينا ومسعر حرب ومقارع أعداء كان (قال أبو مخنف) فحدثني أبو يوسف الأنصاري من بني الخزرج عن عباس بن سهل بن سعد قال قدم المختار علينا مكة فجاء الى عبد الله بن الزبير وأنا جالس عنده فسلم عليه فرد عليه ابن الزبير ورحب به ووسع له ثم قال حدثني عن حال الناس بالكوفة يا أبا اسحاق قال هم لسلطانهم في العلانية أولياء وفي السر أعداء فقال له ابن الزبير هذه صفة عبيد السوء اذا رأوا أربابهم خدموهم وأطاعوهم فإذا غابوا عنهم شتموهم ولعنوهم قال فجلس معنا

فعل

ساعة ثم انه قال الى ابن الزبير كأنه يسارّه فقال له ماتنتظر ابسط يدك أبايعك وأعطنا ما يُرضينا وثب على الحجاز فإن أهل الحجاز كلهم معك وقام المختار فخرج فلم يَرجع ولا ثم انى بينا أنا جالس مع ابن الزبير اذ قال لى ابن الزبير متى عهدك بالمختار بن أبى عبيد فقلت له مالى به عهد منذ رأيته عندك عاما اوّل فقال أين تراه ذهب لو كان بمكة لقد رُؤى بها بعد فقلت له انى انصرفت الى المدينة بعد اذ رأيته عندك بشهر أو شهرين فلبثت بالمدينة أشهرا ثم انى قدمت عليك فسمعت نفرا من أهل الطائف جاؤا معتمرين يزعمون انه قدم عليهم الطائف وهو يزعم انه صاحب الغضب ومُبير الجبّارين قال قاتله الله لقد انبعث كذّابا متكهّنا ان الله ان يهلك الجبارين يكن المختار أحدهم فوالله ما كان الا ريث فراغنا من منطقنا حتى عنّ لنا فى جانب المسجد فقال ابن الزبير اذ كُرّ غائبا تَرَه أين تُظنّه يهوى فقلت أظنه يريد البيت فأتى البيت فاستقبل الحجر ثم طاف بالبيت أسبوعا ثم صلى ركعتين عند الحجر ثم جلس فما لبث ان مر به رجال من معارفه من أهل الطائف وغيرهم من أهل الحجاز فجلسوا اليه واستبطأ ابن الزبير قيامه اليه فقال ما ترى شأنه لا يأتينا قلت لا أدرى وسأعلم لك علمه وقال ماشئت وكان ذلك أعجبه قال فقمت فمررت به كأنى أريد الخروج من المسجد ثم التفتُّ اليه فأقبلت نحوه ثم سلمت عليه ثم جلست اليه وأخذت بيده فقلت له أين كنت وأين بلغت بعدى أبالطائف كنت فقال لى كنت بالطائف وغير الطائف وعمس على أمره فلمّ اليه فناجيته فقلت له مثلك يغيب عن مثل ماقد اجتمع عليه أهل الشرف وبيوتات العرب من قريش والأنصار وثقيف لم يبق أهل بيت ولا قبيلة الا وقد جاء زعيمهم وعميدهم فبايع هذا الرجل فعجبا لك ولرأيك ألا تكون أتيته فبايعته وأخذت بحظك من هذا الأمر وقال لى ومار أيتنى أتيته العام الماضى فأشرت عليه بالرأى فطوى أمره دونى وانى لما رأيته استغنى عنى أحببت ان أريه انى مستغن عنه انه والله لهو أحوج الىّ منى اليه فقلت له انك كلمته بالذى كلمته وهو ظاهر فى المسجد وهذا الكلام لا ينبغى أن يكون الا والستور دونه مرخاة والابواب دونه مغلقة القه الليلة ان شئت وأنا معك فقال لى فانى فاعل اذا صلينا العتمة أتيناه واتعدنا الحجر قال فنهضت من عنده فخرجت ثم رجعت الى ابن الزبير فأخبرته بما كان من قولى وقوله فسر بذلك * فلما صلينا العتمة التقينا بالحجر ثم خرجنا حتى أتينا منزل ابن الزبير فاستأذنّا عليه فأذن لنا فقلت أخليكما فقالا جميعا لا يسرّ دونك فجلست فإذا ابن الزبير قد أخذ بيده فصافحه ورحب به فسأله عن حاله وأهل بيته وسكتا جميعا غير طويل فقال له المختار وأنا أسمع بعد ان تبدّأ فى أول منطقه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انه لا خير فى الإكثار من المنطق ولا فى التقصير عن الحاجة انى قد جئتك لأبايعك على ان لا تقضى الأمور دونى وعلى ان أكون فى أوّل من تأذن له وإذا ظهرت

استعنت بي على أفضل عملك فقال له ابن الزبير أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال وشر غلماني أنت مبايعه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مالي في هذا الامر من الحظ ماليس لأقصى الخلق منك لا والله لا أبايعك أبدا الا على هذه الخصال قال عباس بن سهل فالتفت اذن ابن الزبير فقلت له اشترط منه دينه حتى ترى من رأيك فقال له ابن الزبير فإن لك ما سألته فبسط يده فبايعه ومكث معه حتى شاهد الحصار الاول حين قدم الحصين بن نمير السكوني مكة فقاتل في ذلك اليوم فكان من أحسن الناس يومئذ بلاء وأعظمهم غناء * فلما قتل المنذر بن الزبير والمسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري نادى المختار يا أهل الاسلام الى أنا ابن أبي عبيد بن مسعود وأنا ابن الكرار لا الفرار أنا ابن المقدمين غير المحجمين الى يا أهل الحفاظ وحماة الأوتار فحمي الناس يومئذ وأبلى وقاتل قتالا حسنا ثم أقام مع ابن الزبير في ذلك الحصار حتى كان يوم أحرق البيت فإنه أحرق يوم السبت لثلاث مضين من شهر ربيع الاول سنة ٦٤ فقاتل المختار يومئذ في عصابة معه نحو من ثلثمائة أحسن قتال قاتله أحد من الناس ان كان ليقاتل حتى يتبلد ثم يجلس ويحيط به أصحابه فاذا استراح نهض فقاتل فما كان يتوجه نحو طائفة من أهل الشأم الا ضاربهم حتى يكشفهم (قال أبو مخنف) فحدثني أبو يوسف محمد ابن ثابط عن عباس بن سهل بن سعد قال تولى قتال أهل الشأم يوم تحريق الكعبة عبد الله ابن مطيع وأنا والمختار قال فما كان فينا يومئذ رجل أحسن بلاء من المختار قال وقاتل قبل أن يطلع أهل الشأم على موت يزيد بن معاوية بيوم قتالا شديدا وذلك يوم الأحد لخمس عشرة ليلة مضت من ربيع الآخر سنة ٦٤ وكان أهل الشأم قد رجوا أن يظفروا بنا وأخذوا علينا سكك مكة قال وخرج ابن الزبير فبايعه رجال كثير على الموت قال فخرجت في عصابة معي أقاتل في جانب والمختار في عصابة أخرى يقاتل في جمعية من أهل اليمامة في جانب وهم خوارج وانما قاتلوا اليد فعوا عن البيت فهم في جانب وعبد الله بن المطيع في جانب قال فشد أهل الشأم علي فحازوني في أصحابي حتى اجتمعت أنا والمختار وأصحابه في مكان واحد فلم أكن أصنع شيأ الا صنع مثله ولا يصنع شيأ الا تكلفت أن أصنع مثله فما رأيت أشد منه قط قال فإنا لنقاتل اذ شدت علينا رجال وخيل من خيل أهل الشأم فاضطرونا واياه في نحو من سبعين رجلا من أهل الصبر الى جانب دار من دور أهل مكة فقاتلهم المختار يومئذ وأحد يقول رجل لرجل ولا وألت نفس امرئ يفر قال فخرج المختار وخرجت معه فقلت ليخرج منكم الى رجل فخرج الى رجل واليه رجل آخر فمشيت الى صاحبي فأقتله ومشى المختار الى صاحبه فقتله ثم صحنا بأصحابنا وشددنا عليهم فوالله لضربناهم حتى أخرجناهم من السكك كلها ثم رجعنا الى صاحبينا اللذين

قتلنا

قتلنا. قال فاذا الذى قتلت رجل أحمر شديد الحمرة كأنه رومى واذا الذى قتل المختار رجل أسود شديد السواد فقال لى المختار تعلم والله انى لأظن قتيلينا هذين عبدين ولو أن هذين قتلانا لفجع بنا عشائرنا ومن يرجونا وما هذان وكلبان من الكلاب عندى إلا سواء ولا أخرج بعد يومى هذا لرجل أبدا إلا لرجل أعرفه فقلت له وأنا والله لا أخرج إلا لرجل أعرفه وأقام المختار مع ابن الزبير حتى هلك يزيد بن معاوية وانقضى الحصار ورجع أهل الشأم الى الشأم واصطلح أهل الكوفة على عامر بن مسعود بعد ما هلك يزيد يصلى بهم حتى يجتمع الناس على امام يرضونه فلم يلبث عامر الا شهرا حتى بعث ببيعته وبيعة أهل الكوفة الى ابن الزبير وأقام المختار مع ابن الزبير خمسة أشهر بعد مهلك يزيد وأياما (قال أبو مخنف) فحدثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال والله انى لمع عبد الله بن الزبير ومعه عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف ونحن نطوف بالبيت اذ نظر ابن الزبير فاذا هو بالمختار فقال لابن صفوان انظر اليه فوالله لهو أحذر من ذئب قد أطافت به السباع قال فمضى ومضينا معه فلما قضينا طوافنا وصلينا الركعتين بعد الطواف لحقنا المختار فقال لابن صفوان ما الذى ذكرنى به ابن الزبير قال فكتمه وقال لم يذكرك الا بخير قال بلى ورب هذه البنية ان كنت لمن شأنكما أما والله لأخطن فى أثرى أولا قدنها عليه سعرا فأقام معه خمسة أشهر فلما رآه لا يستعمله جعل لا يقدم عليه أحد من الكوفة الا سأله عن حال الناس وهيئتهم (قال أبو مخنف) فحدثنى عطية بن الحارث أبو روق الهمدانى ان هانئ بن أبى حية الوادعى قدم مكة يريد عمرة رمضان فسأله المختار عن حاله وحال الناس بالكوفة وهيئتهم فأخبره عنهم بصلاح واتساق على طاعة ابن الزبير الا ان طائفة من الناس اليهم عدد أهل مصر لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض الى يوم ما فقال له المختار أنا أبو اسحاق أنا والله لهم أنا أجمعهم على مر الحق وأنفى بهم ركبان الباطل وأقتل بهم كل جبار عنيد فقال له هانئ بن أبى حية ويحك يا ابن أبى عبيد ان استطعت ألا تضع فى الضلال ليكن صاحبهم غيرك فان صاحب الفتنة أقرب شئ أجلا وأسوأ الناس عملا فقال له المختار انى لا أدعو الى الفتنة انما أدعو الى الهدى والجماعة ثم وثب فخرج وركب راحلته فأقبل نحو الكوفة حتى اذا كان بالقرعاء لقيه سلمة بن مرثد أخو بنت مرثد القابضى من همدان وكان من أشجع العرب وكان ناسكا فلما التقيا تصافحا وتساءلا فخبره المختار خبر الحجاز ثم قال لسلمة بن مرثد حدثنى عن الناس بالكوفة قال هم كغنم ضل راعيها فقال المختار بن أبى عبيد أنا الذى أحسن رعايتها وأبلغ نهايتها فقال له سلمة اتق الله واعلم انك ميت ومبعوث ومحاسب ومجزى بعملك ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم افترقا وأقبل المختار حتى انتهى الى بحر الحيرة

يوم الجمعة فنزل فاغتسل فيه وادّهن دُهنا يسيرا ولبس ثيابه واعتمّ وتقلد سيفه ثم ركب راحلته فمرّ بمسجد السَّكُون وجبّانة كندة لا يمر بمجلس الا سلم على أهله وقال ابشروا بالنصر والفلج أتاكم ما تحبون وأقبل حتى مر بمسجد بني ذُهل وبني حُجر فلم يجد ثم أحدا ووجد الناس قد راحوا الى الجمعة فأقبل حتى مر ببني بدّاء فوجد عبيدة بن عمرو البدّي من كندة فسلم عليه ثم قال ابشر بالنصر واليُسر والفلج انك أبا عمرو على رأي حسن لن يدع الله لك معه مأثما الا غفره ولا ذنبا الا ستره قال وكان عبيدة من أشجع الناس وأشعرهم وأشدهم حبا لعلي رضى الله عنه وكان لا يصبر عن الشراب فلما قال له المختار هذا القول قال له عبيدة بشّرك الله بخير انك قد بشرتنا فهل أنت مفسّر لنا قال نعم فالقني في الرحل الليلة ثم مضى (قال أبو مخنف) فحدثني فضيل بن خُدَيج عن عبيدة بن عمرو قال قال لي المختار هذه المقالة ثم قال لي القني في الرحل وبلغ أهل مسجدكم هذا أعني انهم قومٌ أخذ الله ميثاقهم على طاعته يقتلون المُحلين ويطلبون بدماء أولاد النبيين ويهديهم للنُّور المبين ثم مضى فقال لي كيف الطريق الى بني هند فقلت له انظرني أدلك فدعوت بفرسي وقد أسرج لي فركبته قال ومضيت معه الى بني هند فقال دلني على منزل اسماعيل بن كثير قال فمضيت به الى منزله فاستخرجته فحيّاه ورحّب به وصافحه وبشّره وقال له القني أنت وأخوك الليلة وأبو عمرو وفاني قد أتيتكم بكل ما تحبون قال ثم مضى ومضينا معه حتى مر بمسجد جُهينة الباطنة ثم مضى الى باب الفيل فأناخ راحلته ثم دخل المسجد واستشرف له الناس وقالوا هذا المختار قد قدم فقام المختار الى جنب سارية من سواري المسجد فصلى عندها حتى أقيمت الصلاة فصلى مع الناس ثم ركد الى سارية أخرى فصلى ما بين الجمعة والعصر فلما صلى العصر مع الناس انصرف (قال أبو مخنف) فحدثني المجالد بن سعيد عن عامر الشعبي ان المختار مرّ على حلقة همدان وعليه ثياب السفر فقال ابشروا فاني قد قدمت عليكم بما يسركم ومضى حتى نزل داره وهي الدار التي تُدعى دار سلم بن المسيب وكانت الشيعة تختلف اليها واليه فيها (قال أبو مخنف) فحدثني فضيل بن خديج عن عبيدة بن عمرو واسماعيل بن كثير من بني هند قالا أتيناه من الليل كما وعدنا فلما دخلنا عليه وجلسنا ساءلنا عن أمر الناس وعن حال الشيعة فقلنا له ان الشيعة قد اجتمعت لسليمان ابن صرد الخزاعي وانه لن يلبث الا يسيرا حتى يخرج قال فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان المهدي ابن الوصي محمد بن علي بعثني اليكم أميرا ووزيرا ومنتخبا وأميرا وأمرني بقتال الملحدين والطلب بدماء أهل بيته والدفع عن الضعفاء (قال أبو مخنف) قال فضيل بن خديج فحدثني عبيدة بن عمرو واسماعيل بن كثير انهما كانا أول خلق الله اجابة وضرب على يده وبايعاه قال وأقبل المختار يبعث الى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمان بن صرد فيقول لهم اني قد جئتكم من قبل ولي الامر ومعدن الفضل ووصيّ

الوصيّ والامام المهدى بأمر فيه الشفاء وكشف الغطاء وقتل الاعداء وتمام النّعماء ان سليمان ابن صرد يرحمنا الله واياه انما هو عشمة من العشم و - فش بال ليس بذى تجربة الامور ولا له علم بالحروب انما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم انى انما أعمل على مثال قد مُثّل لى وأمر قد بُيّن لى فيه عزّ ولكم وقتل عدوكم وشفاء صدوركم فاسمعوا منى قولى وأطيعوا أمرى ثم ابشروا وتباشروا فانى لكم بكل ما تأملون خبيرٌ زعيم قال فوالله ما زال بهذا القول ونحوه حتى استمال طائفة من الشيعة وكانوا يختلفون اليه ويعظمونه وينظرون أمره وعظُم الشيعة يومئذ ورؤساؤهم مع سليمان بن صرد وهو شيخ الشيعة وأسنّهم فليس يعدلون به أحدا الا أن المختار قد استمال منهم طائفة ليسوا بالكثير فسليمان بن صرد أثقل خلق الله على المختار وقد اجتمع لابن صرد يومئذ أمره وهو يريد الخروج والمختار لا يريد أن يتحرك ولا أن يهيّج أمرا رجاء أن ينظر الى ما يصير اليه أمر سليمان رجاء أن يستجمع له أمر الشيعة فيكون أقوى له على درك ما يطلب فلما خرج سليمان بن صرد ومضى نحو الجزيرة قال عمر بن سعد ابن أبى وقّاص وشبث بن ربعيّ ويزيد بن الحارث بن رُوَيم لعبد الله بن يزيد الخطمىّ وابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله ان المختار أشد عليكم من سليمان بن صرد انّ سليمان انما خرج يقاتل عدوّكم ويذلهم لكم وقد خرج عن بلادكم وان المختار انما يريد أن يثب عليكم فى مصركم فسيروا اليه فأوثقوه فى الحديد وخلدوه فى السجن حتى يستقيم أمر الناس فخرجوا اليه فى الناس فما شعر بشى حتى أحاطوا به وبداره فاستخرجوه فلما رأى جماعتهم قال ما بالكم فوالله بُعدا ما ظفرت أكفكم قال فقال ابراهيم بن محمد بن طلحة ابن عبيد الله لعبد الله بن يزيد شدّه كتافا ومشّه حافيا فقال له عبد الله بن يزيد سبحان الله ما كنت لأمشيه ولا لأحفيه ولا كنت لافعل هذا برجل لم يظهر لنا عداوة ولا حربا وانما أخذناه على الظن فقال له ابراهيم بن محمد ليس بعُشّك فادرُجى ما أنت وما يبلغنا عنك يا ابن أبى عبيد فقال له ما الذى بلغك عنى الا باطل وأعوذ بالله من غشّ كغشّ أبيك وجدّك قال قال فضيل فوالله انى لأنظر اليه حين أخرج وأسمع هذا القول حين قال له غيرانى لا أدرى أسمعه منه ابراهيم أم لم يسمعه فسكت حين تكلم به قال وأتى المختار ببغلة دهماء يركبها فقال ابراهيم لعبد الله بن يزيد ألا نشد عليه القيود فقال كفى له بالسجن قيدا (قال أبو مخنف) وأما يحيى بن أبى عيسى فحدثنى انه قال دخلت اليه مع حميد بن مسلم الازدى نزوره ونتعاهده فرأيته مقيّدا قال فسمعته يقول أما ورب البحار والنخيل والاشجار والمهامه والقفار والملائكة الابرار والمصطفين الاخيار لأقتلنّ كلّ جبار بكل لدن خطار ومهنّد بتار فى جموع من الانصار ليسوا بميل أغمار ولا بعزل أشرار - حتى اذا أقمتُ عمود الدين ورأيتُ شعب صدع المسلمين وشفيتُ غليل صدور المؤمنين وأدركتُ بثأر

النبيين لم يكبر على زوال الدنيا ولم أحفل بالموت اذا أتى قال فكان اذا أتيناه وهو في السجن ردد علينا هذا القول حتى خرج منه قال وكان يتشجع لاصحابه بعد ما خرج ابن صرد ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبة وكانت قد مال حيطانها مما رميت به من حجارة المجانيق فذكر محمد بن عمر الواقدي ان ابراهيم بن موسى حدثه عن عكرمة بن خالد قال هدم ابن الزبير البيت حتى سواه بالارض وحفر أساسه وأدخل الحجر فيه وكان الناس يطوفون من وراء الاساس ويصلون الى موضعه وجعل الركن الاسود عنده في تابوت في سرقة من حرير وجعل ما كان من حلي البيت وما وجد فيه من ثياب أو طيب عند الحجبة في خزانة البيت حتى أعادها لما أعاد بناءه * قال محمد بن عمر وحدثني معقل ابن عبد الله عن عطاء قال رأيت ابن الزبير هدم البيت كله حتى وضعه بالارض ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله على مدينة فيها أخوه عبيدة بن الزبير وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي وعلى قضائها سعد بن نمران وأبى شريح أن يقضي فيها وقال فيما ذكر عنه انا لا أقضي في الفتنة وعلى البصرة عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم

﴿ثم دخلت سنة خمس وستين﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث الجليلة﴾

فمن ذلك ما كان من أمر التوابين وشخوصهم للطلب بدم الحسين بن علي الى عبيد الله بن زياد (قال هشام) قال أبو مخنف حدثني أبو يوسف عن عبد الله بن عوف الاحمري قال بعث سليمان بن صرد الى وجوه أصحابه حين أراد الشخوص وذلك في سنة ٦٥ فأتوه فلما استهل الهلال هلال شهر ربيع الآخر خرج في وجوه أصحابه وقد كان واعد أصحابه عامة للخروج في تلك الليلة لمعسكر بالنخيلة فخرج حتى أتى عسكره فدار في الناس ووجوه أصحابه فلم يعجبه عدة الناس فبعث حكيم بن منقذ الكندي في خيل وبعث الوليد بن عُصَين الكناني في خيل وقال اذهبا حتى تدخلا الكوفة فناديا يا لثارات الحسين وابلغا المسجد الاعظم فناديا بذلك فخرجا وكانا أول خلق الله دعوا يا لثارات الحسين قال فأقبل حكيم بن منقذ الكندي في خيل والوليد بن غضين في خيل حتى مرا ببني كثير وان رجلا من بني كثير من الازد يقال له عبد الله بن خازم مع امرأته سهلة بنت سبرة بن عمرو من بني كثير وكانت من أجمل الناس وأحبهم اليه سمع الصوت يا لثارات الحسين وما هو ممن كان يأتيهم ولا استجاب لهم فوثب الى ثيابه فلبسها ودعا بسلاحه وأمر بسراجه فرس فقالت له امرأته ويحك أجننت قال لا والله ولكني سمعت داعي الله فأنا مجيبه أنا طالب بدم هذا الرجل حتى أموت أو يقضي الله من أمري ما هو أحب اليه فقالت له الى من تدع بنيك هذا قال الى الله وحده لا شريك له

اللهم انى أستودعك أهلى وولدى اللهم احفظنى فيهم وكان ابنه ذلك يدعى عزرة فبقى حتى قتل بعد مع مصعب بن الزبير وخرج حتى لحق بهم فقعدت امرأته تبكيه واجتمع اليها نساؤها ومضى مع القوم وطافت تلك الليلة الخيل بالكوفة حتى جاؤا المسجد بعد العتمة وفيه ناس كثير يصلون فنادوا يا لثارات الحسين وفيهم أبو عزرة القابضى وكرب بن نمران يصلى فقال يا لثارات الحسين أين جماعة القوم قيل بالنخيلة فخرج حتى أتى أهله فأخذ سلاحه ودعا بفرسه ليركبه فجاءته ابنته الرواع وكانت تحت ثبيت بن مرثد القابضى فقالت يا أبت مالى أراك قد تقلدت سيفك ولبست سلاحك فقال لها يا بنية ان أباك يفر من ذنبه الى ربه فأخذت تنتحب وتبكى وجاء اصهاره وبنو عمه فودعهم ثم خرج فلحق بالقوم قال فلم يصبح سليمان بن صرد حتى أتاه نحو ممن كان فى عسكره حين دخله قال ثم دعا بديوانه لينظر فيه الى عدة من بايعه حين أصبح فوجدهم ستة عشر ألفا فقال سبحان الله ما وافانا الا أربعة آلاف من ستة عشر ألفا (قال أبو مخنف) عن عطية بن الحارث عن حميد بن مسلم قال قلت لسليمان ابن صرد ان المختار والله يثبط الناس عنك انى كنت عنده أول ثلاث فسمعت نفرا من أصحابه يقولون قد كملنا ألفى رجل فقال وهب ان ذلك كان فأقام عنا عشرة آلاف أما هؤلاء بمؤمنين أما يخافون الله أما يذكرون الله وما أعطونا من أنفسهم من العهود والمواثيق ليجاهدن ولينصرن فأقام بالنخيلة ثلاثا يبعث ثقاته من أصحابه الى من تخلف عنه يذكرهم الله وما أعطوه من أنفسهم فخرج اليه نحو من ألف رجل فقام المسيب بن نجبة الى سليمان ابن صرد فقال رحمك الله انه لا ينفعك الكاره ولا يقاتل معك الا من أخرجته النية فلا تنتظرن أحدا واكمش فى أمرك قال فانك والله لنعم المار أيت فقام سليمان بن صرد فى الناس متوكئا على قوس له عربية فقال أيها الناس من كان انما أخرجته ارادة وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه فرحمة الله عليه حيا وميتا ومن كان انما يريد الدنيا وحرثها فوالله ما أتى فيأ نستفيئه ولا غنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله رب العالمين وما معنا من ذهب ولا فضة ولا خز ولا حرير وما هو الا سيوفنا فى عواتقنا ورماحنا فى أكفنا وزاد قدر البلغة الى لقاء عدونا فمن كان غير هذا ينوى فلا يصحبنا فقام صخير بن حذيفة بن هلال ابن مالك المزنى فقال أتاك الله رشدك ولقاك حجتك والله الذى لا اله غيره ما لناخير فى صحبة من الدنيا همته ونيته أيها الناس انما أخرجتنا التوبة من ذنبنا والطلب بدم ابن ابنة نبينا صلى الله عليه وسلم ليس معنا دينار ولا درهم انما نقدم على حد السيوف وأطراف الرماح فتنادى الناس من كل جانب انا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا (قال أبو مخنف) عن اسماعيل بن يزيد الازدى عن السرى بن كعب الازدى قال أتينا صاحبنا عبد الله بن سعد بن نفيل نودعه قال فقام فقمنا معه فدخل على سليمان ودخلنا معه وقد

أجمع سليمان بالمسير فأشار عليه عبد الله بن سعد بن نفيل أن يسير الى عبيد الله بن زياد فقال هو ورؤس أصحابه الرأى ما أشار به عبد الله بن سعد بن نفيل أن نسير الى عبيد الله بن زياد قاتل صاحبنا ومن قبله أتينا فقال له عبد الله بن سعد وعنده رؤس أصحابه جلوس حوله انى قد رأيت رأيا ان يكن صوابا فالله وفق وان يكن ليس بصواب فمن قبلى فانى ما آلوكم ونفسى نصحا خطأ كان أم صوابا انما خرجنا نطلب بدم الحسين وقتلة الحسين كلهم بالكوفة منهم عمر بن سعد بن أبى وقاص ورؤس الارباع وأشراف القبائل فأنى نذهب ههنا وندع الاقتال والاوتار فقال سليمان بن صرد قد أشار عليكم عبد الله بن سعد فقالوا والله لقد جاء برأى وان ماذكر لكما ذكر والله ما نلقى من قتلة الحسين ان نحن مضينا نحو الشأم غير ابن زياد وما طلبتنا الا ههنا بالمصر فقال سليمان بن صرد لكن أنا ما أرى ذلك لكم ان الذى قتل صاحبكم وعبى الجنود اليه وقال لا أمان له عندى دون أن يستسلم فأمضى فيه حكمى هذا الفاسق ابن الفاسق ابن مرجانة عبيد الله بن زياد فسيروا الى عدوكم على اسم الله فان يظهركم الله عليه رجونا أن يكون من بعده أهون شوكة منه ورجونا أن يدين لكم من وراءكم من أهل مصركم فى عافية فتنظرون الى كل من شرك فى دم الحسين فتقاتلونه ولا تغشموا وان تستشهدوا فانما قاتلتم المحلين وما عند الله خير الأبرار والصديقين انى لأحب أن تجعلوا حدكم وشوكتكم بأول المحلين القاسطين والله لو قاتلتم غدا أهل مصركم ما عدم رجل أن يرى رجلا قد قتل أخاه وأباه وحميمه أو رجلا لم يكن يريد قتله فاستخيروا الله وسيروا فتهيأ الناس للشخوص قال وبلغ عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة خروج ابن صرد وأصحابه فنظرا فى أمرهما فرأيا أن يأتياهم فيعرضا عليهم الاقامة وأن تكون أيديهم واحدة فان أبوا الا الشخوص سألوهم النظرة حتى يعبوا معهم جيشا فيقاتلوا عدوهم بكثف وحد فبعث عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة سويد بن عبد الرحمن الى سليمان بن صرد فقال له ان عبد الله وابراهيم يقولان انا نريد أن نجيئك الآن لامر عسى الله أن يجعل لنا ولك فيه صلاحا فقال قل لهما فليأتيانا وقال سليمان لرفاعة بن شداد البجلى قم أنت فأحسن تعبية الناس فان هذين الرجلين قد بعثا بكيت وكيت فدعا رؤس أصحابه فجلسوا حوله فلم يمكثوا الا ساعة حتى جاء عبد الله بن يزيد فى أشراف أهل الكوفة والشرط وكثير من المقاتلة وابراهيم بن محمد بن طلحة فى جماعة من أصحابه فقال عبد الله بن يزيد لكل رجل معروف قد علم انه قد شرك فى دم الحسين لا تصحبنى اليهم مخافة أن ينظروا اليه فيعدوا عليه وكان عمر بن سعد تلك الايام التى كان سليمان معسكرا فيها بالنخيلة لا يبيت الا فى قصر الامارة مع عبد الله بن يزيد مخافة أن يأتيه القوم فى داره ويذمروا عليه فى بيته وهو غافل لا يعلم فيقتل وقال عبد الله بن يزيد يا عمرو بن حريث ان أنا أبطأت عنك فصل بالناس

الظهر

الظهر فلما انتهى عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد الى سليمان بن صرد دخلا عليه فحمد الله عبد الله بن يزيد وأثنى عليه ثم قال ان المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يغشه وأنتم اخواننا وأهل بلدنا وأحب أهل مصر خلقه الله الينا فلا تفجعونا بأنفسكم ولا تستبدوا علينا برأيكم ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا أقيموا معنا حتى نتيسر ونتهيأ فاذا علمنا ان عدونا قد شارف بلدنا خرجنا اليهم بجماعتنا فقاتلناهم وتكلم ابراهيم بن محمد بنحو من هذا الكلام قال فحمد الله سليمان بن صرد وأثنى عليه ثم قال لهما انى قد علمت انكما قد محضتما فى النصيحة واجتهدتما في المشورة فنحن بالله وله وقد خرجنا لأمر ونحن نسأل الله العزيمة على الرشد والتسديد لأصوبه ولا ترانا الا شاخصين ان شاء الله ذلك فقال عبد الله بن يزيد فأقيموا حتى نعبئ معكم جيشا كثيفا فتلقوا عدوكم بكثف وجمع وحد فقال له سليمان تنصرفون ونرى فيما بيننا وسيأتيكم ان شاء الله رأى (قال أبو مخنف) عن عبد الجبار يعنى ابن عباس الهمدانى عن عون بن أبى جحيفة السوائى قال ثم ان عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة عرضا على سليمان أن يقيم معهما حتى يلقوا جموع أهل الشأم على أن يخصاه وأصحابه بخراج جوخى خاصة لهم دون الناس فقال لهما سليمان انا ليس للدنيا خرجنا وانما فعلا ذلك لما قد كان بلغهما من اقبال عبيد الله بن زياد نحو العراق وانصرف ابراهيم بن محمد وعبد الله بن يزيد الى الكوفة وأجمع القوم على الشخوص واستقبال ابن زياد ونظروا فاذا شيعتهم من أهل البصرة لم يوافوهم لميعادهم ولا أهل المدائن فأقبل ناس من أصحابه يلومونهم فقال سليمان لا تلوموهم فانى لا أراهم الا سيسرعون اليكم لوقد انتهى اليهم خبركم وحين مسيركم ولا أراهم خلفهم ولا أقعدهم الا قلة النفقة وسوء العدة فأقيموا اليتيسروا ويتجهزوا ويلحقوا بكم وبهم قوة وما أسرع القوم في آثاركم قال ثم ان سليمان بن صرد قام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فان الله قد علم ما تنوون وما خرجتم تطلبون وان للدنيا تجارا وللآخرة تجارا فأما تاجر الآخرة فساع اليها منتصب بتطلابها لا يشترى بها ثمنا لا يرى الا قائما وقاعدا وراكعا وساجدا لا يطلب ذهبا ولا فضة ولا دنيا ولا لذة وأما تاجر الدنيا فمكب عليها راتع فيها لا يبتغى بها بدلا فعليكم يرحمكم الله في وجهكم هذا بطول الصلاة فى جوف الليل وبذكر الله كثيرا على كل حال وتقربوا الى الله جل ذكره بكل خير قدرتم عليه حتى تلقوا هذا العدو المحل القاسط فتجاهدوه فانكم لن تتوسلوا الى ربكم بشىء هو أعظم عنده ثوابا من الجهاد والصلاة فان الجهاد سنام العمل جعلنا الله وإياكم من العباد الصالحين المجاهدين الصابرين على اللأواء وانا مدلجون الليلة من منزلنا هذا ان شاء الله فادلجوا فادلج عشية الجمعة لخمس مضين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٥ للهجرة قال فلما خرج

سليمان وأصحابه من النخيلة دعا سليمان بن صرد حكيم بن منقذ فنادى في الناس ألا لا يبيتن رجل منكم دون دير الأعور فبات الناس بدير الاعور وتخلف عنه ناس كثير ثم سار حتى نزل الأقساس أقساس مالك على شاطئ الفرات فعرض الناس فسقط منهم نحو من ألف رجل فقال ابن صرد ما أحب أن من تخلف عنكم معكم ولو خرجوا معكم ما زادوكم إلا خبالا ان الله عز وجل كره انبعاثهم فثبطهم وخصكم بفضل ذلك فاحمدوا ربكم ثم خرج من منزله ذلك دلجة فصبحوا قبر الحسين فأقاموا به ليلة ويوما يصلون عليه ويستغفرون له قال فلما انتهى الناس الى قبر الحسين صاحوا صيحة واحدة وبكوا فما رئي يوم كان أكثر باكيا منه (قال أبو مخنف) وقد حدث عبد الرحمن بن جندب عن عبد الرحمن بن غزية قال لما انتهينا الى قبر الحسين عليه السلام بكى الناس بأجمعهم وسمعت جل الناس يقولون انهم كانوا أصيبوا معه فقال سليمان اللهم ارحم حسينا الشهيد بن الشهيد المهدي بن المهدي الصديق بن الصديق اللهم انا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم وأولياء محبيهم ثم انصرف ونزل ونزل أصحابه (قال أبو مخنف) حدثنا الاعمش قال حدثنا سلمة بن كهيل عن أبي صادق قال لما انتهى سليمان بن صرد وأصحابه الى قبر الحسين نادوا صيحة واحدة يارب انا قد خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم وارحم حسينا وأصحابه الشهداء الصديقين وإنا نشهدك يارب أنا على مثل ما قتلوا عليه فان لم تغفره لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال فأقاموا عنده يوما وليلة يصلون عليه ويبكون ويتضرعون فما انفك الناس من يومهم ذلك يترحمون عليه وعلى أصحابه حتى صلوا الغداة من الغد عند قبره وزاهم ذلك حنقا ثم ركبوا فأمر سليمان الناس بالمسير فجعل الرجل لا يمضي حتى يأتي قبر الحسين فيقوم عليه فيترحم عليه ويستغفر له قال فوالله لرأيتهم ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود قال ووقف سليمان عند قبره فكاد ما عاله قوم وترحموا عليه قال لهم المسيب بن نجبة وسليمان بن صرد الحقوا باخوانكم رحمكم الله فما زال كذلك حتى بقي نحو من ثلاثين من أصحابه فأحاط سليمان بالقبر هو وأصحابه فقال سليمان الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين اللهم اذ حرمتناها معه فلا تحرمناها فيه بعده وقال عبد الله بن وال أما والله اني لأظن حسينا وأبا وأخا أفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم وسيلة عند الله يوم القيامة أفما عجبتم لما ابتليت به هذه الأمة منهم انهم قتلوا اثنين وأشفوا بالثالث على القتل قال يقول المسيب بن نجبة فأنا من قتلتهم ومن كان على رأيهم برىء اياهم أعادي وأقاتل قال فأحسن الرؤس كلهم المنطق وكان المثنى بن مجزية صاحب أحد الرؤس والأشراف فساءني حيث لم أسمعه تكلم مع القوم بنحو ما تكلموا به قال فوالله ما لبث ان تكلم بكلمات ما كن بدون كلام أحد من القوم فقال ان الله جعل

هؤلاء الذين ذكرتم بمكانهم من نبيهم صلى الله عليه وسلم أفضل ممن هو دون نبيهم وقد قتلهم قوم نحن لهم أعداء ومنهم براء وقد خرجنا من الديار والأهلين والأموال ارادة استئصال من قتلهم فوالله لو أن القتال فيهم بمغرب الشمس أو بمنقطع التراب يحق علينا طلبه حتى نناله فان ذلك هو الغنم وهي الشهادة التي ثوابها الجنة فقلنا له صدقت وأصبت ووفقت قال ثم إن سليمان بن صرد سار من موضع قبر الحسين وسرنا معه فأخذنا على الحصاصة ثم على الأنبار ثم على الصدود ثم على القيارة (قال أبو مخنف) عن الحارث بن حصيرة وغيره ان سليمان بعث على مقدمته كريب بن يزيد الحميري (قال أبو مخنف) حدثني الحصين بن يزيد عن السري بن كعب قال خرجنا مع رجال الحي نشيعهم فلما انتهينا الى قبر الحسين وانصرف سليمان بن صرد وأصحابه عن القبر ولزموا الطريق استقدمهم عبد الله بن عوف ابن الأحمر على فرس له مهلوب كميت مربوع يتأكل تأكلا وهو يرتجز ويقول

خرجن يلمعن بنا أرسالا * عوابسا يحملننا أبطالا

نريد أن نلقى به الأقتالا * القاسطين الغدر الضلالا

وقد قضينا الأهل والأموالا * والخفرات البيض والحجالا

نرضى به ذا النعم المفضالا

(قال أبو مخنف) عن سعد بن مجاهد الطائي عن المحل بن خليفة الطائي ان عبد الله بن يزيد كتب الى سليمان بن صرد أحسبه قال بعثني به فلحقته بالقيارة واستقدم أصحابه حتى ظن ان قد سبقهم قال فوقف وأشار الى الناس فوقفوا عليه ثم أقرأهم كتابه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن يزيد الى سليمان بن صرد ومن معه من المسلمين سلام عليكم أما بعد فإن كتابي هذا اليكم كتاب ناصح ذي ارعاء وكم من ناصح مستغش وكم من غاش مستنصح محب انه بلغني انكم تريدون المسير بالعدد اليسير الى الجمع الكثير وإنه من يرد ان ينقل الجبال عن مراتبها تكل معاوله وينزع وهو مذموم العقل والفعل ياقومنا لا تطمعوا عدوكم في أهل بلادكم فإنكم خيار كلكم ومني ما يصبكم عدوكم يعلموا انكم أعلام مصركم فيطمعهم ذلك فيمن وراءكم ياقومنا انهم ان يظهروا عليكم يرجوكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا ياقوم ان أيدينا وأيديكم اليوم واحدة وان عدونا وعدوكم واحد ومتى تجمع كلمتنا نظهر على عدونا ومتى تختلف تهن شوكتنا على من خالفنا ياقوم نالا تستغشوا نصحي ولا تخالفوا أمري وأقبلوا حين يقرأ عليكم كتابي أقبل الله بكم الى طاعته وأدبر بكم عن معصيته والسلام قال فلما قرئ الكتاب على ابن صرد وأصحابه قال للناس ماترون قالوا ماذا ترى قد أبينا هذا عليكم وعليهم ونحن في مصرنا وأهلنا فالآن حين خرجنا ووطنا أنفسنا على الجهاد دونا من أرض عدونا ماهذا برأي ثم نادوه

ان أخبر نا برأيك قال رأيي والله انكم لم تكونوا قط أقرب من احدى الحسنيين منكم يومكم هذا الشهادة والفتح ولا أرى أن تنصرفوا عما جمعكم الله عليه من الحق وأردتم به من الفضل انا وهؤلاء مختلفون ان هؤلاء لو ظهروا دعونا الى الجهاد مع ابن الزبير ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالا وانا ان نحن ظهرنا رددنا هذا الأمر الى أهله وإن أصبنا فعلى نياتنا تائبين من ذنوبنا ان لنا شكلا وإن لابن الزبير شكلا انا وإياهم كما قال أخو بني كنانة

أرى لك شكلا غير شكلي فأقصري * عن اللوم اذ بدلت واختلف الشكل

قال فانصرف الناس معه حتى نزل هيت فكتب سليمان بسم الله الرحمن الرحيم للأمير عبد الله بن يزيد من سليمان بن صرد ومن معه من المؤمنين سلام عليك أما بعد فقد قرأنا كتابك وفهمنا ما نويت فنعم والله الوالي ونعم الأمير ونعم أخو العشيرة أنت والله من نأمنه بالغيب ونستنصحه في المشورة ونحمده على كل حال انا سمعنا الله عز وجل يقول في كتابه إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الى قوله وبشر المؤمنين ان القوم قد استبشروا ببيعتهم التي بايعوا اليها قد تابوا من عظيم جرمهم وقد توجهوا الى الله وتوكلوا عليه ورضوا بما قضى الله ربنا علينا توكلنا واليك أنبنا واليك المصير والسلام عليك فلما أتاه هذا الكتاب قال استمات القوم أول خبر يأتيكم عنهم قتلهم وايم الله ليقتلن كراما مسلمين ولا والذي هو ربهم لا يقتلهم عدوهم حتى تشتد شوكتهم وتكثر القتلى فيما بينهم (قال أبو مخنف) فحدثني يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الاحمر وعبد الرحمن بن جندب عن عبد الرحمن بن غزية قال خرجنا من هيت حتى انتهينا الى قرقيسيا فلما دنونا منها وقف سليمان بن صرد فعبأنا تعبية حسنة حتى مررنا بجانب قرقيسيا فنزلنا قريبا منها وبها زفر بن الحارث الكلابي قد تحصن بها من القوم ولم يخرج اليهم فبعث سليمان المسيب بن نجبة فقال ائت ابن عمك هذا فقل له فليخرج الينا سوقا فإنا لسنا اياه نريد انما صمد نا لهؤلاء المحلين فخرج المسيب بن نجبة حتى انتهى الى باب قرقيسيا فقال افتحوا ممن تحصنون فقالوا من أنت قال انا المسيب بن نجبة فأتى الهذيل بن زفر أباه فقال هذا رجل حسن الهيئة يستأذن عليك وسألناه من هو فقال المسيب بن نجبة قال وأنا اذ ذاك لا علم لي بالناس ولا أعلم أي الناس هو فقال لي أبي أما تدري أي بني من هذا هذا فارس مضر الحمراء كلها وإذا عد من أشرافها عشرة كان أحدهم وهو بعد رجل ناسك له دين ائذن له فأذنت له فأجلسه أبي الى جانبه وسائله وألطفه في المسألة فقال المسيب بن نجبة ممن تحصن انا والله ما إياكم نريد وما اعترضنا الى شيء الا أن نعيننا على هؤلاء القوم الظلمة المحلين فأخرج لنا سوقا فإنا لا نقيم بساحتكم الا يوما أو بعض يوم فقال له زفر بن الحارث انا لم

تغلق أبواب هذه المدينة الا لنعلم ايانا اعتريتم أم غيرنا والله ما بنا عجز عن الناس مالم تدهمنا حيلة وما نحب انا نلبث بقتالكم وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة حسنة جميلة ثم دعا ابنه فأمره أن يضع لهم سوقا وأمر للمسيب بألف درهم وفرس فقال له المسيب اما المال فلا حاجة لي فيه والله ماله خرجنا ولا اياه طلبنا وأما الفرس فإني أقبله لعلي أحتاج اليه إن ظلع فرسي أو غمز تحتي فخرج به حتى أتى أصحابه وأخرجت لهم السوق فتسوقوا وبعث زفر ابن الحارث الى المسيب بن نجبة بعدا حراج الأسواق والأعلاف والطعام الكثير بعشرين جزورا وبعث الى سليمان بن صرد مثل ذلك وقد كان زفر أمر ابنه ان يسأل عن وجوه أهل العسكر فسمي له عبد الله بن سعد بن نفيل وعبد الله بن وال ورفاعة بن شداد وسمى له أمراء الأرباع فبعث الى هؤلاء الرؤس الثلاثة بعشر جزائر عشر جزائر وعلف كثير وطعام وأخرج للعسكر عيرا عظيمة وشعيرا كثيرا فقال غلمان زفر هذه عير فاجتزروا منها ما أحببتم وهذا شعير فاحتملوا منه ما أردتم وهذا دقيق فتزودوا منه ما أطقتم فظل القوم يومهم ذلك مخصبين لم يحتاجوا الى شرى شيء من هذه الأسواق التي وضعت وقد كفوا اللحم والدقيق والشعير إلا أن يشتري الرجل ثوبا أو سوطا ثم ارتحلوا من الغد وبعث اليهم زفر اني خارج اليكم فشيعكم فأتاهم وقد خرجوا على تعبية حسنة فسايرهم فقال زفر لسليمان انه قد بعث خمسة أمراء قد فصلوا من الرقة فيهم الحصين بن نمير السكوني وشرحبيل بن ذي الكلاع وأدهم بن محرز الباهلي وأبو مالك بن أدهم وربيعة بن المخارق الغنوي وجبلة ابن عبد الله الخثعمي وقد جاؤكم في مثل الشوك والشجر أتاكم عدد كثير وحد حديد وايم الله لقل ما رأيت رجالا هم أحسن هيئة ولا عدة ولا أخلق لكل خير من رجال أراهم معك ولكنه قد بلغني انه قد أقبلت اليكم عدة لا تحصى فقال ابن صرد على الله توكلنا وعليه فليتوكل المتوكلون * ثم قال له زفر فهل لكم في أمر أعرضه عليكم لعل الله أن يجعل لنا ولكم فيه خيرا ان شئتم فخذا لكم مدينتنا فدخلتموها فكان أمرنا واحدا وأيدينا واحدة وان شئتم نزلتم على باب مدينتنا وخرجنا فعسكرنا الى جانبكم فاذا جاءنا هذا العدو قاتلناهم جميعا فقال سليمان لزفر قد أرادنا أهل مصرنا على مثل ما أردتنا عليه وذكر وامثل الذي ذكرت وكتبوا الينا به بعد ما فصلنا فلم يوافقنا ذلك فلسنا فاعلين فقال زفر فانظروا ما أشير به عليكم فاقبلوه وخذوا به فإني للقوم عدو وأحب أن يجعل الله عليهم الدائرة وأنا لكم واد أحب أن يحوطكم الله بالعافية ان القوم قد فصلوا من الرقة فبادروهم الى عين الوردة فاجعلوا المدينة في ظهوركم ويكون الرستاق والماء والمادة في أيديكم وما بين مدينتنا ومدينتكم فأنتم له آمنون والله لو أن خيولي كرجالي لامددتكم اطووا المنازل الساعة الى عين الوردة فان القوم يسيرون سير العساكر وأنتم على خيول والله لقل ما رأيت

جماعة خيل قط أكرم منها تأهبوا لها من يومكم هذا فإني أرجو ان تسبقوهم اليها وان بدرتموهم الى عين الوردة فلا تقاتلوهم في فضاء ترامونهم وتطاعنونهم فانهم أكثر منكم فلا آمن أن يحيطوا بكم فلا تقفوا لهم ترامونهم وتطاعنونهم فإنه ليس لكم مثل عددهم فإن استهدفتم لهم لم يلبثوكم أن يصرعوكم ولا تصفوا لهم حين تلقونهم فاني لا أرى معكم رجالة ولا أراكم كلكم الا فرسانا والقوم لا قوكم بالرجال والفرسان فالفرسان يحمي رجالها والرجال يحمي فرسانها وأنتم ليس لكم رجال يحمي فرسانكم فالقوهم في الكتائب والمقانب ثم بثوها ما بين ميمنتهم وميسرتهم واجعلوا مع كل كتيبة كتيبة الى جانبها فان حمل على احدى الكتيبتين ترجلت الأخرى فتفست عنها الخيل والرجال ومتى ما شاءت كتيبة ارتفعت ومتى ما شاءت كتيبة انحطت ولو كنتم في صف واحد فزحفت اليكم الرجال فدفعتم عن الصف انتقض وكانت الهزيمة ثم وقف فودعهم وسأل الله أن يصحبهم وينصرهم فأثنى الناس عليه ودعوا له فقال له سليمان بن صرد نعم المنزول به أنت أكرمت النزول وأحسنت الضيافة ونصحت في المشورة ثم إن القوم جدوا في المسير فجعلوا يجعلون كل مرحلتين مرحلة قال فررنا بالمدن حتى بلغنا ساعتنا ان سليمان بن صرد عبى الكتائب كما أمره زفر ثم أقبل حتى انتهى الى عين الوردة فنزل في غربيها وسبق القوم اليها فعسكروا وأقاموا بها خمسا لا يبرح واستراحوا واطمأنوا وأراحوا خيلهم (قال هشام) قال أبو مخنف عن عطية بن الحارث عن عبد الله بن غزية قال أقبل أهل الشام في عساكرهم حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة قال عبد الله بن غزية فقام فينا سليمان فحمد الله فأطال وأثنى عليه فأطنب ثم ذكر السماء والأرض والجبال والبحار وما فيهن من الآيات وذكر آلاء الله ونعمه وذكر الدنيا فزهد فيها وذكر الآخرة فرغب فيها فذكر من هذا ما لم أحصه ولم أقدر على حفظه ثم قال أما بعد فقد أتاكم الله بعدوكم الذي دأبتم في المسير اليه آناء الليل والنهار تريدون فيما تظهرون من التوبة النصوح ولقاء الله معذرين فقد جاؤكم بل جئتموهم أنتم في دارهم وحيزهم فإذا لقيتموهم فاصدقوهم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا يولينهم امرؤ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة لا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيرا من أهل دعوتكم الا أن يقاتلكم بعد ان تأسروه أو يكون من قتلة اخواننا بالطف رحمة الله عليهم فإن هذه كانت سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في أهل هذه الدعوة ثم قال سليمان إن أنا قتلت فأمير الناس المسيب بن نجبة فإن أصيب المسيب فأمير الناس عبد الله بن سعد بن نفيل فإن قتل عبد الله بن سعد فأمير الناس عبد الله بن وال فان قتل عبد الله بن وال فأمير الناس رفاعة بن شداد رحم الله امرءا صدق ما عاهد الله عليه ثم بعث المسيب بن نجبة في أربعمائة فارس ثم قال سر حتى تلقى أول عسكر من عساكرهم

فشن

فشن فيهم الغارة فإذا رأيت ما تحبه والا انصرفت الى فى أصحابك وإياك أن تنزل أو تدع أحدا من أصحابك أن ينزل أو يستقبل آخر ذلك حتى لا تجد منه بدًا (قال أبو مخنف) فحدثنى أبى عن حميد بن مسلم انه قال أشهد أنى في خيل المسيب بن نجبة تلك اذ أقبلنا نسير آخر يومنا كله وليلتنا حتى اذا كان فى آخر السحر نزلنا فعلقنا على دوابنا مخاليها ثم هوّمنا تهويمة بمقدار تكون مقدار قضمها ثم ركبناها حتى اذا انبلج لنا الصبح نزلنا فصلينا ثم ركب فركبنا فبعث أبا الجويرية العبدى بن الاحمر في مائة من أصحابه وعبد الله بن عوف بن الأحمر فى مائة وعشرين وحنش بن ربيعة أبا المعتمر الكنانى في مثلها وبقى هو فى مائة ثم قال انظروا أول من تلقون فأتونى به فكان أول من لقينا اعرابى يطرد أحمرة وهو يقول

يامال لا تعجل الى صحبى * واسرح فإنك آمن السرب

قال يقول عبد الله بن عوف بن الأحمر يا حميد بن مسلم أبشر بشرى ورب الكعبة فقال له ابن عوف بن الأحمر ممن أنت يا اعرابى قال أنا من بنى تغلب قال غلبتم ورب الكعبة ان شاء الله فانتهى الينا المسيب بن نجبة فأخبرناه بالذى سمعنا من الأعرابى وأتيناه به فقال المسيب ابن نجبة أما لقد سررت بقولك أبشر وبقولك ياحميد بن مسلم وانى لأرجو ان تبشروا بما يسركم وانما سركم أن تحمدوا أمركم وأن تسلموا من عدوكم وان هذا الفأل هو الفأل الحسن وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل ثم قال المسيب بن نجبة للأعرابى كم بيننا وبين أدنى هؤلاء القوم منا قال أدنى عسكر من عساكرهم منك عسكر ابن ذى الكلاع وكان بينه وبين الحصين اختلاف ادعى الحصين انه على جماعة الناس وقال ابن ذى الكلاع ما كنت لتولى على وقد تكاتبا الى عبيد الله بن زياد فهما ينتظران أمره فهذا عسكر ابن ذى الكلاع منكم على رأس ميل قال فتركنا الرجل فخرجنا نحوهم مسرعين فوالله ما شعر واحتى أشرفنا عليهم وهم غارّون فحملنا فى جانب عسكرهم فوالله ما قاتلوا كثير قتال حتى انهزموا فأصبنا منهم رجالا وجرحنا فيهم فأكثرنا الجراح وأصبنا لهم دوابّ وخرجوا عن عسكرهم وخلّوه لنا فأخذنا منه ما خف علينا فصاح المسيب فينا الرجعة انكم قد نصرتم وغنمتم وسلمتم فانصرفوا فانصرفنا حتى أتينا سليمان قال فأتى الخبر عبيد الله بن زياد فسرّح الينا الحصين بن نمير مسرعا حتى نزل فى اثنى عشر ألفا فخرجنا اليهم يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادى الأولى فجعل سليمان بن صرد عبد الله بن سعد بن نفيل على ميمنته وعلى ميسرته المسيب بن نجبة ووقف هو في القلب وجاء حصين بن نمير وقد عبأ لنا جنده فجعل على ميمنته جبلة بن عبد الله وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنوى ثم زحفوا الينا فلما دنوا دعونا الى الجماعة على عبد الملك بن مروان والى الدخول فى طاعته ودعوناهم

الى أن يدفعوا الينا عبيد الله بن زياد فنقتله ببعض من قتل من اخواننا وان يخلعوا عبد الملك بن مروان وإلى أن يخرج من بلادنا من آل ابن الزبير ثم نرد هذا الأمر الى أهل بيت نبينا الذين آتانا الله من قبلهم بالنعمة والكرامة فأبى القوم وأبينا قال حميد بن مسلم فحملت ميمنتنا على ميسرتهم وهزمتهم وحملت ميسرتنا على ميمنتهم وحمل سليمان في القلب على جماعتهم فهزمناهم حتى اضطررناهم الى عسكرهم فما زال الظفر لنا عليهم حتى حجز الليل بيننا وبينهم ثم انصرفنا عنهم وقد أحجزناهم في عسكرهم فلما كان الغد صبحهم ابن ذي الكلاع في ثمانية آلاف أمدهم بهم عبيد الله بن زياد وبعث اليه يشتمه ويقع فيه ويقول انما عملت عمل الأغمار تضيع عسكرك ومسالحك سر الى الحصين بن نمير حتى توافيه وهو على الناس فجاءه فعدوا علينا وغادرناهم فقاتلناهم قتالا لم ير الشيب والمرد مثله قط يومنا كله لا يحجز بيننا وبين القتال إلا الصلاة حتى أمسينا فتهاجزنا وقد والله أكثر وافينا الجراح وأفشيناها فيهم قال وكان فينا قصاص ثلاثة رفاعة بن شداد البجلي وصخير بن حذيفة بن هلال بن مالك المرّي وأبو الجويرية العبدي فكان رفاعة يقص ويحضض الناس في الميمنة لا يبرحها وجرح أبو الجويرية اليوم الثاني في أول النهار فلزم الرحال وكان صخير ليلته كلها يدور فينا ويقول ابشروا عباد الله بكرامة الله ورضوانه فحق والله لمن ليس بينه وبين لقاء الأحبة ودخول الجنة والراحة من ابرام الدنيا واذاها إلا فراق هذه النفس الأمارة بالسوء أن يكون بفراقها سخيا وبلقاء ربه مسرورا فمكثنا كذلك حتى أصبحنا وأصبح ابن نمير وأدهم بن محرز الباهلي في نحو من عشرة آلاف فخرجوا الينا فاقتتلنا اليوم الثالث يوم الجمعة قتالا شديدا الى ارتفاع الضحى ثم ان أهل الشأم كثر وناوتعطفوا علينا من كل جانب ورأى سليمان بن صرد ما لقي أصحابه فنزل فنادى عباد الله من أراد البكور الى ربه والتوبة من ذنبه والوفاء بعهده فالي ثم كسر جفن سيفه ونزل معه ناس كثير فكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه وانزوت خيلهم حتى اختلطت مع الرجال فقاتلوهم حتى نزلت الرجال تشتد مصلتة بالسيوف وقد كسروا الجفون فحمل الفرسان على الخيل ولا يثبتون فقاتلوهم وقتلوا من أهل الشأم مقتلة عظيمة وجرحوا فيهم فأكثروا الجراح فلما رأى الحصين بن نمير صبر القوم وبأسهم بعث الرجال ترميهم بالنبل واكتنفتهم الخيل والرجال فقتل سليمان بن صرد رحمه الله رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع ثم وثب ثم وقع قال فلما قتل سليمان بن صرد أخذ الراية المسيب بن نجبة وقال لسليمان بن صرد رحمك الله يا أخي فقد صدقت ووفيت بما عليك وبقي ما علينا ثم أخذ الراية فشد بها فقاتل ساعة ثم رجع ثم شد بها فقاتل ثم رجع ففعل ذلك مرارا يشد ثم يرجع ثم قتل رحمه الله (قال أبو مخنف) وحدثنا فروة بن لقيط عن مولى للمسيب بن نجبة الفزاري قال لقيته

بالمدائن

بالمدائن وهو مع شبيب بن يزيد الخارجي فجرى الحديث حتى ذكرنا أهل عين الوردة * قال هشام عن أبي مخنف قال حدثنا هذا الشيخ عن المسيب بن نجبة قال والله ما رأيت أشجع منه انسانا قط ولا من العصابة التي كان فيهم ولقد رأيته يوم عين الوردة يقاتل قتالا شديدا ماظننت ان رجلا واحدا يقدر ان يبلى مثل ما أبلى ولا ينكأ في عدوه مثل ما نكأ لقد قتل رجالا قال وسمعته يقول قبل أن يقتل وهو يقاتلهم

قد علمت ميالة الذوائب * واضحة اللبات والترائب
أني غداة الروع والتغالب * أشجع من ذي لبد مواثب
قطاع أقران مخوف الجانب

قال أبو مخنف حدثني أبي وخالي عن حميد بن مسلم وعبد الله بن غزية قال أبو مخنف وحدثني يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف قال لما قتل المسيب بن نجبة أخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفيل ثم قال رحمه الله اخوي منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا وأقبل بمن كان معه من الأزد فحفوا برايته فوالله انا لكذلك اذ جاءنا فرسان ثلاثة عبد الله ابن الخضل الطائي وكثير بن عمر والمزني وسعر بن أبي سعر الحنفي كانوا خرجوا مع سعد ابن حذيفة بن اليمان في سبعين ومائة من أهل المدائن فسرحهم يوم خرج في آثارنا على خيول مقلمة مقدحة فقال لهم اطوا المنازل حتى تلحقوا باخواننا فتبشروهم بخروجنا اليهم لتشتد بذلك ظهورهم وتخبر وهم بمجيء أهل البصرة أيضا كان المثنى بن مخربة العبدي أقبل في ثلاثمائة من أهل البصرة فجاء حتى نزل مدينة بهر سير بعد خروج سعد ابن حذيفة من المدائن بخمس ليال وكان خروجه من البصرة قبل ذلك قد بلغ سعد بن حذيفة قبل أن يخرج من المدائن فلما انتهوا الينا قالوا ابشروا فقد جاءكم اخوانكم من أهل المدائن وأهل البصرة فقال عبد الله بن سعد بن نفيل ذلك لو جاؤنا ونحن أحياء قال فنظروا الينا فلما رأوا مصارع اخوانهم وما بنا من الجراح بكى القوم وقالوا وقد بلغ منكم ما نرى انا لله وإنا اليه راجعون قال فنظروا والله الى ما ساء أعينهم فقال لهم عبد الله بن نفيل انا لهذا خرجنا ثم اقتتلنا فما اضطر بنا الا ساعة حتى قتل المزني وطعن الحنفي فوقع بين القتلى ثم ارتث بعد ذلك فنجا وطعن الطائي فجزم أنفه فقاتل قتالا شديدا وكان فارسا شاعرا فأخذ يقول

قد علمت ذات القوام الرود * أن لست بالوابي ولا الرعديد
يوما ولا بالفرق الحيود

قال فحمل علينا ربيعة بن المخارق حملة منكرة فاقتتلنا قتالا شديدا ثم انه اختلف هو

وعبد الله بن سعد بن نفيل ضربتين فلم يصنع سيفاهما شيأ واعتنق كل واحد منهما صاحبه فوقعا الى الأرض ثم قاما فاضطربا ويحمل ابن أخي ربيعة بن المخارق على عبد الله بن سعد فطعنه في ثغرة نحره فقتله ويحمل عبد الله بن عوف بن الأحمر على ربيعة بن المخارق فطعنه فصرعه فلم يصب مقتلا فقام فكر عليه الثانية فطعنه أصحاب ربيعة فصرعوه ثم ان أصحابه استنقذوه وقال خالد بن سعد بن نفيل أروني قاتل أخي فأريناه ابن أخي ربيعة بن المخارق فحمل عليه فقنّعه بالسيف واعتنقه الآخر فخر الى الارض فحمل أصحابه وحملنا وكانوا أكثر منا فاستنقذوا صاحبهم وقتلوا صاحبنا وبقيت الراية ليس عندها أحد قال فنادينا عبد الله ابن وال بعد قتلهم فرسانا فاذا هو قد استلحم في عصابة معه الى جانبنا فحمل عليه رفاعة بن شداد فكشفهم عنه ثم أقبل الى رايته وقد أمسكها عبد الله بن خازم الكندي فقال لابن وال امسك عني رايتك قال امسكها عني رحمك الله فاني بي مثل حالك فقال له امسك عني رايتك فاني أريد أن أجاهد قال فان هذا الذي أنت فيه جهاد وأجر قال فصحنا يا أباعزة أطع أميرك يرحمك الله قال فأمسكها قليلا ثم ان ابن وال أخذها منه (قال أبو مخنف) قال أبو الصلت التيمي الاعور حدثني شيخ للحي كان معه يومئذ قال قال لنا ابن وال من أراد الحياة التي ليس بعدها موت والراحة التي ليس بعدها نصب والسرور الذي ليس بعده حزن فليتقرب الى ربه بجهاد هؤلاء المحلين والرواح الى الجنة رحمكم الله وذلك عند العصر فشد عليهم وشددنا معه فأصبنا والله منهم رجالا وكشفناهم طويلا ثم انهم بعد ذلك تعطفوا علينا من كل جانب فحازونا حتى بلغوا بنا المكان الذي كنا فيه وكنا بمكان لا يقدرون أن يأتونا فيه الا من وجه واحد وولى قتالنا عند المساء أدهم بن محرز الباهلي فشد علينا في خيله ورجاله فقتل عبد الله بن وال التيمي (قال أبو مخنف) عن فروة بن لقيط قال سمعت أدهم بن محرز الباهلي في امارة الحجاج بن يوسف وهو يحدث ناسا من أهل الشأم قال دفعت الى أحد أمراء العراق رجل منهم يقولون له عبد الله بن وال وهو يقول لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين الآيات الثلاث قال فغاظني فقلت في نفسي هؤلاء يعدوننا بمنزلة أهل الشرك يرون أن من قتلنا منهم كان شهيدا فحملت عليه فأضرب يده اليسرى فاطنتها ونحيت قريبا فقلت له أما اني أراك وددت انك في أهلك فقال بئسما رأيت أم والله ما أحب انها بيدك الآن الا ان يكون لي فيها من الاجر مثل ما في يدي قال فقلت له لم قال لكيما يجعل الله عليك وزرها ويعظم لي أجرها قال فغاظني فجمعت خيلي ورجالي ثم حملنا عليه وعلى أصحابه فدفعت اليه فطعنته فقتلته وانه لمقبل الى ما يزول فزعموا بعد انه كان من فقهاء أهل العراق الذين كانوا يكثرون الصوم والصلاة ويفتون الناس (قال أبو مخنف) وحدثني الثقة عن حميد بن مسلم وعبد الله بن غزية قال لما هلك عبد الله بن وال نظرنا فاذا عبد الله بن خازم

قتيلا

قتيلا الى جنبه ونحن نرى أنه رفاعة بن شداد البجلي فقال رجل من بني كنانة يقال له الوليد ابن غضين امسك رايتك قال لا أريدها فقلت له انا لله مالك فقال ارجعوا بنا لعل الله يجمعنا ليوم شرلهم فوثب عبد الله بن عوف بن الاحمر اليه فقال أهلكتنا والله لئن انصرفت ليركبن أكتافنا فلا نبلغ فرسخا حتى نهلك من عند آخرنا فان نجا منا ناج أخذه الأعراب وأهل القرى فتقربوا اليهم به فيقتل صبرا أنشدك الله أن تفعل هذه الشمس قد طفلت للمغيب وهذا الليل قد غشينا فتقاتلهم على خيلنا هذه فانا الآن ممتنعون فإذا غسق الليل ركبنا خيولنا أول الليل فرمينا بها فكان ذلك الشأن حتى نصبح ونسير ونحن على مهل فيحمل الرجل منا جريحه وينتظر صاحبه وتسير العشرة والعشرون معا ويعرف الناس الوجه الذي يأخذون فيتبع فيه بعضهم بعضا ولو كان الذي ذكرت لم تقف أم على ولدها ولم يعرف رجل وجهه ولا أين يسقط ولا أين يذهب ولم نصبح الا ونحن بين مقتول ومأسور فقال له رفاعة بن شداد فانك نعم ما رأيت قال ثم أقبل رفاعة على الكناني فقال له أتمسكها أم آخذها منك فقال له الكناني اني لا أريد ما تريد اني أريد لقاء ربي واللحاق بإخواني والخروج من الدنيا الى الآخرة وأنت تريد ورق الدنيا وتهوى البقاء وتكره فراق الدنيا أم والله اني لا أحب لك أن ترشد ثم دفع اليه الراية وذهب ليستقدم فقال له ابن أحمر قاتل معنا ساعة رحمك الله ولا تلق بيدك الى التهلكة فما زال به يناشده حتى احتبس عليه وأخذ أهل الشام ينادون ان الله قد أهلكهم فاقدموا عليهم فافرغوا منهم قبل الليل فاخذوا يقدمون عليهم فيقدمون على سوكة شديدة ويقاتلون فرسانا شجعانا ليس فيهم سقط رجل وليسوا لهم بمضجرين فيتمكنوا منهم فقاتلوهم حتى العشاء قتالا شديدا وقتل الكناني قبل المساء وخرج عبد الله بن عزيز الكندي ومعه ابنه محمد غلام صغير فقال يا أهل الشأم هل فيكم أحد من كندة فخرج اليهم منهم رجال فقالوا نعم نحن هؤلاء فقال لهم دونكم أخيكم فابعثوا به الى قومكم بالكوفة فأنا عبد الله بن عزيز الكندي فقالوا له أنت ابن عمنا فانك آمن فقال لهم والله لا أرغب عن مصارع اخواني الذين كانوا اللبلاد نورا ولا رض أوتادا وبمثلهم كان الله يذكر فقال فأخذ ابنه يبكي في أثر أبيه فقال يا بني لو أن شيأ كان آثر عندي من طاعة ربي اذا لكنت أنت وناشده قومه الشأميون لما رأوا من جزع ابنه وبكائه في أثره وأروا الشأميون له ولابنه رقة شديدة حتى جزعوا وبكوا ثم اعتزل الجانب الذي خرج اليه منه قومه فشد على صفهم عند المساء فقاتل حتى قتل (قال أبو مخنف) حدثني فضيل بن خديج قال حدثني مسلم بن زحر الحولاني ان كريب بن زيد الحميري مشى اليهم عند المساء ومعه راية بلقاء في جماعة قلما تنقص من مائة رجل ان نقصت وقد كانوا تحدثوا بما يريد رفاعة أن يصنع اذا أمسى فقال لهم الحميري وجمع اليه رجالا من حمير وهمدان فقال عباد الله روحوا الى ربكم والله ما في شيء من

الدنيا خلف من رضاء الله والتوبة اليه انه قد بلغني ان طائفة منكم يريدون أن يرجعوا الى ما خرجوا منه الى دنياهم وان هم ركنوا الى دنياهم رجعوا الى خطاياهم فأما أنا فوالله لا أولى هذا العدو ظهري حتى أرد موارد اخواني فأجابوه وقالوا رأينا مثل رأيك ومضى برايته حتى دنا من القوم فقال ابن ذي الكلاع والله اني لأرى هذه الراية حميرية أو همدانية فدنا منهم فسألهم فأخبروه فقال لهم انكم آمنون فقال له صاحبهم انا قد كنا آمنين في الدنيا وانما خرجنا نطلب أمان الآخرة فقاتلوا القوم حتى قتلوا ومشى صحير بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني في ثلاثين من مزينة فقال لهم لا تهابوا الموت في الله فانه لا قيكم ولا ترجعوا الى الدنيا التي خرجتم منها الى الله فانها لا تبقى لكم ولا تزهدوا فيما رغبتم فيه من ثواب الله فان ما عند الله خير لكم ثم مضوا فقاتلوا حتى قتلوا فلما أمسى الناس ورجع أهل الشأم الى معسكرهم نظر رفاعة الى كل رجل قد عقر به والى كل جريح لا يعين على نفسه فدفعه الى قومه ثم سار بالناس ليلته كلها حتى أصبح بالتنيير فعبر الخابور وقطع المعابر ثم مضى لا يمر بمعبر الا قطعه وأصبح الحصين ابن نمير فبعث فوجدهم قد ذهبوا فلم يبعث في آثارهم أحدا وسار بالناس فأسرع وخلف رفاعة وراءهم أبا الجويرية العبدي في سبعين فارسا يستروح الناس فاذا مر برجل قد سقط حمله أو بمتاع قد سقط قبضه حتى يعرفه فان طلب أو ابتغي بعث اليه فأعلمه فلم يزالوا كذلك حتى مر ببقر قيسيا من جانب البر فبعث اليهم زفر من الطعام والعلف مثل ما كان بعث اليهم في المرة الاولى وأرسل اليهم الاطباء وقال أقيموا عندنا ما أحببتم فان لكم الكرامة والمواساة فاقاموا ثلاثا ثم زود كل امرئ منهم ما أحب من الطعام والعلف قال وجاء سعيد بن حذيفة ابن اليمان حتى انتهى الى هيت فاستقبله الأعراب فأخبروه بما لقي الناس فانصرف فتلقى المثنى بن مخربة العبدي بصندوداء فأخبره فأقاموا حتى جاءهم الخبر ان رفاعة قد أظلكم فخرجوا حين دنا من القرية فاستقبلوه فسلم الناس بعضهم على بعض وبكى بعضهم الى بعض وتناعوا اخوانهم فاقاموا بها يوما وليلة فانصرف أهل المدائن الى المدائن وأهل البصرة الى البصرة وأقبل أهل الكوفة الى الكوفة فاذا المختار محبوس (قال هشام) قال أبو مخنف عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أدهم بن محرز الباهلي انه أتى عبد الملك بن مروان ببشارة الفتح قال فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله قد أهلك من رؤس أهل العراق ملقح فتنة ورأس ضلالة سليمان بن صرد ألا وان السيوف تركت رأس المسيب بن نجبة كحذاريف ألا وقد قتل الله من رؤسهم رأسين عظيمين ضالين مضلين عبد الله بن سعد أخا الازد وعبد الله بن وال أخا بكر بن وائل فلم يبق بعد هؤلاء أحد عنده دفاع ولا امتناع (قال هشام) عن أبي مخنف وحدثت ان المختار مكث نحوا من خمس عشرة ليلة ثم قال لاصحابه عدوا لغازيكم هذا أكثر من عشر ودون الشهر ثم يجيئكم نبأ هتر من طعن نتر وضرب هبر

وقتل

وقتل جمّ وأمر رجم فمن لها أنالها لا تكذبن أنالها (قال أبو مخنف) حدثنا الحصين بن يزيد عن ابان بن الوليد قال كتب المختار وهو في السجن الى رفاعة بن شداد حين قدم من عين الوردة أما بعد فرحبا بالعصب الذين عظم الله لهم الاجر حين انصرفوا ورضي انصرافهم حين قفلوا أما ورب البنية التي بنا ما خطا خاط منكم خطوة ولا رتار توة الا كان ثواب الله له أعظم من ملك الدنيا ان سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله فجعل روحه مع أرواح الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون اني أنا الأمير المأمور والامين المأمون وأمير الجيش وقاتل الجبارين والمنتقم من أعداء الدين والمقيد من الاوتار فأعدوا واستعدوا وأبشروا واستبشروا أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه والى الطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين والسلام (قال أبو مخنف) وحدثني أبو زهير العبسي ان الناس تحدثوا بهذا من أمر المختار فبلغ ذلك عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد فخرجا في الناس حتى أتيا المختار فأخذاه (قال أبو مخنف) فحدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال لما تهيأنا للانصراف قال عبد الله بن غزية ووقف على القتلى فقال يرحمكم الله فقد صدقتم وصبرتم وكنا بنا وفررنا قال فلما سرنا وأصبحنا اذا عبد الله بن غزية في نحو من عشرين قد أرادوا الرجوع الى العدو والاستقتال فجاء رفاعة وعبد الله بن عوف بن الاحمر وجماعة الناس فقالوا لهم نشدكم الله أن تزيدونا فلولا ونقصانا فانا لا نزال بخير ما كان فينا مثلكم من ذوي النيات فلم يزالوا بهم كذلك يناشدونهم حتى ردوهم غير رجل من مزينة يقال له عبيدة بن سفيان رحل مع الناس حتى اذا غفل عنه انصرف حتى لقي أهل الشأم فشد بسيفه يضاربهم حتى قتل (قال أبو مخنف) فحدثني الحصين بن يزيد الازدي عن حميد بن مسلم الازدي قال كان ذلك المزني صديقا لي فلما ذهب لينصرف ناشدته الله فقال أما انك لم تكن لتسألني شيأ من الدنيا الا رأيت لك من الحق علي أيتاكه وهذا الذي تسألني أريد الله به قال ففارقني حتى لقي القوم فقتل قال فوالله ما كان شيء بأحب الي من أن ألقى انسانا يحدثني عنه كيف صنع حين لقي القوم قال فلقيت عبد الملك بن جزء بن الحدرجان الازدي بمكة فجرى حديث بيننا جرى ذكر ذلك اليوم فقال أعجب ما رأيت يوم عين الوردة بعد هلاك القوم أن رجلا أقبل حتى شد علي بسيفه فخرجنا نحوه قال فانتهى اليه وقد عقر به وهو يقول

انى من الله الى الله أفر * رضوانك اللهم أبدي وأسر

قال فقلنا له ممن أنت قال من بني آدم قال فقلنا ممن قال لا أحب أن أعرفكم ولا أن تعرفوني يا مخربي البيت الحرام قال فنزل اليه سليمان بن عمرو بن محصن الازدي من بني الخيار قال وهو يومئذ من أشد الناس قال فكلاهما أنخن صاحبه قال وشد الناس عليه من كل جانب فقتلوه قال فوالله ما رأيت واحدا قط هو أشد منه قال فلما ذكر لي وكنت أحب أن

أعلم علمه دمعت عيناى فقال أبينك وبينه قرابة فقلت له لا ذلك رجل من مضر كان لى وُدًّا وأخا فقال لى لا أرقأ الله دمعك أتبكى على رجل من مضر قتل على ضلالة قال قلت لا والله ما قتل على ضلالة ولكنه قتل على بينة من ربه وهُدًى فقال لى أدخلك الله مدخله قلت آمين وأدخلك الله مدخل حصين بن نمير ثم لا أرقأ الله لك عليه دمعا ثم قمت وقام وكان مما قيل من الشعر فى ذلك قول أعشى همدان وهى احدى المكتمات كن يُكتمن فى ذلك الزمان

ألمَّ خيالٌ منكِ يا أمَّ غالب * فحُيِّيت عنا من حبيب مُجانب
ومازلت لى شَجْوًا وما زلتُ مُقصدًا * لهمّ عرانى من فراقك ناصب
فما أنس لا أنس انتفاتك فى الضُّحى * الينا مع البيض الوسام الخراعب
تراءت لناهيفاء مهضومة الحشا * لطيفة طىّ الكشح ريّا الحقائب
مُبتَّلة غرّاء رودٌ شبابُها * كشمس الضُّحى تتكلّ بين السحائب
فلما تغشّاها السحابُ وحولهُ * بدا حاجبٌ منها وضنّت بحاجب
فتلك الهوى وهى الجوى لى والمنى * فأحببْ بها من خلّة لم تُصاقب
ولا يُبعد الله الشباب وذكرهُ * وحبّ تصافى المعصرات الكواعب
ويزدادُ ما أحببتُه من عتابنا * لعابًا وسُقيا للخدين المُقارب
فانى وان لم أنسهنّ لذاكرٌ * رزيئة مخبات كريم المناصب
توسّل بالتقوى الى الله صادقا * وتقوى الاله خيرُ تكساب كاسب
وخلّى عن الدنيا فلم يلتبس بها * وتاب الى الله الرفيع المراتب
تخلى عن الدنيا وقال اطّرحتها * فلستُ اليها ماحييتُ بآيب
وما أنا فيما يُكبرُ الناسُ فقدهُ * ويسعى له الساعون فيها براغب
فوجّههُ نحو الثوية سائرا * الى ابن زياد فى الجموع الكبا كب
بقوم هم أهل التقيّة والنهى * مصاليتُ أنجاد سُراةُ مناجب
مضوا تاركى رأى ابن طلحة حسبهُ * ولم يستجيبوا للامير المُخاطب
فساروا وهم من بين مُلتمس التُّقى * وآخر مما جرّ بالامس تائب
فلاقوا بعين الوردة الجيش فاصلا * اليهم فخسُّوهم ببيض قواضب
بمانية تذر الأكفّ وتارة * بخيل عتاق مُقربات سلاهب
فجاءهم جمعٌ من الشأم بعده * جُموعٌ كموج البحر من كلّ جانب
فما برحوا حتى أبيدت سُراتهم * فلم ينجُ منهم تمّ غير عصائب

وغودر أهل الصبر صرعى فأصبحوا * تعاورهم ريح الصبا والجنائب
وأضحى الخزاعيّ الرئيس مجدّلا * كأن لم يقاتل مرّة ويحارب
ورأس بني شمخ وفارس قومه * شنوءة والتيميّ هادي الكتائب
وعمرو بن بشر والوليد وخالد * وزيد بن بكر والحليس بن غالب
وضارب من همدان كلّ مشيّع * اذا شدّ لم ينكل كريم المكاسب
ومن كل قوم قد أصيب زعيمهم * وذو حسب في ذروة المجد ثاقب
أبوا غير ضرب تفلق الهام وقعه * وطعن بأطراف الاسنّة صائب
وانّ سعيدا يوم يذمر عامرا * لأشجع من ليث بدرنا مواثب
فياخير جيش للعراق وأهله * سقيتم روايا كلّ أسحم ساكب
فلا يبعدن فرساننا وحماتنا * اذا البيض أبدت عن خدام الكواعب
فان يقتلوا فالقتل أكرم ميتة * وكلّ فتى يوما لاحدى الشواعب
وما قتلوا حتى أثاروا عصابة * محلين ثورا كالليوث الضوارب

وقتل سليمان بن صرد ومن قتل معه بعين الوردة من التوابين في شهر ربيع الآخر ﴿وفي هذه السنة﴾ أمر مروان بن الحكم أهل الشأم بالبيعة من بعده لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وجعلهما وليّي العهد

﴿ذكر الخبر عن سبب عقد مروان ذلك لهما﴾

(قال هشام) عن عوانة قال لما هزم عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق مصعب بن الزبير حين وجّهه أخوه عبد الله الى فلسطين وانصرف راجعا الى مروان ومروان يومئذ بدمشق قد غلب على الشأم كلها ومصر وبلغ مروان ان عمرا يقول ان هذا الامر لي من بعد مروان ويدّعي انه قد كان وعده وعد أفد عامر وان حسان بن مالك بن بحدل فأخبره انه يريد أن يبايع لعبد الملك وعبد العزيز ابنيه من بعده وأخبره بما بلغه عن عمرو بن سعيد فقال أنا أكفيك عمرا فلما اجتمع الناس عند مروان عشيّا قام ابن بحدل فقال انه قد بلغنا ان رجالا يتمنّون أماني قوموا فبايعوا لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده فقام الناس فبايعوا من عند آخرهم ﴿وفي هذه السنة﴾ مات مروان بن الحكم بدمشق مستهلّ شهر رمضان

﴿ذكر الخبر عن سبب هلاكه﴾

حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني موسى بن يعقوب عن أبي الحويرث قال لما حضرت معاوية بن يزيد أبا ليلى الوفاة أبى أن يستخلف أحدا وكان حسان بن مالك بن بحدل يريد أن يجعل الامر بعد معاوية بن يزيد لاخيه خالد بن

يزيد بن معاوية وكان صغيرا وهو خال أبيه يزيد بن معاوية فبايع لمروان وهو يريد أن يجعل الامر بعده لخالد بن يزيد فلما بايع لمروان وبايعه معه أهل الشأم قيل لمروان تزوج أم خالد وأمه أم خالد ابنة أبي هشام بن عتبة حتى تصغر شأنه فلا يطلب الخلافة فتزوجها فدخل خالد يوما على مروان وعنده جماعة كثيرة وهو يمشي بين الصفين فقال انه والله ما علمت لأحمق تعال يا ابن الرطبة الاست يقصر به ليسقطه من أعين أهل الشأم فرجع الى أمه فاخبرها فقالت له أمه لا يعرفن ذلك منك واسكت فاني أكفيكه فدخل عليها مروان فقال لها هل قال لك خالد في شيأ فقالت وخالد يقول فيك شيأ خالد أشد لك إعظاما من أن يقول فيك شيأ فصدقها ثم مكثت أياما ثم ان مروان نام عندها فغطته بالوسادة حتى قتلته ﴿قال أبو جعفر﴾ وكان هلاك مروان في شهر رمضان بدمشق وهو ابن ثلاث وستين سنة في قول الواقدي وأما هشام بن محمد الكلبي فانه قال كان يوم هلك ابن احدى وستين سنة وقيل توفي وهو ابن احدى وسبعين سنة وقيل ابن احدى وثمانين سنة وكان يكنى أبا عبد الملك وهو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية الكناني وعاش بعد أن بويع له بالخلافة تسعة أشهر وقيل عاش بعد أن بويع له بالخلافة عشرة أشهر الا ثلاث ليال وكان قبل هلاكه قد بعث بعثين أحدهما الى المدينة عليهم حبيش بن دلجة القيني والآخر منهما الى العراق عليهم عبيد الله بن زياد فأما عبيد الله بن زياد فسار حتى نزل الجزيرة فاتاه الخبر بهلاك مروان وخرج اليه التوابون من أهل الكوفة طالبين بدم الحسين فكان من أمرهم ما قد مضى ذكره وسنذكر ان شاء الله باقي خبره الى أن قتل ﴿وفي هذه السنة﴾ قتل حبيش بن دلجة وأما حبيش بن دلجة فانه سار حتى انتهى فيما ذكر عن هشام عن عوانة بن الحكم الى المدينة وعليهم جابر بن الاسود بن عوف ابن أخي عبد الرحمن ابن عوف من قبل عبد الله بن الزبير فهرب جابر من حبيش ثم ان الحارث بن أبي ربيعة وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة وجه جيشا من البصرة وكان عبد الله بن الزبير قد ولاه البصرة عليهم الحنيف بن السجف التميمي لحرب حبيش بن دلجة فلما سمع حبيش بن دلجة بهم سار اليهم من المدينة وسرح عبد الله بن الزبير عياش بن سهل بن سعد الانصاري على المدينة وأمره أن يسير في طلب حبيش بن دلجة حتى يوافي الجند من أهل البصرة الذين جاؤا ينصرون ابن الزبير عليهم الحنيف وأقبل عياش في آثارهم مسرعا حتى لحقهم بالربذة وقد قال أصحاب ابن دلجة له دعهم لا تعجل الى قتالهم فقال لا أنزل حتى آكل من مقندهم يعني السويق الذي فيه القند فجاءه سهم غرب فقتله وقتل معه المنذر بن قيس الجذامي وأبو عقاب مولى أبي سفيان وكان معه يومئذ يوسف بن الحكم والحجاج بن يوسف وما نجوا يومئذ الا على جمل واحد وتحرز منهم نحو من خمسمائة في عمود المدينة فقال لهم عياش انزلوا على

حكمي فنزلوا على حكمه فضرب أعناقهم ورجع فل حبيش الى الشأم ❁ حدثني أحمد ابن زهير عن علي بن محمد انه قال الذي قتل حبيش بن دلجة يوم الربذة يزيد بن سياه الاسواري رماه بنشابة فقتله فلما دخلوا المدينة وقف يزيد بن سياه على برذون أشهب وعليه ثياب بياض فالبث ان اسودت ثيابه ورايته مما مسح الناس به ومما صبوا عليه من الطيب ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة وقع بالبصرة الطاعون الذي يقال له الطاعون الجارف فهلك به خلق كثير من أهل البصرة ❁ حدثني عمر بن شبة قال حدثني زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثني أبي عن المصعب بن زيد ان الجارف وقع وعبيد الله بن عبيد الله بن معمر على البصرة فماتت أمه في الجارف فاوجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة علوج فحملوها الى حفرتها وهو الامير يومئذ ﴿وفي هذه السنة﴾ اشتدت شوكة الخوارج بالبصرة وقتل فيها نافع بن الازرق

﴿ذكر الخبر عن مقتله﴾

❁ حدثني عمر بن شبة قال حدثنا زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي عن محمد بن الزبيران عبيد الله بن عبيد الله بن معمر بعث أخاه عثمان بن عبيد الله الى نافع ابن الازرق في جيش فلقيهم بدولاب فقتل عثمان وهزم جيشه * قال عمر قال زهير قال وهب وحدثنا محمد بن أبي عيينة عن سبرة بن نخف ان ابن معمر عبيد الله بعث أخاه عثمان الى ابن الازرق فهزم جنده وقتل قال وهب فحدثنا أبي ان أهل البصرة بعثوا جيشا عليهم حارثة بن بدر فلقيهم فقال لاصحابه

كرنبوا ودولبوا * وحيث شئتم فاذهبوا

حدثنا عمر قال حدثنا زهير قال حدثنا وهب قال حدثنا أبي ومحمد بن أبي عيينة قالا حدثنا معاوية بن قرة قال خرجنا مع ابن عبيس فلقينا هم ففتل ابن الازرق وابنان أو ثلاثة للماحوز وقتل ابن عبيس ﴿قال أبو جعفر﴾ وأما هشام بن محمد فانه ذكر عن أبي مخنف عن أبي المخارق الراسبي من قصة ابن الازرق وبني الماحوز قصة هي غير ما ذكره عمر عن زهير بن حرب عن وهب بن جرير والذي ذكر من خبرهم ان نافع بن الازرق اشتدت شوكته باشتغال أهل البصرة بالاختلاف الذي كان بين الازد وربيعة وتميم بسبب مسعود بن عمرو وكثرت جموعه فأقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر فبعث اليه عبد الله بن الحارث مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف في أهل البصرة فخرج اليه فأخذ يحوزه عن البصرة ويرفعه عن أرضها حتى بلغ مكانا من أرض الاهواز يقال له دولاب فتهيأ الناس بعضهم لبعض وتزاحفوا فجعل مسلم بن عبيس على ميمنته الحجاج بن باب الحميري وعلى ميسرته حارثة بن بدر التميمي ثم الغداني وجعل ابن الازرق على ميمنته عبيدة

ابن هلال الشكرى وعلى ميسرته الزبير بن الماحوز التميمى ثم التقوا فاضطربوا فاقتتل الناس قتالا لم يُرَ قتال قط أشد منه فقتل مسلم بن عبيس أمير أهل البصرة وقتل نافع بن الازرق رأس الخوارج وأمر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب الحميرى وأمّرت الأزارقة عليهم عبد الله بن الماحوز ثم عادوا فاقتتلوا أشد قتال فقتل الحجاج بن باب الحميرى أمير أهل البصرة وقتل عبد الله بن الماحوز أمير الأزارقة ثم ان أهل البصرة أمّروا عليهم ربيعة الأجذم التميمى وأمّرت الخوارج عليهم عبيد الله بن الماحوز ثم عادوا فاقتتلوا حتى أمسوا وقد كره بعضهم بعضا وملّوا القتال فانهم لمتواقفون متحاجزون حتى جاءت الخوارج سريّة لهم جامّة لم تكن شهدت القتال فحملت على الناس من قِبَل عبد القيس فانهزم الناس وقاتل أمير البصرة ربيعة الأجذام فقتل وأخذ راية أهل البصرة حارثة بن بدر فقاتل ساعة وقد ذهب الناس عنه فقاتل من وراء الناس فى حماتهم وأهل الصبر منهم ثم أقبل بالناس حتى نزل بهم منزلا بالاهواز ففى ذلك يقول الشاعر من الخوارج

يا كبدا من غير جُوع ولا ظمأ * ويا كبدى من حُبّ أمّ حكيم
ولو شهدتنى يوم دولاب أبصرت * طعان امرئ فى الحرب غير لئيم
غداة طفت فى الماء بكر بن وائل * وعُجنا صُدُورَ الخيل نحو تميم
وكان لعبد القيس أوّل حدّنا * وذلّت شُيُوخُ الأزد وهى تعُومُ

وبلغ ذلك أهل البصرة فهالهم وأفزعهم وبعث ابن الزبير الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة القرشى على تلك الحرّة فقدم وعزل عبد الله بن الحارث فأقبلت الخوارج نحو البصرة وقدم المهلب بن أبى صفرة على تلك من حال الناس من قِبَل عبد الله بن الزبير معه عهده على خراسان فقال الاحنف للحارث بن أبى ربيعة وللناس عامة لا والله ما لهذا الامر الا المهلّب فخرج أشراف الناس فكلموه أن يتولى قتال الخوارج فقال لا أفعل هذا عهد أمير المؤمنين معى على خراسان فلم أكن لأدع عهده وأمره فدعاه ابن أبى ربيعة فكلمه فى ذلك فقال له مثل ذلك فاتفق رأى ابن أبى ربيعة ورأى أهل البصرة على ان كتبوا على لسان ابن الزبير بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن الزبير الى المهلب بن أبى صُفرة سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فان الحارث بن عبد الله كتب الىّ ان الأزارقة المارقة أصابوا جند المسلمين كان عددهم كثيرا وأشرافهم كثيرا وذكر انهم قد أقبلوا نحو البصرة وقد كنتُ وجّهتك الى خراسان وكتبت لك عليها عهدا وقد رأيت حيث ذكر أمر هذه الخوارج أن تكون أنت تلى قتالهم فقد رجوت أن يكون ميمونا طائرك مباركا على أهل مصرك والأجر فى ذلك أفضل من المسير الى خراسان فسِر اليهم راشدا فقاتل عدو الله وعدوك ودافع عن حقك وحقوق أهل مصرك فانه لن يفوتك من سلطاننا خراسان ولا غير

خراسان ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله فأتى بذلك الكتاب فلما قرأه قال فانى والله لا أسير اليهم الا أن تجعلوا لى ما غلبت عليه وتعطونى من بيت المال ما أقوى به من معى وأنتخب من فرسان الناس ووجوههم وذوى الشرف من أحببت فقال جميع أهل البصرة ذلك لك قال فاكتبوا لى على الاخماس بذلك كتابا ففعلوا الا ما كان من مالك بن مسمع وطائفة من بكر بن وائل فاضطغنها عليهم المهلب وقال الاحنف وعبيد الله بن زياد بن ظبيان وأشراف أهل البصرة للمهلب وما عليك أن لا يكتب لك مالك بن مسمع ولا من تابعه من أصحابه اذا أعطاك الذى أردت من ذلك جميع أهل البصرة ويستطيع مالك خلاف جماعة الناس أوله ذلك انكمش أيها الرجل واعزم على أمرك وسر الى عدوك ففعل ذلك المهلب وأمر على الاخماس فأمر عبيد الله بن زياد بن ظبيان على خمس بكر بن وائل وأمر الحريش ابن هلال السعدى على خمس بنى تميم وجاءت الخوارج حتى انتهت الى الجسر الاصغر عليهم عبيد الله بن الماحوز فخرج اليهم فى أشراف الناس وفرسانهم ووجوههم فحاجزهم عن الجسر ودفعهم عنه فكان أول شئ دفعهم عنه أهل البصرة ولم يكن بقى لهم الا أن يدخلوا فارتفعوا الى الجسر الاكبر ثم انه عمى لهم فسار اليهم فى الخيل والرجال فلما ان رأوا أن قد أظل عليهم وانتهى اليهم ارتفعوا فوق ذلك مرحلة أخرى فلم يزل يحوزهم ويرفعهم مرحلة بعد مرحلة ومنزلة بعد منزلة حتى انتهوا الى منزل من منازل الاهواز يقال له سلى وسلبرى فأقاموا به ولما بلغ حارثة بن بدر الغدانى ان المهلب قد أمر على قتال الأزارقة قال لمن معه من الناس

كرنبوا ودولبوا * وحيث شئتم فاذهبوا * قد أمر المهلبُ

فأقبل من كان معه نحو البصرة فصرفهم الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة الى المهلب ولما نزل المهلب بالقوم خندق عليه ووضع المسالح وأذكى العيون وأقام الأحراس ولم يزل الجندُ على مصافهم والناس على راياتهم وأخماسهم وأبواب الخنادق عليها رجال موكلون بها فكانت الخوارج اذا أرادوا بيات المهلب وجدوا أمرا محكما فرجعوا فلم يقاتلهم انسان قط كان أشد عليهم ولا أغيظ لقلوبهم منه (قال أبو مخنف) فحدثنى يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الاحمر ان رجلا كان فى تلك الخوارج حدثه ان الخوارج بعثت عبيدة بن هلال والزبير بن الماحوز فى خيلين عظيمين ليلا الى عسكر المهلب فجاء الزبير من جانبه الايمن وجاء عبيدة من جانبه الايسر ثم كبروا وصاحوا بالناس فوجدوهم على تعبيتهم ومصافهم حذرين معدين فلم يصيبوا القوم غرة ولم يظفروا منهم بشئ فلما ذهبوا ليرجعوا ناداهم عبيد الله بن زياد ابن ظبيان فقال

وجدتمونا وُقرا أنجادا * لا كُشفا خورا ولا أوغادا

هيهات انا اذا صيح بنا يا أهل النار الا بكروا اليها غدا فانها مأواكم ومثواكم قالوا يا فاسق

وهل تدّخر النار الا لك ولأشباهك انها أعدت للكافرين وأنت منهم قال أتسمعون كلّ مملوك لي حرّ ان دخلتم أنتم الجنة ان بقي فيما بين سفوان الى أقصى حجر من أرض خراسان مجوسيّ ينكح أمه وابنته وأخته الا دخلها قال له عبيدة اسكت يا فاسق فانما أنت عبد للجبار العنيد ووزير للظالم الكفور قال يا فاسق وأنت عدو المؤمن التقي ووزير الشيطان الرجيم فقال الناس لابن ظبيان وفقك الله يا ابن ظبيان فقد والله أجبت الفاسق بجوابه وصدقته فلما أصبح الناس أخرجهم المهلب على تعبيتهم وأخماسهم ومواقفهم الازد وتميم ميمنة الناس وبكر بن وائل وعبد القيس ميسرة الناس وأهل العالية في القلب وسط الناس وخرجت الخوارج على ميمنتهم عبيدة بن هلال اليشكري وعلى ميسرتهم الزبير بن الماحوز وجاؤا وهم أحسن عُدّة وأكرم خيولا وأكثر سلاحا من أهل البصرة وذلك لانهم مخروا الارض وجرّدوها وأكلوا ما بين كرمان الى الاهواز فجاؤا عليهم مغافر تضرب الى صدورهم وعليهم دروع يسحبونها وسوق من زرد يشدونها بكلاليب الحديد الى مناطقهم فالتقى الناس فاقتتلوا كأشد القتال فصبر بعضهم لبعض عامة النهار ثم ان الخوارج شدت على الناس بأجمعها شدة منكرة فأجفل الناس وانصاعوا منهزمين لا تلوي أمّ على ولد حتى بلغ البصرة هزيمة الناس وخافوا السباء وأسرع المهلب حتى سبقهم الى مكان يفاع في جانب عن سنن المنهزمين ثم انه نادى الناس الى عباد الله فثاب اليه جماعة من قومه وثابت اليه سرية عُمان فاجتمع اليه منهم نحو من ثلاثة آلاف فلما نظر الى من قد اجتمع رضي جماعتهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله ربما يكل الجمع الكثير الى أنفسهم فيُهزَمون وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون ولعمري ما بكم الآن من قلة اني لجماعتكم لراضٍ وانكم لأنتم أهل الصبر وفرسان أهل المصر وما أحبّ أن أحدا ممن انهزم معكم فانهم لو كانوا فيكم ما زادوكم الا خبالا عزمت على كل امرئ منكم لما أخذ عشرة أحجار معه ثم امشوا بنا نحو عسكرهم فانهم الآن آمنون وقد خرجت خيلهم في طلب اخوانكم فوالله اني لأرجو أن لا ترجع اليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم وتقتلوا أميرهم ففعلوا ثم أقبل بهم راجعا فلا والله ما شعرت الخوارج الا بالمهلب يضاربهم بالمسلمين في جانب عسكرهم ثم استقبلوا عبيد الله بن الماحوز وأصحابه وعليهم الدروع والسلاح كاملا فأخذ الرجل من أصحاب المهلب يستقبل الرجل منهم فيستعرض وجهه بالحجارة فيرميه حتى يثخنه ثم يطعنه بعد ذلك برمحه أو يضربه بسيفه فلم يقاتلهم الا ساعة حتى قتل عبيد الله بن الماحوز وضرب الله وجوه أصحابه وأخذ المهلب عسكر القوم وما فيه وقتل الأزارقة قتلا ذريعا وأقبل من كان في طلب أهل البصرة منهم راجعا وقد وضع لهم المهلب خيلا ورجالا في الطريق تختطفهم وتقتلهم فانكفؤا راجعين مفلولين مقتولين محروبين مغلوبين فارتفعوا الى كرمان وجانب أصفهان وأقام

المهلب

المهلب بالاهواز ففى ذلك اليوم يقول الصّلتان العبدى

بسلّى وسلّبرى مصارعُ فتيةٍ * كرام وقتلى لم تُوسَّدْ خدودُها

وانصرفت الخوارج حين انصرفت وان أصحاب النيران الخمس والست ليجتمعون على النار الواحدة من الفلول وقلة العدد حتى جاءتهم مادّةٌ لهم من قبل البحرين فخرجوا نحو كرمان واصبهان فأقام المهلب بالاهواز فلم يزل ذلك مكانه حتى جاء مصعب البصرةَ وعزل الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة عنها ولما ظهر المهلب على الأزارقة كتب بسم الله الرحمن الرحيم للامير الحارث بن عبد الله من المهلب بن أبى صفرة سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فالحمد لله الذى نصر أمير المؤمنين وهزم الفاسقين وأنزل بهم نقمته وقتلهم كل قتلة وشرّدهم كل مشرَّد أخبر الامير أصلحه الله انّا لقينا الأزارقة بأرض من أرض الاهواز يقال لها سلى وسلبرى فزحفنا اليهم ثم ناهضناهم فاقتتلنا كأشد القتال مليّا من النهار ثم ان كتائب الأزارقة اجتمع بعضها الى بعض ثم حملوا على طائفة من المسلمين فهزموهم وكانت فى المسلمين جولة قد كنت أشفقت أن تكون هى الاصرى منهم فلما رأيت ذلك عمدت الى مكان يفاع فعلوته ثم دعوت الى عشيرتى خاصة والمسلمين عامة فثاب الىّ أقوام شرواً أنفسهم ابتغاء مرضاة الله من أهل الدين والصبر والصدق والوفاء فقصدت بهم الى عسكر القوم وفيه جماعتهم وحدّهم وأميرهم قد أطاف به أولو فضلهم فيهم وذوو النيات منهم فاقتتلنا ساعة رمينا بالنبل وطعنّا بالرماح ثم خلص الفريقان الى السيوف فكان الجلاد بها ساعة من النهار مبالطة ومبالدة ثم ان الله عز وجل أنزل نصره على المؤمنين وضرب وجوه الكافرين ونزل طاغيتهم فى رجال كثير من حُماتهم وذوى نيّاتهم فقتلهم الله فى المعركة ثم اتبعت الخيل شرادهم فقتلوا فى الطريق والإخاذ والقرى والحمد لله رب العالمين والسلام عليك ورحمة الله فلما أتى هذا الكتابُ الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة بعث به الى ابن الزبير فقرئ على الناس بمكة وكتب الحارث بن أبى ربيعة الى المهلب أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه نصر الله اياك وظفر المسلمين فهنيئا لك يا أخا الازد بشرف الدنيا وعزّها وثواب الآخرة وفضلها والسلام عليك ورحمة الله فلما قرأ المهلب كتابه ضحك ثم قال أما تظنونه يعرفنى الا بأخى الأزد ما أهل مكة الا اعراب (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو المُخارق الراسبى ان أبا علقمة اليحمدى قاتل يوم سلّى وسلبرى قتالا لم يقاتله أحدٌ من الناس وأنه أخذ ينادى فى شباب الأزد وفتيان اليحمد أعيروناجماجمكم ساعة من نهار فأخذ فتيان منهم يكرّون فيقاتلون ثم يرجعون اليه يضحكون ويقولون يا أبا علقمة القدور تُستعار فلما ظهر المهلب ورأى من بلائه ما رأى وفاه مائة ألف * وقد قيل ان أهل البصرة قد كانوا سألوا الاحنف قبل المهلب أن يقاتل الأزارقة وأشار عليهم بالمهلب وقال هو أقوى على حربهم منى

وان المهلب اذا جابهم الى قتالهم شرط على أهل البصرة ان ما غلب عليه من الارض فهو له ولمن خف معه من قومه وغيرهم ثلاث سنين وانه ليس لمن تخلف عنه منه شئ فأجابوه الى ذلك وكتب بذلك عليهم كتابا وأوفدوا بذلك وفدا الى ابن الزبير وان ابن الزبير أمضى تلك الشروط كلها للمهلب وأجازها له وان المهلب لما أجيب الى ما سأل وجه ابنه حبيبا في ستمائة فارس الى عمر والقناو هو معسكر خلف الجسر الاصغر في ستمائة فارس فأمر المهلب بعقد الجسر الاصغر فقطع حبيب الجسر الى عمر وومن معه فقاتلهم حتى نفاهم عما بين الجسرين وانهزموا حتى صاروا من ناحية الفرات وتجهز المهلب فيمن خف من قومه معه وهم اثنا عشر ألف رجل ومن سائر الناس سبعون رجلا وسار المهلب حتى نزل الجسر الاكبر وعمرو القنا بازائه في ستمائة فبعث المغيرة بن المهلب في الخيل والرجالة فهزمتهم الرجالة بالنبل واتبعتهم الخيل وأمر المهلب بالجسر فعقد فعبر هو وأصحابه فلحق عمرو القنا حينئذ بابن الماحوز وأصحابه وهو بالمفتح فأخبروهم الخبر فساروا فعسكروا دون الاهواز بثمانية فراسخ وأقام المهلب بقية سنته فجبى كور دجلة ورزق أصحابه وأتاه المدد من أهل البصرة لما بلغهم ذلك فأثبتهم في الديوان وأعطاهم حتى صاروا ثلاثين ألفا ﴿قال أبو جعفر﴾ فعلى قول هؤلاء كانت الوقعة التي كانت فيها هزيمة الأزارقة وارتحالهم عن نواحي البصرة والاهواز الى ناحية اصبهان وكرمان في سنة ٦٦ وقيل انهم ارتحلوا حين ارتحلوا عن الاهواز وهم ثلاثة آلاف وانه قتل منهم في الوقعة التي كانت بينهم وبين المهلب بسلى وسلبرى سبعة آلاف ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة وجه مروان بن الحكم قبل مهلكه ابنه محمدا الى الجزيرة وذلك قبل مسيره الى مصر ﴿وفي هذه السنة﴾ عزل عبد الله بن الزبير عبد الله بن يزيد عن الكوفة وولاها عبد الله بن مطيع ونزع عن المدينة أخاه عبيدة بن الزبير وولاها أخاه مصعب بن الزبير وكان سبب عزله أخاه عبيدة عنها انه فيما ذكر الواقدي خطب الناس فقال لهم قد رأيتم ما صنع بقوم في ناقة قيمتها خمسمائة درهم فسمى مقوم الناقة وبلغ ذلك ابن الزبير فقال ان هذا لهو التكلف ﴿وفي هذه السنة﴾ بنى عبد الله بن الزبير البيت الحرام فأدخل الحجر فيه أخبرنا اسحاق بن أبي اسرائيل قال حدثني عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعاني أبو محمد قال حدثني زياد بن جبل انه كان بمكة يوم غلب ابن الزبير فسمعه يقول ان أمي أسماء بنت أبي بكر حدثتني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حداثة عهد قومك بالكفر رددت الكعبة على أساس ابراهيم فأزيد في الكعبة من الحجر فأمر به ابن الزبير فحفر فوجدوا قلاعا أمثال الابل فحركوا منها صخرة فبرقت بارقة فقال أقروها على أساسها فبناها ابن الزبير وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر ﴿قال أبو جعفر﴾ وحج بالناس في هذه السنة عبد الله ابن الزبير وكان على المدينة أخوه مصعب بن الزبير وعلى الكوفة في آخر السنة عبد الله بن

الجزيرة

مطيع وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وهو الذي يقال له القباع وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم ﴿ وفي هذه السنة ﴾ خالف من كان بخراسان من بني تميم عبد الله بن خازم حتى وقعت بينهم حروب

﴿ ذكر الخبر عن سبب ذلك ﴾

وكان السبب في ذلك فيما ذُكر أن من كان بخراسان من بني تميم أعانوا عبد الله بن خازم على من كان بها من ربيعة وعلى حرب أوس بن ثعلبة حتى قتل من قتل منهم وظفر به وصفا له خراسان فلما صفا له ولم ينازعه به أحد جفاهم وكان قد ضم هراة الى ابنه محمد واستعمله عليها وجعل بكير بن وشاح على شرطته وضم اليه شماس بن دثار العطاردي وكانت أم ابنه محمد امرأة من تميم تدعى صفية فلما جفاها ابن خازم بنى تميم أتوا ابنه محمدا بهراة فكتب ابن خازم الى بكير وشماس يأمرهما بمنع بني تميم من دخول هراة فأما شماس بن دثار فأبى ذلك وخرج من هراة فصار مع بني تميم وأما بكير فمنعهم من الدخول * فذكر علي بن محمد ان زهير بن الهُنيد حدثه عن أشياخ من قومه ان بكير بن وشاح لما منع بني تميم من دخول هراة أقاموا ببلاد هراة وخرج اليهم شماس بن دثار فأرسل بكير الى شماس انى أعطيك ثلاثين ألفا وأعطى كل رجل من بني تميم ألفا على أن ينصرفوا فأبوا فدخلوا المدينة وقتلوا محمد بن عبد الله بن خازم قال علي فأخبرنا الحسن بن رشيد عن محمد بن عزير الكندي قال خرج محمد بن عبد الله بن خازم يتصيد بهراة وقد منع بني تميم من دخولها فرصدوه فأخذوه فشدوه وثاقا وشربوا ليلتهم وجعل كلما أراد رجل منهم البول بال عليه فقال لهم شماس بن دثار أما اذ بلغتم هذا منه فاقتلوه بصاحبيكما اللذين قتلهما بالسياط قال وقد كان أخذ قبيل ذلك رجلين من بني تميم فضربهما بالسياط حتى ماتا قال فقتلوه قال فزعم لنا عمن شهد قتله من شيوخهم ان جيهان بن مشجعة الضبي نهاهم عن قتله وألقى نفسه عليه فشكر له ابن خازم ذلك فلم يقتله فيمن قتل يوم فرتنا قال فزعم عامر بن أبي عمرانه سمع أشياخهم من بني تميم يزعمون ان الذي ولي قتل محمد بن عبد الله بن خازم رجلان من بني مالك بن سعد يقال لاحدهما عجلة وللآخر كُسيب فقال ابن خازم بئس ما اكتسب كسيب لقومه ولقد عجل عجلة لقومه شرا قال علي وحدثنا أبو الذيال زهير بن هنيد العدوي قال لما قتل بنو تميم محمد بن عبد الله بن خازم انصرفوا الى مرو فطلبهم بكير بن وشاح فأدرك رجلا من بني عطارد يقال له ثُميح فقتله وأقبل شماس وأصحابه الى مرو فقالوا لبني سعد قد أدركنا لكم بثأركم قتلنا محمد بن عبد الله ابن خازم بالجشمي الذي أصيب بمرو فأجمعوا على قتال ابن خازم وولوا عليهم الحريش بن هلال القريعي قال فأخبرني أبو الفوارس عن طفيل بن مرداس قال أجمع أكثر بني تميم على قتال عبد الله بن خازم قال وكان مع الحريش فرسان لم يدرك مثلهم انما الرجل منهم كتيبة

منهم شماس بن دثار و بحير بن ورقاء الصريمي وشعبة بن ظهير النهشلي وورد بن الفلق العنبري والحجاج بن ناشب العدوي وكان من أرمى الناس وعاصم بن حبيب العدوي فقاتل الحريش بن هلال عبد الله بن خازم سنتين قال فلما طالت الحرب والشر بينهم ضجروا قال فخرج الحريش فنادى ابن خازم فخرج اليه فقال قد طالت الحرب بيننا فعلام نقتل قومي وقومك ابرز لي فأينا قتل صاحبه صارت الارض له فقال ابن خازم وأبيك لقد أنصفتني فبرزله فتصاولا تصاول الفحلين لا يقدر أحدهما على ما يريد وتغفل ابن خازم غفلة وضربه الحريش على رأسه فرمى بفروة رأسه على وجهه وانقطع ركابا الحريش وانتزع السيف قال فلزم ابن خازم عنق فرسه راجعا الى أصحابه وبه ضربة قد أخذت من رأسه ثم غاداهم القتال فمكثوا بذلك بعد الضربة أياما ثم مل الفريقان فتفرقوا ثلاث فرق فمضى بحير بن ورقاء الى أبرشهر في جماعة وتوجه شماس بن دثار العطاردي ناحية أخرى وقيل أتى سجستان وأخذ عثمان بن بشر بن المحتفز الى فرتنا فنزل قصرا بها ومضى الحريش الى ناحية مرو الروذ فاتبعه ابن خازم فلحقه بقرية من قراها يقال لها قرية الملحمة أو قصر الملحمة والحريش بن هلال في اثني عشر رجلا وقد تفرق عنه أصحابه فهم في خربة وقد نصب رماحا كانت معه وترسة قال وانتهى اليه ابن خازم فخرج اليه في أصحابه ومع ابن خازم مولى له شديد البأس فحمل على الحريش فضربه فلم يصنع شيأ فقال رجل من بني ضبة للحريش أما ترى ما يصنع العبد فقال له الحريش عليه سلاح كثير وسيفي لا يعمل في سلاحه ولكن انظر لي خشبة ثقيلة فقطع له عودا ثقيلا من عناب ويقال أصابه في القصر فأعطاه اياه فحمل به على مولى ابن خازم فضربه فسقط وقيذا ثم أقبل على ابن خازم فقال ما تريد الى وقد خليتك والبلاد قال انك تعود اليها قال فاني لا أعود فصالحه على أن يخرج له من خراسان ولا يعود الى قتاله فوصله ابن خازم بأربعين ألفا قال وفتح له الحريش باب القصر فدخل ابن خازم فوصله وضمن له قضاء دينه وتحدثا طويلا قال وطارت قطنة كانت على رأس ابن خازم ملصقة على الضربة التي كان الحريش ضربه فقام الحريش فتناولها فوضعها على رأسه فقال له ابن خازم مسك اليوم يا أبا قدامة ألين من مسك أمس قال معذرة الى الله واليك أما والله لولا ان ركابي انقطعا لخالط السيف أضراسك فضحك ابن خازم وانصرف عنه وتفرق جمع بني تميم فقال بعض شعراء بني تميم

لو كنتم مثل الحريش صبرتم * وكنتم بقصر الملح خير فوارس
اذا لسقيتم بالعوالي ابن خازم * سجال دم يورثن طول وساوس

قال وكان الأشعث بن ذؤيب أخو زهير بن ذؤيب العدوي قتل في تلك الحرب فقال له أخوه زهير وبه رمق من قتلك قال لا أدري طعنني رجل على برذون أصفر قال فكان زهير

لا يرى أحدا على برذون أصفر الا حمل عليه فنهم من يقتله ومنهم من يهرب فتحامى أهل العسكر البراذين الصفر فكانت مخلاة في العسكر لا يركبها أحد وقال الحريش في قتاله ابن خازم

أزال عظم يميني عن مركبه * حمل الرديني في الإدلاج والسحر
حولين ما اغتمضت عيني بمنزلة * إلا وكفي وساد لي على حجر
بزي الحديد وسربالي اذا هجعت * عني العيون مجال القارح الذكر

﴿ ثم دخلت سنة ست وستين ﴾

﴿ ذكر الخبر عن الكائن كان فيها من الأمور الجليلة ﴾

فما كان فيها من ذلك وثوب المختار بن أبي عبيد بالكوفة طالبا بدم الحسين بن علي بن أبي طالب وإخراجه منها عامل ابن الزبير عبد الله بن مطيع العدوي

﴿ ذكر الخبر عما كان من أمرهما في ذلك وظهور المختار للدعوة الى ما دعا اليه الشيعة بالكوفة ﴾

﴿ ذكر هشام بن محمد ﴾ عن أبي مخنف ان فضيل بن خديج حدثه عن عبيدة بن عمرو واسماعيل بن كثير من بني هند ان أصحاب سليمان بن صرد لما قدموا كتب اليهم المختار اما بعد فإن الله أعظم لكم الأجر وحط عنكم الوزر بمفارقة القاسطين وجهادا لمحلين انكم لم تنفقوا نفقة ولم تقطعوا عقبة ولم تخطوا خطوة الا رفع الله لكم بها درجة وكتب لكم بها حسنة الى ما لا يحصيه الا الله من التضعيف فابشروا فاني لو قد خرجت اليكم قد جردت فيما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف باذن الله فجعلتهم باذن الله رُكاما وقتلتهم فذا وتؤاما فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى ولا يبعد الله الا من عصى وأبى والسلام يا أهل الهدى فجاءهم بهذا الكتاب سيحان بن عمرو من بني ليث من عبد القيس قد أدخله في قلنسوته فيما بين الظهارة والبطانة فأتى بالكتاب رفاعة بن شداد والمثنى بن مخربة العبدي وسعد ابن حذيفة بن اليمان ويزيد بن أنس وأحمر بن شميط الأحمسي وعبد الله بن شداد البجلي وعبد الله بن كامل ففرأ عليهم الكتاب فبعثوا اليه ابن كامل فقالوا قل له قد قرأنا الكتاب ونحن حيث يسرك فإن شئت ان نأتيك حتى نخرجك فعلنا فأتاه فدخل عليه السجن فأخبره بما أرسل اليه به فسر باجتماع الشيعة له وقال لهم لا تريدوا هذا فإني أخرج في أيامي هذه قال وكان المختار قد بعث غلاما يدعى زربيا الى عبد الله بن عمر بن الخطاب وكتب اليه أما بعد فاني قد حبست مظلوما وظن بي الولاة ظنونا كاذبة فاكتب في يرحمك الله الى هذين الظالمين كتابا لطيفا عسى الله أن يخلصني من أيديهما بلطفك وبركتك وبمنك والسلام عليك فكتب اليهما عبد الله بن عمر أما بعد فقد علمتما الذي بيني وبين المختار

ابن أبي عبيد من الصهر والذي بيني وبينكما من الود فأقسمت عليكما بحق ما بيني وبينكما لما خليتما سبيله حين تنظران في كتابي هذا والسلام عليكما ورحمة الله فلما أتى عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة كتاب عبد الله بن عمر دعوا للمختار بكفلاء يضمنونه بنفسه فأتاه أناس من أصحابه كثير فقال يزيد بن الحارث بن يزيد بن رؤيم لعبد الله بن يزيد ما تصنع بضمان هؤلاء كلهم ضمنه عشرة منهم أشرافا معروفين ودع سائرهم ففعل ذلك فلما ضمنوه دعا به عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة فحلفاه بالله الذي لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان فإن هو فعل فعليه ألف بدنة ينحرها لدى رتاج الكعبة ومماليكه كلهم ذكرهم وأنثاهم احرار فحلف لهما بذلك ثم خرج فجاء داره فنزلها (قال أبو مخنف) فحدثني يحيى ابن أبي عيسى عن حميد بن مسلم قال سمعت المختار بعد ذلك يقول قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرون اني أفي لهم بأيمانهم هذه أما حلفي لهم بالله فانه ينبغي لي اذا حلفت على يمين فرأيت ما هو خير منها ان ادع ما حلفت عليه وآتي الذي هو خير واكفر يميني وخروجي عليهم خير من كفي عنهم واكفر يميني وأما هذي ألف بدنة فهو أهون علي من بصقة وما ثمن ألف بدنة فهو لي وأما عتق مماليكي فوالله لوددت انه قد استتب لي أمري ثم لم أملك مملوكا أبدا قال ولما نزل المختار داره عند خروجه من السجن اختلف اليه الشيعة واجتمعت عليه واتفق رأيها على الرضى به وكان الذي يبايع له الناس وهو في السجن خمسة نفر السائب بن مالك الأشعري ويزيد بن أنس وأحمر بن شميط ورفاعة بن شداد الفتياني وعبد الله بن شداد الجشمي قال فلم تزل أصحابه يكثرون وأمره يقوى ويشتد حتى عزل ابن الزبير عبد الله ابن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة وبعث عبد الله بن مطيع على عملهما الى الكوفة (قال أبو مخنف) فحدثني الصقعب بن زهير عن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال دعا ابن الزبير عبد الله بن مطيع أخا بني عدي بن كعب والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي فبعث عبد الله بن مطيع على الكوفة وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة قال فبلغ ذلك بحير بن ريسان الحميري فلقيهما فقال لهما يا هذان إن القمر الليلة بالناطح فلا تسيرا فأما ابن أبي ربيعة فأطاعه فأقام يسيرا ثم شخص الى عمله فسلم وأما عبد الله ابن مطيع فقال له وهل نطلب الا النطح قال فلقي والله نطحا وبطحا قال يقول عمر والبلاء موكل بالقول قال عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بلغ عبد الملك بن مروان ان ابن الزبير بعث عمالا على البلاد فقال من بعث على البصرة فقيل بعث عليها الحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة قال لا حر بوادي عوف بعث عوفا وجلس ثم قال من بعث على الكوفة قالوا عبد الله بن مطيع قال حازم وكثيرا ما يسقط وشجاع وما يكره أن يفر قال من بعث على

المدينة فالوا بعث أخاه مصعب بن الزبير قال ذاك الليث النهد وهو رجل أهل بيته (قال هشام) قال أبو مخنف وقدم عبد الله بن مطيع الكوفة فى رمضان سنة ٦٥ يوم الخميس لخمس بقين من شهر رمضان فقال لعبد الله بن يزيد إن أحببت أن تقيم معى أحسنت صحبتك وأكرمت مثواك وان لحقت بأمير المؤمنين عبد الله بن الزبير فبك عليه كرامة وعلى من قبله من المسلمين وقال لإبراهيم بن محمد بن طلحة الحق بأمير المؤمنين فخرج ابراهيم حتى قدم المدينة وكسر على ابن الزبير الخراج وقال انما كانت فتنة فكف عنه ابن الزبير قال وأقام ابن مطيع على الكوفة على الصلاة والخراج وبعث على شرطته اياس بن مضارب العجلى وأمره أن يحسن السيرة والشدة على المريب (قال أبو مخنف) فحدثنى حصيرة بن عبد الله بن الحارث بن دريد الأزدى وكان قد أدرك ذلك الزمان وشهد قتل مصعب بن الزبير قال إنى لشاهد المسجد حيث قدم عبد الله بن مطيع فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثنى على مصركم وثغوركم وأمرنى بجباية فيئكم وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم الا برضى منكم ووصية عمر بن الخطاب التى أوصى بها عند وفاته وبسيرة عثمان بن عفان التى سار بها فى المسلمين فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على أيدى سفهائكم والا تفعلوا فلوموا أنفسكم ولا تلومونى فوالله لا وقعن بالسقيم العاصى ولأقيمن درأ الاصعر المرتاب فقام اليه السائب بن مالك الأشعرى فقال أما أمر ابن الزبير اياك أن لا تحمل فضل فيئنا عنا الا برضانا فإنا نشهدك أنا لا نرضى أن تحمل فضل فيئنا عنا وان لا يقسم الا فينا وان لا يسار فينا الا بسيرة على بن أبى طالب التى سار بها فى بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه ولا حاجة لنا فى سيرة عثمان فى فيئنا ولا فى أنفسنا فإنها انما كانت اثرة وهوى ولا فى سيرة عمر بن الخطاب فى فيئنا وان كانت أهون السيرتين علينا ضرا وقد كان لا يألو الناس خيرا فقال يزيد بن أنس صدق السائب بن مالك وبر رأينا مثل رأيه وقولنا مثل قوله فقال ابن مطيع نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها وهويتموها ثم نزل فقال يزيد بن أنس الأسدى ذهبت بفضلها يا سائب لا يعدمك المسلمون أما والله لقد قمت وانى لأريد أن أقوم فأقول له نحوا من مقالتك وما أحب ان الله ولى الرد عليه رجلا من أهل المصر ليس من شيعتنا وجاء اياس بن مضارب الى ابن مطيع فقال له ان السائب بن مالك من رؤس أصحاب المختار ولست آمن المختار فابعث اليه فليأتك فاذا جاءك فاحبسه فى سجنك حتى يستقيم أمر الناس فإن عيونى قد أتتنى فخبرتنى ان أمره قد استجمع له وكأنه قد وثب بالمصر قال فبعث اليه ابن مطيع زائدة بن قدامة وحصين بن عبد الله البرسمى من همدان فدخلا عليه فقالا أجب الأمير فدعا بثيابه وأمر باسراج دابته وتخشخش للذهاب معهما فلما رأى زائدة بن قدامة ذلك قرأ قول الله تبارك وتعالى

وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ففهمها المختار فجلس ثم ألقى ثيابه عنه ثم قال ألقوا على القطيفة ما أراني الا قد وعكت اني لأجد قفقفة شديدة ثم تمثل قول عبد العزى بن صهل الأزدي

اذا ما معشر تركوا نداهم * ولم يأتوا الكريهة لم يهابوا

إرجعا الى ابن مطيع فأعلماه حالي التي أنا عليها فقال له زائدة بن قدامة اما أنا ففاعل وأنت يا أخا همدان فاعذرني عنده فانه خير لك (قال أبو مخنف) فحدثني اسماعيل بن نعيم الهمداني عن حسين بن عبد الله قال قلت في نفسي والله ان أنا لم أبلغ عن هذا ما يرضيه ما أنا بآمن من ان يظهر غدا فيهلكني قال فقلت له نعم أنا أصنع عند ابن مطيع عذرك وأبلغه كل ما تحب فخرجنا من عنده فاذا أصحابه على بابه وفي داره منهم جماعة كثيرة قال فأقبلنا نحو ابن مطيع فقلت لزائدة بن قدامة اما اني قد فهمت قولك حين قرأت تلك الآية وعلمت ما أردت بها وقد علمت انها هي ثبطته عن الخروج معنا بعد ما كان قد لبس ثيابه وأسرج دابته وعلمت حين تمثل البيت الذي تمثل انما أراد يخبرك انه قد فهم عنك ما أردت أن تفهمه وأنه لن يأتيه قال فجاحدني أن يكون أراد شيأ من ذلك فقلت له لا تحلف فوالله ما كنت لا بلغ عنك ولا عنه شيأ تكرهانه ولقد علمت انك مشفق عليه تجد له ما يجد المرء لابن عمه فأقبلنا الى ابن مطيع فأخبرناه بعلته وشكواه فصدقنا ولهى عنه قال وبعث المختار الى أصحابه فأخذ يجمعهم في الدور حوله وأراد أن يثب بالكوفة في المحرم فجاء رجل من أصحابه من شبام وكان عظيم الشرف يقال له عبد الرحمن بن شريح فلقي سعيد بن منقذ الثوري وسعر بن أبي سعر الحنفي والأسود بن جراد الكندي وقدامة بن مالك الجشمي فاجتمعوا في منزل سعر الحنفي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان المختار يريد أن يخرج بنا وقد بايعناه ولا ندري أرسله الينا ابن الحنفية أم لا فانهضوا بنا الى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به وبما دعانا اليه فان رخص لنا في اتباعه اتبعناه وان نهانا عنه اجتنبناه فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من أمر الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا فقالوا له أرشدك الله فقد أصبت ووفقت اخرج بنا اذا شئت فأجمع رأيهم على أن يخرجوا من أيامهم فخرجوا فلحقوا بابن الحنفية وكان امامهم عبد الرحمن بن شريح فلما قدموا عليه سألهم عن حال الناس فخبروه عن حالهم وما هم عليه (قال أبو مخنف) فحدثني خليفة بن ورقاء عن الأسود بن جراد الكندي قال قلنا لابن الحنفية إن لنا اليك حاجة قال فسر هي أم علانية قال قلنا لا بل سر قال فرويدا اذا قال فمكث قليلا ثم تنحى جانبا فدعانا فقمنا اليه فبدأ عبد الرحمن ابن شريح فتكلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنكم أهل بيت حصكم الله بالفضيلة وشرفكم بالنبوة وعظم حقكم على هذه الأمة فلا يجهل حقكم الا مغبون الرأي مخسوس

النصيب قد أصبتم بحسين رحمة الله عليه عظمت مصيبة ما قد خصكم بها فقد عم بها المسلمون وقد قدم علينا المختار بن أبي عبيد يزعم لنا انه قد جاءنا من تلقائكم وقد دعانا الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء فبايعناه على ذلك ثم انا رأينا ان نأتيك فنذكر لك ما دعانا اليه وندبنا له فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه وان نهيتنا عنه اجتنبناه ثم تكلمنا واحدا واحدا بنحو مما تكلم به صاحبنا وهو يسمع حتى اذا فرغنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه ثم قال أما بعد فأما ما ذكرتم مما خصصنا الله به من فضل فإن الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلله الحمد وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين فإن ذلك كان في الذكر الحكيم وهي ملحمة كتبت عليه وكرامة اهداها الله له رفع بما كان منها درجات قوم عنده ووضع بها آخرين وكان أمر الله مفعولا وكان أمر الله قدرا مقدورا وأما ما ذكرتم من دعائي دعاكم الى الطلب بدمائنا فوالله لوددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم قال فخرجنا من عنده ونحن نقول قد أذن لنا قد قال لوددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ولو كره لقال لا تفعلوا قال فجئنا وأناس من الشيعة ينتظرون لقدومنا ممن كنا قد أعلمناه بمخرجنا وأطلعناه على ذات أنفسنا ممن كان على رأينا من اخواننا وقد كان بلغ المختار مخرجنا فشق ذلك عليه وخشي ان نأتيه بأمر يخذل الشيعة عنه فكان قد أراد هم على أن ينهض بهم قبل قدومنا فلم يتهيأ ذلك له فكان المختار يقول ان نفيرا منكم ارتابوا وتحيروا وخابوا فان هم أصابوا أقبلوا وأنابوا وان هم كبوا وهابوا واعترضوا وانجابوا فقد ثبروا وخابوا فلم يكن الا شهرا وزيادة شيء حتى أقبل القوم على رواحلهم حتى دخلوا على المختار قبل دخولهم الى رحالهم فقال لهم ما وراءكم فقد فتم وارتبتم فقالوا له قد أمرنا بنصرتك فقال الله أكبر أنا أبو اسحاق أجمعوا الى الشيعة فجمع له منهم من كان منه قريبا فقال يا معشر الشيعة إن نفرا منكم أحبوا ان يعلموا مصداق ما جئت به فرحلوا الى امام الهدى والنجيب المرتضى ابن خير من طشى ومشى حاشا النبي المجتبى فسألوه عما قدمت به عليكم فنبأهم اني وزيره وظهيره ورسوله وخليله وأمركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم اليه من قتال المحلين والطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفين فقام عبد الرحمن بن شريح فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا معشر الشيعة فإنا قد كنا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ولجميع اخواننا عامة فقدمنا على المهدي ابن علي فسألناه عن حربنا هذه وعن ما دعانا اليه المختار منها فأمرنا بمظاهرته ومؤازرته واجابته الى ما دعانا اليه فأقبلنا طيبة أنفسنا منشرحة صدورنا قد أذهب الله منها الشك والغل والريب واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدونا فليبلغ ذلك شاهدكم غائبكم واستعدوا وتأهبوا ثم جلس وقام رجلا فرجلا

فتكلمنا بنحو من كلامه فاستجمعت له الشيعة وحدبت عليه (قال أبو مخنف) فحدثني نمير ابن وعلة والمشرقي عن عامر الشعبي قال كنت أنا وأبي أول من أجاب المختار قال فلما تهيأ أمره ودنا خروجه قال له أحمر بن شميط ويزيد بن أنس وعبد الله بن كامل وعبد الله ابن شداد ان أشراف أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع فإن جامعنا على أمرنا ابراهيم بن الاشتر رجونا بإذن الله القوة على عدونا وأن لا يضرنا خلاف من خالفنا فإنه فتى بئيس وابن رجل شريف بعيد الصيت وله عشيرة ذات عز وعدد قال لهم المختار فالقوه فادعوه وأعلموه الذي أمرنا به من الطلب بدم الحسين وأهل بيته قال الشعبي فخرجوا اليه وأنا فيهم وأبي فتكلم يزيد بن أنس فقال له انا قد أتيناك في أمر نعرضه عليك وندعوك اليه فإن قبلته كان خيرا لك وإن تركته فقد أدينا اليك فيه النصيحة ونحن نحب أن يكون عندك مستورا فقال لهم ابراهيم بن الأشتر وإنه مثلي لا تخاف غائلته ولا سعايته ولا التقرب الى سلطانه باغتياب الناس انما أولئك الصغار الأخطار الدقاق هما فقال له انما ندعوك الى أمر قد أجمع عليه رأي الملإ من الشيعة الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه والطلب بدماء أهل البيت وقتال المحلين والدفع عن الضعفاء قال ثم تكلم أحمر بن شميط فقال له اني لك ناصح ولحظك محب وان أباك قد هلك وهو سيد وفيك منه ان رعيت حق الله خلف قد دعوناك الى أمر ان أجبتنا اليه عادت لك منزلة أبيك في الناس وأحييت من ذلك أمرا قد مات انما يكفي مثلك اليسير حتى تبلغ الغاية التي لا مذهب وراءها انه قد بني لك أولك فتحرى وأقبل القوم كلهم عليه يدعونه الى أمرهم ويرغبونه فيه فقال لهم ابراهيم ابن الاشتر فإني قد أجبتكم الى ما دعوتموني اليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته على ان تولوني الأمر فقالوا أنت لذلك أهل ولكن ليس الى ذلك سبيل هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي وهو الرسول والمأمور بالقتال وقد أمرنا بطاعته فسكت عنهم ابن الأشتر ولم يجبهم فانصرفنا من عنده الى المختار فأخبرناه بما رد علينا قال فغبر ثلاثا ثم إن المختار دعا بضعة عشر رجلا من وجوه أصحابه قال الشعبي أنا وأبي فيهم قال فسار بنا ومضى أمامنا يقدمنا بيوت الكوفة قدما لا ندري أين يريد حتى وقف على باب ابراهيم بن الأشتر فاستأذنا عليه فأذن لنا وألفيت لنا وسائد فجلسنا عليها وجلس المختار معه على فراشه فقال المختار الحمد لله وأشهد أن لا إله الا الله وصلى الله على محمد والسلام عليه أما بعد فإن هذا كتاب اليك من المهدي محمد ابن أمير المؤمنين الوصي وهو خير أهل الأرض اليوم وابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله وهو يسألك أن تنصرنا وتوازرنا فان فعلت اغتبطت وان لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك وسيغني الله المهدي محمدا وأولياءه عنك قال الشعبي وكان المختار قد دفع الكتاب الي حين خرج من منزله فلما قضى كلامه قال لي

ادفع الكتاب اليه فدفعته اليه فدعا بالمصباح وفض خاتمه وقرأه فإذا هو بسم الله الرحمن الرحيم من محمد المهدى الى ابراهيم بن مالك الأشتر سلام عليك فإنى أحمد اليك الله الذى لا إله الا هو أما بعد فإنى قد بعثت اليكم بوزيرى وأمينى ونجيبى الذى ارتضيته لنفسى وقد أمرته بقتال عدوى والطلب بدماء أهل بيتى فانهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك فإنك ان نصرتنى وأجبت دعوتى وساعدت وزيرى كانت لك عندى بذلك فضيلة ولك بذلك أعنة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وتغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل الشأم على الوفاء بذلك على عهد الله فإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل الكرامة وان أبيت هلكت هلا كا لا تستقيله أبدا والسلام عليك فلما قضى ابراهيم قراءة الكتاب قال قد كتب الى ابن الحنفية وقد كتبت اليه قبل اليوم فما كان يكتب الى الا باسمه واسم أبيه قال له المختار ان ذلك زمان وهذا زمان قال ابراهيم فمن يعلم ان هذا كتاب ابن الحنفية الى فقال له يزيد بن أنس وأحمر بن شميط وعبد الله بن كامل وجماعتهم قال الشعبى الا أنا وأبى فقالوا نشهد ان هذا كتاب محمد بن على اليك فتأخر ابراهيم عند ذلك عن صدر الفراش وأجلس المختار عليه فقال ابسط يدك أبايعك فبسط المختار يده فبايعه ابراهيم ودعا النابفاكهة فأصبنا منها ودعا النا بشراب من عسل فشربنا ثم نهضنا وخرج معنا ابن الأشتر فركب مع المختار حتى دخل رحله فلما رجع ابراهيم منصرفا أخذ بيدى فقال انصرف بنا ياشعبى قال فانصرفت معه ومضى بى حتى دخل بى رحله فقال ياشعبى انى قد حفظت انك لم تشهد أنت ولا أبوك أفترى هؤلاء شهدوا على حق قال قلت له قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب ولا أرى مثل هؤلاء يقولون الا حقا قال فقلت له هذه المقالة وأنا والله لهم على شهادتهم متهم غير أنى يعجبنى الخروج وأنا أرى رأى القوم وأحب تمام ذلك الأمر فلم أطلعه على ما فى نفسى من ذلك فقال لى ابن الاشتر اكتب لى أسماءهم فانى ليس كلهم أعرف ودعا بصحيفة ودواة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما شهد عليه السائب بن مالك الأشعرى ويزيد بن أنس الأسدى وأحمر بن شميط الأحمسى ومالك بن عمرو النهدى حتى أتى على أسماء القوم ثم كتب شهدوا ان محمد بن على كتب الى ابراهيم بن الأشتر يأمره بمواز رة المختار ومظاهرته على قتال المحلين والطلب بدماء أهل البيت وشهد على هؤلاء النفر الذين شهدوا على هذه الشهادة شراحيل بن عبد وهو أبو عامر الشعبى الفقيه وعبد الرحمن بن عبد الله النخعى وعامر بن شراحيل الشعبى فقلت له ما تصنع بهذا رحمك الله فقال دعه يكون قال ودعا ابراهيم عشيرته واخوانه ومن أطاعه وأقبل يختلف الى المختار (قال هشام بن محمد) قال أبو مخنف حدثنى يحيى بن أبى عيسى الأزدى قال كان حميد بن مسلم الأسدى صديقا

لابراهيم بن الأشتر وكان يختلف اليه ويذهب به معه وكان ابراهيم يروح فى كل عشية عند المساء فيأتى المختار فيمكث عنده حتى تصوب النجوم ثم ينصرف فمكثوا بذلك يدبرون أمورهم حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا الليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ٦٦ ووطن على ذلك شيعتهم ومن أجابهم * فلما كان عند غروب الشمس قام ابراهيم ابن الأشتر فأذن ثم انه استقدم فصلى بنا المغرب ثم خرج بنا بعد المغرب حين قلت أحوك أوالذئب وهو يريد المختار فأقبلنا علينا السلاح وقد أتى اياس بن مضارب عبد الله بن مطيع فقال ان المختار خارج عليك احدى الليلتين قال فخرج اياس فى الشرط فبعث ابنه راشدا الى الكناسة وأقبل يسير حول السوق فى الشرط ثم ان اياس بن مضارب دخل على ابن مطيع فقال له انى قد بعثت ابنى الى الكناسة فلو بعثت فى كل جبانة بالكوفة عظيمة رجلا من أصحابك فى جماعة من أهل الطاعة هاب المريب الخروج عليك قال فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الى جبانة السبيع وقال اكفنى قومك لا أوتين من قبلك وأحكم أمر الجبانة التى وجهتك اليها لا يحدثن بها حدث فأولئك العجز والوهن وبعث كعب بن أبى كعب الخثعمى الى جبانة بشر وبعث زحر بن قيس الى جبانة كندة وبعث شمر بن ذى الجوشن الى جبانة سالم وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سليم الى جبانة الصائدين وبعث يزيد بن الحارث ابن رؤيم أبا حوشب الى جبانة مراد وأوصى كل رجل ان يكفيه قومه وان لا يؤتى من قبله وان يحكم الوجه الذى وجهه فيه وبعث شبث بن ربعى الى السبخة وقال اذا سمعت صوت القوم فوجه نحوهم فكان هؤلاء قد خرجوا يوم الاثنين فنزلوا هذه الجبابين وخرج ابراهيم بن الأشتر من رحله بعد المغرب يريد اتيان المختار وقد بلغه ان الجبابين قد حشيت رجالا وان الشرط قد أحاطت بالسوق والقصر (قال أبو مخنف) فحدثنى يحيى بن أبى عيسى عن حميد بن مسلم قال خرجت مع ابراهيم من منزله بعد المغرب ليلة الثلاثاء حتى مررنا بدار عمرو بن حريث ونحن مع ابن الأشتر كتيبة نحو من مائة علينا الدروع قد كفرنا عليها بالأقبية ونحن متقلدو السيوف ليس معنا سلاح الا السيوف فى عواتقنا والدروع قد ستراناها بأقبيتنا فلما مررنا بدار سعيد بن قيس خبرناها الى دار أسامة قلنا نمر بنا على دار خالد بن عرفطة ثم امض بنا الى بجيلة فلنمر فى دورهم حتى نخرج الى دار المختار وكان ابراهيم فتى حدثا شجاعا فكان لا يكره أن يلقاهم فقال والله لأمرن على دار عمرو بن حريث الى جانب القصر وسط السوق ولأرعبن به عدونا ولأرينهم هوانهم علينا قال فأخذنا على باب الفيل على دار هبار ثم أخذات اليمين على دار عمرو بن حريث حتى اذا جاوزها ألفينا اياس بن مضارب فى الشرط مظهرين السلاح فقال لنا من أنتم ما أنتم فقال له ابراهيم أنا ابراهيم بن الأشتر فقال له ابن مضارب

ماهذا الجمع معك وماتريد والله ان أمرك لمريب وقد بلغني انك تمر كل عشية ههنا وما أنا بتاركك حتى آتي بك الأمير فيرى فيك رأيه فقال ابراهيم لا أبالغيرك خل سبيلنا فقال كلا والله لا أفعل ومع اياس بن مضارب رجل من همدان يقال له أبو قطن كان يكون مع أمرة الشرطة فهم يكرمونه ويؤثرونه وكان لابن الأشتر صديقا فقال له ابن الأشتر يا أبا قطن ادن مني ومع أبي قطن رمح له طويل فدنا منه أبو قطن ومعه الرمح وهو يرى ان ابن الأشتر يطلب اليه ان يشفع له الى ابن مضارب ليخلي سبيله فقال ابراهيم وتناول الرمح من يده ان رمحك هذا الطويل فحمل به ابراهيم على ابن مضارب فطعنه في ثغرة نحره فصرعه وقال لرجل من قومه انزل فاحتز رأسه فنزل اليه فاحتز رأسه وتفرق أصحابه ورجعوا الى ابن مطيع فبعث ابن مطيع ابنه راشد بن اياس مكان أبيه على الشرطة وبعث مكان راشد بن اياس الى الكناسة تلك الليلة سويد بن عبد الرحمن المنقري أبا القعقاع بن سويد وأقبل ابراهيم بن الاشتر الى المختار ليلة الأربعاء فدخل عليه فقال له ابراهيم انا اتعدنا للخروج للقابلة ليلة الخميس وقد حدث أمر لا بد من الخروج الليلة قال المختار وما هو قال عرض لي إياس بن مضارب في الطريق ليحبسني بزعمه فقتلته وهذا رأسه مع أصحابي على الباب فقال المختار فبشرك الله بخير فهذا طير صالح وهذا أول الفتح ان شاء الله فقال المختار قم يا سعيد بن منقذ فاشعل في الهرادي النيران ثم ارفعها للمسلمين وقم أنت يا عبد الله بن شداد فناد يا منصور أمت وقم أنت يا سفيان بن ليل وأنت يا قدامة بن مالك فناديا لثارات الحسين ثم قال المختار علي بدرعي وسلاحي فأتي به فأخذ يلبس سلاحه ويقول

قد علمت بيضاء حسناء الطلل * واضحة الخدين عجزاء الكفل

أني غداة الروع مقدام بطل

ثم إن ابراهيم قال للمختار إن هؤلاء الرؤس الذين وضعهم ابن مطيع في الجبابين يمنعون اخواننا ان يأتونا ويضيقون عليهم فلو أني خرجت بمن معي من أصحابي حتى آتي قومي فيأتيني كل من قد بايعني من قومي ثم سرت بهم في نواحي الكوفة ودعوت بشعارنا فخرج الى من أراد الخروج الينا ومن قدر على اتيانك من الناس فمن أتاك حبسته عندك الى من معك ولم تفرقهم فإن عوجلت فأتيت كان معك من تمتنع به وأنا لو قد فرغت من هذا الأمر عجلت اليك في الخيل والرجال قال له إما لا فاعجل وإياك ان تسير الى أميرهم بقاتله ولا تقاتل أحدا وأنت تستطيع ان لا تقاتل واحفظ ما أوصيتك به الان يبدأك أحد بقتال فخرج ابراهيم بن الأشتر من عنده في الكتيبة التي اقبل فيها حتى أتى قومه واجتمع اليه جل من كان بايعه وأجابه ثم انه سار بهم في سكك الكوفة طويلا من الليل وهو في ذلك يتجنب السكك التي فيها الأمراء فجاء الى الذين معهم الجماعات الذين وضع ابن مطيع في الجبابين وأفواه الطرق

العظام حتى انتهى الى مسجد السكون وعجلت اليه خيل من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس لهم قائد ولا عليهم أمير فشد عليهم ابراهيم بن الأشتر وأصحابه فكشفوهم حتى دخلوا جبانة كندة فقال ابراهيم من صاحب الخيل فى جبانة كندة فشد ابراهيم وأصحابه عليهم وهو يقول اللهم انك تعلم انا غضبنا لأهل بيت نبيك وثرنا لهم فانصرنا عليهم وتمم لنا دعوتنا حتى انتهى اليهم هو وأصحابه فخالطوهم وكشفوهم فقيل له زحر بن قيس فقال انصرفوا بنا عنهم فركب بعضهم بعضا كلما لقيهم زقاق دخل منهم طائفة فانصرفوا يسيرون ثم خرج ابراهيم يسير حتى انتهى الى جبانة أثير فوقف فيها طويلا ونادى أصحابه بشعارهم فبلغ سويد بن عبد الرحمن المنقرى مكانهم فى جبانة أثير فرجا ان يصيبهم فيعطى بذلك عند ابن مطيع فلم يشعر ابن الأشتر الا وهم معه في الجبانة فلما رأى ذلك ابن الأشتر قال لأصحابه باشرطة الله انزلوا فإنكم أولى بالنصر من الله من هؤلاء الفساق الذين خاضوا دماء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا ثم شد عليهم ابراهيم فضربهم حتى أخرجهم من الصحراء وولوا منهزمين يركب بعضهم بعضا وهم يتلاومون فقال قائل منهم ان هذا الأمر يراد ما يلقون لنا جماعة الا هزموهم فلم يزل يهزمهم حتى أدخلهم الكناسة وقال أصحاب ابراهيم لابراهيم أتبعهم واغتنم ما قد دخلهم من الرعب فقد علم الله الى من ندعو وما نطلب والى من يدعون وما يطلبون قال لا ولكن سيروا بنا الى صاحبنا حتى يؤمن الله بنا وحشته ونكون من أمره على علم ويعلم هو أيضا ما كان من عنائنا فيزداد هو وأصحابه قوة وبصيرة الى قواهم وبصيرتهم معا أنى لا آمن ان يكون قد أتى فأقبل ابراهيم فى أصحابه حتى مر بمسجد الأشعث فوقف به ساعة ثم مضى حتى أتى دار المختار فوجد الأصوات عالية والقوم يقتتلون وقد جاء شبث بن ربعى من قبل السبخة فعمى له المختار يزيد بن أنس وجاء حجار بن أبجر العجلى فجعل المختار فى وجهه أحمر بن شميط فالناس يقتتلون وجاء ابراهيم من قبل القصر فبلغ حجارا وأصحابه ان ابراهيم قد جاءهم من ورائهم فتفرقوا قبل ان يأتيهم ابراهيم وذهبوا فى الأزقة والسكك وجاء قيس بن طهفة فى قريب من مائة رجل من بنى نهد من أصحاب المختار فحمل على شبث بن ربعى وهو يقاتل يزيد بن أنس فخلى لهم الطريق حتى اجتمعوا جميعا ثم ان شبث بن ربعى ترك لهم السكة وأقبل حتى لقى ابن مطيع فقال ابعث الى امراء الجبابين فرهم فليأتوك فاجمع اليك جميع الناس ثم انهد الى هؤلاء القوم فقاتلهم وابعث اليهم من تثق به فليكفك قتالهم فإن أمر القوم قد قوى وقد خرج المختار وظهر واجتمع له أمره فلما بلغ ذلك المختار من مشورة شبث بن ربعى على ابن مطيع خرج المختار فى جماعة من أصحابه حتى نزل فى ظهر دير هند مما يلى بستان زائدة فى السبخة قال وخرج أبو عثمان النهدى فنادى فى شاكريهم مجتمعون فى دورهم يخافون ان يظهر وا فى الميدان لقرب كعب بن أبى كعب الخثعمى منهم وكان كعب فى جبانة بشر فلما بلغه

ان شاكر يخرج جاء يسير حتى نزل بالميدان وأخذ عليهم بأفواه سككهم وطرقهم قال فلما أتاهم أبو عثمان النهدي في عصابة من أصحابه نادى يالثأرات الحسين يامنصور امت يا أيها الحي المهتدون ألا ان أمير آل محمد ووزيره قد خرج فنزل دير هند وبعثني اليكم داعيا ومبشرا فاخرجوا اليه رحمكم الله قال فخرجوا من الدور يتداعون بالثأرات الحسين ثم ضاربوا كعب بن أبي كعب حتى خلى لهم الطريق فأقبلوا الى المختار حتى نزلوا معه في عسكره وخرج عبد الله بن قراد الخثعمي في جماعة من خثعم نحو المائتين حتى لحق بالمختار فنزلوا معه في عسكره وقد كان عرض له كعب بن أبي كعب فصافه فلما عرفهم ورأى انهم قومه خلى عنهم ولم يقاتلهم وخرجت شبام من آخر ليلتهم فاجتمعوا الى جبانة مراد فلما بلغ ذلك عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس بعث اليهم إن كنتم تريدون اللحاق بالمختار فلا تمروا على جبانة السبيع فلحقوا بالمختار فتوافى الى المختار ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفا كانوا بايعوه فاستجمعوا له قبل انفجار الفجر فأصبح قد فرغ من تعبيته (قال أبو مخنف) فحدثني الوالبي قال خرجت أنا وجميد بن مسلم والنعمان بن أبي الجعد الى المختار ليلة خرج فأتيناه في داره وخرجنا معه الى معسكره قال فوالله ما انفجر الفجر حتى فرغ من تعبيته فلما أصبح استقدم فصلى بنا الغداة بغلس ثم قرأ والنازعات وعبس وتولى قال فما سمعنا اماما أم قوما أفصح لهجة منه (قال أبو مخنف) حدثني حصيرة بن عبد الله ان ابن مطيع بعث الى أهل الجبانين فأمرهم ان ينضموا الى المسجد وقال لراشد بن اياس بن مضارب نادفي الناس فليأتوا المسجد فنادى المنادي ألا برئت الذمة من رجل لم يحضر المسجد الليلة فتوافى الناس في المسجد فلما اجتمعوا بعث ابن مطيع شبث بن ربعي في نحو من ثلاثة آلاف الى المختار وبعث راشد بن اياس في أربعة آلاف من الشرط (قال أبو مخنف) فحدثني أبو الصلب التيمي عن أبي سعيد الصيقل قال لما صلى المختار الغداة ثم انصرف سمعنا أصواتا مرتفعة فيما بين بني سليم وسكة البريد فقال المختار من يعلم لنا علم هؤلاء ما هم فقلت له أنا أصلحك الله فقال المختار اما لا فألق سلاحك وانطلق حتى تدخل فيهم كأنك نظار ثم تأتيني بخبرهم قال ففعلت فلما دنوت منهم اذا مؤذنهم يقيم فجئت حتى دنوت منهم فاذا شبث بن ربعي معه خيل عظيمة وعلى خيله شيبان بن حريث الضبي وهو في الرجالة معه منهم كثرة فلما أقام مؤذنهم تقدم فصلى بأصحابه فقرأ اذا زلزلت الأرض زلزالها فقلت في نفسي أما والله اني لأرجو أن يزلزل الله بكم وقرأ والعاديات ضبحا فقال له اناس من أصحابه لو كنت قرأت سورتين هما أطول من هاتين شيأ فقال شبث ترون الديلم قد نزلت بساحتكم وأنتم تقولون لو قرأت سورة البقرة وآل عمران قال وكانوا ثلاثة آلاف قال فأقبلت سريعا حتى أتيت المختار فأخبرته بخبر شبث وأصحابه وأتاه معي ساعة أتيته سعر بن أبي سعر الحنفي ركض من قبل مراد وكان ممن بايع المختار فلم يقدر

على الخروج معه ليلة خرج مخافة الحرس فلما أصبح أقبل على فرسه فر بجبانة مراد وفيها راشد بن اياس فقالوا كما أنت ومن أنت فراكضهم حتى جاء المختار فأخبره خبر راشد وأخبرته أنا خبر شبث قال فسرح ابراهيم بن الأشتر قبل راشد بن اياس في تسعمائة ويقال ستمائة فارس وستمائة راجل وبعث نعيم بن هبيرة أخا مصقلة بن هبيرة في ثلثمائة فارس وستمائة راجل وقال لهما امضيا حتى تلقيا عدوكما فاذا لقيتماهم فانزلا في الرجال وعجلا الفراغ وابدآهم بالاقدام ولا تستهدفا لهم فانهم أكثر منكم ولا ترجعا الى حتى تظهرا أو تقتلا فتوجه ابراهيم الى راشد وقدم المختار يزيد بن أنس في موضع منبجد شبث في تسعمائة أمامه وتوجه نعيم بن هبيرة قبل شبث (قال أبو مخنف) قال أبو سعيد الصيقل كنت أنا فيمن توجه مع نعيم بن هبيرة الى شبث ومعي مر بن أبي سعر الحنفي فلما انتهينا اليه قاتلناه قتالا شديدا فجعل نعيم بن هبيرة سعر بن أبي سعر الحنفي على الخيل ومشى هو في الرجال فقاتلهم حتى أشرقت الشمس وانبسطت فضربناهم حتى أدخلناهم البيوت ثم ان شبث بن ربعي ناداهم يا حماة السوء بئس فرسان الحقائق أنتم أمن عبيدكم تهربون قال فثابت اليه منهم جماعة فشد علينا وقد تفرقنا فهزمنا وصبر نعيم بن هبيرة فقتل ونزل معه سعر فأسر وأسرت أنا وخليد مولى حسان ابن يخدج فقال شبث لخليد وكان وسيما جسيما من أنت فقال خليد مولى حسان بن يخدج الذهلي فقال له شبث يا ابن المتكاء تركت بيع الصحناة بالكناسة وكان جزاء من أعتقك ان تعدو عليه بسيفك تضرب رقابه اضربوا عنقه فقتل ورأى سعر الحنفي فعرفه فقال أخو بني حنيفة فقال له نعم فقال ويحك ما أردت الى اتباع هذه السبابة قبح الله رأيك دعواذا فقلت في نفسي قتل المولى وترك العربي ان علم والله اني مولى قتلني فلما عرضت عليه قال من أنت فقلت من بني تيم الله قال أعربي أنت أو مولى فقلت لا بل عربي أنا من آل زياد بن خصفة فقال نخ نخ ذكرت الشريف المعروف الحق بأهلك قال فأقبلت حتى انتهيت الى الحمراء وكانت لي في قتال القوم بصيرة فجئت حتى انتهيت الى المختار وقلت في نفسي والله لآتين أصحابي فلأواسينهم بنفسي فقبح الله العيش بعدهم قال فأتيتهم وقد سبقني اليهم سعر الحنفي وأقبلت اليه خيل شبث وجاءه قتل نعيم بن هبيرة فدخل من ذلك أصحاب المختار أمر كبير قال فدنوت من المختار فأخبرته بالذي كان من أمري فقال لي اسكت فليس هذا بمكان الحديث وجاء شبث حتى أحاط بالمختار وبيزيد بن أنس وبعث ابن مطيع يزيد بن الحارث ابن رؤيم في ألفين من قبل سكة الحمام جرير فوقفوا في أفواه تلك السكك وولى المختار يزيد ابن أنس خيله وخرج هو في الرجالة (قال أبو مخنف) فحدثني الحارث بن كعب الوالبي حليف الأزد قال حملت علينا خيل شبث بن ربعي حملتين فما يزول منا رجل من مكانه فقال يزيد بن أنس لنا يا معشر الشيعة قد كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وأرجلكم وتسمل أعينكم

وترفعون

وترفعون على جذوع النخل فى حب أهل بيت نبيكم وأنتم مقيمون فى بيوتكم وطاعة عدوكم فما ظنكم بهؤلاء القوم ان ظهروا عليكم اليوم اذا والله لا يدعون منكم عينا تطرف ولا يقتلنكم صبرا ولتر ون منهم فى أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه والله لا ينجيكم منه الا الصدق والصبر والطعن الصائب فى أعينهم والضرب الدراك على هامهم فتيسر واللشدة وتهيأوا للحملة فاذا حركت رايتى مرتين فاحملوا قال الحارث فتهيأنا وتيسرنا وجثونا على الركب وانتظرنا أمره (قال أبو مخنف) وحدثنى فضيل بن خديج الكندى ان ابراهيم بن الأشتر كان حين توجه الى راشد بن اياس مضى حتى لقيه فى مراد فاذا معه أربعة آلاف فقال ابراهيم لأصحابه لا يهولنكم كثرة هؤلاء فوالله لرب رجل خير من عشرة ولرب فئة قليلة قد غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم قال يا خزيمة بن نصر سر اليهم فى الخيل ونزل هو يمشى فى الرجال ورايته مع مزاحم بن طفيل فأخذ ابراهيم يقول له ازدلف برايتك امض بها قدما قدما واقتتل الناس فاشتد قتالهم وبصر خزيمة بن نصر العبسى براشد بن اياس فحمل عليه فطعنه فقتله ثم نادى قتلت راشدا ورب الكعبة وانهزم أصحاب راشد واقبل ابراهيم بن الأشتر وخزيمة بن نصر ومن كان معهم بعد قتل راشد نحو المختار وبعث النعمان بن أبى الجعد يبشر المختار بالفتح عليه وبقتل راشد فلما ان جاءهم البشير بذلك كبروا واشتدت أنفسهم ودخل أصحاب ابن مطيع الفشل وسرح ابن مطيع حسان بن فائد بن بكير العبسى فى جيش كثيف نحو من ألفين فاعترض ابراهيم بن الأشتر فويق الحمراء ليرده عن من فى السبخة من أصحاب ابن مطيع فقدم ابراهيم خزيمة بن نصر الى حسان بن فائد فى الخيل ومشى ابراهيم نحوه فى الرجال فقال والله ما اطعنا برمح ولا اضطربنا بسيف حتى انهزموا وتخلف حسان ابن فائد فى اخريات الناس يحميهم وحمل عليه خزيمة بن نصر فلما رآه عرفه فقال له يا حسان ابن فائد أما والله لولا القرابة لعرفت انى سألتمس قتلك بجهدى ولكن النجاء فعثر بحسان فرسه فوقع فقال تعسا لك أبا عبد الله وابتدره الناس فأحاطوا به فضاربهم ساعة بسيفه فناداه خزيمة بن نصر قال انك آمن يا أبا عبد الله لا تقتل نفسك وجاء حتى وقف عليه ونهنه الناس عنه ومر به ابراهيم فقال له خزيمة هذا ابن عمى وقد آمنته فقال له ابراهيم أحسنت فأمر خزيمة بطلب فرسه حتى أتى به فحمله عليه وقال الحق بأهلك قال وأقبل ابراهيم نحو المختار وشبث محيط بالمختار ويزيد بن أنس فلما رآه يزيد بن الحارث وهو على أفواه سكك الكوفة التى تلى السبخة وابراهيم مقبل نحو شبث أقبل نحوه ليصده عن شبث وأصحابه فبعث ابراهيم طائفة من أصحابه مع خزيمة بن نصر فقال أغن عنا يزيد بن الحارث وصمد هو فى بقية أصحابه نحو شبث بن ربعى (قال أبو مخنف) فحدثنى الحارث بن كعب ان ابراهيم لما أقبل نحونا رأينا شبثا وأصحابه ينكصون وراءهم رويدا رويدا فلما دنا ابراهيم من شبث وأصحابه حمل

عليهم وأمرنا يزيد بن أنس بالحملة عليهم فحملنا عليهم فانكشفوا حتى انتهوا الى أبيات الكوفة وحمل خزيمة بن نصر على يزيد بن الحارث بن رؤيم فهزمه وازدحموا على أفواه السكك وقد كان يزيد بن الحارث وضع رامية على أفواه السكك فوق البيوت وأقبل المختار في جماعة الناس الى يزيد بن الحارث فلما انتهى أصحاب المختار الى أفواه السكك رمته تلك الرامية بالنبل فصدوهم عن دخول الكوفة من ذلك الوجه ورجع الناس من السبخة منهزمين الى ابن مطيع وجاءه قتل راشد بن اياس فأسقط في يده (قال أبو مخنف) فحدثني يحيى بن هانئ قال قال عمرو بن الحجاج الزبيدي لابن مطيع أيها الرجل لا يسقط في خلدك ولا تلق بيدك أخرج الى الناس فاندبهم الى عدوك فاغزهم فإن الناس كثير عددهم وكلهم معك الا هذه الطاغية التي خرجت على الناس والله مخزيها ومهلكها وأنا أول منتدب فاندب معي طائفة ومع غيري طائفة قال فخرج ابن مطيع فقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن من أعجب العجب عجزكم عن عصبة منكم قليل عددها خبيث دينها ضالة مضلة اخرجوا اليهم فامنعوا منهم حريمكم وقاتلوهم عن مصركم وامنعوا منهم فيئكم والا والله ليشاركنكم في فيئكم من لا حق له فيه والله لقد بلغني ان فيهم خمسمائة رجل من محرريكم عليهم أمير منهم وإنما ذهاب عزكم وسلطانكم وتغير دينكم حين يكثرون ثم نزل قال ومنعهم يزيد بن الحارث ان يدخلوا الكوفة قال ومضى المختار من السبخة حتى ظهر على الجبانة ثم ارتفع الى البيوت بيوت مزينة وأحمس وبارق فنزل عند مسجدهم وبيوتهم وبيوتهم شاذة منفردة من بيوت أهل الكوفة فاستقبلوه بالماء فسقى أصحابه وأبى المختار ان يشرب قال فظن أصحابه انه صائم وقال أحمر بن هديج من همدان لابن كامل أترى الأمير صائما فقال له نعم هو صائم فقال له فلو انه كان في هذا اليوم مفطرا كان أقوى له فقال له انه معصوم وهو أعلم بما يصنع فقال له صدقت أستغفر الله وقال المختار نعم مكان المقاتل هذا فقال له ابراهيم بن الأشتر قد هزمهم الله وفلهم وأدخل الرعب قلوبهم وتنزل ههنا سربنا فوالله ما دون القصر أحد يمنع ولا يمتنع كبير امتناع فقال المختار ليقم ههنا كل شيخ ضعيف وذي علة وضعوا ما كان لكم من ثقل ومتاع بهذا الموضع حتى تسيروا الى عدونا ففعلوا فاستخلف المختار عليهم أبا عثمان النهدي وقدم ابراهيم بن الأشتر أمامه وعبى أصحابه على الحال التي كانوا عليها في السبخة قال وبعث عبد الله بن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفي رجل فخرج عليهم من سكة الثوريين فبعث المختار الى ابراهيم أن اطو ولا تقم عليه فطواه ابراهيم ودعا المختار يزيد بن أنس فأمره ان يصمد لعمرو بن الحجاج فمضى نحوه وذهب المختار في أثر ابراهيم فمضوا جميعا حتى اذا انتهى المختار الى موضع مصلى خالد بن عبد الله وقف وأمر ابراهيم ان يمضي على وجهه حتى يدخل الكوفة من قبل الكناسة فمضى فخرج اليه من سكة ابن محرز وأقبل شمر بن ذي

الجوشن فى ألفين فسرح المختار اليه سعيد بن منقذ الهمدانى فواقعه وبعث الى ابراهيم ان اطوه وامض على وجهك ففضى حتى انتهى الى سكة شبث واذا نوفل بن مساحق بن عبد الله ابن مخرمة فى نحو من ألفين أو قال خمسة آلاف وهو الصحيح وقد أمر ابن مطيع سويد بن عبد الرحمن فنادى فى الناس أن الحقوا بابن مساحق قال واستخلف شبث بن ربعى على القصر وخرج ابن مطيع حتى وقف بالكناسة (قال أبو مخنف) حدثنى حصيرة بن عبد الله قال انى لأنظر الى ابن الأشتر حين أقبل فى أصحابه حتى اذا دانا منهم قال لهم انزلوا فنزلوا فقال قربوا خيولكم بعضها الى بعض ثم امشوا اليهم مصلتين بالسيوف ولا يهولنكم ان يقال جاءكم شبث بن ربعى وآل عتيبة بن النهاس وآل الأشعث وآل فلان وآل يزيد بن الحارث قال فسمى بيوتات من بيوتات أهل الكوفة ثم قال ان هؤلاء لو قد وجدوا لهم حر السيوف قد انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المعزى عن الذئب قال حصيرة فإنى لأنظر اليه والى أصحابه حين قربوا خيولهم وحين أخذ ابن الأشتر أسفل قبائه فرفعه فأدخله فى منطقة له حمراء من حواشى البرود وقد شد بها على القباء وقد كفر بالقباء على الدرع ثم قال لأصحابه شدوا عليهم فدى لكم عمى وخالى قال فوالله ما لبثهم ان هزمهم فركب بعضهم بعضا على فم السكة وازدحموا وانتهى ابن الأشتر الى ابن مساحق فأخذ بلجام دابته ورفع السيف عليه فقال له ابن مساحق يا ابن الأشتر أنشدك الله أتطلبنى بثأرهل بينى وبينك من إحنة فخلى ابن الأشتر سبيله وقال له اذكرها فكان بعد ذلك ابن مساحق يذكرها لابن الأشتر وأقبلوا يسيرون حتى دخلوا الكناسة فى آثار القوم حتى دخلوا السوق والمسجد وحصروا ابن مطيع ثلاثا (قال أبو مخنف) وحدثنى النضر بن صالح ان ابن مطيع مكث ثلاثا يرزق أصحابه فى القصر حيث حصر الدقيق ومعه أشراف الناس الا ما كان من عمرو بن حريث فإنه أتى داره ولم يلزم نفسه الحصار ثم خرج حتى نزل البر وجاء المختار حتى نزل جانب السوق وولى حصار القصر ابراهيم بن الاشتر ويزيد بن أنس وأحمر بن شميط فكان ابن الأشتر مما يلى المسجد وباب القصر ويزيد بن أنس مما يلى بنى حذيفة وسكة دار الروميين وأحمر بن شميط مما يلى دار عمارة ودار أبى موسى فلما اشتد الحصار على ابن مطيع وأصحابه كلمه الأشراف فقام اليه شبث فقال له أصلح الله الأمير أنظر لنفسك ولمن معك فوالله ما عندهم غناء عنك ولا عن أنفسهم قال ابن مطيع هاتوا أشيروا على برأيكم قال شبث الرأى ان تأخذ لنفسك من هذا الرجل أمانا ولنا ولتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك قال ابن مطيع والله إنى لأكره ان آخذ منه أمانا والأمور مستقيمة لأمير المؤمنين بالحجاز كله وبأرض البصرة قال فتخرج لا يشعر بك أحد حتى تنزل منزلا بالكوفة عند من تستنصحه وتثق به ولا يعلم بمكانك حتى تخرج فتلحق بصاحبك فقال لأسماء بن خارجة وعبد الرحمن بن مخنف وعبد الرحمن بن

سعيد بن قيس وأشراف أهل الكوفة ماترون في هذا الرأى الذى أشار به على شبث فقالوا ما نرى الرأى الا ما أشار به عليك قال فرويدا حتى أمسى (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو المغلس الليثى ان عبد الله بن عبد الله الليثى أشرف على أصحاب المختار من القصر من العشى يشتمهم وينتحى له مالك بن عمر وأبو عمر النهدى بسهم فيمر بحلقه فقطع جلدة من حلقه فمال فوقع قال ثم انه قام وبرأ بعد وقال النهدى حين أصابه خذها من مالك من فاعل كذا (قال أبو مخنف) وحدثنى النضر بن صالح عن حسان بن فائد بن بكير قال لما أمسينا في القصر فى اليوم الثالث دعانا ابن مطيع فذكر الله بما هو أهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وقال أما بعد فقد علمت الذين صنعوا هذا منكم من هم وقد علمت انما هم أراذلكم وسفهاؤكم وطغامكم وأحساؤكم ماعدا الرجل أو الرجلين وان أشرافكم وأهل الفضل منكم لم يزالوا سامعين مطيعين مناصحين وأنا مبلغ ذلك صاحبى ومعلمه طاعتكم وجهادكم عدوه حتى كان الله الغالب على أمره وقد كان من رأيكم وما أشرتم به على ماقد علمتم وقد رأيت ان أخرج الساعة فقال له شبث جزاك الله من أمير خيرا فقد والله عففت عن أموالنا وأكرمت أشرافنا ونصحت لصاحبك وقضيت الذى عليك والله ما كنا لنفارقك أبدا الا ونحن منك فى إذن فقال جزاكم الله خيرا أخذ امرؤ حيث أحب ثم خرج من نحو دير الروميين حتى أتى دار أبى موسى وخلى القصر وفتح أصحابه الباب فقالوا يا ابن الأشتر آمنون نحن قال أنتم آمنون فخرجوا فبايعوا المختار (قال أبو مخنف) فحدثنى موسى بن عامر العدوى من عدى جهينة وهو أبو الأشعر ان المختار جاء حتى دخل القصر فبات به وأصبح أشراف الناس فى المسجد وعلى باب القصر وخرج المختار فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقال الحمد لله الذى وعد وليه النصر وعدوه الخسر وجعله فيه الى آخر الدهر وعدا مفعولا وقضاء مقضيا وقد خاب من افترى أيها الناس انه رفعت لنا راية ومدت لنا غاية فقيل لنا فى الراية أن ارفعوها ولا تضعوها وفى الغاية أن اجروا اليها ولا تعدوها فسمعنا دعوة الداعى ومقالة الواعى فكم من ناع وناعيه لقتلى فى الواعيه وبعد المن طغى وأدبر وعصى وكذب وتولى ألا فادخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى فلا والذى جعل السماء سقفا مكفوفا والأرض فجاجا سبلا ما يبايع بعد بيعة على بن أبى طالب وآل على أهدى منها ثم نزل فدخل ودخلنا عليه وأشراف الناس فبسط يده وابتدره الناس فبايعوه وجعل يقول تبايعونى على كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا والوفاء ببيعتنا لا نقيلكم ولا نستقيلكم فإذا قال الرجل نعم بايعه قال فكأنى والله أنظر الى المنذر بن حسان بن ضرار الضبى اذ أتاه حتى سلم عليه بالإمرة ثم بايعه وانصرف عنه فلما خرج من القصر استقبل

سعيد بن منقذ الثوري في عصابة من الشيعة واقفا عند المصطبة فلما رأوه ومعه ابنه حيان ابن المنذر قال رجل من سفهائهم هذا والله من رؤس الجبارين فشدوا عليه وعلى ابنه فقتلوهما فصاح بهم سعيد بن منقذ لا تعجلوا لا تعجلوا حتى ننظر ما رأى أميركم فيه قال وبلغ المختار ذلك فكرهه حتى رُؤي ذلك في وجهه وأقبل المختار يمنّي الناس ويستجرّ مودّتهم ومودّة الأشراف ويحسن السيرة جهده قال وجاءه ابن كامل فقال للمختار أعلمت ان ابن مطيع في دار أبي موسى فلم يُجبه بشيء فأعادها عليه ثلاث مرات فلم يجبه ثم أعادها فلم يجبه فظنّ ابن كامل ان ذلك لا يوافقه وكان ابن مطيع قبل للمختار صديقا فلما أمسى بعث الى ابن مطيع بمائة ألف درهم فقال له تجهّز بهذه واخرج فاني قد شعرت بمكانك وقد ظننت انه لم يمنعك من الخروج الا انه ليس في يديك ما يقوّيك على الخروج وأصاب المختار تسعة آلاف ألف في بيت مال الكوفة فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل كلّ رجل خمسمائة درهم خمسمائة درهم وأعطى ستة آلاف من أصحابه أتوه بعد ما أحاط بالقصر فأقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة الأيام حتى دخل القصر مائتين مائتين واستقبل الناس بخير ومنّاهم العدل وحسن السيرة وأدنى الاشراف فكانوا جلساءه وحُدّاثه واستعمل على شرطته عبد الله بن كامل الشاكري وعلى حرسه كيسان أبا عَمْرة مولى عُرينة فقام ذات يوم على رأسه فرأى الأشراف يحدّثونه ورآه قد أقبل بوجهه وحديثه عليهم فقال لأبي عَمْرة بعض أصحابه من الموالي أما ترى أبا اسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر الينا فدعاه المختار فقال له ما يقول لك أولئك الذين رأيتهم يكلمونك فقال له وأسرّ اليه شق عليهم أصلحك الله صرفك وجهك عنهم الى العرب فقال له قل لهم لا يشقن ذلك عليكم فأنتم منّي وأنا منكم ثم سكت طويلا ثم قرأ إنّا من المجرمين منتقمون قال فحدثني أبو الأشعر موسى بن عامر قال ما هو الا ان سمعها الموالي منه فقال بعضهم لبعض ابشروا كأنكم والله به قد قتلهم (قال أبو مخنف) حدثني حصيرة بن عبد الله الأزدي وفضيل بن خديج الكندي والنضر بن صالح العبسي قالوا أوّل رجل عقد له المختار راية عبد الله بن الحارث أخو الأشتر عقد له على أرمينية وبعث محمد بن عُمير بن عُطارد على آذربيجان وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل وبعث اسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جُوخى وبعث قُدامة بن أبي عيسى بن ربيعة النصري وهو حليف لثقيف على بهقباذ الأعلى وبعث محمد بن كعب بن قرظة على بهقباذ الأوسط وبعث حبيب بن منقذ الثوري على بهقباذ الأسفل وبعث سعد ابن حُذيفة بن اليمان على حُلوان وكان مع سعد بن حذيفة ألف فارس بحُلوان قال ورزقه ألف درهم في كل شهر وأمره بقتال الأكراد وباقامة الطرق وكتب الى عماله على الجبال

بأمرهم أن يحملوا أموال كورهم الى سعد بن حذيفة بحلوان وكان عبد الله بن الزبير قد بعث محمد بن الأشعث بن قيس على الموصل وأمره بمكاتبة ابن مطيع وبالسمع له والطاعة غير أن ابن مطيع لا يقدر على عزله الا بأمر ابن الزبير وكان قبل ذلك فى امارة عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد منقطعا بامارة الموصل لا يكاتب أحدا دون ابن الزبير * فلما قدم عليه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس من قبل المختار أميرا تنحى له عن الموصل وأقبل حتى نزل تكريت وأقام بها مع أناس من أشراف قومه وغيرهم وهو معتزل ينظر ما يصنع الناس والى ما يصير أمرهم ثم شخص الى المختار فبايع له ودخل فيما دخل فيه أهل بلده (قال أبو مخنف) وحدثنى صلة بن زهير النهدى عن مسلم بن عبد الله الضبابى قال لما ظهر المختار واستمكن ونفى ابن مطيع وبعث عماله أقبل يجلس للناس غدوة وعشية فيقضى بين الخصمين ثم قال والله ان لى فيما أزاول وأحاول لشغلا عن القضاء بين الناس قال فأجلس للناس شريحا وقضى بين الناس ثم انه خافهم فتمارض وكانوا يقولون انه عثمانى وانه ممن شهد على حجر ابن عدى وانه لم يبلغ عن هانئ بن عروة ما أرسله به وقد كان على بن أبى طالب عزله عن القضاء فلما ان سمع بذلك ورآهم يذمونه ويسندون اليه مثل هذا القول تمارض وجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ثم ان عبد الله مرض فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائى قاضيا قال مسلم بن عبد الله وكان عبد الله بن همام سمع أبا عمرة يذكر الشيعة وينال من عثمان بن عفان فقنعه بالسوط فلما ظهر المختار كان معتزلا حتى استأمن له عبد الله ابن شداد فجاء الى المختار ذات يوم فقال

ألا انتسأت بالودع عنك وأدبرت * معالنة بالهجر أم سريع
وحملها واش سعى غير مؤتل * فأبت بهم فى الفؤد جميع
فخفض عليك الشأن لا يردك الهوى * فليس انتقال خلة ببديع
وفى ليلة المختار ما يذهل الفتى * ويلهيه عن رؤد الشباب شموع
دعا بالثأرات الحسين فأقبلت * كتائب من همدان بعد هزيع
ومن مذحج جاء الرئيس ابن مالك * يقود جموعا عبيت بجموع
ومن أسد والى يزيد لنصره * بكل فتى حامى الذمار منيع
وجاء نعيم خير شيبان كلها * بأمر لدى الهيجا أحد جميع
وما ابن شميط إذ يحرض قومه * هناك بمخذول ولا بمضيع
ولا قيس نهد لا ولا ابن هوازن * وكل أخو إخباتة وخشوع
وسار أبو النعمان لله سعيه * الى ابن إياس مصحرا لوقوع

بخيل عليها يوم هيجا دروعها * وأخرى حسورا غير ذات دروع
فكر الخيول كرة تقفقهم * وشد بأولاها على ابن مطيع
فولى بضرب يشدخ الهام وقعه * وطعن غداة السكتين وجيع
خوصر في دار الإمارة بائسا * بذل وارغام له وخضوع
فمن وزير ابن الوصي عليهم * وكان لهم في الناس خير شفيع
وآب الهدى حقا الى مستقره * بخير اياب آبه ورجوع
الى الهاشمي المهتدي المهتدى به * فنحن له من سامع ومطيع

قال فلما أنشدها المختار قال المختار لأصحابه قد أثنى عليكم كما تسمعون وقد أحسن الثناء عليكم فأحسنوا له الجزاء ثم قام المختار فدخل وقال لأصحابه لا تبرحوا حتى أخرج اليكم قال وقال عبد الله بن شداد الجشمي يا ابن همام ان لك عندي فرسا ومطرفا وقال قيس بن طهفة النهدي وكانت عنده الرباب بنت الأشعث فان لك عندي فرسا ومطرفا واستحيا أن يعطيه صاحبه شيأ لا يعطى مثله فقال ليزيد بن أنس فما تعطيه فقال يزيدان كان ثواب الله أراد بقوله فما عند الله خير له وان كان انما اعترى بهذا القول أموالنا فوالله ما في أموالنا ما يسعه قد كانت بقيت من عطائي بقية فقويت بها اخواني فقال أحمر بن شميط مبادر الهم قبل أن يكلموه يا ابن همام ان كنت أردت بهذا القول وجه الله فاطلب ثوابك من الله وإن كنت انما اعتريت به رضى الناس وطلب أموالهم فاكدم الجندل فوالله ما من قال قولا لغير الله وفي غير ذات الله بأهل ان ينحل ولا يوصل فقال له عضضت بأير أبيك فرفع يزيد ابن أنس السوط وقال لابن شميط تقول هذا القول يا فاسق وقال لابن شميط اضربه بالسيف فرفع ابن شميط عليه السيف ووثب ووثب أصحابهما يتقلتون على ابن همام وأخذ بيده ابراهيم بن الاشتر فألقاه وراءه وقال أنا له جار لم تأتون اليه ما أرى فوالله انه لواصل الولاية راض بما نحن عليه حسن الثناء فان أنتم لم تكافؤه بحسن ثنائه فلا تشتموا عرضه ولا تسفكوا دمه ووثبت مذحج فحالت دونه وقالوا أجاره ابن الاشتر لا والله لا يوصل اليه قال وسمع لغطهم المختار فخرج اليهم وأومأ بيده اليهم أن اجلسوا فجلسوا فقال لهم اذا قيل لكم خير فاقبلوه وان قدرتم على مكافأة فافعلوا وان لم تقدروا على مكافأة فتنصلوا واتقوا لسان الشاعر فان شره حاضر وقوله فاجر وسعيه بائر وهو بكم غدا غادر فقالوا أفلا نقتله قال لا انا قد آمناه وأجرناه وقد أجاره أخوكم ابراهيم بن الأشتر فجلس مع الناس قال ثم ان ابراهيم قام فانصرف الى منزله فأعطاه ألفا وفرسا ومطرفا فرجع بها وقال لا والله لا جاورت هؤلاء أبدا وأقبلت هوازن وغضبت واجتمعت في المسجد غضبا لابن همام فبعث اليهم المختار فسألهم

همام

أن يصفحوا عما اجتمعوا له ففعلوا وقال ابن همام لابن الاشتر يمدحه

أطفأ عنّى نار كلبين ألبا * على الكلاب ذو الفعال ابن مالك
فتى حين يلقى الخيل يفرق بينها * بطعن دراك أو بضرب مواشك
وقد غضبت لى من هوازن عصبة * طوال الذرى فيها عراض المبارك
اذا ابن شميط أو يزيد تعرّضا * لها وقعاني مستحار المهالك
ونبتم علينا يا موالى طيئ * مع ابن شميط شرّ ماش ورائك
وأعظم ديّار على الله فرية * وما مفتر طاغ كآخر ناسك
فيا عجبا من أحمس ابنة أحمس * توثب حولى بالقنا والنيازك
كأنكم فى العزّ قيس وخثعم * وهل أنتم إلا لئام عوارك

وأقبل عبد الله بن شدّاد من الغد فجلس في المسجد يقول علينا توثب بنو أسد وأحمس والله لا نرضى بهذا أبدا فبلغ ذلك المختار فبعث اليه فدعاه ودعا بيزيد بن أنس وبابن شميط فحمد الله وأثنى عليه وقال يا ابن شدّاد ان الذى فعلت نزغة من نزغات الشيطان فتب الى الله قال قد تبت وقال ان هذين أخواك فأقبل اليهما واقبل منهما وهب لى هذا الامر قال فهو لك وكان ابن همام قد قال قصيدة أخرى فى أمر المختار فقال

أضحت سليمى بعد طول عتاب * وتجرّم ونفاد غرب شباب
قد أزمعت بصرمى وتجنى * وتهوّك من ذاك في إعتاب
لما رأيت القصر أغلق بابه * وتوكلت همدان بالأسباب
ورأيت أصحاب الدقيق كأنهم * حول البيوت ثعالب الأسراب
ورأيت أبواب الأزقة حولنا * دربت بكلّ هراوة وذباب
أيقنت أنّ حيول شيعة راشد * لم يبق منها فيش أير ذباب

﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة وثب المختار بمن كان بالكوفة من قتلة الحسين والمشايعين على قتله فقتل من قدر عليه منهم وهرب من الكوفة بعضهم فلم يقدر عليه

﴿ذكر الخبر عن سبب وثوبه بهم وتسمية من قتل منهم ومن هرب فلم يقدر عليه منهم﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكره هشام بن محمد عن عوانة بن الحكم ان مروان بن الحكم لما استوثقت له الشأم بالطاعة بعث جيشين أحدهما الى الحجاز عليه حبيش بن دلجة القينى وقد ذكرنا أمره وخبر مهلكه قبل والآخر منهما الى العراق عليهم عبيد الله بن زياد وقد

ذكرنا

ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوابين من الشيعة بعين الوردة وكان مروان جعل لعبيد الله بن زياد ثم وجهه الى العراق ما غلب عليه وأمره أن ينهب الكوفة اذا هو ظفر بأهلها ثلاثا فال عوانة فمر بأرض الجزيرة فاحتبس بها وبها قيس عيلان على طاعة ابن الزبير وقد كان مروان أصاب قيسا يوم مرج راهط وهم مع الضحاك بن قيس مخالفين على مروان وعلى ابنه عبد الملك من بعده فلم يزل عبيد الله مشتغلا بهم عن العراق نحوا من سنة ثم انه أقبل الى الموصل فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس عامل المختار على الموصل الى المختار أما بعد فإني أخبرك أيها الأمير ان عبيد الله بن زياد قد دخل أرض الموصل وقد وجه قبل خيله ورجاله وانى انحزت الى تكريت حتى يأتيني رأيك وأمرك والسلام عليك فكتب اليه المختار أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت كل ما ذكرت فيه فقد أصبت بانحيازك الى تكريت فلا تبرحن مكانك الذى أنت به حتى يأتيك أمرى ان شاء الله والسلام عليك (قال هشام) عن أبي مخنف حدثني موسى بن عامر ان كتاب عبد الرحمن بن سعيد لما ورد على المختار بعث الى يزيد بن أنس فدعاه فقال له يا يزيد بن أنس ان العالم ليس كالجاهل وان الحق ليس كالباطل وانى أخبرك خبر من لم يكذب ولم يكذب ولم يخالف ولم يرتب وانا المؤمنون الميامين الغالبون المسالم وانك صاحب الخيل التى تجر جعابها وتضفر أذنابها حتى تورد ها منابت الزيتون غائرة عيونها لاحقة بطونها اخرج الى الموصل حتى تنزل أدانيها فإني ممدك بالرجال بعد الرجال فقال له يزيد بن أنس سرح معى ثلاثة آلاف فارس أنتخبهم وخلني والفرج الذى توجهنا اليه فان احتجت الى الرجال فسأكتب اليك قال له المختار فاخرج فانتخب على اسم الله من أحببت فخرج فانتخب ثلاثة آلاف فارس فجعل على ربع المدينة النعمان بن عوف بن أبي جابر الأزدى وعلى ربع تميم وهمدان عاصم بن قيس بن حبيب الهمدانى وعلى مذحج وأسد ورفاعة بن عازب الأسدى وعلى ربع ربيعة وكندة سعر بن أبي سعر الحنفى ثم انه فصل من الكوفة فخرج وخرج معه المختار والناس يشيعونه فلما بلغ دير أبي موسى ودعه المختار وانصرف ثم قال له اذا لقيت عدوك فلا تناظرهم وإذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها ولكن خبرك في كل يوم عندى وإن احتجت الى مدد فاكتب الى مع انى ممدك ولو لم تستمدد فانه أشد لعضدك وأعز لجندك وأرعب لعدوك فقال له يزيد بن أنس لا تمدنى الا بدعائك فكفى به مددا وقال له الناس صحبك الله وأدالك وأيدك وودعوه فقال لهم يزيد سلوا الله لى الشهادة وايم الله لئن لقيتهم ففاتنى النصر لا تفوتنى الشهادة ان شاء الله فكتب المختار الى عبد الرحمن بن سعيد ابن قيس أما بعد فخل بين يزيد وبين البلاد ان شاء الله والسلام عليك فخرج يزيد بن أنس بالناس حتى بات بسورا ثم غدا بهم سائرا حتى بات بهم بالمدائن فشكا الناس اليه ما دخلهم

من شدة السير عليهم فأقام بها يوما وليلة ثم انه اعترض بهم أرضا جوخى حتى خرج بهم فى الراذانات حتى قطع بهم الى أرض الموصل فنزل ببنات تلى وبلغ مكانه ومنزله الذى نزل به عبيد الله بن زياد فسأل عن عدتهم فأخبرته عيونه انه خرج معه من الكوفة ثلاثة آلاف فارس فقال عبيد الله فأنا أبعث الى كل ألف ألفين ودعا ربيعة بن المخارق الغنوى وعبد الله ابن حملة الخثعمى فبعثهما فى ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف وبعث ربيعة بن المخارق أولا ثم مكث يوما ثم بعث خلفه عبد الله بن حملة ثم كتب اليهما أيكما سبق فهو أمير على صاحبه وإن انتهيتما جميعا فأكبر كما سنا أمير على صاحبه والجماعة قال فسبق ربيعة بن المخارق فنزل بيزيد بن أنس وهو ببنات تلى فخرج اليه يزيد بن أنس وهو مريض مضنى (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو الصلت عن أبى سعيد الصيقل قال خرج علينا يزيد بن أنس وهو مريض على حمار يمشى معه الرجال يمسكونه عن يمينه وعن شماله بفخذيه وعضديه وجنبيه فجعل يقف على الأرباع رُبع ربع ويقول ياشرطة الله اصبروا تؤجروا وصابروا عدوكم تظفروا واتقوا الله لعلكم تفلحون وقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا ان هلكت فأميركم ورقاء بن عازب الأسدى فان هلك فأميركم عبد الله بن ضمرة العذرى فان هلك فأميركم سعر بن أبى سعر الحنفى قال وأنا والله فيمن يمشى معه ويمسك بعضده ويده وانى لأعرف فى وجهه ان الموت قد نزل به قال فجعل يزيد بن أنس عبد الله بن ضمرة العذرى على ميمنته وسعر بن أبى سعر على ميسرته وجعل ورقاء بن عازب الأسدى على الخيل ونزل هو فوضع بين الرجال على السرير ثم قال لهم ابرزوا لهم بالعراء وقدمونى فى الرجال ثم ان شئتم فقاتلوا عن أميركم وان شئتم ففروا عنه قال فأخرجناه فى ذى الحجة يوم عرفة سنة ٦٦ فأخذنا نمسك أحيانا بظهره فيقول اصنعوا كذا اصنعوا كذا وافعلوا كذا فيأمر بأمره ثم لا يكون بأسرع من ان يغلبه الوجع فيوضع هُنَيْهة ويقتتل الناس وذلك عند شفق الصبح قبل شروق الشمس قال فحملت ميسرتهم على ميمنتنا فاشتد قتالهم وتحمل ميسرتنا على ميمنتهم فتهزمها ويحمل ورقاء بن عازب الاسدى فى الخيل فهزمهم فلم يرتفع الضحى حتى هزمناهم وحوينا عسكرهم (قال أبو مخنف) وحدثنى موسى بن عامر العدوى قال انتهينا الى ربيعة بن المخارق صاحبهم وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل ينادى ياأولياء الحق وياأهل السمع والطاعة الى أنا ابن المخارق قال موسى فأما أنا فكنت غلاما حدثا فهبته ووقفت ويحمل عليه عبد الله بن ورقاء الأسدى وعبد الله بن ضمرة العذرى فقتلاه (قال أبو مخنف) وحدثنى عمر وبن مالك أبو كبشة القينى قال كنت غلاما حين راهقت مع أحد عمومتى فى ذلك العسكر فلما نزلنا بعسكر الكوفيين عبأنا ربيعة بن المخارق فأحسن التعبية وجعل على ميمنته ابن أخيه وعلى ميسرته عبد ربه السلمى وخرج هو فى

الخيل

الخيل والرجال وقال يا أهل الشأم انكم انما تقاتلون العبيد الاباق وقوما قد تركوا الاسلام وخرجوا منه ليست لهم تقية ولا ينطقون بالعربية قال فوالله ان كنت لأحسب ان ذلك كذلك حتى قاتلناهم قال فوالله ما هو الا أن اقتتل الناس اذا رجل من أهل العراق يعترض الناس بسيفه وهو يقول

بَرِئْتُ مِنْ دِينِ الْمُحَكِّمِينَا * وَذَاكَ فِينَا شَرُّ دِينٍ دِينَا

ثم إن قتالنا وقتالهم اشتد ساعة من النهار ثم انهم هزمونا حين ارتفع الضحى فقتلوا صاحبنا وحووا عسكرنا فخرجنا منهزمين حتى تلقانا عبد الله بن حملة على مسيرة ساعة من تلك القرية التي يقال لها بنات تلى فردنا فأقبلنا معه حتى نزل بيزيد بن أنس فبتنا متعارسين حتى أصبحنا فصلينا الغداة ثم خرجنا على تعبية حسنة فجعل على ميمنته الزبير بن حريمة من خثعم وعلى ميسرته ابن أقيصر القحافي من خثعم وتقدم في الخيل والرجال وذلك يوم الاضحى فاقتتلنا قتالا شديدا ثم انهم هزمونا هزيمة قبيحة وقتلونا قتلا ذريعا وحووا عسكرنا وأقبلنا حتى انتهينا الى عبيد الله بن زياد فحدثناه بما لقينا (قال أبو مخنف) وحدثني موسى بن عامر قال أقبل الينا عبد الله بن حملة الخثعمي فاستقبل فل ربيعة بن المخارق الغنوي فردهم ثم جاء حتى نزل ببنات تلى فلما أصبح غادونا وغادينا فتطارت الخيلان من أول النهار ثم انصرفوا وانصرفنا حتى اذا صلينا الظهر خرجنا فاقتتلنا ثم هزمناهم / قال ونزل عبد الله بن حملة فأخذ ينادي أصحابه الكرة بعد الفرة يا أهل السمع والطاعة فحمل عليه عبد الله بن قراد الخثعمي فقتله وحوينا عسكرهم ومافيه وأتى يزيد ابن أنس بثلثمائة أسير وهو في السوق فأخذ يومئ بيده ان اضربوا أعناقهم فقتلوا من عند آخرهم وقال يزيد بن أنس ان هلكت فأميركم ورقاء بن عازب الأسدي فأمسى حتى مات فصلى عليه ورقاء بن عازب ودفنه فلما رأى ذلك أصحابه أسقط في أيديهم وكسر موتة قلوب أصحابه وأخذوا في دفنه فقال لهم ورقاء يا قوم ماذا ترون انه قد بلغني ان عبيد الله بن زياد قد أقبل الينا في ثمانين ألفا من أهل الشأم فأخذوا يتسللون ويرجعون ثم ان ورقاء دعا رؤس الأرباع وفرسان أصحابه فقال لهم يا هؤلاء ماذا ترون فيما أخبرتكم انما أنا رجل منكم ولست بأفضلكم رأيا فأشيروا علي فان ابن زياد قد جاءكم في جند أهل الشأم الأعظم وبجلتهم وفرسانهم وأشرافهم ولا أرى لنا ولكم بهم طاقة على هذه الحال وقد هلك يزيد بن أنس أميرنا وتفرقت عنا طائفة منا فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا قبل ان نلقاهم وقبل ان نبلغهم فيعلموا انا انما ردنا عنهم هلاك صاحبنا فلا يزالوا وانا هائبين لقتلنا منهم أميرهم ولأنا انما نعتمل لانصرافنا بموت صاحبنا وانا ان لقيناهم اليوم كنا مخاطرين فإن هزمنا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا اياهم من قبل اليوم قالوا فإنك نعم ما رأيت انصرف رحمك الله فانصرف فبلغ منصرفهم ذلك المختار وأهل الكوفة

فأرجف الناس ولم يعلموا كيف كان الأمر ان يزيد بن أنس هلك وان الناس هزموا فبعث الى المختار عامله على المدائن عيناله من انباط السواد فأخبره الخبر فدعا المختار ابراهيم بن الأشتر فعقد له على سبعة آلاف رجل ثم قال له سر حتى اذا أنت لقيت جيش ابن أنس فاردد هم معك ثم سر حتى تلقى عدوك فتناجزهم فخرج ابراهيم فوضع عسكره بحمام أعين (قال أبو مخنف) فحدثني أبو زهير النضر بن صالح قال لما مات يزيد بن أنس التقى أشراف الناس بالكوفة فأرجفوا بالمختار وقالوا قتل يزيد بن أنس ولم يصدقوا انه مات وأخذوا يقولون والله لقد تأمر علينا هذا الرجل بغير رضى منا ولقد أدنى موالينا فحملهم على الدواب وأعطاهم وأطعمهم فيئنا ولقد عصتنا عبيدنا فخرب بذلك أيتامنا وأراملنا فاتعدوا منزل شبث بن ربعي وقالوا نجتمع في منزل شيخنا وكان شبث جاهليا اسلاميا فاجتمعوا فأتوا منزله فصلى بأصحابه ثم تذاكروا هذا النحو من الحديث قال ولم يكن فيما أحدث المختار عليهم شيء هو أعظم من ان جعل للموالي من الفيء نصيبا فقال لهم شبث دعوني حتى ألقاه فذهب فلقيه فلم يدع شيأ مما أنكره أصحابه الا وقد ذاكره اياه فأخذ لا يذكر خصلة الا قال له المختار أرضيهم في هذه الخصلة وآتي كل شيء أحبوا قال فذكر المماليك قال فأنا أرد عليهم عبيدهم فذكر له الموالي فقال عمدت الى موالينا وهم في أفاءه الله علينا وهذه البلاد جميعا فأعتقنا رقابهم نأمل الأجر في ذلك والثواب والشكر فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاءنا في فيئنا فقال لهم المختار ان أنا تركت لكم موالينا وجعلت فيأكم فيكم أتقاتلون معي بني أمية وابن الزبير وتعطون على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه وما أطمئن اليه من الايمان فقال شبث ما أدري حتى أخرج الى أصحابي فأذاكرهم ذلك فخرج فلم يرجع الى المختار قال وأجمع رأي أشراف أهل الكوفة على قتال المختار (قال أبو مخنف) فحدثني قدامة بن حوشب قال جاء شبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن ابن سعيد بن قيس حتى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخثعمي فتكلم شبث فحمد الله وأثنى عليه ثم أخبره باجتماع رأيهم على قتال المختار وسأله أن يجيبهم الى ذلك وقال فيما يعتب به المختار انه تأمر علينا بغير رضى منا وزعم ان ابن الحنفية بعثه الينا وقد علمنا ان ابن الحنفية لم يفعل وأطعم موالينا فيئنا وأخذ عبيدنا فخرب بهم يتامانا وأراملنا وأظهر هو وسبابته البراءة من اسلافنا الصالحين قال فرحب بهم كعب بن أبي كعب وأجابهم الى ما دعوه اليه (قال أبو مخنف) حدثني أبي يحيى بن سعيد ان أشراف أهل الكوفة قد كانوا دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف فدعوه الى ان يجيبهم الى قتال المختار فقال لهم ياهؤلاء انكم ان أبيتم الا ان تخرجوا لم أخذ لكم وان أنتم أطعتموني لم تخرجوا فقالوا لم قال لأني أخاف أن تتفرقوا وتختلفوا وتتخاذلوا ومع الرجل والله شجعاؤكم وفرسانكم من أنفسكم أليس معه فلان

وفلان ثم معه عبيدكم ومواليكم وكلمة هؤلاء واحدة وعبيدكم ومواليكم أشد حنقا عليكم من عدوكم فهو مقاتلكم بشجاعة العرب وعداوة العجم وان انتظرتموه قليلا كفيتموه بقدوم أهل الشأم أو بمجيء أهل البصرة فتكونوا قد كفيتموه بغيركم ولم تجعلوا بأسكم بينكم فالوا نشدك الله أن تخالفنا وان تفسد علينا رأينا وما قد اجتمعت عليه جماعتنا قال فأنا رجل منكم فإذا شئتم فاخرجوا فسار بعضهم الى بعض وقالوا انتظروا حتى يذهب عنه ابراهيم بن الأشتر قال فأمهلوا حتى اذا بلغ ابن الأشتر ساباط وثبوا بالمختار قال فخرج عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس الهمدانى فى همدان في جبانة السبيع وخرج زحر بن قيس الجعفى واسحاق بن محمد بن الأشعث في جبانة كندة (قال هشام) فحدثنى سليمان بن محمد الحضرمى قال خرج اليهما جبير الحضرمى فقال لهما اخرجا عن جبانتنا فانا نكره أن نعرى بشر فقال له اسحاق بن محمد وجبانتكم هى قال نعم فانصرفوا عنه وخرج كعب بن أبى كعب الخثعمى في جبانة بشر وسار بشير بن جرير بن عبد الله اليهم في بجيلة وخرج عبد الرحمن بن مخنف فى جبانة مخنف وسار اسحاق بن محمد وزحر بن قيس الى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس بجبانة السبيع وسارت بجيلة وخثعم الى عبد الرحمن بن مخنف وهو بالأزد وبلغ الذين فى جبانة السبيع ان المختار قد عبى لهم خيلا ليسير اليهم فبعثوا الرسل يتلو بعضها بعضا الى الأزد وبجيلة وخثعم يسألونهم بالله والرحم لما عجلوا اليهم فساروا اليهم واجتمعوا جميعا فى جبانة السبيع ولما ان بلغ ذلك المختار سره اجتماعهم فى مكان واحد وخرج شمر بن ذى الجوشن حتى نزل بجبانة بنى سلول في قيس ونزل شبث بن ربعى وحسان بن فائد العبسى وربيعة بن ثروان الضبى فى مضر بالكناسة ونزل حجار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رؤيم فى ربيعة فيما بين التمارين والسبخة ونزل عمرو بن الحجاج الزبيدى في جبانة مراد بمن تبعه من مذحج فبعث اليهم أهل اليمن ان ائتنا فأبى أن يأتيهم وقال لهم جدوا فكانى قد أتيتكم قال وبعث المختار رسولا من يومه يقال له عمرو بن توبة بالركض الى ابراهيم بن الاشتر وهو بساباط أن لا تضع كتابى من يدك حتى تقبل بجميع من معك الىّ قال وبعث اليهم المختار في ذلك اليوم اخبرونى ما تريدون فانى صانع كل ما أحببتم قالوا فانا نريد أن تعتزلنا فانك زعمت أن ابن الحنفية بعثك ولم يبعثك فأرسل اليهم المختار أن ابعثوا اليه من قبلكم وفدا وأبعث اليه من قبلى وفدا ثم انظروا فى ذلك حتى تتبينوه وهو يريد أن يريثهم بهذه المقالة ليقدم عليه ابراهيم بن الاشتر وقد أمر أصحابه فكفوا أيديهم وقد أخذ أهل الكوفة عليهم بأفواه السكك فليس شئ يصل الى المختار ولا الى أصحابه من الماء الا القليل الوتح بحيثهم اذا غفلوا عنه قال وخرج عبد الله بن سبيع فى الميدان فقاتله شاكر قتالا شديدا فجاءه عقبة بن طارق الجشمى فقاتل معه ساعة حتى ردا عاديتهم عنه ثم أقبلا على حاميتهما يسيران حتى نزل عقبة بن طارق مع قيس فى

جبانة بنى سلول وجاء عبد الله بن سبيع حتى نزل مع أهل اليمن فى جبانة السبيع (قال أبو مخنف) حدثنى يونس بن أبى اسحاق ان شمر بن ذى الجوشن أتى أهل اليمن فقال لهم ان اجتمعتم في مكان نجعل فيه مجنبتين ونقاتل من وجه واحد فأنا صاحبكم والا فلا والله لا أقاتل فى مثل هذا المكان فى سكك ضيقة ونقاتل من غير وجه فانصرف الى جماعة قومه في جبانة بنى سلول قال ولما خرج رسول المختار الى ابن الاشتر بلغه من يومه عشية فنادى في الناس أن ارجعوا الى الكوفة فسار بقية عشيته تلك ثم نزل حين أمسى فتعشى أصحابه وأراحوا الدواب شيأ كلا شيأ ثم نادى فى الناس فسار ليلته كلها ثم صلى الغداة بسورا ثم سار من يومه فصلى العصر على باب الجسر من الغد ثم انه جاء حتى بات ليلته فى المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة والجلد حتى اذا كان صبيحة اليوم الثالث من مخرجهم على المختار خرج المختار الى المنبر فصعده (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو جناب الكلبى ان شبث بن ربعى بعث اليه ابنه عبد المؤمن فقال له انما نحن عشيرتك وكف يمينك لا والله لا نقاتلك فثق بذلك منا وكان رأيه قتاله ولكنه كاده ولما ان اجتمع أهل اليمن بجبانة السبيع حضرت الصلاة فكره كل رأس من رؤس أهل اليمن أن يتقدمه صاحبه فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف هذا أول الاختلاف قدموا الرضى فيكم فان فى عشيرتكم سيد قراء أهل المصر فليصل بكم رفاعة بن شداد الفتيانى من بجيلة ففعلوا فلم يزل يصلى بهم حتى كانت الوقعة (قال أبو مخنف) وحدثنى وازع بن السرى ان أنس بن عمرو الأزدى انطلق فدخل فى أهل اليمن وسمعهم وهم يقولون ان سار المختار الى اخواننا من مضر سرنا اليهم وان سار الينا سار وا الينا فسمعها منهم رجل وأقبل جوادا حتى صعد الى المختار على المنبر فأخبره بمقالتهم فقال اما هم فخلفاء لو سرت الى مضر أن يسيروا اليهم وأما أهل اليمن فأشهد لئن سرت اليهم لا تسير اليهم مضر فكان بعد ذلك يدعو ذلك الرجل ويكرمه ثم ان المختار نزل فعبى أصحابه فى السوق والسوق اذ ذاك ليس فيها هذا البناء فقال لابراهيم بن الاشتر الى أى الفريقين أحب اليك أن تسير فقال الى أى الفريقين أحببت فنظر المختار وكان ذا رأى فكره أن يسير الى قومه فلا يبالغ في قتالهم فقال سر الى مضر بالكناسة وعليهم شبث بن ربعى ومحمد بن عمير بن عطارد وأنا أسير الى أهل اليمن * قال ولم يزل المختار يعرف بشدة النفس وقلة البقيا على أهل اليمن وغيرهم اذا ظفر فسار ابراهيم بن الاشتر الى الكناسة وسار المختار الى جبانة السبيع فوقف المختار عند دار عمر بن سعد بن أبى وقاص وسرح بين يديه أحمر بن شميط البجلى ثم الاحمسى وسرح عبد الله بن كامل الشاكرى وقال لابن شميط الزم هذه السكة حتى تخرج الى أهل جبانة السبيع من بين دور قومك وقال لعبد الله بن كامل الزم هذه السكة حتى تخرج على جبانة السبيع من دار آل الاخنس بن شريق ودعاهما فأسر اليهما ان شباما قد بعثت تخبرنى انهم قد أتوا القوم من

ورائهم فضيا فسلكا الطريقين اللذين أمرهما بهما وبلغ أهل اليمن مسير هذين الرجلين اليهم فاقتسموا تينك السكتين فأما السكة التي في دبر مسجد أحمس فانه وقف فيها عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني وإسحاق بن الاشعث وزحر بن قيس وأما السكة التي تلي الفرات فانه وقف فيها عبد الرحمن بن مخنف وبشير بن جرير بن عبد الله وكعب بن أبي كعب ثم ان القوم اقتتلوا كاشد قتال اقتتله قوم ثم ان أصحاب أحمر بن شميط انكشفوا وأصحاب عبد الله ابن كامل أيضا فلم يرع المختار الا وقد جاءه الفل قد أقبل فقال ما وراءكم قالوا هزمنا قال فما فعل أحمر بن شميط قالوا تركناه قد نزل عند مسجد القصاص يعنون مسجد أبي داود في وادعة وكان يعتاده رجال أهل ذلك الزمان يقصون فيه وقد نزل معه أناس من أصحابه وقال أصحاب عبد الله ما ندري ما فعل ابن كامل فصاح بهم أن انصرفوا ثم أقبل بهم حتى انتهى الى دار أبي عبد الله الجدلي وبعث عبد الله بن قراد الخثعمي وكان على أربعمائة رجل من أصحابه فقال سر في أصحابك الى ابن كامل فان يك هلك فأنت مكانه فقاتل القوم بأصحابك وأصحابه وان تجده حيا صالحا فسر في مائة من أصحابك كلهم فارس وادفع اليه بقية أصحابك ومر بالجد معه والمناصحة له فانهم انما ينا صحونني ومن ناصحني فليبشر ثم امض في المائة حتى تأتي أهل جبانة السبيع مما يلي حمام قطن بن عبد الله فمضى فوجد ابن كامل واقفا عند حمام عمرو بن حريث معه أناس من أصحابه قد صبروا وهو يقاتل القوم فدفع اليه ثلثمائة من أصحابه ثم مضى حتى نزل الى جبانة السبيع ثم أخذ في تلك السكك حتى انتهى الى مسجد عبد القيس فوقف عنده وقال لاصحابه ما ترون فقالوا أمرنا لامرك تبع وكل من كان معه من حاشد من قومه وهم مائة فقال لهم والله اني لأحب أن يظهر المختار ووالله اني لكاره أن يهلك أشراف عشيرتي اليوم ووالله لأن أموت أحب الي من أن يحل بهم الهلاك على يدي ولكن قفوا قليلا فاني قد سمعت شباما يزعمون انهم سيأتونهم من ورائهم فلعل شباما تكون هي تفعل ذلك ونعافى نحن منه قال له أصحابه فرأيك فثبت كما هو عند مسجد عبد القيس وبعث المختار مالك ابن عمرو النهدي في مائتي رجل وكان من أشد الناس بأسا وبعث عبد الله بن شريك النهدي في مائتي فارس الى أحمر بن شميط وثبت مكانه فانتهوا اليه وقد علاه القوم وكثروه فاقتتلوا عند ذلك كاشد القتال ومضى ابن الاشتر حتى لقي شبث بن ربعي وأناسا معه من مضر كثيرا وفيهم حسان بن فائد العبسي فقال لهم ابراهيم ويحكم انصرفوا فوالله ما أحب أن يصاب أحد من مضر على يدي فلا تهلكوا أنفسكم فأبوا فقاتلوه فهزمهم واحتمل حسان بن فائد الى أهله فمات حين أدخل اليهم وقد كان وهو على فراشه قبل موته أفاق إفاقة فقال أما والله ما كنت أحب أن أعيش من جراحتي هذه وما كنت أحب أن تكون منيتي الا بطعنة رمح أو بضربة بالسيف فلم يتكلم بعدها كلمة حتى مات وجاءت البشرى الى المختار من قبل ابراهيم

بهزيمة مضر فبعث المختار البشرى من قبله الى أحمر بن شميط والى ابن كامل فالناس على أحوالهم كل أهل سكة منهم قد أعنت ما يليها قال فاجتمعت شبام وقد رأسوا عليهم أبا القلوص وقد أجمعوا واجتمعوا بأن يأتوا أهل اليمن من ورائهم فقال بعضهم لبعض أما والله لو جعلتم جدكم هذا على من خالفكم من غيركم لكان أصوب فسيروا الى مضر أو الى ربيعة فقاتلوهم وشيخهم أبو القلوص ساكت لا يتكلم فقالوا يا أبا القلوص ما رأيك فقال قال الله جل ثناؤه فقاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قوموا فقاموا فمشى بهم قيس رمحين أو ثلاثة ثم قال لهم اجلسوا فجلسوا ثم مشى بهم أنفس من ذلك شيأ ثم قعد بهم ثم قال لهم قوموا ثم مشى بهم الثالثة أنفس من ذلك شيأ ثم قعد بهم فقالوا له يا أبا القلوص والله انك عندنا لأشجع العرب فما يحملك على الذى تصنع قال ان المجرب ليس كمن لم يجرب انى أردت أن ترجع اليكم أفئدتكم وأن توطنوا على القتال أنفسكم وكرهت أن أقحمكم على القتال وأنتم على حال دهش فالوا أنت أبصر بما صنعت فلما خرجوا الى جبانة السبيع استقبلهم على فم السكة الاعسر الشاكرى فحمل عليه الجندعى وأبو الزبير بن كريب فصرعاه ودخلا الجبانة ودخل الناس الجبانة فى آثارهم وهم ينادون بالثارات الحسين فأجابهم أصحاب ابن شميط بالثارات الحسين فسمعها يزيد بن عمير بن ذى مران من همدان فقال بالثارات عثمان فقال لهم رفاعة بن شداد مالنا ولعثمان لا أقاتل مع قوم يبغون دم عثمان فقال له أناس من قومه جئت بنا وأطعناك حتى اذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت انصرفوا ودعوهم فعطف عليهم وهو يقول

أنا ابن شداد على دين على * لست لعثمان بن أروى بولى
لأصلين اليوم فيمن يصطلى * بحر نار الحرب غير مؤتلى

فقاتل حتى قتل وقتل يزيد بن عمير بن ذى مران وقتل النعمان بن صهبان الجرمى ثم الراسبى وكان ناسكا ورفاعة بن شداد بن عوسجة الفتيانى عند حمام المهيذان الذى بالسبخة وكان ناسكا وقتل الفرات بن زحر بن قيس الجعفى وارتث زحر بن قيس وقتل عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس وقتل عمر بن مخنف وقاتل عبد الرحمن بن مخنف حتى ارتث وحملته الرجال على أيديها وما يشعر وقاتل حوله رجال من الأزد فقال حميد بن مسلم

لأضربن عن أبى حكيم * مفارق الأعبد والصميم

وقال سراقة بن مرداس البارقى

يا نفس إلا تصبرى تليمى * لا تتولى عن أبى حكيم

واستخرج من دور الوادعيين خمسمائة أسير فأتى بهم المختار مكتفين فأخذ رجل من بنى نهد وهو من رؤساء أصحاب المختار يقال له عبد الله بن شريك لا يخلو بعربى الا حلى

سبيله فرفع ذلك الى المختار دراهم مولى لبنى نهد فقال له المختار اعرضوهم علىّ وانظروا كل من شهد منهم قتل الحسين فأعلمونى به فأخذوا لا يمرّ عليه برجل قد شهد قتل الحسين الا قيل له هذا ممن شهد قتله فيقدّمه فيضرب عنقه حتى قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانية وأربعين قتيلا وأخذ أصحابه كلما رأوا رجلا قد كان يؤذيهم أو يماريهم أو يضرّبهم خلوا به فقتلوه حتى قتل ناس كثير منهم ومايشعر بهم المختار فأخبر بذلك المختار بعد فدعى بمن بقى من الأسارى فأعتقهم وأخذ عليهم المواثيق أن لا يجامعوا عليه عدوًّا ولا يبغوه ولا أصحابه غائلة الاسراقة بن مرداس البارقى فانه أمر به أن يساق معه الى المسجد قال ونادى منادى المختار انه من أغلق بابه فهو آمن الا رجلا شرك فى دم آل محمد صلى الله عليه وسلم (قال أبو مخنف) حدثنى المجالد بن سعيد عن عامر الشعبى ان يزيد بن الحارث بن يزيد بن رؤيم وحجار بن أبجر بعثا رسلا لهما فقالا لهم كونوا من أهل اليمن قريبا فإن رأيتموهم قد ظهروا فأيكم سبق الينا فليقل صرفان وان كانوا هزموا فليقل جزان فلما هزم أهل اليمن أتتهم رسلهم فقال لهم أول من انتهى اليهم جزان فقام الرجلان فقالا لقومهما انصرفوا الى بيوتكم فانصرفوا وخرج عمرو بن الحجاج الزبيدى وكان ممن شهد قتل الحسين فركب راحلته ثم ذهب عليها فأخذ طريق شراف وواقصة فلم يرع الا الساعة ولا يدرى أرض بخسته أم سماء حصبته وأما فرات بن زحر بن قيس فانه لما قتل بعثت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجعفية وكانت امرأة الحسين بن على الى المختار تسأله ان يأذن لها ان توارى جسده ففعل فدفنته وبعث المختار غلاما له يدعى زربيا فى طلب شمر ابن ذى الجوشن (قال أبو مخنف) فحدثنى يونس بن أبى اسحاق عن مسلم بن عبد الله الضبابى قال تبعنا زربى غلام المختار فلحقنا وقد خرجنا من الكوفة على خيول لنا ضمر فأقبل يتمطر به فرسه فلما دنا منا قال لنا شمر اركضوا وتباعدوا عنى لعل العبد يطمع فى فركضنا فأمعنا وطمع العبد فى شمر وأخذ شمر ما يستطرد له حتى اذا انقطع من أصحابه حمل عليه شمر فدق ظهره وأتى المختار فأخبر بذلك فقال يؤسا لزربى أما لو يستشيرنى ما أمرته ان يخرج لأبى السابغة (قال أبو مخنف) حدثنى أبو محمد الهمدانى عن مسلم بن عبد الله الضبابى قال لما خرج شمر بن ذى الجوشن وأنا معه حين هزمنا المختار وقتل أهل اليمن بحبابة السبيع ووجه غلامه زربيا فى طلب شمر وكان من قتل شمرا ياه ما كان مضى شمر حتى ينزل ساتيدما ثم مضى حتى ينزل الى جانب قرية يقال لها الكلتانية على شاطئ نهر الى جانب تل ثم ارسل الى تلك القرية فأخذ منها علجا فضرب به ثم قال النجاء بكتابى هذا الى المصعب بن الزبير وكتب عنوانه للأمير المصعب بن الزبير من شمر بن ذى الجوشن قال فمضى العلج حتى يدخل قرية فيها بيوت وفيها أبو عمرة وقد كان المختار بعثه فى تلك الأيام الى

تلك القرية ليكون مسلحة فيما بينه وبين أهل البصرة فلقى ذلك العلج علجا من تلك القرية فأقبل يشكو اليه مالقى من شمر فانه لقائم معه يكلمه اذ مر به رجل من أصحاب أبى عمرة فرأى الكتاب مع العلج وعنوانه لمصعب من شمر فسألوا العلج عن مكانه الذى هو به فأخبرهم فإذا ليس بينهم وبينه الا ثلاثة فراسخ قال فأقبلوا يسيرون اليه (قال أبو مخنف) فحدثنى مسلم ابن عبد الله قال وأنا والله مع شمر تلك الليلة فقلنا له لو انك ارتحلت بنا من هذا المكان فإنا نخوف به فقال أوكل هذا فر قامن الكذاب والله لا أتحول منه ثلاثة أيام ملأ الله قلوبكم رعبا قال وكان بذلك المكان الذى كنا فيه دبى كثير فوالله إنى لبين اليقظان والنائم اذ سمعت وقع حوافر الخيل فقلت فى نفسى هذا صوت الدبى ثم انى سمعته أشد من ذلك فانتبهت ومسحت عينى وقلت لا والله ما هذا بالدبى قال وذهبت لأقوم فإذا أنا بهم قد أشرفوا علينا من التل فكبروا ثم أحاطوا بأبياتنا وخرجنا نشتد على أرجلنا وتركنا خيلنا قال فأمر على شمر وانه لمتزر ببرد محقق وكان أبرص فكأنى أنظر الى بياض كشحيه من فوق البرد فانه ليطاعنهم بالرمح قد أعجلوه ان يلبس سلاحه وثيابه فمضينا وتركناه قال فما هو الا ان امعنت ساعة اذ سمعت الله أكبر قتل الله الخبيث (قال أبو مخنف) حدثنى المنذر بن عبد الرحمن بن عبيد أبى الكنود قال أنا والله صاحب الكتاب الذى رأيته مع العلج وأتيت به أبا عمرة وأنا قتلت شمرا قال قلت هل سمعته يقول شيأ ليلتئذ قال نعم خرج علينا فطاعننا برمحه ساعة ثم ألقى رمحه ثم دخل بيته فأخذ سيفه ثم خرج علينا وهو يقول

نبهتمونى لبئس عرين باسلا * جهما محياه يدق الكاهلا
لم ير يوما عن عدو نا كلا * الا كذا مقاتلا أو قاتلا
يبرحهم ضربا ويروى العاملا

(قال أبو مخنف) عن يونس بن أبى اسحاق ولما خرج المختار من جبانة السبيع وأقبل الى القصر أخذ سراقة بن مرادس ينادى به بأعلى صوته

أمنن على اليوم يا خير معد * وخير من حل بشعر والجند
وخير من حى ولى وسجد

فبعث به المختار الى السجن فحبسه ليلة ثم أرسل اليه من الغد فأخرجه فدعا سراقة فأقبل الى المختار وهو يقول

ألا أبلغ أبا اسحاق أنا * نزونا نزوة كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيأ * وكان خروجنا بطرا وحينا
نراهم فى مصافهم قليلا * وهم مثل الدبى حين التقينا

برزنا

برزنا اذ رأيناهم فلما * رأينا القوم قد برزوا الينا
لقينا منهم ضربا طلحفا * وطعنا صائبا حتى انثنينا
نصرت على عدوك كل يوم * بكل كتيبة تثنى حسينا
كنصر محمد في يوم بدر * ويوم الشعب اذ لاقى حنينا
فأبشر اذ ملكت فلو ملكنا * لجرنا في الحكومة واعتدينا
تقبل توبة مني فاني * سأشكر ان جعلت النقد دينا

فلما انتهى الى المختار قال له أصلحك الله أيها الأمير سراقة بن مرداس يحلف بالله الذى لا اله الا هو لقد رأى الملائكة تقاتل على الخيول البلق بين السماء والارض فقال له المختار فاصعد المنبر فأعلم ذلك المسلمين فصعد فأخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به المختار فقال انى قد علمت انك لم تر الملائكة وانما أردت ماقد عرفت ان لا أقتلك فاذهب عنى حيث أحببت لا تفسد على أصحابى (قال أبو مخنف) فحدثنى الحجاج بن على البارقى عن سراقة بن مرداس قال ما كنت في أيمان حلفت بها قط أشد اجتهادا ولا مبالغة في الكذب منى في أيمانى هذه التى حلفت لهم بها انى قد رأيت الملائكة معهم تقاتل فخلوا سبيله فهرب فلحق بعبد الرحمن بن مخنف عند المصعب بن الزبير بالبصرة وخرج أشراف أهل الكوفة والوجوه فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة وخرج سراقة بن مرداس من الكوفة وهو يقول

ألا أبلغ أبا اسحاق أنى * رأيت البلق دهما مصمتات
كفرت بوحيكم وجعلت نذرا * على قتالكم حتى الممات
أرى عينى مالم تبصراه * كلانا عالم بالترهات
اذا قالوا أقول لهم كذبتم * وان حرجوا البست لهم أداتى

حدثنى أبو السائب سلم بن جنادة قال حدثنا محمد بن براد من ولد أبى موسى الأشعرى عن شيخ قال لما أسر سراقة البارقى قال وأنتم أسرتمونى ما أسرنى الا قوم على دواب بلق عليهم ثياب بيض قال فقال المختار أولئك الملائكة فأطلقه فقال

ألا أبلغ أبا اسحاق أنى * رأيت البلق دهما مصمتات
أرى عينى مالم تر أياه * كلانا عالم بالترهات

(قال أبو مخنف) حدثنى عمير بن زيادان عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى قال يوم جبانة السبيع ويحكم من هؤلاء الذين أتونا من ورائنا قيل له شبام فقال يا عجبا يقاتلنى بقومى من لا قوم له (قال أبو مخنف) وحدثنى أبو روق ان شرحبيل بن ذى يقلان من الناعطيين قتل يومئذ وكان من بيوتات همدان فقال يومئذ قبل ان يقتل يالها قتلة ما أفضل مقتولها

قتال مع غير امام وقتال على غير نية وتعجيل فراق الأحبة ولو قتلناهم اذا لم نسلم منهم إنا لله وإنا إليه راجعون أما والله ما خرجت الا مؤاسيا لقومي بنفسي مخافة ان يضطهدوا وايم الله ما نجوت من ذلك ولا أنجوا ولا أغنيت عنهم ولا أغنوا قال ويرميه رجل من الفائشيين من همدان يقال له أحمر بن هديج بسهم فيقتله قال واختصم في عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني نفر ثلاثة سعر بن أبي سعر الحنفي وأبو الزبير الشبامي ورجل آخر فقال سعر طعنته طعنة وقال أبو الزبير لكن ضربته أنا عشر ضربات أو أكثر وقال لي ابنه يا أبا الزبير أتقتل عبد الرحمن بن سعيد سيد قومك فقلت لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم فقال المختار كلكم محسن وانجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلا من قومه (قال أبو مخنف) حدثني النضر بن صالح ان القتل اذ ذاك كان استعر في أهل اليمن وان مضر أصيب منهم بالكناسة بضعة عشر رجلا ثم مضوا حتى مروا بربيعة فرجع حجار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رؤيم وشداد بن المنذر أخو حصين وعكرمة بن ربعي فانصرف جميع هؤلاء الى رحالهم وعطف عليهم عكرمة فقاتلهم قتالا شديدا ثم انصرف عنهم وقد حرج فجاء حتى دخل منزله فقيل له قد مرت خيل في ناحية الحي فخرج فأراد ان يثب من حائط داره الى دار اخرى الى جانبه فلم يستطع حتى حمله غلام له وكانت وقعة جبانة السبيع يوم الأربعاء لست ليال بقين من ذي الحجة سنة ٦٦ قال وخرج اشراف الناس فلحقوا بالبصرة وتجرد المختار لقتلة الحسين فقال ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين يمشون أحياء في الدنيا آمنين بئس ناصر آل محمد انا اذا في الدنيا انا اذا الكذاب كاسمي فإني بالله أستعين عليهم الحمد لله الذي جعلني سيفا ضربهم به ورمحا طعنهم به وطالب وترهم والقائم بحقهم انه كان حقا على الله ان يقتل من قتلهم وان يذل من جهل حقهم فسموهم لي ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم (قال أبو مخنف) فحدثني موسى بن عامر ان المختار قال لهم اطلبوا قتلة الحسين فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم وأنقي المصر منهم (قال أبو مخنف) وحدثني مالك بن أعين الجهني ان عبد الله بن دباس وهو الذي قتل محمد بن عمار بن ياسر الذي قال الشاعر

قتيل ابن دباس أصاب قذاله

هو الذي دل المختار على نفر ممن قتل الحسين منهم عبد الله بن أسيد بن النزال الجهني من حرقة ومالك بن النسير البدي وحمل بن مالك المحاربي فبعث اليهم المختار أبا عمرة مالك بن عمرو النهدي وكان من رؤساء أصحاب المختار فأتاهم وهم بالقادسية فأخذهم فأقبل بهم حتى أدخلهم عليه عشاء فقال لهم المختار يا أعداء الله وأعداء كتابه وأعداء رسوله وآل رسوله أين الحسين ابن علي أدوا الي الحسين قتلتم من أمرتم بالصلاة عليه في الصلاة فقالوا رحمك الله بعشنا ونحن

كارهون فامنن علينا واستبقنا قال المختار فهلا منتم على الحسين ابن بنت نبيكم واستبقيتموه وسقيتموه ثم قال المختار للبدى أنت صاحب برنسه فقال له عبد الله بن كامل نعم هو هو فقال المختار اقطعوا يدى هذا ورجليه ودعوه فليضطرب حتى يموت ففعل ذلك به وترك فلم يزل ينزف الدم حتى مات وأمر بالآخرين فقدما فقتل عبد الله بن كامل عبد الله الجهنى وقتل سعر بن أبى سعر حمل بن مالك المحاربى (قال أبو مخنف) وحدثنى أبو الصلت التيمى قال حدثنى أبو سعيد الصيقل ان المختار دُل على رجال من قتلة الحسين دله عليهم سعر الحنفى قال فبعث المختار عبد الله بن كامل فخرجنا معه حتى مر ببنى ضُبيعة فأخذ منهم رجلا يقال له زياد ابن مالك قال ثم مضى الى عنزة فأخذ منهم رجلا يقال له عمران بن خالد قال ثم بعثنى فى رجال معه يقال لهم الدبابة الى دار فى الحمراء فيها عبد الرحمن بن أبى خشكارة البجلى وعبد الله بن قيس الخولانى فجئنا بهم حتى أدخلناهم عليه فقال لهم يا قتلة الصالحين وقتلة سيد شباب أهل الجنة ألا ترون الله قد أفاد منكم اليوم لقد جاءكم الورس بيوم نحس وكانوا قد أصابوا من الورس الذى كان مع الحسين أخرجوهم الى السوق فضربوا رقابهم ففعل ذلك بهم فهؤلاء أربعة نفر (قال أبو مخنف) وحدثنى سليمان بن أبى راشد عن حميد بن مسلم قال جاءنا السائب بن مالك الأشعرى فى خيل المختار فخرجت نحو عبد القيس وخرج عبد الله وعبد الرحمن ابنا صلخب فى أثرى وشغلوا بالاحتباس عليهما عنى فنجوت وأخذوهما ثم مضوا بهما حتى مروا على منزل رجل يقال له عبد الله بن وهب بن عمرو ابن عم أعشى همدان من بنى عبد فأخذوه فانتهوا بهم الى المختار فأمر بهم ففقئوا فى السوق فهؤلاء ثلاثة فقال حميد بن مسلم فى ذلك حيث نجا منهم

ألم ترنى على دهش * نجوت ولم أكد أنجو
رجاء الله أنقذنى * ولم أك غيره أرجو

(قال أبو مخنف) حدثنى موسى بن عامر العدوى من جهينة وقد عرف ذلك الحديث شهم ابن عبد الرحمن الجهنى قال بعث المختار عبد الله بن كامل الى عثمان بن خالد بن أسير الدهمانى من جهينة والى أبى أسماء بشر بن سوط القابضى وكانا ممن شهد قتل الحسين وكانا اشتركا فى دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبى طالب وفى سلبه فأحاط عبد الله بن كامل عند العصر بمسجد بنى دُهمان ثم قال على مثل خطايا بنى دهمان منذ يوم خلقوا الى يوم يبعثون إن لم أوت بعثمان بن خالد بن أسير إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم فقلنا له أمهلنا نطلبه فخرجوا مع الخيل فى طلبه فوجدوهما جالسين فى الجبانة وكانا يريدان ان يخرجا الى الجزيرة فأتى بهما عبد الله بن كامل فقال الحمد لله الذى كفى المؤمنين القتال لم يجدوا هذا مع هذا عنا نا الى منزله فى طلبه فالحمد لله الذى حينك حتى أمكن منك فخرج بهما حتى اذا كان فى موضع بئر الجعد ضرب أعناقهما ثم رجع فأخبر المختار خبرهما فأمره ان يرجع اليهما

فيحرقهما بالنار وقال لا يدفنان حتى يحرقا فهذان رجلان فقال أعشى همدان يرثى عثمان الجهني

يا عين بكي فتى الفتيان عثمانا * لا يبعدن الفتى من آل دهمانا
واذكر فتى ماجدا حلوا شمائله * ما مثله فارس في آل همدانا

قال موسى بن عامر وبعث معاذ بن هانئ بن عدي الكندي ابن أخي حجر وبعث أبا عمرة صاحب حرسه فساروا حتى أحاطوا بدار خولي بن يزيد الأصبحي وهو صاحب رأس الحسين الذي جاء به فاختبأ في مخرجه فأمر معاذ أبا عمرة ان يطلبه في الدار فخرجت امرأته اليهم فقالوا لها أين زوجك فقالت لا أدري أين هو وأشارت بيدها الى المخرج فدخلوا فوجدوه قد وضع على رأسه قوصرة فأخرجوه وكان المختار يسير بالكوفة ثم انه أقبل في أثر أصحابه وقد بعث أبو عمرة اليه رسولا فاستقبل المختار الرسول عند دار أبي بلال ومعه ابن كامل فاخبره الخبر فأقبل المختار نحوهم فاستقبل به فردده حتى قتله الى جانب أهله ثم دعا بنار فحرقه ثم لم يبرح حتى عاد رمادا ثم انصرف عنه وكانت امرأته من حضرموت يقال لها العيوف بنت مالك بن نهار بن عقرب وكانت نصبت له العداوة حين جاء برأس الحسين (قال أبو مخنف) وحدثني موسى بن عامر أبو الاشعران المختار قال ذات يوم وهو يحدث جلساءه لا قتلن غدار جلا عظيم القدمين غائر العينين مشرف الحاجبين يسر مقتله المؤمنين والملائكة المقربين قال وكان الهيثم بن الاسود النخعي عند المختار حين سمع هذه المقالة فوقع في نفسه ان الذي يريد عمر بن سعد بن أبي وقاص فلما رجع الى منزله دعا ابنه العريان فقال الق ابن سعد الليلة فخبره بكذا وكذا وقل له خذ حذرك فانه لا يريد غيرك قال فأتاه فاستخلاه ثم حدثه الحديث فقال له عمر بن سعد جزى الله أباك والإخاء خيرا كيف يريد هذا بي بعد الذي أعطاني من العهود والمواثيق وكان المختار أول ما ظهر أحسن شيء سيرة وتألف الناس وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة أكرم خلق الله على المختار لقرابته بعلي فكلم عمر بن سعد عبد الله بن جعدة وقال له اني لا آمن هذا الرجل يعني المختار فخذ لي منه أمانا ففعل قال فأنا رأيت أمانه وقرأته بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمان من المختار بن أبي عبيد لعمر بن سعد بن أبي وقاص انك آمن بأمان الله على نفسك ومالك وأهلك وأهل بيتك وولدك لا تؤاخذ بحدث كان منك قديما ما سمعت وأطعت ولزمت رحلك وأهلك ومصرك فمن لقي عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد ومن غيرهم من الناس فلا يعرض له الا بخير شهد السائب بن مالك وأحمر بن شميط وعبد الله بن شداد وعبد الله بن كامل وجعل المختار على نفسه عهد الله وميثاقه ليفين لعمر بن سعد بما أعطاه من الامان الا أن يحدث حدثا وأشهد الله على نفسه وكفى بالله شهيدا قال فكان أبو جعفر محمد بن علي

يقول

يقول أما أمان المختار لعمر بن سعد الا أن يحدث حدثا فانه كان يريد به اذا دخل الخلاء فأحدث قال فلما جاءه العريان بهذا خرج من تحت ليلته حتى أتى حمامه ثم قال في نفسه أنزل داري فرجع فعبر الروحاء ثم أتى داره غدوة وقد أتى حمامه فأخبر مولى له بما كان من أمانه وبما أريد به فقال له مولاه وأي حدث أعظم مما صنعت انك تركت رحلك وأهلك وأقبلت الى ههنا ارجع الى رحلك لا تجعلن للرجل عليك سبيلا فرجع الى منزله وأتى المختار بانطلاقه فقال كلا ان في عنقه سلسلة . نردُّه لوجهد أن ينطلق ما استطاع قال وأصبح المختار فبعث اليه أبا عمرة وأمره أن يأتيه به فجاءه حتى دخل عليه فقال أجب الامير فقام عمر فعثر في جبة له ويضربه أبو عمرة بسيفه فقتله وجاء برأسه في أسفل قبائه حتى وضعه بين يدي المختار فقال المختار لابنه حفص بن عمر بن سعد وهو جالس عنده أتعرف هذا الرأس فاسترجع وقال نعم ولا خير في العيش بعده قال له المختار صدقت فانك لا تعيش بعده فأمر به فقتل واذا رأس أبيه مع رأس أبيه ثم ان المختار قال هذا بحسين وهذا بعلي ابن حسين ولا سواء والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله فقالت حميدة بنت عمر بن سعد تبكي أباها

لو كان غيرُ أخي قسيٍّ غرَّهُ * أو غيرُ ذي يمنٍ وغيرُ الاعجم
يبغي بنفسي ذاك شيأ فاعلموا * عنه وما البطريقُ مثلُ الألأم
أعطى ابن سعدٍ في الصحيفة وابنهُ * عهدا يلينُ له جناحُ الارقم

فلما قتل المختار عمر بن سعد وابنه بعث برأسيهما مع مسافر بن سعيد بن نمران الناعطي وظبيان بن عمارة التميمي حتى قدما بهما على محمد بن الحنفية وكتب الى ابن الحنفية في ذلك بكتاب (قال أبو مخنف) وحدثني موسى بن عامر قال انما كان هيج المختار على قتل عمر بن سعد ان يزيد بن شراحيل الانصاري أتى محمد بن الحنفية فسلم عليه فجرى الحديث الى أن تذاكروا المختار وخروجه ومايدعو اليه من الطلب بدماء أهل البيت فقال محمد بن الحنفية على أهون رسله يزعم انه لنا شيعة وقتلة الحسين جلساؤه على الكراسي يحدثونه قال فوعاها الآخر منه فلما قدم الكوفة أتاه فسلم عليه فسأله المختار هل لقيت المهدي فقال له نعم فقال ما قال لك وماذا كرك قال فخبره الخبر قال فما لبث المختار عمر بن سعد وابنه ان قتلهما ثم بعث برؤوسهما الى ابن الحنفية مع الرسولين اللذين سميتنا وكتب معهما الى ابن الحنفية بسم الله الرحمن الرحيم للمهدي محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد سلام عليك يا أيها المهدي فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فان الله بعثني نقمة على أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد فالحمد لله الذي قتل قاتليكم ونصر مؤازريكم وقد بعثت اليك برأس عمر بن سعد وابنه وقد قتلنا من شرك في دم الحسين وأهل بيته رحمة الله

عليهم كل من قدرنا عليه ولن يعجز الله من بقي ولست بمنجم عنهم حتى لا يبلغني ان على أديم الارض منهم ارميا فاكتب الى أيها المهدي برأيك اتبعه وأكون عليه والسلام عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته ثم ان المختار بعث عبد الله بن كامل الى حكيم بن طفيل الطائي السنبسي وقد كان أصاب سلب العباس بن علي ورمى حسينا بسهم فكان يقول تعلق سهمي بسرباله وماضرّه فأتاه عبد الله بن كامل فأخذه ثم أقبل به وذهب أهله فاستغاثوا بعدي بن حاتم فلحقهم في الطريق فكلم عبد الله بن كامل فيه فقال ما الى من أمره شيء انما ذلك الى الامير المختار قال فاني آتيه قال فأتاه راشدا فمضى عدي نحو المختار وكان المختار قد شقعه في نفر من قومه أصابهم يوم جبانة السبيع لم يكونوا نطقوا بشيء من أمر الحسين ولا أهل بيته فقالت الشيعة لابن كامل انا نخاف أن يشفع الامير عدي بن حاتم في هذا الخبيث وله من الذنب ما قد علمت فدعنا نقتله قال شأنكم به فلما انتهوا به الى دار العنزيين وهو مكتوف نصبوه غرضا ثم قالوا له سلبت ابن علي ثيابه والله لنسلبنك ثيابك وأنت حي تنظر فنزعوا ثيابه ثم قالوا له رميت حسينا واتخذته غرضا لنبلك وقلت تعلق سهمي بسرباله ولم يضره وايم الله لنرمينك كما رميته بنبال ما تعلق بك منها أجزاك قال فرموه رشقا واحدا فوقعت به منهم نبال كثيرة فخر ميتا (قال أبو مخنف) فحدثني أبو الجارود عمن رآه قتيلا كانه قنفذ لما فيه من كثرة النبل ودخل عدي بن حاتم على المختار فأجلسه معه على مجلسه فأخبره عدي عما جاء له فقال له المختار أتستهل يا أباطريف أن تطلب في قتلة الحسين قال انه مكذوب عليه أصلحك الله قال اذا ندعه لك قال فلم يكن بأسرع من أن دخل ابن كامل فقال له المختار ما فعل الرجل قال قتلته الشيعة قال وما أعجلك الى قتله قبل أن تأتيني به وهو لا يسرّه انه لم يقتله وهذا عدي قد جاء فيه وهو أهل أن يشفع ويؤتى ما سرّه قال غلبتني والله الشيعة قال له عدي كذبت يا عدو الله ولكن ظننت ان من هو خير منك سيشفعني فيه فبادرتني فقتلته ولم يكن خطر يدفعك عما صنعت قال فاستغفر اليه ابن كامل بالشتيمة فوضع المختار أصبعه على فيه يأمر ابن كامل بالسكوت والكف عن عدي فقام عدي راضيا عن المختار ساخطا على ابن كامل يشكوه عند من لقي من قومه وبعث المختار الى قاتل علي بن الحسين عبد الله بن كامل وهو رجل من عبد القيس يقال له مرّة بن منقذ بن النعمان العبدي وكان شجاعا فأتاه ابن كامل فأحاط بداره فخرج اليهم وبيده الرمح وهو على فرس جواد فطعن عبيد الله بن ناجية الشبامي فصرعه ولم يضره قال ويضربه ابن كامل بالسيف فيتقيه بيده اليسرى فأسرع فيها السيف وتمطرت به الفرس فأفلت ولحق بمصعب وشلت يده بعد ذلك قال وبعث المختار أيضا عبد الله الشاكري الى رجل من جنب يقال له زيد بن رقاد كان يقول لقد رميت فتى منهم بسهم وانه لواضع كفه على

جبهته يتقى النبل فأثبت كفه في جبهته فما استطاع أن يزيل كفه عن جبهته (قال أبو مخنف) فحدثني أبو عبد الاعلى الزبيدي ان ذلك الفتى عبد الله بن مسلم بن عقيل وانه قال حيث أثبت كفه في جبهته اللهم انهم استقلونا واستذلونا اللهم فاقتلهم كما قتلونا وأذلهم كما استذلونا ثم انه رمى الغلام بسهم آخر فقتله فكان يقول جئته ميتا فنزعت سهمي الذي قتلته به من جوفه فلم أزل أنضنض السهم من جبهته حتى نزعته وبقي النصل في جبهته مثبتا ما قدرت على نزعه قال فلما أتى ابن كامل داره أحاط بها واقتحم الرجال عليه فخرج مصلتا بسيفه وكان شجاعا فقال ابن كامل لا تضربوه بسيف ولا تطعنوه برمح ولكن ارموه بالنبل وارجموه بالحجارة ففعلوا ذلك به فسقط فقال ابن كامل ان كان به رمق فأخرجوه فأخرجوه وبه رمق فدعا بنار فحرقه بها وهو حي لم تخرج روحه وطلب المختار سنان بن أنس الذي كان يدعى قتل الحسين فوجده قد هرب الى البصرة فهدم داره وطلب المختار عبد الله بن عقبة الغنوي فوجده قد هرب ولحق بالجزيرة فهدم داره وكان ذلك الغنوي قد قتل منهم غلاما وقتل رجل آخر من بني أسد يقال له حرملة بن كاهل رجلا من آل الحسين ففيهما يقول ابن أبي عقب الليثي

وعند غني قطرة من دمائنا * وفي أسد أخرى تعد وتذكر

وطلب رجلا من خثعم يقال له عبد الله بن عروة الخثعمي كان يقول رميت فيهم باثني عشر سهما ضيعة فما أخطأت ولحق بمصعب فهدم داره وطلب رجلا من صداء يقال له عمرو بن صبيح وكان يقول لقد طعنت بعضهم وجرحت فيهم وما قتلت منهم أحدا فأتى ليلا وهو على سطحه وهو لا يشعر بعد ما هدأت العيون وسيفه تحت رأسه فأخذوه أخذا وأخذوا سيفه فقال قبحك الله سيفا ما أقربك وأبعدك فجيء به الى المختار فحبسه معه في القصر فلما ان أصبح أذن لاصحابه وقيل ليدخل من شاء أن يدخل ودخل الناس وجيء به مقيدا فقال أما والله يا معشر الكفرة الفجرة ان لو بيدي سيفي لعلمتم أني بنصل السيف غير رعش ولا رعديد ما يسرني اذ كانت منيتي قتلا انه قتلني من الخلق أحد غيركم لقد علمت انكم شرار خلق الله غير اني وددت ان بيدي سيفا أضرب به فيكم ساعة ثم رفع يده فلطم عين ابن كامل وهو الى جنبه فضحك ابن كامل ثم أخذ بيده وأمسكها ثم قال انه يزعم أنه قد جرح في آل محمد وطعن فمرنا بأمرك فيه فقال المختار علي بالرماح فأتي بها فقال اطعنوه حتى يموت فطعن بالرماح حتى مات (قال أبو مخنف) حدثني هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم بن هشام ان أصحاب المختار مروا بدار بني أبي زرعة بن مسعود فرموهم من فوقها فأقبلوا حتى دخلوا الدار فقتلوا الهبياط بن عثمان بن أبي زرعة الثقفي وعبد الرحمن بن عثمان بن أبي زرعة الثقفي وأفلتهم عبد الملك بن أبي زرعة بضربة في رأسه فجاء يشتد حتى دخل على المختار فأمر امرأته أم ثابت ابنة سمرة بن جندب فداوت شجته ثم دعاه فقال لا ذنب لي انكم رميتم القوم

فاغضبتموهم وكان محمد بن الاشعث بن قيس فى قرية الاشعث الى جنب القادسية فبعث المختار اليه حوشبا سادن الكرسى فى مائة فقال انطلق اليه فانك تجده لاهيا متصيدا أو قائما متلبدا أو خائفا متلددا أو كامنا متغمدا فان قدرت عليه فأتنى برأسه فخرج حتى أتى قصره فأحاط به وخرج منه محمد بن الاشعث فلحق بمصعب وأقاموا على القصر وهم يرون انه فيه ثم انهم دخلوا فعلموا انه قد فاتهم فانصرفوا الى المختار فبعث الى داره فهدمها وبنى بلبنها وطينها دار حجر بن عدى الكندى وكان زياد بن سمية قد هدمها ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة دعى المثنى بن مخربة العبدى الى البيعة للمختار بالبصرة أهلها ﴿ذكر خبر ذلك﴾ فحدثنى أحمد بن زهير عن على بن محمد عن عبد الله بن عطية الليثى وعامر بن الاسود المثنى بن مخربة العبدى كان ممن شهد عين الوردة مع سليمان بن صرد ثم رجع مع من رجع ممن بقى من التوابين الى الكوفة والمختار محبوس فأقام حتى خرج المختار من السجن فبايعه المثنى سرا وقال له المختار الحق ببلدك بالبصرة فادع الناس وأسر أمرك فقدم البصرة فدعا فأجابه رجال من قومه وغيرهم فلما أخرج المختار ابن مطيع من الكوفة ومنع عمر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام من الكوفة خرج المثنى بن مخربة فاتخذ مسجدا واجتمع اليه قومه ودعا الى المختار ثم أتى مدينة الرزق فعسكر عندها وجمعوا الطعام فى المدينة ونحروا الجزر فوجه اليهم القباع عباد بن حصين وهو على شرطته وقيس بن الهيثم فى الشرط والمقاتلة فأخذوا فى سكة الموالى حتى خرجوا الى السبخة فوقفوا ولزم الناس دورهم فلم يخرج أحد فجعل عباد ينظر هل يرى أحدا يسأله فلم ير أحدا فقال أما ههنا رجل من بنى تميم فقال خليفة الأعور مولى بنى عدى عدى الرباب هذه دار ورّاد مولى بنى عبد شمس قال دق الباب فدقه فخرج اليه وراد فشتمه عباد وقال ويحك أنا واقف ههنا لم نخرج الى قال لم أدر ما بوا فقك قال شد عليك سلاحك واركب ففعل ووقفوا وأقبل أصحاب المثنى فواقفوهم فقال عباد لوراد قف مكانك مع قيس فوقف قيس بن الهيثم ووراد ورجع عباد فأخذ فى طريق الذباحين والناس وقوف فى السبخة حتى أتى الكلاء والمدينة الرزق أربعة أبواب باب مما يلى البصرة وباب الى الخلالين وباب الى المسجد وباب الى مهب الشمال فأتى الباب الذى يلى النهر مما يلى أصحاب السقط وهو باب صغير فوقف ودعا بسلم فوضعه مع حائط المدينة فصعد ثلاثون رجلا وقال لهم الزموا السطح فاذا سمعتم التكبير فكبروا على السطوح ورجع عباد الى قيس بن الهيثم وقال لوراد حرّش القوم فطاردهم وراد ثم التبس القتال فقتل أربعون رجلا من أصحاب المثنى وقتل رجل من أصحاب عباد وسمع الذين على السطوح فى دار الرزق الضجة والتكبير فكبروا فهرب من كان فى المدينة وسمع المثنى وأصحابه التكبير من ورائهم فانهزموا وأمر عباد وقيس بن الهيثم الناس بالكف عن اتباعهم وأخذوا

مدينة

مدينة الرزق وما كان فيها وأتى المثنى وأصحابه عبد القيس ورجع عباد وقيس ومن معهم الى القباع فوجههما الى عبد القيس فأخذ قيس بن الهيثم من ناحية الجسر وأتاهم عباد من طريق المربد فالتقوا فأقبل زياد بن عمرو العتكي الى القباع وهو في المسجد جالس على المنبر فدخل زياد المسجد على فرسه فقال أيها الرجل لتردن خيلك عن اخواننا أو لنقاتلنها فأرسل القباع الأحنف بن قيس وعمر بن عبد الرحمن المخزومي ليصلحا أمر الناس فأتيا عبد القيس فقال الأحنف لبكر والأزد وللعمامة ألستم على بيعة ابن الزبير قالوا بلى ولكنا لا نسلم اخواننا قال فر وهم فليخرجوا الى أي بلاد أحبوا ولا يفسدوا هذا المصر على أهله وهم آمنون فليخرجوا حيث شاؤا فمشى مالك بن مسمع وزياد بن عمرو ووجوه أصحابهم الى المثنى فقالوا له ولأصحابه آناوالله ما نحن على رأيكم ولكنا كرهنا أن تضاموا فالحقوا بصاحبكم فان من أجابكم الى رأيكم قليل وأنتم آمنون فقبل المثنى قولهم وما أشاروا به وانصرف ورجع الأحنف وقال ما غبنت رأيي الا يومي هذا انى أتيت هؤلاء القوم وخلفت بكرا والأزد ورائي ورجع عباد وقيس الى القباع ونهض المثنى الى المختار بالكوفة في نفر يسير من أصحابه وأصيب في تلك الحرب سويد بن رئاب السنبسي وعقبة بن عشيرة الشني قتله رجل من بني تميم وقتل التميمي فولغ أخوه عقبة بن عشيرة في دم التميمي وقال ثأري وأخبر المثنى المختار حين قدم عليه بما كان من أمر مالك بن مسمع وزياد بن عمرو ومسيرهما اليه وذبهما عنه حتى نهض عن البصرة فطمع المختار فيهما فكتب اليهما أما بعد فاسمعا وأطيعا أوتكما من الدنيا ما شئتما وأضمن لكما الجنة فقال مالك لزياد يا أبا المغيرة قد أكثر لنا أبو اسحاق إعطاءنا الدنيا والآخرة فقال زياد ما زحا لمالك يا أبا غسان أما أنا فلا أقاتل نسيئة من أعطانا الدراهم قاتلنا معه وكتب المختار الى الأحنف بن قيس من المختار الى الأحنف ومن قبله فسلم أنتم أما بعد فويل أم ربيعة من مضر فإن الأحنف مورد قومه سقر حيث لا يستطيع لهم الصدر واني لأملك ما حظ في القدر وقد بلغني انكم تسمونني كذابا وقد كذب الأنبياء من قبلي ولست بخير من كثير منهم وكتب الى الأحنف

اذا اشتريت فرسا من مالكا * ثم أخذت الجوب في شمالكا

فاجعل مصاعا خذ ما من بالكا

حدثني أبو السائب سلم بن جنادة قال حدثنا الحسن بن حماد عن حيان بن علي عن المجالد عن الشعبي قال دخلت البصرة فقعدت الى حلقة فيها الأحنف بن قيس فقال لي بعض القوم من أنت قلت رجل من أهل الكوفة قال أنتم موال لنا قلت وكيف قال قد أنقذناكم من أيدي عبيدكم من أصحاب المختار قلت تدري ما قال شيخ همدان فينا وفيكم فقال الأحنف بن قيس وما قال قلت قال

أفخرتم إن قتلتم أعبدا * وهزمتم مرة آل عزل
واذا فاخرتمونا فاذكروا * ما فعلنا بكم يوم الجمل
بين شيخ خاضب عثنونه * وفتى أبيض وضاح رفل
جاءنا يهدج في سابغة * قد بحناه ضحى ذبح الحمل
وعفونا فنسيتم عفونا * وكفرتم نعمة الله الأجل
وقتلتم خشبيين بهم * بدلا من قومكم شر بدل

فغضب الأحنف فقال ياغلام هات تلك الصحيفة فأتى بصحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم من المختار بن أبي عبيد الى الأحنف بن قيس أما بعد فويل أم ربيعة ومضر فإني الأحنف مورد قومه سقر حيث لا يقدرون على الصدر وقد بلغني انكم تكذبوني وان كذبت فقد كذب رسل من قبلي ولست أنا خيرا منهم فقال هذا منا أو منكم (وقال هشام) بن محمد عن أبي مخنف قال حدثني منيع بن العلاء السعدي ان مسكين بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس كان فيمن قاتل المختار فلما هزم الناس لحق بآذربيجان بمحمد ابن عمير بن عطارد وقال

عجبت دختنوس لما رأتني * قد علاني من المشيب خمار
فأهلت بصوتها وأرنت * لا تهالي قد شاب مني العذار
إن تريني قد بان غرب شبابي * وأتى دون مولدي أعصار
فابن عامين وابن خمسين عاما * أي دهر إلا له أدهار
ليت سيفي لها وجوبتها لي * يوم قالت الا دريم يغار
ليتنا قبل ذلك اليوم متنا * أو فعلنا ما تفعل الأحرار
فعل قوم تقاذف الخير عنهم * لم تقاتل وقاتل العيزار
وتوليت عنهم وأصيبوا * ونفاني عنهم شنار وعار
لهف نفسي على شهاب قريش * يوم يؤتى برأسه المختار

وقال المتوكل

قتلوا حسينا ثم هم ينعونه * إن الزمان بأهله أطوار
لا تبعدن بالطف قتلى ضيعت * وسقى مساكنها مها الامطار
ما شرطة الدجال تحت لوائه * بأضل ممن غره المختار
أبني قسي أوثقوا دجالكم * يجلي الغبار وأنتم أحرار
لو كان علم الغيب عند أخيكم * لتوطأت لكم به الأحبار

ولكان أمرا بيّنا فيما مضى * تأتى به الأنباء والأخبارُ
انى لأرجو أن يكذّب وحيكم * طعن يشقّ عصاكم وحصارُ
ويجيئكم قوم كأنّ سيوفهم * بأكفّهم تحت العجاجة نارُ
لا ينثنون إذا هم لاقوكم * الا وهامُ كماتكم أعشارُ

﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة بعث المختار جيشا الى المدينة لمكر بابن الزبير وهو مظهر له انه وجّههم معونة له لحرب الجيش الذى كان عبد الملك بن مروان وجّهه اليه لحربه فنزلوا وادى القرى

﴿ذكر الخبر عن السبب الداعى كان للمختار الى توجيه ذلك الجيش والى ماصار أمرهم﴾

(قال هشام بن محمد) قال أبو مخنف حدثنى موسى بن عامر قال لما أخرج المختار ابن مطيع من الكوفة لحق بالبصرة وكره ان يقدم على ابن الزبير بمكة وهو مهزوم مفلول فكان بالبصرة مقيما حتى قدم عليه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فصارا جميعا بالبصرة وكان سبب قدوم عمر البصرة ان المختار حين ظهر بالكوفة واستجمع له الأمر وهو عند الشيعة انما يدعو الى ابن الحنفية والطلب بدماء أهل البيت أحذ يخادع ابن الزبير ويكتب اليه فكتب اليه أما بعد فقد عرفت مناصحتى اياك وجهدى على أهل عداوتك وما كنت أعطيتنى اذا أنا فعلت ذلك من نفسك فلما وفيت لك وقضيت الذى كان لك على حسن بى ولم تف بما عاهدتنى عليه ورأيت منى ما قد رأيت فإن تردم راجعتى أراجعك وان ترد مناصحتى انصح لك وهو يريد بذلك كفه عنه حتى يستجمع له الأمر وهو لا يُطلع الشيعة على شئ من هذا الأمر وإذا بلغهم شئ منه أراهم انه أبعد الناس عن ذلك قال فأراد ابن الزبير أن يعلم أسلم هو أم حرب فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى فقال له تجهّز الى الكوفة فقد ولينا كها فقال كيف وبها المختار قال انه يزعم أنه سامع مطيع قال فتجهز بما بين الثلاثين الالف درهم الى الأربعين ألفا ثم خرج مقبلا الى الكوفة قال ويجىء عين المختار من مكة حتى أخبره الخبر فقال له بكم تجهز قال بما بين الثلاثين ألفا الى الأربعين ألفا قال فدعا المختار زائدة بن قدامة وقال له احمل معك سبعين ألف درهم ضعف ما أنفق هذا فى مسيره الينا وتلقّه فى المفاوز وأخرج معك بمسافر بن سعيد بن نمران الناعطى فى خمسمائة فارس دارع رامح عليهم البيض ثم قل له خذ هذه النفقة فإنها ضعف نفقتك فإنه قد بلغنا انك تجهزت وتكلفت قدر ذلك فكر هنا ان تغرم فخذها وانصرف فان فعل والا فأره الخيل وقل له ان وراءهؤلاء مثلهم مائة كتيبة قال فأخذ زائدة المال وأخرج معه الخيل وتلقاه بالمفاوز وعرض عليه المال وأمره بالانصراف فقال له ان أمير المؤمنين قد ولانى الكوفة ولا بد من انفاذ أمره فدعا زائدة بالخيل وقد أكمنها فى جانب فلما رآها

قد أقبلت قال هذا الآن اعذر لى وأجمل بى هات المال فقال له زائدة أما انه لم يبعث به اليك الا ما بينك وبينه فدفعه اليه فأخذه ثم مضى راجعا نحو البصرة فاجتمع بها هو وابن مطيع فى امارة الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة وذلك قبل ونوب المثنى بن مخربة العبدى بالبصرة (قال أبو مخنف) فحدثنى اسماعيل بن نعيم ان المختار أخبران أهل الشأم قد أقبلوا نحو العراق فعرف انه به يبدأ فخشى أن يأتيه أهل الشأم من قبل المغرب ويأتيه مصعب بن الزبير من قبل البصرة فودع ابن الزبير وداراه وكايده وكان عبد الملك بن مروان قد بعث عبد الملك ابن الحارث بن الحكم بن أبى العاص الى وادى القرى والمختار لابن الزبير مكايد موادع فكتب المختار الى ابن الزبير أما بعد فقد بلغنى ان عبد الملك بن مروان قد بعث اليك جيشا فإن أحببت ان أمدك بمدد أمددتك فكتب اليه عبد الله بن الزبير أما بعد فان كنت على طاعتى فلست أكره ان تبعث الجيش الى بلادى وتبايع لى الناس قبلك فإذا أتتنى بيعتك صدقت مقالتك وكففت جنودى عن بلادك وعجل على بتسريح الجيش الذى أنت باعثه ومرهم فليسيروا الى من بوادى القرى من جند ابن مروان فليقاتلوهم والسلام فدعا المختار شرحبيل بن ورس من همدان فسرحه فى ثلاثة آلاف أكثرهم الموالى ليس فيهم من العرب الا سبعمائة رجل فقال له سر حتى تدخل المدينة فاذا دخلتها فاكتب الى بذلك حتى يأتيك أمرى وهو يريد اذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميرا من قبله ويأمر ابن ورس أن يمضى الى مكة حتى يحاصر ابن الزبير ويقاتله بمكة فخرج الآخر يسير قبل المدينة وخشى ابن الزبير أن يكون المختار انما يكيده فبعث من مكة الى المدينة عباس بن سهل بن سعد فى ألفين وأمره أن يستنفر الأعراب وقال له ابن الزبير ان رأيت القوم فى طاعتى فاقبل منهم والا فكايدهم حتى تهلكهم ففعلوا وأقبل عباس بن سهل حتى لقى ابن ورس بالرقيم وقد عبى ابن ورس أصحابه فجعل على ميمنته سلمان بن جرير الثورى من همدان وعلى ميسرته عباش بن جعدة الجدلى وكانت خيله كلها فى الميمنة والميسرة فدنا فسلم عليه ونزل هو يمشى فى الرجالة وجاء عباس فى أصحابه وهم منقطعون على غير تعبية فيجد ابن ورس على الماء قد عبى أصحابه تعبية القتال قد نامنهم فسلم عليهم ثم قال ادخل معى ههنا فخلا به فقال له رحمك الله ألست فى طاعة ابن الزبير فقال له ابن ورس بلى قال فسر بنا الى عدوه هذا الذى بوادى القرى فان ابن الزبير حدثنى انه انما أشخصكم صاحبكم اليهم قال ابن ورس ما أمرت بطاعتك انما أمرت أن أسير حتى آتى المدينة فاذا نزلتها رأيت رأيى قال له عباس بن سهل فان كنت فى طاعة ابن الزبير فقد أمرنى أن أسير بك وبأصحابك الى عدونا الذين بوادى القرى فقال له ابن ورس ما أمرت بطاعتك وما أنا بمتبعك دون ان أدخل المدينة ثم اكتب الى صاحبى فيأمرنى بأمره فلما رأى عباس بن

سهل

سهل لحاجته عرف خلافه فكره أن يعلمه انه قد فطن له فقال فرأيك أفضل اعمل بما بدا لك فأما انا فاني سائر الى وادي القرى ثم جاء عباس بن سهل فنزل بالماء وبعث الى ابن ورس بجزائر كانت معه فأهداها له وبعث اليه بدقيق وغنم مسلخة وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعا فبعث عباس بن سهل الى كل عشرة منهم شاة فذبحوها واشتغلوا بها واختلطوا على الماء وترك القوم تعبيتهم وأمن بعضهم بعضا فلما رأى عباس بن سهل ما هم فيه من الشغل جمع من أصحابه نحوا من ألف رجل من ذوي البأس والنجدة ثم أقبل نحوهم فسطاط شرحبيل بن ورس فلما رآهم ابن ورس مقبلين اليه نادى في أصحابه فلم يتوافى اليه مائة رجل حتى انتهى اليه عباس بن سهل وهو يقول ياشرطة الله الى الى فقاتلوا المحلين أولياء الشيطان الرجيم فإنكم على الحق والهدى وقد غدروا وفجروا (قال أبو مخنف) فحدثني أبو يوسف ان عباسا انتهى اليهم وهو يقول

أنا ابن سهل فارس غير وكل * أروع مقدام اذا الكبش نكل
وأعتلي رأس الطماح البطل * بالسيف يوم الروع حتى ينخزل

قال فوالله ما اقتتلنا الا شيأ ليس بشيء حتى قتل ابن ورس في سبعين من أهل الحفاظ ورفع عباس بن سهل راية أمان لأصحاب ابن ورس فأتوها الا نحوا من ثلثمائة رجل انصرفوا مع سلمان بن حمير الهمداني وعياش بن جعدة الجدلي فلما وقعوا في يد عباس بن سهل أمر بهم فقتلوا الا نحوا من مائتي رجل كره ناس من الناس ممن دفعوا اليهم قتلهم فخلوا سبيلهم فرجعوا فمات أكثرهم في الطريق * فلما بلغ المختار أمرهم ورجع من رجع منهم قام خطيبا فقال ألا إن الفجار الأشرار قتلوا الأبرار الأخيار ألا انه كان أمرا مأتيا وقضاء مقضيا وكتب المختار الى ابن الحنفية مع صالح بن مسعود الخثعمي بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاني كنت بعثت اليك جندا يدلوا لك الأعداء ويحوزوا لك البلاد فساروا اليك حتى اذا أظلوا على طيبة لقيهم جند الملحد فخدعوهم بالله وغروهم بعهد الله فلما اطمأنوا اليهم ووثقوا بذلك منهم وثبوا عليهم فقتلوهم فان رأيت ان أبعث الى أهل المدينة من قبلي جيشا كثيفا وتبعث اليهم من قبلك رسلا حتى يعلم أهل المدينة اني في طاعتك وانما بعثت الجند اليهم عن أمرك فافعل فإنك ستجد عظمهم بحفكم أعرف وبكم أهل البيت أرأف منهم بآل الزبير الظلمة الملحدين والسلام عليك فكتب اليه ابن الحنفية أما بعد فإن كتابك لما بلغني قرأته وفهمت تعظيمك لحقي وما تنوي به من سروري وان أحب الأمور كلها الي ما أطيع الله فيه فأطع الله ما استطعت فيما أعلنت وأسررت واعلم اني لو أردت القتال لوجدت الناس الي سراعا والأعوان لي كثيرا ولكني أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين فأقبل صالح بن مسعود الى ابن الحنفية فودعه وسلم عليه وأعطاه الكتاب وقال له قل للمختار فليتق

الله وليكفف عن الدماء قال فقلت له أصلحك الله أولم تكتب بهذا اليه قال ابن الحنفية قد أمرته بطاعة الله وطاعة الله تجمع الخير كله وتنهى عن الشر كله فلما قدم كتابه على المختار أظهر للناس انى قد أمرت بأمر يجمع البر واليسر ويضرح الكفر والغدر ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة قدمت الخشبية مكة ووافوا الحج وأميرهم أبو عبد الله الجدلي

﴿ذكر الخبر عن سبب قدومهم مكة﴾

وكان السبب في ذلك فيما ذكر هشام عن أبي مخنف وعلي بن محمد عن مسلمة بن محارب ان عبد الله بن الزبير حبس محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وسبعة عشر رجلا من وجوه أهل الكوفة بزمزم وكرهوا البيعة لمن لم تجتمع عليه الأمة وهربوا الى الحرم وتوعدهم بالقتل والإحراق وأعطى الله عهدا إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ماتوعدهم به وضرب لهم في ذلك أجلا فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه ان يبعث الى المختار والى من بالكوفة رسولا يعلمهم حالهم وحال من معهم وماتوعدهم به ابن الزبير فوجه ثلاثة نفر من أهل الكوفة حين نام الحرس على باب زمزم وكتب معهم الى المختار وأهل الكوفة يعلمهم حاله وحال من معه وماتوعدهم به ابن الزبير من القتل والتحريق بالنار ويسألهم أن لا يخذلوه كما خذلوا الحسين وأهل بيته فقدموا على المختار فدفعوا اليه الكتاب فنادى في الناس وقرأ عليهم الكتاب وقال هذا كتاب مهديكم وصريح أهل بيت نبيكم وقد تركوا محظورا عليهم كما يحظر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق بالنار في آناء الليل وثارات النهار ولست أبا اسحاق ان لم أنصرهم نصرا مؤزرا وان لم أسرب اليهم الخيل في أثر الخيل كالسيل يتلوه السيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل ووجه أبا عبد الله الجدلي في سبعين راكبا من أهل القوة ووجه ظبيان بن عثمان أخا بني تميم ومعه أربعمائة وأبا المعتمر في مائة وهانئ بن قيس في مائة وعمير بن طارق في أربعين ويونس بن عمران في أربعين وكتب الى محمد بن علي مع الطفيل بن عامر ومحمد بن قيس يتوجيه الجنود اليه فخرج الناس بعضهم في أثر بعض وجاء أبو عبد الله حتى نزل ذات عرق في سبعين راكبا فلحقه عمير بن طارق في أربعين راكبا ويونس بن عمران في أربعين راكبا فتموا خمسين ومائة فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الكافر كوبات وهم ينادون بالثارات الحسين حتى انتهوا الى زمزم وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم وكان قد بقي من الأجل يومان فطردوا الحرس وكسروا أعواد زمزم ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا له حل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير فقال لهم انى لا أستحل القتال في حرم الله فقال ابن الزبير أتحسبون انى مخل سبيلهم دون ان يبايع ويبايعوا فقال أبو عبد الله الجدلي أي ورب الركن والمقام ورب الحل والحرام لتخلين سبيله أولنجالدنك بأسيافنا جلادا يرتاب منه المبطلون فقال ابن الزبير والله ماهؤلاء الا أكلة

رأس والله لو أذنت لأصحابي ما مضت ساعة حتى تقطف رؤسهم فقال له قيس بن مالك أما والله اني لا رجو ان رمت ذلك ان يوصل اليك قبل ان ترى فينا ما تحب فكف ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة ثم قدم أبو المعتمر في مائة وهانئ بن قيس في مائة وظبيان بن عمارة في مائتين ومعه المال حتى دخلوا المسجد فكبروا ياثارات الحسين فلما رآهم ابن الزبير خافهم فخرج محمد ابن الحنفية ومن معه الى شعب علي وهم يسبون ابن الزبير ويستأذنون ابن الحنفية فيه فيأبى عليهم فاجتمع مع محمد بن علي في الشعب أربعة آلاف رجل فقسم بينهم ذلك المال ﴿ قال أبو جعفر ﴾ وفي هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم من كان بخراسان من رجال بني تميم بسبب قتل من قتل منهم ابنه محمدا قال علي بن محمد حدثنا الحسين بن رشيد الجوزجاني عن الطفيل بن مرداس العمي قال لما تفرقت بنو تميم بخراسان أيام ابن خازم أتى قصر فرتنا عدة من فرسانهم ما بين السبعين الى الثمانين فولوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحتفز المزني ومعه شعبة بن ظهير النهشلي وورد بن الفلق العنبري وزهير بن ذؤيب العدوي وجيهان بن مشجعة الضبي والحجاج بن ناشب العدوي ورقبة بن الحر في فرسان بني تميم قال فأتاهم ابن خازم فحصرهم وخندق خندقا حصينا قال وكانوا يخرجون اليه فيقاتلونه ثم يرجعون الى القصر قال فخرج ابن خازم يوما على تعبية من خندقه في ستة آلاف وخرج أهل القصر اليه فقال لهم عثمان بن بشر بن المحتفز انصرفوا اليوم عن ابن خازم فلا أظن لكم به طاقة فقال زهير بن ذؤيب العدوي امرأته طالق ان رجع حتى ينقض صفوفهم والى جنبهم نهر يدخله الماء في الشتاء ولم يكن يومئذ فيه ماء فاستبطنه زهير فسار فيه فلم يشعر به أصحاب ابن خازم حتى حمل عليهم فحطم أولهم على آخرهم واستداروا وكروا راجعا وأتبعوه على جنبتي النهر يصيحون به لا ينزل اليه أحد حتى انتهى الى الموضع الذي انحدر فيه فخرج فحمل عليهم فأفرجوا له حتى رجع قال فقال ابن خازم لأصحابه اذا طاعنتم زهيرا فاجعلوا في رماحكم كلاليب فأعلقوها في أدانه ان قدرتم عليه فخرج اليهم يوما وفي رماحهم كلاليب قد هيؤها له فطاعنوه فأعلقوا في درعه أربعة أرماح فالتفت اليهم ليحمل عليهم فاضطربت أيديهم فخلوا رماحهم فجاء بجر أربعة أرماح حتى دخل القصر قال فأرسل ابن خازم غزوان بن جزء العدوي الى زهير فقال قل له أرأيتك ان آمنتك وأعطيتك مائة ألف وجعلت لك باسان طعمة تناصحني فقال زهير لغزوان ويحك كيف أناصح قوما قتلوا الأشعث بن ذؤيب فأسقط بها غزوان عند موسى بن عبد الله ابن خازم قال فلما طال عليهم الحصار أرسلوا الى ابن خازم أن خلنا نخرج فنتفرق فقال لا الا أن تنزلوا على حكمي قالوا فإنا ننزل على حكمك فقال لهم زهير ثكلتكم أمهاتكم والله ليقتلنكم عن آخركم فإن طبتم بالموت أنفسا فموتوا كراما أخرجوا بنا جميعا فإما ان تموتوا

جميعا وإما ان ينجو بعضكم ويهلك بعضكم وايم الله لئن شددتم عليهم شدة صادقة ليفرجن لكم عن مثل طريق المربد فان شئتم كنت أمامكم وان شئتم كنت خلفكم قال فأبوا عليه فقال أما إني سأريكم ثم خرج هو ورقبة بن الحر ومع رقبة غلام له تركي وشعبة بن ظهير قال فحملوا على القوم حملة منكرة فأفرجوا لهم فمضوا فأمازهير فرجع الى أصحابه حتى دخل القصر فقال لأصحابه قد رأيتم فأطيعوني ومضى رقبة وغلامه وشعبة فالوا إن فينا من يضعف عن هذا ويطمع في الحياة قال أبعدكم الله أتخلون عن أصحابكم والله لا أكون أجزعكم عند الموت قال ففتحوا القصر ونزلوا فأرسل اليهم فقيدهم ثم حملوا اليه رجلا رجلا فأراد أن يمن عليهم فأبى ابنه موسى وقال والله لئن عفوت عنهم لأتكئن على سيفي حتى يخرج من ظهري فقال له عبد الله أما والله انى لأعلم ان الغي فيما تأمرني به ثم قتلهم جميعا الاثلاثة قال أحدهم الحجاج بن ناشب العدوي وكان رمى ابن خازم وهو محاصرهم فكسر ضرسه فخلف لئن ظفر به ليقتلنه أوليقطعن يده وكان حدثا فكلمه فيه رجال من بني تميم كانوا معتزلين من عمرو بن حنظلة فقال رجل منهم ابن عمي وهو غلام حدث جاهل هبه لي قال فوهبه له وقال النجاء لا أرينك قال وجيهان بن مشجعة الضبي الذي ألقى نفسه على ابنه محمد يوم قتل فقال ابن خازم خلوا عن هذا البغل الدارج ورجل من بني سعد وهو الذي قال يوم لحقوا ابن خازم انصر فوا عن فارس مضر قال وجاؤا بزهير بن ذؤيب فأرادوا حمله وهو مقيد فأبى وأقبل يحجل حتى جلس بين يديه فقال له ابن خازم كيف شكرك ان أطلقتك وجعلت لك باسان طعمة قال لولم تصنع بي الا حقن دمي لشكرتك فقام ابنه موسى فقال تقتل الضبع وتترك الذيخ تقتل اللبوة وتترك الليث قال ويحك نقتل مثل زهير من لقتال عدو المسلمين من لنساء العرب قال والله لو شركت في دم أخي أنت لقتلتك فقام رجل من بني سليم الى ابن خازم فقال أذكرك الله في زهير فقال له موسى اتخذه خلا لبناتك فغضب ابن خازم فأمر بقتله فقال له زهير إن لي حاجة قال وما هي قال تقتلني على حدة ولا تخلط دمي بدماء هؤلاء اللئام فقد نهيتهم عما صنعوا وأمرتهم أن يموتوا كراما وان يخرجوا عليكم مصلتين وايم الله ان لو فعلوا الذعروا بنيك هذا وشغلوه بنفسه عن طلب الثأر بأخيه فأبوا ولو فعلوا ما قتل منهم رجل حتى يقتل رجالا فأمر به فتنحى ناحية فقتل قال مسلمة بن محارب فكان الأحنف بن قيس اذا ذكرهم قال قبح الله ابن خازم قتل رجالا من بني تميم بابنه صبي وغدا حمق لا يساوي علقا ولو قتل منهم رجلا به لكان وفى قال وزعمت بنو عدي انهم لما أرادوا حمل زهير بن ذؤيب أبى واعتمد على رمحه وجمع رجليه فوثب الخندق فلما بلغ الحريش بن هلال قتلهم قال

أعاذل اني لم ألم في قتالهم * وقد عض سيفي كبشهم ثم صمما

أعاذل ما وليتُ حتى تبدّدتْ * رجالٌ وحتى لم أجد مُتقدّما
أعاذل أفنانى السلاح ومن يُطلْ * مُقارعة الأبطال يرجع مكلما
أعينيّ ان أنزفتما الدمع فاسكبا * دما لازمانى دون ان تسكبا الدما
أبعد زهير وابن بشر تتابعا * وورد أرجّى في خراسان مُغنما
أعاذل كم من يوم حرب شهدتهُ * أكرُّ اذا ما فارس السوء أحجما

يعنى بقوله أبعد زهير زهير بن ذؤيب وابن بشر عثمان بن بشر بن المحتفز المازنىّ وورد ابن الفلق العنبرىّ قتلوا يومئذ وقتل سليمان بن المحتفز أخو بشر ﴿قال أبو جعفر﴾ وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان على المدينة مصعب بن الزبير من قبل أخيه عبد الله وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة وعلى قضائها هشام بن هبيرة وكانت الكوفة بها المختار غالبا عليها وبخراسان عبد الله بن خازم ﴿وفى هذه السنة﴾ شخص ابراهيم بن الأشتر متوجها الى عبيد الله بن زياد لحربه وذلك لثمان بقين من ذى الحجة (قال هشام بن محمد) حدّثنى أبو مخنف قال حدّثنى النضر بن صالح وكان قد أدرك ذلك قال حدثنى فُضيل بن خديج وكان قد شهد ذلك وغيرهما قالوا ما هو الا ان فرغ المختار من أهل السبيع وأهل الكناسة فنزل ابراهيم بن الأشتر الا يومين حتى أشخصه الى الوجه الذى كان وجّهه له لقتال أهل الشأم فخرج يوم السبت لثمان بقين من ذى الحجة سنة ٦٦ وأخرج المختار معه من وجوه أصحابه وفرسانهم وذوى البصائر منهم ممن قد شهد الحرب وجرّبها وخرج معه قيس بن طهفة النهدىّ على ربع أهل المدينة وأمر عبد الله بن حيّة الأسدىّ على ربع مذحج وأسد وبعث الأسود بن جراد الكندىّ على ربع كندة وربيعة وبعث حبيب بن منقذ الثورىّ من همدان على ربع تميم وهمدان وخرج معه المختار يشيّعه حتى اذا بلغ دير عبد الرحمن ابن أمّ الحكم اذا أصحاب المختار قد استقبلوه قد حملوا الكرسىّ على بغل أشهب كانوا يحملونه عليه فوقفوا به على القنطرة وصاحب أمر الكرسىّ حَوْشب البرسمىّ وهو يقول يارب عمرنا في طاعتك وانصرنا على الأعداء واذكرنا ولا تنسنا واسترنا قال وأصحابه يقولون آمين آمين قال فضيل فأنا سمعت ابن نَوف الهمدانىّ يقول قال المختار

اما وربّ المُرسلات عُرفا * لنقتلنّ بعد صفٍّ صفّا
وبعد ألف فاسطين ألفا

قال فلما انتهى اليهم المختار وابن الأشتر ازدحموا ازدحاما شديدا على القنطرة ومضى المختار مع ابراهيم الى قناطر رأس الجالوت وهى الى جنب دير عبد الرحمن فاذا أصحاب الكرسىّ قد وقفوا على قناطر رأس الجالوت يستنصرون فلما صار المختار بين قنطرة دير عبد الرحمن وقناطر رأس الجالوت وقف وذلك حين أراد ان

ينصرف فقال لابن الأشتر خذ عني ثلاثا خف الله في سر أمرك وعلانيته وعجل السير واذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم وان لقيتهم ليلا فاستطعت أن لا تصبح حتى تناجزهم وان لقيتهم نهارا فلا تنتظر بهم الليل حتى تحاكمهم الى الله ثم قال هل حفظت ما أوصيتك به قال نعم قال صحبك الله ثم انصرف وكان موضع عسكر ابراهيم بموضع حمام أعين ومنه شخص بعسكره (قال أبو مخنف) فحدثني فضيل بن خديج قال لما انصرف المختار مضى ابراهيم ومعه أصحابه حتى انتهى الى أصحاب الكرسي وقد عكفوا حوله وهم رافعو أيديهم الى السماء يستنصرون فقال ابراهيم اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء سنة بني اسرائيل والذي نفسي بيده اذ عكفوا على عجلهم فلما جاز الفنطرة ابراهيم وأصحابه انصرف أصحاب الكرسي

﴿ذكر الخبر عن سبب كرسي المختار الذي يستنصر به هو وأصحابه﴾

﴿قال أبو جعفر﴾ وكان بدء سببه ما حدثني به عبد الله بن أحمد بن شبويه قال حدثني أبي قال حدثني سليمان قال حدثني عبد الله بن المبارك عن اسحاق بن يحيى بن طلحة قال حدثني معبد بن خالد قال حدثني طفيل بن جعدة بن هبيرة قال أعدمت مرة من الورق فاني لكذلك اذ خرجت يوما فاذا زيات جار لي له كرسي قد ركبه وسخ شديد فخطر على بالي أن لو قلت للمختار في هذا فرجعت فأرسلت الى الزيات أرسل الي بالكرسي فأرسل اني به فأتيت المختار فقلت اني كنت أكتمك شيأ فلم استحل ذلك فقد بدا لي أن أذكره لك قال وما هو قلت كرسي كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه كانه يرى ان فيه أثرة من علم قال سبحان الله فأحرت هذا الى اليوم ابعث اليه ابعث اليه قال وقد غسل وخرج عوده نضار وقد تشرب الزيت فخرج بعض فجيء به وقد غشي فأمر لي باثني عشر ألفا ثم دعا الصلاة جامعة

حدثني معبد بن خالد الجدلي قال انطلق بي وباسماعيل بن طلحة بن عبيد الله وشبث بن ربعي والناس يجرون الى المسجد فقال المختار انه لم يكن في الأمم الخالية أمر الا وهو كائن في هذه الامة مثله وانه كان في بني اسرائيل التابوت فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون وان هذا فينا مثل التابوت اكشفوا عنه فكشفوا عنه أثوابه وقامت السبائية فرفعوا أيديهم وكبروا ثلاثا فقام شبث بن ربعي وقال يا معشر مضر لا تكفرن فتحوه فذبوه وصدوه وأخرجوه قال اسحاق فوالله اني لأرجو أنها الشبث ثم لم يلبث ان قيل هذا عبيد الله بن زياد قد نزل بأهل الشام بأجنيرا فخرج بالكرسي على بغل وقد غشي يمسكه عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة فقتل أهل الشام مقتلة لم يقتلوا مثلها فزادهم ذلك فتنة فارتفعوا فيه حتى تعاطوا الكفر فقلت انا لله وندمت على ما صنعت فتكلم الناس في ذلك فغيب فلم أره بعد

حدثني عبد الله قال حدثني أبي قال قال أبو صالح فقال في ذلك أعشى همدان كما حدثني غير عبد الله

شهدتُ عليكم أنكم سبائيّة * وانى بكم ياشرطة الشرك عارفُ
وأقسم ما كرسيُّكم بسكينة * وان كان قد لفّت عليه اللفائف
وأن ليس كالتابوت فينا وان سعت * شبامٌ حواليه ونهدٌ وخارفُ
وانى امرؤٌ أحببتُ آل محمد * وتابعتُ وحيًا ضمّنته المصاحفُ
وتابعتُ عبد الله لما تتابعت * عليه قريشٌ شمّطها والغطارفُ

وقال المتوكل الليثى

أبلغ أبا اسحاق ان جئته * انى بكرسيّكم كافرُ
تنزو شبامٌ حول أعواده * وتحملُ الوحىَ له شاكرُ
محمرّةً أعينُهم حوله * كأنهن الحمّص الحادر

(فاما أبو مخنف) فانه ذكر عن بعض شيوخه قصة هذا الكرسى غير الذى ذكره عبد الله بن أحمد بالاسناد الذى حدّثنا به عن طفيل بن جعدة والذى ذكر من ذلك ما حدّثنا به عن هشام بن محمد عنه قال حدثنا هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم بن هشام ان المختار قال لآل جعدة بن هبيرة بن أبى وهب المخزومى وكانت أمّ جعدة أم هانئ بنت أبى طالب أخت علىّ ابن أبى طالب عليه السلام لابيه وأمه ائتونى بكرسى علىّ بن أبى طالب فقالوا والله ما هو عندنا وما ندرى من أين نجىء به قال لا تكونن حمقى اذهبوا فأتونى به قال فظن القوم عند ذلك أنهم لا يأتون بكرسى فيقولون هو هذا الا قبله منهم فجاؤا بكرسى فقالوا هو هذا فقبله قال فخرجت شبامٌ وشاكر ورؤس أصحاب المختار وقد عصّبوه بالحرير والديباج (قال أبو مخنف) عن موسى بن عامر أبى الاشعر الجهنى ان الكرسى لما بلغ ابن الزبير أمرُه قال أين بعض جنادبة الأزد عنه (قال أبو الاشعر) لما جىء بالكرسى كان أول من سدنه موسى بن أبى موسى الاشعرى وكان يأتى المختار أول ما جاء ويحفّ به لأن أمه أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب ثم انه بعد ذلك عتب عليه فاستحيا منه فدفعه الى حوشب البرسمى فكان صاحبه حتى هلك المختار قال وكان أحد عمومة الاعشى رجلا يكنى أبا امامة يأتى مجلس أصحابه فيقول قد وضع لنا اليوم وحىٌ ما سمع الناس بمثله فيه نبأ ما يكون من شئ (قال أبو مخنف) حدثنا موسى بن عامر انه انما كان يصنع ذلك لهم عبد الله بن نوف ويقول المختار أمرنى به ويتبرأ المختار منه

﴿ ثم دخلت سنة سبع وستين ﴾

﴿ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث ﴾

فما كان فيها من ذلك مقتل عبيد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشأم

﴿ذكر الخبر عن صفة مقتله﴾

*ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف قال حدثني أبو الصلت عن أبي سعيد الصيقل قال مضينا مع ابراهيم بن الاشتر ونحن نريد عبيد الله بن زياد ومن معه من أهل الشأم فخرجنا مسرعين لا نثني نريد أن نلقاه قبل أن يدخل أرض العراق قال فسبقناه الى تخوم أرض العراق سبقا بعيدا ووغلنا في أرض الموصل فتعجلنا اليه وأسرعنا السير فنلقاه بخازر الى جنب قرية يقال لها باربيثا بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ وقد كان ابن الاشتر جعل على مقدمته الطفيل بن لقيط من وهبيل من النخع رجلا من قومه وكان شجاعا بئيسا فلما ان دنا من ابن زياد ضم حميد بن حريث اليه وأخذ ابن الاشتر لا يسير الا على تعبية وضم أصحابه كلهم اليه بخيله ورجاله فأخذ يسير بهم جميعا لا يفرقهم الا انه يبعث الطفيل بن لقيط في الطلائع حتى نزل تلك القرية قال وجاء عبيد الله بن زياد حتى نزل قريبا منهم على شاطئ خازر وأرسل عمير ابن الحباب السلمي الى ابن الاشتر اني معك وأنا أريد الليلة لقاءك فأرسل اليه ابن الاشتر أن القني اذا شئت وكانت قيس كلها بالجزيرة فهم أهل خلاف لمروان وآل مروان وجند مروان يومئذ كلب وصاحبهم ابن بحدل فأتاه عمير ليلا فبايعه وأخبره انه على ميسرة صاحبه وواعده أن ينهزم بالناس وقال ابن الاشتر ما رأيك أخندق علي وأتلوم يومين أو ثلاثة قال عمير بن الحباب لا تفعل انا لله هل يريد القوم الا هذه ان طاولوك وما طلوك فهو خير لهم هم كثير أضعافكم وليس يطيق القليل الكثير في المطاولة ولكن ناجز القوم فانهم قد ملؤا منكم رعبا فأتهم فانهم ان شاموا أصحابك وقاتلوهم يوما بعد يوم ومرة بعد مرة أنسوا بهم واجترؤا عليهم قال ابراهيم الآن علمت انك لي مناصح صدقت الرأي ما رأيت أما ان صاحبي بهذا أوصاني وبهذا الرأي أمرني قال عمير فلا تعدون رأيه فان الشيخ قد ضرسته الحروب وقاسى منها ما لم يقاس أصبح فناهض الرجل ثم ان عميرا انصرف وأذكى ابن الاشتر حرسه تلك الليلة الليل كله ولم يدخل عينه غمض حتى اذا كان في السحر الاول عبى أصحابه وكتب كتائبه وأمر أمراءه فبعث سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي على ميمنته وعلي بن مالك الجشمي على ميسرته وهو أخو أبي الاحوص وبعث عبد الرحمن بن عبد الله وهو أخو ابراهيم بن الاشتر لامه على الخيل وكانت خيله قليلة فضمها اليه وكانت في الميمنة والقلب وجعل على رجالته الطفيل بن لقيط وكانت رايته مع مزاحم بن مالك قال فلما انفجر الفجر صلى بهم الغداة بغلس ثم خرج بهم فصفهم ووضع أمراء الأرباع في مواضعهم وألحق أمير الميمنة بالميمنة وأمير الميسرة بالميسرة وأمير الرجالة بالرجالة وضم الخيل اليه وعليها أخوه لامه عبد الرحمن بن عبد الله فكانت وسطا من الناس ونزل ابراهيم يمشي وقال للناس ازحفوا فزحف الناس معه على رسلهم رويدا رويدا حتى أشرف على تل عظيم مشرف على القوم فجلس عليه

واذا

واذا أولئك لم يتحرك منهم أحد بعد فسرح عبد الله بن زهير السلولي وهو على فرس له يتأكل تأكلا فقال قرب على فرسك حتى تأتيني بخبر هؤلاء فانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى جاء فقال قد خرج القوم على دهش وفشل لقيني رجل منهم فما كان له همة الا ياشيعة أبي تراب ياشيعة المختار الكذاب فقلت ما بيننا وبينكم أجل من الشتم فقال لي ياعدو الله الى ماتدعونا أنتم تقاتلونا مع غير امام فقلت له بل بالثارات الحسين ابن رسول الله ادفعوا الينا عبيد الله بن زياد فانه قتل ابن رسول الله وسيد شباب أهل الجنة حتى نقتله ببعض موالينا الذين قتلهم مع الحسين فانا لا نراه للحسين ندا فنرضى أن يكون منه قودا واذا دفعتموه الينا فقتلناه ببعض موالينا الذين قتلهم جعلنا بيننا وبينكم كتاب الله أو أي صالح من المسلمين شئتم حكما فقال لي قد جربناكم مرة أخرى في مثل هذا يعني الحكمين فغدرتم فقلت له وماهو فقال قد جعلنا بيننا وبينكم حكمين فلم ترضوا بحكمهما فقلت له ماجئت بحجة انما كان صلحنا على انهما اذا اجتمعا على رجل تبعنا حكمهما ورضينا به وبايعناه فلم يجتمعا على واحد وتفرقا فكلاهما لم يوفقه الله لخير ولم يسدده فقال من أنت فأخبرته فقلت له من أنت فقال عدس لبغلته يزجرها فقلت له ما أنصفتني هذا أول غدرك قال ودعا ابن الاشتر بفرس له فركبه ثم مر بأصحاب الرايات كلها فكلما مر على راية وقف عليها ثم قال يا أنصار الدين وشيعة الحق وشرطة الله هذا عبيد الله بن مرجانة قاتل الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله حال بينه وبين بنائه ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه وهم ينظرون اليه ومنعه أن يأتي ابن عمه فيصالحه ومنعه أن ينصرف الى رحله وأهله ومنعه الذهاب في الارض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته فوالله ما عمل فرعون بنجباء بني اسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قد جاءكم الله به وجاء به بكم فوالله اني لأرجو أن لا يكون الله جمع بينكم في هذا الموطن وبينه الا ليشفي صدوركم بسفك دمه على أيديكم فقد علم الله انكم خرجتم غضبا لاهل بيت نبيكم فسار فيما بين الميمنة والميسرة وسار في الناس كلهم فرغبهم في الجهاد وحرضهم على القتال ثم رجع حتى نزل تحت رايته وزحف القوم اليه وقد جعل ابن زياد على ميمنته الحصين بن نمير السكوني وعلى ميسرته عمير بن الحباب السلمي وشرحبيل بن ذي الكلاع على الخيل وهو يمشي في الرجال فلما دانى الصفان حمل الحصين بن نمير في ميمنة أهل الشأم على ميسرة أهل الكوفة وعليها علي بن مالك الجشمي فثبت له هو بنفسه فقتل ثم أخذ رايته قرة بن علي فقتل أيضا في رجال من أهل الحفاظ قتلوا وانهزمت الميسرة فأخذ راية علي بن مالك الجشمي عبد الله بن ورقاء بن جنادة السلولي ابن أخي حبشي بن جنادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل أهل الميسرة حين انهزموا فقال الى يا شرطة الله فأقبل اليه جلهم فقال هذا

أميركم يقاتل سيروا بنا اليه فأقبل حتى أتاه واذا هو كاشف عن رأسه ينادي ياشرطة الله الى أنا ابن الاشتر ان خير فراركم كرار كم ليس مسيئا من أعتب فثاب اليه أصحابه وأرسل الى صاحب الميمنة احمل على ميسرتهم وهو يرجو حينئذ ان ينهزم لهم عمير بن الحباب كما زعم فحمل عليهم صاحب الميمنة وهو سفيان بن يزيد بن المغفل فثبت له عمير بن الحباب وقاتله قتالا شديدا فلما رأى ابراهيم ذلك قال لأصحابه أموا هذا السواد الأعظم فوالله لو قد فضضناه لانجفل من تروز منهم يمنة ويسرة انجفال طير ذعرته فطارت (قال أبو مخنف) فحدثني ابراهيم بن عبد الرحمن الأنصاري عن ورقاء ابن عازب قال مشينا اليهم حتى اذا دنونا منهم أطعنا بالرماح قليلا ثم صرنا الى السيوف والعمد فاضطربنا بها مليا من النهار فوالله ما شبهت ما سمعت بيننا وبينهم من وقع الحديد على الحديد الا مياجن قصاري دار الوليد بن عقبة بن أبي معيط قال فكان ذلك كذلك ثم ان الله هزمهم ومنحنا أكتافهم (قال أبو مخنف) وحدثني الحارث بن حصيرة عن أبي صادق ان ابراهيم بن الأشتر كان يقول لصاحب رايته انغمس برايتك فيهم فيقول له انه جعلت فداك ليس لي متقدم فيقول بلى فإن أصحابك يقاتلون وان هؤلاء لا يهربون ان شاء الله فإذا تقدم صاحب رايته برايته شد ابراهيم بسيفه فلا يضرب به رجلا الا صرعه وكر دابراهيم الرجال من بين يديه كأنهم الحلان واذا حمل برايته شد أصحابه شدة رجل واحد (قال أبو مخنف) حدثني المشرقي انه كان مع عبيد الله بن زياد يومئذ حديدة لا تليق شيأ مرت به وانه لما هزم أصحابه حمل عيينة بن أسماء أخته هند بنت أسماء وكانت امرأة عبيد الله بن زياد فذهب بها وأخذ يرتجز ويقول

إن تصرمي حبالنا فربما * أردت في الهيجا السكمي المعلما

(قال أبو مخنف) وحدثني فضيل بن خديج ان ابراهيم لما شد على ابن زياد وأصحابه انهزموا بعد قتال شديد وقتلى كثيرة بين الفريقين وان عمير بن الحباب لما رأى أصحاب ابراهيم قد هزموا أصحاب عبيد الله بعث اليه أجيئك الآن فقال لا تأتيني حتى تسكن فورة شرطة الله فإني أخاف عليك عاديتهم وقال ابن الأشتر قتلت رجلا وجدت منه رائحة المسك شرقت يداه وغربت رجلاه تحت راية منفردة على شاطئ نهر خازر فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلا ضربه فقده بنصفين فذهبت رجلاه في المشرق ويداه في المغرب وحمل شريك بن جدير التغلبي على الحصين بن نمير السكوني وهو يحسبه عبيد الله بن زياد فاعتنق كل واحد منهما صاحبه ونادى التغلبي اقتلوني وابن الزانية فقتل ابن نمير ❁ وحدثني عبد الله ابن أحمد قال حدثني أبي قال حدثنا سليمان قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثني الحسن بن كثير قال كان شريك بن جدير التغلبي مع علي عليه السلام أصيبت عينه

معه فلما انقضت حرب علي لحق ببيت المقدس فكان به فلما جاءه قتل الحسين قال أعاهد الله ان قدرت على كذا وكذا يطلب بدم الحسين لأقتلن ابن مرجانة أولأموتن دونه فلما بلغه ان المختار خرج يطلب بدم الحسين أقبل اليه قال فكان وجهه مع ابراهيم بن الأشتر وجعل على خيل ربيعة فقال لأصحابه اني عاهدت الله على كذا وكذا فبايعه ثلثمائة على الموت فلما التقوا حمل فجعل يهتكها صفا صفا مع أصحابه حتى وصلوا اليه وثار الرهج فلا يسمع الا وقع الحديد والسيوف فانفرجت عن الناس وهما قتيلان ليس بينهما أحد التغلبي وعبيد الله ابن زياد قال وهو الذي يقول

كل عيش قد أراه قذرا * غير ركز الرمح في ظل الفرس

(قال هشام) قال أبو مخنف حدثني فضيل بن خديج قال قتل شرحبيل بن ذي الكلاع فادعى قتله ثلاثة سفيان بن يزيد بن المفغل الأزدي وورقاء بن عازب الأسدي وعبيد الله ابن زهير السلمي قال ولما هزم أصحاب عبيد الله تبعهم أصحاب ابراهيم بن الأشتر فكان من غرق أكثر ممن قتل وأصابوا عسكرهم فيه من كل شئ وبلغ المختار وهو يقول لأصحابه يأتيكم الفتح أحد اليومين ان شاء الله من قبل ابراهيم بن الأشتر وأصحابه قد هزموا أصحاب عبيد الله ابن مرجانة قال فخرج المختار من الكوفة واستخلف عليها السائب بن مالك الأشعري وخرج بالناس ونزل ساباط (قال أبو مخنف) حدثني المشرقي عن الشعبي قال كنت أنا وأبي ممن خرج معه قال فلما جزنا ساباط قال للناس ابشروا فان شرطة الله قد حسوهم بالسيوف يوما الى الليل بنصيبين أو قريبا من نصيبين ودون منازلهم الا ان جلهم محصور بنصيبين قال ودخلنا المدائن واجتمعنا اليه فصعد المنبر فوالله انه ليخطبنا ويأمرنا بالجد وحسن الرأي والاجتهاد والثبات على الطاعة والطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام اذ جاءته البشرى تترى يتبع بعضها بعضا بقتل عبيد الله بن زياد وهزيمة أصحابه وأخذ عسكره وقتل أشراف أهل الشأم فقال المختار ياشرطة الله ألم أبشركم بهذا قبل ان يكون قالوا بلى والله لقد قلت ذلك قال فيقول لي رجل من بعض جيراننا من الهمدانيين أتؤمن الآن ياشعبي قال قلت بأي شئ أومن أومن بأن المختار يعلم الغيب لا أومن بذلك أبدا قال أولم يقل لنا انهم قد هزموا فقلت له انما زعم لنا انهم هزموا بنصيبين من أرض الجزيرة وانما هو بخازر من أرض الموصل فقال والله لا تؤمن ياشعبي حتى ترى العذاب الأليم فقلت له من هذا الهمداني الذي يقول لك هذا فقال رجل لعمري كان شجاعا قتل مع المختار بعد ذلك يوم حروراء يقال له سلمان بن حمير من الثوريين من همدان قال وانصرف المختار الى الكوفة ومضى ابن الأشتر من عسكره الى الموصل وبعث عماله عليها فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله على نصيبين وغلب على سنجار وداراوما والاها من أرض الجزيرة وخرج أهل الكوفة الذين

كان المختار قاتلهم فهزمهم فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة وكان فيمن قدم على مصعب شبث بن ربعي فقال سراقة بن مرداس البارقي يمدح ابراهيم بن الأشتر وأصحابه في قتل عبيد الله بن زياد

أتاكم غلام من عرانين مذحج * جرئ على الأعداء غير نكول
فيا ابن زياد بؤ بأعظم مالك * وذق حد ماضي الشفرتين صقيل
ضربناك بالعضب الحسام بحدة * إذا ما أبأنا قاتلا بقتيل
جزى الله خيرا شرطة الله إنهم * شفوا من عبيد الله أمس غليل

﴿وفي هذه السنة﴾ عزل عبد الله بن الزبير القباع عن البصرة وبعث عليها أخاه مصعب بن الزبير ﴿حدثني﴾ عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد قال حدثنا الشعبي قال حدثني وافد بن أبي ياسر قال كان عمرو بن سرح مولى الزبير يأتينا فيحدثنا قال كنت والله في الركب الذين قدموا مع المصعب بن الزبير من مكة الى البصرة قال فقدم متلثما حتى أناخ على باب المسجد ثم دخل فصعد المنبر فقال الناس أمير أمير قال وجاء الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وهو أمير هاقبله فسفر المصعب فعرفوه وقالوا مصعب بن الزبير فقال للحارث اظهر اظهر فصعد حتى جلس تحته من المنبر درجة قال ثم قام المصعب فحمد الله وأثنى عليه قال فوالله ما أكثر الكلام ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبإ موسى الى قوله إنه كان من المفسدين وأشار بيده نحو الشام ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وأشار بيده نحو الحجاز ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأشار بيده نحو الشام ﴿حدثني﴾ عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد عن عوانة قال لما قدم مصعب البصرة خطبهم فقال يا أهل البصرة بلغني انكم تلقبون امراءكم وقد سميت نفسي الجزار ﴿وفي هذه السنة﴾ سار مصعب بن الزبير الى المختار فقتله

﴿ذكر الخبر عن سبب مسير مصعب اليه والخبر عن مقتل المختار﴾

قال هشام بن محمد عن أبي مخنف حدثني حبيب بن بديل قال لما قدم شبث على مصعب بن الزبير البصرة وتحته بغلة له قد قطع ذنبها وقطع طرف أذنها وشق قباءه وهو ينادي ياغوثاه ياغوثاه فأتى مصعب فقيل له ان بالباب رجلا ينادي ياغوثاه ياغوثاه مشقوق القباء من صفته كذا وكذا فقال لهم نعم هذا شبث بن ربعي لم يكن ليفعل هذا غيره فأدخلوه فأدخل عليه وجاءه اشراف الناس من أهل الكوفة فدخلوا عليه فأخبروه بما اجتمعوا له وبما أصيبوا به ووثوب عبيدهم وموالهم عليهم وشكوا اليه وسألوه النصر لهم والمسير الى المختار معهم وقدم عليهم محمد ابن الاشعث بن قيس ولم يكن شهد وقعة الكوفة كان في قصر له مما يلي القادسية بطيزناباذ فلما

بلغه

بلغه هزيمة الناس تهيأ للشخوص وسأل عنه المختار فأخبر بمكانه فسرح اليه عبد الله بن قراد الخثعمي في مائة فلما سار والبه وبلغه أن قد دنوا منه خرج في البرية نحو المصعب حتى لحق به فلما قدم على المصعب استحثه بالخروج وأدناه مصعب وأكرمه لشرفه قال وبعث المختار الى دار محمد بن الأشعث فهدمها (قال أبو مخنف) فحدثني أبو يوسف بن يزيد ان المصعب لما أراد المسير الى الكوفة حين أكثر الناس عليه قال لمحمد بن الاشعث اني لا أسير حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة فكتب المصعب الى المهلب وهو عامله على فارس أن أقبل الينا لنشهد أمرنا فإنا نريد المسير الى الكوفة فأبطأ عليه المهلب وأصحابه واعتل بشيء من الخراج لكراهة الخروج فأمر مصعب محمد بن الأشعث في بعض ما يستحثه ان يأتي المهلب فيقبل به وأعلمه انه لا يشخص دون ان يأتي المهلب فذهب محمد بن الأشعث بكتاب المصعب الى المهلب فلما قرأه قال له مثلك يا محمد يأتي بريدا أما وجد المصعب بريدا غيرك قال محمد إني والله ما أنا ببريد أحد غير أن نساءنا وأبناءنا وحرمنا غلبنا عليهم عبدانا وموالينا فخرج المهلب وأقبل بجموع كثيرة وأموال عظيمة معه في جموع وهيئة ليس بها أحد من أهل البصرة ولما دخل المهلب البصرة أتى باب المصعب ليدخل عليه وقد أذن للناس فحجبه الحاجب وهو لا يعرفه فرفع المهلب يده فكسر أنفه فدخل الى المصعب وأنفه يسيل دما فقال له مالك فقال ضربني رجل ما أعرفه ودخل المهلب فلما رآه الحاجب قال هو ذا قال له المصعب عد الى مكانك وأمر المصعب الناس بالمعسكر عند الجسر الأكبر ودعا عبد الرحمن بن مخنف فقال له ائت الكوفة فأخرج الى جميع من قدرت عليه ان تخرجه وادعهم الى بيعتي سرًا وخذل أصحاب المختار فانسل من عنده حتى جلس في بيته مستترا لا يظهر وخرج المصعب فقدم امامه عباد بن الحصين الحبطي من بني تميم على مقدمته وبعث عمر بن عبيد الله بن معمر على ميمنته وبعث المهلب بن أبي صفرة على ميسرته وجعل مالك بن مسمع على خمس بكر بن وائل ومالك بن المنذر على خمس عبد القيس والأحنف بن قيس على خمس تميم وزياد ابن عمرو الأزدي على خمس الأزد وقيس بن الهيثم على خمس أهل العالية وبلغ ذلك المختار فقام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة يا أهل الدين وأعوان الحق وأنصار الضعيف وشيعة الرسول وآل الرسول ان فراركم الذين بغوا عليكم أنوا أشباههم من الفاسقين فاستغووهم عليكم ليمحص الحق وينتعش الباطل ويقتل أولياء الله والله لتهلكون ما عبد الله في الأرض الا بالفرى على الله واللعن لأهل بيت نبيه انتدبوا مع أحمر بن شميط فإنكم لو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم ان شاء الله قتل عاد وإرم فخرج أحمر بن شميط فعسكر بحمام أعين ودعا المختار رؤس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر فبعثهم مع أحمر بن شميط كما كانوا مع ابن الأشتر فإنهم انما فارقوا ابن الأشتر لأنهم رأوه كالمتهاون بأمر المختار فانصرفوا عنه

وبعثهم المختار مع ابن شميط وبعث معه جيشا كثيفا فخرج ابن شميط فبعث على مقدمته ابن كامل الشاكرى وسار أحمر بن شميط حتى ورد المذار وجاء المصعب حتى عسكر منه قريبا ثم ان كل واحد منهما عبى جنده ثم تزاحفا فجعل أحمر بن شميط على ميمنته عبد الله بن كامل الشاكرى وعلى ميسرته عبد الله بن وهب بن نضلة الجشمى وعلى الخيل رزين عبد السلولى وعلى الرجالة كثير بن اسماعيل الكندى وكان يوم خازر مع ابن الأشتر وجعل كيسان أبا عمرة وكان مولى لعرينة على الموالى فجاء عبد الله بن وهب بن أنس الجشمى الى ابن شميط وقد جعله على ميسرته فقال له ان الموالى والعبيد آل خور عند المصدوقة وإن معهم رجالا كثيرا على الخيل وأنت تمشى فرهم فليتزلوا معك فإن لهم بك اسوة فإنى أتخوف إن طوردوا ساعة وطوعنوا وضوربوا أن يطيروا على متونها ويسلموك وانك إن أرجلتهم لم يجدوا من الصبر بدا وانما كان هذا منه غشا للموالى والعبيد لما كانوا القوا منهم بالكوفة فأحب إن كانت عليهم الدبرة أن يكونوا رجالا لا ينجو منهم أحد ولم يتهمه ابن شميط وظن انه انما أراد بذلك نصحه ليصبروا ويقاتلوا فقال يا معشر الموالى انزلوا معى فقاتلوا فنزلوا معه ثم مشوا بين يديه وبين يدى رايته وجاء مصعب بن الزبير وقد جعل عباد بن الحصين على الخيل فجاء عباد حتى دنا من ابن شميط وأصحابه فقال انما ندعوكم الى كتاب الله وسنة رسوله والى بيعة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير وقال الآخرون انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة رسوله والى بيعة الأمير المختار والى ان نجعل هذا الأمر شورى فى آل الرسول فمن زعم من الناس أن أحدا ينبغى له ان يتولى عليهم برئنا منه وجاهدناه فانصرف عباد الى المصعب فأخبره فقال له ارجع فاحمل عليهم فرجع فحمل على ابن شميط وأصحابه فلم يزل منهم أحد ثم انصرف الى موقفه وحمل المهلب على ابن كامل فجال أصحابه بعضهم فى بعض فنزل ابن كامل ثم انصرف عنه المهلب فقام مكانه فوقفوا ساعة ثم قال المهلب لأصحابه كروا كرة صادقة فإن القوم قد أطمعوكم وذلك بحولتهم التى جالوا فحمل عليهم حملة منكرة فولوا وصبر ابن كامل فى رجال من همدان فأخذ المهلب يسمع شعار القوم أنا الغلام الشاكرى أنا الغلام الشامى أنا الغلام الثورى فما كان الا ساعة حتى هزموا وحمل عمر بن عبيد الله بن معمر على عبد الله بن أنس فقاتل ساعة ثم انصرف وحمل الناس جميعا على ابن شميط فقاتل حتى قتل وتنادوا يا معشر بجيلة وخثعم الصبر الصبر فناداهم المهلب الفرار الفرار اليوم أنجى لكم غدا تقتلون أنفسكم مع هذه العبدان أضل الله سعيكم ثم نظر الى أصحابه فقال والله ما أرى استمرار القتل اليوم الا فى قومى ومالت الخيل على رجالة ابن شميط فافترقت فانهزمت وأخذت الصهراء فبعث المصعب عباد بن الحصين على الخيل فقال أيما أسير أخذته فاضرب عنقه وسرح محمد بن الأشعث فى خيل عظيمة من خيل أهل الكوفة ممن كان المختار طردهم فقال دونكم ثأركم

فكانوا حيث انهزموا أشدّ عليهم من أهل البصرة لا يدركون منهزما الا قتلوه ولا يأخذون أسيرا فيعفون عنه قال فلم ينج من ذلك الجيش الا طائفة من أصحاب الخيل وأما رجالتهم فأبيدوا الا قليلا (قال أبو مخنف) حدّثني ابن عياش المنتوف عن معاوية بن قرة المزنيّ قال انتهيت الى رجل منهم فأدخلت سنان الرمح في عينه فأخذت أخضخض عينه بسنان رمحي فقلت له وفعلت به هذا قال نعم إنهم كانوا أحلّ عندنا دماء من الترك والديلم وكان معاوية بن قرة قاضيا لأهل البصرة ففي ذلك يقول الأعشى

ألا هل أتاكَ والأنباء تنمى * بما لاقت بجيلةُ بالمذارِ
أتيح لهم بها ضربٌ طلخفٌ * وطعنٌ صائبٌ وجه النهارِ
كأنّ سحابةً صعقتْ عليهم * فعمّتهم هنالك بالدمارِ
فبشر شيعةَ المختارِ إما * مررتَ على الكوفة بالصغارِ
أقرّ العينَ صرعاهم وقتلٌ * لهم جمٌّ يقتّل بالصحارى
وما ان سرّني إهلاكُ قومي * وان كانوا وجدّك في خيارِ
ولكني سررتُ بما يلاقي * أبو اسحاقَ من خزي وعارِ

وأقبل المصعب حتى قطع من تلقاء واسط القصب ولم تكن واسط هذه بُنيت حينئذ بعدُ فأخذ في كسكر ثم حمل الرجال وأثقالهم وضعفاء الناس في السفن فأخذوا في نهر يقال له نهر خرشاذ ثم خرجوا من ذلك النهر الى نهر يقال له قوسان ثم أخرجهم من ذلك النهر الى الفرات (قال أبو مخنف) وحدّثني فضيل بن خديج الكنديّ ان أهل البصرة كانوا يخرجون فيجرون سفنهم ويقولون

عوّدنا المصعبُ جرّ القلسِ * والزّنبريّاتِ الطوالِ القُعسِ

قال فلما بلغ من مع المختار من تلك الأعاجم ما لقي اخوانهم مع ابن شميط قالوا بالفارسية اين باردروغ كفت يقولون هذه المرّة كذب (قال أبو مخنف) وحدثني هشام بن عبد الرحمن الثقفيّ عن عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفيّ قال والله اني لجالس عند المختار حين أتاه هزيمة القوم وما لقوا قال فأصغى اليّ فقال قتلت والله العبيد قتلة ما سمعت بمثلها قطّ ثم قال وقتل ابن شميط وابن كامل وفلان وفلان فسمى رجالا من العرب أصيبوا كان الرجل منهم في الحرب خيرا من فئام من الناس قال فقلت له فهذه والله مصيبة فقال لي ما من الموت بدٌّ وما من ميتة أموتها أحبّ اليّ من مثل ميتة ابن شميط حبذا مصارع الكرام قال فعلمت ان الرجل قد حدّث نفسه ان لم يُصب حاجته أن يقاتل حتى يموت * ولما بلغ المختار انهم قد أقبلوا اليه في البحر وعلى الظهر سار حتى نزل بهم السيلحين ونظر الى مجتمع الأنهار نهر

الحيرة ونهر السيلحين ونهر القادسية ونهر بُرُسف فسكر الفرات على مجتمع الأنهار فذهب ماء الفرات كله في هذه الأنهار وبقيت سفن أهل البصرة في الطين فلما رأوا ذلك خرجوا من السفن يمشون وأقبلت خيلهم تركض حتى أتوا ذلك السكر فكسروه وصمدوا صمد الكوفة * فلما رأى ذلك المختار أقبل اليهم حتى نزل حَرُوراء وحال بينهم وبين الكوفة وقد كان حصن قصره والمسجد وأدخل في قصره عُدّة الحصار وجاء المصعب يسير اليه وهو بحَرُوراء وقد استعمل على الكوفة عبد الله بن شداد وخرج اليه المختار وقد جعل على ميمنته سُليم بن يزيد الكندي وجعل على ميسرته سعيد بن مُنقذ الهمداني ثم الثوري وكان على شرطته يومئذ عبد الله بن قُراد الخثعمي وبعث على الخيل عمر بن عبد الله النهدي وعلى الرجال مالك بن عمر والنهدي وجعل مصعب على ميمنته المهلب بن أبي صفرة وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله بن مَعْمر التيمي وعلى الخيل عباد بن الحصين الحبطي وعلى الرجال مقاتل بن مسمع البكري ونزل هو يمشي متنكبا قوسا له قال وجعل على أهل الكوفة محمد بن الاشعث فجاء محمد حتى نزل بين المصعب والمختار مغربا ميامنا قال فلما رأى ذلك المختار بعث الى كل خمس من اخماس أهل البصرة رجلا من أصحابه فبعث الى بكر بن وائل سعيد بن منقذ صاحب ميسرته وعليهم مالك بن مسمع البكري وبعث الى عبد القيس وعليهم مالك بن المنذر عبد الرحمن بن شريح الشبامي وكان على بيت ماله وبعث الى أهل العالية وعليهم قيس بن الهيثم السلمي عبد الله بن جَعْدة القرشي ثم المخزومي وبعث الى الأزد وعليهم زياد بن عمرو العَتَكي مسافر بن سعيد بن نمران الناعطي وبعث الى بني تميم وعليهم الأحنف بن قيس سُليم بن يزيد الكندي وكان صاحب ميمنته وبعث الى محمد بن الأشعث السائب بن مالك الأشعري ووقف في بقية أصحابه وتزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض وحمل سعيد بن منقذ وعبد الرحمن بن شريح على بكر بن وائل وعبد القيس وهم في الميسرة وعليهم عمر بن عبيد الله بن معمر فقاتلتهم ربيعة قتالا شديدا وصبروا لهم وأخذ سعيد بن منقذ وعبد الرحمن بن شريح لا يُقلعان اذا حمل واحد فانصرف حمل الآخرون بما حملا جميعا قال فبعث المصعب الى المهلب ما تنتظر ان تحمل على مَن بازائك ألا ترى ما يلقى هذان الخمسان منذ اليوم احمل بأصحابك فقال أي لعمري ما كنت لأجزر الأزد وتميما خشية أهل الكوفة حتى أرى فرصتي قال وبعث المختار الى عبد الله ابن جعدة أن احمل على مَن بازائك فحمل على أهل العالية فكشفهم حتى انتهوا الى المصعب فجثا المصعب على ركبتيه ولم يكن فرّارا فرمى بأسهمه ونزل الناس عنده فقاتلوا ساعة ثم تحاجزوا قال وبعث المصعب الى المهلب وهو في خمسين جامّين كثيري العدد والفرسان لا أبالك ما تنتظر أن تحمل على القوم فمكث غير بعيد ثم إنه قال لأصحابه قد قاتل الناس منذ

اليوم وأنتم وقوف وقد أحسنوا وقد بقى ما عليكم احملوا واستعينوا بالله واصبروا واحملوا على من يليه حملة منكرة فحطموا أصحاب المختار حطمة منكرة فكشفوهم وقال عبد الله بن عمر والنهدى وكان من أصحاب صفين اللهم انى على ما كنت عليه ليلة الخميس بصفين اللهم انى أبرأ اليك من فعل هؤلاء لأصحابه حين انهزموا وأبرأ اليك من أنفس هؤلاء يعنى أصحاب المصعب ثم جالد بسيفه حتى قتل وأتى مالك بن عمرو أبو نمران النهدى وهو على الرجالة بفرسه فركبه وانقصف أصحاب المختار انقصافة شديدة كأنهم أجمة فيها حريق فقال مالك حين ركب ما أصنع بالركوب والله لأن أقتل ههنا أحب الى من أن أقتل فى بيتى أين أهل البصائر أين أهل الصبر فثاب اليه نحو من خمسين رجلا وذلك عند المساء فكر على أصحاب محمد بن الأشعث فقتل محمد بن الأشعث الى جانبه هو وعامة أصحابه فبعض الناس يقول هو قتل محمد بن الاشعث ووجد أبو نمران قتيلا الى جانبه وكندة تزعم ان عبد الملك بن أشاءة الكندى هو الذى قتله فلما مر المختار فى أصحابه على محمد بن الأشعث قتيلا قال يا معشر الأنصار كروا على الثعالب الرواغة فحملوا عليهم فقتل فخثعم تزعم ان عبد الله بن قراد هو الذى قتله (قال أبو مخنف) وسمعت عوف بن عمر والجشمى يزعم ان مولى لهم قتله فادعى قتله أربعة نفر كلهم يزعم انه قتله وانكشف أصحاب سعيد بن منقذ فقاتل فى عصابة من قومه نحو من سبعين رجلا فقتلوا وقاتل سليم بن يزيد الكندى فى تسعين رجلا من قومه وغيرهم ضارب حتى قتل وقاتل المختار على فم سكة شبث ونزل وهو يريد ان لا يبرح فقاتل عامة ليلته حتى انصرف عنه القوم وقتل معه ليلتئذ رجال من أصحابه من أهل الحفاظ منهم عاصم بن عبد الله الأزدى وعياش بن خازم الهمدانى ثم الثورى وأحمر بن هديج الهمدانى ثم الفايشى (قال أبو مخنف) حدثنا أبو الزبيران همدان تنادوا ليلتئذ يا معشر همدان سيفوهم فقاتلوهم أشد القتال فلما ان تفرقوا عن المختار قال له أصحابه أيها الأمير قد ذهب القوم فانصرف الى منزلك الى القصر فقال المختار أما والله ما نزلت وأنا أريد ان آتى القصر فأما اذا انصرفوا فاركبوها بنا على اسم الله فجاء حتى دخل القصر فقال الأعشى فى قتل محمد بن الاشعث

تأوب عينك عوارها * وعاد لنفسك تذكارها
وإحدى ليالك راجعتها * أرقت ونوم سمارها
وماذاقت العين طعم الرقا * د حتى تبلج إسفارها
وقام نعاة أبى قاسم * فأسبل بالدمع مخدارها
فحق العيون على ابن الأشـ * ـج أن لا يفتر تقطارها
وألا تزال تبكى له * وتبتل بالدمع أشفارها
عليك محمد لما ثويت * تبكى البلاد وأشجارها

ومايذكرونك إلا بكوا * اذا ذمة خانها جارها
وعارية من ليالى الشتا * ء لا يمنح أيسارها
ولا ينبح الكلب فيها العفو * ر الا الهرير وتختارها
ولا ينفع الثوب فيها الفتى * ولا ربة الخدر تخدارها
فأنت محمد في مثلها * مهين الجزائر نحارها
تظل جفانك موضوعة * تسيل من الشحم أصبارها
ومافى سقائك مستنطق * اذا الشول روح أغبارها
فياواهب الوصفاء الصبا * ح إن شبرت نم أشبارها
وياواهب الجرد مثل القدا * ح قد يعجب الصف شوارها
وياواهب البكرات الهجا * ن عوذا تجاوب أبكارها
وكنت كدجلة اذ ترتمى * فيقذف في البحر تيارها
وكنت جليدا وذا مرة * اذا يبتغى منك إمرارها
وكنت إذا بلدة أصفقت * وآذن بالحرب جبارها
بعثت عليها ذواكى العيو * ن حتى تواصل أخبارها
باذن من الله والخيل قد * أعد لذلك مضمارها
وقد تطعم الخيل منك الوجيف حتى تنبذ أمهارها
وقد تعلم البازل العيسجو * ر أنك بالخبت حسارها
فيا أسفى يوم لاقيتهم * وخانت رجالك فرارها
وأقبلت الخيل مهزومة * عشارا تضرب أدبارها
بشط حرور، واستجمعت * عليك الموالى وسحارها
فأخطرت نفسك من دونهم * فخاز الرزيئة اخطارها
فلا تبعدن أبا قاسم * فقد يبلغ النفس مقدارها
وأفنى الحوادث سادا تنا * ومر الليالى وتكرارها

(قال هشام) قال أبى كان السائب أتى مع مصعب بن الزبير فقتله ورفاء النخعى من وهبيل فقال ورفاء

من مبلغ عنى عبيدا بأننى * علوت أخاه بالحسام المهند
فان كنت تبغى العلم عنه فانه * صريع لدى الدير ين غير موسد

وعمدا

وعمد اعلوت الرأس منه بصارم * فأنكلته سفيان بعد محمد

(قال هشام) عن أبي مخنف قال حدثني حصيرة بن عبد الله ان هند بنت المتكلفة الناعطية كان يجتمع اليها كل غال من الشيعة فيتحدث في بيتها وفي بيت ليلى بنت قمامة المزنية وكان أخوها رفاعة بن قمامة من شيعة علي وكان مقتصدا فكانت لا تحبه فكان أبو عبد الله الجدلي ويزيد بن شراحيل قد أخبرا ابن الحنفية خبرهاتين المرأتين وغلوهما وخبر أبي الأحراس المرادي والبطين الليثي وأبي الحارث الكندي (قال هشام) عن أبي مخنف قال حدثني يحيى بن أبي عيسى قال فكان ابن الحنفية قد كتب مع يزيد بن شراحيل الى الشيعة بالكوفة يحذرهم هؤلاء فكتب اليهم من محمد بن علي الى من بالكوفة من شيعتنا أما بعد فاخرجوا الى المجالس والمساجد فاذكروا الله علانية وسرا ولا تتخذوا من دون المؤمنين بطانة فإن خشيتم على أنفسكم فاحذروا على دينكم الكذابين وأكثروا الصلاة والصيام والدعاء فانه ليس أحد من الخلق يملك لأحد ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله وكل نفس بما كسبت رهينة ولا تزر وازرة وزر أخرى والله قائم على كل نفس بما كسبت فاعملوا صالحا وقدموا لأنفسكم حسنا ولا تكونوا من الغافلين والسلام عليكم (قال أبو مخنف) فحدثني حصيرة بن عبد الله ان عبد الله بن نوف خرج من بيت هند بنت المتكلفة حين خرج الناس الى حروراء وهو يقول يوم الأربعاء رفعت السماء ونزل القضاء بهزيمة الأعداء فاخرجوا على اسم الله الى حروراء فخرج فلما التقى الناس للقتال ضرب على وجهه ضربة ورجع الناس منهزمين ولقيه عبد الله بن شريك النهدي وقد سمع مقالته فقال له ألم تزعم لنا يا ابن نوف اناسنهزمهم قال أوما قرأت في كتاب الله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال فلما أصبح المصعب أقبل يسير بمن معه من أهل البصرة ومن خرج اليه من أهل الكوفة فأخذ بهم نحو السبخة فر بالمهلب فقال له المهلب يا له فهما ما أهناه لو لم يكن محمد بن الأشعث قتل قال صدقت فرحم الله محمدا ثم سار غير بعيد ثم قال يا مهلب قال لبيك أيها الأمير قال هل علمت ان عبيد الله بن علي بن أبي طالب قد قتل قال انا لله وانا اليه راجعون قال المصعب اما انه كان ممن أحب أن يرى هذا الفتح ثم لا نجعل أنفسنا أحق بشيء مما نحن فيه منه أتدري من قتله قال لا قال انما قتله من يزعم انه لأبيه شيعة اما انهم قد قتلوه وهم يعرفونه قال ثم مضى حتى نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة وبعث عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فنزل الكناسة وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سليم الى جبانة السبيع وقد كان قال لعبد الرحمن بن مخنف ما كنت صنعت فيما كنت وكلتك به قال أصلحك الله وجدت الناس صنفين اما من كان له فيك هوى فخرج اليك وأما من كان يرى رأي

المختار فلم يكن ليدعه ولا ليؤثر أحدا عليه فلم أبرح بيني حتى قدمت قال صدقت وبعث عباد بن الحصين الى جبانة كندة فكل هؤلاء كان يقطع عن المختار وأصحابه الماء والمادة وهم في قصر المختار وبعث زحر بن قيس الى جبانة مراد وبعث عبيد الله بن الحر الى جبانة الصائديين (قال أبو مخنف) وحدثني فضيل بن خديج قال لقد رأيت عبيد الله بن الحر وانه ليطارد أصحاب خيل المختار يقاتلهم في جبانة الصائديين ولربما رأيت خيلهم تطرد خيله وإنه لوراء خيله يحميها حتى ينتهي الى دار عكرمة ثم يكر راجعا هو وخيله فيطردهم حتى يلحقهم بجبانة الصائديين ولربما رأيت خيل عبيد الله قد أخذت السقاء والسقائين فيضربون وانما كانوا يأتونهم بالماء أنهم كانوا يعطونهم بالراوية الدينار والدينارين لما أصابهم من الجهد وكان المختار ربما خرج هو وأصحابه فقاتلوا قتالا ضعيفا ولا نكاية لهم وكانت لا تخرج له خيل الا رميت بالحجارة من فوق البيوت ويصب عليهم الماء القذر واجترأ عليهم الناس فكانت معايشهم أفضلها من نسائهم فكانت المرأة تخرج من منزلها معها الطعام واللطف والماء قد التحفت عليه فتخرج كأنما تريد المسجد الأعظم للصلاة وكأنها تأتي أهلها وتزور ذات قرابة لها فاذا دنت من القصر فتح لها فدخلت على زوجها وحميها بطعامه وشرابه ولطفه وان ذلك بلغ المصعب وأصحابه فقال له المهلب وكان مجربا اجعل عليهم دروبا حتى تمنع من يأتيهم من أهليهم وأبنائهم وتدعهم في حصنهم حتى يموتوا فيه وكان القوم اذا اشتد عليهم العطش في قصرهم استقوا من ماء البئر ثم أمر لهم المختار بعسل فصب فيه ليغير طعمه فيشربوا منه فكان ذلك أيضا مما يروى أكثرهم ثم ان مصعبا أمر أصحابه فاقتربوا من القصر فجاء عباد بن الحصين الحبطي حتى نزل عند مسجد جهينة وكان ربما تقدم حتى ينتهي الى مسجد بني مخزوم وحتى يرمي أصحابه من أشرف عليهم من أصحاب المختار من القصر وكان لا يلقى امرأة قريبا من القصر الا قال لها من أنت ومن أين جئت وما تريدين فأخذ في يوم ثلاث نسوة للشباميين وشاكريتين أزواجهن في القصر فبعث بهن الى مصعب وان الطعام لمعهن فردهن مصعب ولم يعرض لهن وبعث زحر بن قيس فنزل عند الحدادين حيث تكرى الدواب وبعث عبيد الله بن الحر فكان موقفه عند دار بلال وبعث محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فكان موقفه عند دار أبيه وبعث حوشب بن يزيد فوقف عند زقاق البصريين عند فم سكة بني جذيمة بن مالك من بني أسد بن خزيمة وجاء المهلب يسير حتى نزل جهار سوج خنيس وجاء عبد الرحمن بن مخنف من قبل دار السقاية وابتدر السوق أناس من شباب أهل الكوفة وأهل البصرة أغمار ليس لهم علم بالحرب فأخذوا يصيحون وليس لهم أمير يا ابن دومة يا ابن دومة فأشرف عليهم المختار فقال أما والله لوان الذي يعيرني بدومة كان من القريتين عظيما ما عيرني بها وبصربهم وبتفرقهم وهيئتهم وانتشارهم فطمع فيهم فقال لطائفة من أصحابه

اخرجوا

اخرجوا معى فخرج معه منهم نحو من مائتى رجل فكر عليهم فشدخ نحوا من مائة وهزمهم فركب بعضهم بعضا وأخذوا على دار فرات بن حيان العجلى ثم ان رجلا من بنى ضبة من أهل البصرة يقال له يحيى بن ضمضم كانت رجلاه تكادان تخطان الارض اذا ركب من طوله وكان أقتل شئ للرجال وأهيبه عندهم اذا رأوه فأخذ يحمل على أصحاب المختار فلا يثبت له رجل صمد صمده وبصر به المختار فحمل عليه فضربه ضربة على جبهته فأطار جبهته وقحف رأسه وخر ميتا ثم ان تلك الامراء وتلك الرؤس أقبلوا من كل جانب فلم تكن لاصحابه بهم طاقة فدخلوا القصر فكانوا فيه فاشتد عليهم الحصار فقال لهم المختار ويحكم ان الحصار لا يزيدكم الا ضعفا انزلوا بنا فلنقاتل حتى نقتل كراما ان نحن قتلنا والله ما أنا بآيس ان صدقتموهم أن ينصركم الله فضعفوا وعجزوا فقال لهم المختار أما أنا فوالله لا أعطى بيدى ولا أحكمهم فى نفسى ولما رأى عبد الله بن جعدة بن هبيرة بن أبى وهب ما يريد المختار تدلى من القصر بحبل فلحق بأناس من اخوانه فاختبى عندهم ثم ان المختار أزمع بالخروج الى القوم حين رأى من أصحابه الضعف ورأى ما بأصحابه من الفشل فأرسل الى امرأته أم ثابت بنت سمرة بن جندب الفزارى فأرسلت اليه بطيب كثير فاغتسل وتحنط ثم وضع ذلك الطيب على رأسه ولحيته ثم خرج فى تسعة عشر رجلا فيهم السائب بن مالك الاشعرى وكان خليفته على الكوفة اذا خرج الى المدائن وكانت تحته عمرة بنت أبى موسى الاشعرى فولدت له غلاما فسماه محمدا فكان مع أبيه فى القصر فلما قتل أبوه وأخذ من فى القصر وجد صبيا فترك ولما خرج المختار من القصر قال للسائب ما ذا ترى قال الرأى لك فما ذا ترى قال أنا أرى أم الله يرى قال بل الله يرى قال ويحك أحمق أنت انما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز ورأيت نجدة انتزى على اليمامة ومروان على الشأم فلم أكن دون أحد من رجال العرب فأخذت هذه البلاد فكنت كأحدهم الا انى قد طلبت بثأر أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم اذ نامت عنه العرب فقتلت من شرك فى دمائهم وبالغت فى ذلك الى يومى هذا فقاتل على حسبك ان لم تكن لك نية فقال إنا لله وإنا اليه راجعون وما كنت أصنع أن أقاتل على حسبى فقال المختار عند ذلك يتمثل بقول غيلان بن سلمة بن معتب الثقفى

ولو يرانى أبو غيلان اذ حسرت * عنى الهموم بأمر ماله طبق
لقال رهبا ورعبا يجمعان معا * غنم الحياة وهول النفس والشفق
إما تسفّ على مجد ومكرمة * أو أسوة لك فيمن تهلك الورق

فخرج فى تسعة عشر رجلا فقال لهم أنؤمنونى وأخرج اليكم فقالوا لا الا على الحكم فقال لا أحكمكم فى نفسى أبدا فضارب بسيفه حتى قتل وقد كان قال لاصحابه حين أبوا أن يتابعوه على الخروج معه اذا أنا خرجت اليهم فقتلت لم تزدادوا الا ضعفا وذلا فان نزلتم على حكمهم وثب

أعداؤكم الذين قد وترتموهم فقال كل رجل منهم لبعضكم هذا عنده ثأري فيقتل وبعضكم ينظر الى مصارع بعض فتقولون ياليتنا أطعنا المختار وعملنا برأيه ولو انكم خرجتم معي كنتم ان أخطأتم الظفر متم كراما وان هرب منكم هارب فدخل في عشيرته اشتملت عليه عشيرته أنتم غدا هذه الساعة أذل من على ظهر الارض فكان كما قال قال وزعم الناس ان المختار قتل عند موضع الزيتين اليوم قتله رجلان من بني حنيفة اخوان يدعى أحدهما طرفة والآخر طرافا ابنا عبد الله بن دجاجة من بني حنيفة ولما كان من الغد من قتل المختار قال بجير ابن عبد الله المسلي ياقوم قد كان صاحبكم أمس أشار عليكم بالرأي لو أطعتموه ياقوم انكم ان نزلتم على حكم القوم ذبحتم كما تذبح الغنم أخرجوا بأسيافكم فقاتلوا حتى تموتوا كراما فعصوه وقالوا لقد أمرنا بهذا من كان أطوع عندنا وأنصح لنا منك فعصيناه أفنحن نطيعك فأمكن القوم من أنفسهم ونزلوا على الحكم فبعث اليهم مصعب عباد بن الحصين الحبطي فكان هو يخرجهم مكتفين وأوصى عبد الله بن شداد الجشمي الى عباد بن الحصين وطلب عبد الله بن قراد عصا أو حديدة أو شيأ يقاتل به فلم يجده وذلك ان الندامة أدركته بعد ما دخلوا عليه فأخذوا سيفه وأخرجوه مكتوفا فمر به عبد الرحمن وهو يقول

ما كنت أخشى أن أرى أسيرا * ان الذين خالفوا الاميرا
قد رغموا وتبروا تتبيرا

فقال عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث على بذا قدموه الى اضرب عنقه فقال له أما انى على دين جدك الذى آمن ثم كفر ان لم أكن ضربت أباك بسيفي حتى فاظ فنزل ثم قال أدنوه مني فأدنوه منه فقتله فغضب عباد فقال قتلته ولم تؤمر بقتله ومر بعبد الله بن شداد الجشمي وكان شريفا فطلب عبد الرحمن الى عباد أن يحبسه حتى يكلم فيه الامير فأبى مصعبا فقال انى أحب أن تدفع الى عبد الله بن شداد فأقتله فانه من الثأر فأمر له به فلما جاءه أخذه فضرب عنقه فكان عباد يقول أما والله لو علمت انك انما تريد قتله لدفعته الى غيرك فقتله ولكني حسبت انك تكلمه فيه فتخلى سبيله وأتى بابن عبد الله بن شداد واذا اسمه شداد وهو رجل محتلم وقد اطلى بنورة فقال اكشفوا عنه هل أدرك فقالوا انما هو غلام فخلوا سبيله وكان الاسود بن سعيد قد طلب الى مصعب أن يعرض على أخيه الامان فان نزل تركه له فأتاه فعرض عليه الامان فأبى أن ينزل وقال أموت مع أصحابي أحب الي من حياة معكم وكان يقال له قيس فأخرج فقتل فمن قتل وقال بجير بن عبد الله المسلي ويقال كان مولى لهم حين أتى به مصعب ومعه منهم ناس كثير فقال له المسلي الحمد لله الذى ابتلانا بالإسار وابتلاك بأن تعفو عنا وهما منزلتان احداهما رضى الله والاخرى سخطه من عفا عفا الله عنه وزاده عزا ومن عاقب لم يأمن القصاص يا ابن الزبير نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم واسنا تركا ولا ديلما

فان

فان خالفنا اخواننا من أهل مصر نافإما أن نكون أصبنا وأخطؤا وإما أن نكون أخطأنا وأصابوا فاقتتلنا كما اقتتل أهل الشأم بينهم فقد اختلفوا واقتتلوا ثم اجتمعوا وكما اقتتل أهل البصرة بينهم فقد اختلفوا واقتتلوا ثم اصطلحوا واجتمعوا وقد ملكتم فأسجحوا وقد قدرتم فاعفوا فما زال بهذا القول ونحوه حتى رق لهم الناس ورق لهم مصعب وأراد أن يخلي سبيلهم فقام عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقال تخلي سبيلهم اخترنا يا ابن الزبير أو اخترهم ووثب محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني فقال قتل أبي وخمسمائة من همدان وأشراف العشيرة وأهل المصر ثم تخلي سبيلهم ودماؤنا ترقرق في أجوافهم اخترنا أو اخترهم ووثب كل قوم وأهل بيت كان أصيب منهم رجل فقالوا نحوا من هذا القول فلما رأى مصعب ابن الزبير ذلك أمر بقتلهم فنادوه بأجمعهم يا ابن الزبير لا تقتلنا اجعلنا مقدمتك الى أهل الشأم غدا فوالله ما بك ولا بأصحابك عنا غداغنى اذا لقيتم عدوكم فان قتلنا لم نقتل حتى نرقهم لكم وان ظفرنا بهم كان ذلك لك ولمن معك فأبى عليهم وتبع رضى العامة فقال بجير المسلي ان حاجتي اليك أن لا أقتل مع هؤلاء انى أمرتهم أن يخرجوا بأسيافهم فيقاتلوا حتى يموتوا كراما فعصونى فقدم فقتل (قال أبو مخنف) وحدثني أبي قال حدثني أبو روق ان مسافر بن سعيد بن نمران قال لمصعب بن الزبير يا ابن الزبير ما تقول لله اذا قدمت عليه وقد قتلت أمة من المسلمين صبرا حكموك في دمائهم فكان الحق في دمائهم أن لا تقتل نفسا مسلمة بغير نفس مسلمة فان كنا قتلنا عدة رجال منكم فاقتلوا عدة من قتلنا منكم وخلوا سبيل بقيتنا وفينا الآن رجال كثير لم يشهدوا موطنا من حربنا وحربكم يوما واحدا كانوا في الجبال والسواد يجبون الخراج ويؤمنون السبيل فلم يسمع له فقال قبح الله قوما أمرتهم أن يخرجوا اليلا على حرس سكة من هذه السكك فتطردهم ثم نلحق بعشائرنا فعصونى حتى حملوني على ان أعطيت التي هي أنقص وأدنى وأوضع وأبوا أن يموتوا الا ميتة العبيد فأنا أسألك أن لا تخلط دمي بدمائهم فقدم فقتل ناحية ثم ان المصعب أمر بكف المختار فقطعت ثم سمرت بمسمار حديد الى جنب المسجد فلم يزل على ذلك حتى قدم الحجاج بن يوسف فنظر اليها فقال ما هذه قالوا كف المختار فأمر بنزعها وبعث مصعب عماله على الجبال والسواد ثم انه كتب الى ابن الاشتر يدعوه الى طاعته ويقول له ان أنت أجبتني ودخلت في طاعتي فلك الشأم وأعنة الخيل وما غلبت عليه من أرض المغرب ما دام لآل الزبير سلطان وكتب عبد الملك بن مروان من الشأم اليه يدعوه الى طاعته ويقول ان أنت أجبتني ودخلت في طاعتي فلك العراق فدعا ابراهيم أصحابه فقال ما ترون فقال بعضهم تدخل في طاعة عبد الملك وقال بعضهم تدخل مع ابن الزبير في طاعته فقال ابن الاشتر ذاك لو لم أكن أصبت عبيد الله بن زياد ولا رؤساء أهل الشأم تبعت عبد الملك مع انى لا أحب أن أختار على أهل مصري مصرا ولا على عشيرتي عشيرة فكتب الى مصعب فكتب اليه

مصعب أن أقبل فأقبل اليه بالطاعة (قال أبو مخنف) حدثني أبو جناب الكلبي ان كتاب مصعب قدم على ابن الاشتر وفيه أما بعد فان الله قد قتل المختار الكذاب وشيعته الذين دانوا بالكفر وكادوا بالسحر وانا ندعوك الى كتاب الله وسنة نبيه والى بيعة أمير المؤمنين فان أجبت الى ذلك فأقبل الي فان لك أرض الجزيرة وأرض المغرب كلها ما بقيت وبقي سلطان آل الزبير لك بذلك عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ الله على النبيين من عهد أو عقد والسلام وكتب اليه عبد الملك بن مروان أما بعد فان آل الزبير انتزعوا على أئمة الهدى ونازعوا الامر أهله وألحدوا في بيت الله الحرام والله ممكن منهم وجاعل دائرة السوء عليهم واني أدعوك الى الله والى سنة نبيه فان قبلت وأجبت فلك سلطان العراق ما بقيت وبقيت لك على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه قال فدعا أصحابه فأقرأهم الكتاب واستشارهم في الرأي فقائل يقول عبد الملك وقائل يقول ابن الزبير فقال لهم ورأيي اتباع أهل الشأم كيف لي بذلك ولكن ليس قبيلة تسكن الشأم الا وقد وترتها ولست بتارك عشيرتي وأهل مصري فأقبل الى مصعب فلما بلغ مصعبا إقباله بعث المهلب الى عمله وهي السنة التي نزل المهلب على الفرات (قال أبو مخنف) حدثني أبو علقمة الخثعمي ان المصعب بعث الى أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار والى عمرة بنت النعمان بن بشير الانصاري وهي امرأة المختار فقال لهما ما تقولان في المختار فقالت أم ثابت ما عسينا أن نقول ما نقول فيه الا ما تقولون فيه أنتم فقالوا لها اذهبي وأما عمرة فقالت رحمة الله عليه ان كان عبدا من عباد الله الصالحين فرفعهما مصعب الى السجن وكتب فيهما الى عبد الله بن الزبير انهما تزعم انه نبي فكتب اليه أن أخرجهما فاقتلهما فأخرجهما بين الحيرة والكوفة بعد العتمة فضربهما مطر ثلاث ضربات بالسيف ومطر تابع لآل قفل من بني تيم الله بن ثعلبة كان يكون مع الشرط فقالت يا أبتاه يا أهلاه يا عشيرتاه فسمع بها بعض الانصار وهو أبان بن النعمان بن بشير فأتاه فلطمه وقال له يا ابن الزانية قطعت نفسها قطع الله يمينك فلزمه حتى رفعه الى مصعب فقال ان أمي مسلمة وادعى شهادة بني قفل فلم يشهد له أحد فقال مصعب خلوا سبيل الفتى فانه رأى أمرا فظيعا فقال عمر بن أبي ربيعة القرشي في قتل مصعب عمرة بنت النعمان بن بشير

ان من أعجب العجائب عندي * قتل بيضاء حرة عطبول
قتلت هكذا على غير جرم * ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا * وعلى المحصنات جر الذيول

(قال أبو مخنف) وحدثني محمد بن يوسف ان مصعبا لقي عبد الله بن عمر فسلم عليه وقال له أنا ابن أخيك مصعب فقال له ابن عمر نعم أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة عش ما استطعت فقال مصعب انهم كانوا كفرة سحرة فقال ابن عمر والله لو قتلت

عدّتهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفا فقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في ذلك

أتى راكبٌ بالامر ذى النبإ العجبْ * بقتل ابنة النعمان ذى الدين والحسبْ
بقتل فتاة ذات دلّ ستيرة * مهذّبة الاخلاق والخيم والنسبْ
مطهّرة من نسل قوم أكارم * من المؤثرين الخير في سالف الحقبْ
خليلُ النبيّ المصطفى ونصيرُهُ * وصاحبه في الحرب والنكب والكربْ
أتانى بأن الملحدين توافقوا * على قتلها لاجنبُوا القتل والسلبْ
فلا هنأتْ آل الزبير معيشةٌ * وذاقوا لباس الذلّ والخوف والحربْ
كأنهمُ اذ أبرزُوها وقطّعتْ * بأسيافهم فازوا بمملكة العربْ
ألم تعجب الاقوامُ من قتل حرّةٍ * من المحصنات الدين محمودة الادبْ
من الغافلات المؤمنات بريئة * من الذمّ والبهتان والشك والكذبْ
علينا كتابُ القتل والبأس واجبٌ * وهنّ العفاف في الحجال وفي الحجبْ
على دين أجداد لها وأبوّة * كرام مضت لم تخز أهلا ولم تربْ
من الخفرات لاخروج بذيّة * ملايمة تبغى على جارها الجنبْ
ولا الجار ذى القربى ولم تدر ما الخنا * ولم تزدلف يوما بسوء ولم تحبْ
عجبتُ لها اذ كفنتْ وهى حيةٌ * ألا انّ هذا الخطب من أعجب العجبْ

حدّثت عن علىّ بن حرب الموصلىّ قال حدّثنى ابراهيم بن سليمان الحنفى ابن أخى أبى الاحوص قال حدّثنا محمد بن أبان عن علقمة بن مرثد عن سويد بن غفلة قال بينا أنا أسير بظهر النجف اذ لحقنى رجل فطعننى بمخصره من خلفى فالتفتّ اليه فقال ما قولك فى الشيخ قلت أى الشيوخ قال علىّ بن أبى طالب قلت إنى أشهد انى أحبّه بسمعى وبصرى وقلبى ولسانى قال وأنا أشهدك انى أبغضه بسمعى وبصرى وقلبى ولسانى فسرنا حتى دخلنا الكوفة فافترقنا فمكث بعد ذلك سنين أو قال زمانا قال ثم انى لفى المسجد الاعظم اذ دخل رجل معتمّ يتصفّح وجوه الخلق فلم يزل ينظر فلم ير لحى أحمق من لحى همدان فجلس اليهم فتحوّلتُ فجلست معهم فقالوا من أين أقبلت قال من عند أهل بيت نبيكم قالوا فاذا جئتنا به قال ليس هذا موضع ذلك فوعدهم من الغد موعدا فغدوا وغدوتُ فاذ قد أخرج كتابا معه فى أسفله طابع من رصاص فدفعه الى غلام فقال له ياغلام اقرأه وكان أمّيّا لا يكتب فقال الغلام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب للمختار بن أبى عبيد كتبه له وصىّ آل محمد أما بعد فكذا وكذا فاستفرغ القومُ البكاء فقال ياغلام ارفع كتابك حتى يفيق القومُ قلتُ معاشر همدان أنا أشهد

بالله لقد أدركني هذا بظهر النجف فقصصت عليهم قصته فقالوا أبيت والله الا تثبيطا عن آل محمد وتزيينا لنعثل شقاق المصاحف قال قلت معاشر همدان لا أحدثكم الا ما سمعته أذناي ووعاه قلبي من علي بن أبي طالب عليه السلام سمعته يقول لا تسموا عثمان شقاق المصاحف فوالله ما شققها الا عن ملإ منا أصحاب محمد ولو وليتها العملت فيها مثل الذي عمل قالوا الله أنت سمعت هذا من علي قلت والله لأنا سمعته منه قال فتفرقوا عنه فعند ذلك مال الى العبيد واستعان بهم وصنع ما صنع ﴿قال أبو جعفر﴾ واقتص الواقدي من خبر المختار بن أبي عبيد بعض ما ذكرنا فخالف فيه من ذكرنا خبره فزعم ان المختار انما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة وان مصعبا لما سار اليه فبلغه مسيره اليه بعث اليه أحمر بن شميط البجلي وأمره أن يواقعه بالمذار وقال ان الفتح بالمذار قال وانما قال ذلك المختار لانه قيل ان رجلا من ثقيف يفتح عليه بالمذار فتح عظيم فظن انه هو وانما كان ذلك للحجاج بن يوسف في قتاله عبد الرحمن بن الاشعث وأمر مصعب صاحب مقدمته عبادا الحبطي أن يسير الى جمع المختار فتقدم وتقدم معه عبيد الله بن علي بن أبي طالب ونزل مصعب نهر البصريين على شط الفرات وحفر هنالك نهرا فسمي نهر البصريين من أجل ذلك قال وخرج المختار في عشرين ألفا حتى وقف بإزائهم وزحف مصعب ومن معه فوافوه مع الليل على تعبية فأرسل الى أصحابه حين أمسى لا يبرحن أحد منكم موقفه حتى يسمع مناديا ينادي يا محمد فاذا سمعتموه فاحملوا فقال رجل من القوم من أصحاب المختار هذا والله كذاب على الله وانحاز ومن معه الى المصعب فأمهل المختار حتى اذا طلع القمر أمر مناديا فنادى يا محمد ثم حملوا على مصعب وأصحابه فهزموهم فأدخلوه عسكره فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أصبحوا وأصبح المختار وليس عنده أحد واذا أصحابه قد وغلوا في أصحاب مصعب فانصرف المختار منهزما حتى دخل قصر الكوفة فجاء أصحاب المختار حين أصبحوا فوقفوا مليا فلم يروا المختار فقالوا قد قتل فهرب منهم من أطاق الهرب واختفوا في دور الكوفة وتوجه منهم نحو القصر ثمانية آلاف لم يجدوا من يقاتل بهم ووجدوا المختار في القصر فدخلوا معه وكان أصحاب المختار قتلوا في تلك الليلة من أصحاب مصعب بشرا كثيرا فيهم محمد بن الاشعث وأقبل مصعب حين أصبح حتى أحاط بالقصر فأقام مصعب يحاصره أربعة أشهر يخرج اليهم المختار في كل يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة من وجه واحد ولا يقدر عليه حتى قتل المختار فلما قتل المختار بعث من في القصر يطلب الامان فأبى مصعب حتى نزلوا على حكمه فلما نزلوا على حكمه قتل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك وسائرهم من العجم قال فلما خرجوا أراد مصعب أن يقتل العجم ويترك العرب فكلمه من معه فقالوا أي دين هذا وكيف ترجو النصر وأنت تقتل العجم وتترك العرب ودينهم واحد فقد منهم فضرب أعناقهم ﴿قال أبو جعفر﴾ وحدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد قال

لما قتل المختار شاور مصعب أصحابه في المحصورين الذين نزلوا على حكمه فقال عبد الرحمن ابن محمد بن الاشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وأشباههم ممن وترهم المختار اقتلهم وضجت ضبة وقالوا دم منذر بن حسان فقال عبيد الله بن الحر أيها الامير ادفع كل رجل في يديك الى عشيرته تمن عليهم بهم فانهم ان كانوا قتلونا فقد قتلناهم ولا غنى بنا عنهم في ثغورنا وادفع عبيدنا الذين في يديك الى مواليهم فانهم لأيتامنا وأراملنا وضعفائنا يردونهم الى أعمالهم واقتل هؤلاء الموالي فانهم قد بدا كفرهم وعظم كبرهم وقل شكرهم فضحك مصعب وقال للاحنف ما ترى يا أبا بحر قال قد أرادني زياد فعصيته يعرض بهم فأمر مصعب بالقوم جميعا فقتلوا وكانوا ستة آلاف فقال عقبة الاسدي

قتلتم ستة الآلاف صبرا * مع العهد الموثق مكتفينا
جعلتم ذمة الخطي جسرا * ذلولا ظهره للواطئينا
وما كانوا غداة دعوا فغروا * بعهدهم بأول خائنينا
وكنت أمرتهم لوطاوعوني * بضرب في الازقة مصلتينا

وقتل المختار فيما قيل وهو ابن سبع وستين سنة لاربع عشرة خلت من شهر رمضان في سنة ٦٧ فلما فرغ مصعب من أمر المختار وأصحابه وصار اليه ابراهيم بن الاشتر وجه المهلب بن أبي صفرة على الموصل والجزيرة وآذربيجان وأرمينية وأقام بالكوفة ﴿وفي هذه السنة﴾ عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير عن البصرة وبعث بابنه حمزة بن عبد الله اليها فاختلف في سبب عزله اياه عنها وكيف كان الامر في ذلك فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به عمر * قال حدثني علي بن محمد قال لم يزل المصعب على البصرة حتى سار منها الى المختار واستخلف على البصرة عبيد الله بن عبيد الله بن معمر فقتل المختار ثم وفد الى عبد الله بن الزبير فعزله وحبسه عنده واعتذر اليه من عزله وقال والله اني لأعلم انك أحرى وأكفى من حمزة ولكني رأيت فيه رأي عثمان في عبد الله بن عامر حين عزل أبا موسى الاشعري وولاه ﴿وحدثني عمر قال حدثني علي بن محمد قال قدم حمزة البصرة واليا وكان جوادا سخيا مخلطا يجود أحيانا حتى لا يدع شيأ يملكه ويمنع أحيانا ما لا يمنع مثله فظهرت منه بالبصرة خفة وضعف فيقال انه ركب يوما الى فيض البصرة فلما رآه قال ان هذا الغدير ان رفقوا به ليكفينهم صيفهم فلما كان بعد ذلك ركب اليه فوافقه جازرا فقال قد رأيت هذا ذات يوم وظننت أن لن يكفيهم فقال له الاحنف ان هذا ماء يأتينا ثم يغيض عنا وشخص الى الاهواز فلما رأى جبلها قال هذا قعيقعان لموضع بمكة فسمي الجبل قعيقعان وبعث الى مرداس الشاه فاستهته بالخراج فأبطأ به فقام اليه بسيفه فضربه فقتله فقال الاحنف ما أحد سيف الامير ﴿حدثني عمر قال حدثني علي ابن محمد قال لما خلط حمزة بالبصرة وظهر منه ما ظهر وهم بعبد العزيز بن بشر أن يضربه

كتب الاحنف الى ابن الزبير بذلك وسأله أن يعيد مصعبا قال وحمزة الذى عقد لعبد الله بن عمير الليثى على قتال النجدية بالبحرين ﴿ حدثنى عمر قال حدثنا على بن محمد قال لما عزل ابن الزبير حمزة احتمل مالا كثيرا من مال البصرة فعرض له مالك بن مسمع فقال لا ندعك تخرج بأعطياتنا فضمن له عبيد الله بن عبيد بن معمر العطاء فكف وشخص حمزة بالمال فترك أباه وأتى المدينة فأودع ذلك المال رجلا فذهب به الى يهودى كان أودعه فوفى له وعلم ابن الزبير بما صنع فقال أبعده الله أردت أن أباهى به بنى مروان فنكص (وأما هشام) ابن محمد فانه ذكر عن أبى مخنف فى أمر مصعب وعزل أخيه اياه عن البصرة ورده اياه اليها غير هذه القصة والذى ذكر من ذلك عنه فى سياق خبر حدث به عنه عن أبى المخارق الراسبى ان مصعبا لما ظهر على الكوفة أقام بها سنة معزولا عن البصرة عزله عنها عبد الله وبعث ابنه حمزة فمكث بذلك سنة ثم انه وفد على أخيه عبد الله بمكة فرده على البصرة وقيل ان مصعبا لما فرغ من أمر المختار انصرف الى البصرة وولى الكوفة الحارث بن عبد الله ابن أبى ربيعة قال وقال محمد بن عمر لما قتل مصعب المختار ملك الكوفة والبصرة ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله على الكوفة مصعب وقد ذكرت اختلاف أهل السير فى العامل على البصرة وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة ابن مسعود وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وبالشأم عبد الملك بن مروان وكان على خراسان عبد الله بن خازم السلمى

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وستين ﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الامور الجليلة﴾

فمن ذلك ما كان من رد عبد الله أخاه مصعبا الى العراق أميرا وقد ذكرنا السبب فى رد عبد الله أخاه مصعبا الى العراق أميرا بعد عزله اياه ولما رده عليها أميرا بعث مصعب الحارث بن أبى ربيعة على الكوفة أميرا وذلك انه بدأ بالبصرة مرجعه الى العراق أميرا بعد العزل فصار اليها ﴿وفى هذه السنة﴾ كان مرجع الازارقة من فارس الى العراق حتى صاروا الى قرب الكوفة ودخلوا المدائن

﴿ذكر الخبر عن أمرهم ومسيرهم ومرجعهم الى العراق﴾

ذكر هشام عن أبى مخنف قال حدثنى أبو المخارق الراسبى ان مصعبا وجه عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس أميرا وكانت الازارقة لحقت بفارس وكرمان ونواحى اصبهان بعد ما أوقع بهم المهلب بالاهواز فلما شخص المهلب عن ذلك الوجه ووجه الى الموصل ونواحيها عاملا عليها وعمر بن عبيد الله بن معمر على فارس انحطت الازارقة مع الزبير بن الماحوز على عمر بن عبيد الله بفارس فلقيهم بسابور فقاتلهم قتالا شديدا ثم انه ظفر بهم ظفرا بينا غير انه لم يكن

بينهم كثير قتلى وذهبوا كانهم على حامية وقد تركوا على ذلك المعركة (قال أبو مخنف) فحدثني شيخ للحي بالبصرة قال انى لاسمع قراءة كتاب عمر بن عبيد الله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانى أخبر الامير أصلحه الله انى لقيت الازارقة التي مرقت من الدين واتبعت أهواءها بغير هدى من الله فقاتلتهم بالمسلمين ساعة من النهار أشد القتال ثم ان الله ضرب وجوههم وأدبارهم ومنحنا أكتافهم فقتل الله منهم من خاب وخسر وكل الى خسران فكتبت الى الامير كتابي هذا وأنا على ظهر فرسي في طلب القوم أرجو أن يجذمهم الله ان شاء الله والسلام ثم انه تبعهم ومضوا من فورهم ذلك حتى نزلوا اصطخر فسار اليهم حتى لقيهم على قنطرة طمستان فقاتلهم قتالا شديدا وقتل ابنه ثم انه ظفر بهم فقطعوا قنطرة طمستان وارتفعوا الى نحو من اصبهان وكرمان فأقاموا بها حتى اجتبروا وقووا واستعدوا وكثروا ثم انهم أقبلوا حتى مروا بفارس وبها عمر بن عبيد الله بن معمر فقطعوا أرضه من غير الوجه الذي كان فيه أخذوا على سابور ثم خرجوا على أرّجان فلما رأى عمر بن عبيد الله أن قد قطعت الخوارج أرضه متوجهة الى البصرة خشي أن لا يحتملها له مصعب بن الزبير فثمر في آثارهم مسرعا حتى أتى أرّجان فوجدهم حين خرجوا منها متوجهين قبل الاهواز وبلغ مصعبا اقبالهم فخرج فعسكر بالناس بالجسر الاكبر وقال والله ما أدري ما الذي أغنى عني أن وضعت عمر بن عبيد الله بفارس وجعلت معه جندا أجرى عليهم أرزاقهم في كل شهر وأوفيهم أعطياتهم في كل سنة وآمرلهم من المعاون في كل سنة بمثل الاعطيات تقطع أرضه الخوارج الي وقد قطعت علته فأمددته بالرجال وقويتهم والله لو قاتلهم ثم فر كان أعذر له عندي وان كان الفار غير مقبول العذر ولا كريم الفعل وأقبلت الخوارج وعليهم الزبير بن الماحوز حتى نزلوا الاهواز فأتتهم عيونهم ان عمر بن عبيد الله في أثرهم وان مصعب بن الزبير قد خرج من البصرة اليهم فقام فيهم الزبير فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد فإن من سوء الرأي والحيرة وقوعكم فيما بين هاتين الشوكتين انهضوا بنا الى عدونا نلقهم من وجه واحد فسار بهم حتى قطع بهم أرض جوخى ثم أخذ على النهر وانات ثم لزم شاطئ دجلة حتى خرج على المدائن وبها كردم بن مرثد بن نجبة الفزاري فشنوا الغارة على أهل المدائن يقتلون الولدان والنساء والرجال ويبقرون الحبالى وهرب كردم فأقبلوا الى ساباط فوضعوا أسيافهم في الناس فقتلوا أم ولد لربيعة بن ناجد وقتلوا بنانة ابنة أبي يزيد ابن عاصم الأزدي وكانت قد قرأت القرآن وكانت من أجمل الناس فلما غشوها بالسيوف قالت ويحكم هل سمعتم بأن الرجال كانوا يقتلون النساء ويحكم تقتلون من لا يبسط اليكم يدا ولا يريد بكم ضرا ولا يملك لنفسه نفعا أتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فقال بعضهم اقتلوها وقال رجل منهم لو أنكم تركتموها فقال بعضهم أعجبك جمالها يا عدو

اجتبروا

الله قد كفرت وافتتنت فانصرف الآخر عنهم وتركهم فظننا انه فارقهم وحملوا عليها فقتلوها فقالت رُبَيْطة بنت يزيد سبحان الله أترون الله يرضى بما تصنعون تقتلون النساء والصبيان ومن لم يذنب اليكم ذنبا ثم انصرفت وحملوا عليها وبين يديها الرُّواع بنت اياس بن شُرَيح الهمدانى وهى ابنة أخيها لأمها فحملوا عليها فضربوها على رأسها بالسيف ويصيب ذبابُ السيف رأس الرواع فسقطتا جميعا الى الأرض وقاتلهم اياس بن شريح ساعة ثم صُرع فوقع بين القتلى فنزعوا عنه وهم يرون انهم قد قتلوه وصرع منهم رجل من بكر بن وائل يقال له رزين بن المتوكل * فلما انصرفوا عنهم لم يمت غيرُ بُنانة بنت أبى يزيد وأم ولد ربيعة بن ناجذ وأفاق سائرهم فسقى بعضهم بعضا من الماء وعصبوا جراحاتهم ثم استأجروا دواب ثم أقبلوا نحو الكوفة (قال أبو مخنف) فحدثنى الرواع ابنة اياس قالت ما رأيت رجلا قط كان أجبن من رجل كان معنا وكانت معه ابنته فلما غُشينا ألقاها الينا وهرب عنها وعنا ولا رأينا رجلا قط كان أكرم من رجل كان معنا ما نعرفه ولا يعرفنا لما غشينا قاتل دوننا حتى صرع بيننا وهو رزين بن المتوكل البكرى وكان بعد ذلك يزورنا ويواصلنا ثم انه هلك فى امارة الحجاج فكانت ورثته الاعراب وكان من العباد الصالحين (قال هشام بن محمد) وذكره عن أبى مخنف قال حدثنى أبى عن عمه ان مصعب بن الزبير كان بعث أبا بكر بن مخنف على إستان العال فلما قدم الحارث بن أبى ربيعة أقصاه ثم أقره بعد ذلك على عمله السنة الثانية فلما قدمت الخوارج المدائن سرّحوا اليه عصابة منهم عليها صالح بن مخراق فلقيه بالكرخ فقاتله ساعة ثم تنازلوا فنزل أبو بكر ونزلت الخوارج فقتل أبو بكر ويسارٌ مولاه وعبد الرحمن بن أبى جعال ورجل من قومه وانهزم سائر أصحابه فقال سُراقةُ بن مرداس البارقى فى بطن من الأزد

ألا يا لقوم للهموم الطوارق * وللحدث الجانى بإحدى الصفائق
ومقتل غطريف كريم نجارُهُ * من المقدمين الذائدين الأصادق
أتانى دوين الخيف قتل ابن مخنف * وقد غوّرت أولى النجوم الخوافق
فقلت تلاقاك الإله برحمة * وصلى عليك الله ربُّ المشارق
لحا الله قوما عرّدوا عنك بكرة * ولم يصبروا واللامعات البوارق
تولوا فأجلوا بالضحى عن زعيمنا * وسيدنا فى المأزق المتضايق
فأنت متى ما جئتنا فى بيوتنا * سمعت عويلا من عوان وعاتق
يبكين محمودا الضريبة ماجدا * صبورا لدى الهيجاء عند الحقائق
فقد أصبحت نفسى لذاك حزينة * وشابت لما حملت منه مفارقى

قال

(قال أبو مخنف) فحدثني حذرة بن عبد الله الأزدي والنضر بن صالح العبسي وفضيل بن خديج كلهم أخبرني ان الحارث بن أبي ربيعة أتاه أهل الكوفة فصاحوا اليه وقالوا له اخرج فان هذا عدو لنا قد أظل علينا ليست له بقية فخرج وهو يكدكد حتى نزل النخيلة فأقام بها أياما فوثب اليه ابراهيم ابن الأشتر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانه سار الينا عدو ليست له بقية يقتل الرجل والمرأة والمولود ويخيف السبيل ويخرب البلاد فانهض بنا اليه فأمر بالرحيل فخرج فنزل دير عبد الرحمن فأقام فيه حتى دخل اليه شبث بن ربعي فكلمه بنحو مما كلمه به ابن الأشتر فارتحل ولم يكدكد فلما رأى الناس بطء سيره رجزوا به فقالوا

سار بنا القباع سيرا نكرا * يسير يوما ويقيم شهرا

فأشخصوه من ذلك المكان فكلما نزل بهم منزلا أقام بهم حتى يضج الناس به من ذلك ويصيحوا به حول فسطاطه فلم يبلغ الصراة الا في بضعة عشرة يوما فأتى الصراة وقد انتهى اليها طلائع العدو وأوائل الخيول فلما أتتهم العيون بأنه قد أتاهم جماعة أهل المصر قطعوا الجسر بينهم وبين الناس وأخذ الناس يرتجزون

ان القباع سار سيرا ملسا * بين دبيري ودباها خمسا

(قال أبو مخنف) وحدثني يونس بن أبي اسحاق عن أبيه ان رجلا من السبيع كان به لمم وكان بقرية يقال لها جوبر عند الحرارة وكان يدعى سماك بن يزيد فأتت الخوارج قريته فأخذوه وأخذوا ابنته فقدموا ابنته فقتلوها وزعم لي أبو الربيع السلولي ان اسم ابنته أم يزيد وأنها كانت تقول لهم يا أهل الاسلام ان أبي مصاب فلا تقتلوه وأما انا فانما أنا جارية والله ما أتيت فاحشة قط ولا آذيت جارة لي ولا تطلعت ولا تشرفت قط فقدموها ليقتلوها فأخذت تنادي ماذنبي ماذنبي ثم سقطت مغشيا عليها أو ميتة ثم قطعوها بأسيافهم قال أبو الربيع حدثني بهذا الحديث ظئر لها نصرانية من أهل الحورنق كانت معها حين قتلت (قال أبو مخنف) حدثني يونس بن أبي اسحاق عن أبيه ان الأزارقة جاءت بسماك بن يزيد معهم حتى أشرفوا على الصراة قال فاستقبل عسكرنا فرأى جماعة الناس وكثرتهم فأخذ يناديناويرفع صوته اعبروا اليهم فانهم قليل خبيث فضربوا عند ذلك عنقه وصلبوه ونحن ننظر اليه قال فلما كان الليل عبرت اليه أنا ورجل من الحي فأنزلناه فدفناه (قال أبو مخنف) حدثني أبي ان ابراهيم بن الأشتر قال للحارث بن أبي ربيعة اندب معي الناس حتى أعبر الى هؤلاء الأكلب فأجيئك برؤسهم الساعة فقال شبث بن ربعي وأسماء بن خارجة ويزيد بن الحارث ومحمد ابن الحارث ومحمد بن عمير أصلح الله الأمير دعهم فليذهبوا لا تبدأهم قال وكأنهم حسدوا ابراهيم بن الأشتر (قال أبو مخنف) وحدثني حصيرة بن عبد الله وأبو زهير العبسي ان الأزارقة لما انتهوا الى جسر الصراة فرأوا ان جماعة أهل المصر قد خرجوا اليهم قطعوا

الجسر واغتنم ذلك الحارث فحبس ثم انه جلس للناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان أول القتال الرمي بالنبل ثم اشراع الرماح ثم الطعن بها ثم السلة آخر ذلك كله قال فقام اليه رجل فقال قد أحسن الأمير أصلحه الله الصفة ولكن حتى ما نصنع هذا وهذا البحر بيننا وبين عدونا مر بهذا الجسر فليعد كما كان ثم اعبر بنا اليهم فان الله سيريك فيهم ما تحبه فأمر بالجسر فأعيد ثم عبر الناس اليهم فطاروا حتى انتهوا الى المدائن وجاء المسلمون حتى انتهوا الى المدائن وجاءت خيل لهم فطلردت خيلا للمسلمين طرادا ضعيفا عند الجسر ثم إنهم خرجوا منها فأتبعهم الحارث بن أبي ربيعة عبد الرحمن بن مخنف في ستة آلاف ليخرجهم من أرض الكوفة فاذا وقعوا في أرض البصرة خلاهم فأتبعهم حتى اذا خرجوا من أرض الكوفة ووقعوا الى اصبهان انصرف عنهم ولم يقاتلهم ولم يكن بينه وبينهم قتال ومضوا حتى نزلوا بعتاب بن ورقاء بجي فأقاموا عليه وحاصروه فخرج اليهم فقاتلهم فلم يطقهم وشدوا على أصحابه حتى دخلوا المدينة وكانت اصبهان يومئذ طعمة لاسماعيل بن طلحة بن مصعب بن الزبير فبعث عليها عتابا فصبر لهم عتاب وأخذ يخرج اليهم في كل أيام فيقاتلهم على باب المدينة ويرمون من السور بالنبل والنشاب والحجارة وكان مع عتاب رجل من حضرموت يقال له أبو هريرة بن شريح فكان يخرج مع عتاب وكان شجاعا فكان يحمل عليهم ويقول

كيف ترون يا كلاب النار * شدي أبي هريرة الهرار
يهركم بالليل والنهار * يا ابن أبي الماحوز والأشرار
كيف ترى جئ على المضمار

فلما طال ذلك على الخوارج من قوله كمن له رجل من الخوارج يظنون انه عبيدة بن هلال فخرج ذات يوم فصنع كما كان يصنع ويقول كما كان يقول اذ حمل عليه عبيدة بن هلال فضربه بالسيف ضربة على حبل عاتقه فصرعه وحمل أصحابه عليه فاحتملوه فأدخلوه وداووه وأخذت الأزارقة بعد ذلك تناديهم يقولون يا أعداء الله ما فعل أبو هريرة الهرار فينادونهم يا أعداء الله والله ما عليه من بأس ولم يلبث أبو هريرة ان برئ ثم خرج عليهم بعد فأخذوا يقولون يا عدو الله أما والله لقد رجونا أن تكون قد أزرناك أمك فقال لهم يا فساق ما ذكركم أمي فأخذوا يقولون انه ليغضب لأمه وهو آتيها عاجلا فقال له أصحابه ويحك انما يعنون النار فقطن فقال يا أعداء الله ما أعقكم بأمكم حين تتنفون منها إنما تلك أمكم واليها مصيركم ثم ان الخوارج أقامت عليهم أشهرا حتى هلك كراعهم ونفدت أطعمتهم واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد الشديد فدعاهم عتاب بن ورقاء فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فانه قد أصابكم من الجهد ما قد ترون فوالله إن بقي الا أن يموت أحدكم

على فراشه فيجيء أخوه فيدفنه ان استطاع وبالحرى أن يضعف عن ذلك ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه ولا يصلي عليه فاتقوا الله فوالله ما أنتم بالقليل الذين تهون شوكتهم على عدوهم وإن فيكم لفرسان أهل المصر وانكم لصلحاء من أنتم منه اخرجوا بنا الى هؤلاء القوم وبكم حياة وقوة قبل أن لا يستطيع رجل منكم أن يمشي الى عدوه من الجهد وقبل أن لا يستطيع رجل أن يمتنع من امرأة لو جاءته فقاتل رجل عن نفسه وصبر وصدق فوالله اني لأرجو ان صدقتموهم أن يظفركم الله بهم وأن يظهركم عليهم فناداه الناس من كل جانب ووفقت وأصبت اخرج بنا اليهم فجمع اليه الناس من الليل فأمر لهم بعشاء كثير فعشى الناس عنده ثم انه خرج بهم حين أصبح على راياتهم فصبحهم في عسكرهم وهم آمنون من ان يؤتوا في عسكرهم فشدوا عليهم في جانبه فضاربوهم فأخلوا لهم عن وجه العسكر حتى انتهوا الى الزبير ابن الماحوز فنزل في عصابة من أصحابه فقاتل حتى قتل وانحازت الأزارقة الى قطري فبايعوه وجاء عتاب حتى دخل مدينته وقد أصاب من عسكرهم ما شاء وجاء قطري في أثره كأنه يريد أن يقاتله فجاء حتى نزل في عسكر الزبير بن الماحوز فتزعم الخوارج ان عينا لقطري جاءه فقال سمعت عتابا يقول ان هؤلاء القوم ان ركبوا بنات شعاج وفادوا بنات صهال ونزلوا اليوم ارضا وغدا أخرى فبالحرى أن يبقوا فلما بلغ ذلك قطريا خرج فذهب وخلاهم (قال أبو مخنف) قال أبو زهير العبسي وكان معهم خرجنا الى قطري من الغد مشاة مصلتين بالسيوف قال فارتحلوا والله فكان آخر العهد بهم قال ثم ذهب قطري حتى أتى ناحية كرمان فأقام بها حتى اجتمعت اليه جموع كثيرة وأكل الأرض واجتبى المال وقوى ثم أقبل حتى أخذ في أرض اصبهان ثم انه خرج من شعب ناشط الى ايذج فأقام بأرض الأهواز والحارث بن أبي ربيعة عامل لمصعب بن الزبير على البصرة فكتب الى مصعب يخبره ان الخوارج قد تحدرت الى الأهواز وانه ليس لهم الا المهلب فبعث الى المهلب وهو على الموصل والجزيرة فأمره بقتال الخوارج والمسير اليهم وبعث الى عماله ابراهيم ابن الأشتر وجاء المهلب حتى قدم البصرة وانتخب الناس وسار بمن أحب ثم توجه نحو الخوارج وأقبلوا اليه حتى التقوا بسولاف فاقتتلوا بها ثمانية أشهر أشد قتال رآه الناس لا ينقع بعضهم لبعض من الطعن والضرب ما يصد بعضهم عن بعض ﴿ قال أبو جعفر ﴾ وفي هذه السنة كان القحط الشديد بالشأم حتى لم يقدروا من شدته على الغزو ﴿ وفيها ﴾ عسكر عبد الملك بن مروان ببطنان حبيب من أرض قنسرين فمطروا بها فكثر الوحل فسموها بطنان الطين وشتا بها عبد الملك ثم انصرف منها الى دمشق ﴿ وفيها ﴾ قتل عبيد الله ابن الحر

﴿ ذكر الخبر عن مقتله والسبب الذي جر ذلك عليه ﴾

﴿روى﴾ أحمد بن زهير عن علي بن محمد عن علي بن مجاهد ان عبيد الله بن الحر كان رجلا من خيار قومه صلاحا وفضلا وصلاة واجتهادا فلما قتل عثمان وهاج الهيج بين علي ومعاوية قال اما ان الله ليعلم انى أحب عثمان ولأنصرنه ميتا فخرج الى الشأم فكان مع معاوية وخرج مالك بن مسمع الى معاوية على مثل ذلك الرأى فى العثمانية فأقام عبيد الله عند معاوية وشهد معه صفين ولم يزل معه حتى قتل علي عليه السلام * فلما قتل علي قدم الكوفة فأتى اخوانه ومن قد خف في الفتنة فقال لهم ياهؤلاء ما أرى أحدا ينفعه اعتزاله كنا بالشأم فكان من أمر معاوية كيت وكيت فقال له القوم وكان من أمر علي كيت وكيت فقال ياهؤلاء ان تمكننا الأشياء فاخلعوا عذركم واملكوا أمركم فالوا سنلتقى فكانوا يلتقون على ذلك * فلما مات معاوية هاج ذلك الهيج فى فتنة ابن الزبير فقال ما أرى قريشا تنصف أين ابناء الحرائر فأتاه خليع كل قبيلة فكان معه سبعمائة فارس فقالوا مرنا بأمرك * فلما هرب عبيد الله بن زياد ومات يزيد بن معاوية قال عبيد الله بن الحر لفتيانه قد بين الصبح لذى عينين فاذا شئتم فخرج الى المدائن فلم يدع مالا قدم من الجبل للسلطان الا أخذه فأخذ منه عطاءه وأعطية أصحابه ثم قال ان لكم شركا بالكوفة في هذا المال قد استوجبوه ولكن تعجلوا عطاءه قابل سلفا ثم كتب لصاحب المال براءة بما قبض من المال ثم جعل يتقصى الكور على مثل ذلك قال قلت فهل كان يتناول أموال الناس والتجار قال لى انك لغير عالم بأبى الأشرس والله ما كان فى الأرض عربى أغير عند حرة ولا أكف عن قبيح وعن شراب منه ولكن انما وضعه عند الناس شعره وهو من أشعر الفتيان فلم يزل على ذلك من الأمر حتى ظهر المختار وبلغه ما يصنع بالسواد فأمر بامرأته أم سلمة الجعفية فحبست وقال والله لأقتلنه أولا قتلن أصحابه * فلما بلغ ذلك عبيد الله بن الحر أقبل فى فتيانه حتى دخل الكوفة ليلا فكسر باب السجن وأخرج امرأته وكل امرأة ورجل كان فيه فبعث اليه المختار من يقاتله فقاتلهم حتى خرج من المصر فقال حين أخرج امرأته من السجن

ألم تعلمى يا أم توبة أننى * أنا الفارس الحامى حقائق مذحج
وانى صبحت السجن فى سورة الضحى * بكل فتى حامى الذمار مدجج
فما إن برحن السجن حتى بدا لنا * جبين كقرن الشمس غير مشنج
وخد أسيل عن فتاة حبيبة * إلينا سقاها كل دان مثجج
فما العيش إلا ان أزورك آمنا * كعادتنا من قبل حربى ومخرجى
وما أنت إلا همة النفس والهوى * عليك السلام من خليط مسحج
ومازلت محبوسا لحبسك واجما * وإنى بما تلقين من بعده ثج

فبالله هل أبصرت مثلي فارسا * وقد ولجوا في السجن من كل مولج
ومثلي يحامي دون مثلك إنني * أشد إذا ما غمرة لم تفرج
أضاربهم بالسيف عنك لترجعي * الى الأمن والعيش الرفيع المخرفج
اذا ما أحاطوا بي كررت عليهم * كر أبي شبلين في الخيس مخرج
دعوت الى الشاكري ابن كامل * فولى حثيثا ركضه لم يعرج
وإن هتفوا باسمي عطفت عليهم * خيول كرام الضرب أكثرها الوجي
فلا غرو إلا قول سامي طعينتي * أما أنت يا ابن الحر بالمتحرج
دع القوم لا تقتلهم وانج سالما * وشمر هداك الله بالخيل فاخرج
وإني لأرجو يا ابنة الخير أن أرى * على خير أحوال المؤمل فارتجي
ألا حبذا قولي لأحمر طيئ * ولابن حبيب قد دنا الصبح فادلج
وقولي لهذا بر وقولي لذا ارتحل * وقولي لذا من بعد ذلك ارجي

وجعل يعبث بعمال المختار وأصحابه ووثبت همدان مع المختار فأحرقوا داره وانتهبوا ضيعته بالجبانة والبداة فلما بلغه ذلك سار الى ماه الى ضياع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فأنهبها وأنهب ما كان لهمدان بها ثم أقبل الى السواد فلم يدع مالا لهمداني الا أخذه ففي ذلك يقول

وما ترك الكذاب من جل مالنا * ولا الزرق من همدان غير شريد
أفي الحق أن ينهب ضياعي شاكر * وتأمن عندي ضيعة ابن سعيد
ألم تعلمي يا أم توبة أنني * على حدثان الدهر غير بليد
أشد حيازيمي لكل كريهة * واني على ما ناب جد جليد
فإن لم أصبح شاكرا بكتيبة * فعالجت بالكفين غل حديدي
هم هدموا داري وقادوا حليلتي * الى سجنهم والمسلمون شهودي
وهم أعجلوها أن تشد خمارها * فيا عجبا هل الزمان مقيدي
فما أنا ابن الحر إن لم أرعهم * بخيل تعادى بالكماة أسود
وما جبنت خيلي ولكن حملتها * على جحفل ذي عدة وعديد

وهي طويلة قال وكان يأتي المدائن فيمر بعمال جوخى فيأخذ ما معهم من الأموال ثم يميل الى الجبل فلم يزل على ذلك حتى قتل المختار فلما قتل المختار قال الناس لمصعب في ولايته الثانية إن ابن الحر شاق ابن زياد والمختار ولا نأمنه ان يثب بالسواد كما كان يفعل فحبسه مصعب فقال ابن الحر

من مبلـــغ الفتيان أن أخاهمُ * أتى دونهُ بابٌ شديدٌ وحاجبهْ
بمنزلة ما كان يرضى بمثلها * اذا قام غنتّه كبولٌ تجاوبهْ
على الساق فوق الكعب أسودُ صامتٌ * شـــديدٌ يُدانى خطوهُ ويُقاربهْ
وما كان ذا من عظم جرم جنيتهُ * ولكن سعى الساعى بما هو كاذبهْ
وقد كان في الارض العريضة مسلكٌ * وأىُّ امرئٍ ضاقت عليه مذاهبهْ
وفي الدهر والأيام للمرء عـــبرةٌ * وفيما مضى إن ناب يوماً نوائبهْ

فكلم عبيد الله قوما من مذحج ان يأتوا مصعبا فى أمره وأرسل الى وجوههم فقال ائتوا مصعبا فكلموه فى أمرى في ذاته فإنه حبسنى على غير جرم سعى بى قومٌ كذبة وخوّفوه مالم أكن لأفعله ومالم يكن من شأنى وأرسل الى فتيان من مذحج وقال البسوا السلاح وخذوا عدة القتال فقد أرسلت قوما الى مصعب يكلمونه فى أمرى فأقيموا بالباب فإن خرج القوم وقد شفعهم فلا تعرضوا لأحد ولكن سلاحكم مكفرا بالثياب فجاء قوم من مذحج فدخلوا على مصعب فكلموه فشفعهم فأطلقه وكان ابن الحر قال لاصحابه ان خرجوا ولم يشفعهم فكابروا السجن فإنى أعينكم من داخل فلما خرج ابن الحرّ قال لهم أظهروا السلاح فأظهروه ومضى لم يعرض له أحد فأتى منزله وندم مصعب على احراجه فأظهر ابن الحر الخلاف وأتاه الناس يهنؤنه فقال هذا الامر لا يصلح الا لمثل خلفائكم الماضين ومانرى لهم فيناندّ اولا شبيها فنلقى اليه أزمتنا ونمحضه نصيحتنا فإن كان انما هو من عزّ بزّ فعلام نعقد لهم في أعناقنا بيعة وليسوا بأشجع منا لقاء ولا أعظم مناغنى وقد عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ومارأينا بعد الأربعة الماضين اماما صالحا ولا وزيرا تقيا كلهم عاص مخالف قوى الدنيا ضعيف الآخرة فعلام نستحل حرمتنا ونحن أصحاب النخيلة والقادسية وجلولاء ونهاوند نلقى الأسنة بنحورنا والسيوف بجباهنا ثم لا يعرف لنا حقّنا وفضلنا فقاتلوا عن حريمكم فأى الامر ما كان فلكم فيه الفضل وانى قد قلبت ظهر المجن وأظهرت لهم العداوة ولا قوة الا بالله وحاربهم فأغار فأرسل اليه مصعب سيف بن هانئ المرادى فقال له إن مصعبا يعطيك خراج بادوريا على ان تبايع وتدخل فى طاعته قال أوليس لى خراج بادوريا وغيرها الست قابلا شيأ ولا آمنهم على شئ ولكنى أراك يافتى وسيفٌ يومئذ حدّث حدثا عاقلا فهل لك ان تتبعنى وأموالك فأبى عليه فقال ابن الحرّ حين خرج من الحبس

لا كوفة أمى ولا بصرة أبى * ولا أنا يثنينى عن الرّحلة الكسل

قال أبو الحسن يروى هذا البيت لسهيم بن وثيل الرياحىّ

فلا تحسبنى ابن الزبير كناعسٍ * اذا حلّ أغفى أو يقال له ارتحل

فان

فإن لم أزرك الخيل تردى عوابسا * بفرسانها لأدعَ بالحازم البطلْ
وإن لم تر الغارات من كل جانب * عليك فتندم عاجلا أيها الرجلْ
فلا وضعت عندى حصانٌ قناعها * ولا عشتُ إلا بالأمانى والعللْ

وهى طويلة فبعث اليه مصعب الأبرد بن قرة الرياحى فى نفر فقاتله فهزمه ابن الحر وضربه ضربة على وجهه فبعث اليه مصعب حريث بن زيد أو يزيد فبارزه فقتله عبيد الله بن الحر فبعث اليه مصعب الحجاج بن حارثة الخثعمى ومسلم بن عمرو فلقياه بنهر صرصر فقاتلهم فهزمهم فأرسل اليه مصعب قوما يدعونه الى ان يؤمنه ويصله ويوليه أى بلد شاء فلم يقبل وأبى نرسى ففرد هقانها ظيز جشنس بمال الفلوجة فتبعه ابن الحر حتى مر بعين التمر وعليها بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيبانى فتعوذ بهم الدهقان فخرجوا اليه فقاتلوه وكانت خيل بسطام خمسين ومائة فارس فقال يونس بن هاعان الهمدانى من خيوان ودعاه ابن الحر الى المبارزة شر دهر آخره ما كنت أحسبنى أعيش حتى يدعونى انسان الى المبارزة فبارزه فضربه ابن الحر ضربة أثخنته ثم اعتنقا فخرا جميعا عن فرسيهما وأخذ ابن الحر عمامة يونس وكتفه بها ثم ركب ووافاهم الحجاج بن حارثة الخثعمى فحمل عليه الحجاج فأسره أيضا عبيد الله وبارز بسطام بن مصقلة المجشر فاضطربا حتى كره كل واحد منهما صاحبه وعلاه بسطام فلما رأى ذلك ابن الحر حمل على بسطام واعتنقه بسطام فسقطا الى الأرض وسقط ابن الحر على صدر بسطام فأسره وأسر يومئذ ناسا كثيرا فكان الرجل يقول أنا صاحب ذاك يوم كذا ويقول الآخر أنا نازل فيكم ويمت كل واحد منهم بما يرى انه ينفعه فيخلى سبيله وبعث فوارس من أصحابه عليهم دلهم المرادى يطلبون الدهقان فأصابوه فأخذوا المال قبل القتال فقال ابن الحر

لو أن لى مثل جرير أربعه * صبحت بيت المال حتى أجمعه
ولم يهلنى مصعب ومن معه * نعم الفتى ذلكم ابن مشجعه

ثم ان عبيد الله أتى تكريت فهرب عامل المهلب عن تكريت فأقام عبيد الله يجبى الخراج فوجه اليه مصعب الأبرد بن قرة الرياحى والجون بن كعب الهمدانى فى ألف وأمدهما المهلب بيزيد بن المغفل فى خمسمائة فقال رجل من جعفى لعبيد الله قد أتاك عدد كثير فلا تقاتلهم فقال

يخوفنى بالقتل قومى وإنما * أموت اذا جاء الكتاب المؤجلُ
لعل المنايا تدنى بأطرافها الغنى * فنحيا كراما أو نكر فنقتل

فقال للمجشر ودفع اليه رايته وقدم معه دلهما المرادى فقاتلهم يومين وهو فى ثلاثمائة فجرح جرير بن كريب وقتل عمرو بن جندب الأزدى وفرسان كثير من فرسانه

وتحاجزوا عند المساء وخرج عبيد الله من تكريت فقال لأصحابه انى سائر بكم الى عبد الملك بن مروان فتهيأوا وقال انى أخاف ان أفارق الحياة ولم أذعر مصعبا وأصحابه فارجعوا بنا الى الكوفة قال فسار الى كسكر فنفى عاملها وأخذ بيت مالها ثم أتى الكوفة فنزل لحام جرير فبعث اليه مصعب عمر بن عبيد الله بن معمر فقاتله فخرج الى دير الاعور فبعث اليه مصعب حجار بن أبجر فانهزم حجار فشتمه مصعب وردّه وضمّ اليه الجون بن كعب الهمدانى وعمر بن عبيد الله بن معمر فقاتلوه بأجمعهم وكثرت الجراحات فى أصحاب ابن الحرّ وعقرت خيولهم وجرح المجشر وكان معه لواء ابن الحرّ فدفعه الى أحمر طيئ فانهزم حجار بن أبجر ثم كرّ فاقتتلوا قتالا شديدا حتى أمسوا فقال ابن الحرّ

لو أنّ لى مثل الفتى المجشر * ثلاثة بيّتهم لا أمترى
ساعدنى ليلة دير الأعور * بالطعن والضرب وعند المعبر
لطاح فيها عمر بن معمر

وخرج ابن الحر من الكوفة فكتب مصعب الى يزيد بن الحارث بن رؤيم الشيبانى وهو بالمدائن يأمره بقتال ابن الحرّ فقدم ابنه حوشبا فلقيه بباجسرى فهزمه عبيد الله وقتل فيهم وأقبل ابن الحرّ فدخل المدائن فتحصنوا فخرج عبيد الله فوجّه اليه الجون بن كعب الهمدانى وبشر بن عبد الله الأسدى فنزل الجون حولايا وقدم بشر الى تامرا فلقى ابن الحرّ فقتله ابن الحر وهزم أصحابه ثم لقى الجون بن كعب بحولايا فخرج اليه عبد الرحمن بن عبد الله فحمل عليه ابن الحر فطعنه فقتله وهزم أصحابه وتبعهم فخرج اليه بشير بن عبد الرحمن بن بشير العجلى فالتقوا بسورا فاقتتلوا قتالا شديدا فانحاز بشير عنه فرجع الى عمله وقال قد هزمت ابن الحرّ فبلغ قوله مصعبا فقال هذا من الذين يحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا وأقام عبيد الله فى السواد يغير ويجبى الخراج فقال ابن الحرّ فى ذلك

سلوا ابن رؤيم عن جلادى وموقفى * بإيوان كسرى لا أوليهم ظهرى
أكرّ عليهم معلما وتراهم * كمعزى تحمى خشية الذئب بالصخر
وبيّتهم فى حصن كسرى بن هرمز * بمشحوذة بيض وخطية سمر
فأجدبتهم طعنا وضربا تراهم * يلوذون منا موهنا بذرى القصر
يلوذون منى رهبة ومخافة * لواذا كلاذ الحمائم من صقر

ثم ان عبيد الله بن الحرّ فيما ذكر لحق بعبد الملك بن مروان فلما صار اليه وجّهه فى عشرة نفر نحو الكوفة وأمره بالمسير نحوها حتى تلحقه الجنود فسار بهم فلما بلغ الأنبار وجّه الى الكوفة من يخبر أصحابه بقدومه ويسألهم أن يخرجوا اليه فبلغ ذلك القيسية فأتوا الحارث ابن عبد الله بن أبى ربيعة عامل ابن الزبير على الكوفة فسألوه أن يبعث معهم جيشا فوجّه

معهم

معهم فلما لقوا عبيد الله قاتلهم ساعة ثم غرقت فرسه وركب معبرا فوثب عليه رجل من الأنباط فأخذ بعضديه وضربه الباقون بالمرادى وصاحوا إن هذا طلبة أمير المؤمنين فاعتنقا فغر فانثم استخرجوه فجزوا رأسه فبعثوا به الى الكوفة ثم الى البصرة ﴿قال أبو جعفر﴾ وقد قيل في مقتله غير ذلك من القول قيل كان سبب مقتل عبيد الله بن الحر انه كان يغشى بالكوفة مصعبا فرآه يقدم عليه أهل البصرة فكتب الى عبد الله بن الزبير فيما ذكر قصيدة يعاتب بها مصعبا ويخوفه مسيره الى عبد الملك بن مروان يقول فيها

أبلغ أمير المؤمنين رسالة * فلست على رأى قبيح أوازره
أفى الحق أن أجفى ويجعل مصعب * وزيريه من قد كنت فيه أحاربه
فكيف وقد أبليتكم حق بيعتى * وحقى يلوى عندكم وأطالبه
وأبليتكم مالا يضيع مثله * وآسيتكم والأمر صعب مراتبه
فلما استتار الملك وانقادت العدى * وأدرك من مال العراق رغائبه
جفا مصعب عنى ولو كان غيره * لأصبح فيما بيننا لا أعاتبه
لقد رابنى من مصعب أن مصعبا * أرى كل ذى غش لناهو صاحبه
وما أنا إن حالت أتمونى بوارد * على كدر قد حص بالصفو شاربه
وما لامرئ الا الذى الله سائق * إليه وما قد حط فى الزبر كاتبه
اذا قمت عند الباب أدخل مسلم * ويمنعنى أن أدخل الباب حاجبه

وهى طويلة وقال لمصعب وهو في حبسه وكان قد حبس معه عطية بن عمرو البكرى فخرج عطية فقال عبيد الله

أقول له صبرا عطى فانما * هو السجن حتى يجعل الله مخرجا
أرى الدهر لى يوما من يوما مطردا * شريدا ويوما فى الملوك متوجا
أتطعن فى دينى غداة أتيتكم * وللدين تدنى الباهلى وحشرجا
ألم تر أن الملك قد شين وجهه * ونبع بلاد الله قد صار عوسجا

وهى طويلة وقال أيضا يعاتب مصعبا فى ذلك ويذكر له تقريبه سويد بن منجوف وكان سويد خفيف اللحية

بأى بلاء أم بأية نعمة * تقدم قبلى مسلم والمهلب
ويدعى ابن منجوف أمامى كأنه * خصى أتى للماء والعير يسرب
وشيخ تميم كالثغامة رأسه * وعيلان عنا خائف متقرب
جعلت قصور الازد ما بين منبج * الى الغاف من وادى عمان تصوب

بلادنفى عنها العدو سيوفنا * وصفرة عنها نازح الدار أجنبُ

وقال قصيدة يهجو فيها قيس عيلان يقول فيها

أنا ابن بنى قيس فإن كنت سائلاً * بقيس نجدهم ذروة في القبائل

ألم ترقيسا قيس عيلان برقعت * لحاها وباعت نبلها بالمغازل

وما زلتُ أرجو الأزد حتى رأيتها * تُصَرُ عن بُنيانها المتطاول

فكتب زفر بن الحارث الى مصعب قد كفيتك فقال ابن الزرقاء وابن الحرّ يهجو قيسا ثم ان نفرا من بنى سُليم أخذوا ابن الحر فأسروه فقال انى انما قلت

ألم ترقيسا قيس عيلان أقبلت * إلينا وسارت بالقنا والقنابل

فقتله رجل منهم يقال له عياش فقال زُفر بن الحارث

لما رأيتُ الناسَ أولادَ علة * وأغرق فينا نزعة كلُّ قائل

تكلم عنّا مشيُنا بسيوفنا * الى الموت واستنشاط حبل المراكل

فلو يسأل ابن الحر أخبر أنها * يمانية لا تشترى بالمغازل

وأخبر أناذات علم سيوفنا * بأعناق مابين الطُلى والكواهل

وقال عبد الله بن همام

ترَعَّمتَ يا ابن الحرّ وحدك خالياً * بقول امرئ نَشوان أوقول ساقط

أتذكرُ قوما أوجعتك رماحُهم * وذبُّوا عن الأحساب عند المآقط

وتبكى لما لاقت ربيعةُ منهمُ * وما أنت فى أحساب بكر بواسط

فهلّا بجُعفىّ طلبتَ ذحولها * ورهطك دنيا في السنين الفوارط

تركناهم يوم الثرى أذلةً * يلوذون من أسيافنا بالعرافط

وخالطكم يوم النخيل بجمعه * عمير فما استبشرتم بالمخالط

ويوم شراحيل جدعنا أنوفكم * وليس علينا يوم ذاك بقاسط

ضربنا بحدّ السيف مفرق رأسه * وكان حديثا عهدُه بالمواشط

فإن رغمت من ذاك آنف مذحج * فرغما وسُخطا للأنوف السواخط

﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة وافت عرفات أربعة ألوية قال محمد بن عمر حدّثنى شرحبيل بن أبى عَون عن أبيه قال وقفت فى سنة ٦٨ بعرفات أربعة ألوية ابن الحنفية في أصحابه فى لواء فام عند جبل المشاة وابن الزبير فى لواء فقام مقام الإمام اليوم ثم تقدّم ابن الحنفية بأصحابه حتى وقفوا حذاء ابن الزبير ونجدة الحرورى خلفهما ولواء بنى أمية عن يسارهما فكان أوّل لواء انفض لواء محمد بن الحنفية ثم تبعه نجدة ثم لواء بنى أمية ثم لواء ابن

الزبير واتبعه الناس فال محمد حدثني ابن نافع عن أبيه قال كان ابن عمر لم يدفع تلك العشية الا بدفعة ابن الزبير فلما أبطأ ابن الزبير وقد مضى ابن الحنفية ونجدة وبنو أمية قال ابن عمر ينتظر ابن الزبير أمر الجاهلية ثم دفع فدفع ابن الزبير على أثره قال محمد حدثني هشام بن عمارة عن سعيد بن محمد بن جبير عن أبيه قال خفت الفتنة فشيت اليهم جميعا فجئت محمد بن علي في الشعب فقلت يا أبا القاسم اتق الله فإنا في مشعر حرام وبلد حرام والناس وفد الله الى هذا البيت فلا تفسد عليهم حجهم فقال والله ما أريد ذلك وما أحول بين أحد وبين هذا البيت ولا يؤتى أحد من الحاج من قبلي ولكني رجل أدفع عن نفسي من ابن الزبير وما يروم مني وما أطلب هذا الأمر الا ان لا يختلف علي فيه اثنان ولكن ائت ابن الزبير فكلمه وعليك بنجدة قال محمد فجئت ابن الزبير فكلمته بنحو ما كلمت به ابن الحنفية فقال أنا رجل قد اجتمع علي الناس وبايعوني وهؤلاء أهل خلاف فقلت أرى خير الك الكف قال أفعل ثم جئت نجدة الحروري فأجده في أصحابه وأجد عكرمة غلام ابن عباس عنده فقلت له استأذن لي على صاحبك قال فدخل فلم ينشب ان أذن لي فدخلت فعظمت عليه وكلمته كما كلمت الرجلين فقال أما ان أبتدئ أحدا بقتال فلا ولكن من بدأ بقتال قاتلته قلت فاني رأيت الرجلين لا يريدان قتالك ثم جئت شيعة بني أمية فكلمتهم بنحو ما كلمت به القوم فقالوا نحن على أن لا نقاتل أحدا الا أن يقاتلنا فلم أر في تلك الألوية قوما أسكن ولا أسلم دفعة من ابن الحنفية ﴿قال أبو جعفر﴾ وكان العامل لابن الزبير في هذه السنة على المدينة جابر بن الأسود بن عوف الزهري وعلى البصرة والكوفة أخوه مصعب وعلى قضاء البصرة هشام ابن هبيرة وعلى قضاء الكوفة عبد الله بن عقبة بن مسعود وعلى خراسان عبد الله بن خازم السلمي وبالشأم عبد الملك بن مروان

﴿ ثم دخلت سنة تسع وستين ﴾

﴿ففيها﴾ كان خروج عبد الملك بن مروان فيما زعم الواقدي الى عين وردة واستخلف عمرو ابن سعيد بن العاص على دمشق فتحصن بها فبلغ ذلك عبد الملك فرجع الى دمشق فحاصره قال ويقال خرج معه فلما كان ببطنان حبيب رجع الى دمشق فتحصن فيها ورجع عبد الملك الى دمشق وأما عوانة بن الحكم فانه قال فيما ذكر هشام بن محمد عنه ان عبد الملك ابن مروان لما رجع من بطنان حبيب الى دمشق مكث بدمشق ما شاء الله ثم سار يريد قرقيسياء وفيها زفر بن الحارث الكلابي ومعه عمرو بن سعيد حتى اذا كان ببطنان حبيب فتك عمرو بن سعيد فرجع ليلا ومعه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي وزهير بن الأبرد الكلبي حتى أتى دمشق وعليها عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفي قد استخلفه عبد الملك فلما بلغه رجوع عمرو بن سعيد هرب وترك عماله ودخلها عمرو فغلب عليها وعلى خزائنها وقال

غيرهما كانت هذه القصة في سنة ٧٠ وقال كان مسير عبد الملك من دمشق نحو العراق يريد مصعب بن الزبير فقال له عمرو بن سعيد بن العاص انك تخرج الى العراق وقد كان أبوك وعدني هذا الأمر من بعده وعلى ذلك جاهدت معه وقد كان من بلائي معه ما لم يخف عليك فاجعل لي هذا الأمر من بعدك فلم يجبه عبد الملك الى شيء فانصرف عنه عمرو راجعا الى دمشق فرجع عبد الملك في أثره حتى انتهى الى دمشق ﴿رجع الحديث﴾ الى حديث هشام عن عوانة قال ولما غلب عمرو على دمشق طلب عبد الرحمن بن أم الحكم فلم يصبه فأمر بداره فهدمت واجتمع الناس وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انه لم يقم أحد من قريش قبلي على هذا المنبر الا زعم ان له جنة وناراً يدخل الجنة من أطاعه والنار من عصاه وانى أخبركم ان الجنة والنار بيد الله وانه ليس الى من ذلك شيء غير أن لكم علي حسن المؤاساة والعطية ونزل وأصبح عبد الملك ففقد عمرو بن سعيد فسأل عنه فأخبر خبره فرجع عبد الملك الى دمشق فاذا عمرو قد جلل دمشق المسوح فقاتله بها أياما وكان عمرو بن سعيد اذا أخرج حميد بن حريث الكلبي على الخيل أخرج اليه عبد الملك سفيان بن الأبرد الكلبي واذا أخرج عمرو بن سعيد زهير بن الأبرد الكلبي أخرج اليه عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل الكلبي (قال هشام) حدثني عوانة ان الخيلين تواقفتا ذات يوم وكان مع عمرو بن سعيد رجل من كلب يقال له رجاء بن سراج فقال رجاء ياعبد الرحمن بن سليم ابرز وكان عبد الرحمن مع عبد الملك فقال عبد الرحمن قد أنصف القارة من راماها وبرز له فاطعنا وانقطع ركاب عبد الرحمن فنجا منه ابن سراج فقال عبد الرحمن والله لولا انقطاع الركاب لرميت بما في بطنك من تين وما اصطلح عمرو وعبد الملك أبدا فلما طال قتالهم جاء نساء كلب وصبيانهم فبكين وقلن لسفيان بن الأبرد ولابن بحدل الكلبي علام تقتلون أنفسكم لسلطان قريش فحلف كل واحد منهما أن لا يرجع حتى يرجع صاحبه فلما أجمعوا على الرجوع نظروا فوجدوا سفيان أكبر من حريث فطلبوا الى حريث فرجع ثم إن عبد الملك وعمرا اصطلحا وكتبا بينهما كتابا وآمنه عبد الملك وذلك عشية الخميس * قال هشام فحدثني عوانة ان عمرو بن سعيد خرج في الخيل متقلدا قوسا سوداء فأقبل حتى أوطأ فرسه اطناب سرادق عبد الملك فانقطعت الأطناب وسقط السرادق ونزل عمرو فجلس وعبد الملك مغضب فقال لعمرو يا أبا أمية كأنك تشبه بتقلدك هذه القوس بهذا الحي من قيس قال لا ولكني أتشبه بمن هو خير منهم العاص بن أمية ثم قام مغضبا والخيل معه حتى دخل دمشق ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس فبعث الى عمرو أن أعط الناس أرزاقهم فأرسل اليه عمرو ان هذا ليس لك ببلد فانتقض عنه فلما كان يوم الاثنين وذلك بعد دخول عبد الملك دمشق بأربع بعث الى عمرو أن ائتني وهو عندما مر أنه الكلبية وقد كان عبد

الملك

الملك دعا كريب بن أبرهة بن الصباح الحميري فاستشاره في أمر عمرو بن سعيد فقال له في هذا هلكت حمير لا أرى لك ذلك لا ناقتي في ذا ولا جملي فلما أتى رسول عبد الملك عمرا يدعوه صادف الرسول عبد الله بن يزيد بن معاوية عند عمرو فقال عبد الله لعمرو بن سعيد يا أبا أمية والله لأنت أحب الي من سمعي وبصري وقد أرى هذا الرجل قد بعث اليك ان تأتيه وأنا أرى لك أن لا تفعل فقال له عمرو لم قال لأن تبيغ ابن امرأة كعب الأحبار قال ان عظيما من عظماء ولد اسماعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق ثم يخرج منها فلا يلبث أن يقتل فقال له عمرو والله لو كنت نائما ما تخوفت أن ينبهني ابن الزرقاء ولا كان ليجترئ على ذلك مني مع ان عثمان بن عفان أتاني البارحة في المنام فألبسني قميصه وكان عبد الله بن يزيد زوج أم موسى بنت عمرو بن سعيد فقال عمرو للرسول أبلغه السلام وقل له أنا رائح اليك العشية ان شاء الله فلما كان العشي لبس عمرو درعا حصينة بين قباء قوهي وقميص قوهي وتقلد سيفه وعنده امرأته الكلبية وحميد بن حريث بن بحدل الكلبي فلما نهض متوجها عثر بالبساط فقال له حميد أما والله لئن أطعتني لم تأته وقالت له امرأته تلك المقالة فلم يلتفت الى قولهم ومضى في مائة رجل من مواليه وقد بعث عبد الملك الى بني مروان فاجتمعوا عنده فلما بلغ عبد الملك انه بالباب أمر أن يحبس من كان معه وأذن له فدخل ولم تزل أصحابه يحبسون عند كل باب حتى دخل عمرو قاعة الدار وما معه الا وصيف له فرمى عمرو ببصره نحو عبد الملك فإذا حوله بنو مروان وفيهم حسان بن مالك بن بحدل الكلبي وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي فلما رأى جماعتهم أحس بالشر فالتفت الى وصيفه فقال انطلق وبحبك الى يحيى بن سعيد فقل له يأتيني فقال له الوصيف ولم يفهم ما قال له لبيك فقال له اغرب عني في حرق الله ناره وقال عبد الملك لحسان وقبيصة اذا شئتما فقوما فالتقيا وعمرا في الدار فقال عبد الملك لهما كالمازح ليطمئن عمرو بن سعيد أيكما أطول فقال حسان قبيصة يا أمير المؤمنين أطول مني بالإمرة وكان قبيصة على الخاتم ثم التفت عمرو الى وصيفه فقال انطلق الى يحيى فمره ان يأتيني فقال له لبيك ولم يفهم عنه فقال له عمرو اغرب عني فلما خرج حسان وقبيصة أمر بالابواب فغلقت ودخل عمرو فرحب به عبد الملك وقال ههنا يا أبا أمية يرحمك الله فأجلسه معه على السرير وجعل يحدثه طويلا ثم قال يا غلام خذ السيف عنه فقال عمرو انا لله يا أمير المؤمنين فقال عبد الملك أو تطمع أن تجلس معي متقلدا سيفك فأخذ السيف عنه ثم تحدثا ما شاء الله ثم قال له عبد الملك يا أبا أمية قال لبيك يا أمير المؤمنين فقال انك حيث خلعتني آليت بيمين ان أنا ملأت عيني منك وأنا ما لك أن أجمعك في جامعة فقال له بنو مروان ثم تطلقه يا أمير المؤمنين قال ثم أطلقه وما عسيت أن أصنع بأبي أمية فقال بنو مروان أبر قسم أمير المؤمنين فقال عمرو قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين فأخرج من تحت فراشه

جامعة فطرحها اليه ثم قال ياغلام قم فاجمعه فيها فقام الغلام فجمعه فيها فقال عمرو أذكرك الله ياأمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤس الناس فقال عبد الملك أمكر أبا أمية عند الموت لا هاالله اذا ما كنا لنخرجك فى جامعة على رؤس الناس ولما نخرجها منك الا صعدا ثم اجتبذه اجتباذة أصاب فيه السرير فكسر ثنيته فقال عمرو أذكرك الله ياأمير المؤمنين أن يدعوك الى كسر عظم منى أن تركب ماهو أعظم من ذلك فقال له عبد الملك والله لو أعلم انك تبقى على إن أبقى عليك وتصلح قريش لأطلقتك ولكن ما اجتمع رجلان قط فى بلدة على مثل مانحن عليه الا أخرج أحدهما صاحبه فلما رأى عمرو ان ثنيته قد اندقت وعرف الذى يريد عبد الملك قال أغدرا يا ابن الزرقاء وقيل ان عبد الملك لما جذب عمرا فسقطت ثنيته جعل عمرو يمسها فقال عبد الملك له أرى ثنيتك قد وقعت منك موقعا لا تطيب نفسك لى بعدها فأمر به فضرب عنقه ﴿رجع الحديث الى حديث عوانة﴾ وأذن المؤذن العصر فخرج عبد الملك يصلى بالناس وأمر عبد العزيز بن مروان أن يقتله فقام اليه عبد العزيز بالسيف فقال له عمرو أذكرك الله والرحم ان تلى أنت قتلى وليتول ذلك من هو أبعد رحما منك فألقى عبد العزيز السيف وجلس وصلى عبد الملك صلاة خفيفة ودخل وغلقت الابواب ورأى الناس عبد الملك حيث خرج وليس عمرو معه فذكروا ذلك ليحيى بن سعيد فأقبل فى الناس حتى حل بباب عبد الملك ومعه ألف عبد لعمرو وأناس بعد من أصحابه كثير فجعل من كان معه يصيحون أسمعنا صوتك ياأبا أمية وأقبل مع يحيى بن سعيد حميد بن حريث وزهير بن الابرد فكسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسيوف وضرب عبد لعمرو بن سعيد يقال له مصقلة الوليد بن عبد الملك ضربة على رأسه واحتمله ابراهيم بن عربى صاحب الديوان فأدخله بيت القراطيس ودخل عبد الملك حين صلى فوجد عمرا حيا فقال لعبد العزيز ما منعك من أن تقتله قال منعنى انه ناشدنى الله والرحم فرققت له فقال له عبد الملك أخزى الله أمك البوالة على عقبيها فانك لم تشبه غيرها وأم عبد الملك عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية وكانت أم عبد العزيز ليلى وذلك قول ابن الرقيات

ذاك ابن ليلى عبد العزيز بيا * ب اليون تغدو وجفانه رذما

ثم ان عبد الملك قال ياغلام ائتنى بالحربة فأتاه بالحربة فهزها ثم طعنه بها فلم تجز فضرب بيده الى عضد عمرو فوجد مس الضرع فضحك ثم قال ودارع أيضا ياأبا أمية ان كنت لمعدا ياغلام ائتنى بالصمصامة فأتاه بسيفه ثم أمر بعمرو فصرع وجلس على صدره فذبحه وهو يقول

ياعمرو إن لا تدع شتمى ومنقصتى * أضربك حيث تقول الهامة اسقونى

وانتفض

وانتفض عبد الملك رعدة وكذلك الرجل زعموا يصيبه اذا قتل ذا قرابة له فحمل عبد الملك عن صدره فوضع على سريره فقال ما رأيت مثل هذا قط قتله صاحب دنيا ولا طالب آخرة ودخل يحيى بن سعيد ومن معه على بنى مروان الدار فجرحوهم ومن كان معهم من مواليهم فقاتلوا يحيى وأصحابه وجاء عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفى فدفع اليه الرأس فألقاه الى الناس وقام عبد العزيز بن مروان فأخذ المال فى البدور فجعل يلقيها الى الناس فلما نظر الناس الى الاموال ورأوا الرأس انتهبوا الاموال وتفرقوا وقد قيل ان عبد الملك بن مروان لما خرج الى الصلاة أمر غلامه أبا الزعيزعة بقتل عمرو فقتله وألقى رأسه الى الناس والى أصحابه (قال هشام) قال عوانة فحدثت ان عبد الملك أمر بتلك الاموال التى طرحت الى الناس فجبيت حتى عادت كلها الى بيت المال ورمى يحيى بن سعيد يومئذ فى رأسه بصخرة وأمر عبد الملك بسريره فأبرز الى المسجد وخرج فجلس عليه وفقد الوليد بن عبد الملك فجعل يقول ويحكم أين الوليد وأبيهم لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم فأتاه ابراهيم بن عربى الكنانى فقال هذا الوليد عندى قد أصابته جراحة وليس عليه بأس فأتى عبد الملك بيحيى بن سعيد فأمر به أن يقتل فقام اليه عبد العزيز فقال جعلنى الله فداك يا أمير المؤمنين أنراك قاتلا بنى أمية فى يوم واحد فأمر بيحيى فحبس ثم أتى بعنبسة بن سعيد فأمر به أن يقتل فقام اليه عبد العزيز فقال أذكرك الله يا أمير المؤمنين فى استئصال بنى أمية وهلاكها فأمر بعنبسة فحبس ثم أتى بعامر بن الاسود الكلبى فضرب رأسه عبد الملك بقضيب خيزران كان معه ثم قال أتقاتلنى مع عمرو وتكون معه على قال نعم لأن عمرا أكرمنى وأهنتنى وأدنانى وأقصيتنى وقربنى وأبعدتنى وأحسن الى وأسأت الى فكنت معه عليك فأمر به عبد الملك أن يقتل فقام عبد العزيز فقال أذكرك الله يا أمير المؤمنين فى خالى فوهبه له وأمر ببنى سعيد فحبسوا ومكث يحيى فى الحبس شهرا أو أكثر ثم ان عبد الملك صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم استشار الناس فى قتله فقام بعض خطباء الناس فقال يا أمير المؤمنين هل تلد الحية الا حية نرى والله أن تقتله فانه منافق عدو ثم قام عبد الله بن مسعدة الفزارى فقال يا أمير المؤمنين ان يحيى ابن عمك وقرابته ما قد علمت وقد صنعوا ما صنعوا وصنعت بهم ما قد صنعت ولست لهم بآمن ولا أرى لك قتلهم ولكن سيرهم الى عدوك فان هم قتلوا كنت قد كفيت أمرهم بيد غيرك وان هم سلموا ورجعوا رأيت فيهم رأيك فأخذ برأيه وأخرج آل سعيد فألحقهم بمصعب بن الزبير فلما قدموا عليه دخل عليه يحيى بن سعيد فقال له ابن الزبير انفلت وانجص الذنب فقال والله ان الذنب لبهلبه ثم ان عبد الملك بعث الى امرأة عمرو الكلبية ابعثى الى بالصلح الذى كنت كتبته لعمرو فقالت لرسوله ارجع اليه فأعلمه انى قد لففت ذلك الصلح معه فى أ فانه ليخاصمك به عند ربه وكان عمرو بن سعيد وعبد الملك يلتقيان فى النسب

الى أمية وكانت أم عمرو أم البنين ابنة الحكم بن أبي العاص عمة عبد الملك (قال هشام) فحدثنا عوانة ان الذي كان بين عبد الملك وعمرو كان شرا قديما وكان ابنا سعيد أمهما أم البنين وكان عبد الملك ومعاوية ابني مروان فكانوا وهم غلمان لا يزالون يأتون أم مروان بن الحكم الكنانية يتحدثون عندها فكان ينطلق مع عبد الملك ومعاوية غلام لهم أسود وكانت أم مروان اذا أتوها هيأت لهم طعاما ثم تأتيهم به فتضع بين يدي كل رجل صحفة على حدة وكانت لا تزال تؤرش بين معاوية بن مروان ومحمد بن سعيد وبين عبد الملك وعمرو بن سعيد فيقتتلون ويتصارمون الحين لا يكلم بعضهم بعضا وكانت تقول ان لم يكن عند هذين عقل فعند هذين فكان ذلك دأبها كلما أتوها حتى أنبتت الشحناء في صدورهم * وذكر ان عبد الله بن يزيد القسري أبا خالد كان مع يحيى بن سعيد حيث دخل المسجد فكسر باب المقصورة فقاتل بني مروان فلما قتل عمرو وأخرج رأسه الى الناس ركب عبد الله وأخوه خالد فلحقوا بالعراق فأقام مع ولد سعيد وهم مع مصعب حتى اجتمعت الجماعة على عبد الملك وقد كانت عين عبد الله بن يزيد فقئت يوم المرج وكان مع ابن الزبير يقاتل بني أمية وأنه دخل على عبد الملك بعد الجماعة فقال كيف أنتم آل يزيد فقال عبد الله حرباء حرباء فقال عبد الملك ذلك بما قدمت أيديكم وما الله بظلام للعبيد (قال هشام) عن عوانة ان ولد عمرو بن سعيد دخلوا على عبد الملك بعد الجماعة وهم أربعة أمية وسعيد واسماعيل ومحمد فلما نظر اليهم عبد الملك قال لهم انكم أهل بيت لم تزالوا تورثون لكم على جميع قومكم فضلا لم يجعله الله لكم وان الذي كان بيني وبين أبيكم لم يكن حديثا بل كان قديما في النفس أوليكم على أولينا في الجاهلية فأقطع بأمية بن عمرو وكان اكبرهم فلم يقدر أن يتكلم وكان أنبلهم وأعقلهم فقام سعيد بن عمرو وكان الأوسط فقال يا أمير المؤمنين ما تنعى علينا أمرا كان في الجاهلية وقد جاء الله بالاسلام فهدم ذلك فوعد جنة وحذر نارا وأما الذي كان بينك وبين عمرو فان عمرا ابن عمك وأنت اعلم وما صنعت وقد وصل عمرو الى الله وكفى بالله حسيبا ولعمري لئن أخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الأرض خير لنا من ظهرها فرق لهم عبد الملك رقة شديدة وقال ان اباكم خيرني بين أن يقتلني أو أقتله فاخترت قتله على قتلي وأما أنتم فما أرغبني فيكم وأوصلني لقرابتكم وأرعاني لحقكم فأحسن جائزتهم ووصلهم وقربهم * وذكر ان خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم عجب منك ومن عمرو بن سعيد كيف أصبت غرته فقتلته فقال عبد الملك

دانيته مني ليسكن روعه * فأصول صولة حازم مستمكن
غضبا ومحمية لديني انه * ليس المسيء سبيله كالمحسن

قال عوانة لقي رجل سعيد بن عمرو بن سعيد بمكة فقال له ورب هذه البنية ما كان في القوم

مثل أبيك ولكنه نازع القوم ما في أيديهم فعطب * وكان الواقدي يقول انما كان في سنة ٦٩ بين عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد الحصار وذلك أن عمرو بن سعيد تحصن بدمشق فرجع عبد الملك اليه من بطنان حبيب فحاصره فيها واما قتله اياه فانه كان في سنة ٧٠ ﴿وفي هذه السنة﴾ حكم محكم من الخوارج بالخيف من منى فقتل عند الجمرة ذكر محمد بن عمران يحيى بن سعيد بن دينار حدثه عن أبيه قال رأيته عند الجمرة سل سيفه وكانوا جماعة فأمسك الله بأيديهم وبدرهوم من بينهم فحكم فمال الناس عليه فقتلوه * وأقام الحج للناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله فيها على المصرين الكوفة والبصرة أخوه مصعب بن الزبير وكان على قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم

﴿ثم دخلت سنة سبعين﴾

ففي هذه السنة ثارت الروم واستجاشوا على من بالشأم من المسلمين فصالح عبد الملك ملك الروم على أن يؤدي اليه في كل جمعة ألف دينار خوفا منه على المسلمين ﴿وفيها﴾ شخص فيما ذكر محمد بن عمر مصعب بن الزبير الى مكة فقدمها بأموال عظيمة فقسمها في قومه وغيرهم وقدم بدواب كثيرة وظهر وأثقال فارسل الى عبد الله بن صفوان وجبير بن شيبة وعبد الله بن مطيع مالا كثيرا ونحر بدنا كثيرة ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عماله على الأمصار في هذه السنة عماله في السنة التي قبلها على المعاون والقضاء

﴿ثم دخلت سنة احدى وسبعين﴾

﴿ذكر ما كان فيها من الاحداث﴾

فمن ذلك مسير عبد الملك بن مروان فيها الى العراق لحرب مصعب بن الزبير وكان عبد الملك فيما قيل لا يزال يقرب من مصعب حتى يبلغ بطنان حبيب ويخرج مصعب الى باجميرا ثم تهجم الشتاء فيرجع كل واحد منهما الى موضعه ثم يعودان فقال عدي بن زيد بن عدي بن الرقاع العاملي

لعمري لقد أصحرت خيلنا * بأكناف دجلة للمصعب
اذا ما منافق أهل العرا * ق عوتب ثمت لم يعتب
دلفنا اليه بذي تدرإ * قليل التفقد للغيب
يهزون كل طويل القنا * ة ملتئم النصل والتعلب
كأن وعاهم اذا ما غدوا * ضبيج قطا بلد مخصب
فقدمنا واضح وجهه * كريم الضرائب والمنتصب

أعـــين بنا ونُصرنا به * ومن يَنْصُر اللهُ لم يُغلَبِ

حدثني عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد قال أقبل عبد الملك من الشأم يريد مصعبا وذلك قبل هذه السنة في سنة ٧٠ ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فقال خالد لعبد الملك إن وجهتني الى البصرة وأتبعتني خيلا يسيرة رجوتُ ان أغلب لك عليها فوجهه عبد الملك فقدمها مستخفيا في مواليه وخاصته حتى نزل على عمرو بن أصمع الباهلي قال عمر قال أبو الحسن قال مسلمة بن محارب أجار عمرو بن أصمع خالدا وأرسل الى عباد ابن الحصين وهو على شرطة ابن معمر وكان مصعب اذا شخص عن البصرة استخلف عليها عبيد الله بن عبيد الله بن معمر ورجا عمرو بن أصمع ان يبايعه عبادُ بن الحصين بأني قد أجرتُ خالدا فأحببت ان تعلم ذلك لتكون لي ظهرا فوافاه رسوله حين نزل عن فرسه فقال له عباد قل له والله لا أضع لبد فرسي حتى آتيك في الخيل فقال عمر ولخالد اني لا أغرك هذا عباد يأتينا الساعة ولا والله ما أقدر على منعك ولكن عليك بمالك بن مسمع قال أبو زيد قال أبو الحسن ويقال انه نزل على علي بن أصمع فبلغ ذلك عبادا فأرسل اليه عباد اني سائر اليك

حدثني عمر قال حدثني علي بن محمد عن مسلمة وعوانة ان خالدا خرج من عند ابن أصمع يركض عليه قميص قوهي رقيق قد حسر عن فخذيه وأخر رجليه من الركابين حتى أتى مالكا فقال اني قد اضطررتُ اليك فأجرني قال نعم وخرج هو وابنه وأرسل الى بكر ابن وائل والأزد فكانت أول راية أتته راية بني يشكر وأقبل عباد في الخيل فتواقفوا ولم يكن بينهم قتال فلما كان من الغد غدوا الى جفرة نافع بن الحارث التي نسبت بعدُ الى خالد ومع خالد رجال من بني تميم قد أتوه منهم صعصعة بن معاوية وعبد العزيز بن بشر ومرة بن محكان في عدد منهم وكان أصحاب خالد جفرية ينسبون الى الجفرة وأصحاب ابن معمر زُبَيرية فكان من الجفرية عبيد الله بن أبي بكرة وحُمران والمغيرة بن المهلب ومن الزبيرية قيس بن الهيثم السلمي وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه فتقاضاه رجل اجرة فقال غدا أعطيكها فقال غطفان بن أنيف أحد بني كعب بن عمرو

لبئس ما حكمتَ ياجلاجلُ * النَقْدُ دَيْنٌ والطعانُ عاجلُ
وأنتَ بالباب بسيرُ آجلُ

وكان قيس يعلم في عنق فرسه جلاجل وكان على خيل بني حنظلة عمرو بن وَبَرة القحيفي وكان له عبيد يؤاجرهم بثلاثين ثلاثين كل يوم فيعطيهم عشرة عشرة فقيل له

لبئس ما حكمت يا ابنَ وَبَرهْ * تعطي ثلاثين وتُعطى عشرهْ

ووجه المصعب زُحر بن قيس الجعفي مددا لابن معمر في ألف ووجه عبدُ الملك عبيد الله ابن زياد بن ظبيان مددا لخالد فكره ان يدخل البصرة وأرسل مطر بن التوأم فرجع اليه

فأخبره بتفرق الناس فلحق بعبد الملك * قال أبو زيد قال أبو الحسن فحدثني شيخ من بني عرين عن السكن بن قتادة قال اقتتلوا أربعة وعشرين يوما وأصيبت عين مالك فضجر من الحرب ومشت السفراء بينهم يوسف بن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص فصالحه على ان يخرج خالدا وهو آمن فأخرج خالدا من البصرة وخاف ان لا يجيز المصعب أمان عبيد الله فلحق مالك بتأج فقال الفرزدق يذكر مالكا ولحوق التميمية به وبخالد

عجبت لأقوام تميم أبوهم * وهم في بني سعد عظام المبارك
وكانوا أعز الناس قبل مسيرهم * الى الأزد مصفرا لحاها ومالك
فما ظنكم بابن الحواري مصعب * إذا افتر عن أنيابه غير ضاحك
ونحن نفينا مالكا عن بلاده * ونحن فقأنا عينه بالنيازك

قال أبو زيد قال أبو الحسن حدثني مسلمة ان المصعب لما انصرف عبد الملك الى دمشق لم يكن له همة الا البصرة وطمع ان يدرك بها خالدا فوجده قد خرج وآمن ابن معمر الناس فأقام أكثرهم وخاف بعضهم مصعبا فشخص فغضب مصعب على ابن معمر وحلف ان لا يوليه وأرسل الى الجفرية فسبهم وأنبهم قال أبو زيد فزعم المدائني وغيره من رواة أهل البصرة انه أرسل اليهم فأتى بهم فأقبل على عبيد الله بن أبي بكرة فقال يا ابن مسروح انما أنت ابن كلبة تعاورها الكلاب فجاءت بأحمر وأسود وأصفر من كل كلب بما يشبهه وإنما كان أبوك عبدا نزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ثم أقمتم البينة تدعون ان أبا سفيان زنا بأمكم أما والله لئن بقيت لأحقنكم بنسبكم ثم دعا بحمران فقال يا ابن اليهودية انما أنت علج نبطي سبيت من عين التمر ثم قال للحكم بن المنذر بن الجارود يا ابن الخبيث أتدري من أنت ومن الجارود انما كان الجارود علجا بجزيرة ابن كاوان فارسيا فقطع الى ساحل البحر فانتمى الى عبد القيس ولا والله ما أعرف حيا أكثر اشتمالا على سوءة منهم ثم انكح أخته المكعبر الفارسي فلم يصب شرفا قط أعظم منه فهؤلاء ولدها يا ابن قباذ ثم أتى بعبد الله بن فضالة الزهراني فقال ألست من أهل هجر ثم من أهل هاهيج أما والله لأردنك الى نسبك ثم أتى بعلي بن أصمع فقال أعبد لبني تميم مرة وعزي من باهلة مرة ثم أتى بعبد العزيز بن بشر ابن حناط فقال يا ابن المشتور ألم يسرق عمك عنزا في عهد عمر فأمر به فسير ليقطعه أما والله ما أعنت الا من ينكح أخته وكانت أخته تحت مقاتل بن مسمع ثم أتى بأبي حاضر الأسدي فقال يا ابن الإصطخرية ما أنت والأشراف وإنما أنت من أهل قطر دعي في بني أسد ليس لك فيهم قريب ولا نسيب ثم أتى بزياد بن عمرو فقال يا ابن الكرماني انما أنت علج من أهل كرمان قطعت الى فارس فصرت ملاحا مالك وللحرب لأنت بحر القلس أحذق ثم أتى بعبد الله بن عثمان بن أبي العاص فقال أعلى تكثر وأنت علج من أهل هجر لحق أبوك بالطائف

وهم يضمون من تأشب اليهم يتعززون به أما والله لأردنك الى أصلك ثم أتى بشيخ بن النعمان فقال يا ابن الخبيث انما أنت علج من أهل زندورد هربت أمك وقتل أبوك فتزوج أحته رجل من بني يشكر فجاءت بغلامين فألحقك بنسبهما ثم ضربهما مائة مائة وحلق رؤسهم ولحاهم وهدم دورهم وصهرهم في الشمس ثلاثا وحملهم على طلاق نسائهم وجمّر أولادهم في البعوث وطاف بهم في أقطار البصرة وأحلفهم ان لا ينكحوا الحرائر وبعث مصعب خداش ابن يزيد الاسدي في طلب من هرب من أصحاب خالد فأدرك مرة بن محكان فأخذه فقال مرّة

بني أسد إن تقتلوني تحاربوا * تميما اذا الحرب العوان اشمعلّت
بني أسد هل فيكم من هوادة * فتعفون إن كانت بي النعل زلّت
فلا تحسبوا الأعداء إذ غبت عنهم * وأوريت معنا أن حربي كلت
تمشي خداش في الأسكة آمنا * وقد نهلت مني الرماح وعلت

فقربه خداش فقتله وكان خداش على شرطة مصعب يومئذ وأمر مصعب سنان بن ذهل أحد بني عمرو بن مرثد بدار مالك بن مسمع فهدمها وأخذ مصعب ما كان في دار مالك فكان فيها أخذ جارية ولدت له عمر بن مصعب قال وأقام مصعب بالبصرة حتى نهض الى الكوفة ثم لم يزل بالكوفة حتى خرج لحرب عبد الملك ونزل عبد الملك مسكن وكتب عبد الملك الى المروانية من أهل العراق فأجابه كلهم وشرط عليه ولاية اصبهان فأنعم بها لهم كلهم منهم حجار بن أبجر والغضبان بن القبعثرى وعتاب بن ورقاء وقطن بن عبد الله الحارثي ومحمد ابن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وزحر بن قيس ومحمد بن عمير وعلى مقدمته محمد بن مروان وعلى ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية وعلى ميسرته خالد بن يزيد وسار اليه مصعب وقد خذله أهل الكوفة قال عروة بن المغيرة بن شعبة فخرج يسير متكئا على معرفة دابته ثم تصفح الناس يمينا وشمالا فوقعت عينه عليّ فقال يا عروة الى فدنوت منه فقال أخبرني عن الحسين بن عليّ كيف صنع بإبائه النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب فقال

إنّ الألى بالطفّ من آل هاشم * تأسّوا فسنّوا للكرام التأسّيا

قال فعلمت انه لا يريم حتى يقتل وكان عبد الملك فيما ذكر محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن أبي قرة عن اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن رجاء بن حيوة قال لما قتل عمرو بن سعيد وضع السيف فقتل من خالفه فلما أجمع بالمسير الى مصعب وقد صفت له الشأم وأهلها خطب الناس وأمرهم بالتهيؤ الى مصعب فاختلف عليه رؤساء أهل الشأم من غير خلاف لما يريده ولكنهم أحبوا ان يقيم ويقدم الجيوش فإن ظفر وافداك وإن لم يظفروا

أمدهم بالجيوش خشية على الناس ان أصيب فى لقائه مصعبا لم يكن وراءه ملك فقالوا يا أمير المؤمنين لو أقمت مكانك وبعثت على هؤلاء الجيوش رجلا من أهل بيتك ثم سرت حتى الى مصعب فقال عبد الملك إنه لا يقوم بهذا الأمر الا قرشى له رأى ولعلى أبعث من له شجاعة ولا رأى له وإنى أجد فى نفسى أنى بصير بالحرب شجاع بالسيف ان ألجئت الى ذلك ومصعب فى بيت شجاعة أبوه أشجع قريش وهو شجاع ولا علم له بالحرب يحب الخفض ومعه من يخالفه ومعى من ينصح لى فسار عبد الملك حتى نزل مسكن وسار مصعب الى باجميرا وكتب عبد الملك الى شيعته من أهل العراق فأقبل ابراهيم بن الأشتر بكتاب عبد الملك مختوما لم يقرأه فدفعه الى مصعب فقال ما فيه فقال ما قرأته فقرأه مصعب فإذا هو يدعوه الى نفسه ويجعل له ولاية العراق فقال لمصعب إنه والله ما كان من أحد آيس منه منى ولقد كتب الى أصحابك كلهم بمثل الذى كتب الى فأطعنى فيهم فاضرب أعناقهم قال اذا لا تنا صحنا عشائرهم قال فأوقرهم حديدا وابعث بهم الى أبيض كسرى فاحبسهم هنالك ووكل بهم من إن غلبت ضرب أعناقهم وان غلبت منذت بهم على عشائرهم فقال يا ابا النعمان إنى لفى شغل عن ذلك يرحم الله أبا بحر إن كان ليعذرنى غدر أهل العراق كأنه كان ينظر الى ما نحن فيه ﴿ حدثنى عمر قال حدثنا محمد بن سلام عن عبد القاهر بن السرى قال هم أهل العراق بالغدر بمصعب فقال قيس بن الهيثم ويحكم لا تدخلوا أهل الشأم عليكم فوالله لئن تطعموا بعيشكم ليصفين عليكم منازلكم والله لقد رأيت سيد أهل الشأم على باب الخليفة يفرح إن أرسله فى حاجة ولقد رأيتنا فى الصوائف وأحدنا على ألف بعير وإن الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه قال ولما دانى العسكران بدير الجاثليق من مسكن تقدم ابراهيم بن الأشتر فحمل على محمد بن مروان فأزاله عن موضعه فوجه عبد الملك بن مروان عبد الله بن يزيد بن معاوية فقرب من محمد بن مروان والتقى القوم فقتل مسلم بن عمرو الباهلى وقتل يحيى بن مبشر أحد بنى ثعلبة بن يربوع وقتل ابراهيم بن الأشتر فهرب عتاب بن ورقاء وكان على الخيل مع مصعب فقال مصعب لقطن بن عبد الله الحارثى أبا عثمان قدم خيلك قال ما أرى ذلك قال ولم قال أكره ان نقتل مذحج فى غير شىء فقال لحجار بن أبجر أبا أسيد قدم رايتك قال الى هذه العذرة قال ما تتأخر اليه والله أنتن وألأم فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس مثل ذلك فقال ما أرى أحدا فعل ذلك فأفعله فقال مصعب يا ابراهيم ولا ابراهيم لى اليوم ﴿ حدثنى أبو زيد قال حدثنى محمد بن سلام قال أخبرا بن خازم بمسير مصعب الى عبد الملك فقال أمعه عمر بن عبيد الله بن معمر قيل لا استعمله على فارس قال أفمعه المهلب بن أبى صفرة قيل لا استعمله على الموصل قال أفمعه عباد بن الحصين قيل لا استخلفه على البصرة فقال وأنا بخراسان

خُذِينِي فُجَرِّ بَنِي جَعَارٍ وأَبْشِرِي * بِلَحْمِ امْرِئٍ لَمْ يَشْهَدِ اليَوْمَ نَاصِرُهْ

فقال مصعب لابنه عيسى بن مصعب يا بنيّ اركب أنت ومن معك الى عمك بمكة فأخبره ما صنع أهل العراق ودعني فإني مقتول فقال ابنه والله لا أخبر قريشا عنك أبدا ولكن إن أردت ذلك فالحق بالبصرة فهم على الجماعة أو الحق بأمير المؤمنين قال مصعب والله لا تتحدث قريش أني فررت بما صنعت ربيعة من خذلانها حتى أدخل الحرم منهزما ولكن أقاتل فإن قتلت فلعمري ما السيف بعار وما الفرار لي بعادة ولا خلق ولكن إن أردت ان ترجع فارجع فقاتل فرجع فقاتل حتى قتل * قال علي بن محمد عن يحيى بن اسماعيل بن أبي المهاجر عن أبيه ان عبد الملك أرسل الى مصعب مع أخيه محمد بن مروان إن ابن عمك يعطيك الأمان فقال مصعب إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف الا غالبا أو مغلوبا وقال الهيثم ابن عدي حدثنا عبد الله بن عياش عن أبيه قال إنا لوقوف مع عبد الملك بن مروان وهو يحارب مصعبا اذ دنا منه زياد بن عمرو فقال يا أمير المؤمنين ان اسماعيل بن طلحة كان لي جارا صدقٍ قلما أرادني مصعب بسوء الا دفعه عني فإن رأيت ان تؤمنه على جرمه قال هو آمن فمضى زياد وكان ضخما على ضخم حتى صار بين الصفين فصاح أين أبو البختري اسماعيل بن طلحة فخرج اليه فقال اني أريد ان أذكرك شيأ فدنا حتى اختلفت أعناق دوابهما وكان الناس يتخطفون بالحواشي المحشوة فوضع زياد يده في منطقة اسماعيل ثم اقتلعه عن سرجه وكان نحيفا فقال أنشدك الله يا أبا المغيرة فإن هذا ليس بالوفاء لمصعب فقال هذا أحب الي من ان أراك غدا مقتولا ولما أبى مصعب قبول الأمان نادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب وقال له يا ابن أخي لا تقتل نفسك لك الأمان فقال له مصعب قد آمنك عمك فامض اليه قال لا تتحدث نساء قريش اني أسلمتك للقتل قال فتقدم بين يدي أحتسبك فقاتل بين يديه حتى قتل وأثخن مصعب بالرمي ونظر اليه زائدة بن قدامة فشد عليه فطعنه وقال بالثارات المختار فصرعه ونزل اليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فاحتز رأسه وقال إنه قتل أخي النابي بن زياد فأتى به عبد الملك بن مروان فأثابه ألف دينار فأبى ان يأخذها وقال إني لم أقتله على طاعتك انما قتلته على وتر صنعه بي ولا آخذ في حمل رأس مالا فتركه عند عبد الملك وكان الوتر الذي ذكره عبيد الله بن زياد بن ظبيان انه قتل عليه مصعبا ان مصعبا كان ولي في بعض ولايته شرطه مطرف بن سيدان الباهلي ثم أحد بني جأوة ﴿ حدثني عمر بن شبة قال حدثني أبو الحسن المدائني ومخلد بن يحيى بن حاضران مطرفا أتى بالنابي بن زياد ابن ظبيان ورجل من بني نمير قد قطعا الطريق فقتل النابي وضرب النميري بالسياط فتركه فجمع له عبيد الله بن زياد بن ظبيان جمعا بعد ان عزله مصعب عن البصرة وولاه الأهواز فخرج يريده فالتقيا فتواقفا وبينهما نهر فعبر مطرف اليه النهر وعاجله ابن ظبيان فطعنه

فقتله

فقتله فبعث مصعب مُكرم بن مطرّف في طلب ابن ظبيان فسار حتى بلغ عسكر مكرم فنسب اليه ولم يلق ابن ظبيان ولحق ابن ظبيان بعبد الملك لما قتل أخوه فقال البعيث اليشكري بعد قتل مصعب يذكر ذلك

ولما رأينا الأمر نكسا صدورُهُ * وهمّ الهوادي أنْ تكنّ تواليا
صبرنا لأمر الله حتى يقيمهُ * ولم نَرْضَ الا من أميّةَ واليا
ونحن قتلنا مُصْعَبًا وابن مُصْعَبٍ * أخا أسدٍ والنخعيّ اليمانيا
ومرتْ عُقابُ الموت منّا بمسلم * فأهوتْ له نابًا فأصبح ثاويا
سقينا ابن سيدانٍ بكأسٍ رويّةٍ * كفتْنا وخيرُ الأمر ما كان كافيا

حدثني أبو زيد قال حدثني علي بن محمد قال مر ابن ظبيان بابنة مطرف بالبصرة فقيل لها هذا قاتل أبيك فقالت في سبيل الله أبى فقال ابن ظبيان

فلا في سبيل الله لاقى حِمامَهُ * أبوكِ ولكن في سبيل الدراهم

فلما قتل مصعب دعا عبد الملك بن مروان أهل العراق الى البيعة فبايعوه وكان مصعب قتل على نهر يقال له الدُجيل عند دير الجاثليق فلما قتل أمر به عبد الملك وبابنه عيسى فدفنا ذكر الواقدي عن عثمان بن محمد عن أبي بكر بن عمر عن عروة قال قال عبد الملك حين قتل مصعب واروه فقد والله كانت الحرمة بيننا وبينه قديمة ولكن هذا الملك عقيم قال أبو زيد وحدثني أبو نعيم قال حدثني عبد الله بن الزبير أبو أبي أحمد عن عبد الله بن شريك العامري قال إني لواقف الى جنب مصعب بن الزبير فأخرجت له كتابا من قبائي فقلت له هذا كتاب عبد الملك فقال ما شئت قال ثم جاء رجل من أهل الشأم فدخل عسكره فأخرج جارية فصاحت واذلاه فنظر اليها مصعب ثم أعرض عنها قال وأتى عبد الملك برأس مصعب فنظر اليه فقال مني تغدو قريش مثلك وكانا يتعدّتان الى حيّ وهما بالمدينة فقيل لها قتل مصعب فقالت تعس قاتله قيل قتله عبد الملك بن مروان قالت بأبي القاتل والمقتول * قال وحج عبد الملك بعد ذلك فدخلت عليه حي فقالت أقتلت أخاك مصعبا فقال

من يَذُقِ الحربَ يجد طعمَها * مرًّا وتتركه بجعجاع

وقال ابن قيس الرُقيّات

لقد أورثَ المصرَين خزيًا وذلةً * قتيلُ بدير الجاثليق مُقيمُ
فما نصحت لله بكرُ بن وائلٍ * ولا صبرتْ عند اللقاء تميمُ
ولو كان بكريًا تعطّف حولَهُ * كتائبُ يغلي حَمْيُها ويدومُ
ولكنه ضاع الذمامُ ولم يكنْ * بها مُضَرِيٌّ يومَ ذاك كريمُ

جزى الله كوفيًا هناك ملامةً * وبصريهم إنّ الملام مليم
وانّ بنى العلّات أحلوا ظهورنا * ونحن صريح بينهم وصميم
فإن نفنَ لا يبقوا أولئك بعدنا * لذى حرمةٍ فى المسلمين حريم

﴿قال أبو جعفر﴾ وقد قيل ان ماذكرت من مقتل مصعب والحرب التى جرت بينه وبين عبد الملك كانت فى سنة ٧٢ وأن أمر خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ومصيره الى البصرة من قبل عبد الملك كان فى سنة ٧١ وقتل مصعب فى جمادى الآخرة ﴿وفى هذه السنة﴾ دخل عبد الملك بن مروان الكوفة وفرق أعمال العراق والمصرين الكوفة والبصرة على عماله فى قول الواقدىّ وأما أبو الحسن فانه ذكر أن ذلك فى سنة ٧٢

وحدثنى عمر قال حدثنى علىّ بن محمد قال قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى أو الآخرة سنة ٧٢ ولما أتى عبد الملك الكوفة فيما ذكر نزل النخيلة ثم دعا الناس الى البيعة فجاءت قضاعة فرأى قلّة فقال يامعشر قضاعة كيف سلمتم من مضر مع قلتكم فقال عبد الله بن يعلى النهدى نحن أعزّ منهم وأمنع قال بمن قال بمن معك منا ياأمير المؤمنين ثم جاءت مذحج وهمدان فقال ما أرى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيأ ثم جاءت جُعفىٌّ فلما نظر اليهم عبد الملك قال يامعشر جعفى اشتملتم على ابن اختكم ووارّيتموه يعنى يحيى بن سعيد بن العاص قالوا نعم قال فهاتوه قالوا وهو آمن قال وتشترطون أيضا فقال رجل منهم إنا والله ما نشترط جهلا بحقك ولكنا نتسحب عليك تسحب الولد على والده فقال أما والله لنعم الحى أنتم ان كنتم لفرسانا فى الجاهلية والاسلام هو آمن فجاؤا به وكان يكنى أبا أيوب فلما نظر اليه عبد الملك قال أباقبيح بأىّ وجه تنظر الى ربك وقد خلعتنى قال بالوجه الذى خلقه فبايع ثم ولى فنظر عبد الملك فى قفاه فقال لله درّه أىّ ابن زوملة هو يعنى غريبة وقال علىّ بن محمد حدثنى القاسم بن معن وغيره ان معبد بن خالد الجدلىّ قال ثم تقدم اليه معشر عدوان قال فقدّمنا رجلا وسيما جميلا وتأخّرت وكان معبد دميما فقال عبد الملك من فقال الكاتب عدوان فقال عبد الملك

عذيرَ الحىّ من عدوا * نَ كانوا حيّةَ الأرضِ
بغى بعضُهم بعضًا * فلم يرعوا على بعضِ
ومنهم كانت السادا * تُ والموفونُ بالقرضِ

ثم أقبل على الجميل فقال إيه فقال لا أدرى فقلتُ من خلفه

ومنهم حكمٌ يقضى * فلا يُنقضُ ما يقضى
ومنهم من يُجيزُ الحـ * ـجّ بالسُنّة والفرضِ
وهُم مُذ وُلدوا شبّوا * بسِرّ النسب المحض

قال

قال فتركني عبد الملك ثم أقبل على الجميل فقال من هو قال لا أدري فقلت من خلفه ذو الإصبع قال فأقبل على الجميل فقال ولم سمي ذا الإصبع فقال لا أدري فقلت من خلفه لا ن حية عضت اصبعه فقطعتها فأقبل على الجميل فقال ما كان اسمه فقال لا أدري فقلت من خلفه حُرثان بن الحارث فأقبل على الجميل فقال من أيكم كان قال لا أدري فقلت من خلفه من بني ناج فقال

أبعد بني ناج وسعيك بينهم * فلا تتبعن عينيك ما كان هالكا
اذا قلت معروفا لأصلح بينهم * يقول وهيب لا أصالح ذلكا
فأضحى كظهر العير جب سنامه * تطيف به الولدان أحدب باركا

ثم أقبل على الجميل فقال كم عطاؤك قال سبعمائة فقال لي في كم أنت قلت في ثلثمائة فأقبل على الكاتبين فقال حُطّا من عطاء هذا أربعمائة وزيداها في عطاء هذا فرجعت وأنا في سبعمائة وهو في ثلثمائة ثم جاءت كندة فنظر الى عبد الله بن اسحاق بن الأشعث فأوصى به بشرا أخاه وقال اجعله في صحابتك وأقبل داود بن قحذم في مائتين من بكر بن وائل عليهم الاقبية الداودية وبه سُميت فجلس مع عبد الملك على سريره فأقبل عليه عبد الملك ثم نهض ونهضوا معه فأتبعهم عبد الملك بصره فقال هؤلاء الفساق والله لولا ان صاحبهم جاءني ما أعطاني أحد منهم طاعة ثم انه ولي فيما قيل قطن بن عبد الله الحارثي الكوفة أربعين يوما ثم عزله وولى بشر بن مروان وصعد منبر الكوفة فخطب فقال ان عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لخرج فأتى بنفسه ولم يغرر بذنبه في الحرم ثم قال اني قد استعملت عليكم بشر بن مروان وأمرته بالاحسان الى أهل الطاعة والشدة على أهل المعصية فاسمعوا له وأطيعوا واستعمل محمد بن عمير على همذان ويزيد بن رويم على الري وفرق العمال ولم يف لأحد شرط عليه ولاية اصبهان ثم قال علي هؤلاء الفساق الذين أنغلوا الشأم وأفسدوا العراق فقيل قد أجارهم رؤساء عشائرهم فقال وهل يجير علي أحد وكان عبد الله بن يزيد بن أسد لجأ الى علي بن عبد الله بن عباس ولجأ اليه أيضا يحيى بن معيوف الهمداني ولجأ الهذيل بن زفر بن الحارث وعمرو بن زيد الحكمي الى خالد بن يزيد بن معاوية فآمنهم عبد الملك فظهروا ﴿ قال أبو جعفر ﴾ وفي هذه السنة تنازع الرياسة بالبصرة عبيد الله بن أبي بكرة وحمران بن أبان ﴿ فحدثني ﴾ عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد قال لما قتل المصعب وثب حمران بن أبان وعبيد الله بن أبي بكرة فتنازعا في ولاية البصرة فقال ابن أبي بكرة أنا أعظم غناء منك أنا كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجفرة فقيل لحمران انك لا تقوى على ابن أبي بكرة فاستعن بعبد الله بن الأهتم فانه ان أعانك لم يقو عليك ابن أبي بكرة ففعل وغلب حمران على البصرة وابن الأهتم على شرطها

وكان لحمران منزلة عند بني أمية ❁ حدثني أبو زيد قال حدثني أبو عاصم النبيل قال أخبرني رجل قال قدم شيخ اعرابي فرأى حمران فقال من هذا فقالوا حمران فقال لقد رأيت هذا وقد مال رداؤه عن عاتقه فابتدره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسويه قال أبو زيد قال أبو عاصم فحدثت بذلك رجلا من ولد عبد الله بن عامر فقال حدثني أبي ان حمران مد رجله فابتدر معاوية وعبد الله بن عامر أيهما يغمزها ﴿وفي هذه السنة﴾ بعث عبد الملك خالد ابن عبد الله على البصرة واليا ❁ حدثني عمر قال حدثني علي بن محمد قال مكث حمران على البصرة يسيرا وخرج ابن أبي بكرة حتى قدم على عبد الملك الكوفة بعد مقتل مصعب فولى عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة وأعمالها فوجه خالد عبيد الله ابن أبي بكرة خليفته على البصرة فلما قدم على حمران قال أقد جئت لا جئت فكان ابن أبي بكرة على البصرة حتى قدم خالد ﴿وفي هذه السنة﴾ رجع عبد الملك فيما زعم الواقدي الى الشأم * قال وفيها نزع ابن الزبير جابر بن الاسود بن عوف عن المدينة واستعمل عليها طلحة ابن عبد الله بن عوف قال وهو آخر وال لابن الزبير على المدينة حتى قدم عليها طارق بن عمرو مولى عثمان فهرب طلحة وأقام طارق بالمدينة حتى كتب اليه عبد الملك ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير في قول الواقدي وذكر أبو زيد عن أبي غسان محمد ابن يحيى قال حدثني مصعب بن عثمان قال لما انتهى الى عبد الله بن الزبير قتل مصعب قام في الناس فقال الحمد لله الذي له الخلق والأمر يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ألا وانه لم يذل الله من كان الحق معه وان كان فردا ولم يعز من كان وليه الشيطان وحزبه وان كان معه الأنام طرا ألا وانه قد أتانا من العراق خبر حزننا وأفرحنا أتانا قتل مصعب رحمة الله عليه فأما الذي أفرحنا فعلمنا ان قتله له شهادة وأما الذي حزننا فان لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوي من بعدها ذو الرأي الى جميل الصبر وكريم العزاء ولئن أصبت بمصعب لقد أصبت بالزبير قبله وما أنا من عثمان بخلو مصيبة وما مصعب الا عبد من عبيد الله وعون من أعواني ألا إن أهل العراق أهل الغدر والنفاق اسلموه وباعوه بأقل الثمن فان يقتل فانا والله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبي العاص والله ما قتل منهم رجل في زعف في الجاهلية ولا الاسلام وما نموت الا قعصا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف ألا انما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه فان تقبل لا آخذها أخذ الأشر البطر وان تدبر لا أبك عليها بكاء الخرق المهين أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وذكر ان عبد الملك لما قتل مصعبا ودخل الكوفة أمر بطعام كثير فصنع وأمر به الى الخورنق وأذن اذانا عاما فدخل الناس فأخذوا مجالسهم فدخل عمرو بن حريث المخزومي فقال الي وعلى سريري فأجلسه

معه ثم قال أى الطعام أكلت أحب اليك وأشهى عندك قال عناق حمراء قد أجيد تمليحها وأحكم نضجها قال ما صنعت شيأ فأين أنت من عُمْروس راضع قد أجيد سمطه وأحكم نضجه اختلجت اليك رجله فأتبعتها يده غُذى بشيرين من لبن وسمن ثم جاءت الموائد فأكلوا فقال عبد الملك بن مروان ما ألذ عيشنا لو أن شيأ يدوم ولكنا كما قال الأول

وكلُّ جديدٍ يا أُمَيْمُ الى بلى * وكلُّ امرئٍ يوماً يصيرُ الى كانْ

فلما فرغ من الطعام طاف عبد الملك في القصر يقول لعمرو بن حريث لمن هذا البيت ومن بنى هذا البيت وعمرو يخبره فقال عبد الملك

وكل جديد يا أميم الى بلى * وكل امرئ يوما يصير الى كان

ثم أتى مجلسه فاستلقى وقال

اعمل على مَهَلٍ فانك مَيِّتٌ * واكدح لنفسك أيها الانسانُ

فكأنّ ما قد كان لم يك اذ مضى * وكأنّ ما هو كائنٌ قد كانْ

﴿وفي هذه السنة﴾ افتتح عبد الملك فى قول الواقدى قيسارية

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث الجليلة﴾

﴿قال أبو جعفر﴾ فمن ذلك ما كان من أمر الخوارج وأمر المهلب بن أبى صفرة وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ﴿ذكر هشام بن محمد﴾ عن أبى مخنف ان حصيرة بن عبد الله وأبا زهير العبسى حدثاه ان الازارقة والمهلب بعد ما اقتتلوا بسولاف ثمانية أشهر أشد القتال أتاهم ان مصعب بن الزبير قد قتل فبلغ ذلك الخوارج قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه فناداهم الخوارج الا نخبر وناما قولكم فى مصعب قالوا امام هدى قالوا فهو وليكم فى الدنيا والآخرة قالوا نعم قالوا وأنتم أولياؤه أحياء وأمواتا قالوا ونحن أولياؤه أحياء وأمواتا قالوا فما قولكم فى عبد الملك بن مروان قالوا ذلك ابن اللعين نحن الى الله منه برآء هو عندنا أحل دما منكم قالوا فأنتم منه براء فى الدنيا والآخرة قالوا نعم كبراءتنا منكم قالوا وأنتم له أعداء أحياء وأمواتا قالوا نعم نحن له أعداء كعداوتنا لكم قالوا فان امامكم مصعبا قد قتله عبد الملك بن مروان ونراكم ستجعلون غدا عبد الملك امامكم وأنتم الآن تتبرّؤن منه وتلعنون أباه قالوا كذبتم يا أعداء الله فلما كان من الغد تبين لهم قتل مصعب فبايع المهلب الناس لعبد الملك ابن مروان فأتتهم الخوارج فقالوا ما تقولون فى مصعب قالوا يا أعداء الله لا نخبركم ما قولنا فيه وكرهوا أن يكذبوا أنفسهم عندهم قالوا فقد أخبرتمونا أمس أنه وليكم فى الدنيا والآخرة وأنكم أولياؤه أحياء وأمواتا فأخبرونا ما قولكم فى عبد الملك قالوا ذاك امامنا وخليفتنا ولم يجدوا اذ بايعوه بدّا من أن يقولوا هذا القول قالت لهم الأزارقة يا أعداء الله أنتم أمس تتبرّؤن

منه فى الدنيا والآخرة وتزعمون أنكم له أعداء أحياء وأمواتا وهو اليوم امامكم وخليفتكم وقد قتل امامكم الذى كنتم تولونه فأيهما المحق وأيهما المهتدى وأيهما الضال قالوا لهم يا أعداء الله رضينا بذاك اذ كان ولى أمورنا ونرضى بهذا كما رضينا بذاك قالوا لا والله ولكنكم اخوان الشياطين وأولياء الظالمين وعبيد الدنيا وبعث عبد الملك بن مروان بشر بن مروان على الكوفة وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة فلما قدم خالد أثبت المهلب على خراج الاهواز ومعونتها وبعث عامر بن مسمع على سابور ومقاتل بن مسمع على اردشير خرة ومسمع بن مالك بن مسمع على فسا ودارابجرد والمغيرة بن المهلب على اصطخر ثم انه بعث الى مقاتل فبعثه على جيش وألحقه بناحية عبد العزيز فخرج يطلب الأزارقة فانحطوا عليه من قبل كرمان حتى أتوا دارابجرد فسار نحوهم وبعث قطرى مع صالح بن مخراق تسعمائة فارس فأقبل يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير بالناس ليلا يجرون على غير تعبية فهزم الناس ونزل مقاتل بن مسمع فقاتل حتى قتل وانهزم عبد العزيز بن عبد الله وأخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود فأقيمت فيمن يزيد فبلغت مائة ألف وكانت جميلة فغار رجل من قومها كان من رؤس الخوارج يقال له أبو الحديد الشنى فقال تنحوا هكذا ما أرى هذه المشركة الا قد فتنتكم فضرب عنقها ثم زعموا أنه لحق بالبصرة فرآه آل منذر فقالوا والله ما ندرى أنحمدك أم نذمك فكان يقول ما فعلته الا غيرة وحمية وجاء عبد العزيز حتى انتهى الى رام هرمز وأتى المهلب فأخبر به فبعث اليه شيخا من أشياخ قومه كان أحد فرسانه فقال ائته فان كان منهزما فعزه وأخبره انه لم يفعل شيأ لم يفعله الناس قبله وأخبره أن الجنود تأتيه عاجلا ثم يعزه الله وينصره فأتاه ذلك الرجل فوجده نازلا فى نحو من ثلاثين رجلا كئيبا حزينا فسلم عليه الأزدى وأخبره انه رسول المهلب وبلغه ما أمره به وعرض عليه أن يذكر له ما كانت له من حاجة ثم انصرف الى المهلب فأخبره الخبر فقال له المهلب الحق الآن بخالد بالبصرة فأخبره الخبر فقال أنا آتيه أخبره أن أخاه هزم والله لا آتيه فقال المهلب لا والله لا يأتيه غيرك أنت الذى عاينته ورأيته وأنت كنت رسولى اليه قال هو اذا يهديك يا مهلب ان ذهب اليه العام ثم خرج قال المهلب اما أنت والله فانك لى آمن أما والله لو أنك مع غيرى ثم أرسلك على رجليك خرجت تشتد قال له وأقبل عليه كانك انما تمن علينا بحلمك فنحن والله نكافيك بل نزيد أما تعلم انا نعرض أنفسنا للقتل دونك ونحميك من عدوك ولو كنا والله مع من يجهل علينا ويبعثنا فى حاجاته على أرجلنا ثم احتاج الى قتالنا ونصرتنا جعلناه بيننا وبين عدونا ووقينا به أنفسنا قال له المهلب صدقت صدقت ثم دعا فتى من الأزد كان معه فسرحه الى خالد يخبره خبر أخيه فأتاه الفتى الأزدى وحوله الناس وعليه جبة خضراء ومطرف أخضر فسلم عليه فرد عليه فقال ما جاء بك قال أصلحك الله أرسلنى

اليك المهلب لاخبرك خبر ما عاينته قال وما عاينت قال رأيت عبد العزيز برام هرمز مهزوما قال كذبت قال لا والله ما كذبت وما قلت لك الا الحق فان كنت كاذبا فاضرب عنقي وان كنت صادقا فأعطني أصلحك الله جبتك ومطرفك قال ويحك ما أيسر ما سألت ولقد رضيت مع الخطر العظيم ان كنت كاذبا بالخطر الصغير ان كنت صادقا فحبسه وأمر بالاحسان اليه حتى تبينت له هزيمة القوم فكتب الى عبد الملك أما بعد فاني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أني بعثت عبد العزيز بن عبد الله في طلب الخوارج وأنهم لقوه بفارس فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عبد العزيز لما انهزم عنه الناس وقتل مقاتل بن مسمع وقدم الفل الى الاهواز أحببت ان أعلم أمير المؤمنين ذلك ليأتيني رأيه وأمره انزل عنده ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله فكتب اليه أما بعد فقد قدم رسولك في كتابك تعلمني فيه بعثتك أخاك على قتال الخوارج وبهزيمة من هزم وقتل من قتل وسألت رسولك عن مكان المهلب فحدثني أنه عامل لك على الاهواز فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك اعرابيا من أهل مكة على القتال وتدع المهلب الى جنبك يجبي الخراج وهو الميمون النقيبة الحسن السياسة البصير بالحرب المقامي لها ابنها وابن ابنائها انظر أن ينهض بالناس حتى تستقبلهم بالاهواز ومن وراء الاهواز وقد بعثت الى بشر أن يمدك بجيش من أهل الكوفة فاذا أنت لقيت عدوك فلا تعمل فيهم برأي حتى تحضره المهلب وتستشيره فيه ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله فشق عليه أنه فيل رأيه في بعثة أخيه وترك المهلب وفي أنه لم يرض رأيه خالصا حتى قال أحضروه المهلب واستشيروه فيه وكتب عبد الملك الى بشر بن مروان أما بعد فاني قد كتبت الى خالد بن عبد الله آمره بالنهوض الى الخوارج فسرح اليه خمسة آلاف رجل وابعث عليهم رجلا من قبلك ترضاه فاذا قضوا غزاتهم تلك صرفتهم الى الري فقاتلوا عدوهم وكانوا في مسالحهم وجبوا فيأهم حتى تأتي أيام عقبهم فتعقبهم وتبعث آخرين مكانهم فقطع على أهل الكوفة خمسة آلاف وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وقال اذا قضيت غزاتك هذه فانصرف الى الري وكتب له عليها عهدا وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الأهواز وجاء عبد الرحمن ابن محمد ببعث أهل الكوفة حتى وافاهم بالأهواز وجاءت الأزارقة حتى دنوا من مدينة الأهواز ومن معسكر القوم وقال المهلب لخالد بن عبد الله اني أرى ههنا سفنا كثيرة فضمها اليك فوالله ما أظن القوم الا محرقيها فما لبث الا ساعة حتى ارتفعت خيل من خيلهم اليها فحرقتها وبعث خالد بن عبد الله على ميمنته المهلب وعلى ميسرته داود بن قحذم من بني قيس بن ثعلبة ومر المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يخندق فقال له يا ابن أخي ما يمنعك من الخندق فقال والله لهم أهون علي من ضرطة الجمل قال فلا يهولنك عليك يا ابن أخي فانهم سباع العرب لا أبرح أو تضرب عليك خندقا ففعل وبلغ الخوارج قول عبد الرحمن

ابن محمد لهم أهون علىّ من ضرطة الجمل فقال شاعرهم

ياطالب الحق لاتستهو بالأمل * فإن من دون ماتهوى مدى الأجل
واعمل لربك واسأله مثوبته * فإن تقواه فاعلم أفضل العمل
واغز المخانيث فى الماذىّ معلمة * كيما تصبّح غدوا ضرطة الجمل

فأقاموا نحوا من عشرين ليلة ثم ان خالدا زحف اليهم بالناس فرأوا أمرا هالهم من عدد الناس وعدتهم فأخذوا ينحازون واجترأ عليهم الناس فكرّت عليهم الخيل وزحف اليهم فانصرفوا كأنهم على حامية وهم مولون لايرون لهم طاقة بقتال جماعة الناس وأتبعهم خالد ابن عبد الله داود بن قحذم في جيش من أهل البصرة وانصرف خالد الى البصرة وانصرف عبد الرحمن بن محمد الى الرىّ وأقام المهلب بالأهواز فكتب خالد بن عبد الله الى عبد الملك أما بعد فإنى أخبر أمير المؤمنين أصلحه الله انى خرجت الى الأزارقة الذين مرقوا من الدين وحرجوا من ولاية المسلمين فالتقينا بمدينة الأهواز فتناهضنا فاقتتلنا كأشدّ قتال كان فى الناس ثم ان الله أنزل نصره على المؤمنين والمسلمين وضرب الله وجوه أعدائه فأتبعهم المسلمون يقتلونهم ولا يمنعون ولا يمتنعون وأفاء الله مافي عسكرهم على المسلمين ثم أتبعتهم داود بن قحذم والله ان شاء الله مهلكهم ومستأصلهم والسلام عليك فلما قدم هذا الكتاب على عبد الملك كتب عبد الملك الى بشر بن مروان أما بعد فابعث من قبلك رجلا شجاعا بصيرا بالحرب فى أربعة آلاف فارس فليسيروا الى فارس فى طلب المارقة فان خالدا كتب الىّ يخبرنى انه قد بعث في طلبهم داود بن قحذم فرصاحبك الذى تبعث أن لايخالف داود بن قحذم اذا ما التقيا فإن اختلاف القوم بينهم عون لعدوّهم عليهم والسلام عليك فبعث بشر بن مروان عتّاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة فخرجوا حتى التقوا هم وداود بن قحذم بأرض فارس ثم اتبعوا القوم يطلبونهم حتى نفقت خيول عامتهم وأصابهم الجهد والجوع ورجع عامة ذينك الجيشين مُشاة الى الأهواز فقال ابن قيس الرُّقيات من بنى مخزوم في هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم * وتركتهم صرعى بكل سبيل
من بين ذى عطش يجود بنفسه * وملحّب بين الرجال قتيل
هلا صبرت مع الشهيد مقاتلا * اذ رحت منتكث القوى بأصيل
وتركت جيشك لاأمير عليهم * فارجع بعار فى الحياة طويل
ونسيت عرسك اذ تقاد سبيّة * تبكى العيون برنّة وعويل

﴿ وفى هذه السنة ﴾ كان خروج أبى فديك الخارجىّ وهو من بنى قيس بن ثعلبة فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفى فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قطرىّ

الأهواز وأمر أبي فديك فبعث أخاه أمية بن عبد الله على جند كثيف الى أبي فديك فهزمه أبو فديك وأخذ جارية له فاتخذها لنفسه وسار أمية على فرس له حتى دخل البصرة في ثلاثة أيام فكتب خالد الى عبد الملك بحاله وحال الأزارقة ﴿وفي هذه السنة﴾ وجه عبد الملك الحجاج بن يوسف الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير وكان السبب في توجيهه الحجاج اليه دون غيره فيما ذكر ان عبد الملك لما أراد الرجوع الى الشأم قام اليه الحجاج بن يوسف فقال يا أمير المؤمنين إني رأيت في منامي أني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فابعثني اليه وولني قتاله فبعثه في جيش كثيف من أهل الشأم فسار حتى قدم مكة وقد كتب اليهم عبد الملك بالامان ان دخلوا في طاعته فحدثني الحارث قال حدثني محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا مصعب بن ثابت عن أبي الأسود عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال بعث عبد الملك بن مروان حين قتل مصعب بن الزبير الحجاج بن يوسف الى ابن الزبير بمكة فخرج في ألفين من جند أهل الشأم في جمادى من سنة ٧٢ فلم يعرض للمدينة وسلك طريق العراق فنزل بالطائف فكان يبعث البعوث الى عرفة في الحل ويبعث ابن الزبير بعثا فيقتتلون هنالك فكل ذلك تهزم خيل ابن الزبير وترجع خيل الحجاج بالظفر ثم كتب الحجاج الى عبد الملك يستأذنه في حصار ابن الزبير ودخول الحرم عليه ويخبره ان شوكته قد كلت وتفرق عنه عامة أصحابه ويسأله أن يمده برجال فجاءه كتاب عبد الملك وكتب عبد الملك الى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه من الجند بالحجاج فسار في خمسة آلاف من أصحابه حتى لحق بالحجاج وكان قدوم الحجاج الطائف في شعبان سنة ٧٢ فلما دخل ذو القعدة رحل الحجاج من الطائف حتى نزل بئر ميمون وحصر ابن الزبير وحج الحجاج بالناس في هذه السنة وابن الزبير محصور وكان قدوم طارق مكة لهلال ذي الحجة ولم يطف بالبيت ولم يصل اليه وهو محرم وكان يلبس السلاح ولا يقرب النساء ولا الطيب الى ان قتل عبد الله بن الزبير ونحر ابن الزبير بدنا بمكة يوم النحر ولم يحج ذلك العام ولا أصحابه لأنهم لم يقفوا بعرفة * قال محمد بن عمر وحدثني سعيد بن مسلم بن بابك عن أبيه قال حججت في سنة ٧٢ فقدمنا مكة فدخلناها من أعلاها فبعد أصحاب الحجاج وطارق فيما بين الحجون الى بئر ميمون فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة ثم حج بالناس الحجاج فرأيته واقفا بالمضبات من عرفة على فرس وعليه الدرع والمغفر ثم صدر فرأيته عدل الى بئر ميمون ولم يطف بالبيت وأصحابه متسلحون ورأيت الطعام عندهم كثيرا ورأيت العير تأتي من الشأم تحمل الطعام الكعك والسويق والدقيق فرأيت أصحابه مخاصيب ولقد ابتعنا من بعضهم كعكا بدرهم فكفانا الى ان بلغنا الجحفة وإنا لثلاثة نفر * قال محمد بن عمر حدثني مصعب بن ثابت عن نافع مولى بني أسد قال وكان عالما بفتنة ابن الزبير قال حصر ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة

سنة ٧٢ ﴿وفي هذه السنة﴾ كتب عبد الملك الى عبد الله بن خازم السُلمي يدعوه الى بيعته ويُطعمه خراسان سبع سنين فذكر علي بن محمد ان المفضل بن محمد ويحيى بن طفيل وزهير بن هنيد حدثوه قال وفي خبر بعضهم زيادة على خبر بعض أن مصعب بن الزبير قتل سنة ٧٢ وعبد الله بن خازم بأبرشهر يقاتل بحير ابن ورقاء الصريمي صريم بن الحارث فكتب عبد الملك بن مروان الى ابن خازم مع سورة بن أشيم النميري ان لك خراسان سبع سنين على ان تبايع لي فقال ابن خازم لسورة لولا ان أضرب بين بني سُليم وبني عامر لقتلتك ولكن كلْ هذه الصحيفة فأكلها قال وقال أبو بكر بن محمد بن واسع بل قدم بعهد عبد الله بن خازم سوادة بن عبيد الله النميري وقال بعضهم بعث عبد الملك الى ابن خازم سنان بن مكمل الغنوي وكتب اليه ان خراسان طعمة لك فقال له ابن خازم انما بعثك أبو الذبان لأنك من غنيٍ وقد علم اني لا أقتل رجلا من قيس ولكن كلْ كتابه قال وكتب عبد الملك الى بكير بن وشاح أحد بني عوف بن سعد وكان خليفة ابن خازم على مرو بعهده على خراسان وعده ومناه فخلع بكير بن وشاح عبد الله بن الزبير ودعا الى عبد الملك ابن مروان فأجابه أهل مرو وبلغ ابن خازم فخاف أن يأتيه بكير بأهل مرو فيجتمع عليه أهل مرو وأهل أبرشهر فترك بحيرا وأقبل الى مرو يريد أن يأتي ابنه بالترمذ فأتبعه بحير فلحقه بقرية يقال لها بالفارسية شاهميغد بينها وبين مرو ثمانية فراسخ قال فقاتله ابن خازم فقال مولى لبني ليث كنتُ قريبا من معترك القوم في منزل فلما طلعت الشمس تهايج العسكران فجعلت أسمع وقع السيوف فلما ارتفع النهار خفيت الأصوات فقلت هذا الارتفاع النهار فلما صليت الظهر أو قبل الظهر خرجت فتلقاني رجل من بني تميم فقلت ما الخبر قال قتل عدو الله ابن خازم وها هو ذا واذا هو محمول على بغل وقد شدوا في مذاكيره حبلا وحجرا عدلوه به على البغل قال وكان الذي قتله وكيع بن عميرة القريعي وهو ابن الدورقية اعتور عليه بحير بن ورقاء وعمار بن عبد العزيز الجشمي ووكيع فطعنوه فصرعوه فقعد وكيع على صدره فقتله فقال بعض الولاة لوكيع كيف قتلت ابن خازم قال غلبته بفضل القنا فلما صرع قعدت على صدره فحاول القيام فلم يقدر عليه وقلتُ يالثأرات دويلة ودويلة أخ لوكيع لأمه قتل قبل ذلك في غير تلك الايام قال وكيع فتنخم في وجهي وقال لعنك الله تقتل كبش مُضر بأخيك علج لا يساوي كفا من نوى أو قال من تراب فما رأيت أحدا أكثر ريقا منه على تلك الحال عند الموت قال فذكر ابن هبيرة يوما هذا الحديث فقال هذه والله البسالة قال وبعث بحير ساعة قتل ابن خازم رجلا من بني عُدانة الى عبد الملك ابن مروان يخبره بقتل ابن خازم ولم يبعث بالرأس وأقبل بكير بن وشاح في أهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم فأراد أخذ رأس ابن خازم فمنعه بحير فضربه بكير بعمود وأخذ الرأس

وقيد

وقيد بحيرا وحبسه وبعث بكير بالرأس الى عبد الملك وكتب اليه يخبره انه هو الذى قتله فلما قدم بالرأس على عبد الملك دعا الغدانى رسول بحير وقال ماهذا قال لا أدرى وما فارقت القوم حتى قتل فقال رجل من بنى سليم

أليلتنا بنيسابور رُدّى * على الصبح ويحك أو أنيرى
كواكبها زواحف لا غبات * كأنّ سناها بيدى مُدير
تلومُ على الحوادث أمّ زيد * وهل لك فى الحوادث من نكير
جهلن كرامتى وصددن عنّى * الى أجل من الدنيا قصير
فلو شهد الفوارس من سليم * غداة يُطاف بالأسد العقير
لنازل حولهُ قومٌ كرامٌ * فعزّ الوترُ فى طلب الوتور
فقد بقيت كلابٌ نابحاتٌ * ومافي الارض بعدك من زئير

فولى الحج بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف وكان العامل على المدينة طارق مولى عثمان من قبل عبد الملك وعلى الكوفة بشر بن مروان وعلى قضائها عبيد الله بن عبد الله ابن عُتبة بن مسعود وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى قضائها هشام ابن هُبيرة وعلى خراسان في قول بعضهم عبد الله بن خازم السُلمى وفي قول بعض بكير بن وشاح وزعم من قال كان على خراسان فى سنة ٧٢ عبد الله بن خازم أن عبد الله بن خازم انما قتل بعد ما قتل عبد الله بن الزبير وأن عبد الملك انما كتب الى عبد الله بن خازم يدعوه الى الدخول فى طاعته على أن يُطعمه خراسان عشر سنين بعد ما قتل عبد الله ابن الزبير وبعث برأسه اليه وأن عبد الله بن خازم حلف لما ورد عليه رأس عبد الله بن الزبير أن لا يُعطيه طاعة أبدا وانه دعا بطست فغسل رأس ابن الزبير وحنطه وكفنه وصلى عليه وبعث به الى أهل عبد الله بن الزبير بالمدينة وأطعم الرسول الكتاب وقال لولا انك رسول لضربتُ عنقك وقال بعضهم قطع يديه ورجليه وضرب عنقه

﴿ فصل نذكر فيه الكتّاب من بدء أمر الاسلام ﴾

﴿ روى ﴾ هشام وغيره ان أول من كتب من العرب حرب بن أمية بن عبد شمس بالعربية وان أول من كتب بالفارسية بيوراسب وكان فى زمان ادريس وكان أول من صنف طبقات الكتّاب وبيّن منازلهم لهراسب بن كاوغان بن كيموس وحكى ان أبرويز قال لكاتبه انما الكلام أربعة أقسام سؤالك الشئ وسؤالك عن الشئ وأمرك بالشئ وخبرك عن الشئ فهذه دعائم المقالات إن التمس لها خامس لم يوجد وان نقص منها رابع لم تتم فاذا طلبت فأسبح واذا سألت فأوضح واذا أمرت فاحتم واذا أخبرت فحقق * وقال أبو موسى الأشعرى أول من قال أما بعد داود وهى فصل الخطاب الذى ذكره الله عنه * وقال الهيثم

ابن عدى أوّل من قال أما بعد قُسُّ بن ساعدة الإيادى (أسماء من كتب للنبىّ صلى الله عليه وسلم) علىّ بن أبى طالب عليه السلام وعثمان بن عفان كانا يكتبان الوحى فإن غابا كتبه أبىّ بن كعب وزيد بن ثابت وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان يكتبان بين يديه فى حوائجه وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يَغُوث والعلاء بن عُقبة يكتبان بين القوم فى حوائجهم وكان عبد الله بن الأرقم ربما كتب الى الملوك عن النبىّ صلى الله عليه وسلم (وكتب لأبى بكر) عثمان وزيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم وعبد الله بن خلف الخزاعىّ وحنظلة بن الربيع (وكتب لعمر بن الخطاب) زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم وعبد الله بن خلف الخزاعىّ أبو طلحة الطلحات على ديوان البصرة وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبيرة ابن الضحاك الأنصارىّ وقال عمر بن الخطاب لكُتّابه وعُمّاله ان القوّة على العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم لغد فإنكم اذا فعلتم ذلك تداءبت عليكم الأعمال فلا تدرون بأيها تبدؤن وأيها تأخذون وهو أوّل من دوّن الدواوين فى العرب فى الاسلام (وكان يكتب لعثمان) مروان بن الحكم وكان عبد الملك يكتب له على ديوان المدينة وأبو جبيرة الأنصارىّ على ديوان الكوفة وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بنى دُهمان من قيس عيلان يكتب له وكان يكتب له أهيب مولاه وعمران مولاه (وكان يكتب لعلىّ عليه السلام) سعيد بن نمران الهمدانى ثم ولى قضاء الكوفة لابن الزبير وكان يكتب له عبد الله بن مسعود ورُوى ان عبد الله بن جُبير كتب له وكان عبيد الله بن أبى رافع يكتب له واختُلف فى اسم أبى رافع فقيل اسمه ابراهيم وقيل أسلم وقيل سنان وقيل عبد الرحمن * وكان يكتب لمعاوية على الرسائل عبيد الله بن أوس الغسانىّ وكان يكتب له على ديوان الخراج سَرْجون بن منصور الرومىّ وكتب له عبد الرحمن بن درّاج وهو مولى معاوية وكتب على بعض دواوينه عبيد الله بن نصر بن الحجاج بن علاء السُلمىّ * وكان يكتب لمعاوية بن يزيد الرّيان بن مسلم ويكتب له على الديوان سرجون ويروى انه كتب له أبو الزُّعيزعة * وكتب لعبد الملك بن مروان قبيصة بن ذؤيب ابن حَلحلة الخزاعى ويُكنى أبا اسحاق وكتب له على ديوان الرسائل أبو الزعيزعة مولاه * وكان يكتب للوليد الفقعاع بن خالد أو خُليد العبسىّ وكتب له على ديوان الخراج سليمان بن سعد الخُشنىّ وعلى ديوان الخاتم شُعيب العمانىّ مولاه وعلى ديوان الرسائل جناح مولاه وعلى المستغلات نُفَيع بن ذؤيب مولاه * وكان يكتب لسليمان سليمان بن نعيم الحميرىّ * وكان يكتب لمسلمة سميع مولاه وعلى ديوان الرسائل الليث بن أبى رقيّة مولى أم الحكم بنت أبى سفيان وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد الخشنىّ وعلى ديوان الخاتم نعيم بن سلامة مولى لأهل اليمن من فلسطين وقيل بل رجاء بن حيوة كان يتقلد الخاتم * وكان يكتب ليزيد بن المهلب المغيرة بن أبى فروة * وكان يكتب لعمر بن عبد العزيز الليث بن أبى فروة مولى أم الحكم بنت

أبي سفيان ورجاء بن حيوة وكتب له اسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد الخشني وقلد مكانه صالح بن جبير الغساني وقيل الغداني وعدي بن الصباح ابن المثنى ذكر الهيثم بن عدي انه كان من جلة كتابه * وكتب ليزيد بن عبد الملك قبل الخلافة رجل يقال له يزيد بن عبد الله ثم استكتب أسامة بن يزيد السليحي * وكتب لهشام سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبي الأبرش ويكنى أبا مجاشع وكان نصر بن سيار يتقلد ديوان خراج خراسان لهشام وكان من كتابه بالرصافة شعيب بن دينار * وكان يكتب للوليد بن يزيد بكير بن الشماخ وعلى ديوان الرسائل سالم مولى سعيد بن عبد الملك ومن كتابه عبد الله بن أبي عمرو ويقال عبد الأعلى بن أبي عمرو وكتب له على الحضرة عمرو بن عتبة وكتب ليزيد ابن الوليد الناقص عبد الله بن نعيم وكان عمرو بن الحارث مولى بني جمح يتولى له ديوان الخاتم وكان يتقلد له ديوان الرسائل ثابت بن سليمان بن سعد الخشني ويقال الربيع بن عرعرة الخشني وكان يتقلد له الخراج والديوان الذي للخاتم الصغير النضر بن عمرو من أهل اليمن * وكتب لابراهيم بن الوليد ابن أبي جمعة وكان يتقلد له الديوان بفلسطين وبايع الناس ابراهيم أعني ابن الوليد سوى أهل حمص فانهم بايعوا مروان بن محمد الجعدي وكتب لمروان عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامري ومصعب بن الربيع الخثعمي وزياد ابن أبي الورد وعلى ديوان الرسائل عثمان بن قيس مولى خالد القسري وكان من كتابه مخلد ابن محمد بن الحارث ويكنى أبا هاشم ومن كتابه مصعب بن الربيع الخثعمي ويكنى أبا موسى وكان عبد الحميد بن يحيى من البلاغة في مكان مكين ومما اختير له من الشعر

ترحل ما يس بالقافل * وأعقب ما يس بالزائل
فلهفي على الخلف النازل * ولهفي على السلف الراحل
أبكي على ذا وأبكي لذا * بكاء مولهة ثاكل
تبكي من ابن لها قاطع * وتبكي على ابن لها واصل
فليست تفتر عن عبرة * لها في الضمير ومن هاملل
تقضت غوايات سكر الصبى * وردّ التقى عن الباطل

وكتب لأبي العباس خالد بن برمك ودفع أبو العباس ابنته ريطة الى خالد بن برمك حتى أرضعتها زوجته أم خالد بنت يزيد بلبان بنت خالد تدعى أم يحيى وأرضعت أم سلمة زوجة أبي العباس أم يحيى بنت خالد بلبان ابنتها ريطة وقلد ديوان الرسائل صالح بن الهيثم مولى ريطة بنت أبي العباس * وكتب لأبي جعفر المنصور عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلي من أهل خراسان وكتب له هاشم بن سعيد الجعفي وعبد الأعلى بن أبي طلحة من بني تميم بواسط وروى ان سليمان بن مخلد كان يكتب لأبي جعفر ومما كان يتمثل به أبو جعفر

المنصور

وما ان شفا نفساً كامر صريمة * اذا حاجة في النفس طال اعتراضها

وكتب له الربيع وكان عمارة بن حمزة من نبلاء الرجال وله

لا تشكون دهراً صحبت به * إن الغنى في صحة الجسم

هنيك الإمام أكنت منتفعاً * بغضارة الدنيا مع السقم

وكان يتمثل بقول عبد بني الحسحاس

أمن أمية دمع العين مذروف * لو أن ذا منك قبل اليوم معروف

لا تبك عينك ان الدهر ذو غير * فيه تفرق ذو إلف ومألوف

وكتب للمهدي أبو عبيد الله وأبان بن صدقة على ديوان رسائله ومحمد بن حميد الكاتب على ديوان جنده ويعقوب بن داود وكان اتخذه على وزارته وأمره وله

عجبا لتصريف الأمو * ر محبة وكراهية

والدهر يلعب بالرجا * ل له دوائر جارية

ولابنه عبد الله بن يعقوب وكان له محمد ويعقوب كلاهما شاعر مجيد

ورع المشيب شراسني وغرامي * ومرى الجفون بمسبل سجام

ولقد حرصت بأن أواري شخصه * عن مقلتي فرمت غير مرام

وصبغت ما صبغ الزمان فلم يدم * صبغي ودامت صبغة الأيام

* لا تبعدن شبيبة ذيالة * فارقتها في سالف الأعوام *

ما كان ما استصحبت من أيامها * الا كبعض طوارق الاحلام

﴿ ولأبيه ﴾

طلق الدنيا ثلاثا * واتخذ زوجا سواها انها زوجة سوء * لا تبالي من أتاها

واستوزر بعده الفيض بن أبي صالح وكان جوادا وكتب للهادي موسى عبيد الله بن زياد ابن أبي ليلى ومحمد بن حميد وسأل المهدي يوما أبا عبيد الله عن أشعار العرب فصنفها له فقال أحكمها قول طرفة بن العبد

أرى قبر نحام بخيل بماله * كقبر غوي في البطالة مفسد

ترى جثوتين من تراب عليهما * صفائح صم من صفيح منضد

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي * عقيلة مال الفاحش المتشدد

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة * وما تنقص الايام والدهر ينفد

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى * لكالطول المرخى وثنياه باليد

وقوله

وقوله وقد أرانا كلانا هم صاحبه * لو أن شيأ اذا ما فاتنا رجعا
وكان شيء الى شيء ففرقه * دهر يكر على تفريق ما جمعا

وقول لبيد

ألا تسألان المرء ما ذا يحاول * أنحب فيقضى أم ضلال وباطل
ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم * بلى كل ذى رأى الى الله واصل

وكقول النابغة الجعدى

وقد طال عهدى بالشباب وأهله * ولاقيت روعات تشيب النواصيا
فلم أجد الاخوان الا صحابة * ولم أجد الأهلين الا مثاويا
ألم تعلمى ان قد رزئت محاربا * فلا لك منه اليوم شيء ولا ليا

وكقول هدبة بن خشرم

ولست بمفراح اذا الدهر سرنى * ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتبغى الشر والشر تاركى * ولكن متى أحمل على الشر أركب
ومايعرف الاقوام للدهر حقه * وما الدهر مما يكرهون بمعتب
وللدهر فى أهل الفتى وتلاده * نصيب كحز الجازر المتشعب

وكقول زيادة بن زيد وتمثل به عبد الملك بن مروان

تذكر عن شحط أميمة فارعوى * لها بعدا كثار وطول نحيب
وان امرءا قد جرب الدهر لم يخف * تقلب عصريه لغير لبيب
هل الدهر والايام الا كما ترى * رزية مال أو فراق حبيب
وكل الذى يأتى فأنت نسيبه * ولست لشيء ذاهب بنسيب
وليس بعيد ما يجيء كمقبل * ولا ما مضى من مفرح بقريب

وكقول ابن مقبل

لما رأت بدل الشباب بكت له * والشيب أردل هذه الابدال
والناس همهم الحياة ولا أرى * طول الحياة يزيد غير خبال
واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال

ووزر له يحيى بن خالد ووزر للرشيد ابنه جعفر بن يحيى بن خالد فمن ملح كلامه الخط سمة الحكمة به تفصل شذورها وينظم منثورها قال ثمامة قلت لجعفر بن يحيى ما البيان فقال أن يكون الاسم محيطا بمعناك مخبرا عن مغزاك مخرجا من الشركة غير مستعان عليه بالفكرة

قال الاصمعي سمعت يحيى بن خالد يقول الدنيا دول والمال عارية ولنا بمن قبلنا أسوة وفينا لمن بعدنا عبرة ونأتي بتسمية باقي كتاب خلفاء بني العباس اذا انتهينا الى الدولة العباسية ان شاء الله تعالى

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ﴾

﴿ ذكر الكائن الذي كان فيها من الامور الجليلة ﴾

فمن ذلك مقتل عبد الله بن الزبير

﴿ ذكر الخبر عن صفة ذلك ﴾

حدثني الحارث قال حدثنا محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني اسحاق ابن يحيى عن عبيد الله بن القبطية قال كانت الحرب بين ابن الزبير والحجاج ببطن مكة ستة أشهر وسبع عشرة ليلة قال محمد بن عمر وحدثني مصعب بن ثابت عن نافع مولى بني أسد وكان عالما بفتنة ابن الزبير قال حصر ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة سنة ٧٢ وقتل لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٧٣ وكان حصر الحجاج لابن الزبير ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة حدثنا الحارث قال حدثنا محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني اسحاق بن يحيى عن يوسف بن ماهك قال رأيت المجنيق يرمي به فرعدت السماء وبرقت وعلا صوت الرعد والبرق على الحجارة فاشتمل عليها فأعظم ذلك أهل الشام فأمسكوا بأيديهم فرفع الحجاج بركة قبائه فغر زها في منطقته ورفع حجر المجنيق فوضعه فيه ثم قال ارموا ورمى معهم قال ثم أصبحوا فجاءت صاعقة تتبعها أخرى فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلا فانكسر أهل الشام فقال الحجاج يا أهل الشام لا تنكروا هذا فاني ابن تهامة هذه صواعق تهامة هذا الفتح قد حضر فابشروا إن القوم يصيبهم مثل ما أصابكم فصعقت من الغد فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدة فقال الحجاج ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلاف الطاعة فلم تزل الحرب بين ابن الزبير والحجاج حتى كان قبيل مقتله وقد تفرق عنه أصحابه وخرج عامة أهل مكة الى الحجاج في الامان حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني اسحاق بن عبيد الله عن المنذر بن جهم الاسدي قال رأيت ابن الزبير يوم قتل وقد تفرق عنه أصحابه وخذله من معه خذلانا شديدا وجعلوا يخرجون الى الحجاج حتى خرج اليه نحو من عشرة آلاف وذكر انه كان ممن فارقه وخرج الى الحجاج ابناه حمزة وخبيب فأخذا منه لانفسهما أمانا فدخل على أمه أسماء كما ذكر محمد بن عمر عن أبي الزناد عن مخرمة بن سليمان الوالبي قال دخل ابن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم فقال يا أمه خذلني الناس حتى ولدي وأهلي فلم يبق معي الا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني

ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت والله يا بني اعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق وإليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني أمية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك وان قلت كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين وكم خلودك في الدنيا القتل أحسن فدنا ابن الزبير فقبل رأسها وقال هذا والله رأيي والذي قمت به داعيا الى يومي هذا ما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعاني الى الخروج الا الغضب لله أن يستحل حرمه ولكني أحببت ان أعلم رأيك فزدتيني بصيرة مع بصيرتي فانظري يا أمه فاني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي لامر الله فان ابنك لم يتعمد اتيان منكر ولا عملا بفاحشة ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته ولم يكن شيء آثر عندي من رضى ربي اللهم اني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي أنت أعلم بي ولكن أقوله تعزية لأمي لتسلو عني فقالت أمه اني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسنا ان تقدمتني وان تقدمتك فلي نفسي اخرج حتى أنظر الى ما يصير أمرك قال جزاك الله يا أمه خيرا فلا تدعي الدعاء لي قبل وبعد فقالت لا أدعه أبدا فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ثم قالت اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة وبره بأبيه وبي اللهم قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين قال مصعب بن ثابت فما مكثت بعده الا عشرا او يقال خمسة أيام * قال محمد بن عمر حدثني موسى بن يعقوب بن عبد الله عن عمه قال دخل ابن الزبير على أمه وعليه الدرع والمغفر فوقف فسلم ثم دنا فتناول يدها فقبلها فقالت هذا وداع فلا تبعد قال ابن الزبير جئت مودعا اني لأرى هذا آخر يوم من الدنيا يمر بي واعلمي يا أمه أني ان قتلت فانما أنا لحم لا يضرني ما صنع بي قالت صدقت يا بني أتم على بصيرتك ولا تمكن ابن أبي عقيل منك وادن مني أودعك فدنا منها فقبلها وعانقها وقالت حيث مست الدرع ما هذا صنيع من يريد ما تريد قال ما لبست هذا الدرع الا لأشد منك قالت العجوز فإنه لا يشد مني فنزعها ثم أدرج كميه وشد أسفل قميصه وجبة خز تحت القميص فأدخل أسفلها في المنطقة وأمه تقول البس ثياب مشمرة ثم انصرف ابن الزبير وهو يقول

إني اذا أعرف يوما أصبر * إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فسمعت العجوز قوله فقالت تصبر والله ان شاء الله أبوك أبو بكر والزبير وأمك صفية بنت عبد المطلب ﴿ حدثني ﴾ الحارث قال حدثني ابن سعد قال أخبرني محمد بن عمر قال أخبرنا نور بن يزيد عن شيخ من أهل حمص شهد وقعة ابن الزبير مع أهل الشام قال رأيته يوم

الثلاثاء وإنا لنطلع عليه أهل حمص خمسمائة خمسمائة من باب لنا ندخله لا يدخله غيرنا فيخرج الينا وحده في أثرنا ونحن منهزمون منه فما أنسى أرجوزة له

إني اذا أعرف يومي أصبر * وإنما يعرف يوميه الحر

اذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فأقول أنت والله الحر الشريف فلقد رأيته يقف في الأبطح ما يدنو منه أحد حتى ظننا انه لا يقتل ﴿ حدثني ﴾ الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا مصعب بن ثابت عن نافع مولى بني أسد قال رأيت الأبواب قد شحنت من أهل الشام يوم الثلاثاء وأسلم أصحاب ابن الزبير المحارس وكثرهم القوم فأقاموا على كل باب رجالا وقائدا وأهل بلد فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة ولأهل دمشق باب بني شيبة ولاهل الأردن باب الصفا ولأهل فلسطين باب بني جمح ولأهل قنسرين باب بني سهم وكان الحجاج وطارق بن عمرو جميعا في ناحية الأبطح الى المروة فمرة يحمل ابن الزبير في هذه الناحية ومرة في هذه الناحية فلكأنه أسد في أجمة ما يقدم عليه الرجال فيعدو في أثر القوم وهم على الباب حتى يخرجهم وهو يرتجز

انى اذا أعرف يومي أصبر * وانما يعرف يوميه الحر

ثم يصيح يا أبا صفوان ويل أمه فتحا لو كان له رجال

لو كان قرني واحدا كفيته

قال ابن صفوان أي والله وألف ﴿ حدثني ﴾ الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني ابن أبي الزناد وأبو بكر بن عبد الله بن مصعب عن ابن المنذر وحدثنا نافع مولى بني أسد قالا لما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ٧٣ وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب بات ابن الزبير يصلي عامة الليل ثم احتبى بحمائل سيفه فأغفى ثم انتبه بالفجر فقال أذن يا سعد فأذن عند المقام وتوضأ ابن الزبير وركع ركعتي الفجر ثم تقدم وأقام المؤذن فصلى بأصحابه فقرأ ن والقلم حرفا حرفا ثم سلم فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اكشفوا وجوهكم حتى أنظر وعليهم المغافر والعمائم فكشفوا وجوههم فقال يا آل الزبير لو طبتم لي نفسا عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلمنا في الله لم تصبنا زبابة أما بعد يا آل الزبير فلا يرعكم وقع السيوف فإني لم أحضر موطنا قط الا ارتثت فيه من القتل وما أجد من دواء جراحها أشد مما أجد من ألم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم لا أعلم امرءا كسر سيفه واستبقى نفسه فإن الرجل اذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل غضوا أبصاركم عن البارقة وليشغل كل امرئ قرنه ولا يلهينكم السؤال عني ولا تقولن أين عبد الله بن الزبير الا من كان سائلا عني فإني في الرعيل الأول

أبى لابن سامى أنه غير خالد * ملاق المنايا أى صرف تيمما
فلست بمبتاع الحياة بسبة * ولا مرتق من خشية الموت سلما

احملوا على بركة الله ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون فرمى بأجرة فأصابته في وجهه فأرعش لها ودمى وجهه فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه ولحيته قال

لسنا على الأعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وتغاوا عليه فقالوا صاحت مولاة لنا مجنونة وا أمير المؤمنيناه فقالوا قد رأته حيث هوى فأشارت لهم اليه فقتل وإن عليه ثياب خز وجاء الخبر الى الحجاج فسجد وسار حتى وقف عليه وطارق بن عمرو فقال طارق ما ولدت النساء أذكر من هذا فقال الحجاج تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين قال نعم هو أعذر لنا ولو لا هذا ما كان لنا عذرا نا محاصروه وهو في غير خندق ولا حصن ولا منعة منذ سبعة أشهر ينتصف منا بل يفضل علينا في كل ما التقينا نحن وهو فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب طارقا ﴿ حدثنا ﴾ عمر قال حدثنا أبو الحسن عن رجاله قال كأني أنظر الى ابن الزبير وقد قتل غلاما أسود ضربه فعرقبه وهو يمر في جملته عليه ويقول صبرا يا ابن حام ففي مثل هذه المواطن تصبر الكرام ﴿ حدثني ﴾ الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عبد الجبار بن عمارة عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال بعث الحجاج برأس ابن الزبير ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم الى المدينة فنصبت بها ثم ذهب بها الى عبد الملك بن مروان ثم دخل الحجاج مكة فبايع من بها من قريش لعبد الملك بن مروان ﴿ قال أبو جعفر ﴾ وفي هذه السنة ولي عبد الملك طارقا مولى عثمان المدينة فولها خمسة أشهر ﴿ وفي هذه السنة ﴾ توفي بشر بن مروان في قول الواقدي وأما غيره فانه قال كانت وفاته في سنة ٧٤ ﴿ وفيها ﴾ أيضا وجه فيما ذكر عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر لقتال أبي فديك وأمره ان يندب معه من أحب من أهل المصرين فقدم الكوفة فندب أهلها فانتدب معه عشرة آلاف ثم قدم البصرة فندب أهلها فانتدب معه عشرة آلاف فأخرج لهم أرزاقهم وأعطياتهم فأعطوها ثم سار بهم عمر بن عبيد الله فجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة وجعل أهل البصرة على الميسرة وعليهم ابن أخيه عمر بن موسى بن عبيد الله وجعل خيله في القلب حتى انتهوا الى البحرين فصف عمر بن عبيد الله أصحابه وقدم الرجالة في أيديهم الرماح قد ألزموها الأرض واستتروا بالبراذع فحمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد فكشفوا ميسرة عمر بن عبيد الله حتى ذهبوا في الارض الا المغيرة ابن المهلب ومعن بن المغيرة ومجاعة بن عبد الرحمن وفرسان الناس فإنهم مالوا الى صف أهل الكوفة وهم ثابتون وارتث عمر بن موسى بن عبيد الله فهو في القتلى قد أثخن جراحة فلما

رأى أهل البصرة أهل الكوفة لم ينهزموا انهزموا ورجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير حتى مروا بعمر بن موسى بن عبيد الله جريحا فحملوه حتى أدخلوه عسكر الخوارج وفيه تبن كثير فأحرقوه ومالت عليهم الريح وحمل أهل الكوفة وأهل البصرة حتى استباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فديك وحصروهم في المشقر فنزلوا على الحكم فقتل عمر بن عبيد الله منهم فيما ذكر نحو من ستة آلاف وأسر نحو ثمانى مائة وأصابوا جارية لامية بن عبد الله حبلى من أبى فديك وانصرفوا الى البصرة ﴿وفى هذه السنة﴾ عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولاها أخاه بشر بن مروان فصارت ولايتها وولاية الكوفة اليه فشخص بشر لما ولى مع الكوفة البصرة الى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث ﴿وفيها﴾ غزا محمد ابن مروان الصائفة فهزم الروم وقيل انه كان فى هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم فى ناحية أرمينية وهو فى أربعة آلاف والروم فى ستين ألفا فهزمهم وأكثر القتل فيهم وأقام الحج فى هذه السنة للناس الحجاج بن يوسف وهو على مكة واليمن واليمامة وعلى الكوفة والبصرة فى قول الواقدى بشر بن مروان وفي قول غيره على الكوفة بشر بن مروان وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان بكير بن وشاح

﴿ثم دخلت سنة أربع وسبعين﴾

﴿ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة﴾

فما كان فيها من ذلك عزل عبد الملك طارق بن عمر وعن المدينة واستعماله عليها الحجاج بن يوسف فقدمها فيما ذكر فأقام بها شهرا ثم خرج معتمرا ﴿وفيها﴾ كان فيما ذكر نقض الحجاج بن يوسف بنيان الكعبة الذى كان ابن الزبير بناه وكان اذ بناه أدخل فى الكعبة الحجر وجعل لها بابين فأعادها الحجاج على بنائها الأول في هذه السنة ثم انصرف الى المدينة فى صفر فأقام بها ثلاثة أشهر يتعبث بأهل المدينة ويتعنتهم وبنى بها مسجدا في بنى سلمة فهو ينسب اليه واستخف فيها بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فختم فى أعناقهم فذكر محمد ابن عمران ابن أبى ذيب حدثه عمن رأى جابر بن عبد الله مختوما فى يده وعن ابن أبى ذيب عن اسحاق بن يزيد انه رأى أنس بن مالك مختوما فى عنقه يريدان يذله بذلك قال ابن عمر وحدثنى شرحبيل بن أبى عون عن أبيه قال رأيت الحجاج أرسل الى سهل بن سعد فدعاه فقال ما منعك ان تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان قال قد فعلت قال كذبت ثم أمر به فختم فى عنقه برصاص ﴿وفيها﴾ استقضى عبد الملك أبا ادريس الخولانى فيما ذكر الواقدى ﴿وفى هذه السنة﴾ شخص في قول بعضهم بشر بن مروان من الكوفة الى البصرة واليا عليها ﴿وفي هذه السنة﴾ ولى المهلب حرب الأزارقة من قبل عبد الملك

﴿ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فيها﴾

ولما صار بشر بالبصرة كتب عبد الملك اليه فيما ذكر هشام عن أبي مخنف عن يونس بن أبي اسحاق عن أبيه أما بعد فابعث المهلب في أهل مصره الى الأزارقة ولينتخب من أهل مصره وجوههم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم فانه أعرف بهم وبحله ورأيه في الحرب فاني أوثق شيء بتجربته ونصيحته للمسلمين وابعث من أهل الكوفة بعثا كثيفا وابعث عليهم رجلا معروفا شريفا حسيبا صليبا يعرف بالبأس والنجدة والتجربة للحرب ثم أنهض اليهم أهل المصرين فليتبعوهم أي وجه ما توجهوا حتى يبيدهم الله ويستأصلهم والسلام عليك فدعا بشر المهلب فأقرأه الكتاب وأمره ان ينتخب من شاء فبعث بجديع بن سعيد بن قبيصة بن سراق الأزدي وهو خال يزيد ابنه فأمره ان يأتي الديوان فينتخب الناس وشق على بشر ان امرة المهلب جاءت من قبل عبد الملك فلا يستطيع ان يبعث غيره فأوغرت صدره عليه حتى كانه كان له اليه ذنب ودعا بشر بن مروان عبد الرحمن بن مخنف فبعثه على أهل الكوفة وأمره ان ينتخب فرسان الناس ووجوههم وأولى الفضل منهم والنجدة (قال أبو مخنف) فحدثني أشياخ الحي عن عبد الرحمن بن مخنف قال دعاني بشر بن مروان فقال لي انك قد عرفت منزلتك مني وأثرتك عندي وقد رأيت ان أوليك هذا الجيش للذي عرفت من جزئك وغنائك وشرفك وبأسك فكن عند أحسن ظني بك أنظر هذا الكذا كذا يقع في المهلب فاستبدل عليه بالأمر ولا تقبلن له مشورة ولا رأيا وتنقصه وقصر به قال فترك ان يوصيني بالجند وقتال العدو والنظر لاهل الاسلام وأقبل يغريني بابن عمي كأني من السفهاء أو ممن يستصبي ويستجهل ما رأيت شيخا مثلي في مثل هيئتي ومنزلتي طمع منه في مثل ما طمع فيه هذا الغلام مني شبّ عمرو وعن الطوق قال ولما رأى اني لست بالنشيط الى جوابه قال لي مالك قلت أصلحك الله وهل يسعني الا انفاذ أمرك في كل ما أحببت وكرهت قال امض راشدا قال فودعته وخرجت من عنده وخرج المهلب بأهل البصرة حتى نزل رام هرمز فلقي بها الخوارج فخندق عليه وأقبل عبد الرحمن بن مخنف بأهل الكوفة على ربع أهل المدينة معه بشر بن جرير وعلى ربع تميم وهمدان محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وعلى ربع كندة وربيعة اسحاق بن محمد بن الاشعث وعلى ربع مذحج وأسد زحر بن قيس فأقبل عبد الرحمن حتى نزل من المهلب على ميل أو ميل ونصف حيث تراءى العسكران برام هرمز فلم يلبث الناس الا عشرا حتى أتاهم نعي بشر بن مروان وتوفي بالبصرة فارفض ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة واستخلف بشر خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حريث وكان الذين انصرفوا من أهل الكوفة زحر بن قيس وإسحاق بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فبعث عبد الرحمن بن

مخنف ابنه جعفرا فى آثارهم فرد اسحاق ومحمدا وفاته زحر بن قيس فحبسهما يومين ثم أخذ عليهما ان لا يفارقاه فلم يلبثا الا يوما حتى انصرفا فأخذا غير الطريق وطلبا فلم يلحقا وأقبلا حتى لحقا زحر بن قيس بالأهواز فاجتمع بها ناس كثير ممن يريد البصرة فبلغ ذلك خالد بن عبد الله فكتب الى الناس كتابا وبعث رسولا يضرب وجوه الناس ويردهم فقدم بكتابه مولى له فقرأ الكتاب على الناس وقد جمعوا له بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن عبد الله الى من بلغه كتابى هذا من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فإنى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو أما بعد فإن الله كتب على عباده الجهاد وفرض طاعة ولاة الأمر فمن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ومن ترك الجهاد فى الله كان الله عنه أغنى ومن عصى ولاة الأمر والقوام بالحق أسخط الله عليه وكان قد استحق العقوبة فى بشر دوعرض نفسه لاستفاءة ماله وإلقاء عطائه والتسيير الى أبعد الأرض وشر البلدان أيها المسلمون اعلموا على من اجترأتم ومن عصيتم انه عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الذى ليست فيه غميزة ولا لأهل المعصية عنده رخصة سوطه على من عصى وعلى من خالف سيفه فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلا فإنى لم آلكم نصيحة عباد الله ارجعوا الى مكتبكم وطاعة خليفتكم ولا ترجعوا عاصين مخالفين فيأتيكم ما تكرهون أقسم بالله لا أنقف عاصيا بعد كتابى هذا إلا قتلته ان شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وأخذ كلما قرأ عليهم سطرا أو سطرين قال له زحر أوجز فيقول له مولى خالد والله انى لأسمع كلام رجل ما يريد أن يفهم ما يسمع أشهد لا يعيج بشىء مما فى هذا الكتاب فقال له اقرأ أيها العبد الأحمر ما أمرت به ثم ارجع الى أهلك فإنك لا تدرى ما فى أنفسنا فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناس الى ما فى كتابه وأقبل زحر واسحاق بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن حتى نزلوا قرية لآل الأشعث الى جانب الكوفة وكتبوا الى عمرو بن حريث أما بعد فإن الناس لما بلغهم وفاة الأمير رحمة الله عليه تفرقوا فلم يبق معنا أحد فأقبلنا الى الأمير والى مصرنا وأحببنا ان لا ندخل الكوفة الا بإذن الأمير وعلمه فكتب اليهم أما بعد فإنكم تركتم مكتبكم وأقبلتم عاصين مخالفين فليس لكم عندنا اذن ولا أمان فلما أتاهم ذلك انتظروا حتى اذا كان الليل دخلوا الى رحالهم فلم يزالوا مقيمين حتى قدم الحجاج بن يوسف ﴿وفى هذه السنة﴾

عزل عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان وولاها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد

﴿ذكر الخبر عن سبب عزل بكير وولاية أمية﴾

وكانت ولاية بكير بن وشاح خراسان الى حين قدم أمية عليها واليا سنتين فى قول أبى الحسن وذلك أن ابن خازم قتل سنة ٧٢ وقدم أمية سنة ٧٤ وكان سبب عزل بكير عن خراسان ان بحيرا فيما ذكر على عن المفضل حبسه بكير بن وشاح لما كان منه فيما ذكرت فى رأس ابن خازم حين قتله فلم يزل محبوسا عنده حتى استعمل عبد الملك أمية بن عبد الله بن خالد بن

أسيد فلما بلغ ذلك بكيرا أرسل الى بحير ليصالحه فأبى عليه وقال ظن بكير ان خراسان تبقى له في الجماعة فشت السفراء بينهم فأبى بحير فدخل عليه ضرار بن حصين الضبي فقال ألا أراك مائقا يرسل اليك ابن عمك يعتذر اليك وأنت أسيره والمشرفي في يده ولو قتلك ما حبقت فيك عنز ولا تقبل منه ما أنت بموفق اقبل الصلح واخرج وأنت على أمرك فقبل مشورته وصالح بكيرا فأرسل اليه بكير بأربعين ألفا وأخذ على بحير ان لا يقاتله وكانت تميم قد اختلفت بخراسان فصارت مقاعس والبطون يتعصبون له فخاف أهل خراسان ان تعود الحرب وتفسد البلاد ويقهرهم عدوهم من المشركين فكتبوا الى عبد الملك بن مروان إن خراسان لا تصلح بعد الفتنة الا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه فقال عبد الملك خراسان ثغر المشرق وقد كان به من الشر ما كان وعليه هذا التميمي وقد تعصب الناس وخافوا ان يصيروا الى ما كانوا عليه فيهلك الثغر ومن فيه وقد سألوا ان أولي أمرهم رجلا من قريش فيسمعوا له ويطيعوا فقال أمية بن عبد الله يا أمير المؤمنين تداركهم برجل منك قال لولا انحيازك عن أبي فديك كنت ذلك الرجل قال يا أمير المؤمنين والله ما انحزت حتى لم أجد مقاتلا وخذلني الناس فرأيت ان انحيازي الى فئة أفضل من تعريضي عصبة بقيت من المسلمين للهلكة وقد علم ذلك مرار بن عبد الرحمن بن أبي بكرة وكتب اليك خالد بن عبد الله بما بلغه من عذري قال وكان خالد كتب اليه بعذره ويخبره أن الناس قد خذلوه فقال مرار صدق أمية يا أمير المؤمنين لقد صبر حتى لم يجد مقاتلا وخذله الناس فولاه خراسان وكان عبد الملك يحب أمية ويقول نتبجحني أي لدتي فقال الناس ما رأينا أحدا عوض من هزيمة ما عوض أمية فر من أبي فديك فاستعمل على خراسان فقال رجل من بكر بن وائل في محبس بكير بن وشاح

أتتك العيس تنفخ في براها * تكشف عن مناكبها القطوع
كأن مواقع الأكوار منها * حمام كنائس بقع وقوع
بأبيض من أمية مضرحي * كأن جبينه سيف صنيع

وبحير يومئذ بالسنج يسأل عن مسير أمية فلما بلغه انه قد قارب أبرشهر قال لرجل من عجم أهل مرو يقال له رزين أو زريردلني على طريق قريب لألقى الأمير قبل قدومه ولك كذا وكذا وأجزل له العطية وكان عالما بالطريق فخرج به فسار من السنج الى أرض سرخس في ليلة ثم مضى به الى نيسابور فوافى أمية حين قدم أبرشهر فلقيه فأخبره عن خراسان وما يصلح أهلها وتحسن به طاعتهم ويخف على الوالي مؤنتهم ورفع على بكير أموالا أصابها وحذره غدره قال وسار معه حتى قدم مرو وكان أمية سيدا كريما فلم يعرض لبكير ولا لعماله وعرض عليه ان يوليه شرطته فأبى بكير فولاها بحير بن ورقاء فلام بكير ارجال من

قومه فقالوا أبيت ان تلى فولى بحيرا وقد عرفت ما بينكما فقال كنت أمس والى خراسان تحمل الحراب بين يدى فأصير اليوم على الشرطة أحمل الحربة وقال أمية لبكير اختر ما شئت من عمل خراسان قال طخارستان قال هى لك قال فتجهز بكير وأنفق مالا كثيرا فقال بحير لامية إن أتى بكير طخارستان خلعك فلم يزل يحذره حتى حذر فأمره بالمقام عنده

﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف وكان ولى قضاء المدينة عبد الله بن قيس ابن مخرمة قبل شخوصه الى المدينة كذلك ذكر ذلك عن محمد بن عمر وكان على المدينة ومكة الحجاج بن يوسف وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وقد ذكر ان عبد الملك بن مروان اعتمر في هذه السنة ولا نعلم صحة ذلك

﴿ثم دخلت سنة خمس وسبعين﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

فمن ذلك غزوة محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبل مرعش ﴿وفى هذه السنة﴾ ولى عبد الملك يحيى بن الحكم بن أبى العاص المدينة ﴿وفى هذه السنة﴾ ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان ﴿وفيها﴾ قدم الحجاج الكوفة ﴿حدثنى﴾ أبو زيد قال حدثنى محمد بن يحيى أبو غسان عن عبد الله بن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال خرج الحجاج بن يوسف من المدينة حين أتاه كتاب عبد الملك بن مروان بولاية العراق بعد وفاة بشر بن مروان فى اثنى عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجاءة وقد كان بشر بعث المهلب الى الحرورية فبدأ بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء فقال علىّ بالناس فحسبوه وأصحابه خارجة فهموا به حتى اذا اجتمع اليه الناس قام فكشف عن وجهه وقال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

أما والله انى لأحمل الشر محمله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله وإنى لأرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها وإنى لأنظر الى الدماء بين العمائم واللحى

قد شمرت عن ساقها تشميرا

هذا أوان الشد فاشتدى زيم * قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعى إبل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

قد لفها الليل بعصلبى * أروع خراج من الدوى

مهاجر ليس بأعرابى

ليس أوان يكره الخلاط * جاءت به والقلص الأعلاط
تهوى هوى سابق الغطاط

انى والله يا أهل العراق ما أغمز كتغماز التين ولا يقعقع لى بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وجربت الى الغاية القصوى إن أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانته ثم عجم عيدانها فوجدنى أمرّها عودا وأصلبها مكسرا فوجهنى اليكم فانكم طال ما أوضعتم فى الفتن وسننتم سنن الغىّ أما والله لأحوننكم حوّ العود ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الابل انى والله لا أعد الا وفيت ولا أخلق الا فريت فاياى وهذه الجماعات وقيلا وقالا وما يقول فيم أنتم وذاك والله لتستقيمن على سبل الحق أولأدعن لكل رجل منكم شغلا فى جسده من وجدت بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه وأنهبت ماله ثم دخل منزله ولم يزد على ذلك * قال ويقال انه لما طال سكوته تناول محمد بن عمير حصى فأراد ان يحصبه بها وقال قاتله الله ما أعياه وأدمه والله انى لأحسب خبره كروائه فلما تكلم الحجاج جعل الحصى ينتثر من يده ولا يعقل به وأن الحجاج قال فى خطبته شاهت الوجوه ان الله ضرب مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وأنتم أولئك وأشباه أولئك فاستوثقوا واستقيموا فوالله لأذيقنكم الهوان حتى تدروا ولأعصبنكم عصب السلمة حتى تنقادوا أقسم بالله لتقبلنّ على الإنصاف ولتدعن الارجاف وكان وكان وأخبرنى فلان عن فلان والهبر وما الهبر أولا هبرنكم بالسيف هبر يدع النساء أيامى والولدان يتامى وحتى تمشوا السُّمَّهى وتقلعوا عن هاوها اياى وهذه الزرافات لا يركبنّ الرجل منكم الا وحده الا انه لوساغ لأهل المعصية معصيتهم ما جبى فىّ ولا قوتل عدوّ ولعطلت الثغور ولولا انهم يغزون كرها ما غزوا طوعا وقد بلغنى رفضكم المهلب واقبالكم على مصركم عصاة مخالفين وإنى أقسم لكم بالله لا أجد أحدا بعد ثالثة الا ضربت عنقه ثم دعا العرفاء فقال ألحقوا الناس بالمهلب وأتونى بالبراآت بموافاتهم ولا تغلقنّ أبواب الجسر ليلا ولا نهارا حتى تنقضى هذه المدة ﴿تفسير الخطبة﴾ قوله أنا ابن جلا فابن جلا الصبح لأنه يجلو الظلمة والثنايا ما صغر من الجبال ونتا وأينع الثمر بلغ ادراكه وقوله فاشتدى زيم فهى اسم للحرب والحطم الذى يحطم كل شئ يمر به والوضم ما وقى به اللحم من الارض والعصلى الشديد والدوية الأرض الفضاء التى يسمع فيها دوى اخفاف الابل والا علاط الابل التى لا ارسان عليها أنشد أبو زيد الأصمعى

واعرورت العلط العرضى تركضه * أم الفوارس بالدّيداء والربعه

والشنان جمع شنة وهى القربة البالية اليابسة قال الشاعر

كأنك من جمال بنى أقيش * يقعقع خلف رجليه بشنّ

وقوله فعجم عيدانها أى عضها والعجم بفتح الفاء حب الزبيب قال الاعشى

وملفوظها كلقيط العجم

وقوله أمرّها عودا أى أصلبها يقال حبل ممرّ اذا كان شديد الفتل وقوله لأعصبنّكم عصب السلمة فالعصب القطع والسلمة شجرة من العضاه وقوله لأحلقن الافريت فالخلق التقدير قال الله تعالى من نطفة مخلّقة وغير مخلّقة أى مقدّرة وغير مقدرة يعنى مايتم ومايكون سقطا قال الكميت يصف قربة

لم تجشم الخالقات فريتها * ولم يفض من نطاقها السّرب

وانما وصف حواصل الطير يقول ليست كهذه وصخرة خلقاء أى ملساء قال الشاعر

وبهو هواء فوق مور كانه * من الصّخرة الخلقاء زحلوق ملعب

ويقال فريت الأديم اذا أصلحته وأفريت بالألف اذا أنت أفسدته والسمهى الباطل قال أبو عمرو الشيبانى وأصله ماتسميه العامة مخاط الشيطان وهو لعاب الشمس عند الظهيرة قال أبو النجم العجلى

وذاب للشمس لعاب فنزل * وقام ميزان الزمان فاعتدل

والزرافات الجماعات تم التفسير ﴿قال أبو جعفر﴾ قال عمر فحدثنى محمد بن يحيى عن عبد الله ابن أبى عبيدة قال فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيرا في السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال ياأهل العراق وأهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق انى سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذى يراد الله به فى الترغيب ولكنه التكبير الذى يراد به الترهيب وقد عرفت انها عجاجة تحتها قصف يابنى اللكيعة وعبيد العصا وأبناء الايامى ألا يرتبع رجل منكم على ظلعه ويحسن حقن دمه و يبصر موضع قدمه فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها وأدبا لما بعدها * قوله تحتها قصف فهو شدة الريح والكعاء الورهاء وهى الحمقاء من الاماء والظلع الضعف والوهن من شدة السير وقوله تهوى هوى سابق الغطاط فالغطاط بضم الغين ضرب من الطير قال الأصمعى الغطاط بفتح الغين ضرب من الطير وأنشد لحسان بن ثابت

يغشون حتى ماتهرّ كلابهم * لايسألون عن الغطاط المقبل

بفتح الغين قال والغُطاط بضم الغين اختلاط الضوء بالظلمة من آخر الليل قال الراجز

قام الى أدماء في الغطاط * يمشى بمثل قائم الفسطاط

﴿تم التفسير﴾ قال فقام اليه عمير بن ضابئ التميمى ثم الحنظلى فقال أصلح الله الأمير أنا فى هذا البعث وأنا شيخ كبير عليل وهذا ابنى وهو أشب منى قال ومن أنت قال عمير بن ضابئ التميمى قال أسمعت كلامنا بالأمس قال نعم قال ألست الذى غزا أمير المؤمنين عثمان قال بلى قال وما حملك على ذلك قال كان حبس أبى وكان شيخا كبيرا فاتى أوليس يقول

هَمَمْتُ ولَمْ أفعلْ وكِدتُ ولَيْتَنِي * تَرَكْتُ على عثمانَ تَبكي حلائلُهْ

انى لأحسب في قتلك صلاح المصرين قم اليه ياحرسي فاضرب عنقه فقام اليه رجل فضرب عنقه وأنهب ماله ويقال ان عنبسة بن سعيد قال للحجاج أتعرف هذا قال لا قال هذا أحد قتلة أمير المؤمنين عثمان فقال الحجاج ياعدو الله أفلا الى أمير المؤمنين بعثت بديلا ثم أمر بضرب عنقه وأمر مناديا فنادى الا ان عمير بن ضابئ أتى بعد ثالثة وقد كان سمع النداء فأمرنا بقتله ألا فان ذمة الله بريئة ممن بات الليلة من جند المهلب فخرج الناس فازدحموا على الجسر وخرجت العرفاء الى المهلب وهو برامهرمز فأخذوا كتبه بالموافاة فقال المهلب قدم العراق اليوم رجل ذكر اليوم قوتل العدو قال ابن أبي عبيدة في حديثه فعبر الجسر تلك الليلة أربعة آلاف من مذحج فقال المهلب قدم العراق رجل ذكر قال عمر عن أبي الحسن قال لما قرأ عليهم كتاب عبد الملك قال القارئ أما بعد سلام عليكم فاني أحمد اليكم الله فقال له اقطع ياعبيد العصا أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا يرد رادٌ منكم السلام هذا أدب ابن نهية أما والله لأؤدبنكم غير هذا الادب ابدأ بالكتاب فلما بلغ الى قوله أما بعد سلام عليكم لم يبق منهم أحد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله * قال عمر حدثني عبد الملك بن شيبان بن عبد الملك بن مسمع قال حدثني عمرو بن سعيد قال لما قدم الحجاج الكوفة خطبهم فقال انكم قد أخللتم بعسكر المهلب فلا يصبهن بعد ثالثة من جنده أحدٌ فلما كان بعد ثالثة أتى رجل يستدمي فقال من بك قال عمير بن ضابئ البرجمي أمرته بالخروج الى معسكره فضربني وكذب عليه فأرسل الحجاج الى عمير بن ضابئ فأتي به شيخا كبيرا فقال له ما خلفك عن معسكرك قال أنا شيخ كبير لا حراك بي فأرسلت ابني بديلا فهو أجلد مني جلدا وأحدث مني سنا فسل عما أقول لك فان كنت صادقا والا فعاقبني قال فقال عنبسة بن سعيد هذا الذي أتى عثمان قتيلا فلطم وجهه ووثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه فأمر به الحجاج فضربت عنقه قال عمرو بن سعيد فوالله اني لأسير بين الكوفة والحيرة اذ سمعت رجزا مضريا فعدلت اليهم فقلت ما الخبر فقالوا قدم علينا رجل من شر أحياء العرب من هذا الحي من ثمود أسقف الساقين ممسوح الجاعرتين أخفش العينين فقدم سيد الحي عمير بن ضابئ فضرب عنقه ولما قتل الحجاج عمير بن ضابئ لقي ابراهيم بن عامر أحد بني غاضرة من بني أسد عبد الله بن الزبير في السوق فسأله عن الخبر فقال ابن الزبير

أقولُ لابراهيمَ لمَّا لقيتُهُ * أرى الامرَ أمسَى مُنصبًّا متشعبّا

تجهَّزْ وأسرِعْ والحقِ الجيشَ لا أرى * سوى الجيشِ الا في المهالكِ مذهبا

تخيَّرْ فاما أن تزورَ ابنَ ضابئٍ * عميرًا وإما أن تزورَ المُهلبا

هما خُطتا كرهٍ نجاؤكَ منهما * ركوبُكَ حوليًّا من الثلج أشهبا

فمال ولو كانت خُراسانُ دُونَهُ * رآها مَكانَ السُّوقِ أوْ هِيَ أقْرَبا
فكأن ترى من مُكرِهِ العَدْوِ مُسْمِنٍ * تحَمَّمَ حِنْوَ السَّرْجِ حتى تَحَنَّبا

وكان قدوم الحجاج الكوفة فيما قيل فى شهر رمضان من هذه السنة فوجّه الحكم بن أيوب الثقفى على البصرة أميرا وأمره أن يشتد على خالد بن عبد الله فلما بلغ خالدا الخبر خرج من البصرة قبل أن يدخلها الحكم فنزل الجلحاء وشيّعه أهل البصرة فلم يَبْرَحْ مُصلّاه حتى قسم فيهم ألف ألف ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة عبد الملك بن مروان حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر ووفد يحيى بن الحكم فى هذه السنة على عبد الملك بن مروان واستخلف على عمله بالمدينة أبان بن عثمان وأمر عبد الملك يحيى بن الحكم أن يقرّ على عمله على ما كان عليه بالمدينة وعلى الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف وعلى خراسان أمية بن عبد الله وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة زُرارة بن أوْفى ﴿وفى هذه السنة﴾ خرج الحجاج من الكوفة الى البصرة واستخلف على الكوفة أبا يَعْفُور عروة بن المغيرة بن شعبة فلم يزل عليها حتى رجع اليها بعد وقعة رُستقباذ ﴿وفى هذه السنة﴾ ثار الناس بالحجاج بالبصرة

﴿ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به﴾

* ذكر هشام عن أبى مخنف عن أبى زهير العبسى قال خرج الحجاج بن يوسف من الكوفة بعد ما قدمها وقتل ابن ضابئ من فوره ذلك حتى قدم البصرة فقام فيها بخطبة مثل الذى قام بها فى أهل الكوفة وتوعّدهم مثل وعيده اياهم فأتى برجل من بنى يَشْكُر فقيل هذا عاص فقال انّى بَرِىء فتقا وقد رآه بِشْرٌ فعذرنى وهذا عطائى مردود فى بيت المال فلم يقبل منه وقتله ففزع لذلك أهل البصرة فخرجوا حتى تداكّوا على العارض بقَنْطَرة رامهرمز فقال المهلب جاء الناس رجل ذكر وخرج الحجاج حتى نزل رُستقباذ فى أول شعبان سنة ٧٥ فثار الناس بالحجاج عليهم عبد الله بن الجارود فقتل عبد الله بن الجارود وبعث بثمانية عشر رأسا فنُصبت برامهرمز للناس فاشتدت ظهور المسلمين وساء ذلك الخوارج وقد كانوا رجوا أن يكون من الناس فرقة واختلاف فانصرف الحجاج الى البصرة وكان سبب أمر عبد الله بن الجارود ان الحجاج لما ندب الناس الى اللحاق بالمهلب بالبصرة فشخصوا سارا الحجاج حتى نزل رُستقباذ قريبا من دَسْتَوَى فى آخر شعبان ومعه وجوه أهل البصرة وكان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخا فقام فى الناس فقال ان الزيادة التى زادكم ابن الزبير فى أعطياتكم زيادة فاسق منافق ولست أجيزها فقام اليه عبد الله بن الجارود العبدى فقال انها ليست بزيادة فاسق منافق ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتها لنا فكذّبه وتوعّده فخرج ابن الجارود على الحجاج وتابعه وجوه الناس فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل ابن الجارود

وجماعة

وجماعة من أصحابه وبعث برأسه ورؤس عشرة من أصحابه الى المهلب وانصرف الى البصرة وكتب الى المهلب والى عبد الرحمن بن مخنف أما بعد اذا اتاكم كتابى هذا فانهضوا الخوارج والسلام ﴿وفى هذه السنة﴾ نفى المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز

﴿ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهم في هذه السنة﴾

﴿ذكر هشام﴾ عن أبى مخنف عن أبى زهير العبسى قال ناهض المهلب وابن مخنف الأزارقة برامهرمز بكتاب الحجاج اليهما لعشر بقين من شعبان يوم الاثنين سنة ٧٥ فأجلوهم عن رامهرمز من غير قتال شديد ولكنهم زحفوا اليهم حتى أزالوهم وخرج القوم كانهم على حامية حتى نزلوا سابور بارض منها يقال لها كازرون وسار المهلب وعبد الرحمن بن مخنف حتى نزلوا بهم فى أول رمضان فخندق المهلب عليه فذكر أهل البصرة ان المهلب قال لعبد الرحمن بن مخنف ان رأيت أن تخندق عليك فافعل وان أصحاب عبد الرحمن أبوا عليه وقالوا انما خندقنا سيوفنا وان الخوارج زحفوا الى المهلب ليلا ليبيتوه فوجدوه قد أخذ حذره فمالوا نحو عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه لم يخندق فقاتلوه فانهزم عنه أصحابه فنزل فقاتل في أناس من أصحابه فقتل وقتلوا حوله فقال شاعرهم

لمن العسكرُ المكلَّلُ بالصرْ * عى فهم بين ميتٍ وقتيلِ
فتراهم تسفى الرياح عليهم * حاصبَ الرَّمْل بعد جر الذيولِ

وأما أهل الكوفة فانهم ذكروا ان كتاب الحجاج بن يوسف أتى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف أن ناهضا الخوارج حين يأتيكما كتابى فناهضاهم يوم الأربعاء لعشر بقين من رمضان سنة ٧٥ واقتتلوا قتالا شديدا لم يكن بينهم فيما مضى قتال كان أشد منه وذلك بعد الظهر فمالت الخوارج بحدّها على المهلب بن أبى صفرة فاضطرّوه الى عسكره فسرّح الى عبد الرحمن رجالا من صلحاء الناس فأتوه فقالوا ان المهلب يقول لك انما عدوّنا واحد وقد ترى ما قد لقى المسلمون فأمدّ اخوانك يرحمك الله فأخذ يُمدّه بالخيل بعد الخيل والرجال بعد الرجال فلما كان بعد العصر ورأت الخوارج ما يجئ من عسكر عبد الرحمن من الخيل والرجال الى عسكر المهلب ظنوا أن قد خف أصحابه فجعلوا خمس كتائب أو ستا تجاه عسكر المهلب وانصرفوا بحدهم وجمعهم الى عبد الرحمن بن مخنف فلما رآهم قد صمدوا له نزل ونزل معه القرّاء عليهم أبو الاحوص صاحب عبد الله بن مسعود وخزيمة بن نصر أبو نصر بن خزيمة العبسى الذى قتل مع زيد بن علىّ وصُلب معه بالكوفة ونزل معه من خاصة قومه احد وسبعون رجلا وحملت عليهم الخوارج فقاتلتهم قتالا شديدا ثم ان الناس انكشفوا عنه فبقى في عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه الى المهلب فنادى فى الناس ليتّبعوه الى أبيه فلم يتبعه الا الناس قليل فجاء حتى اذا دنا من أبيه حالت الخوارج بينه وبين أبيه فقاتل

حتى ارتثته الخوارج وقاتل عبد الرحمن بن مخنف ومن معه على تل مشرف حتى ذهب نحو من ثلثي الليل ثم قتل فى تلك العصابة فلما أصبحوا جاء المهلب حتى أتاه فدفنه وصلى عليه وكتب بمصابه الى الحجاج فكتب بذلك الحجاج الى عبد الملك بن مروان فنعى عبد الرحمن بمنى وذم أهل الكوفة وبعث الحجاج على عسكر عبد الرحمن بن مخنف عتاب بن ورقاء وأمره اذا ضمتهما الحرب أن يسمع للمهلب ويطيع فساءه ذلك فلم يجد بدا من طاعة الحجاج ولم يقدر على مراجعته فجاء حتى أقام فى ذلك العسكر وقاتل الخوارج وأمره الى المهلب وهو فى ذلك يقضى أموره ولا يكاد يستشير المهلب فى شيء فلما رأى ذلك المهلب اصطنع رجالا من أهل الكوفة فيهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة فأغراهم بعتاب (قال أبو مخنف) عن يوسف بن يزيد ان عتابا أتى المهلب يسأله أن يرزق أصحابه فأجلسه المهلب معه على مجلسه قال فسأله أن يرزق أصحابه سؤالا فيه علظة وتجهم قال فقال له المهلب وإنك لهنا يا ابن اللخناء فبنو تميم يزعمون انه ردّ عليه وأما يوسف بن يزيد وغيره فيزعمون انه قال والله انها لمعمة مخولة ولوددت ان الله فرق بيني وبينك قال فجرى بينهما الكلام حتى ذهب المهلب ليرفع القضيب عليه فوثب عليه ابنه المغيرة فقبض على القضيب وقال أصلح الله الأمير شيخ من أشياخ العرب وشريف من أشرافهم ان سمعت منه بعض ما تكرهه فاحتمله له فانه لذلك منك أهل ففعل وقام عتاب فرجع من عنده واستقبله بسطام بن مصقلة يشتمه ويقع فيه * فلما رأى ذلك كتب الى الحجاج يشكو اليه المهلب ويخبره انه قد أغرى به سفهاء أهل المصر ويسأله أن يضمه اليه فوافق ذلك من الحجاج حاجة اليه فيما لقى أشراف الكوفة من شبيب فبعث اليه أن اقدم واترك أمر ذلك الجيش الى المهلب فبعث المهلب عليه حبيب بن المهلب وقال حميد بن مسلم يرثى عبد الرحمن بن مخنف

ان يقتلوك أبا حكيم غدوة * فلقد تشدّ وتقتل الأبطالا
أو يشكلوا سيد المسوّد * سمح الخليقة ماجدا مفضالا
فلمثل قتلك هدّ قومك كلهم * من كان يحمل عنهم الاثقالا
من كان يكشف غرمهم وقتالهم * يوما اذا كان القتال نزالا
أقسمت ما نيلت مقاتل نفسه * حتى تدرّع من دم سربالا
وتناجز الأبطال تحت لوائه * بالمشرفية في الأكف نصالا
يوما طويلا ثم آخر ليلهم * حين استبانوا في السماء هلالا
وتكشفت عنه الصفوف وخيله * فهناك نالته الرماح فمالا

وقال سراقة بن مرداس البارقى

أعينىّ جودا بالدموع السواكب * وكونا كواهى شنة معراكب

على الأزد لما أن أصيب سراتهم * فنوحا لعيش بعد ذلك خائب
نرجّى الخلود بعدهم وتعوقنا * عوائق موت أو قراع الكتائب
وكنا بخير قبل قتل ابن مخنف * وكلّ امرئ يوما لبعض المذاهب
أما رد موع الشيب من أهل مصره * وعجّل فى الشبّان شبّ الذوائب
وقاتل حتى مات أكرم ميتة * وخرّ على حدّ كريم وحاجب
وضارب عنه المارقين عصابة * من الأزد تمشى بالسيوف القواضب
فلا ولدت أنثى ولا آب غائب * الى أهله إن كان ليس بآيب
فيا عينى ابكى مخنفا وابن مخنف * وفرسان قومى قصرة وأقاربى

وقال سراقة أيضا يرثى عبد الرحمن بن مخنف

ثوى سيد الأزدين أزد شنوءة * وأزد عمان رهن رمس بكازر
وضارب حتى مات أكرم ميتة * بأبيض صاف كالعقيقة باتر
وصرّع حول التل تحت لوائه * كرام المساعى من كرام المعاشر
قضى نحبه يوم اللقاء ابن مخنف * وأدبر عنه كلّ ألوث دائر
أمدّ فلم يمدد فراح مشمرا * الى الله لم يذهب بأثواب غادر

وأقام المهلب بسابور يقاتلهم نحوا من سنة ﴿وفى هذه السنة﴾ تحرّك صالح بن مسرّح أحد بنى امرئ القيس وكان يرى رأى الصفرية وقيل انه أوّل من خرج من الصفرية

﴿ذكر الخبر عن تحرك صالح للخروج وما كان منه فى هذه السنة﴾

ذكر ان صالح بن مسرح أحد بنى امرئ القيس حج سنة ٧٥ ومعه شبيب بن يزيد وسويد والبطين وأشباههم وحجّ فى هذه السنة عبد الملك بن مروان فهمّ شبيب بالفتك به وبلغه ذلك من خبرهم فكتب الى الحجاج بعد انصرافه يأمره بطلبهم وكان صالح يأتى الكوفة فيقيم بها الشهر ونحوه فيأتى أصحابه ليعدهم فتثبت بصالح الكوفة لما طلبه الحجاج فتنكبها

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين ﴾

﴿ذكر الكائن من الأحداث فيها﴾

فمن ذلك خروج صالح بن مسرح

﴿ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرح وعن سبب خروجه﴾

وكان سبب خروجه فيما ذكر هشام عن أبى مخنف عن عبد الله بن علقمة عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمى ان صالح بن مسرّح التميمى كان رجلا ناسكا مجتهدا مصفرّ الوجه صاحب عبادة وانه كان بدارا وأرض الموصل والجزيرة له أصحاب يقرئهم القرآن ويفقههم ويقصّ

عليهم فكان قبيصة بن عبد الرحمن حدث أصحابنا ان قصص صالح بن مسرح عنده وكان ممن يرى رأيهم فسألوه أن يبعث بالكتاب اليهم ففعل وكان قصصه الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اللهم انا لانعدل بك ولا نحفد الا اليك ولا نعبد الا اياك لك الخلق والأمر ومنك النفع والضر واليك المصير ونشهد ان محمدا عبدك الذى اصطفيته ورسولك الذى اخترته وارتضيته لتبليغ رسالاتك ونصيحة عبادك ونشهد انه قد بلغ الرسالة ونصح للأمة ودعا الى الحق وقام بالقسط ونصر الدين وجاهد المشركين حتى توفاه الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بتقوى الله والزهد في الدنيا والرغبة فى الآخرة وكثرة ذكر الموت وفراق الفاسقين وحب المؤمنين فان الزهادة في الدنيا ترغب العبد فيما عند الله وتفرغ بدنه لطاعة الله وان كثرة ذكر الموت يخيف العبد من ربه حتى يجأره اليه ويستكين له وان فراق الفاسقين حق على المؤمنين قال الله فى كتابه ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون وان حب المؤمنين للسبب الذى ينال به كرامة الله ورحمته وجنته جعلنا الله وإياكم من الصادقين الصابرين ألا ان من نعمة الله على المؤمنين ان بعث فيهم رسولا من أنفسهم فعلمهم الكتاب والحكمة وزكاهم وطهرهم ووفقهم فى دينهم وكان بالمؤمنين رؤفا رحيما حتى قبضه الله صلوات الله عليه ثم ولى الأمر من بعده التقى الصديق على الرضى من المسلمين فاقتدى بهديه واستن بسنته حتى لحق بالله رحمه الله واستخلف عمر فولاه الله أمر هذه الرعية فعمل بكتاب الله وأحيا سنة رسول الله ولم يخنق فى الحق على جرته ولم يخف فى الله لومة لائم حتى لحق به رحمة الله عليه وولى المسلمين من بعده عثمان فاستأثر بالفيء وعطل الحدود وجار في الحكم واستذل المؤمن وعز المجرم فسار اليه المسلمون فقتلوه فبرئ الله منه ورسوله وصالح المؤمنين وولى أمر الناس من بعده علي بن أبي طالب فلم ينشب ان حكم في أمر الله الرجال وشك في أهل الضلال وركن وأدهن فمن الناس من علي وأشياعه براء فتيسروا رحمكم الله لجهاد هذه الأحزاب المتحزبة وأئمة الضلال الظلمة والخروج من دار الفناء الى دار البقاء واللحاق باخواننا المؤمنين الموقنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة وأنفقوا أموالهم التماس رضوان الله فى العاقبة ولا تجزعوا من القتل فى الله فان القتل أيسر من الموت والموت نازل بكم غير ما ترجمُ الظنون ففرق بينكم وبين آبائكم وأبنائكم وحلائلكم ودنياكم وان اشتد لذلك كرهكم وجزعكم ألا فبيعوا الله أنفسكم طائعين وأموالكم تدخلوا الجنة آمنين وتعانقوا الحور العين جعلنا الله وإياكم من الشاكرين الذاكرين الذين يهدون بالحق وبه يعدلون (قال أبو مخنف) فحدثني عبد الله بن علقمة قال بينا أصحاب صالح يختلفون اليه اذ قال لهم ذات يوم ما أدرى ما تنتظرون وحتى متى أنتم مقيمون هذا الجور قد فشا وهذا

العدل قد عفا ولا تزداد هذه الولاة على الناس الا غلوا وعتوا وتباعدا عن الحق وجرأة على الرب فاستعدوا وابعثوا الى اخوانكم الذين يريدون من انكار الباطل والدعاء الى الحق مثل الذى تريدون فيأتوكم فنلتقى ونتظر فيما نحن صانعون وفى أى وقت ان خرجنا نحن خارجون قال فتراسل أصحاب صالح وتلاقوا فى ذلك فبيناهم فى ذلك اذ قدم عليهم المحلل بن وائل اليشكرى بكتاب من شبيب الى صالح بن مسرح أما بعد فقد علمت انك كنت أردت الشخوص وقد كنت دعوتنى الى ذلك فاستجبت لك فإن كان ذلك اليوم من شأنك فأنت شيخ المسلمين ولن نعدل بك منا أحدا وان أردت تأخير ذلك اليوم أعلمتنى فان الآجال غادية ورائحة ولا آمن أن تخترمنى المنية ولما أجاهد الظالمين فيالله غبنا ويالله فضلا متر وكا جعلنا الله وإياك ممن يريد بعمله الله ورضوانه والنظر الى وجهه ومرافقة الصالحين فى دار السلام والسلام عليك قال فلما قدم على صالح المحلل بن وائل بذلك الكتاب من شبيب كتب اليه صالح أما بعد فقد كان كتابك وخبرك أبطأ عنى حتى أهمنى ذلك ثم ان أمراء من المسلمين نبأنى بنبإ مخرجك ومقدمك فحمدت الله على قضاء ربنا وقد قدم على رسولك بكتابك فكل ما فيه قد فهمته ونحن فى جهاز واستعداد للخروج ولم يمنعنى من الخروج الا انتظارك فأقبل اليناثم اخرج بنا متى ما أحببت فانك ممن لا يستغنى عن رأيه ولا تقضى دونه الأمور والسلام عليك * فلما قدم على شبيب كتابه بعث الى نفر من أصحابه فجمعهم اليه منهم أخوه مصاد بن يزيد بن نعيم والمحلل بن وائل اليشكرى والصقر بن حاتم من بنى تيم بن شيبان وابراهيم بن حجر أبو الصقير من بنى محلم والفضل بن عامر من بنى ذهل بن شيبان ثم خرج حتى قدم على صالح بن مسرح بدارا فلما لقيه قال اخرج بنا رحمك الله فوالله ما تزداد السنة الا دروسا ولا يزداد المجرمون الا طغيانا فبث صالح رسله فى أصحابه وواعدهم الخروج فى هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ٧٦ فاجتمع بعضهم الى بعض وتهيأوا وتيسر والخروج فى تلك الليلة واجتمعوا جميعا عنده فى تلك الليلة ليعاده (قال أبو مخنف) فحدثنى فروة بن لقيط الأزدى قال والله انى لمع شبيب بالمدائن اذ حدثنا عن مخرجهم قال لما هممنا بالخروج اجتمعنا الى صالح بن مسرح ليلة خرج فكان رأيى استعراض الناس لما رأيت من المنكر والعدوان والفساد فى الأرض فقمت اليه فقلت يا أمير المؤمنين كيف ترى فى السيرة فى هؤلاء الظلمة أنقتلهم قبل الدعاء أم ندعوهم قبل القتال وسأخبرك برأيى فيهم قبل أن تخبرنى فيهم برأيك أما أنا فأرى أن نقتل كل من لا يرى رأينا قريبا كان أو بعيدا فانا نخرج على قوم غاوين طاغين باغين قد تركوا أمر الله واستحوذ عليهم الشيطان فقال لا بل ندعوهم فلعمرى لا يجيبك الا من يرى رأيك وليقاتلنك من يزرى عليك والدعاء أقطع لحجتهم وأبلغ فى الحجة عليهم قال فقلت له فكيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به ما تقول

فى دمائهم وأموالهم فقال ان قتلنا وغنمنا فلنا وان تجاوزنا وعفونا فوسع علينا ولنا قال فأحسن القول وأصاب رحمة الله عليه وعلينا (قال أبو مخنف) فحدثنى رجل من بنى محلم ان صالح بن مسرح قال لأصحابه ليلة خرج اتقوا الله عباد الله ولا تعجلوا الى قتال أحد من الناس الان يكونوا قوما يريدونكم وينصبون لكم فانكم انما خرجتم غضبا لله حيث انتهكت محارمه وعصى فى الارض فسفكت الدماء بغير حلها وأخذت الأموال بغير حقها فلا تعيبوا على قوم أعمالا تم تعملوا بها فان كل ما أتم عاملون أتم عنه مسؤلون وإن عظمكم رجالة وهذه دواب لمحمد بن مروان فى هذا الرستاق فابدؤا بها فشدوا عليها فاحملوا أرجلكم وتقووا بها على عدوكم فخرجوا فأخذوا تلك الليلة الدواب فحملوا رجالتهم عليها وصارت رجالتهم فرسانا وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة وتحصن منهم أهل دارا وأهل نصيبين وأهل سنجار وخرج صالح ليلة خرج فى مائة وعشرين وقيل فى مائة وعشرة قال وبلغ مخرجهم محمد بن مروان وهو يومئذ أمير الجزيرة فاستخف بأمرهم وبعث اليهم عدى بن عدى بن عمير من بنى الحارث بن معاوية بن ثور فى خمسمائة فقال له أصلح الله الأمير أتبعثنى الى رأس الخوارج منذ عشرين سنة قد خرج معه رجال من ربيعة قد سموا لى كانوا يعازونا الرجل منهم خير من مائة فارس فى خمسمائة رجل قال له فإنى أزيدك خمسمائة أخرى فسرح اليهم فى ألف فسار من حران فى ألف رجل فكان أول جيش سار الى صالح وسار اليه عدى وكأنما يساق الى الموت وكان عدى رجلا يتنسك فأقبل حتى اذا نزل دوغان نزل بالناس وسرح الى صالح بن مسرح رجلا دسه اليه من بنى خالد من بنى الورثة يقال له زياد ابن عبد الله فقال ان عديا يبعثنى اليك يسألك ان تخرج من هذا البلد وتأتى بلدا آخر فتقاتل أهله فإن عديا للقائك كاره فقال له صالح ارجع اليه فقال له ان كنت ترى رأينا فأرنا من ذلك ما نعرف ثم نحن مدلجون عنك من هذا البلد الى غيره وإن كنت على رأى الجبابرة وأئمة السوء رأينا رأينا فان شئنا بدأنا بك وإن شئنا رحلنا الى غيرك فانصرف اليه الرسول فأبلغه ما أرسل به فقال له ارجع اليه فقل له انى والله ما أنا على رأيك ولكنى أكره قتالك وقتال غيرك فقاتل غيرى فقال صالح لأصحابه اركبوا فركبوا وحبس الرجل عنده حتى خرجوا ثم تركه ومضى بأصحابه حتى يأتى عدى بن عدى بن عمير فى سوق ذوغان وهو قائم يصلى الضحى فلم يشعر الا والخيل طالعة عليهم فلما بصروا بها تنادوا وجعل صالح شبيبا فى كتيبة فى ميمنة أصحابه وبعث سويد بن سليم الهندى من بنى شيبان فى كتيبة فى مسيرة أصحابه ووقف هو فى كتيبة فى القلب فلما دنا منهم رآهم على غير تعبية وبعضهم يجول فى بعض فأمر شبيبا فحمل عليهم ثم حمل سويد عليهم فكانت هزيمتهم ولم يقاتلوا وأتى عدى بن عدى بدابته وهو يصلى فركبها ومضى على وجهه وجاء صالح بن مسرح حتى نزل عسكره

وحوى ما فيه وذهب فلّ عدىّ وأوائل أصحابه حتى دخلوا على محمد بن مروان فغضب ثم دعا خالد بن جزء السلمى فبعثه في ألف وخمسمائة ودعا الحارث بن جعونة من بنى ربيعة ابن عامر بن صعصعة فبعثه في ألف وخمسمائة ودعاهما فقال أخرجا الى هذه الخارجة القليلة الخبيثة وعجّلا الخروج وأغذّا السير فأيكما سبق فهو الأمير على صاحبه فخرجا من عنده فأغذا السير وجعلا يسألان عن صالح بن مسرّح فيقال لهما انه توجه نحو آمد فأتبعاه حتى انتهيا اليه وقد نزل على أهل آمد فنزلا ليلا فخندقا وانتهيا اليه وهما متساندان كلّ واحد منهما في أصحابه على حدته فوجّه صالح شبيبا الى الحارث بن جعونة العامرىّ في شطر أصحابه وتوجّه هو نحو خالد بن جزء السلمىّ (قال أبو مخنف) فحدّثنى المجلمىّ قال انتهوا الينا في أوّل وقت العصر فصلى بنا صالح العصر ثم عبّانا لهم فاقتتلنا كأشدّ قتال اقتتله قوم قطّ وجعلنا والله نرى الظفر يحمل الرجل منا على العشرة منهم فيهزمهم وعلى العشرين فكذلك وجعلت خيلهم لا تثبت لخيلنا * فلما رأى أميراهم ذلك ترجلا وأمرا جلّ من معهما فترجّل فعند ذلك جعلنا لا نقدر منهم على الذى نريد اذا حملنا عليهم استقبلتنا رجّالتهم بالرماح ونضحتنا رماتهم بالنبل وخيلهم تطاردنا في خلال ذلك فقاتلناهم الى المساء حتى حال الليل بيننا وبينهم وقد أفشوا فينا الجراحة وأفشيناها فيهم ووالله ما أمسينا حتى كرهناهم وكرهونا وقد قتلوا منا نحوا من ثلاثين رجلا وقتلنا منهم أكثر من سبعين فوقفنا مقابلهم ما يقدمون علينا وما نقدم عليهم فلما أمسوا رجعوا الى عسكرهم ورجعنا الى عسكرنا فصلينا وترّحنا وأكلنا من الكسر ثم إن صالحا دعا شبيبا ورؤس أصحابه فقال يا أخلائى ماذا ترون فقال شبيب أرى انا قد لقينا هؤلاء القوم فقاتلناهم وقد اعتصموا بخندقهم فلا أرى أن نقيم عليهم فقال صالح وأنا أرى ذلك فخرجوا من تحت ليلتهم سائرين فمضوا حتى قطعوا أرض الجزيرة ثم دخلوا أرض الموصل فساروا فيها حتى قطعوها ومضوا حتى قطعوا الدسكرة * فلما بلغ ذلك الحجاج سرّح اليهم الحارث بن عميرة بن ذى المشعار الهمدانىّ في ثلاثة آلاف رجل من أهل الكوفة ألف من المقاتلة الأولى والفين من الفرض الذى فرض لهم الحجاج فساروا حتى اذا دنا من الدسكرة خرج صالح بن مسرّح نحو جلولاء وخانقين وأتبعه الحارث بن عميرة حتى انتهى الى قرية يقال لها المدبّج من أرض الموصل على تخوم ما بينها وبين أرض جوخى وصالح يومئذ في تسعين رجلا فعبّى الحارث بن عميرة يومئذ أصحابه وجعل على ميمنته أبا الرواع الشاكرىّ وعلى ميسرته الزبير بن الأروح التميمى ثم شدّ عليهم وذلك بعد العصر وقد جعل صالح أصحابه ثلاثة كراديس فهو في كردوس وشبيب في كردوس في ميمنته وسويد بن سليم في كردوس في الميسرة في كلّ كردوس منهم ثلاثون رجلا * فلما شدّ عليهم الحارث بن عميرة في جماعة أصحابه انكشف سويد بن سليم وثبت صالح بن مسرّح فقتل وضارب شبيب حتى صرع عن فرسه فوقع في رجالة فشدّ

عليهم فانكشفوا فجاء حتى انتهى الى موقف صالح بن مسرح فأصابه قتيلا فنادى الى يامعشر المسلمين فلاذوا به فقال لأصحابه ليجعل كل واحد منكم ظهره الى ظهر صاحبه وليطاعن عدوه اذا أقدم عليه حتى ندخل هذا الحصن ونرى رأينا ففعلوا ذلك حتى دخلوا الحصن وهم سبعون رجلا بشبيب وأحاط بهم الحارث بن عميرة ممسيا وقال لأصحابه أحرقوا الباب فاذا صار جمرا فدعوه فانهم لا يقدرون على أن يخرجوا منه حتى نصبحهم فنقتلهم ففعلوا ذلك بالباب ثم انصرفوا الى عسكرهم فأشرف شبيب عليهم وطائفة من أصحابه فقال بعض أولئك الفرض يابنى الزوانى ألم يخزكم الله فقالوا يافساق نعم تقاتلوننا القتالنا ايا كم اذ عمكم الله عن الحق الذى نحن عليه فما عذركم عند الله في الفرى على أمهاتنا فقال لهم حلماؤهم انما هذا من قول شباب فينا سفهاء والله مايعجبنا قولهم ولا نستحله وقال شبيب لأصحابه ياهؤلاء ماتنتظرون فوالله لئن صبحكم هؤلاء غدوة إنه لهلاككم فقالوا له مرنا بأمرك فقال لهم إن الليل أخفى للويل يا يعونى أو من شئتم منكم ثم أخرجوا بنا حتى نشد عليهم فى عسكرهم فإنهم لذلك منكم آمنون وأنا أرجو أن ينصركم الله عليهم قالوا فابسط يدك فلنبايعك فبايعوه ثم جاؤا اليخرجوا وقد صار بابهم جمرا فأتوا باللبود فبلوها بالماء ثم ألقوها على الجمر ثم قطعوا عليها فلم يشعر الحارث بن عميرة ولا أهل العسكر الا وشبيب وأصحابه يضربونهم بالسيوف في جوف عسكرهم فضارب الحارث حتى صرع واحتمله أصحابه وانهزموا وخلوا لهم العسكر ومافيه ومضوا حتى نزلوا المدائن فكان ذلك الجيش أول جيش هزمه شبيب وأصيب صالح بن مسرح يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الاولى من سنته ﴿وفى هذه السنة﴾ دخل شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة

﴿ذكر الخبر عن دخوله الكوفة وما كان من أمره وأمر الحجاج بها والسبب الذى دعا شبيبا الى ذلك﴾

وكان السبب فى ذلك فيما ذكر هشام عن أبى مخنف عن عبد الله بن علقمة عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمى ان شبيبا لما قتل صالح بن مسرح بالمدبج وبايعه أصحاب صالح ارتفع الى أرض الموصل فلقى سلامة بن سيار بن المضاء التيمى ثم شيبان فدعاه الى الخروج معه وكان يعرفه قبل ذلك اذ كان في الديوان والمغازى فاشترط عليه سلامة أن ينتخب ثلاثين فارسا ثم لا يغيب عنه الا ثلاث ليال عددا ففعل فانتخب ثلاثين فارسا فانطلق بهم نحو عنزة وإنما أرادهم ليشفى نفسه منهم لقتلهم أخاه فضالة وذلك أن فضالة كان خرج قبل ذلك فى ثمانية عشر نفسا حتى نزل ماء يقال له الشجرة من أرض الجال عليه أثلة عظيمة وعليه عنزة * فلما رأته عنزة قال بعضهم لبعض نقتلهم ثم نغدو بهم الى الأمير فنعطى ونحظى فأجمعوا على ذلك فقالت بنو نصر اخواله لعمر الله لانساعدكم على قتل ولدنا فنهضت عنزة اليهم فقاتلوهم

فقتلوهم

فقتلوهم وأتوا برؤسهم عبد الملك بن مروان فلذلك أنزلهم بانقيا وفرض لهم ولم تكن لهم فرائض قبل ذلك الا قليلة فقال سلامة بن سيار أخو فضالة يذكر قتل أخيه وخذلان أخواله اياه

وَمَا خَابَتْ أَخْوَالُ الفَتَى يُسْلِمُونَهُ * لِوَقْعِ السِّلَاحِ قَبْلَ مَا فَعَلَتْ نَصْرُ

قال وكان خروج أخيه فضالة قبل خروج صالح بن مسرح وشبيب * فلما بايع سلامة شبيبا اشترط عليه هذا الشرط فخرج في ثلاثين فارسا حتى انتهى الى عنزة فجعل يقتل المحلة منهم بعد المحلة حتى انتهى الى فريق منهم فيهم خالته وقد أكبت على ابن لها وهو غلام حين احتلم فقالت وأخرجت ثديها اليه أنشدك برحم هذا يا سلامة فقال لا والله ما رأيت فضالة مذ أناخ بعمر الشجرة يعني أخاه لتقومن عنه أولأجمعن جافتك بالرمح فقامت عن ابنها عند ذلك فقتله (قال أبو مخنف) فحدثني المفضل بن بكر من بني تيم بن شيبان ان شبيبا أقبل في أصحابه نحو راذان فلما سمعت به طائفة من بني تيم بن شيبان خرجوا هرابا منه ومعهم ناس من غيرهم قليل فأقبلوا حتى نزلوا دير خرزاد الى جنب حولايا وهم نحو من ثلاثة آلاف وشبيب في نحو من سبعين رجلا أو يزيدون قليلا فنزل بهم فهابوه وتحصنوا منه ثم ان شبيبا سرى في اثني عشر فارسا من أصحابه الى أمه وكانت في سفح ساتيدما نازلة في مظلة من مظال الأعراب فقال لا تين بأمي فلأجعلنها في عسكري فلا تفارقني أبدا حتى أموت أو تموت وخرج رجلان من بني تيم بن شيبان تخوفا على أنفسهما فنزلا من الدير فلحقا بجماعة من قومهما وهم نزول بالجال منهم على مسيرة ساعة من النهار وخرج شبيب في أولئك الرهط في أولهم وهم اثنا عشر يريد أمه بالسفح فإذا هو بجماعة من بني تيم بن شيبان غارين في أموالهم مقيمين لا يرون ان شبيبا يمر بهم لمكانهم الذي هم به ولا يشعر بهم فحمل عليهم في فرسانه تلك فقتل منهم ثلاثين شيخا فيهم حوثرة بن أسد وو برة بن عاصم اللذان كانا نزلا من الدير فلحقا بالجال ومضى شبيب الى أمه فحملها من السفح فأقبل بها وأشرف رجل من أصحاب الدير من بكر بن وائل على أصحاب شبيب وقد استخلف شبيب أخاه على أصحابه مصاد بن يزيد ويقال لذلك الرجل الذي أشرف عليهم سلام بن حيان فقال لهم يا قوم القرآن بيننا وبينكم ألم تسمعوا قول الله وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه قالوا بلى قال لهم فكفوا عنا حتى نصبح ثم نخرج اليكم على أمان لنا منكم لكيلا تعرضوا لنا بشيء نكرهه حتى تعرضوا علينا أمركم هذا فإن نحن قبلناه حرمت عليكم أموالنا ودماؤنا وكنا لكم اخوانا وإن نحن لم نقبله رددتمونا الى مأمننا ثم رأيتم رأيكم فيما بيننا وبينكم قالوا لهم فهذا لكم * فلما أصبحوا خرجوا اليهم فعرض عليهم أصحاب شبيب قولهم ووصفوا لهم أمرهم فقبلوا ذلك كله وخالطوهم ونزلوا اليهم فدخل بعضهم الى بعض

وجاء شبيب وقد اصطلحوا فأخبره أصحابه خبرهم فقال أصبتم ووفقتم وأحسنتم ثم ان شبيبا ارتحل فخرجت معه طائفة وأقامت طائفة جانحة وخرج يومئذ معه ابراهيم بن حجر المحلمي أبو الصقير كان مع بني تيم بن شيبان نازلا فيهم ومضى شبيب في أدانى أرض الموصل وتخوم أرض جوخى ثم ارتفع نحو آذربيجان وأقبل سفيان بن أبي العالية الخثعمي في خيل قد كان أمر أن يدخل بها طبرستان فأمر بالقفول فأقبل راجعا في نحو من ألف فارس فصالح صاحب طبرستان (قال أبو مخنف) فحدثني عبد الله بن علقمة الخثعمي ان كتاب الحجاج أتاه أما بعد فسر حتى تنزل الدسكرة فمن معك ثم أقم حتى يأتيك جيش الحارث بن عميرة الهمداني بن ذي المشعار وهو الذي قتل صالح بن مسرح وخيل المناظر ثم سر الى شبيب حتى تناجزه * فلما أتاه الكتاب أقبل حتى نزل الدسكرة ونودي في جيش الحارث بن عميرة بالكوفة والمدائن ان برئت الذمة من رجل من جيش الحارث بن عميرة لم يواف سفيان بن أبي العالية بالدسكرة قال فخرجوا حتى أتوه وأتته خيل المناظر وكانوا خمسمائة عليهم سورة ابن أبجر التميمي من بني أبان بن دارم فوافوه الا نحوا من خمسين رجلا تخلفوا عنه وبعث الى سفيان بن أبي العالية أن لا تبرح العسكر حتى آتيك فعجل سفيان فارتحل في طلب شبيب فلحقه بخانقين في سفح جبل فجعل على ميمنته خازم بن سفيان الخثعمي من بني عمرو ابن شهران وعلى ميسرته عدي بن عميرة الشيباني وأصحر لهم شبيب ثم ارتفع عنهم حتى كأنه يكره لقاءه وقد أكمن له أخاه مصادا معه خمسون في هزم من الأرض فلما رأوه جمع أصحابه ثم مضى في سفح الجبل مشرفا فقالوا هرب عدو الله فاتبعوه فقال لهم عدي بن عميرة الشيباني أيها الناس لا تعجلوا عليهم حتى نضرب في الارض ونسير بها فان يكونوا قد أكمنوا لنا كمينا كنا قد حذرناه والا فإن طلبهم لن يفوتنا فلم يسمع منه الناس وأسرعوا في آثارهم * فلما رأى شبيب انهم قد جازوا الكمين عطف عليهم * ولما رأى الكمين أن قد جازوهم خرجوا اليهم فحمل عليهم شبيب من أمامهم وصاح بهم الكمين من ورائهم فلم يقاتلهم أحد وكانت الهزيمة فثبت ابن أبي العالية في نحو من مائتي رجل فقاتلهم قتالا شديدا حسنا حتى ظن انه انتصف من شبيب وأصحابه فقال سويد بن سليم لاصحابه أمنكم أحد يعرف أمير القوم ابن أبي العالية فوالله لئن عرفته لأجهدن نفسي في قتله فقال شبيب أنا من أعرف الناس به أما ترى صاحب الفرس الاغر الذي دونه المرامية فإنه ذلك فإن كنت تريده فأمهله قليلا ثم قال ياقعنب أخرج في عشرين فأتهم من ورائهم فخرج قعنب في عشرين فارتفع عليهم * فلما رأوه يريد أن يأتيهم من ورائهم جعلوا يتقضون ويتسللون وحمل سويد بن سليم على سفيان ابن أبي العالية فطاعنه فلم تصنع رماحهما شيأ ثم اضطربا بسيفيهما ثم اعتنق كل منهما صاحبه فوقعا الى الارض يعتركان ثم تحاجزا وحمل عليهم شبيب فانكشفوا وأتى سفيان غلام له

يقال

يقال له غزوان فنزل عن برذونه وقال اركب يا مولاى فركب سفيان وأحاط به أصحاب شبيب فقاتل دونه غزوان فقتل وكانت معه رايته وأقبل سفيان بن أبى العالية حتى انتهى الى بابل مهرُوذ فنزل بها وكتب الى الحجاج أما بعد فانى أخبر الامير أصلحه الله انى اتبعت هذه المارقة حتى لحقتهم بخانقين فقاتلتهم فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم فبينا نحن كذلك اذ أتاهم قوم كانوا غيّبا عنهم فحملوا على الناس فهزموهم فنزلت فى رجال من أهل الدين والصبر فقاتلتهم حتى خررت بين القتلى فحملت مرتثا فأتى بى بابل مهروذ فها أنا بها والجند الذين وجههم الى الأمير وافوا الاسورة بن أبجر فانه لم يأتنى ولم يشهد معى حتى اذا ما نزلت بابل مهروذ أتانى يقول مالا أعرف ويعتذر بغير العذر والسلام * فلما قرأ الحجاج الكتاب قال من صنع كما صنع هذا وأبلى كما أبلى فقد أحسن ثم كتب اليه أما بعد فقد أحسنت البلاء وقضيت الذى عليك فاذا خف عنك الوجع فأقبل مأجورا الى أهلك والسلام وكتب الى سورة بن أبجر أما بعد فيا ابن أم سورة ما كنت خليقا ان تجترئ على ترك عهدى وخذلان جندى فاذا أتاك كتابى فابعث رجلا ممن معك صليبا الى الخيل التى بالمدائن فلينتخب منهم خمسمائة رجل ثم ليقدم بهم علىك ثم سر بهم حتى تلقى هذه المارقة واحزم فى أمرك وكد عدوك فان أفضل أمر الحرب حسن المكيدة والسلام * فلما أتى سورة كتاب الحجاج بعث عدى بن عُمير الى المدائن وكان بها ألف فارس فانتخب منهم خمسمائة ثم دخل على عبد الله بن أبى عُصَيفير وهو أمير المدائن امارته الاولى فسلم عليه فأجازه بألف درهم وحمله على فرس وكساه أثوابا ثم انه خرج من عنده فأقبل بأصحابه حتى قدم بهم على سورة بن أبجر ببابل مهروذ فخرج فى طلب شبيب وشبيب يجول فى جوخى وسورة فى طلبه فجاء شبيب حتى انتهى الى المدائن فتحصن منه أهل المدائن وتحرّزوا وهى أبنية المدائن الاولى فدخل المدائن فأصاب بها دواب جند كثيرة فقتل من ظهر له ولم يدخلوا البيوت فأتى فقيل له هذا سورة بن أبجر قد أقبل اليك فخرج فى أصحابه حتى انتهى الى النهروان فنزلوا به وتوضؤا وصلوا ثم أتوا مصارع اخوانهم الذين قتلهم علىّ بن أبى طالب عليه السلام فاستغفروا لاخوانهم وتبرؤا من علىّ وأصحابه وبكوا فأطالوا البكاء ثم خرجوا فقطعوا جسر النهروان فنزلوا من جانبه الشرقى وجاء سورة حتى نزل بقطرانا وجاءته عيونه فأخبرته بمنزل شبيب بالنهروان فدعا رؤس أصحابه فقال انهم قلما يُلقون مُصحرين أو على ظهر الا انتصفوا منكم وظهروا عليكم وقد حُدّثت انهم لا يزيدون على مائة رجل الا قليلا وقد رأيت أن أنتخبكم فأسير فى ثلثمائة رجل منكم من أقويائكم وشجعانكم فآتيهم الآن اذ هم آمنون لبياتكم فوالله انى لارجو أن يصرعهم الله مصارع اخوانهم الذين صُرعوا منهم بالنهروان من قبل فقالوا اصنع ما أحببت فاستعمل على عسكره حازم بن

قدامة الخثعمي وانتخب من أصحابه ثلاثمائة رجل من أهل القوة والجلد والشجاعة ثم أقبل بهم نحو النهر وان وبات شبيب وقد أذكى الحرس فلما دنا أصحاب سورة منهم نذروا بهم فاستوا على خيولهم وتعبوا تعبيتهم * فلما انتهى اليهم سورة وأصحابه أصابوهم قد حذروا واستعدوا فحمل عليهم سورة وأصحابه فثبتوا لهم وضاربوهم حتى صدعنهم سورة وأصحابه ثم صاح شبيب بأصحابه فحمل عليهم حتى تركوا له العرضة وحملوا عليهم معه وجعل شبيب يضرب ويقول

من ينك العير ينك نيكا * جند لتان اصطكتا اصطكاكا

فرجع سورة الى عسكره وقد هزم الفرسان وأهل القوة فحمل بهم حتى أقبل بهم نحو المدائن فدفع اليهم وقد تحمل وتعدى الطريق الذى فيه شبيب واتبعه شبيب وهو يرجو أن يلحقه فيصيب عسكره ويصيب بهزيمته أهل العسكر فأغذ السير في طلبهم فانتهوا الى المدائن فدخلوها وجاء شبيب حتى انتهى الى بيوت المدائن فدفع اليهم وقد دخل الناس وخرج ابن أبي عصيفير في أهل المدائن فرماهم الناس بالنبل ورموا من فوق البيوت بالحجارة فارتفع شبيب بأصحابه عن المدائن فرّ على كلواذا فأصاب بها دوابّ كثيرة للحجاج فأخذها ثم خرج يسير في أرض جوخى ثم مضى نحو تكريت فبيناذاك الجند في المدائن اذ أرجف الناس بينهم فقالوا هذا شبيب قد دنا وهو يريد ان يبيّت أهل المدائن الليلة فارتحل عامة الجند فلحقوا بالكوفة (قال أبو مخنف) وحدثني عبد الله بن علقمة الخثعمي قال والله لقد هربوا من المدائن وقالوا نُبيّتُ الليلةَ وإن شبيبا لبتكريت قال ولما قدم الفل على الحجاج سرّح الجزل بن سعيد بن شرحبيل بن عمرو الكندي (قال أبو مخنف) حدثنا النضر بن صالح العبسي وفضيل بن خديج الكندي ان الحجاج لما أتاه الفل قال قبح الله سورة ضيّع العسكر والجند وخرج بيت الخوارج أما والله لأسوأنه وكان بعد قد حبسه ثم عفى عنه (قال أبو مخنف) وحدثني فضيل بن خديج ان الحجاج دعا الجزل وهو عثمان بن سعيد فقال له تيسّر للخروج الى هذه المارقة فإذا لقيتهم فلا تعجل عجلة الخرق ولا تحجم إحجام الوانى الفرق هل فهمت لله أنت يا أخا بني عمرو بن معاوية فقال نعم أصلح الله الأمير قد فهمت قال له فاخرج فعسكر بدير عبد الرحمن حتى يخرج اليك الناس فقال أصلح الله الأمير لا تبعثنّ معي أحدا من أهل هذا الجند المفلول المهزوم فان الرعب قد دخل قلوبهم وقد خشيت أن لا ينفعك والمسلمين منهم أحد قال له فإن ذلك لك ولا أراك الا قد أحسنت الرأى ووفقت ثم دعا أصحاب الدواوين فقال اضربوا على الناس البعث فأخرجوا أربعة آلاف من الناس من كل ربع ألف رجل وأعجلوا اذاك فجمعت العرفاء وجلس أصحاب الدواوين وضربوا البعث فأخرجوا أربعة آلاف فأمرهم بالعسكر فعسكروا ثم نودى فيهم بالرحيل ثم ارتحلوا

ونادى منادى الحجاج أن برئت الذمة من رجل أصبناه من هذا البعث متخلفا قال فمضى الجزل بن سعيد وقد قدم بين يديه عياض بن أبى لينة الكندى على مقدمته فخرج حتى أتى المدائن فأقام بها ثلاثا وبعث اليه ابن أبى عصيفير بفرس وبرذون وبغلين وألفى درهم ووضع للناس من الجزر والعلف ما كفاهم ثلاثة أيام حتى ارتحلوا فأصاب الناس ماشاؤا من تلك الجزر والعلف الذى وضع لهم ابن أبى عصيفير ثم ان الجزل بن سعيد خرج بالناس فى أثر شبيب فطلبه فى أرض جوخى فجعل شبيب يُريه الهيبة فيخرج من رستاق الى رستاق ومن طسوج الى طسوج ولا يقيم له ارادة أن يفرّق الجزل أصحابه ويتعجّل اليه فيلقاه فى يسير من الناس على غير تعبية فجعل الجزل لا يسير الا على تعبية ولا ينزل الا خندق على نفسه خندقا فلما طال ذلك على شبيب أمر أصحابه ذات ليلة فسروا (قال أبو مخنف) فحدّثنى فروة بن لقيط ان شبيبا دعانا ونحن بدير بيرما ستون ومائة رجل فجعل على كلّ أربعين من أصحابه رجلا وهو فى أربعين وجعل أخاه مصادا فى أربعين وبعث سويد بن سُليم فى أربعين وبعث المحلل بن وائل فى أربعين وقد أتته عيونه فأخبرته ان الجزل بن سعيد قد نزل دير يزدجرد قال فدعانا عند ذلك فعبّانا هذه التعبية وأمرنا فعلقنا على دوابنا وقال لنا تيسروا فاذا قضمت دوابكم فاركبوا وليسر كل امرئ منكم مع أميره الذى أمرناه عليه ولينظر كل امرئ منكم ما يأمره أميره فليتبعه ودعا أمراءنا فقال لهم انى أريد أن أبيّت هذا العسكر الليلة ثم قال لأخيه مصاد آتهم فارتفع من فوقهم حتى تأتيهم من ورائهم من قبل حلوان وساتيهم أنا من امامى من قبل الكوفة وأتهم أنت يا سويد من قبل المشرق وأتهم أنت يا محلل من قبل المغرب وليلج كل امرئ منكم على الجانب الذى يحمل عليه ولا تقلعوا عنهم تحملون وتكرّون عليهم وتصيحون بهم حتى يأتيكم أمرى فلم نزل على تلك التعبية وكنت أنا فى الأربعين الذين كانوا معه حتى اذا قضمت دوابنا وذلك أول الليل أول ما هدأت العيون خرجنا حتى انتهينا الى دير الخرارة فاذا القوم مسلحة عليهم عياض بن أبى لينة فما هو الا ان انتهينا اليهم فحمل عليهم مصاد أخو شبيب فى أربعين رجلا وكان امام شبيب وقد كان أراد أن يسبق شبيبا حتى يرتفع عليهم ويأتيهم من ورائهم كما أمره * فلما لقى هؤلاء قاتلهم فصبروا ساعة وقاتلوهم ثم انادفعنا اليهم جميعا فحملنا عليهم فهزمناهم وأخذوا الطريق الأعظم وليس بينهم وبين عسكرهم بدير يزدجرد الا قريب من ميل فقال لنا شبيب اركبوا معاشر المسلمين أكتافهم حتى تدخلوا معهم عسكرهم ان استطعتم فأتبعناهم والله ملظين بهم ملحين عليهم ما نُرفه عنهم وهم منهزمون مالهم همة الا عسكرهم فانتهوا الى عسكرهم ومنعهم أصحابهم أن يدخلوا عليهم ورشقونا بالنبل وكانت عيون لهم قد أتتهم فأخبرتهم بمكاننا وكان الجزل قد خندق عليه وتحرّز ووضع هذه المسلحة الذين لقيناهم بدير الخرارة ووضع

مسلحة أخرى مما يلي حلوان على الطريق فلما ان دفعنا الى هذه المسلحة التي كانت بدير الحرارة فألحقناهم بعسكر جماعتهم رجعت المسالح الأخر حتى اجتمعت ومنعها أهل العسكر دخول العسكر وقالوا لهم قاتلوا وانضحوا عنكم بالنبل (قال أبو مخنف) وحدثني جرير بن الحسين الكندي قال كان على المسلحتين الاخرتين عاصم بن حجر على التي تلي حلوان وواصل بن الحارث السكوني على الأخرى فلما ان اجتمعت المسالح جعل شبيب يحمل عليها حتى اضطرها الى الخندق ورشقهم أهل العسكر بالنبل حتى ردوهم عنهم فلما رأى شبيب انه لا يصل اليهم قال لأصحابه سيروا ودعوهم فمضى على الطريق نحو حلوان حتى اذا كان قريبا من موضع قباب حسين بن زفر من بني بدر بن فزارة وانما كانت قباب حسين بن زفر بعد ذلك قال لأصحابه انزلوا فأقضموا وأصلحوا نبلكم وتروحوا وصلوا ركعتين ثم اركبوا فنزلوا ففعلوا ذلك ثم انه أقبل بهم راجعا الى عسكر أهل الكوفة أيضا وقال سيروا على تعبيتكم التي عبأتكم عليها بدير بير ما أول الليل ثم أطيفوا بعسكرهم كما أمرتكم فأقبلوا فأقبلنا معه وقد أدخل أهل العسكر مسالحهم اليهم وقد أمنونا فما شعروا حتى سمعوا وقع حوافر خيولنا قريبا منهم فانتهينا اليهم قبيل الصبح فأحطنا بعسكرهم ثم صحنا بهم من كل جانب فإذا هم يقاتلوننا من كل جانب ويرموننا بالنبل ثم ان شبيبا بعث الى أخيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أن أقبل الينا وخل لهم سبيل الطريق الى الكوفة فأقبل اليه وترك ذلك الوجه وجعلنا نقاتلهم من تلك الوجوه الثلاثة حتى أصبحنا فأصبحنا ولم نستفل منهم شيأ فسرنا وتركناهم فجعلوا يصيحون بنا أين يا كلاب النار أين أيتها العصابة المارقة أصبحوا فاخرج اليكم فارتفعنا عنهم نحوا من ميل ونصف ثم نزلنا فصلينا الغداة ثم أخذنا الطريق على براز الروز ثم مضينا الى جرجرايا ومايليها فأقبلوا في طلبنا (قال أبو مخنف) فحدثني مولى لنا يدعى غاضرة أو قيصر قال كنت مع الناس تاجراوهم في طلب الحرورية وعلينا الجزل بن سعيد فجعل يتبعهم فلا يسير الا على تعبية ولا ينزل الا على خندق وكان شبيب يدعه ويضرب في أرض جوخى وغيرها يكسر الخراج وطال ذلك على الحجاج فكتب اليه كتابا فقرئ على الناس أما بعد فإني بعثتك في فرسان أهل المصر ووجوه الناس وأمرتك باتباع هذه المارقة الضالة المضلة حتى تلقاها فلا تقلع عنها حتى تقتلها وتفنيها فوجدت التعريس في القرى والتغييم في الخنادق أهون عليك من المضي لما أمرتك به من مناهضتهم ومناجزتهم والسلام فقرئ الكتاب علينا ونحن بقطرانا وديرأبي مريم فشق ذلك على الجزل وأمر الناس بالسير فخرجوا في طلب الخوارج جادين وأرجفنا بأمير نا وقلنا يعزل (قال أبو مخنف) فحدثني اسماعيل بن نعيم الهمداني ثم البرسمي ان الحجاج بعث سعيد بن المجالد على ذلك الجيش وعهد اليه ان لقيت المارقة فازحف اليهم ولا تناظرهم ولا تطاولهم

وواقفهم واستعن بالله عليهم ولا تصنع صنيع الجزل واطلبهم طلب السبع وحد عنهم حيدان الضبع وأقبل الجزل في طلب شبيب حتى انتهوا الى النهروان فأدركوه فلزم عسكره وخندق عليه وجاءاليه سعيد بن المجالد حتى دخل عسكر أهل الكوفة أميرا فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة انكم قد عجزتم ووهنتم وأغضبتم عليكم أميركم أنتم في طلب هذه الاعاريب العجف منذ شهرين وهم قد خربوا بلادكم وكسروا خراجكم وأنتم حاذرون في جوف هذه الخنادق لا ترايلونها الا ان يبلغكم أنهم قد ارتحلوا عنكم ونزلوا بلدا سوى بلدكم اخرجوا على اسم الله اليهم فخرج وأخرج الناس معه وجمع اليه خيول أهل العسكر فقال له الجزل ما تريد ان تصنع قال اريد ان أقدم على شبيب في هذه الخيل فقال له الجزل أقم أنت في جماعة الجيش فارسهم وراجلهم وأصحر له فوالله ليقدمن عليك فلا تفرق أصحابك فان ذلك شر لهم وخير لك فقال له قف أنت في الصف فقال يا سعيد بن مجالد ليس لي فيما صنعت رأي أنا برئ من رأيك هذا سمع الله ومن حضر من المسلمين فقال هو رأيي ان أصبت فالله وفقني له وان يكن غير صواب فأنتم منه براء قال فوقف الجزل في صف أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق وجعل على ميمنتهم عياض بن أبي لينة السكندي وعلى ميسرتهم عبد الرحمن بن عوف أبا حميد الرواسي ووقف الجزل في جماعتهم واستقدم سعيد بن مجالد فخرج وأخرج الناس معه وقد أخذ شبيب الى براز الروزفنزل قطيطيا وأمر دهقانها ان يشتري لهم ما يصلحهم ويتغدى لهم غداء ففعل ودخل مدينة قطيطيا وأمر بالباب فأغلق فلم يفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد بن مجالد في أهل ذلك العسكر فصعد الدهقان السور فنظر الى الجند مقبلين قد دنوا من حصنه فنزل وقد تغير لونه فقال له شبيب مالي أراك متغير اللون فقال له الدهقان قد جاءتك الجنود من كل ناحية قال لا بأس هل أدرك غداؤنا قال نعم قال فقربه وقد أغلق الباب وأتى بالغداء فتغدى وتوضأ وصلى ركعتين ثم دعا ببغل له فركبه ثم انهم اجتمعوا على باب المدينة فأمر بالباب ففتح ثم خرج على بغله فحمل عليهم وقال لا حكم الا لله الحكيم الحكيم أنا أبو مدله انبتوا ان شئتم وجعل سعيد يجمع قومه وخيله ثم يدلفها في أثره ويقول ما هؤلاء انما هم أكلة رأس فلما رآهم شبيب قد تقطعوا وانتشروا لف خيله كلها ثم جمعها ثم قال استعرضوهم استعراضا وانظروا الى أميرهم فوالله لأقتلنه أو يقتلني وحمل عليهم مستعرضا لهم فهزمهم وثبت سعيد بن المجالد ثم نادى أصحابه الي الي أنا ابن ذي مران وأخذ قلنسوته فوضعها على قربوس سرجه وحمل عليه شبيب فعممه بالسيف فخالط دماغه فخر ميتا وانهزم ذلك الجيش وقتلوا كل قتلة حتى انتهوا الى الجزل ونزل الجزل ونادى أيها الناس الى وناداهم عياض بن أبي لينة أيها الناس ان كان أميركم القادم قد هلك فأميركم الميمون النقيبة المبارك حي لم يمت فقاتل الجزل قتالا شديدا حتى حمل من بين القتلى فحمل الى المدائن مرتثا وقدم فل أهل ذلك

العسكر الكوفة وكان من أشد الناس بلاء يومئذ خالد بن نهيك من بني ذهل بن معاوية وعياض بن أبي لينة حتى استنقذاه وهو مرتث هذا حديث طائفة من الناس والحديث الآخر قتالهم فيما بين دير أبي مريم الى براز الروز ثم ان الجزل كتب الى الحجاج قال وأقبل شبيب حتى قطع دجلة عند السكرخ وبعث الى سوق بغداذ فآمنهم وذلك اليوم يوم سوقهم وكان بلغه انهم يخافونه فأحب ان يؤمنهم وكان أصحابه يريدون ان يشتروا من السوق دواب وثيابا وأشياء ليس لهم منها بد ثم أخذ بهم نحو الكوفة وساروا أول الليل حتى نزلوا عقر الملك الذي يلي قصر ابن هبيرة ثم اغذ السير من الغد فبات بين حمام عمر بن سعد وبين قبين فلما بلغ الحجاج مكانه بعث الى سويد بن عبد الرحمن السعدي فبعثه في ألفي فارس نقاوة وقال له اخرج الى شبيب فالقه واجعل ميمنة وميسرة ثم انزل اليه في الرجال فإن استطرد لك فدعه ولا تتبعه فخرج فعسكر بالسبخة فبلغه ان شبيبا قد أقبل فأقبل نحوه وكأنما يساقون الى الموت وأمر الحجاج عثمان بن قطن فعسكر بالناس بالسبخة ونادى ألا برئت الذمة من رجل من هذا الجند بات الليلة بالكوفة لم يخرج الى عثمان بن قطن بالسبخة وأمر سويد بن عبد الرحمن ان يسير في الألفين اللذين معه حتى يلقى شبيبا فمر بأصحابه الى زرارة وهو يعبئهم ويحرضهم اذ قيل له قد غشيك شبيب فنزل ونزل معه جل أصحابه وقدم رايته ومضى الى أقصى زرارة فأخبر ان شبيبا قد أخبر بمكانك فتركك ووجه مخاضة فعبر الفرات وهو يريد الكوفة من غير الوجه الذي أنت به ثم قيل له أمامك اهم فنادى في أصحابه فركبوا في آثارهم وان شبيبا أتى دار الرزق فنزلها فقيل له ان أهل الكوفة بأجمعهم معسكرون بالسبخة فلما بلغهم مكان شبيب صاح بعضهم ببعض وجالوا وهموا ان يدخلوا الكوفة حتى قيل لهم ان سويد بن عبد الرحمن في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم في الخيل (قال هشام) وأخبرني عمر بن بشير قال لما نزل شبيب الدير أمر بغنم تهيأ له فصعد الدهقان ثم نزل وقد تغير لونه فقال مالك قال قد والله جاءك جمع كثير قال أبلغ الشواء بعد قال لا قال دعه قال ثم أشرف اشرافة أخرى فقال قد والله أحاطوا بالجوسق قال هات شواءك فجعل يأكل غير مكترث لهم فلما فرغ توضأ وصلى بأصحابه الأولى ثم تقلد سيفين بعد ما لبس درعه وأخذ عمود حديد ثم قال اسرجوا البغلة فقال أخوه مصاد أفي هذا اليوم تسرج بغلة قال نعم اسرجوها فركبها ثم قال يا فلان أنت على الميمنة وأنت يا فلان على الميسرة وقال لمصاد أنت في القلب وأمر الدهقان ففتح الباب في وجوههم قال فخرج اليهم وهو يحكم فجعل سعيد وأصحابه يرجعون القهقرى حتى صار بينهم وبين الدير نحو من ميل قال وجعل سعيد يقول يا معشر همدان أنا ابن ذي مران الى الى ووجه سربا مع ابنه وقد أحس أنها تكون عليه فنظر شبيب الى مصاد فقال أثكلنيك الله ان لم أثكله ولده قال ثم علاه بالعمود فسقط ميتا وانهزم أصحابه وما قتل بينهم يومئذ الا قتيل واحد قال

وانكشف أصحاب سعيد بن مجالد حتى أتوا الجزل فناداهم الجزل أيها الناس الى الى فناداهم عياض بن أبي لينة أيها الناس ان يكن أميركم هذا القادم قد هلك فهذا أميركم الميمون النقيبة أقبلوا اليه وقاتلوا معه فنهم من أقبل اليه ومنهم من ركب رأسه منهزما وقاتل الجزل قتالا شديدا حتى صرع وقاتل عنه خالد بن نهيك وعياض بن أبي لينة حتى استنقذاه وهو مرتث وأقبل الناس منهزمين حتى دخلوا الكوفة فأتى بالجزل حتى أدخل المدائن وكتب الى الحجاج بن يوسف * قال أبو مخنف حدثني بذلك ثابت مولى زهير أما بعد فاني أخبر الأمير أصلحه الله اني خرجت فيمن قبلي من الجند الذي وجهني فيه الى عدوه وقد كنت حفظت عهد الاميرالي فيهم ورأيه فكنت أخرج اليهم اذا رأيت الفرصة وأحبس الناس عنهم اذا خشيت الورطة فلم أزل كذلك ولقد أرادني العدو بكل ارادة فلم يصب مني غرة حتى قدم علي سعيد بن مجالد رحمة الله عليه ولقد أمرته بالتؤدة ونهيته عن العجلة وأمرته ان لا يقاتلهم الا في جماعة الناس عامة فعصاني وتعجل اليهم في الخيل فأشهدت عليه أهل المصر اني بريء من رأيه الذي رأى واني لا أهوى ما صنع فمضى فأصيب تجاوز الله عنه ودفع الناس الي فنزلت ودعوتهم الي ورفعت لهم رايتي وقاتلت حتى صرعت فحملني أصحابي من بين القتلى فما أفقت الا وأنا على أيديهم على رأس ميل من المعركة فأنا اليوم بالمدائن في جراحة قد يموت الرجل من دونها ويعافى من مثلها فليسأل الأمير أصلحه الله عن نصيحتي له ولجنده وعن مكايدتي عدوه وعن موقفي يوم البأس فانه يستبين له عند ذلك أني قد صدقته ونصحت له والسلام فكتب اليه الحجاج أما بعد فقد أتاني كتابك وقرأته وفهمت كل ما ذكرت فيه وقد صدقتك في كل ما وصفت به نفسك من نصيحتك لأميرك وحيطتك على أهل مصرك وشدتك على عدوك وقد فهمت ما ذكرت من أمر سعيد وعجلته الى عدوه فقد رضيت عجلته وتؤدتك فأما عجلته فانها أفضت به الى الجنة وأما تؤدتك فانها لم تدع الفرصة اذا أمكنت وترك الفرصة اذا لم تمكن حزم وقد أصبت وأحسنت البلاء وأجرت وأنت عندي من أهل السمع والطاعة والنصيحة وقد أشخصت اليك حيان بن أبجر ليداويك ويعالج جراحتك وبعثت اليك بألفي درهم فانفقها في حاجتك وما ينوبك والسلام فقدم عليه حيان بن أبجر الكناني من بني فراس وهم يعالجون الكلى وغيره فكان يداويه وبعث اليه عبد الله بن أبي عصيفير بألف درهم وكان يعوده ويتعاهده باللطف والهدية قال وأقبل شبيب نحو المدائن فعلم انه لا سبيل له الى أهلها مع المدينة فأقبل حتى انتهى الى الكرخ فعبر دجلة اليه وبعث الى أهل سوق بغداذ وهو بالكرخ أن اثبتوا في سوقكم فلا بأس عليكم وكان ذلك يوم سوقهم وقد كان بلغه انهم يخافونه قال ويخرج سويد حتى جعل بيوت مزينة وبني سليم في ظهره وظهر أصحابه وحمل عليهم شبيب حملة منكرة وذلك عند المساء فلم يقدر منهم على شيء فأخذ على بيوت الكوفة نحو

الحيرة وأتبعه سويد لا يفارقه حتى قطع بيوت الكوفة كلها الى الحيرة وأتبعه سويد حتى انتهى الى الحيرة فبعده قد قطع قنطرة الحيرة ذاهبا فتركه وأقام حتى أصبح وبعث اليه الحجاج أن أتبعه فأتبعه ومضى شبيب حتى أغار في أسفل الفرات على من وجد من قومه وارتفع في البر من وراء خفان في أرض يقال لها الغلظة فيصيب رجالا من بني الورثة فحمل عليهم فاضطرهم الى جدد من الأرض فجعلوا يرمونه وأصحابه بالحجارة من حجارة الأرحاء كانت حولهم فلما نفدت وصل اليهم فقتل منهم ثلاثة عشر رجلا منهم حنظلة بن مالك ومالك بن حنظلة وحمران ابن مالك كلهم من بني الورثة (قال أبو مخنف) حدثني بذلك عطاء بن عرفجة بن زياد بن عبد الله الورثي ومضى شبيب حتى يأتي بني أبيه على اللصف ماء لرهطه وعلى ذلك الماء الفزر ابن الاسود وهو أحد بني الصلت وهو الذي كان ينهى شبيبا عن رأيه وأن يفسد بني عمه وقومه فكان شبيب يقول والله لئن ملكت سبعة أعنة لأغزون الفزر فلما غشيهم شبيب في الخيل سأل عن الفزر فاتقاه الفزر فخرج على فرس لتجار من وراء البيوت فذهب عليها في الأرض وهرب منه الرجال ورجع وقد أخاف أهل البادية حتى أخذ على القطقطانة ثم على قصر مقاتل ثم أخذ على شاطئ الفرات حتى أخذ على الحصاصة ثم على الأنبار ثم مضى حتى دخل دقوفاء ثم ارتفع الى أدنى آذربيجان فتركه الحجاج وخرج الى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فما شعر الناس بشيء حتى جاء كتاب من ماذر واسبدهقان بابل مهروذ وعظيمها الى عروة بن المغيرة بن شعبة ان تاجرا من تجار الأنبار من أهل بلادي أتاني فذكر ان شبيبا يريد ان يدخل الكوفة في أول هذا الشهر المستقبل أحببت إعلامك ذلك لترى رأيك ثم لم ألبث الا ساعة حتى جاءني جابيان من جبائي فحدثاني انه قد نزل خانيجار فأخذ عروة كتابه فأدرجه وسرح به الى الحجاج بالبصرة فلما قرأه الحجاج أقبل جوادا الى الكوفة وأقبل شبيب يسير حتى انتهى الى قرية يقال لها حربى على شاطئ دجلة فعبر منها فقال ما اسم هذه القرية فقالوا حربى فقال حرب يصلى بها عدوكم وحرب تدخلونه بيوتهم انما يتطير من يقوف ويعيف ثم ضرب رايته وقال لأصحابه سيروا فأقبل حتى نزل عقرقوفا فقال له سويد بن سليم يا أمير المؤمنين لو تحولت بنا من هذه القرية المشؤمة الاسم قال وقد تطيرت أيضا والله لا أتحول عنها حتى أسير الى عدوي منها انما شؤمها ان شاء الله على عدوكم تحملون عليهم فيها فالعقر لهم ثم قال لأصحابه ياهؤلاء ان الحجاج ليس بالكوفة وليس دون الكوفة ان شاء الله شيء فسيروا بنا فخرج يبادر الحجاج الى الكوفة وكتب عروة الى الحجاج ان شبيبا قد أقبل مسرعا يريد الكوفة فالعجل العجل فطوى الحجاج المنازل واستبق الى الكوفة ونزلها الحجاج صلاة الظهر ونزل شبيب السبخة صلاة المغرب فصلى المغرب والعشاء ثم أصاب هو وأصحابه من الطعام شيأ يسيرا ثم ركبوا خيولهم

فدخلوا

فدخلوا الكوفة فجاء شبيب حتى انتهى الى السوق ثم شد حتى ضرب باب القصر بعموده قال أبو المنذر رأيت ضربة شبيب بباب القصر قد أثرت أثرا عظيما ثم أقبل حتى وقف عند المصطبة ثم قال

وكأنّ حافرها بكلّ خميلة * كيلٌ يكيل به بجيعٌ معدمُ
عبدٌ دعيٌّ من ثمودٍ أصله * لا بل يقال أبوأبيهم يقدمُ

ثم اقتحموا المسجد الاعظم وكان كثيرا لا يفارقه قوم يصلون فيه فقتل عقيل بن مصعب الوادعي وعدي بن عمرو الثقفي وأبا الليث بن أبي سليم مولى عنبسة بن أبي سفيان وقتلوا أزهر بن عبد الله العامري ومرّوا بدار حوشب وهو على الشُرط فوقفوا على بابه وقالوا ان الامير يدعو حوشبا فأخرج ميمون غلامه برذون حوشب ليركبه حوشب فكانه أنكرهم فظنوا انه قد اتهمهم فأراد أن يدخل فقالوا له ما أنت حتى يخرج صاحبك فسمع حوشب الكلام فأنكر القوم فخرج اليهم فلما رأى جماعتهم أنكرهم وذهب لينصرف فعجلوا نحوه ودخل وأغلق الباب وقتلوا غلامه ميمونا وأخذوا برذونه ومضوا حتى مروا بالجحاف بن نبيط الشيباني من رهط حوشب فقال له سويد انزل الينا فقال له ما تصنع بنزولي قال له سويد أقضيك ثمن البكرة التي كنت ابتعت منك بالبادية فقال له الجحاف بئس ساعة القضاء هذه الساعة وبئس قضاء الدين هذا المكان أما ذكرت أمانتك الا والليل مظلم وأنت على ظهر فرسك قبح الله يا سويد دينا لا يصلح ولا يتم الا بقتل ذوي القرابة وسفك دماء هذه الامة قال ثم مضوا فمروا بمسجد بني ذُهل فلقوا ذهل بن الحارث وكان يصلي في مسجد قومه فيُطيل الصلاة فصادفوه منصرفا الى منزله فشدوا عليه ليقتلوه فقال اللهم اني أشكو اليك هؤلاء وظلمهم وجهلهم اللهم اني عنهم ضعيف فانتصر لي منهم فضربوه حتى قتلوه ثم مضوا حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو المردمة ﴿قال هشام﴾ قال أبو بكر بن عياش واستقبله النضر بن قعفاع بن شَوْر الذهلي وأمه ناجية بنت هانئ بن قبيصة بن هانئ الشيباني فأبطره حين نظر اليه قال يعني بقوله أبطره أفزعه فقال السلام عليك أيها الامير ورحمة الله قال له سويد مبادرا أمير المؤمنين ويلك فقال أمير المؤمنين حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو المردمة وأمر الحجاج المنادي فنادى يا خيل الله اركبي وابشري وهو فوق باب القصر وثم مصباح مع غلام له قائم فكان أول من جاءه من الناس عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذي الغصة ومعه مواليه وناس من أهله فقال أنا عثمان بن قطن أعلموا الامير مكاني فليأمر بأمره فقال له ذلك الغلام قف مكانك حتى يأتيك أمر الامير وجاء الناس من كل جانب وبات عثمان فيمن اجتمع اليه من الناس حتى أصبح ثم ان الحجاج بعث بشر بن غالب الاسدي من بني والبة في ألفي رجل وزائدة بن قدامة الثقفي في ألفي رجل وأبا الضريس مولى بني تميم في ألف من الموالي

وأعين صاحب حمام أعين مولى بشر بن مروان فى ألف رجل وكان عبد الملك بن مروان قد بعث محمد بن موسى بن طلحة على سجستان وكتب له عليها عهده وكتب الى الحجاج أما بعد فاذا قدم عليك محمد بن موسى فجهز معه ألفى رجل الى سجستان وعجّل سراحه وأمر عبد الملك محمد بن موسى بمكاتبة الحجاج فلما قدم محمد بن موسى جعل يتعبّس فى الجهاز فقال له نصحاؤه تعجّل أيها الامير الى عملك فانك لا تدرى ما يكون من أمر الحجاج وما يبدو له فاقام على حاله وحدث من أمر شبيب ما حدث فقال الحجاج لمحمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله تلقى شبيبا وهذه الخارجة فتجاهدهم ثم تمضى الى عملك وبعث الحجاج مع هؤلاء الامراء أيضا عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز القرشى وزياد بن عمرو العتكى وخرج شبيب حيث خرج من الكوفة فأتى المردمة وبها رجل من حضرموت على العشور يقال له ناجية بن مرثد الحضرمى فدخل الحمام ودخل عليه شبيب فاستخرجه فضرب عنقه واستقبل شبيب النضر بن القعقاع بن شور وكان مع الحجاج حين أقبل من البصرة فلما طوى الحجاج المنازل خلفه وراءه فلما رآه شبيب ومعه أصحابه عرفه فقال له شبيب يا نضر بن القعقاع لا حكم الا لله وانما أراد شبيب بمقالته له تلقينه فلم يفهم النضر فقال انا لله وانا اليه راجعون فقال أصحاب شبيب يا أمير المؤمنين كانك انما تريد بمقالتك أن تلقنه فشدوا على نضر فقتلوه قال واجتمعت تلك الامراء فى أسفل الفرات فترك شبيب الوجه الذى فيه جماعة أولئك القوّاد وأخذ نحو القادسية ووجه الحجاج زحر بن قيس فى جريدة خيل نقاوة ألف وثمانمائة فارس وقال له اتبع شبيبا حتى تواقعه حيثما أدركته الا أن يكون منطلقا ذاهبا فاتركه ما لم يعطف عليك أو ينزل فيقيم لك فلا تبرح ان هو أقام حتى تواقعه فخرج زحر حتى انتهى الى السيلحين وبلغ شبيبا مسيره اليه فأقبل نحوه فالتقيا فجعل زحر على ميمنته عبد الله بن كنّاز النهدى وكان شجاعا وعلى ميسرته عدىّ بن عدىّ بن عميرة الكندى ثم الشيبانى وجمع شبيب خيله كلها كتيبة واحدة ثم اعترض بها الصف فوجف وجيفا واضطرب حتى انتهى الى زحر بن قيس فنزل زحر بن قيس فقاتل زحر حتى صُرع وانهزم أصحابه وظن القوم انهم قد قتلوه فلما كان فى السحر وأصابه البرد قام يمشى حتى دخل قرية فبات بها وحُمل منها الى الكوفة وبوجهه ورأسه بضعة عشر جراحة من بين ضربة وطعنة فمكث أياما ثم أتى الحجاج وعلى وجهه وجراحه القُطن فأجلسه الحجاج معه على السرير وقال لمن حوله من سرّه أن ينظر الى رجل من أهل الجنة يمشى بين الناس وهو شهيد فلينظر الى هذا وقال أصحاب شبيب لشبيب وهم يظنون انهم قد قتلوا زحرا قد هزمنا لهم جندا وقتلنا لهم أميرا من أمرائهم عظيما انصرف بنا الآن وافرين فقال لهم ان قتلناهذا الرجل وهزمناه هذا الجند قد أرعبت هذه الامراء والجنود التى بُعثت فى طلبكم فاقصدوا بنا قصدهم فوالله لئن نحن قتلناهم مادون الحجاج

من شيء وأخذ الكوفة ان شاء الله فقالوا نحن لرأيك سمع تبع ونحن طوع يديك قال فانقض بهم جوادا حتى يأتي نجران وهي نجران الكوفة ناحية عين التمر ثم سأل عن جماعة القوم فخبر باجتماعهم برُوذبار في أسفل الفرات في بهقباذ الاسفل على رأس أربعة وعشرين فرسخا من الكوفة فبلغ الحجاج مسيره اليهم فبعث اليهم عبد الرحمن بن الغرق مولى ابن أبي عقيل وكان على الحجاج كريما فقال له الحق بجماعتهم يعني جماعة الامراء فأعلمهم بمسير المارقة اليهم وقل لهم ان جمعكم قتال فأمير الناس زائدة بن قدامه فأتاهم ابن الغرق فأعلمهم ذلك وانصرف عنهم ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثني عبد الرحمن بن جُندب قال انتهى الينا شبيب وفينا سبعة أمراء على جماعتهم زائدة بن قدامه وقد عبّى كل أمير أصحابه على حدة ففي ميمنتنا زياد بن عمرو العتكي وفي ميسرتنا بشر بن غالب الاسدي وكل أمير واقف في أصحابه فأقبل شبيب حتى وقف على تل فأشرف على الناس وهو على فرس له كُميت أغر فنظر الى تعبيتهم ثم رجع الى أصحابه فأقبل في ثلاث كتائب يوجفون حتى اذا دنا من الناس مضت كتيبة فيها سويد بن سُليم فتقف في ميمنتنا ومضت كتيبة فيها مصاد أخو شبيب فوقفت على ميسرتنا وجاء شبيب في كتيبة حتى وقف مقابل القلب قال وخرج زائدة بن قدامه يسير في الناس فيما بين ميمنتهم الى ميسرتهم يحرّض الناس ويقول يا عباد الله أنتم الكثيرون الطيّبون وقد نزل بكم القليلون الخبيثون فاصبروا جُعلت لكم الفداء الكرّتين أو ثلاث تكرون عليهم ثم هو النصر ليس بينه حاجز ولا دونه شيء ألا ترون اليهم والله ما يكونون مائتي رجل انما هم أكلة رأس انما هم السرّاق المرّاق انما جاؤكم ليهريقوا دماءكم ويأخذوا فيأكم فلا يكونوا على أخذه أقوى منكم على منعه وهم قليل وأنتم كثير وهم أهل فرقة وأنتم أهل جماعة غضّوا الابصار واستقبلوهم بالاسنة ولا تحملوا عليهم حتى آمركم ثم انصرف الى موقفه قال ويحمل سويد بن سليم على زياد بن عمرو فانكشف صفهم وثبت زياد في نحو من نصف أصحابه ثم ارتفع عنهم سويد قليلا ثم كرّ عليهم ثانية ثم اطعنوا ساعة ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثني فروة بن لقيط قال أنا والله فيهم يومئذ قال اطعنا ساعة وصبروا لنا حتى ظننا انهم لن يزولوا وقاتل زياد بن عمرو قتالا شديدا وجعل ينادي ياخيلي ويشد بالسيف فيقاتل قتالا شديدا فلقد رأيت سويد بن سليم يومئذ وانه لاشجع العرب وأشده قتالا وما يعرض له قال ثم انا ارتفعنا عنهم آخرا فاذا هم يتقوّضون فقال له أصحابه ألا تراهم يتقوّضون احمل عليهم فقال لهم شبيب حلوهم حتى يخفّوا فتركوهم قليلا ثم حمل عليهم الثالثة فانهزموا فنظرت الى زياد بن عمرو وانه ليضرب بالسيف وما من سيف يُضرب به الا انبا عنه وهو مجفّف ولقد رأيته اعتوره أكثر من عشرين سيفا فما ضرّه من ذلك شيء ثم انه انهزم وقد جُرح جراحة يسيرة وذلك عند المساء قال ثم شددنا على عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر فهزمناه وما قاتلنا كثير

قتال وقد ضارب ساعة وقد بلغني انه كان جُرح ثم لحق بزياد بن عمرو فضيا منهزمين حتى انتهينا الى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب فقاتلنا قتالا شديدا وصبرنا ﴿ذكر هشام﴾ عن أبي مخنف قال حدثني عبد الرحمن بن جندب وفروة بن لقيط ان أخا شبيب مصادا حمل على بشر بن غالب وهو في الميسرة فأبلى وكرم والله وصبر فنزل ونزل معه رجال من أهل الصبر نحو من خمسين فضاربوا بأسيافهم حتى قتلوا عن آخرهم وكان فيهم عروة بن زهير ابن ناجذ الأزدي وأمه زرارة امرأة ولدت في الأزد فيقال لهم بنو زرارة فلما قتلوه وانهزم أصحابه مالوا فشدوا على أبي الضريس مولى بني تميم وهو يلي بشر بن غالب فهزموه حتى انتهى الى موقف أعين ثم شدوا عليه وعلى أعين جميعا فهزموهما حتى انتهوا بهما الى زائدة ابن قدامة فلما انتهوا اليه نزل ونادى يا أهل الاسلام الأرض الارض الى الى لا يكبوا على كفرهم أصبر منكم على ايمانكم فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر ثم ان شبيبا شد عليه في جماعة من أصحابه فقتله وأصحابه وتركهم ربضة حوله من أهل الحفاظ ﴿قال أبو مخنف﴾ وحدثني عبد الرحمن بن جندب قال سمعت زائدة بن قدامة ليلتئذ رافعا صوته يقول يا أيها الناس اصبروا وصابروا يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ثم والله ما برح يقاتلهم مقبلا غير مدبر حتى قتل ﴿قال أبو مخنف﴾ وحدثني فروة بن لقيط ان أبا الصقر الشيباني ذكر أنه قتل زائدة بن قدامة وقد حاجّه في ذلك آخر يقال له الفضل بن عامر قال ولما قتل شبيب زائدة بن قدامة دخل أبو الضريس وأعين جوسقا عظيما وقال شبيب لاصحابه ارفعوا السيف عن الناس وادعوهم الى البيعة فدعوهم الى البيعة عند الفجر * قال عبد الرحمن بن جندب فكنت فيمن قدم اليه فبايعه وهو واقف على فرس وخيله واقفة دونه فكل من جاء ليبايعه نُزع سيفه عن عاتقه وأخذ سلاحه منه ثم يُدنى من شبيب فيسلم عليه بإمرة المؤمنين ثم يخلى سبيله قال وأنا كذلك اذ انفجر الفجر ومحمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله في أقصى العسكر معه عصابة من أصحابه قد صبروا فلما انفجر الفجر أمر مؤذنه فأذن فلما سمع شبيب الأذان قال ما هذا فقال هذا محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله لم يبرح فقال قد ظننت ان حمقه وخيلاءه سيحمله على هذا نحّوا هؤلاء عنا وانزلوا بنا فلنصل قال فنزل فأذن هو ثم استقدم فصلى بأصحابه فقرأ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ و﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ ثم سلم ثم ركبوا فحمل عليهم فانكشفت طائفة من أصحابه وثبتت طائفة قال فروة فما أنسى قوله وقد غشيناه وهو يقاتل بسيفه وهو يقول الم ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ قال وضارب حتى قتل قال فسمعت أصحابي يقولون ان شبيبا هو الذي قتله ثم انا نزلنا فأخذنا ما كان في العسكر من شيء وهرب الذين كانوا بايعوا شبيبا فلم

يبق منهم أحد وقد ذكر من أمر محمد بن موسى بن طلحة غير أبي مخنف أمرا غير الذى ذكرته عنه والذى ذكر من ذلك ان عبد الملك بن مروان كان ولى محمد بن موسى بن طلحة سجستان فكتب اليه الحجاج انك عامل كل بلد مررت به وهذا شبيب فى طريقك فعجل اليه محمد فأرسل اليه شبيب انك امرؤ مخدوع قد اتقى بك الحجاج وأنت جار لك حق فانطلق لما أمرت به ولك الله لا آذينك فأبى الا محاربته فواقفه شبيب وأعاد اليه الرسول فأبى الا قتاله فدعا البراز فبرز اليه البطين ثم قعنب ثم سويد فأبى الا شبيبا فقالوا لشبيب قد رغب عنا اليك قال فما ظنكم هذه الاشراف فبرز اليه شبيب وقال انى انشدك الله فى دمك فان لك جوارا فأبى الا قتاله فحمل عليه شبيب فضربه بعصا حديد فيها اثنا عشر رطلا بالشامى فهشم بها بيضته على رأسه فسقط ثم كفنه ودفنه وابتاع ما غنموا من عسكره فبعث به الى أهله واعتذر الى أصحابه وقال هو جارى بالكوفة ولى أن أهب ما غنمت لاهل الردة * قال عمر بن شبة قال أبو عبيدة كان محمد بن موسى مع عمر بن عبيد الله بن معمر بفارس وشهد معه قتال أبى فديك وكان على ميمنته وشهر بالنجدة وشدة البأس وزوجه عمر بن عبيد الله بن معمر ابنته أم عثمان وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان فولاه سجستان فمر بالكوفة وبها الحجاج بن يوسف فقيل للحجاج ان صار هذا الى سجستان مع نجدته وصهره لعبد الملك فلجأ اليه أحد ممن تطلب منعك منه قال فما الحيلة قيل تأتيه وتسلم عليه وتذكر نجدته وبأسه وأن شبيبا فى طريقه وانه قد أعياك وأنك ترجو أن يريح الله منه على يده فيكون له ذكر ذلك وشهرته ففعل فعدل اليه محمد بن موسى بن طلحة ابن عبيد الله فواقعه شبيب فقال له شبيب انى قد علمت خداع الحجاج وانما اغترك ووقى بك نفسه وكانى بأصحابك لو قد التقت حلقتا البطان قد أسلموك فصرعت مصرع أصحابك فأطعنى وانطلق لشأنك فانى أنفس بك عن الموت فأبى محمد بن موسى فبارزه شبيب فقتله ﴿ رجع الحديث الى حديث أبى مخنف ﴾ قال عبد الرحمن لقد كان فيمن بايعه تلك الليلة أبو بردة بن أبى موسى الاشعرى فلما بايعه قال له شبيب ألست أبا بردة قال بلى قال شبيب لاصحابه يا أخلائى أبو هذا أحد الحكمين فقالوا ألا نقتل هذا فقال ان هذا لا ذنب له فيما صنع أبوه قالوا أجل قال وأصبح شبيب فأتى مقبلا نحو القصر الذى فيه أبو الضريس وأعين فرموه بالنبل وتحصنا منه فأقام ذلك اليوم عليهم ثم شخص عنهم فقال له أصحابه مادون الكوفة أحد يمنعنا فنظر فاذا أصحابه قد خرجوا فقال لهم ما عليكم أكثر مما قد فعلتم فخرج بهم على نفر ثم على الصراة ثم على بغداذ ثم خرج الى خانيجار فأقام بها قال ولما بلغ الحجاج أن شبيبا قد أخذ نحو نفر ظن انه يريد المدائن وهى باب الكوفة ومن أخذ المدائن كان ما فى يده من أرض الكوفة أكثر فهال ذلك الحجاج وبعث الى عثمان بن قطن

ودعاه وسرّحه الى المدائن وولاه منبرها والصلاة ومعونة جوخى كلها وخراج الاستان فخرج مسرعا حتى نزل المدائن وعزل الحجاج عبد الله بن أبى عصيفير وكان بها الجزل مقيما أشهرا يداوى جراحته وكان ابن أبى عصيفير يعوده ويكرمه فلما قدم عثمان بن قطن المدائن لم يعُده ولم يكن يتعاهده ولا يُلطفه بشئ فقال الجزل اللهم زد ابن عصيفير جودا وكرما وفضلا وزد عثمان بن قطن ضيقا وبخلا قال ثم ان الحجاج دعا عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث فقال له انتخب الناس واخرج فى طلب هذا العدوّ فأمره بنخبة ستة آلاف فانتخب فرسان الناس ووجوههم وأخرج من قومه ستمائة من كندة وحضرموت واستعمله الحجاج بالعسكر فعسكر بدير عبد الرحمن فلما أراد الحجاج اشخاصهم كتب اليهم أما بعد فقد اعتدتم عادة الأذلاء ووليتم الدبر يوم الزحف وذلك دأب الكافرين وإنى قد صفحت عنكم مرّة بعد مرّة ومرة بعد مرة وإنى أقسم لكم بالله قسما صادقا لئن عدتم لذلك لأوقعنّ بكم إيقاعا أكون أشدّ عليكم من هذا العدوّ الذى تهربون منه فى بطون الأودية والشعاب وتستترون منه بأثناء الانهار وألواذ الجبال فخاف من له معقول على نفسه ولم يجعل عليها سبيلا وقد أعذر من أنذر وقد أسمعت لو ناديت حيّا * ولكن لا حياة لمن تنادى والسلام عليكم قال ثم سرّح ابن الأصمّ مؤذّنه فأتى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عند طلوع الشمس فقال له ارتحل الساعة وناد فى الناس أن برئت الذمة عن رجل من هذا البعث وجدناه متخلفا فخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فى الناس حتى مر بالمدائن فنزل بها يوما وليلة ونشرى أصحابه حوائجهم ثم نادى فى الناس بالرحيل فارتحلوا ثم أقبلوا حتى دخل على عثمان بن قطن ثم أتى الجزل فسأله عن جراحته وسأله ساعة وحدثه ثم ان الجزل قال له يا ابن عمّ انك تسير الى فرسان العرب وأبناء الحرب وأحلاس الخيل والله لكأنما خُلقوا من ضلوعها ثم بنوا على ظهورها ثم هم أسد الأجم الفارس منهم أشدّ من مائة ان لم تبدأ به بدأ وإن هُجهج أقدم فإنى قد قاتلتهم وبلوتهم فإذا أصحرت لهم انتصفوا منّى وكان لهم الفضل علىّ واذا خندقت علىّ وقاتلتهم فى مضيق نلت منهم بعض ما أحبّ وكان لى عليهم الظفر فلا تلقهم وأنت تستطيع الا فى تعبية أو فى خندق ثم انه ودّعه فقال له الجزل هذه فرسى الفسيفساء خذها فإنها لا تجارى فأخذها ثم خرج بالناس نحو شبيب فلما دنا منه ارتفع عنه شبيب الى دَقوقاء وشهرزور فخرج عبد الرحمن فى طلبه حتى اذا كان على التخوم أقام وقال انما هو فى أرض الموصل فليقاتلوا عن بلادهم أوليدعوه فكتب اليه الحجاج بن يوسف أما بعد فاطلب شبيبا واسلك فى أثره أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تنفيه فإنما السلطان سلطان أمير المؤمنين والجند جنده والسلام فخرج عبد الرحمن حين قرأ كتاب الحجاج فى طلب شبيب فكان شبيب يدعه حتى اذا دنا منه بيّته فيجده قد خندق على نفسه وحذر

فيمضى

فيمضى ويدعه فيتبعه عبد الرحمن فإذا بلغه انه قد تحمل وأنه يسير أقبل في الخيل فاذا انتهى اليه وجده قد صف الخيل والرجال وأدنى المرامية فلا يصيب له غرة ولا له علة فيمضى ويدعه قال ولما رأى شبيب أنه لا يصيب لعبد الرحمن غرة ولا يصل اليه جعل يخرج اذا دنا منه عبد الرحمن فى خيله فينزل على مسيرة عشرين فرسخا ثم يقيم فى أرض غليظة جدبة فيجئ عبد الرحمن فإذا دنا من شبيب ارتحل شبيب فسار خمسة عشر أو عشرين فرسخا فنزل منزلا غليظا خشنا ثم يقيم حتى يدنو عبد الرحمن (قال أبو مخنف) فحدثنى عبد الرحمن بن جندب ان شبيبا كان قد عذب ذلك العسكر وشق عليهم وأحفى دوابهم ولقوا منه كل بلاء فلم يزل عبد الرحمن يتبعه حتى مر به على خانقين ثم على جلولاء ثم على تامر ثم أقبل حتى نزل البت قرية من قرى الموصل على تخوم الموصل ليس بينها وبين سواد الكوفة الا نهر يسمى حولايا قال وجاء عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث حتى نزل فى نهر حولايا وفى رادان الأعلى من أرض جوخى ونزل عواقيل من النهر ونزلها عبد الرحمن حيث نزلها وهى تعجبه يرى انها مثل الخندق والحصن قال وأرسل شبيب الى عبد الرحمن ان هذه الأيام أيام عيد لنا ولكم فإن رأيتم أن تواد عونا حتى تمضى هذه الأيام فافعلوا فقال له عبد الرحمن نعم ولم يكن شئ أحب الى عبد الرحمن من المطاولة والموادعة قال وكتب عثمان بن قطن الى الحجاج أما بعد فإنى أخبر الأمير أصلحه الله ان عبد الرحمن بن محمد قد حفر جوخى كلها خندقا واحدا وخلى شبيبا وكسر خراجها وهو يأكل أهلها والسلام فكتب اليه الحجاج أما بعد فقد فهمت ما ذكرت لى عن عبد الرحمن وقد لعمرى فعل ما ذكرت فسر الى الناس فأنت أميرهم وعاجل المسارقة حتى تلقاهم فإن الله ان شاء الله ناصرك عليهم والسلام * قال وبعث الحجاج الى المدائن مطرف بن المغيرة بن شعبة وخرج عثمان حتى قدم على عبد الرحمن بن محمد ومن معه من أهل الكوفة وهم معسكرون على نهر حولايا قريبا من البت عشية الثلاثاء وذلك يوم التروية فنادى الناس وهو على بغلة أيها الناس أخرجوا الى عدوكم فوثب اليه الناس فقالوا نشدك الله هذا المساء قد غشينا والناس لم يوطنوا أنفسهم على القتال فبت الليلة ثم اخرج بالناس على تعبية فجعل يقول لا تاجزنهم ولتكونن الفرصة لى أولهم فأتاهم عبد الرحمن فأخذ بعنان دابته وناشده الله لما نزل وقال له عقيل بن شداد السلولى ان الذى تريد من مناجزتهم الساعة أنت فاعله غدا وهو غدا خير لك وللناس ان هذه ساعة ريح وغبرة وقد أمسيت فانزل ثم أبكر بنا اليهم غدوة فنزل فسفت عليه الريح وشق عليه الغبار ودعا صاحب الخراج العلوج فبنوا له قبة فبات فيها ثم أصبح يوم الأربعاء فجاء أهل البت الى شبيب وكان قد نزل ببيعتهم فقالوا له أصلحك الله أنت ترحم الضعفاء وأهل الجزية ويكلمك من تلى عليه ويشكون اليك ما نزل بهم فتنظر لهم وتكف عنهم وان هؤلاء

القوم جبابرة لا يكلمون ولا يقبلون العذر والله لئن بلغهم انك مقيم فى بيعتنا ليقتلنا ان قضى لك ان ترتحل عنا فإن رأيت فانزل جانب القرية ولا تجعل لهم علينا مقالا قال فإنى أفعل ذلك بكم ثم خرج فنزل جانب القرية قال فبات عثمان ليلته كلها يحرضهم فلما أصبح وذلك يوم الاربعاء خرج بالناس فاستقبلتهم ريح شديدة وغبرة فصاح الناس اليه فقالوا انشدك الله أن تخرج بنا فى هذا اليوم فإن الريح علينا فأقام بهم ذلك اليوم وأراد شبيب قتالهم وخرج أصحابه فلما رآهم لم يخرجوا اليه أقام فلما كان ليلة الخميس خرج عثمان فعبّى الناس على أرباعهم فجعل كل ربع فى جانب العسكر وقال لهم اخرجوا على هذه التعبية وسألهم من كان على ميمنتكم قالوا خالد بن نهيك بن قيس الكندى وكان على ميسرتنا عقيل بن شداد السلولى فدعاهما فقال لهما قفا موا قفكما التى كنتما بها فقد وليتكما المجنبتين فأثبتا ولا تفرا فوالله لا أزول حتى يزول نخل رادان عن أصوله فقالا ونحن والله الذى لا اله الا هو لا نفر حتى نظفر أو نقتل فقال لهما جزاكما الله خيرا ثم أقام حتى صلى بالناس الغداة ثم خرج فجعل ربع أهل المدينة تميم وهمدان نحو نهر حولايا فى الميسرة وجعل ربع كندة وربيعة ومذحج وأسد فى الميمنة ونزل يمشى فى الرجال وخرج شبيب وهو يومئذ فى مائة وأحد وثمانين رجلا فقطع اليهم النهر فكان هو فى ميمنة أصحابه وجعل على ميسرته سويد بن سليم وجعل فى القلب مصاد بن يزيد أخاه وزحفوا وسما بعضهم لبعض (قال أبو مخنف) فحدثنى النضر بن صالح العبسى ان عثمان كان يقول فيكثر لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا أين المحافظون على دينهم المحامون عن فيئهم فقال عقيل بن شداد بن حبشى السلولى لعلى أن أكون أحدهم قتل أولئك يوم رؤد بار ثم قال شبيب لأصحابه انى حامل على ميسرتهم مما يلى النهر فإذا هزمتها فليحمل صاحب ميسرتى على ميمنتهم ولا يبرح صاحب القلب حتى يأتيه أمرى وحمل فى ميمنة أصحابه مما يلى النهر على ميسرة عثمان بن قطن فانهزموا ونزل عقيل بن شداد فقاتل حتى قتل وقتل يومئذ مالك بن عبد الله الهمدانى ثم المرهبى عم عياش بن عبد الله بن عياش المنتوف وجعل يومئذ عقيل بن شداد يقول وهو يجالدهم

لأضربن بالحسام الباتر * ضرب غلام من سلول صابر

ودخل شبيب عسكرهم وحمل سويد بن سليم فى ميسرة شبيب على ميمنة عثمان بن قطن فهزمها وعليها خالد بن نهيك بن قيس الكندى فنزل خالد فقاتل قتالا شديدا وحمل عليه شبيب من ورائه وهو على ربع كندة وربيعة يومئذ وهو صاحب الميمنة فلم ينثن شبيب حتى علاه بالسيف فقتله ومضى عثمان بن قطن وقد نزلت معه العرفاء وأشراف الناس والفرسان نحو القلب وفيه أخو شبيب فى نحو من ستين راجلا فلما دنا منهم عثمان بن قطن شد عليهم

في الأشراف وأهل الصبر فضاربوهم حتى فرّقوا بينهم وحمل شبيب بالخيل من ورائهم فما شعروا الا والرماح في أكتافهم تكبّهم لوجوههم وعطف عليهم سويد بن سليم أيضا في خيله ورجع مصاد وأصحابه وقد كان شبيب رجّلهم فاضطربوا ساعة وقاتل عثمان بن قطن فأحسن القتال ثم انهم شدّوا عليهم فأحاطوا به وحمل عليه مصاد أحو شبيب فضربه بضربة بالسيف استدار لها ثم قال وكان أمر الله مفعولا ثم ان الناس قتلوه وقتل يومئذ الأبرد ابن ربيعة الكندي وكان على تل فألقى سلاحه الى غلامه وأعطاه فرسه وقاتل حتى قتل ووقع عبد الرحمن فرآه ابن أبي سبرة الجعفي وهو على بغلة فعرفه فنزل اليه فناوله الرمح وقال له اركب فقال عبد الرحمن بن محمد أينا الرديف قال ابن أبي سبرة سبحان الله أنت الأمير تكون المقدّم فركب وقال لابن أبي سبرة نادِ في الناس الحقوا بدير أبي مريم فنادى ثم انطلقا ذاهبين ورأى واصل بن الحارث السكوني فرس عبد الرحمن الذي حمله عليه الجزل يجول في العسكر فأخذها بعض أصحاب شبيب فظن انه قد هلك فطلبه في القتلى فلم يجده وسأل عنه فقيل له قد رأينا رجلا قد نزل عن دابته فحمله عليها فأخلفه أن يكون اياه وقد أخذها هنا آنفا فاتبعه واصل بن الحارث على برذونه ومع واصل غلامه على بغل فلما دنوا منهما قال محمد ابن أبي سبرة لعبد الرحمن قد والله لحق بنا فارسان فقال عبد الرحمن فهل غير اثنين فقال لا فقال عبد الرحمن فلا يعجزانان عن اثنين قال وجعل يحدّث ابن أبي سبرة كأنه لا يكترث بهما حتى لحقهما الرجلان فقال له ابن أبي سبرة رحمك الله قد لحقنا الرجلان فقال له فانزل بنا فنزلا فانتضيا سيفيهما ثم مضيا اليهما * فلما رآهما واصل عرفهما فقال لهما إنكما قد تركتما النزول في موضعه فلا تنزلا الآن ثم حسر العمامة عن وجهه فعرفاه فرحّبا به وقال لابن الأشعث انى لما رأيت فرسك يجول في العسكر ظننتك راجلا فأتيتك ببرذوني هذا لتركبه فترك لابن أبي سبرة بغلته وركب البرذون وانطلق عبد الرحمن بن الاشعث حتى نزل دير اليعار وأمر شبيب أصحابه فرفعوا عن الناس السيف ودعاهم الى البيعة فأتاه من بقي من الرجّالة فبايعوه وقال له أبو الصقر المحلّمي قتلت من الكوفيين سبعة في جوف النهر كان آخرهم رجلا تعلق بثوبي وصاح ورهبني حتى رهبته ثم اني أقدمت عليه فقتلته وقتل من كندة مائة وعشرون يومئذ وألف من سائر الناس أو ستمائة وقتل عظم العرفاء يومئذ (قال أبو مخنف) حدثني قدامة بن حازم بن سفيان الخثعمي انه قتل منهم يومئذ جماعة وبات عبد الرحمن بن محمد تلك الليلة بدير اليعار فأتاه فارسان فصعدا اليه فوق البيت وقام آخر قريبا منهما فخلا أحدهما بعبد الرحمن طويلا يناجيه ثم نزل هو وأصحابه وقد كان الناس يتحدّثون ان ذلك كان شبيبا وانه قد كان كاتبه ثم خرج عبد الرحمن آخر الليل فسار حتى أتى دير أبي مريم فإذا هو بأصحاب الخيل قد وضع لهم محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة صبر الشعير والقت

بعضه على بعض كأنه القصور ونحر لهم من الجزر ما شاؤا فأكلوا يومئذ وعلقوا دوابهم واجتمع الناس الى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقالوا له ان سمع شبيب بمكانك أتاك وكنت له غنيمة قد ذهب الناس وتفرقوا وقتل خيارهم فالحق أيها الرجل بالكوفة فخرج الى الكوفة ورجع الناس أيضا وجاء فاختبى من الحجاج حتى أخذ الأمان بعد ذلك

﴿وفي هذه السنة﴾ أمر عبد الملك بن مروان بنقش الدنانير والدراهم ﴿ذكر الواقدي﴾ ان سعد بن راشد حدثه عن صالح بن كيسان بذلك قال وحدثني ابن أبي الزناد عن أبيه ان عبد الملك ضرب الدراهم والدنانير عامئذ وهو أول من أحدث ضربها قال وحدثني خالد بن أبي ربيعة عن أبي هلال عن أبيه قال كانت مثاقيل الجاهلية التي ضرب عليها عبد الملك اثنين وعشرين قيراطا الاحبة وكان العشرة وزن سبعة قال وحدثني عبد الرحمن بن جرير الليثي عن هلال بن أسامة قال سألت سعيد بن المسيب في كم تجب الزكاة من الدنانير قال في كل عشرين مثقالا بالشامي نصف مثقال قلت ما بال الشامي من المصري قال هو الذي تضرب عليه الدنانير وكان ذلك وزن الدنانير قبل أن تضرب الدنانير كانت اثنين وعشرين قيراطا الاحبة قال سعيد قد عرفته قد أرسلت بدنانير الى دمشق فضربت على ذلك ﴿وفي هذه السنة﴾ وفد يحيى بن الحكم على عبد الملك بن مروان وولى أبان بن عثمان المدينة في رجب ﴿وفيها﴾ استقضى أبان بن نوفل بن مساحق بن عمرو بن خداش من بني عامر بن لؤي ﴿وفيها﴾ ولد مروان بن محمد بن مروان ﴿وأقام الحج﴾ للناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير على المدينة حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق ابن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة زرارة بن أوفى

﴿ثم دخلت سنة سبع وسبعين﴾

﴿ففي هذه السنة﴾ قتل شبيب عتاب بن ورقاء الرياحي وزهرة بن حوية

﴿ذكر الخبر عن سبب مقتلهما﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر هشام عن أبي مخنف عن عبد الرحمن بن جندب وفروة بن لقيط ان شبيبا لما هزم الجيش الذي كان الحجاج وجهه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث اليه وقتل عثمان بن قطن وذلك في صيف وحر شديد اشتد الحر عليه وعلى أصحابه فأتى ماه بهرا ذان فتصيف بها ثلاثة أشهر وأتاه ناس كثير ممن يطلب الدنيا فلحقوا به وناس ممن كان الحجاج يطلبهم بمال أو تباعات كان منهم رجل من الحي يقال له الحر بن عبد الله بن عوف وكان دهقانان من أهل نهر دقيط قد أساآ اليه وضيقا عليه فشد عليهما فقتلهما

ثم لحق بشبيب فكان معه بماه وشهد معه مواطنه حتى قُتل فلما آمن الحجاج كلَّ من كان خرج الى شبيب من أصحاب المال والتباعات وذلك بعد يوم السبخة خرج اليه الحرُّ فيمن خرج فجاء أهل الدهقانين يستعدون عليه الحجاج فأتى به فدخل وقد أوصى ويئس من نفسه فقال له الحجاج ياعدوَّ الله قتلت رجلين من أهل الخراج فقال له قد كان أصلحك الله ماهو أعظم من هذا فقال وماهو قال خروجي من الطاعة وفراق الجماعة ثم آمنت كل من خرج اليك فهذا أماني وكتابك لي فقال له الحجاج أولى لك قد لعمري فعلتُ وخلى سبيله قال ولما انفسخ الحرّ عن شبيب خرج من ماه في نحو من ثمانمائة رجل فأقبل نحو المدائن وعليها مُطرّف بن المغيرة بن شعبة فجاء حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان فكتب ماذر واسب عظيم بابل مهروذ الى الحجاج أما بعد فإني أخبر الأمير أصلحه الله ان شبيبا قد أقبل حتى نزل قناطر حُذيفة ولا أدري أين يريد * فلما قرأ الحجاج كتابه قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس والله لتقاتلنّ عن بلادكم وعن فيئكم أو لأبعثنّ الى قوم هم أطوع وأسمع وأصبر على اللأواء والغيظ منكم فيقاتلون عدوَّكم ويأكلون فيأكم فقام اليه الناس من كل جانب فقالوا نحن نقاتلهم ونعتب الأمير فلينبذ بنا الأمير اليهم فانا حيث سرّه وقام اليه زهرة بن حوية وهو شيخ كبير لا يستتمّ قائما حتى يُؤخذ بيده فقال له أصلح الله الأمير انك انما تبعث اليهم الناس متقطعين فاستنفر الناس اليهم كافة فلينفر اليهم كافة وابعث عليهم رجلا ثبتا شجاعا مجرّبا للحرب ممن يرى الفرار هضما وعارا والصبر مجدا وكرما فقال الحجاج فأنت ذاك فاخرج فقال أصلح الله الأمير انما يصلح للناس في هذا رجل يحمل الرمح والدرع ويهزّ السيف ويثبت على متن الفرس وأنا لا أطيق من هذا شيأ وقد ضعف بصري وضعفت ولكن أخرجني في الناس مع الأمير فإني انما أثبت على الراحلة فأكون مع الأمير في عسكره وأشير عليه برأيي فقال له الحجاج جزاك الله عن الإسلام وأهله في أوّل الإسلام خيرا وجزاك الله عن الإسلام في آخر الإسلام خيرا فقد نصحت وصدقت أنا مُخرج الناس كافة ألا فسيروا أيها الناس فانصرف الناس فجعلوا يسيرون وليس يدرون مَن أميرهم وكتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله ان شبيبا قد شارف المدائن وإنما يريد الكوفة وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة في كلها يقتُل أمراءهم ويفلّ جنودهم فان رأى أمير المؤمنين أن يبعث الى أهل الشأم فيقاتلوا عدوَّهم ويأكلوا بلادهم فليفعل والسلام فلما أتى عبد الملك كتابه بعث اليه سفيان بن الأبرد في أربعة آلاف وبعث اليه حبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج في ألفين فسرحهم حين أتاه الكتاب الى الحجاج وجعل أهل الكوفة يتجهزون الى شبيب ولا يدرون مَن أميرهم وهم يقولون يبعث

فلانا أو فلانا وقد بعث الحجاج الى عتاب بن ورقاء ليأتيه وهو على خيل الكوفة مع المهلب وقد كان ذلك الجيش من أهل الكوفة هم الذين كان بشر بن مروان بعث عبد الرحمن بن مخنف عليهم الى قطري فلم يلبث عبد الرحمن بن مخنف الا نحوا من شهرين حتى قدم الحجاج على العراق فلم يلبث عليهم عبد الرحمن بن مخنف بعد قدوم الحجاج الا رجب وشعبان وقتل قطري عبد الرحمن في آخر رمضان فبعث الحجاج عتاب بن ورقاء على ذلك الجيش من أهل الكوفة الذين أصيب فيهم عبد الرحمن بن مخنف وأمر الحجاج عتابا بطاعة المهلب فكان ذلك قد كبر على عتاب ووقع بينه وبين المهلب شر حتى كتب عتاب الى الحجاج يستعفيه من ذلك الجيش ويضمه اليه فلما ان جاءه كتاب الحجاج بإتيانه سر بذلك قال ودعا الحجاج اشراف أهل الكوفة فيهم زهرة بن حوية السعدي من بني الأعرج وقبيصة بن والق التغلبي فقال لهم من ترون ان ابعث على هذا الجيش فقالوا رأيك أيها الأمير أفضل قال فاني قد بعثت الى عتاب بن ورقاء وهو قادم عليكم الليلة أو القابلة فيكون هو الذي يسير في الناس قال زهرة بن حوية أصلح الله الأمير رميتهم بحجرهم لا والله لا يرجع اليك حتى يظفر أو يقتل وقال له قبيصة بن والق إني مشير عليك برأي فان يكن خطأ فبعد اجتهادي في النصيحة لأمير المؤمنين والأمير ولعامة المسلمين وان يك صوابا فالله سددني له إنا قد تحدثنا وتحدث الناس ان جيشا قد فصل اليك من قبل الشأم وان أهل الكوفة قد هزموا وفلوا واستخفوا بالصبر وهان عليهم عار الفرار فقلوبهم كأنها ليست فيهم كأنما هي في قوم آخرين فإن رأيت ان تبعث الى جيشك الذي أمددت به من أهل الشأم فيأخذوا حذرهم ولا يبيتوا الا وهم يرون أنهم مبيتون فعلت فإنك تحارب حولا قلبا ظعانا رحالا وقد جهزت اليه أهل الكوفة ولست واثقا بهم كل الثقة وإنما اخوانهم هؤلاء القوم الذين بعثوا اليك من الشأم إن شيبانا هو في أرض اذ هو في أخرى ولا آمن ان يأتيهم وهم غارون فإن يهلكوا نهلك ويهلك العراق فقال لله أنت ما أحسن ما رأيت وما أحسن ما أشرت به علي قال فبعث عبد الرحمن ابن الغرق مولى أبي عقيل الى من أقبل اليه من أهل الشأم فأتاهم وقد نزلوا هيت بكتاب من الحجاج أما بعد فإذا حاذيتم هيت فدعوا طريق الفرات والأنبار وخذوا على عين التمر حتى تقدموا الكوفة ان شاء الله وخذوا حذركم وعجلوا السير والسلام فأقبل القوم سراعا قال وقدم عتاب بن ورقاء في الليلة التي قال الحجاج انه قادم عليكم فيها فأمره الحجاج فخرج بالناس فعسكر بهم بحمام أعين وأقبل شبيب حتى انتهى الى كلواذا فقطع منها دجلة ثم أقبل حتى نزل مدينة بهرسير الدنيا فصار بينه وبين مطرف بن المغيرة بن شعبة جسر دجلة فلما نزل شبيب مدينة بهرسير قطع مطرف الجسر وبعث الى شبيب أن ابعث الي رجالا من وجوه أصحابك أدارسهم القرآن وأنظر فيما تدعوا اليه فبعث اليه شبيب رجالا من وجوه أصحابه فيهم

فعنّب وسويد والمحلل فلما أرادوا ان ينزلوا فى السفينة بعث اليهم شبيب ان لاتدخلوا السفينة حتى يرجع الى رسولى من عند مطرف فرجع الرسول وبعث الى مطرف أن ابعث الىّ من أصحابك بعدد أصحابى يكونوا رهنا فى يدى حتى تردّ علىّ أصحابى فقال مطرف لرسوله القه وقل له كيف آمنك انا على أصحابى اذا انا بعثتهم الآن اليك وأنت لاتأمننى على أصحابك فرجع الرسول الى شبيب فأبلغه فأرسل اليه شبيب انك قد علمت أنا لانستحل الغدر فى ديننا وأنتم تفعلونه وتستحلونه فبعث اليه مطرف الربيع بن يزيد الاسدى وسليمان بن حذيفة بن هلال بن مالك المزنى ويزيد بن أبى زياد مولاه وصاحب حرسه فلما صاروا فى يدى شبيب سرح اليه أصحابه فأتوا مطرفا فمكثوا أربعة أيام يتراسلون ثم لم يتفقوا على شئ فلما تبين لشبيب ان مطرفا غير تابعه ولا داخل معه تهيأ للمسير الى عتاب بن ورقاء وإلى أهل الشأم (قال أبو مخنف) فحدثنى فروة بن لقيط ان شبيبا دعا رؤس أصحابه فقال لهم انه لم يثبطنى على رأى قد كنت رأيته الا هذا الثقفى منذ أربعة أيام قد كنت حدثت نفسى ان أخرج فى جريدة خيل حتى ألقى هذا الجيش المقبل من الشأم رجاء ان أصادف غرتهم أو يحذروا فلا أبالى كنت ألقاهم منقطعين من المصر ليس عليهم أمير كالحجاج يستندون اليه ولا مصر كالكوفة يعتصمون به وقد جاءتنى عيونى اليوم فخبرونى ان أوائلهم قد دخلوا عين التمر فهم الآن قد شارفوا الكوفة وجاءتنى عيونى من نحو عتاب بن ورقاء فحدثونى انه قد نزل بجماعة أهل الكوفة الصراة فما أقرب ما بيننا وبينهم فتيسروا وابنا المسير الى عتاب بن ورقاء قال وخاف مطرف ان يبلغ خبره وما كان من ارساله الى شبيب الحجاج فخرج نحو الجبال وقد كان أراد ان يقيم حتى ينظر ما يكون بين شبيب وعتاب فأرسل اليه شبيب أما اذ لم تبايعنى فقد نبذت اليك على سواء فقال مطرف لأصحابه اخرجوا بنا وافرين فإن الحجاج سيقاتلنا فيقاتلنا وبنا قوة أمثل فخرج ونزل المدائن فعقد شبيب الجسر وبعث الى المدائن أحاه مصادا وأقبل اليه عتاب حتى نزل بسوق حكمة وقد أخرج الحجاج جماعة أهل الكوفة مقاتلتهم ومن نشط الى الخروج من شبابهم وكانت مقاتلتهم أربعين ألفا سوى الشباب ووافى مع عتاب يومئذ أربعون ألفا من المقاتلة وعشرة آلاف من الشباب بسوق حكمة فكانوا خمسين ألفا ولم يدع الحجاج قرشيا ولا رجلا من بيوتات العرب الا أخرجه (قال أبو مخنف) فحدثنى عبد الرحمن بن جندب قال سمعت الحجاج وهو على المنبر حين وجه عتابا الى شبيب فى الناس وهو يقول يا أهل الكوفة اخرجوا مع عتاب بن ورقاء بأجمعكم لا أرخص لاحد من الناس فى الإقامة الا رجلا قد ولّيناه من أعمالنا الا إن للصابر المجاهد الكرامة والأثرة الا وإن للناكل الهارب الهوان والجفوة والذى لا إله غيره لئن فعلتم فى هذا الموطن كفعلكم فى المواطن التى كانت لأولينكم كنفا خشنا ولأعركنكم بكلكل ثقيل ثم نزل وتوافى الناس

مع عتاب بسوق حكمة (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط قال عرضنا شبيب بالمدائن فكنا ألف رجل فقام فينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معشر المسلمين ان الله قد كان ينصركم عليهم وأنتم مائة ومائتان وأكثر من ذلك قليلا وأنقص منه قليلا فأنتم اليوم مئون ومئون الا انى مصلى الظهر ثم سائر بكم فصلى الظهر ثم نودى في الناس يا خيل الله اركبي وابشري فخرج في أصحابه فأخذوا يتخالفون ويتأخرون فلما جاوزا ساباط ونزلنا معه قص علينا وذكرنا بأيام الله وزهدنا في الدنيا ورغبنا في الآخرة ساعة طويلة ثم أمر مؤذنه فأذن ثم تقدم فصلى بنا العصر ثم أقبل حتى أشرف بنا على عتاب بن ورقاء وأصحابه فلما ان رآهم من ساعته نزل وأمر مؤذنه فأذن ثم تقدم فصلى بنا المغرب وكان مؤذنه سلام بن سيار الشيباني وكانت عيون عتاب ابن ورقاء قد جاؤه فأخبروه انه قد أقبل اليه فخرج بالناس كلهم فعباهم وكان قد خندق أول يوم نزل وكان يظهر كل يوم انه يريد ان يسير الى شبيب بالمدائن فبلغ ذلك شبيبا فقال أسير اليه أحب الى من ان يسير الى فأتاه فلما صف عتاب الناس بعث على ميمنته محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وقال يا ابن أخي انك شريف فاصبر وصابر فقال أما أنا فوالله لا فاتلن ما ثبت معي انسان وقال لقبيصة بن والق وكان يومئذ على ثلث بني تغلب اكفني الميسرة فقال أنا شيخ كبير كنير مني ان أثبت تحت رايتي قد انبت مني القيام ما أستطيع القيام الا ان أقام ولكن هذا عبيد الله بن الحليس ونعيم بن علبم التغلبيان وكان كل واحد منهما على ثلث من أثلاث تغلب فقال ابعث أيهما أحببت فأيهما بعثت فلتبعثن ذا حزم وعزم وغناء فبعث نعيم بن علبم على ميسرته وبعث حنظلة بن الحارث اليربوعي وهو ابن عم عتاب شيخ أهل بيته على الرجالة وصفهم ثلاث صفوف صف فيهم الرجال معهم السيوف وصف وهم أصحاب الرماح وصف فيه المرامية ثم سار فيما بين الميمنة الى الميسرة يمر بأهل راية راية فيحثهم على تقوى الله ويأمرهم بالصبر ويقص عليهم (قال أبو مخنف) فحدثني حصيرة بن عبد الله ان تميم بن الحارث الازدي قال وقف علينا فقص علينا قصصا كثيرا كان مما حفظت منه ثلاث كلمات قال يا أهل الإسلام ان أعظم الناس نصيبا في الجنة الشهداء وليس الله لأحد من خلقه بأحمد منه للصابرين ألا ترون انه يقول اصبروا إن الله مع الصابرين فمن حمد الله فعله فما أعظم درجته وليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغي ألا ترون ان عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه لا يرون الا ان ذلك لهم قربة عند الله فهم شرار أهل الأرض وكلاب أهل النار أين القصاص قال ذلك فلم يجبه والله أحد منا فلما رأى ذلك قال أين من يروى شعر عنترة قال فلا والله ما رد عليه انسان كلمة فقال إنا لله كأني بكم قد فررتم عن عتاب بن ورقاء وتركتموه تسفي في استه الريح ثم أقبل حتى جلس في القلب معه زهرة بن حوية جالس وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وأبو بكر بن محمد بن أبي جهم العدوي وأقبل شبيب وهو في ستمائة وقد

تخلف عنه من الناس أربعمائة فقال لقد تخلف عنا من لا أحب ان يرى فينا فبعث سويد ابن سليم فى مائتين الى الميسرة وبعث المحلل بن وائل فى مائتين الى القلب ومضى هو فى مائتين الى الميمنة بين المغرب والعشاء الآخرة حين أضاء القمر فناداهم لمن هذه الرايات قالوا رايات ربيعة فقال شبيب رايات طال ما نصرت الحق وطال ما نصرت الباطل لها فى كل نصيب والله لأجاهدنكم محتسبا للخير فى جهادكم أنتم ربيعة وأنا شبيب أنا أبو المدله لا حكم الا لله حكم اثبتوا ان شئتم ثم حمل عليهم وهو على مسناة امام الخندق ففضهم فثبت أصحاب رايات قبيصة بن والق وعبيد بن الخليس ونعيم بن عليم فقتلوا وانهزمت الميسرة كلها وتنادى اناس من بنى تغلب قتل قبيصة بن والق فقال شبيب قتلتم قبيصة بن والق التغلبى يا معشر المسلمين قال الله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين هذا مثل ابن عمكم قبيصة بن والق أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم جاء يقاتلكم مع الكافرين ثم وقف عليه فقال ويحك لو ثبت على اسلامك الأول سعدت ثم حمل من الميسرة على عتاب ابن ورقاء وحمل سويد بن سليم على الميمنة وعليها محمد بن عبد الرحمن فقاتل فى الميمنة فى رجال من بنى تميم وهمدان فأحسنوا القتال فما زالوا كذلك حتى أتوا فقيل لهم قتل عتاب بن ورقاء فانفضوا ولم يزل عتاب جالسا على طنفسة فى القلب وزهرة بن حوية معه اذ غشيهم شبيب فقال له عتاب يا زهرة بن حوية هذا يوم كثر فيه العدد وقل فيه الغناء وانا لهى على خمسمائة فارس من نحور رجال تميم معى من جميع الناس ألا صابر لعدوه ألا مؤاس بنفسه فانفضوا عنه وتركوه فقال له زهرة أحسنت يا عتاب فعلت فعل مثلك والله والله لو منحتهم كتفك ما كان بقاؤك الا قليلا ابشر فانى أرجو ان يكون الله قد أهدى الينا الشهادة عند فناء أعمارنا فقال له جزاك الله خيرا ما جزى امرأ لمعروف وحاثا على تقوى فلما دنا منه شبيب وثب فى عصابة صبرت معه قليلة وقد ذهب الناس يمينا وشمالا فقال له عمار بن يزيد الكلبى من بنى المدينة أصلحك الله ان عبد الرحمن بن محمد قد هرب عنك فانصرف معه اناس كثير فقال له قد فر قبل اليوم وما رأيت ذلك الفتى يبالى ما صنع ثم قاتلهم ساعة وهو يقول ما رأيت كاليوم قط موطنا لم أبتل بمثله قط أقل مقاتلا ولا أكثر هاربا خاذلا فرآه رجل من بنى تغلب من أصحاب شبيب من بنى زيد بن عمرو يقال له عامر بن عمرو بن عبد عمرو وكان قد أصاب دما فى قومه فلحق بشبيب وكان من الفرسان فقال لشبيب والله انى لأظن هذا المتكلم عتاب بن ورقاء فحمل عليه فطعنه فوقع فكان هو ولى قتله ووطئت الخيل زهرة بن حوية فأخذ يذب بسيفه وهو شيخ كبير لا يستطيع ان يقوم فجاءه الفضل بن عامر الشيبانى فقتله فانتهى اليه شبيب فوجده صريعا فعرفه فقال من قتل هذا فقال الفضل أنا قتلته فقال شبيب هذا زهرة ابن حوية أما والله لئن كنت قتلت على ضلالة لرب يوم من أيام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك

وعظم فيه غناؤك ولرب خيل للمشركين قد هزمتها وسرية لهم قد أغرتها وقرية من قراهم جم أهلها قد افتتحتها ثم كان في علم الله أن تقتل ناصر الظالمين (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط قال رأيناه والله توجع له فقال رجل من شبان بكر بن وائل والله ان أمير المؤمنين منذ الليلة ليتوجع لرجل من الكافرين قال انك لست بأعرف بضلالتهم مني ولكني أعرف من قديم أمرهم مالا تعرف مالوثبتوا عليه كانوا اخواناً وقتل في المعركة عمار بن يزيد بن شبيب الكلبي وقتل أبو خيثمة بن عبد الله يومئذ واستمكن شبيب من أهل العسكر والناس فقال ارفعوا عنهم السيف ودعا الى البيعة فبايعه الناس من ساعتهم وهربوا من تحت ليلتهم وأخذ شبيب يبايعهم ويقول الى ساعة يهربون وحوى شبيب على مافي العسكر وبعث الى أخيه فأتاه من المدائن فلما وافاه بالعسكر أقبل الى الكوفة وقد أقام بعسكره ببيت قرة يومين ثم توجه نحو وجه أهل الكوفة وقد دخل سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج فيمن معهما من أهل الشأم الكوفة فشد والحجاج ظهره فاستغنى بهما عن أهل الكوفة فقام على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا أهل الكوفة فلا أعز الله من أرادبكم العز ولا نصر من أرادبكم النصر اخرجوا عنا ولا تشهدوا معنا قتال عدونا الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملا ومن لم يكن شهد قتال عتاب بن ورقاء (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط قال والله لخرجنا نتبع آثار الناس فأنتهى الى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن قيس الهمداني وهما يمشيان كأني أنظر الى رأس عبد الرحمن قد امتلأ طيناً فصددت عنهما وكرهت ان اذعرهما ولو أني أوذن بهما أصحاب شبيب لقتلا مكانهما وقلت في نفسي لئن سقت الى مثلكما من قومي القتل ما أنا برشيد الرأي وأقبل شبيب حتى نزل الصراة (قال أبو مخنف) فحدثني موسى بن سوار ان شبيباً خرج يريد الكوفة فانتهى الى سورا فندب الناس فقال أيكم يأتيني برأس عامل سورا فانتدب له بطين وقعنب وسويد ورجلان من أصحابه فساروا مغذين حتى انتهوا الى دار الخراج والعمال في سمرجة فدخلوا الدار وقد كادوا الناس بأن قالوا أجيبوا الأمير فقالوا أي الأمراء قالوا أمير خرج من قبل الحجاج يريد هذا الفاسق شبيباً فاغتر بذلك العامل منهم ثم انهم شهروا السيوف وحكموا حين وصلوا اليه فضربوا عنقه وقبضوا على ما كان من مال ولحقوا بشبيب فلما انتهوا اليه قال ما الذي أتيتمونا به قالوا جئناك برأس الفاسق وما وجدنا من مال والمال على دابة في بدوره فقال شبيب أتيتمونا بفتنة للمسلمين هلم الحربة يا غلام فخرق بها البدور وأمر فنخس بالدابة والمال يتناثر من بدوره حتى وردت الصراة فقال إن كان بقي شيء فاقذفه في الماء ثم خرج اليه سفيان بن الأبرد مع الحجاج وكان أتاه قبل خروجه معه فقال ابعثني أستقبله قبل أن يأتيك فقال ما أحب

أن نفترق حتى ألقاه في جماعتكم والكوفة في ظهورنا والحصن في أيدينا ﴿وفي هذه السنة﴾ دخل شبيب الكوفة دخلته الثانية

﴿ذكر الخبر عن ذلك وما كان من حربه بها الحجاج﴾

﴿قال هشام﴾ حدثني أبو مخنف عن موسى بن سوار قال قدم سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف من الدسكرة الكوفة بعد ما قدم جيش الشأم الكوفة وكان مُطَرِّف بن المغيرة كتب الى الحجاج إن شبيبا قد اطلّ عليّ فابعث الى المدائن بعثا فبعث اليه سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف في مائتي فارس فلما خرج مطرّف يريد الجبل خرج بأصحابه معه وقد أعلمهم ما يريد وكتم ذلك سبرة فلما انتهى الى دسكرة الملك دعا سبرة فأعلمه ما يريد ودعاه الى أمره فقال له نعم أنا معك فلما خرج من عنده بعث الى أصحابه فجمعهم وأقبل بهم فيصادف عتّاب بن ورقاء قد قتل وشبيبا قد مضى الى الكوفة فأقبل حتى انتهى الى قرية يقال لها بيطرى وقد نزل شبيب حمّام عُمر فخرج سبرة حتى يعبر الفرات في معبر قرية شاهي ثم أخذ الظهر حتى قدم على الحجاج فوجد أهل الكوفة مسخوطا عليهم فدخل على سفيان بن الابرد فقص قصته عليه وأخبره بطاعته وفراقه مُطرّفا وانه لم يشهد عتّابا ولم يشهد هزيمة في موطن من مواطن أهل الكوفة ولم أزل لامير عاملا ومعي مائتا رجل لم يشهدوا معي هزيمة قط وهم على طاعتهم لم يدخلوا في فتنة فدخل سفيان الى الحجاج فخبّره بخبر ما قص عليه سبرة بن عبد الرحمن فقال صدق وبرّ قل له فليشهد معنا لقاء عدوّنا فخرج اليه فأعلمه ذلك وأقبل شبيب حتى نزل موضع حمّام أعين ودعا الحجاج الحارث بن معاوية بن أبي زُرْعة بن مسعود الثقفي فوجّهه في ناس من الشُرط لم يكونوا شهدوا يوم عتاب ورجالا كانوا عمّالا في نحو من مائتي رجل من أهل الشأم فخرج في نحو من ألف فنزل زُرارة وبلغ ذلك شبيبا فتعجل اليه في أصحابه فلما انتهى اليه حمل عليه فقتله وهزم أصحابه وجاءت المنهزمة فدخلوا الكوفة وجاء شبيب حتى قطع الجسر وعسكر دونه الى الكوفة وأقام شبيب في عسكره ثلاثة أيام فلم يكن في أول يوم الا قتل الحارث بن معاوية فلما كان في اليوم الثاني أخرج الحجاج مواليه وغلمانه عليهم السلاح فأخذوا بأفواه السكك مما يلي الكوفة وخرج أهل الكوفة فأخذوا بأفواه سككهم وخشوا ان لم يخرجوا موجدة الحجاج وعبد الملك بن مروان وجاء شبيب حتى ابتنى مسجدا في أقصى السبخة مما يلي موقف أصحاب القنّ عند الايوان وهو قائم حتى الساعة فلما كان اليوم الثالث أخرج الحجاج أبا الورد مولى له عليه تجفاف وأخرج مجففة كثيرة وغلمانا له وقالوا هذا الحجاج فحمل عليه شبيب فقتله وقال ان كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ثم ان الحجاج أخرج له غلامه طهمان في مثل تلك العُدّة على مثل تلك الهيئة فحمل عليه شبيب فقتله وقال ان كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ثم ان الحجاج خرج ارتفاع النهار من القصر فقال

ائتونى ببغل أركبه مابينى وبين السبخة فأتى ببغل محجل فقيل له ان الاعاجم أصلحك الله تطير أن تركب فى مثل هذا اليوم مثل هذا البغل فقال ادنوه منى فان اليوم يوم أغر محجل فركبه ثم خرج فى أهل الشأم حتى أخذ فى سكة البريد ثم خرج فى أعلى السبخة فلما نظر الحجاج الى شبيب وأصحابه نزل وكان شبيب فى ستمائة فارس فلما رأى الحجاج قد خرج اليه أقبل بأصحابه وجاء سبرة بن عبد الرحمن الى الحجاج فقال أين يأمرنى الامير أن أقف فقال قف على أفواه السكك فان جاؤكم فكان فيكم قتال فقاتلوا فانطلق حتى وقف فى جماعة الناس ودعا الحجاج بكرسى له فقعد عليه ثم نادى يا أهل الشأم أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين لا يغلبن باطل هؤلاء الارجاس حقكم غضوا الابصار واجثوا على الركب واستقبلوا القوم بأطراف الاسنة فجثوا على الركب وأشرعوا الرماح وكانهم حرة سوداء وأقبل اليهم شبيب حتى اذا دنا منهم عمى أصحابه ثلاثة كراديس كتيبة معه وكتيبة مع سويد بن سليم وكتيبة مع المحلل بن وائل فقال لسويد احمل عليهم فى خيلك فحمل عليهم فثبتوا له حتى اذا غشى أطراف الاسنة وثبوا فى وجهه ووجوه أصحابه فطعنوهم قدما حتى انصرف وصاح الحجاج يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا قدم كرسى يا غلام وأمر شبيب المحلل فحمل عليهم ففعلوا به مثل ما فعلوا بسويد فناداهم الحجاج يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا قدم كرسى يا غلام ثم ان شبيبا حمل عليهم فى كتيبته فثبتوا له حتى اذا غشى أطراف الرماح وثبوا فى وجهه فقاتلهم طويلا ثم ان أهل الشأم طعنوه قدما حتى ألحقوه بأصحابه فلما رأى صبرهم نادى يا سويد احمل فى خيلك على أهل هذه السكة يعنى سكة الحمام جرير لعلك تزيل أهلها عنها فتأتى الحجاج من ورائه ونحمل نحن عليه من امامه فانفرد سويد بن سليم فحمل على أهل تلك السكة فرمى من فوق البيوت وأفواه السكك فانصرف وقد كان الحجاج جعل عروة بن المغيرة ابن شعبة فى نحو من ثلثمائة رجل من أهل الشأم ردءا له ولاصحابه لئلا يؤتوا من ورائه ﴿ قال أبو مخنف ﴾ فحدثنى فروة بن لقيط ان شبيبا قال لنا يومئذ يا أهل الاسلام انما شرينا الله ومن شرى الله لم يكبر عليه ما أصابه من الاذى والألم فى جنب الله الصبر الصبر شدة كشداتكم فى مواطنكم الكريمة ثم جمع أصحابه فلما ظن الحجاج انه حامل عليهم قال لاصحابه يا أهل السمع والطاعة اصبروا لهذه الشدة الواحدة ثم ورب السماء ما شئ دون الفتح فجثوا على الركب وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه فلما غشيهم نادى الحجاج بجماعة الناس فوثبوا فى وجهه فمازالوا يطعنون ويضربون قدما ويدفعون شبيبا وأصحابه وهو يقاتلهم حتى بلغوا موضع بستان زائدة فلما بلغ ذلك المكان نادى شبيب أصحابه يا أولياء الله الارض الارض ثم نزل وأمر أصحابه فنزل نصفهم وترك نصفهم مع سويد بن سليم وجاء الحجاج حتى انتهى الى مسجد شبيب ثم قال يا أهل الشأم يا أهل السمع والطاعة هذا أول الفتح والذى نفس الحجاج بيده وصعد

المسجد

المسجد معه نحو من عشرين رجلا معهم النبل فقال ان دنوا منا فارشقوهم فاقتتلوا عامة النهار من أشد قتال في الارض حتى أقر كل واحد من الفريقين لصاحبه ثم ان خالد بن عتاب قال للحجاج ائذن لي في قتالهم فاني موتور وأنا ممن لا ينهم في نصيحة قال فاني قد أذنت لك قال فاني آتيهم من ورائهم حتى أغير على عسكرهم فقال له افعل ما بدا لك قال فخرج معه بعصابة من أهل الكوفة حتى دخل عسكرهم من ورائهم فقتل مصادا أخا شبيب وقتل غزالة امرأته قتلها فروة بن الدفان الكلبي وحرق في عسكره وأتى ذلك الخبر الحجاج وشبيبا فأما الحجاج وأصحابه فكبر وا تكبيرة واحدة وأما شبيب فوثب هو وكل راجل معه على خيولهم وقال الحجاج لأهل الشأم شدوا عليهم فانه قد أتاهم ما أرعب قلوبهم فشدوا عليهم فهزموهم وتخلف شبيب في حامية الناس ﴿قال هشام﴾ فحدثني أصغر الخارجي قال حدثني من كان مع شبيب قال لما انهزم الناس فخرج من الجسر تبعه خيل الحجاج قال فجعل يخفق برأسه فقلت يا أمير المؤمنين التفت فانظر من خلفك قال فالتفت غير مكترث ثم أكب يخفق برأسه قال ودنوا منا فقلنا يا أمير المؤمنين قد دنوا منك قال فالتفت والله غير مكترث ثم جعل يخفق برأسه قال فبعث الحجاج الى خيله أن دعوه في حرق الله وناره فتركوه ورجعوا ﴿قال هشام﴾ قال أبو مخنف حدثني أبو عمرو العذري قال قطع شبيب الجسر حين عبر قال وقال لي فروة كنت معه حين انهزمنا فما حرك الجسر ولا اتبعونا حتى قطعنا الجسر ودخل الحجاج الكوفة ثم صعد المنبر فحمد الله ثم قال والله ما قوتل شبيب قبلها ولي والله هارباوترك امرأته يكسر في استها القصب ﴿وقد قيل﴾ في قتال الحجاج شبيبا بالكوفة ما ذكره عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن المغيرة بن عطية قال حدثني أبي قال حدثنا مزاحم بن زفر بن جساس التيمي قال لما فض شبيب كتائب الحجاج أذن لنا فدخلنا عليه في مجلسه الذي يبيت فيه وهو على سرير وعليه لحاف فقال اني دعوتكم لأمر فيه أمان ونظر فأشيروا علي ان هذا الرجل قد تبجبج بحجبوحتكم ودخل حريمكم وقتل مقاتلتكم فأشيروا علي فأطرقوا وفصل رجل من الصف بكرسيه فقال ان أذن لي الامير تكلمت فقال تكلم فقال ان الأمير والله ما راقب الله ولا حفظ أمير المؤمنين ولا نصح للرعية ثم جلس بكرسيه في الصف قال واذا هو قتيبة قال فغضب الحجاج وألقى اللحاف ودلى قدميه من السرير كاني أنظر اليهما فقال من المتكلم قال فخرج قتيبة بكرسيه من الصف فأعاد الكلام قال فما الرأي قال الرأي أن تخرج اليه فتحاكمه قال فارتد لي معسكرا ثم اغدُ الي قال فخرجنا لعن عنبسة بن سعيد وكان كلم الحجاج في قتيبة فجعله من أصحابه فلما أصبحنا وقد أوصينا جميعا غدونا في السلاح فصلى الحجاج الصبح ثم دخل فجعل رسوله يخرج ساعة بعد ساعة فيقول أجاء بعد أجاء بعد ولا ندري من يريد وقد أفعمت المقصورة بالناس فخرج الرسول فقال أجاء بعد واذا قتيبة يمشي في

المسجد عليه قباء هروى أصفر وعمامة خز أحمر منقلدا سيفا عريضا قصيرا الحمائل كانه فى
ابطه قد أدخل بركة قبائه فى منطقته والدرع يصفق ساقيه ففتح له الباب فدخل ولم يحجب
فلبث طويلا ثم خرج وأخرج معه لواء منشورا فصلى الحجاج ركعتين ثم قام فتكلم وأخرج
اللواء من باب الفيل وخرج الحجاج يتبعه فاذا بالباب بغلة شقراء غراء محجلة فركبها وعارضه
الوصفاء بالدواب فأبى غيرها وركب الناس وركب قتيبة فرسا أغر محجلا كميتا كانه فى
سرجه رمانة من عظم السرج فأخذ فى طريق دار السقاية حتى خرج الى السبخة وبها عسكر
شبيب وذلك يوم الأربعاء فتواقفوا ثم غدوا يوم الخميس للقتال ثم غادوهم يوم الجمعة فلما كان
وقت الصلاة انهزمت الخوارج * قال أبو زيد حدثنى خلاد بن يزيد قال حدثنا الحجاج بن
قتيبة قال جاء شبيب وقد بعث اليه الحجاج أميرا فقتله ثم آخر فقتله أحدهما أعين صاحب حمام
أعين قال فجاء حتى دخل الكوفة ومعه غزالة وقد كانت نذرت أن تصلى فى مسجد الكوفة
ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران قال ففعلت قال واتخذ شبيب فى عسكره أخصاصا فقام
الحجاج فقال لأراكم تناصحون فى قتال هؤلاء القوم يا أهل العراق وأنا كاتب الى أمير
المؤمنين ليمدنى بأهل الشأم قال فقام قتيبة فقال انك لم تنصح لله ولا لأمير المؤمنين فى
قتالهم ﴿قال عمر بن شبة﴾ قال خلاد فحدثنى محمد بن حفص بن موسى بن عبيد الله بن معمر
ابن عثمان التيمى ان الحجاج خنق قتيبة بعمامته خنقا شديدا ﴿ثم رجع الحديث الى حديث
الحجاج وقتيبة﴾ قال فقال وكيف ذاك قال تبعث الرجل الشريف وتبعث معه رعاعا من
الناس فينهزمون عنه ويستحيا فيقاتل حتى يقتل قال فما الرأى قال أن تخرج بنفسك
ويخرج معك نظراؤك فيؤاسونك بأنفسهم قال فلعنه من نمّ وقال الحجاج والله لأبرزن له
غدا فلما كان الغد حضر الناس فقال قتيبة اذكر يمينك أصلح الله الامير فلعنوه أيضا وقال
الحجاج اخرج فارتد لى معسكرا فذهب وتهيأ هو وأصحابه فخرجوا فأتى على موضع فيه بعض
القذر موضع كناسة فقال ألقوا لى ههنا فقيل ان الموضع قذر فقال ما تدعوننى اليه أقذر
الارض تحته طيبة والسماء فوقه طيبة قال فنزل وصف الناس وخالد بن عتاب بن ورقاء
مسخوط عليه فليس فى القوم وجاء شبيب وأصحابه فقربوا دوابهم وخرجوا يمشون فقال لهم
شبيب الهوا عن رميكم ودبوا تحت تراسكم حتى اذا كانت النتهم فوقها فألقوها صعدا ثم
ادخلوا تحتها فاستقلوا فتقطعوا أقدامهم وهى المزينة باذن الله فأقبلوا يدبون اليهم وجاء خالد
ابن عتاب فى شاكريته فدار من وراء عسكرهم فأضرم أخصاصهم بالنار فلما رأوا ضوء النار
وسمعوا معمعتها التفتوا فرأوها فى بيوتهم فولوا الى خيلهم وتبعهم الناس وكانت المزينة
ورضى الحجاج عن خالد وعقد له على قتالهم قال ولما قتل شبيب عتابا أراد دخول الكوفة
ثانية فأقبل حتى شارفها فوجه اليه الحجاج سيف بن هانئ ورجلا معه ليأتياه بخبر شبيب فأتيا

عسكره ففطن بهما فقتل الرجل وأفلت سيفه وتبعه رجل من الخوارج فأوثب سيفه فرسه ساقية ثم سأل الرجل الامان على أن يصدقه فآمنه فأخبره ان الحجاج بعثه وصاحبه ليأتياه بخبر شبيب قال فأخبره انا نأتيه يوم الاثنين فأتى سيف الحجاج فأخبره فقال كذب وماق فلما كان يوم الاثنين توجهوا يريدون الكوفة فوجه اليهم الحجاج الحارث بن معاوية الثقفي فلقيه شبيب بزرارة فقتله وهزم أصحابه ودنا من الكوفة فبعث البطين في عشرة فوارس يرتاد له منزلا على شاطئ الفرات في دار الرزق فأقبل البطين وقد وجه الحجاج حوشب بن يزيد في جمع من أهل الكوفة فأخذوا بأفواه السكك فقاتلهم البطين فلم يقو عليهم فبعث الى شبيب فأمده بفوارس فعقروا فرس حوشب وهزموه ونجا ومضى البطين الى دار الرزق وعسكر على شاطئ الفرات وأقبل شبيب فنزل دون الجسر فلم يوجه اليه الحجاج أحدا فمضى فنزل السبخة بين الكوفة والفرات فأقام ثلاثا لا يوجه اليه الحجاج أحدا فأشير على الحجاج أن يخرج بنفسه فوجه قتيبة بن مسلم فهيأ له عسكرا ثم رجع فقال وجدت المأتى سهلا فسر على الطائر الميمون فنادى في أهل الكوفة فخرجوا وخرج معه الوجوه حتى نزلوا في ذلك العسكر وتوافقوا وعلى ميمنة شبيب البطين وعلى ميسرته قعنب مولى بني أبي ربيعة بن ذهل وهو في زهاء مائتين وجعل الحجاج على ميمنته مطر بن ناجية الرياحي وعلى ميسرته خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي في زهاء أربعة آلاف وقيل له لا تعرفه موضعك فتنكر وأخفى مكانه وشبه له أبا الورد مولاه فنظر اليه شبيب فحمل عليه فضربه بعمود وزنه خمسة عشر رطلا فقتله وشبه له أعين صاحب حمام أعين بالكوفة وهو مولى لبكر بن وائل فقتله فركب الحجاج بغلة غراء محجلة وقال ان الدين أغر محجل وقال لأبي كعب قدم لواءك أنا ابن أبي عقيل وحمل شبيب على خالد بن عتاب وأصحابه فبلغ بهم الرحبة وحملوا على مطر بن ناجية فكشفوه فنزل عند ذلك الحجاج وأمر أصحابه فنزلوا فجلس على عباءة ومعه عنبسة بن سعيد فانهم على ذلك اذ تناول مصقلة بن مهلهل الضبي لجام شبيب فقال ما تقول في صالح بن مسرح وبما تشهد عليه قال أعلى هذه الحال وفي هذه الحزة والحجاج ينظر قال فبرئ من صالح فقال مصقلة برئ الله منك وفارقوه الا أربعين فارسا هم أشد أصحابه وانحاز الآخرون الى دار الرزق وقال الحجاج قد اختلفوا وأرسل الى خالد بن عتاب فأتاهم فقاتلهم فقتلت غزالة ومر برأسها الى الحجاج فارس فعرفه شبيب فأمر علوان فشد على الفارس فقتله وجاء بالرأس فأمر به فغسل ودفنه وقال هي أقرب اليكم رحما يعني غزالة ومضى القوم على حاميتهم ورجع خالد الى الحجاج فأخبره بانصراف القوم فأمره أن يحمل على شبيب فحمل عليهم وأتبعه مائة منهم قعنب والبطين وعلوان وعيسى والمهذب وابن عويمر وسنان حتى بلغوا به الرحبة وأتى شبيب في موقفه بخوط ابن عمير السدوسي فقال له شبيب ياخوط لا حكم الا لله فقال لا حكم الا لله فقال شبيب خوط من

أصحابكم ولكنه كان يخاف فأطلقه وأتى بعمير بن الضبعاع فقال له لا حكم الا لله يا عمير فجعل لا يفقه عنه ويقول فى سبيل الله شبابى فردّد عليه شبيب لا حكم الا لله ليتخلّصه فلم يفقه فأمر بقتله وقتل مُصاد أخو شبيب وجعل شبيب ينتظر النفر الذين تبعوا خالدا فأبطؤا ونعس شبيب فأيقظه حبيب بن حدرة وجعل أصحاب الحجاج لا يقدمون عليه هيبة له وسار الى دار الرزق فجمع رثة من قتل من أصحابه وأقبل الثمانية الى موضع شبيب فلم يجدوه فظنوا انهم قتلوه ورجع مطر وخالد الى الحجاج فأمرهما فأتبعا الرهط الثمانية وأتبع الرهط شبيبا فمضوا جميعا حتى قطعوا جسر المدائن فدخلوا ديراهنالك وخالد يقفوهم فحصرهم فى الدير فخرجوا عليه فهزموه نحوا من فرسخين حتى ألقوا أنفسهم فى دجلة بخيلهم وألقى خالد نفسه بفرسه فمرّبه ولواؤه فى يده فقال شبيب قاتله الله فارسا وفرسه هذا أشد الناس وفرسه أقوى فرس فى الارض فقيل له هذا خالد بن عتاب فقال مُعْرَقٌ له فى الشجاعة والله لو علمت لأقحمت خلفه ولو دخل النار ﴿رجع الحديث الى حديث أبى مخنف﴾ عن أبى عمرو العذرى ان الحجاج دخل الكوفة حين انهزم شبيب ثم صعد المنبر فقال والله ما قوتل شبيب قط قبلها مثلها ولى والله هاربا وترك امرأته يُكسر فى استها القصب ثم دعا حبيب بن عبد الرحمن الحكمى فبعثه فى أثره فى ثلاثة آلاف من أهل الشأم فقال له الحجاج احذر بياته وحيث ما لقيته فنازله فان الله قد فلّ حدّه وقصم نابه فخرج حبيب بن عبد الرحمن فى أثر شبيب حتى نزل الانبار وبعث الحجاج الى العمال ان دُسّوا الى أصحاب شبيب ان من جاءنا منهم فهو آمن فكان كل من ليست له تلك البصيرة ممن قد هدّه القتال يجىء فيؤمَن وقبل ذلك ما قد نادى فيهم الحجاج يوم هُزموا ان من جاءنا منكم فهو آمن فتفرّق عنه ناس كثير من أصحابه وبلغ شبيبا مَنْزِلُ حبيب بن عبد الرحمن الانبارَ فأقبل بأصحابه حتى اذا دنا من عسكرهم نزل فصلى بهم المغرب ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثنى أبو يزيد السكسكى قال أنا والله فى أهل الشأم ليلة جاءنا شبيب فبيّتنا قال فلما أمسينا جمعنا حبيب بن عبد الرحمن فجعلنا أرباعا وقال لكل ربع منا ليجزئ كل ربع منكم جانبه فان قاتل هذا الربع فلا يُغثهم هذا الربع الآخر فانه قد بلغنى ان هذه الخوارج مناقريب فوطّنوا أنفسكم على انكم مبيّتون ومقاتلون فمازلنا على تعبيتنا حتى جاءنا شبيب فبيّتنا فشد على ربع منا عليهم عثمان بن سعيد العذرى فضاربهم طويلا فمازالت قَدَمُ الانسان منهم ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر وقد جعل عليهم سعد بن بجل العامرى فقاتلهم فمازالت قدم انسان منهم ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر وعليهم النعمان بن سعد الحميرى فما قدر منهم على شىء ثم أقبل على الربع الآخر وعليهم ابن أقيصر الخثعمى فقاتلهم طويلا فلم يظفر بشىء ثم أطاف بنا يحمل علينا حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل وألزّبنا حتى قلنا لا يفارقنا ثم نازلنا راجلا طويلا فسقطت والله بيننا وبينهم الايدى وفُقئت الاعين وكثرت

القتلى قتلنا منهم نحوا من ثلاثين وقتلوا منا نحوا من مائة والله لو كانوا فيما نرى يزيدون على مائة رجل لاهلكونا وايم الله على ذلك ما فارقونا حتى ملأناهم وملوناوكرهوناوكرهناهم ولقد رأيت الرجل منا يضرب بسيفه الرجل منهم فما يضره شيأ من الإعياء والضعف ولقد رأيت الرجل منا يقاتل جالسا ينفح بسيفه ما يستطيع أن يقوم من الإعياء فلما يئسوا منا ركب شبيب ثم قال لمن كان نزل من أصحابه اركبوا فلما استووا على متون خيولهم وجه منصرفا عنا ﴿قال أبو مخنف﴾ حدثني فروة بن لقيط عن شبيب قال لما انصرفنا عنهم وبنا كآبة شديدة وجراحة ظاهرة قال لنا ما أشد هذا الذي بنا لو كنا انما نطلب الدنيا وما أيسر هذا في ثواب الله فقال أصحابه صدقت يا أمير المؤمنين قال فما أنسى منه اقباله على سويد بن سليم ولا مقالته له قتلت منهم أمس رجلين أحدهما أشجع الناس والآخر أجبن الناس خرجت عشية أمس طليعة لكم فلقيت منهم ثلاثة نفر دخلوا قرية يشترون منها حوائجهم فاشترى أحدهم حاجته ثم خرج قبل أصحابه وخرجت معه فقال كانك لم تشتر علفا فقلت ان لي رفقاء قد كفوني ذلك فقلت له أين ترى عدونا هذا نزل قال بلغني انه قد نزل مناقريبا وايم الله لوددت اني قد لقيت شبيبهم هذا قلت فتحب ذلك قال نعم قلت فخذ حذرك فأنا والله شبيب وانتضيت سيفي فخر والله ميتا فقلت له ارتفع ويحك وذهبت أنظر فاذا هو قد مات فانصرفت راجعا فاستقبل الآخر خارجا من القرية فقال أين تذهب هذه الساعة وانما يرجع الناس الى عسكرهم فلم أكلمه ومضيت يقرب بي فرسي وأتبعني حتى لحقني فقطعت عليه فقلت له مالك فقال أنت والله من عدونا فقلت أجل والله فقال والله لا تبرح حتى تقتلني أو أقتلك فحملت عليه وحمل علي فاضطربنا بسيفينا ساعة فوالله ما فضلته في شدة نفس ولا اقدام الا ان سيفي كان أقطع من سيفه فقتلته قال فمضينا حتى قطعنا دجلة ثم أخذنا في أرض جوخى حتى قطعنا دجلة مرة أخرى من عند واسط ثم أخذنا الى الأهواز ثم الى فارس ثم ارتفعنا الى كرمان ﴿وفي هذه السنة﴾ هلك شبيب في قول هشام بن محمد وفي قول غيره كان هلاكه سنة ٧٨

﴿ذكر سبب هلاكه﴾

﴿قال هشام﴾ عن أبي مخنف قال حدثني أبو يزيد السكسكي قال أقفلنا الحجاج اليه يعني الى شبيب فقسم فينا مالا عظيما وأعطى كل جريح منا وكل ذي بلاء ثم أمر سفيان بن الأبرد أن يسير الى شبيب فتجهز سفيان فشق ذلك على حبيب بن عبد الرحمن الحكمي وقال تبعث سفيان الى رجل قد فللته وقتلت فرسان أصحابه فأمضى سفيان بعد شهرين وأقام شبيب بكرمان حتى اذا انجبر واستراش هو وأصحابه أقبل راجعا فيستقبله سفيان بجسر دجيل الاهواز وقد كان الحجاج كتب الى الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل وهو زوج ابنة

الحجاج وعامله على البصرة أما بعد فابعث رجلا شجاعا عاقلا ممن أهل البصرة في أربعة آلاف الى شبيب ومُرْه فليلحق بسفيان بن الابرد وليسمع له وليطع فبعث اليه زياد بن عمرو العتكي في أربعة آلاف فلم ينته الى سفيان حتى التقى سفيان وشبيب ولما ان التقيا بجسر دجيل عبر شبيب الى سفيان فوجد سفيان قد نزل في الرجال وبعث مهاصر بن صيفي العذري على الخيل وبعث على ميمنته بشر بن حسان الفهري وبعث على ميسرته عمر بن هبيرة الفزاري فأقبل شبيب في ثلاثة كراديس من أصحابه هو في كتيبة وسويد في كتيبة وقعنب المحلمي في كتيبة وخلف المحلل بن وائل في عسكره قال فلما حمل سويد وهو في ميمنته على ميسرة سفيان وقعنب وهو في ميسرته على ميمنته حمل هو على سفيان فاضطربنا طويلا من النهار حتى انحاز وافرجعوا الى المكان الذي كانوا فيه فكر علينا هو وأصحابه اكثر من ثلاثين كرة كل ذلك لا نزول من صفنا وقال لنا سفيان بن الأبرد لا تتفرقوا ولكن لتزحف الرجال اليهم زحفا فوالله ما زلنا نطاعنهم ونضاربهم حتى اضطررناهم الى الجسر فلما انتهى شبيب الى الجسر نزل ونزل معه نحو من مائة رجل فقاتلناهم حتى المساء أشد قتال قاتله قوم قط فما هو الا ان نزلوا فأوقعوا بنا من الطعن والضرب شيأ ما رأينا مثله من قوم قط فلما رأى سفيان انه لا يقدر عليهم ولا يأمن مع ذلك ظفرهم دعا بالرُماة فقال ارشقوهم بالنبل وذلك عند المساء وكان التقاؤهم نصف النهار فرماهم أصحاب النبل بالنبل عند المساء وقد صفهم سفيان بن الابرد على حدة وبعث على المرامية رجلا فلما رشقوهم بالنبل ساعة شدوا عليهم فلما شدوا علينا شددنا عليهم فشغلناهم عنهم فلما رُموا بالنبل ساعة ركب شبيب وأصحابه ثم كرّوا على أصحاب النبل كرة صرع منهم أكثر من ثلاثين رجلا ثم عطف بخيله علينا فمشى عامد انحونا فطاعناه حتى اختلط الظلام ثم انصرف عنا فقال سفيان لاصحابه أيها الناس دعوهم لا تتبعوهم حتى نصبحهم غدوة قال فكففنا عنهم وليس شيء أحب الينا من أن ينصرفوا عنا ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثني فروة بن لقيط قال فما هو الا ان انتهينا الى الجسر فقال اعبروا معاشر المسلمين فاذا أصبحنا بكرناهم ان شاء الله فعبرنا امامه وتخلف في أخرانا فأقبل على فرسه وكانت بين يديه فرس أنثى ماذيانة فنزا فرسه عليها وهو على الجسر فاضطربت الماذيانة ونزل حافر رجل فرس شبيب على حرف السفينة فسقط في الماء فلما سقط قال ليقضي الله أمرا كان مفعولا فارتمس في الماء ثم ارتفع فقال ذلك تقدير العزيز العليم ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثني أبو يزيد السكسكي بهذا الحديث وكان ممن يقاتله من أهل الشأم وحدثني فروة بن لقيط وكان ممن شهد معه ذلك وحدثني عنه فأما رجل من رهطه من بني مُرّة بن همّام فانه حدثني انه كان معه قوم يقاتلون من عشيرته ولم يكن لهم تلك البصيرة النافذة وكان قد قتل من عشائرهم رجالا كثيرا فكان ذلك قد أوجع قلوبهم وأوغر صدورهم وكان رجل يقال له مقاتل من بني

تيم بن شيبان من أصحاب شبيب فلما قتل شبيب رجلا من بنى تيم بن شيبان أغار هو على بنى مرّة بن همام فأصاب منهم رجلا فقال له شبيب ما حملك على قتلهم بغير أمرى فقال له أصلحك الله قتلت كفار قومى وقتلت كفار قومك قال وأنت الوالى علىّ حتى تقطع الأمور دونى فقال أصلحك الله أليس من ديننا قتل من كان على غير رأينا منا كان أو من غيرنا قال بلى قال فانما فعلت ما كان ينبغى ولا والله يا أمير المؤمنين ما أصبت من رهطك عُشر ما أصبت من رهطى وما يحل لك يا أمير المؤمنين أن تجد من قتل الكافرين قال انى لا أجد من ذلك وكان معه رجال كثير قد أصاب من عشائرهم فزعموا انه لما تخلف فى أخريات أصحابه قال بعضهم لبعض هل لكم أن نقطع به الجسر فندرك ثأرنا الساعة فقطعوا الجسر فمالت السفن ففزع الفرس ونفر ووقع فى الماء فغرق (قال أبو مخنف) فحدثنى ذلك المُرّىّ بهذا الحديث وناس من رهط شبيب يذكرون هذا أيضا وأما حديث العامة فالحديث الاول (قال أبو مخنف) وحدثنى أبو يزيد السكسكى قال إنا والله لننتهى للانصراف اذ جاء صاحب الجسر فقال أين أميركم قلنا هو هذا فجاءه فقال أصلحك الله ان رجلا منهم وقع فى الماء فتنادوا بينهم غرق أمير المؤمنين ثم انهم انصرفوا راجعين وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد فكبّر سفيان وكبّرنا ثم أقبل حتى انتهى الى الجسر وبعث مهاصر بن صيفى فعبر الى عسكرهم فاذا ليس فيه منهم صافر ولا آثر فنزل فيه فاذا أكثر عسكر خلق الله خيرا وأصبحنا فطلبنا شبيبا حتى استخرجناه وعليه الدرع فسمعت الناس يزعمون انه شُقّ بطنه فأخرج قلبه فكان مجتمعا صلبا كأنه صخرة وانه كان يضرب به الأرض فيثب قامة انسان فقال سفيان احمدوا الله الذى أعانكم فأصبح عسكرهم فى أيدينا (قال أبو زيد) عمر بن شبة حدثنى خلاد بن يزيد الأرقط قال كان شبيب يُنعى لامه فيقال قتل فلا تقبل قال فقيل لها انه غرق فقبلت وقالت انى رأيت حين ولدته انه خرج منى شهاب نار فعلمت انه لا يُطفئه الا الماء (قال هشام) عن أبى مخنف حدثنى فروة بن لقيط الأزدى ثم العامرى ان يزيد بن نُعيم أبا شبيب كان ممن دخل فى جيش سلمان بن ربيعة اذ بعث به وبمن معه الوليد بن عقبة عن أمر عثمان اياه بذلك مددا لأهل الشأم أرض الروم فلما قفل المسلمون أقيم السبى للبيع فرأى يزيد بن نعيم أبو شبيب جارية حمراء لاشهلاء ولا زرقاء طويلة جميلة تأخذها العين فابتاعها ثم أقبل بها وذلك سنة ٢٥ أول السنة فلما أدخلها الكوفة قال أسلمى فأبت عليه فصربها فلم تزدد الا عصيانا فلما رأى ذلك أمر بها فأصلحت ثم دعا بها فأدخلت عليه فلما تغشّاها تلقّت منه بحمل فولدت شبيبا وذلك سنة ٢٥ فى ذى الحجة فى يوم النحر يوم السبت وأحبّت مولاها حبا شديدا وكانت تحدثه وقالت ان شئت أجبتك الى ما سألتنى من الاسلام فقال لها قد شئت فأسلمت وولدت شبيبا وهى مُسلمة وقالت انى رأيت فيما يرى النائم انه خرج من قُبلى

شهاب فثقب يسطع حتى بلغ السماء وبلغ الآفاق كلها فبيناهو كذلك اذ وقع في ماء كثير جار فخبا وقد ولدته في يومكم هذا الذى تهريقون فيه الدماء وانى قد أولت رؤياى هذه انى أرى ولدى هذا غلاما أراه سيكون صاحب دماء يهريقها وانى أرى أمره سيعلو ويعظم سريعا قال فكان أبوه يختلف به وبأمه الى البادية الى أرض قومه على ماء يدعى اللصف (قال أبو مخنف) وحدثنى موسى بن أبى سويد بن رادى ان جند أهل الشأم الذين جاؤا حملوا معهم الحجر فقالوا لا نفر من شبيب حتى يفرهذا الحجر فبلغ شبيبا أمرهم فأراد أن يكيدهم فدعا بأفراس أربعة فربط في أذنابها ترسة في ذنب كل فرس ترسين ثم ندب معه ثمانية نفر من أصحابه ومعه غلام له يقال له حيان وأمره أن يحمل معه إداوة من ماء ثم سار حتى يأتى ناحية من العسكر فأمر أصحابه أن يكونوا فى نواحى العسكر وأن يجعلوا مع كل رجلين فرسا ثم يمسوها الحديد حتى تجد حره ويخلوها في العسكر وواعدهم تلعة قريبة من العسكر فقال من نجا منكم فان موعده هذه التلعة وكره أصحابه الاقدام على ما أمرهم به فنزل حيث رأى ذلك منهم حتى صنع بالخيل مثل الذى أمرهم ثم وغلت فى العسكر ودخل يتلوها محكما فضرب الناس بعضهم بعضا فقام صاحبهم الذى كان عليهم وهو حبيب بن عبد الرحمن الحكمى فنادى أيها الناس ان هذه مكيدة فالزموا الارض حتى يتبين لكم الامر ففعلوا وبقى شبيب في عسكرهم فلزم الارض حيث رآهم قد سكنوا وقد أصابته ضربة عمود أوهنته فلما ان هدأ الناس ورجعوا الى أبنيتهم خرج فى غمارهم حتى أتى التلعة فاذا هو بحيان فقال أفرغ ياحيان على رأسى من الماء فلما مد رأسه ليصب عليه من الماء هم حيان أن يضرب عنقه فقال لنفسه لا أجدلى مكرمة ولا ذكرا أرفع من قتلى هذا وهو أمانى عند الحجاج فاستقبلته الرعدة حيث هم بما هم به فلما أبطأ بحمل الاداوة قال ما يبطئك بحلها فتناول السكين من موزجه فخرقها به ثم ناولها اياه فأفرغ عليه من الماء فقال حيان منعنى والله الحين وما أخذنى من الرعدة أن أضرب عنقه بعد ما هممت به ثم لحق شبيب بأصحابه فى عسكره ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة خرج مطرف بن المغيرة بن شعبة على الحجاج وخلع عبد الملك بن مروان ولحق بالجبال فقتل

﴿ذكر السبب الذى كان عند خروجه وخلعه عبد الملك بن مروان﴾

﴿قال هشام﴾ عن أبى مخنف قال حدثنى يوسف بن يزيد بن بكر الازدى ان بنى المغيرة بن شعبة كانوا صلحاء نبلاء أشرافا بأبدانهم سوى شرف أبيهم ومنزلتهم فى قومهم قال فلما قدم الحجاج فلقوه وشافههم علم انهم رجال قومه وبنو أبيه فاستعمل عروة بن المغيرة على الكوفة ومطرف بن المغيرة على المدائن وحمزة بن المغيرة على همذان (قال أبو مخنف) فحدثنى الحصين بن عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدى قال قدم علينا مطرف بن المغيرة بن شعبة

المدائن

المدائن فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الأمير الحجاج أصلحه الله قد ولاني عليكم وأمرني بالحكم بالحق والعدل في السيرة فإن عملت بما أمرني به فأنا أسعد الناس وإن لم أفعل فنفسي أوبقت وحظ نفسي ضيعت الا اني جالس لكم العصر بن فارفعوا الى حوائجكم وأشيروا علي بما يصلحكم ويصلح بلادكم فإني لن آلوكم خيرا ما استطعت ثم نزل وكان بالمدائن اذ ذاك رجال من أشراف أهل المصر وبيوتات الناس وبها مقاتلة لا تسعها عدة ان كان كون بأرض جوخى أو بأرض الأنبار فأقبل مطرف حين نزل حتى جلس للناس في الايوان وجاء حكيم بن الحارث الأزدي يمشي نحوه وكان من وجوه الأزد وأشرافهم وكان الحجاج قد استعمله بعد ذلك على بيت المال فقال له أصلحك الله اني كنت منك نائيا حين تكلمت واني أقبلت نحوك لأجيبك فوافق ذلك نزولك إنا قد فهمنا ما ذكرت لنا انه عهد اليك فأرشد الله العاهد والمعهود اليه وقد منيت من نفسك العدل وسألت المعونة على الحق فأعانك الله على ما نويت إنك تشبه أباك في سيرته برضى الله والناس فقال له مطرف ههنا الى فأوسع له فجلس الى جنبه (قال أبو مخنف) فحدثني الحصين بن يزيد انه كان من خير عامل قدم عليهم قط أقمعه للمريب وأشده إنكارا للظلم فقدم عليه بشر بن الاجدع الهمداني ثم الثوري وكان شاعرا فقال

انى كلفت بخود غير فاحشة * غراء وهنانة حسانة الجيد
كأنها الشمس يوم الدجن إذ برزت * تمشي مع الأنس الهيف الأماليد
سل الهوى بعلندات مذكرة * عنها الى المجتدى ذى العرف والجود
إلى الفتى الماجد الفياض نعرفه * في الناس ساعة يحلى كل مردود
من الأكارم أنسابا اذا نسبوا * والحاملين الثقل يوم المغرم الصيد
إني أعيذك بالرحمن من نفر * حمر السبال كأسد الغابة السود
فرسان شيبان لم نسمع بمثلهم * أبناء كل كريم النجل صنديد
شدوا على ابن حصين في كتيبته * فغادروه صريعا ليلة العيد
وابن المجالد أردته رماحهم * كأنما زل عن خوصاء صيخود
وكل جمع بروذاباذ كان لهم * قد فض بالطعن بين النخل والبيد

فقال له ويحك ما جئت الا لترغبنا وقد كان شبيب أقبل من ساتيدما فكتب مطرف الى الحجاج أما بعد فإني أخبر الأمير أكرمه الله ان شبيبا قد أقبل نحونا فان رأى الأمير ان يمدني برجال أضبط بهم المدائن فعل فإن المدائن باب الكوفة وحصنها فبعث اليه الحجاج ابن يوسف سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف في مائتين وعبد الله بن كناز في مائتين وجاء شبيب فأقبل حتى نزل قناطر حذيفة ثم جاء حتى انتهى الى كلواذا فعبر منها دجلة ثم أقبل حتى

نزل مدينة بهرسير ومطرّف بن المغيرة في المدينة العتيقة التي فيها منزل كسرى والقصر الأبيض * فلما نزل شبيب بهرسير قطع مطرّف الجسر فيما بينه وبين شبيب وبعث الى شبيب أن ابعث الىّ رجالا من صلحاء أصحابك أدارسهم القرآن وانظر ما تدعون اليه فبعث اليه رجالا منهم سويد بن سُليم وقعنب والمحلل بن وائل فلما أدنى منهم المغبر وأرادوا أن ينزلوا فيه أرسل اليهم شبيب أن لا تدخلوا السفينة حتى يرجع الىّ رسولى من عند مطرّف وبعث الى مطرف أن ابعث الىّ بعدّة من أصحابك حتى تردّ على أصحابى فقال لرسوله القه فقل له فكيف آمنك على أصحابى اذا بعثتهم الآن اليك وأنت لا تأمننى على أصحابك فأرسل اليه شبيب انك قد علمت أنا لا نستحلّ فى ديننا الغدر وأنتم تفعلونه وتهوّنونه فسرّح اليه مطرف الربيع بن يزيد الأسدىّ وسليمان بن حذيفة بن هلال بن مالك المزنىّ ويزيد ابن أبى زياد مولى المغيرة وكان على حرس مطرّف فلما وقعوا فى يديه بعث أصحابه اليه (قال أبو مخنف) حدّثنى النضر بن صالح قال كنت عند مطرّف بن المغيرة بن شعبة فما أدرى أقال انى كنت فى الجند الذين كانوا معه أو قال كنت بازائه حيث دخلت عليه رسل شبيب وكان لى ولاخى ودّ اكرما ولم يكن ليستر منا شيأ فدخلوا عليه وما عنده أحد من الناس غيرى وغير أخى حلام بن صالح وهم ستة ونحن ثلاثة وهم شاكون فى السلاح ونحن ليس علينا الا سيوفنا * فلما دنوا قال سويد السلام على من خاف مقام ربه وعرف الهدى وأهله فقال له مطرّف أجل فسلم الله على أوليائه ثم جلس القوم فقال لهم مطرّف قصوا على أمركم وخبرونى ما الذى تطلبون وإلى ما تدعون فحمد الله سويد بن سُليم وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الذى ندعو اليه كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وان الذى نقمنا على قومنا الاستئثار بالفئ وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية فقال لهم مطرّف ما دعوتم الا الى حق ولا نقمتم الا جورا ظاهرا أنا لكم على هذا متابع فتابعونى الى ما أدعوكم اليه ليجتمع أمرى وأمركم وتكون يدى ويدكم واحدة فقالوا هات اذكر ما تريد ان تذكر فإن يكن ما تدعونا اليه حقا نجبك قال فإنى أدعوكم الى أن نقاتل هؤلاء الظلمة العاصين على احداثهم الذى أحدثوا وان ندعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه وان يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين يؤمّرون عليهم من يرضون لأنفسهم على مثل الحال التى تركهم عليها عمر بن الخطاب فان العرب اذا علمت انما يراد بالشورى الرضى من قريش رضوا وكثر تبعكم منهم وأعوانكم على عدوّكم وتم لكم هذا الأمر الذى تريدون قال فوثبوا من عنده وقالوا هذا ما لا نجيبك اليه أبدا فلما مضوا فكادوا أن يخرجوا من صفة البيت التفت اليه سويد ابن سليم فقال يا ابن المغيرة لو كان القوم عُداة غُدُرا كنت قد أمكنتهم من نفسك ففزع لها مطرّف وقال صدقت وإله موسى وعيسى قال ورجعوا الى شبيب فأخبره بمقالته

فطمع فيه وقال لهم اذا أصبحتم فليأته أحدكم * فلما أصبحوا بعث اليه سويدا وأمره بأمره فجاء سويد حتى انتهى الى باب مطرّف فكنت أنا المستأذن له فلما دخل وجلس أردت أن أنصرف فقال لى مطرّف اجلس فليس دونك ستر فجلست وأنا يومئذ شاب أغيد فقال له سويد من هذا الذى ليس لك دونه ستر فقال له هذا الشريف الحسيب هذا ابن مالك ابن زُهير بن جذيمة فقال له بخ أكرمت فارتبط ان كان دينه على قدر حسبه فهو الكامل ثم أقبل على فقال انا لقينا أمير المؤمنين بالذى ذكرت لنا فقال لنا القوه فقولوا له ألست تعلم ان اختيار المسلمين منهم خيرهم لهم فيما يرون رأى رشيد فقد مضت به السنة بعد الرسول صلى الله عليه فاذا قال لكم نعم فقولوا له فإنا قد اخترنا لأنفسنا أرضانا فينا وأشدّنا اضطلاعا لما حُمل فما لم يُغيّر ولم يُبدّل فهو ولىّ أمرنا وقال لنا قولوا له فيما ذكرت لنا من الشورى حين قلت ان العرب اذا علمت انكم انما تريدون بهذا الأمر قريشا كان أكثر لتبعكم منهم فان أهل الحق لا ينقصهم عند الله أن يقلوا ولا يزيد الظالمين خيرا أن يكثروا وان تركنا حقنا الذى خرجناله ودخولنا فيما دعوتنا اليه من الشورى خطيئة وعجز ورخصة الى نصرة الظالمين ووهن لأنا لا نرى ان قريشا أحقّ بهذا الأمر من غيرها من العرب فقال له فان زعم انهم أحق بهذا الأمر من غيرها من العرب فقولوا له ولِمَ ذاك فان قال لقرابة محمد صلى الله عليه بهم فقل له فوالله ما كان ينبغى اذ الأسلافنا الصالحين من المهاجرين الأوّلين ان يتولوا على أسرة محمد ولا على ولد أبى لهب لولم يبق غيرهم ولولا انهم علموا ان خير الناس عند الله أتقاهم وان أولاهم بهذا الأمر أتقاهم وأفضلهم فيهم وأشدّهم اضطلاعا بحمل أمورهم ما تولوا أمور الناس ونحن أوّل من أنكر الظلم وغيّر الجور وقاتل الأحزاب فان اتبعنا فله مالنا وعليه ما علينا وهو رجل من المسلمين والا يفعل فهو كبعض من نُعادى ونقاتل من المشركين فقال له مطرّف قد فهمت ما ذكرت ارجع يومك هذا حتى ننظر فى أمرنا فرجع ودعا مطرّف رجالا من أهل ثقاته وأهل نصائحه منهم سليمان ابن حذيفه المزنىّ والربيع بن يزيد الأسدىّ قال النضر بن صالح وكنت أنا ويزيد بن أبى زياد مولى المغيرة بن شعبة قائمين على رأسه بالسيف وكان على حرسه فقال لهم مطرّف ياهؤلاء انكم نصحائى وأهل مودّتى ومن أثق بصلاحه وحسن رأيه والله ما زلت لأعمال هؤلاء الظلمة كارها أنكرها بقلبى وأغيّرها ما استطعت بفعلى وأمرى فلما عظمت خطيئتهم ومرّبى هؤلاء القوم يجاهدونهم لم أرانه يسعنى الا مناهضتهم وخلافهم ان وجدت أعوانا عليهم وانى دعوت هؤلاء القوم فقلت لهم كيت وكيت وقالوا لى كيت وكيت فلست أرى القتال معهم ولو تابعونى على رأيى وعلى ما وصفت لهم لخلعت عبد الملك والحجاج ولسرت اليهم أجاهدهم فقال له المزنىّ انهم لن يتابعوك وانك لن تتابعهم فأخف هذا الكلام

ولا تظهر له لأحد وقال له الاسدى مثل ذلك فجثا مولاه ابن أبى زياد على ركبتيه ثم قال والله لا يخفى مما كان بينك وبينهم على الحجاج كلمة واحدة وليزادن على كل كلمة عشرة أمثالها والله ان لو كنت فى السحاب هاربا من الحجاج ليلتمسن أن يصل اليك حتى يهلكك أنت ومن معك فالنجاء النجاء من مكانك هذا فان أهل المدائن من هذا الجانب ومن ذاك الجانب وأهل عسكر شبيب يتحدثون بما كان بينك وبين شبيب ولا تمسى من يومك هذا حتى يبلغ الخبر الحجاج فاطلب دارا غير المدائن فقال له صاحباه ما نرى الرأى الا كما ذكر لك قال لهما مطرف فما عندكما قال الإجابة الى ما دعوتنا اليه والمؤاساة لك بأنفسنا على الحجاج وغيره قال ثم نظر الى فقال ما عندك فقلت قتال عدوك والصبر معك ما صبرت فقال لى ذاك الظن بك قال ومكث حتى اذا كان فى اليوم الثالث أتاه قعنب فقال له ان تابعتنا فأنت منا وان أبيت فقد نابذناك فقال لا تعجلوا اليوم فانا ننظر قال وبعث الى أصحابه أن ارحلوا الليلة من عند آخركم حتى توافوا الدسكرة معى لحدث حدث هنالك ثم أدلج وخرج أصحابه معه حتى مر بدير يزدجرد فنزله فلقيه قبيصة بن عبد الرحمن القحافى من خثعم فدعاه الى صحبته فصحبه فكساه وحمله وأمر له بنفقة ثم سار حتى نزل الدسكرة * فلما أراد أن يرتحل منها لم يجد بدا من ان يعلم أصحابه ما يريد فجمع اليه رؤس أصحابه فذكر الله بما هو أهله وصلى على رسوله ثم قال لهم أما بعد فان الله كتب الجهاد على خلقه وأمر بالعدل والإحسان وقال فيما أنزل علينا تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب وانى أشهد الله انى قد خلعت عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف فمن أحب منكم صحبتى وكان على مثل رأيى فليتابعنى فان له الأسوة وحسن الصحبة ومن أبى فليذهب حيث شاء فانى لست أحب أن يتبعنى من ليست له نية فى جهاد أهل الجور أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والى قتال الظلمة فاذا جمع الله لنا أمرنا كان هذا الامر شورى بين المسلمين يرتضون لأنفسهم من أحبوا قال فوثب اليه أصحابه فبايعوه ثم انه دخل رحله وبعث الى سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف والى عبد الله بن كناز النهدى فاستغلاهما ودعاهما الى مثل ما دعا اليه عامة أصحابه فأعطياه الرضى فلما ارتحل انصرفا بمن معهما من أصحابه حتى أتيا الحجاج فوجداه قد نازل شبيبا فشهدا معه وقعة شبيب قال وخرج مطرف بأصحابه من الدسكرة موجها نحو حلوان وقد كان الحجاج بعث فى تلك السنة سويد بن عبد الرحمن السعدى على حلوان وماسبذان * فلما بلغه ان مطرف بن المغيرة قد أقبل نحو أرضه عرف انه ان رفق فى أمره أوداهن لا يقبل ذلك منه الحجاج فجمع له سويد أهل البلد والأكراد فأما الأكراد فأخذوا عليه ثنية حلوان وخرج اليه سويد وهو يحب أن يسلم من قتاله وان يعافى من الحجاج فكان خروجه كالتعذير (قال أبو مخنف) فحدثنى

عبد الله بن علقمة الخثعمي ان الحجاج بن جارية الخثعمي حين سمع بخروج مطرف من المدائن نحو الجبل أتبعه في نحو من ثلاثين رجلا من قومه وغيرهم قال وكنت فيهم فلحقناه بحلوان فكنا ممن شهد معه قتال سويد بن عبد الرحمن (قال أبو مخنف) وحدثني بذلك أيضا النضر (قال أبو مخنف) وحدثني عبد الله بن علقمة قال ما هو الا ان قدمنا على مطرف بن المغيرة فسُرّ بمقدمنا عليه وأجلس الحجاج بن جارية معه على مجلسه (قال أبو مخنف) وحدثني النضر بن صالح وعبد الله بن علقمة ان سويدا لما خرج اليهم بمن معه وقف في الرجال ولم يخرج بهم من البيوت وقدم ابنه القعقاع في الخيل وما خيله يومئذ بكثير (قال أبو مخنف) قال النضر بن صالح أراهم كانوا مائتين وقال ابن علقمة أراهم كانوا ينقصون من الثلاثمائة قال فدعا مطرف الحجاج بن جارية فسرّحه اليهم في نحو من عدتهم فأقبلوا نحو القعقاع وهم جادّون في قتاله وهم فرسان متعالمون فلما رآهم سويد قد تيسر وانحو ابنه أرسل اليهم غلاما له يقال له رُستم قتل معه بعد ذلك بدير الجماجم وفي يده راية بني سعد فانطلق غلامه حتى انتهى الى الحجاج بن جارية فأشرّ اليه ان كنتم تريدون الخروج من بلادنا هذه الى غيرها فاخرجوا عنا فانا لا نريد قتالكم وان كنتم ايانا تريدون فلا بدّ لنا من منع ما في أيدينا * فلما جاءه بذلك قال له الحجاج بن جارية ائت أميرنا فاذكر له ما ذكرت لي فخرج حتى أتى مطرفا فذكر له مثل الذي ذكر للحجاج بن جارية فقال له مطرف ما أريدكم ولا بلادكم فقال له فالزم هذا الطريق حتى تخرج من بلادنا فانا لا نجد بدّا من ان يرى الناس وتسمع بذلك انا قد خرجنا اليك قال فبعث مطرف الى الحجاج فأتاه ولزموا الطريق حتى مروا بالثنية فاذا الأكراد بها فنزل مطرف ونزل معه عامة أصحابه وصعد اليهم في الجانب الأيمن الحجاج بن جارية وفي الجانب الأيسر سليمان بن حذيفة فهزمهم وقتلاهم وسلم مطرف وأصحابه فمضوا حتى دنوا من همذان فتركوها وأخذوا ذات اليسار الى ماه دينار وكان أخوه حمزة بن المغيرة على همذان فكره أن يدخلها فيتّهم أخوه عند الحجاج فلما دخل مطرف أرض ماه دينار كتب الى أخيه حمزة أما بعد فان النفقة قد كثرت والمؤنة قد اشتدت فأمددني بما قدرت عليه من مال وسلاح وبعث اليه يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة فجاء حتى دخل على حمزة بكتاب مطرف ليلا فلما رآه قال له ثكلتك أمك أنت قتلت مطرفا فقال له ما أنا قتلته جعلت فداك ولكن مطرفا قتل نفسه وقتلني وليته لا يقتلك فقال له ويحك من سوّل له هذا الأمر فقال نفسه سوّلت هذا له ثم جلس اليه فقص عليه القصص وأخبره بالخبر ودفع كتاب مطرف اليه فقرأه ثم قال نعم وأنا باعث اليه بمال وسلاح ولكن أخبرني ترى ذلك يخفى لي قال ما أظن ان يخفى فقال له حمزة فوالله لئن أنا خذلته في أنفع النصرين له نصر العلانية لا أخذله في أيسر النصرين نصر السريرة قال فسرح اليه مع يزيد

ابن أبي زياد بمال وسلاح فأقبل به حتى أتى مطرفا ونحن نزول في رستاق من رساتيق ماه دينار يقال له سامان متاخم أرض اصبهان وهو رستاق كانت الحمراء تنزله (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح قال والله ماهو الا ان مضى يزيد بن أبي زياد فسمعت أهل العسكر يتحدثون ان الأمير بعث الى أخيه بسأله النفقة والسلاح فأتيت مطرفا فحدثته بذلك فضرب بيده على جبهته ثم قال سبحان الله قال الأول ما يخفى قال ما لا يكون قال وماهو الا ان قدم يزيد بن أبي زياد علينا فسار مطرف بأصحابه حتى نزل قم وفاشان واصبهان (قال أبو مخنف) فحدثني عبد الله بن علقمة ان مطرفا حين نزل قم وفاشان واطمأن دعا الحجاج بن جارية فقال له حدثني عن هزيمة شبيب يوم السبخة أكانت وأنت شاهدها أم كنت خرجت قبل الوقعة قال لا بل شهدتها قال فحدثني حديثهم كيف كان فحدثه فقال اني كنت أحب ان يظفر شبيب وإن كان ضالا فيقتل ضالا قال فظننت انه تمنى ذلك لأنه كان يرجو ان يتم له الذي يطلب لوهلك الحجاج قال ثم ان مطرفا بعث عماله (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح ان مطرفا عمل عملا حازما لولا ان الأقدار غالبة قال كتب مع الربيع بن يزيد الى سويد بن سرحان الثقفي والى بكير بن هارون البجلي أما بعد فإني ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والى جهاد من عند عن الحق واستأثر بالفيء وترك حكم الكتاب فإذا ظهر الحق ودمغ الباطل وكانت كلمة الله هي العليا جعلنا هذا الأمر شورى بين الأمة يرتضي المسلمون لأنفسهم الرضى فمن قبل هذا منا كان أخانا في ديننا وولينا في محيانا ومماتنا ومن رد ذلك علينا جاهدناه واستنصرنا الله عليه فكفى بنا عليه حجة وكفى بتركه الجهاد في سبيل الله غبنا وبمداهنة الظالمين في أمر الله وهنا ان الله كتب القتال على المسلمين وساءه كرها ولن ينال رضوان الله الا بالصبر على أمر الله وجهاد أعداء الله فأجيبوا رحمكم الله الى الحق وادعوا اليه من ترجون اجابته وعرفوه مالا يعرفه وليقبل الي كل من رأى رأينا وأجاب دعوتنا ورأى عدونا عدوه أرشدنا الله وإياكم وتاب علينا وعليكم إنه هو التواب الرحيم والسلام فلما قدم الكتاب على ذينك الرجلين دبا في رجال من أهل الري ودعوا من تابعهما ثم خرجا في نحو من مائة من أهل الري سرا لا يفطن بهم فجاؤا حتى وافوا مطرفا وكتب البراء بن قبيصة وهو عامل الحجاج على اصبهان أما بعد فان كان للأمير أصلحه الله حاجة في اصبهان وغيرها من بلدان فليبعث الى مطرف جيشا كثيفا يستأصله ومن معه فإنه لا تزال عصابة قد انتفحت له من بلدة من البلدان حتى توافيه بمكانه الذي هو به فانه قد استكثف وكثر تبعه والسلام فكتب اليه الحجاج أما بعد اذا أتاك رسولي فسكر بمن معك فاذا مر بك عدي بن وتاد فاخرج معه في أصحابك واسمع له وأطع والسلام فلما قرأ كتابه خرج فعسكر وجعل الحجاج بن يوسف يسرح الى البراء بن قبيصة الرجال على دواب البريد عشرين عشرين

وخمسة عشر خمسة عشر وعشرة عشرة حتى سرح اليه نحوا من خمسمائة وكان فى ألفين وكان الأسود بن سعد الهمدانى أتى الرى فى فتح الله على الحجاج يوم لقى شيبان بالسبخة فر بهمذان والجبال ودخل على حمزة فاعتذر اليه فقال الأسود فابلغت الحجاج عن حمزة فقال قد بلغنى ذاك وأراد عزله فخشى ان يمكر به ان يمتنع منه فبعث الى قيس بن سعد العجلى وهو يومئذ على شرطة حمزة بن المغيرة ولبنى عجل وربيعة عدد بهمذان فبعث الى قيس بن سعد بعهده على همذان وكتب اليه ان أوثق حمزة بن المغيرة فى الحديد واحبسه قبلك حتى يأتيك أمرى فلما أتاه عهده وأمره أقبل ومعه ناس من عشيرته كثير فلما دخل المسجد وافق الاقامة لصلاة العصر فصلى مع حمزة فلما انصرف حمزة انصرف معه قيس بن سعد العجلى صاحب شرطه فأقرأه كتاب الحجاج اليه وأراه عهده فقال حمزة سمعا وطاعة فأوثقه وحبسه فى السجن وتولى أمر همذان وبعث عماله عليها وجعل عماله كلهم من قومه وكتب الى الحجاج أما بعد فانى أخبر الامير أصلحه الله انى قد شددت حمزة بن المغيرة فى الحديد وحبسته فى السجن وبعثت عمالى على الخراج ووضعت يدى فى الجباية فان رأى الأمير ابقاه الله ان يأذن لى فى المسير الى مطرف أذن لى حتى اجاهده فى قومى ومن أطاعنى من أهل بلادى فإنى أرجو ان يكون الجهاد أعظم أجرا من جباية الخراج والسلام فلما قرأ الحجاج كتابه ضحك ثم قال هذا جانب آثرا ما قد أمناه وقد كان مكان حمزة بهمذان أثقل ما حمل الله على الحجاج مخافة ان يمد أخاه بالسلاح والمال ولا يدرى لعله يبدو له فيعق فلم يزل يكيده حتى عزله فاطمأن وقصد قصد مطرف (قال أبو مخنف) فحدثنى مطرف بن عامر بن واثلة ان الحجاج لما قرأ كتاب قيس بن سعد العجلى وسمع قوله إن أحب الأمير سرت اليه حتى اجاهده فى قومى قال ما أبغض الى ان تكثر العرب فى أرض الخراج قال فقال لى ابن الغرق ما هو والله ان سمعتها من الحجاج فعلمت انه لو قد فرغ له قد عزله قال وحدثنى النضر بن صالح ان الحجاج كتب الى عدى بن وتاد الإيادى وهو على الرى يأمره بالمسير الى مطرف بن المغيرة وبالمر على البراء بن قبيصة فإذا اجتمعوا فهو أمير الناس (قال أبو مخنف) وحدثنى أبى عن عبد الله ابن زهير عن عبد الله بن سليم الأزدى قال إنى لجالس مع عدى بن وتاد على مجلسه بالرى اذ أتاه كتاب الحجاج فقرأه ثم دفعه الى فقرأته فإذا فيه أما بعد فإذا قرأت كتابى هذا فانهض بثلاثة أرباع من معك من أهل الرى ثم اقبل حتى تمر بالبراء بن قبيصة بحى ثم سيرا جميعا فاذا التقيتما فأنت أمير الناس حتى يقتل الله مطرفا فاذا كفى الله المؤمنين مؤنته فانصرف الى عملك فى كنف من الله وكلاءته وستره فلما قرأته قال لى قم وتجهز قال وخرج فعسكر ودعا الكتاب فضربوا البعث على ثلاثة أرباع الناس فما مضت جمعة حتى سرنا فانتهينا الى بحى ووافينا بها قبيصة الضحاك فى تسعمائة من أهل الشام فيهم عمر بن هبيرة قال ولم نلبث بحى

الايومين حتى نهض عدى بن وتاد بمن أطاعه من الناس ومعه ثلاثة آلاف مقاتل من أهل الرى وألف مقاتل مع البراء بن قبيصة بعثهم اليه الحجاج من الكوفة وسبعمائة من أهل الشأم ونحو من ألف رجل من أهل اصبهان والأكراد فكان في قريب من ستة آلاف مقاتل ثم أقبل حتى دخل على مطرف بن المغيرة (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح عن عبد الله ابن علقمة ان مطرفا لما بلغه مسيرهم اليه خندق على أصحابه خندقا فلم يزالوا فيه حتى قدموا عليه (قال أبو مخنف) وحدثني يزيد مولى عبد الله بن زهير قال كنت مع مولاى اذذاك قال خرج عدى بن وتاد فعبّى الناس فجعل على ميمنته عبد الله بن زهير ثم قال للبراء بن قبيصة قم فى الميسرة ففضب البراء وقال تأمرنى بالوقوف فى الميسرة وأنا أمير مثلك تلك خيلى في الميسرة وقد بعثت عليها فارس مُضَر الطفيل بن عامر بن واثلة قال فأنهى ذلك الى عدى بن وتاد فقال لابن اقيصر الخثعمى انطلق فأنت على الخيل وانطلق الى البراء بن قبيصة فقل له انك قد أمرت بطاعتى ولست من الميمنة والميسرة والخيل والرّجالة فى شئ انما عليك أن تؤمر فتطيع ولا تعرض لى فى شئ أكرهه فأتنكّر لك وقد كان له مُكرما ثم ان عديّا بعث على الميسرة عمر بن هبيرة وبعثه فى مائة من أهل الشأم فجاء حتى وقف برايته فقال رجل من أصحابه للطفيل بن عامر خلّ رايتك وتنحّ عنا فانما نحن أصحاب هذا الموقف فقال الطفيل انى لا أخاصمكم انما عقد لى هذه الراية البراء بن قبيصة وهو أميرنا وقد علمنا ان صاحبكم على جماعة الناس فان كان قد عقد لصاحبكم هذا فبارك الله له ما أسمعنا وأطوعنا فقال لهم عمر بن هبيرة مهلا كفّوا عن أخيكم وابن عمكم رايتنا رايتك فان شئت آثرناك بها قال فما رأينا رجلين كانا أحلم منهما في موقفهما ذلك قال ونزل عدى بن وتاد ثم زحف نحو مطرف (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح وعبد الله بن علقمة ان مطرفا بعث على ميمنته الحجاج بن جارية وعلى ميسرته الربيع بن يزيد الاسدى وعلى الحامية سليمان ابن صخر المُزنى ونزل هو يمشى في الرجال ورايته مع يزيد بن أبى زياد مولى أبيه المغيرة ابن شعبة قال فلما زحف القوم بعضهم الى بعض وتدانوا قال لبكير بن هارون البجلى أخرج اليهم فادعهم الى كتاب الله وسنة نبيه وبكتّهم بأعمالهم الخبيثة فخرج اليهم بكير بن هارون على فرس له أدهم أقرح ذنوب عليه الدرع والمغفر والساعدان فى يده الرمح وقد شد درعه بعصابة حمراء من حواشى البرود فنادى بصوت له عال رفيع يا أهل قبلتنا وأهل ملتنا وأهل دعوتنا انّا نسألكم بالله الذى لا اله الا هو الذى علمه بما تسرّون مثل علمه بما تُعلنون لما أنصفتمونا وصدقتمونا وكانت نصيحتكم لله لا لخلقه وكنتم شهداء الله على عباده بما يعلمه الله من عباده خبّرونى عن عبد الملك بن مروان وعن الحجاج بن يوسف ألستم تعلمونهما جبارين مستأثرين يتبعان الهوى فيأخذان بالظنة ويقتلان على الغضب قال

فتنادوا

فتنادوا من كل جانب يا عدو الله كذبت ليسا كذلك فقال لهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ويلكم أو تعلمون الله مالا يعلم انى قد استشهدتكم وقد قال الله في الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه فخرج اليه صارم مولى عدى بن وتاد وصاحب رايته فحمل على بكير بن هارون البجلى فاضطربا بسيفيهما فلم تعمل ضربة مولى عدى شيأ وضربه بكير بالسيف فقتله ثم استقدم فقال فارس لفارس فلم يخرج اليه أحد فجعل يقول

صارم قد لاقيت سيفا صارما * وأسدا ذا لبدة ضبارما

قال ثم ان الحجاج بن جارية حمل وهو في الميمنة على عمر بن هبيرة وهو في الميسرة وفيها الطفيل ابن عامر بن وائلة فالتقى هو والطفيل وكانا صديقين متواخيين فتعارفا وقد رفع كل واحد منهما السيف على صاحبه فكفا أيديهما فاقتتلوا طويلا ثم ان ميسرة عدى بن وتاد زالت غير بعيد وانصرف الحجاج بن جارية الى موقفه ثم ان الربيع بن يزيد حمل على عبد الله بن زهير فاقتتلوا طويلا ثم ان جماعة الناس حملت على الأسدى فقتلته وانكشفت ميسرة مطرف بن المغيرة حتى انتهت اليه ثم ان عمر بن هبيرة حمل على الحجاج بن جارية وأصحابه فقاتله قتالا طويلا ثم انه حذره حتى انتهى الى مطرف وحمل ابن أقيصر الخثعمى في الخيل على سليمان بن صخر المزنى فقتله وانكشفت خيلهم حتى انتهى الى مطرف فثم اقتتلت الفرسان أشد قتال رآه الناس قط ثم انه وصل الى مطرف (قال أبو مخنف) فحدثنى النضر بن صالح انه جعل يناديهم يومئذ يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون قال ولم يزل يقاتل حتى قتل واحتز رأسه عمر بن هبيرة وذكر انه قتله وقد كان أسرع اليه غير واحد غير أن ابن هبيرة احتز رأسه وأوفده به عدى بن وتاد وحظى به وقاتل عمر بن هبيرة يومئذ وأبلى بلاء حسنا (قال أبو مخنف) وقد حدثنى حكيم بن أبى سفيان الأزدى انه قتل يزيد بن أبى زياد مولى المغيرة بن شعبة وكان صاحب راية مطرف قال ودخلوا عسكر مطرف وكان مطرف قد جعل على عسكره عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الأزدى فقتل وكان صالحا ناسكا عفيفا (قال أبو مخنف) حدثنى زيد مولاهم انه رأى رأسه مع ابن أقيصر الخثعمى فما ملكت نفسى أن قلت له أما والله لقد قتلته من المصلين العابدين الذاكرين الله كثيرا قال فأقبل نحوى وقال من أنت فقال له مولاى هذا غلامى ماله قال فأخبره بمقالتى فقال انه ضعيف العقل قال ثم انصرفنا الى الرى مع عدى بن وتاد قال وبعث رجالا من أهل البلاء الى الحجاج فأكرمهم وأحسن اليهم قال ولما رجع الى الرى جاءت بجيلة الى عدى بن وتاد فطلبوا البكير بن هارون الأمان فآمنه وطلبت ثقيف

لسويد بن سرحان الثقفي الأمان فآمنه وطلبت في كل رجل كان مع مطرف عشيرته فآمنهم وأحسن في ذلك وقد كان رجال من أصحاب مطرف أحيط بهم في عسكر مطرف فنادوا يا براء خذلنا الأمان يا براء اشفع لنا فشفع لهم فتركوا وأسر عدي ناسا كثيرا فخلى عنهم (قال أبو مخنف) وحدثني النضر بن صالح انه أقبل حتى قدم على سويد بن عبد الرحمن بحلوان فأكرمه وأحسن اليه ثم انه انصرف بعد ذلك الى الكوفة (قال أبو مخنف) وحدثني عبد الله بن علقمة ان الحجاج بن جارية الخثعمي أتى الري وكان مكتئبا بها فطلب الى عدي فيه فقال هذا رجل مشهور قد شهر مع صاحبه وهذا كتاب الحجاج الي فيه (قال أبو مخنف) فحدثني أبي عن عبد الله بن زهير قال كنت فيمن كلمه في الحجاج بن جارية فأخرج الينا كتاب الحجاج بن يوسف أما بعد فان كان الله قتل الحجاج بن جارية فبعدا له فذاك ما أهوى وأحب وان كان حيا فاطلبه قبلك حتى توثقه ثم ابعث به الي ان شاء الله والسلام قال فقال لنا قد كتب الي فيه ولا بد من السمع والطاعة ولو لم يكتب الي فيه آمنته لكم وكففت عنه فلم أطلبه وقنا من عنده قال فلم يزل الحجاج بن جارية خائفا حتى عزل عدي بن وتاد وقدم خالد بن عتاب ابن ورقاء فشيت اليه فيه فكلمته فآمنه وقال حبيب بن خذرة مولى لبني هلال بن عامر

هل أتى فائد عن أيسارنا * اذ خشينا من عدو خرقا
اذ أتانا الخوف من مأمننا * فطوينا في سواد أفقا
وسلي هدية يوما هل رأت * بشرا أكرم منا خلقا
وسليها أعلى العهد لنا * أو يصرون علينا حنقا
ولكم من حلة من قبلها * قد صرمنا حبلها فانطلقا
قد أصبنا العيش عيشا ناعما * وأصبنا العيش عيشا رنقا
وأصبت الدهر دهرا أشتهي * طبقا منه وألوى طبقا
وشهدت الخيل في ملمومة * ماترى منهن الا الحدقا
يتساقون بأطراف القنا * من نجيع الموت كأسا دهقا
فطراد الخيل قد يؤنقني * ويرد اللهو عني الأنقا
بمشيح البيض حتى يتركوا * لسيوف الهند فيها طرقا
وكأني من غد وافقتها * مثل ما وافق شن طبقا

﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب قطري بن الفجاءة فخالفه بعضهم واعتزله وبايع عبد ربه الكبير وأقام بعضهم على بيعة قطري

﴿ذكر الخبر عن ذلك وعن السبب الذى من أجله حدث الاختلاف بينهم حتى صار أمرهم الى الهلاك﴾

*ذكر هشام عن أبى مخنف عن يوسف بن يزيد ان المهلب أقام بسابور فقاتل قطريا وأصحابه من الأزارقة بعد ما صرف الحجاج عتاب بن ورقاء عن عسكره نحوا من سنة ثم انه زاحفهم يوم البستان فقاتلهم قتالا شديدا وكانت كرمان فى أيدى الخوارج وفارس فى يد المهلب فكان قد ضاق عليهم مكانهم الذى هم به لاياتيهم من فارس مادة وبعد ديارهم عنهم فخرجوا حتى أتوا كرمان وتبعهم المهلب حتى نزل بجيرفت وجيرفت مدينة كرمان فقاتلهم بها أكثر من سنة قتالا شديدا وحازهم عن فارس كلها فلما صارت فارس كلها فى يدى المهلب بعث الحجاج عليها عماله وأخذها من المهلب فبلغ ذلك عبد الملك فكتب الى الحجاج أما بعد فدع بيد المهلب خراج جبال فارس فانه لابد للجيش من قوة ولصاحب الجيش من معونة ودع له كورة فسا ودارا بجرد وكورة اصطخر فتركها المهلب فبعث المهلب عليها عماله فكانت له قوة على عدوه وما يصلحه ففى ذلك يقول شاعر الازد وهو يعاتب المهلب

نقاتل عن قصور دارا بجرد * ونحمى للمغيرة والرقاد

وكان الرقاد بن زياد بن همام رجل من العتيك كريما على المهلب وبعث الحجاج الى المهلب البراء بن قبيصة وكتب الى المهلب أما بعد فانك والله لو شئت فيما أرى لقد اصطلمت هذه الخارجة المارقة ولكنك تحب طول بقائهم لتأكل الارض حولك وقد بعثت اليك البراء بن قبيصة ليهضك اليهم فانهض اليهم اذا قدم عليك بجميع المسلمين ثم جاهدهم أشد الجهاد واياك والعلل والاباطيل والامور التى ليست لك عندى بسائغة ولا جائزة والسلام فأخرج المهلب بنيه كل ابن له فى كتيبة وأخرج الناس على راياتهم ومصافهم وأخماسهم وجاء البراء ابن قبيصة فوقفه على تل قريب منهم حيث يراهم فأخذت الكتائب تحمل على الكتائب والرجال على الرجال فيقتتلون أشد قتال رآه الناس من صلاة الغداة الى انتصاف النهار ثم انصرفوا فجاء البراء بن قبيصة الى المهلب فقال له لا والله ما رأيت كبنيك فرسانا قط ولا كفرسانك من العرب فرسانا قط ولا رأيت مثل قوم يقاتلونك قط اصبر ولا أبأس أنت والله المعذور فرجع بالناس المهلب حتى اذا كان عند العصر خرج اليهم بالناس وبنيه فى كتائبهم فقاتلوه كقتالهم فى أول مرة (قال أبو مخنف) وحدثنى أبو المغلس الكنانى عن عمه أبى طلحة قال خرجت كتيبة من كتائبهم لكتيبة من كتائبنا فاشتد بينهما القتال فأخذت كل واحدة منهما لا تصد عن الاخرى فاقتتلتا حتى حجز الليل بينهما فقالت احداهما للأخرى ممن أنتم فقال هؤلاء نحن من بنى تميم وقال هؤلاء نحن من بنى تميم فانصرفوا عند المساء قال المهلب للبراء كيف رأيت قال رأيت قوما والله ما يعينك عليهم الا الله فأحسن الى البراء بن

قبيصة وأجازه وحمله وكساه وأمر له بعشرة آلاف درهم ثم انصرف الى الحجاج فأتاه بعذر المهلب وأخبره بما رأى وكتب المهلب الى الحجاج أما بعد فقد أتانى كتاب الامير أصلحه الله واتهامه اياى فى هذه الخارجة المارقة وأمرنى الامير بالنهوض اليهم وإشهاد رسوله ذلك وقد فعلت فليسأله عما رأى فأما أنا فوالله لو كنت أقدر على استئصالهم أوازالتهم عن مكانهم ثم أمسكت عن ذلك لقد غششت المسلمين وما وفيت لامير المؤمنين ولا نصحت للامير أصلحه الله فعاذ الله أن يكون هذا من رأيى ولا مما أدين الله به والسلام ثم ان المهلب قاتلهم بهانمانية عشر شهرا لا يستفل منهم شيأ ولا يرى فى موطن ينتفعون له ولمن معه من أهل العراق من الطعن والضرب ما يردعونهم به ويكفونهم عنهم ثم ان رجلا منهم كان عاملا لقطرى على ناحية من كرمان خرج فى سرية لهم يدعى المقعطر من بنى ضبة فقتل رجلا قد كان ذا بأس من الخوارج ودخل منهم فى ولاية فقتله المقعطر فوثبت الخوارج الى قطرى فذكروا له ذلك وقالوا أمكنا من الضبى نقتله بصاحبنا فقال لهم ما أرى أن أفعل رجل تأول فأخطأ فى التأويل ما أرى أن تقتلوه وهو من ذوى الفضل منكم والسابقة فيكم قالوا بلى قال لهم لا فوقع الاختلاف بينهم فولوا عبد رب الكبير وخلعوا قطريا وبايع قطريا منهم عصابة نحو من ربعهم أو خمسهم فقاتلهم نحوا من شهر غدوة وعشية فكتب بذلك المهلب الى الحجاج أما بعد فان الله قد ألقى بأس الخوارج بينهم فخلع عظمهم قطريا وبايعوا عبد رب الكبير وبقيت عصابة منهم مع قطرى فهم يقاتل بعضهم بعضا غدوا وعشيا وقد رجوت أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم ان شاء الله والسلام فكتب اليه أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه اختلاف الخوارج بينها فاذا أتاك كتابى هذا فناهضهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا فتكون مؤنتهم عليك أشد والسلام فكتب اليه أما بعد فقد بلغنى كتاب الامير وكل ما فيه قد فهمت ولست أرى أن أقاتلهم ما داموا يقتل بعضهم بعضا وينقص بعضهم عدد بعض فان تمواعلى ذلك فهو الذى نريد وفيه هلاكهم وان اجتمعوا لم يجتمعوا الا وقد رق بعضهم بعضا فأناهضهم على تفيئة ذلك وهم أهون ما كانوا وأضعفه شوكة ان شاء الله والسلام فكف عنه الحجاج وتركهم المهلب يقتتلون شهرا لا يحركهم ثم ان قطريا خرج بمن اتبعه نحو طبرستان وبايع عامتهم عبد رب الكبير فنهض اليهم المهلب فقاتلوه قتالا شديدا ثم ان الله قتلهم فلم ينج منهم الا قليل وأخذ عسكرهم وما فيه وسبوا لانهم كانوا يسبون المسلمين وقال كعب الاشقرى والاشقر بطن من الأزد يذكر يوم رام هرمز وأيام سابور وأيام جيرفت

يا حفص انى عدانى عنكم السفر * وقد أرقت فآذى عينى السهر
علقت يا كعب بعد الشيب غانية * والشيب فيه عن الأهواء مزدجر
أمسك أنت عنها بالذى عهدت * أم حبلها اذ نأتك اليوم منبتر

علقت

عُلقتُ خَوْدًا بأعلى الطفّ منزلها * في غُرفةٍ دونها الابواب والحجرُ
دُرْمًا مَناكبُها رِيًّا مآكمُها * تكاد اذ نهضتْ للمشى تنبترُ
وقد تركتُ بشطّ الزّابيين لها * دارًا بها يَسْعَدُ البادُونَ والحضرُ
واخترتُ دارًا بها حيٌّ أسرُّ بهم * مازال فيهم لمن نختارهُمْ خيرُ
لمّا نَبَتْ بي بلادي سِرْتُ مُنتجعًا * وطالبُ الخير مُرتادٌ ومُنتظرُ
أبا سعيد فاني جئتُ مُنتجعًا * أرجُو نوالكَ لمّا مَسّني الضّررُ
لولا المهلبُ مازُرْنا بلادهمُ * مادامت الأرضُ فيها الماء والشجرُ
فما من الناس من حيّ علمتهمُ * الا يُرَى فيهم من سَيْبكم أثرُ
أحييتَهم بسِجالٍ من ندالكَ كما * تحيا البلادُ اذا مامسّها المطرُ
إني لأرجو اذا مافاقةٌ نزلتْ * فضلا من الله في كفيكَ يبتدرُ
فاجبر أخالك أوهى الفقرُ قوّته * لعلّهُ بعدَ وهْيِ العظم يَنجبرُ
جفا ذوُو نسبي عني وأخلفني * ظني فلله درّي كيف آتمرُ
ياواهبَ القينةِ الحسناء سُنّتها * كالشمس هزكولةً في طرفها فترُ
وما تزال بُدُورٌ منكَ رائحةً * وآخرون لهم من سَيْبكَ الغُررُ
نماكَ للمجد أملاكٌ ورثتهمُ * شُمُّ العرانين في أحلاقهم يسرُ
ثاروا بقتلى وأوتار تُعَدّدُها * في حين لاحدثٌ في الحرب يَنْتَثِرُ
واستسلم الناسُ اذ حلّ العدوُّ بهم * فما لأمرهم وردٌ ولا صدرُ
وما تجاوز باب الجسر من أحدٍ * وعضّت الحربُ أهلَ المصر فانجحروا
وأدخل الخوفُ أجوافَ البيوت على * مثل النساء رجالٍ مابهم غيرُ
واشتدّت الحربُ والبلوى وحلّ بنا * أمرٌ تُشمّرُ في أمثاله الازرُ
نظلّ من دون خفض مُعصمين بهم * فشمّرَ الشيخُ لمّا أعظمَ الخطرُ
كنا نهوّنُ قبلَ اليوم شأنهمُ * حتى تفاقم أمرٌ كان يُحتقرُ
لمّا وهنّا وقد حلوا بساحتنا * واستنفر الناسُ تاراتٍ فما نفروا
نادى امروٌ لاخلافَ في عشيرته * عنهُ وليس به في مثله قصرُ
أفشى هنالك مما كان مذعصروا * فيهم صنائع مما كان يُدّخرُ
تلبّسوا لقراع الحرب بزّتها * فأصبحوا من وراء الجسر قد عبروا
ساروا بألويةٍ للمجد قد رُفعتْ * وتحتهنّ ليوثٌ في الوغا وقُرُ

حتى اذا خلّفوا الأهواز واجتمعوا * برام هرمز وافاهم بها الخبرُ
نعيُ بشرٍ فجال القوم وانصدعوا * الا بقايا اذا ما ذُكّروا ذكروا
ثم استمرّ بناراض ببيعته * ينوي الوفاء ولم نغدرْ كما غدروا
حتى اجتمعنا بسابورا لجنود وقد * شُبّت لنا ولهم نارٌ لها شررُ
نلقى مساعيرَ أبطالاً كأنهمُ * جنٌّ نُقارُعهم ما مثلُهم بشرُ
نُسقى ونَسقيهمُ سمّاً على حنقٍ * مستأنفي الليل حتى أسفرَ السحرُ
قتلى هنالك لا عقلٌ ولا قودٌ * منّا ومنهم دماءٌ سفكُها هدرُ
حتى تنحّوا لنا عنها نسوقهمُ * منا ليوث اذا ما أقدموا جسروا
لم يُغنِ عنهم غداة التلّ كيدُهمُ * عند الطعان ولا المكرُ الذي مكروا
باتت كتائبُنا تردي مسوّمةً * حول المهلب حتى نوّر القمرُ
هناك ولّوا حزانا بعد ما فرحوا * وحال دونهمُ الأنهارُ والجدرُ
عبّوا جنودهمُ بالسفح اذ نزلوا * بكازرونَ فاعزّوا ولا ظفروا
وقد لقوا مصدقامنا بمنزلةٍ * ظنوا بأن ينصروا فيها فانصروا
بدشت بارين يوم الشعب اذ لحقت * أسد بسفك دماء الناس قد زئروا
لاقوا كتائب لا يخلون ثغرهمُ * فيهم على من يقاسي حربهم صعرُ
المقدمين اذا ما خيلهم وردت * والعاطفين اذا ما ضيّع الدبرُ
وفي جبيرين اذ صفّوا بزحفهمِ * ولواخزايا وقد فلّوا وقد قهروا
والله ما نزلوا يوما بساحتنا * إلا أصابهمُ من حربنا ظفرُ
نُنفيهمُ بالقنا عن كلّ منزلةٍ * تروحُ منا مساعيرُ وتبتكرُ
ولو احذارا وقد هزّوا أسنّتنا * نحو الحروب فانجاهم الحذرُ
صلتُ الجبين طويلُ الباع ذو فرحٍ * ضخمُ الدسيعة لا وانٍ ولا غمرُ
مجرّبُ الحرب ميمونٌ نقيبتُهُ * لا يستخفّ ولا من رأيه البطرُ
وفي ثلاث سنين يستديمُ بنا * يقارعُ الحربَ أطوارا ويأتمرُ
يقول إنّ غدا أمضي لناظره * وفي الليالي وفي الأيام معتبرُ
دعوا التتابعَ والإسراعَ وارتقبوا * انّ المحاربَ يستأني وينتظرُ
حتى أتته أمورٌ عندها فرجٌ * وقد تبين ما يأتي وما يذرُ
لما زواهم الى كرمان وانصدعوا * وقد تقاربتِ الآجالُ والقدرُ

سرنا اليهم بمثل الموج وازدلفوا * وقبل ذلك كانت بيننا مئر
وزادنا حنقا قتلى نذكرها * لا تستفيق عيون كلما ذكروا
اذا ذكرنا جروزا والذين بها * قتلى مضى لهم حولان ما قبروا
تأتى علينا حزازات النفوس فما * نبقى عليهم وما يبقون ان قدروا
ولا يقيلوننا فى الحرب عثرتنا * ولا نقيلهم يوما اذا عثروا
لا عذر يقبل منادون أنفسنا * ولا لهم عندنا عذر لو اعتذروا
صفان بالقاع كالطودين بينهما * كالبرق يلمع حتى يشخص البصر
على بصائر كل غير تاركها * كلا الفريقين تتلى فيهم السور
يمشون فى البيض والابدان اذ وردوا * مشى الزوامل تهدى صفهم زمر
وشيخنا حوله منا ململمة * حى من الأزد فيما بينهم صبر
فى موطن يقطع الابطال منظره * تشاط فيه نفوس حين تبتكر
مازال منا رجال ثم نضربهم * بالمشرفى ونار الحرب تستعر
وباد كل سلاح يستعان به * فى حومة الموت الا الصارم الذكر
ندوسهم بعناجيج محففة * وبيننا ثم من صم القنا كسر
يغشين قتلى وعقرى مابها رمق * كأنما فوقها الجادى يعتصر
قتلى بقتلى قصاص يستقاد بها * تشفى صدور رجال طال ما وتروا
مجاورين بها خيلا معقرة * للطير فيها وفى أجسادهم جزر
فى معرك تحسب القتلى بساحته * أعجاز نخل زفته الريح ينقعر
وفى مواطن قبل اليوم قد سلفت * قد كان للأزد فيها الحمد والظفر
فى كل يوم تلاقى الأزد مفظعة * يشيب فى ساعة من هولها الشعر
والأزد قومى خيار القوم قد علموا * اذا قرومهم يوم الوغى خطروا
فيهم معاقل من عز يلاذ بها * يوما اذا شمرت حرب لها درر
حى بأسيافهم يبغون مجدهم * ان المكارم فى المكروه تبتدر
لولا المهلب للجيش الذى وردوا * أنهار كرمان بعد الله ما صدروا
انا اعتصمنا بحبل الله اذ جحدوا * بالمحكمات ولم نكفر كما كفروا
جاروا عن القصد والاسلام واتبعوا * دينا يخالف ما جاءت به النذر

وقال الطفيل بن عامر بن واثلة وهو يذكر قتل عبد رب الكبير وأصحابه وذهاب قطرى

فى الأرض واتباعهم اياه ومراوغته اياهم

لقد مسّ منا عبد ربّ وجنده * عقاب فأمسى سربهم فى المقاسم
سمالهم بالجيش حتى أزاحهم * بكرمان عن مثوى من الأرض ناعم
وما قطرى الكفر الا نعامة * طريد يدوى ليله غير نائم
اذا فرّ منا هاربا كان وجهه * طريقا سوى قصد الهدى والمعالم
فليس بمنجيه الفرار وان جرت * به الفلك فى لج من البحر دائم

﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة كانت هلكة قطرى وعبيدة بن هلال وعبد ربّ الكبير ومن كان معهم من الأزارقة

﴿ذكر سبب مهلكهم﴾

وكان سبب ذلك ان أمر الذين ذكرنا خبرهم من الأزارقة لما تشتت بالاختلاف الذى حدث بينهم بكرمان فصار بعضهم مع عبد ربّ الكبير وبعضهم مع قطرى ووهى أمر قطرى توجه يريد طبرستان وبلغ أمره الحجاج فوجه فيما ذكر هشام عن أبى مخنف عن يونس بن يزيد سفيان بن الأبرد ووجه معه جيشا من أهل الشأم عظيما فى طلب قطرى فأقبل سفيان حتى أتى الرى ثم أتبعهم وكتب الحجاج الى اسحاق بن محمد بن الأشعث وهو على جيش لاهل الكوفة بطبرستان أن اسمع وأطع لسفيان فأقبل الى سفيان فسار معه فى طلب قطرى حتى لحقوه فى شعب من شعاب طبرستان فقاتلوه فتفرّق عنه أصحابه ووقع عن دابته فى أسفل الشعب فتدهدى حتى خرّ الى أسفله فقال معاوية بن محصن الكندى رأيته حيث هوى ولم أعرفه ونظرت الى خمس عشرة امرأة عربية هنّ فى الجمال والبرازة وحسن الهيئة كأشاء ربك ما عدا عجوزا فيهن فحملت عليهن فصرفتهن الى سفيان بن الابرد * فلما دنوت بهن منه انتحت لى بسيفها العجوز فتضربت به عنق فقطعت المغفر وقطعت جلدة من حلقى وأختلج السيف فأضرب به وجهها فأصاب فحف رأسها فوقعت ميتة وأقبلت بالفتيات حتى دفعتهن الى سفيان وانه ليضحك من العجوز وقال ما أردت الى قتل هذه أخزاها الله فقلت أوما رأيت أصلحك الله ضربتها اياى والله ان كادت لتقتلنى قال قد رأيت فوالله ما ألومك على فعلك أبعدها الله ويأتى قطريا حيث تدهدى من الشعب علج من أهل البلد فقال له قطرى اسقنى من الماء وقد كان اشتدّ عطشه فقال أعطنى شيأ حتى أسقيك فقال ويحك والله ما معى الا ما ترى من سلاحى فأنا مؤتيكه اذا أتيتنى بماء قال لا بل أعطنيه الآن قال لا ولكن ائتنى بماء قبل فانطلق العلج حتى أشرف على قطرى ثم حدّر عليه حجرا عظيما من فوقه دهده عليه فأصاب أحدى وركيه فأوهنته وصاح بالناس فأقبلوا نحوه والعلج حينئذ لا يعرف قطريا غير أنه يظن انه من أشرافهم لحسن هيئته وكمال سلاحه فدفع

اليه نفر من أهل الكوفة فابتدروه فقتلوه منهم سورة بن أبجر التميمي وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف والصباح بن محمد بن الاشعث وبادام مولى بني الاشعث وعمر بن أبي الصلت ابن كنان مولى بني نصر بن معاوية وهو من الدهاقين فكل هؤلاء ادعوا قتله فدفع اليهم أبو الجهم بن كنانة الكلبي وكلهم يزعم انه قاتله فقال لهم ادفعوه الي حتى نصطلحوا فدفعوه اليه فأقبل به الى اسحاق بن محمد وهو على أهل الكوفة ولم يأته جعفر لشيء كان بينه وبينه قبل ذلك وكان لا يكلمه وكان جعفر مع سفيان بن الابرد ولم يكن معه اسحاق كان جعفر على ربع أهل المدينة بالري * فلما مر سفيان بأهل الري انتخب فرسانهم بأمر الحجاج فسار بهم معه فلما أتى القوم بالرأس فاختصموا فيه اليه وهو في يدي أبي الجهم بن كنانة الكلبي قال له امض به أنت ودع هؤلاء المختلفين فخرج برأس قطري حتى قدم به على الحجاج ثم أتى به عبد الملك بن مروان فألحق في ألفين وأعطى فطما يعني انه يفرض للصغار في الديوان وجاء جعفر الى سفيان فقال له أصلحك الله ان قطريا كان أصاب والدي فلم يكن لي هم غيره فاجمع بيني وبين هؤلاء الذين ادعوا قتله فسلهم ألم أكن أمامهم حتى بدرتهم فضربته ضربة فصرعته ثم جاؤني بعد فأقبلوا يضربونه بأسيافهم فان أقر والي بهذا فقد صدقوا وان أبوا فأنا أحلف بالله أني صاحبه والا فليحلفوا بالله أنهم أصحابه الذين قتلوه وانهم لا يعرفون ما أقول ولا حق لي فيه قال جئت الآن وقد سرحنا بالرأس فانصرف عنه فقال لاصحابه أما والله إنك لاخلق القوم أن تكون صاحبه ثم ان سفيان بن الابرد أقبل منصرفا الى عسكر عبيدة ابن هلال وقد تحصن في قصر بقومس فحاصره فقاتله أياما ثم ان سفيان بن الابرد سار بنا اليهم حتى أحطنا بهم ثم أمر مناديه فنادى فيهم أيما رجل قتل صاحبه ثم خرج الينا فهو آمن فقال عبيدة بن هلال

لعمري لقد قام الاصم بخطبة * لذي الشك منها في الصدور غليل
لعمري لئن أعطيت سفيان بيعتي * وفارقت ديني إنني لجهول
الى الله أشكو ما ترى بجيادنا * تساوك هزلى مخهن قليل
تعاورها القذاف من كل جانب * بقومس حتى صعبهن ذلول
فان يك أفناها الحصار فربما * تشحط فيما بينهن قتيل
وقد كن مما ان يقدن على الوجى * لهن بأبواب القباب صهيل

فحاصرهم حتى جهدوا وأكلوا دوابهم ثم انهم خرجوا اليه فقاتلوه فقتلهم وبعث برؤسهم الى الحجاج ثم دخل الى دنباوند وطبرستان فكان هنالك حتى عزله الحجاج قبل الجماجم ﴿ قال أبو جعفر ﴾ وفي هذه السنة قتل بكير بن وشاح السعدي أمية بن عبد الله بن خالد ابن أسيد

﴿ذكر سبب قتله اياه﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر علي بن محمد عن المفضل بن محمد ان أمية بن عبد الله وهو عامل عبد الملك بن مروان على خراسان ولى بكير اغزو ماوراء النهر وقد كان ولاه قبل ذلك طخارستان فتجهز للخروج اليها وأنفق نفقة كثيرة فوشى به اليه بحير بن ورقاء الصريمي على ما بينت قبل فأمره أمية بالمقام * فلما ولا غزو ماوراء النهر تجهز وتكلف الخيل والسلاح وادان من رجال السغد وتجارهم فقال بحير لأمية إن صار بينك وبينه النهر ولقى الملوك خلع الخليفة ودعا الى نفسه فأرسل اليه أمية أقم لعلي أغزو فتكون معي فغضب بكير وقال كأنه يضارني وكان عتاب اللقوة الغدانى استدان ليخرج مع بكير فلما أقام أخذه غرماؤه فحبس فأدى عنه بكير وخرج ثم أجمع أمية على الغزو قال فأمر بالجهاز ليغزو بخارى ثم يأتي موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ فاستعد الناس وتجهزوا واستخلف على خراسان ابنه زيادا وسار معه بكير فعسكر بكشماهن فأقام أياما ثم أمر بالرحيل فقال له بحير انى لا آمن أن يتخلف الناس فقل لبكير فلتكن في الساقة ولتحشر الناس قال فأمره أمية فكان على الساقة حتى أتى النهر فقال له أمية اقطع يا بكير فقال عتاب اللقوة الغدانى أصلح الله الامير أعبر ثم يعبر الناس بعدك فعبر ثم عبر الناس فقال أمية لبكير قد خفت أن لا يضبط ابني عمله وهو غلام حدث فارجع الى مرو فاكفنيها فقد وليتكها فزين ابني وقم بأمره فانتخب بكير فرسانا من فرسان خراسان قد كان عرفهم ووثق بهم وعبر ومضى أمية الى بخارى على مقدمته أبو خالد ثابت مولى خزاعة فقال عتاب اللقوة لبكير لما عبر وقد مضى أمية إنا قتلنا أنفسنا وعشائرنا حتى ضبطنا خراسان ثم طلبنا أميرا من قريش يجمع أمرنا فجاءنا أمير يلعب بنا يحولنا من سجن الى سجن قال فما ترى قال احرق هذه السفن وامض الى مرو فاخلع أمية وتقيم بمرو وتأكلها الى يوم ما قال فقال الأحنف بن عبد الله العنبري الرأى ما رأى عتاب فقال بكير إني أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي فقال أتخاف عدم الرجال انا آتيك من أهل مرو بما شئت إن هلك هؤلاء الذين معك قال يهلك المسلمون قال انما يكفيك أن ينادي منادٍ من أسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون ألفا من المصلين أسمع لك من هؤلاء وأطوع قال فيهلك أمية ومن معه قال ولم يهلكون ولهم عدة وعدد ونجدة وسلاح ظاهر وأداة كاملة ليقاتلوا عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين فأحرق بكير السفن ورجع الى مرو فأخذ ابن أمية فحبسه ودعا الناس الى خلع أمية فأجابوه وبلغ أمية فصالح أهل بخارى على فدية قليلة ورجع فأمر باتخاذ السفن فاتخذت له وجمعت وقال لمن معه من وجوه تميم ألا تعجبون من بكير إني قدمت خراسان فحذرته ورفع عليه وشكى منه وذكروا أموالا أصابها فأعرضت عن ذلك كله ثم لم أفتشه عن شيء ولا أحدا من عماله ثم

عرضت عليه شرطتي فأبى فأعفيته ثم وليته فحذرته فأمرته بالمقام وما كان ذلك الا نظرا له ثم رددته الى مرو وليته الأمر فكفر ذلك كله وكافأني بما ترون فقال له قوم أيها الامير لم يكن هذا من شأنه انما أشار عليه بإحراق السفن عتاب اللقوة فقال وما عتاب وهل عتاب الا دجاجة حاضنة فبلغ قوله عتابا فقال عتاب في ذلك

إنّ الحواضن تلقاها مجففة * غُلب الرقاب على المنسوبة النُّجُبِ
تركت أمرك من جُبْنٍ ومن خَوَرٍ * وجئتنا حُمُقًا يا ألأمَ العربِ
لما رأيت جبال السُّغد مُعرضة * وليتَ موسى ونوحا عُكوة الذَّنَبِ
وجئتَ ذيخًا مُغذًّا ما تُكامُنا * وطرتَ من سَعَفِ البحرين كالخربِ
أوعدْ وعيدكَ انى سوف تعرفُني * تحتَ الخوافقِ دون العارض اللجبِ
يَخُبُّ بي مشرفٌ عارٍ نواهقُه * يَغشَى الكتيبة بين العدْوِ والخببِ

قال فلما تهيأت السفن عبر أمية وأقبل الى مرو وترك موسى بن عبد الله وقال اللهم إني أحسنت الى بكير فكفر إحسانى وصنع ما صنع اللهمّ أكفنيه فقال ثماس بن دثار وكان رجع من سجستان بعد قتل ابن خازم فعزا مع أمية أيها الأمير أكفيكه ان شاء الله فقدّمه أمية في ثمانمائة فأقبل حتى نزل باسان وهى لبنى نصر وسار اليه بكير ومعه مُدرك بن أنيف وأبوه مع ثماس فقال اما كان في تميم أحد يحارب بنى غيرك ولامه فأرسل اليه ثماس أنت ألوم وأسوء صنيعا منّى لم تَفِ لأمية ولم تشكر له صنيعه بك قدم فأكرمك ولم يعرض لك ولا لأحد من عمالك قال فبيّته بكير ففرّق جمعه وقال لا تقتلوا منهم أحدا وخذوا سلاحهم فكانوا اذا أخذوا رجلا سلبوه وخلوا عنه فتفرّقوا ونزل ثماس فى قرية لطيئ يقال لها بُوَيْنه وقدم أمية فنزل كشماهن ورجع اليه ثماس بن دثار فقدّم أمية ثابت بن قُطبة مولى خزاعة فالقيه بكير فأسر ثابتا وفرّق جمعه وخلى بكير سبيل ثابت ليد كانت له عنده قال فرجع الى أمية فأقبل أمية فى الناس فقاتله بكير وعلى شرطة بكير أبو رُستم الخليل بن أوس العَنْبَسمّى فأبلى يومئذ فنادوه يا صاحب شرطة عارمة وعارمة جارية بكير فأحجم فقال له بكير لا أبالك لا يهدّك نداء هؤلاء القوم فإن للعارمة فخلا يمنعها فقدّم لواءك فقاتلوا حتى انحاز بكير فدخل الحائط فنزل السوق العتيقة ونزل أمية باسان فكانوا يلتقون في ميدان يزيد فانكشفوا يوما فحماهم بكير ثم التقوا يوما آخر في الميدان فضرب رجل من بنى تميم على رجله فجعل يسحبها وهُريم يحميه فقال الرجل اللهم أيّدنا فأمدّنا بالملائكة فقال له هريم أيها الرجل قاتل عن نفسك فإن الملائكة فى شغل عنك فحامل ثم أعاد قوله اللهمّ أمدّنا بالملائكة فقال هريم لتكفنّ عنى أولأدعنك والملائكة وحماه حتى ألحقه بالناس قال ونادى رجل من بنى تميم يا أمية يا فاضح قريش فالى أمية إن ظفر به أن يذبحه فظفر به

فذبحه بين شرفتين من المدينة ثم التقوا يوما آخر فضرب بكير بن وشاح ثابت بن قطبة على رأسه وانتمى أنا ابن وشاح فحمل حريث بن قطبة أخو ثابت على بكير فانحاز بكير وانكشف أصحابه وأتبع حريث بكيرا حتى بلغ القنطرة فناداه أين يا بكير فكر عليه فضربه حريث على رأسه فقطع المغفر وعض السيف برأسه فصرع فاحتمله أصحابه فأدخلوه المدينة قال فكانوا على ذلك يقاتلونهم وكان أصحاب بكير يغدون متفضلين في ثياب مصبغة وملاحف وأزر صفر وحمر فيجلسون على نواحي المدينة يتحدثون وينادي منادي من رمى بسهم رمينا اليه برأس رجل من ولده وأهله فلا يرميهم أحد قال فأشفق بكير وخاف ان طال الحصار أن يخذله الناس فطلب الصلح وأحب ذلك أيضا أصحاب أمية لمكان عيالاتهم بالمدينة فقالوا لأمية صالحه وكان أمية يحب العافية فصالحه على أن يقضي عنه أربعمائة ألف ويصل أصحابه ويوليه أي كور خراسان شاء ولا يسمع قول بحير فيه وان رابه منه ريب فهو آمن أربعين يوما حتى يخرج عن مرو فأخذ الأمان لبكير من عبد الملك وكتب له كتابا على باب سنجان ودخل أمية المدينة قال وقوم يقولون لم يخرج بكير مع أمية غازيا ولكن أمية لما غزا استخلفه على مرو فخلعه فرجع أمية فقاتله ثم صالحه ودخل مرو ووفى أمية لبكير وعاد الى ما كان عليه من الإكرام وحسن الإذن وأرسل الى عتاب اللغوة فقال أنت صاحب المشورة فقال نعم أصلح الله الأمير قال ولم قال خف ما كان في يدي وكثر ديني وأعديت على غرمائي قال ويحك فضربت بين المسلمين وأحرقت السفن والمسلمون في بلاد العدو وما خفت الله قال قد كان ذلك فاستغفر الله قال كم دينك قال عشرون ألفا قال تكف عن غش المسلمين وأقضي دينك قال نعم جعلني الله فداك قال فضحك أمية وقال ان ظني بك غير ما تقول وسأقضي عنك فأدى عنه عشرين ألفا وكان أمية سهلا ليّنا سخيا لم يعط أحد من عمال خراسان بها مثل عطاياه قال وكان مع ذلك ثقيلا عليهم كان فيه زهو شديد وكان يقول ما أكتفي بخراسان وسجستان لمطبخي وعزل أمية بحيرا عن شرطته وولاها عطاء ابن أبي السائب وكتب الى عبد الملك بما كان من أمر بكير وصفحه عنه فضرب عبد الملك بعثا الى أمية بخراسان فجاعل الناس فأعطى شقيق بن سليل الأسدي جعالته رجلا من جرم وأخذ أمية الناس بالخراج واشتد عليهم فيه فجلس بكير يوما في المسجد وعنده ناس من بني تميم فذكر واشدة أمية على الناس فذموه وقالوا سلط علينا الدهاقين في الجباية وبحير وضرار بن حصن وعبد العزيز بن جارية بن قدامة في المسجد فنقل بحير ذلك الى أمية فكذبه فادعى شهادة هؤلاء وادعى شهادة مزاحم بن أبي المجشر السلمي فدعا أمية مزاحما فسأله فقال انما كان يمزح فأعرض عنه أمية ثم أتاه بحير فقال أصلح الله الأمير ان بكيرا والله قد دعاني الى خلعك وقال لولا مكانك لقتلت هذا القرشي وأقلت خراسان

فقال أمية ما أصدق بهذا وقد فعل ما فعل فآمنته ووصلته قال فأتاه بضرار بن حصن وعبد العزيز بن جارية فشهدا ان بكيرا قال لهما والله لو أطعتماني لقتلت هذا القرشي المخنث وقد دعانا الى الفتك بك فقال أمية أنتم أعلم وما شهدتم وما أظن هذا به وإن تركه وقد شهدتم بما شهدتم عجز وقال لحاجبه عبيدة ولصاحب حرسه عطاء بن أبي السائب اذا دخل بكير وبدل وشمردل ابنا أخيه فنهضت فخذوهم وجلس أمية للناس وجاء بكير وابنا أخيه فلما جلسوا قام أمية عن سريره فدخل وخرج الناس وخرج بكير فحبسوه وابني أخيه فدعا أمية ببكير فقال أنت القائل كذا وكذا قال ثبّتّ أصلحك الله ولا تسمع قول ابن المحلوقة فحبسه وأخذ جاريته العارمة فحبسها وحبس الاحنف بن عبد الله العنبري وقال أنت ممن أشار على بكير بالخلع * فلما كان من الغد أخرج بكيرا فشهد عليه بحير وضرار وعبد العزيز ابن جارية أنه دعاهم الى خلعه والفتك به فقال أصلحك الله تثبت فان هؤلاء أعدائي فقال أمية لزياد ابن عقبة وهو رأس أهل العالية ولابن ولآن العدوي وهو يومئذ من رؤساء بني تميم وليعقوب بن خالد الذهلي أتقتلونه فلم يجيبوه فقال لبحير أتقتله قال نعم فدفعه اليه فنهض يعقوب بن القعقاع الاعلم الازدي من مجلسه وكان صديقا لبكير فاحتضن أمية وقال أذكرك الله أيها الامير في بكير فقد أعطيته ما أعطيته من نفسك قال يا يعقوب ما يقتله الا قومه شهدوا عليه فقال عطاء بن أبي السائب الليثي وهو على حرس أمية خل عن الامير قال لا فضربه عطاء بقائم السيف فأصاب أنفه فأدماه فخرج ثم قال لبحير يا بحير إن الناس أعطوا بكيرا ذمتهم في صلحه وأنت منهم فلا تخفر ذمتك قال يا يعقوب ما أعطيته ذمة ثم أخذ بحير سيف بكير الموصول الذي كان أخذه من إسوار الترجمان ترجمان ابن خازم فقال له بكير يا بحير انك تفرق أمر بني سعد إن قتلتني فدع هذا القرشي يلي مني ما يريد فقال بحير لا والله يا ابن الإصبهانية لا تصلح بنو سعد ما دمنا حيين قال فشأنك يا ابن المحلوقة فقتله وذلك يوم جمعة وقتل أمية ابني أخي بكير ووهب جارية بكير العارمة لبحير وكلم أمية في الاحنف بن عبد الله العنبري فدعا به من السجن فقال وأنت ممن أشار على بكير وشتمه وقال قد وهبتك لهؤلاء قال ثم وجه أمية رجلا من خزاعة الى موسى بن عبد الله بن خازم فقتله عمرو بن خالد بن حصن الكلابي غيلة فتفرق جيشه فاستأمن طائفة منهم موسى فصار وامعه ورجع بعضهم الى أمية ﴿وفي هذه السنة﴾ عبر النهر بلخ أمية للغزو فحوصر حتى جهد هو وأصحابه ثم نجوا بعد ما أشرفوا على الهلاك فانصرف والذين معه من الجند الى مرو وقال عبد الرحمن بن خالد ابن العاص بن هشام بن المغيرة يهجو أمية

ألا أبلغ أمية أن سيجزى * ثواب الشر إن له ثوابا
ومن ينظر عتابك أو يردّه * فلستُ بناظر منك العتابا
محا المعروف منك خلال سوء * مُنحتَ صنيعها بابا فبابا

ومن سماك إذ قسم الاسامى * أمية اذ ولدت فقد أصابا

﴿قال أبو جعفر﴾ وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير على المدينة وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ❁ وحدثني أحمد بن ثابت عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال حج أبان بن عثمان وهو على المدينة بالناس حجتين سنة ٧٦ وسنة ٧٧ وقد قيل ان هلاك شبيب كان فى سنة ٧٨ وكذلك قيل فى هلاك قطرى وعبيدة بن هلال وعبد رب الكبير وغزا فى هذه السنة الصائفة الوليد

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ﴾

﴿ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجليلة﴾

فمن ذلك عزل عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله عن خراسان وضمه خراسان وسجستان الى الحجاج بن يوسف فلما ضم ذلك اليه فرق فيه عماله

﴿ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج خراسان وسجستان وذكر السبب فى توليته من ولاه ذلك وشيأ منه﴾

﴿ذكر﴾ ان الحجاج لما فرغ من شبيب ومطرف شخص من الكوفة الى البصرة واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبى عقيل وقد قيل انه استخلف عبد الرحمن بن عبد الله ابن عامر الحضرمى ثم عزله وجعل مكانه المغيرة بن عبد الله فقدم عليه المهلب بها وقد فرغ من الازارقة فقال هشام حدثنى أبو مخنف عن أبى المخارق الراسبى ان المهلب بن أبى صفرة لما فرغ من الازارقة قدم على الحجاج وذلك سنة ٧٨ فأجلسه ودعا بأصحاب البلاء من المهلب فأخذ الحجاج لا يذكر له المهلب رجلا من أصحابه ببلاء حسن الا صدقه الحجاج بذلك فحملهم الحجاج وأحسن عطاياهم وزاد فى أعطياتهم ثم قال هؤلاء أصحاب الفعال وأحق بالاموال هؤلاء حماة الثغور وغيظ الاعداء (قال هشام) عن أبى مخنف قال يونس بن أبى اسحاق فكان الحجاج ولى المهلب سجستان مع خراسان فقال له المهلب الا أدلك على رجل هو أعلم بسجستان منى وقد كان ولى كابل وزابل وجباهم وقاتلهم وصالحهم قال له بلى فمن هو قال عبيد الله بن أبى بكرة ثم انه بعث المهلب على خراسان وعبيد الله بن أبى بكرة على سجستان وكان العامل هنالك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية وكان عاملا لعبد الملك بن مروان لم يكن للحجاج شئ من أمره حين بعث على العراق حتى كانت تلك السنة فعزله عبد الملك وجمع سلطانه للحجاج فمضى المهلب الى خراسان وعبيد الله بن أبى بكرة الى سجستان فمكث عبيد الله بن أبى بكرة بقية سنته فهذه رواية أبى مخنف عن أبى المخارق وأما على بن محمد فانه ذكر عن المفضل بن محمد ان خراسان وسجستان جمعتا للحجاج مع العراق فى أول سنة ٧٨ بعد ما قتل الخوارج فاستعمل عبيد الله بن أبى

بكرة على خراسان والمهلب بن أبي صفرة على سجستان فكره المهلب سجستان فلقي عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبشمي وكان على شرطة الحجاج فقال ان الأمير ولاني سجستان وولى ابن أبي بكرة خراسان وأنا أعرف بخراسان منه قد عرقتها أيام الحكم بن عمر والغفاري وابن أبي بكرة أقوى على سجستان مني فكلم الأمير يحولني الى خراسان وابن ابي بكرة الى سجستان قال نعم وكلم زاذان فروخ يعينني فكلمه فقال نعم فقال عبد الرحمن بن عبيد للحجاج وليت المهلب سجستان وابن أبي بكرة أقوى عليها منه فقال زاذان فروخ صدق قال إنا قد كتبنا عهده قال زاذان فروخ ما أهون تحويل عهده فحول ابن ابي بكرة الى سجستان والمهلب الى خراسان وأخذ المهلب بألف ألف من خراج الاهواز وكان ولاها اياه خالد بن عبد الله فقال المهلب لابنه المغيرة ان خالدا ولاني الأهواز وولاك اصطخر وقد أخذني الحجاج بألف ألف فنصف علي ونصف عليك ولم يكن عند المهلب مال كان اذا عزل استقرض قال فكلم اباماوية مولى عبد الله بن عامر وكان أبو ماوية على بيت مال عبد الله بن عامر فأسلف المهلب ثلثمائة ألف فقالت خيرة القشيرية امرأة المهلب هذا لا يفي بما عليك فباعت حليها لها ومتاعا فأكمل خمسمائة ألف وحمل المغيرة الى أبيه خمسمائة ألف فحملها الى الحجاج ووجه المهلب ابنه حبيبا على مقدمته فأتى الحجاج فودعه فأمر الحجاج له بعشرة آلاف وبغلة خضراء قال فسار حبيب على تلك البغلة حتى قدم خراسان هو وأصحابه على البريد فسار عشرين يوما فتلقاهم حين دخلوا حمل حطب فنفرت البغلة فتعجبوا منها ومن نفارها بعد ذلك التعب وشدة السير فلم يعرض لامية ولا لعماله وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلب سنة ٧٩ ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة الوليد بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن ابي معشر وكان أمير المدينة في هذه السنة أبان بن عثمان وأمير الكوفة والبصرة وخراسان وسجستان وكرمان الحجاج بن يوسف وخليفته بخراسان المهلب وبسجستان عبيد الله بن أبي بكرة وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة فيما قيل موسى بن أنس وأغزى عبد الملك في هذه السنة يحيى بن الحكم

﴿ثم دخلت سنة تسع وسبعين﴾

﴿ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة﴾

فمن ذلك ما أصاب أهل الشأم في هذه السنة من الطاعون حتى كادوا يفنون من شدته فلم يغز في تلك السنة أحد فيما قيل للطاعون الذي كان بها وكثرة الموت ﴿وفيها﴾ فيما قيل أصابت الروم أهل أنطاكية ﴿وفيها﴾ غزا عبيد الله بن أبي بكرة رتبيل

﴿ذكر الخبر عن غزوه اياه﴾

﴿قال هشام﴾ حدثني أبو مخنف عن أبي المخارق الراسبي قال لما ولى الحجاج المهلب خراسان

وعبيد الله بن أبي بكرة بسجستان مضى المهلب الى خراسان وعبيد الله بن أبي بكرة الى سجستان وذلك في سنة ٧٨ فمكث عبيد الله بن أبي بكرة بقية سنته ثم انه غزا رتبيل وقد كان مصالحا وقد كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خراجا ورجا مما امتنع فلم يفعل فبعث الحجاج الى عبيد الله بن أبي بكرة أن ناجزه بمن معك من المسلمين فلا ترجع حتى تسبي أرضه وتهدم قلاعه وتقتل مقاتلته وتسبي ذريته فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهل البصرة وكان على أهل الكوفة شريح بن هانئ الحارثي ثم الضبابي وكان من أصحاب علي وكان عبيد الله على أهل البصرة وهو أمير الجماعة فمضى حتى وغل في بلاد رتبيل فأصاب من البقر والغنم والاموال ما شاء وهدم قلاعا وحصونا وغلب على أرض من أرضهم كثيرة وأصحاب رتبيل من الترك يخلون لهم عن أرض بعد أرض حتى أمعنوا في بلادهم ودنوا من مدينتهم وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخا فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب وخلوهم والرساتيق فسقط في أيدي المسلمين وظنوا أن قد هلكوا فبعث ابن أبي بكرة الى شريح بن هانئ اني مصالح القوم على أن أعطيهم مالا ويخلوا بيني وبين الخروج فأرسل اليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم فلقيه شريح فقال انك لا تصالح على شيء الا حسبه السلطان عليكم في أعطياتكم قال لو منعنا العطاء ما حيينا كان أهون علينا من هلاكنا قال شريح والله لقد بلغت سنا وقد هلكت لذاني ما تأتي علي ساعة من ليل أو نهار فأظنها تمضي حتى أموت ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان ولئن فاتتني اليوم ما أخالني مدركها حتى أموت وقال يا أهل الاسلام تعاونوا على عدوكم فقال له ابن أبي بكرة انك شيخ قد خرفت فقال شريح انما حسبك أن يقال بستان ابن أبي بكرة وحمام ابن أبي بكرة يا أهل الاسلام من أراد منكم الشهادة فالي فاتبعه ناس من المتطوعة غير كثير وفرسان الناس وأهل الحفاظ فقاتلوا حتى أصيبوا الا قليلا فجعل شريح يرتجز يومئذ ويقول

أصبحت ذا بث أقاسي الكبرا * قد عشت بين المشركين أعصرا
ثم أدركت النبي المنذرا * وبعده صديقه وعمرا
ويوم مهران ويوم تستر * والجمع في صفينهم والنهر
وبجميرات مع المشقر * هيهات ما أطول هذا عمرا

فقاتل حتى قتل في ناس من أصحابه ونجا من نجا فخرجوا من بلاد رتبيل حتى خرجوا منها فاستقبلهم من خرجوا اليهم من المسلمين بالاطعمة فاذا أكل أحدهم وشبع مات فلما رأى ذلك الناس حذروا يطعمونهم ثم جعلوا يطعمونهم السمن قليلا قليلا حتى استمرؤا وبلغ ذلك الحجاج فأخذه ما تقدم وما تأخر وبلغ ذلك منه كل مبلغ وكتب الى عبد الملك أما بعد فان جند أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم ينج منهم الا القليل وقد اجترأ العدو بالذي أصابه على

أهل الاسلام فدخلوا بلادهم وغلبوا على كل حصونهم وقصورهم وقد أردت أن أوجه اليهم جندا كثيفا من أهل المصرين فأحببت أن أستطلع رأى أمير المؤمنين فى ذلك فان رأى لى بعثة ذلك الجند أمضيته وان لم يرذلك فان أمير المؤمنين أولى بجنده مع انى أتخوف ان لم يأت رتبيل ومن معه من المشركين جند كثيف عاجلا أن يستولوا على ذلك الفرج كله ﴿وفى هذه السنه﴾ قدم المهلب خراسان أميرا وانصرف عنها أمية بن عبد الله وقيل استعفى شريح القاضى من القضاء فى هذه السنة وأشار بأبى بُردة بن أبى موسى الأشعرى فأعفاه الحجاج وولى أبابردة ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة فيما حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر أبان بن عثمان وكذلك قال الواقدى وغيره من أهل السير وكان أبان هذه السنه أميرا على المدينة من قبل عبد الملك بن مروان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وكان على خراسان المهلب من قبل الحجاج وقيل ان المهلب كان على حربها وابنه المغيرة على خراجها وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبى موسى وعلى قضاء البصرة موسى ابن أنس

تم الجزء السابع ويليه الجزء الثامن وأوله

﴿ سنة ثمانين من الهجرة ﴾

الجزء الثامن

تاريخ الأمم والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الطبعة الأولى
بالمطبعة الحسينية المصريه
على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه

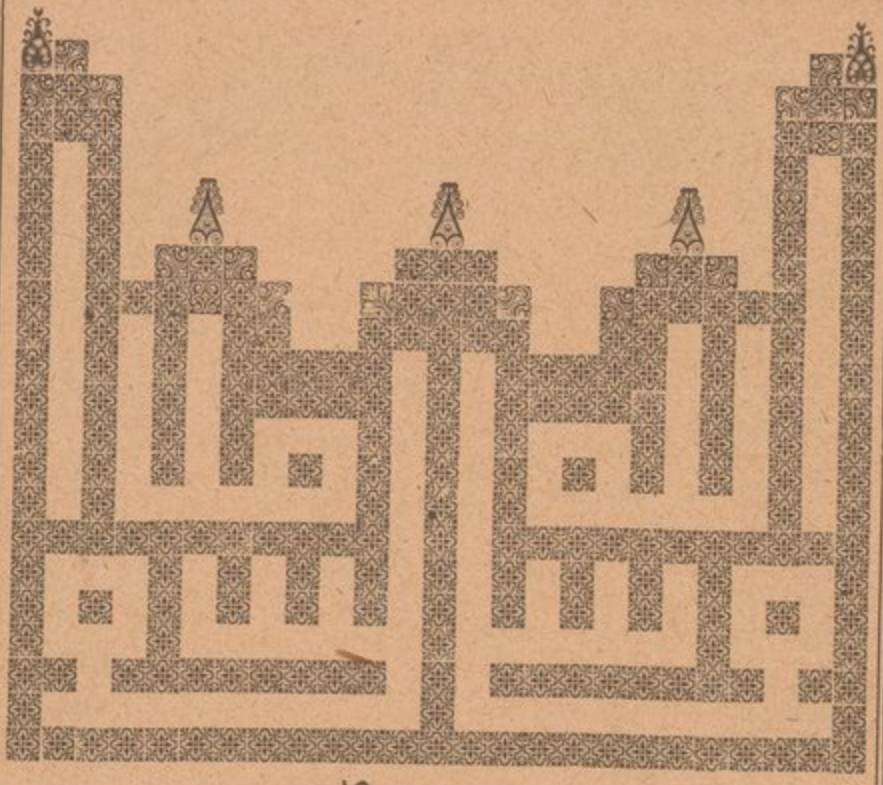

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة ثمانين

ذكر الاحداث الجليلة التي كانت في هذه السنة

﴿وفي هذه السنة﴾ جاء فيما حدثت عن ابن سعد عن محمد بن عمر الواقدي سيل بمكة ذهب بالحجاج فغرقت بيوت مكة فسمي ذلك العام عام الجحاف لان ذلك السيل جحف كل شيء مر به قال محمد بن عمر حدثني محمد بن رفاعة بن ثعلبة عن أبيه عن جده قال جاء السيل حتى ذهب بالحجاج بطن مكة فسمي لذلك عام الجحاف ولقد رأيت الابل عليها الحمولة والرجال والنساء يمر بهم مالأحد فيهم حيلة واني لأنظر الى الماء قد بلغ الركن وجاوزه ﴿وفي هذه السنة﴾ كان بالبصرة طاعون الجارف فيما زعم الواقدي ﴿وفي هذه السنة﴾ قطع المهلب نهر بلخ فنزل على كش فذكر علي بن محمد عن المفضل بن محمد وغيره انه كان على مقدمة المهلب حين نزل

على كش أبو الادهم زياد بن عمرو الزماني في ثلاثة آلاف وهم خمسة آلاف الا ان أبا الأدهم كان يغني غناء الفئين في البأس والتدبير والنصيحة قال فأتى المهلب وهو نازل على كش ابن عم ملك الختل فدعاه الى غزو الختل فوجه معه ابنه يزيد فنزل في عسكره ونزل ابن عم الملك وكان الملك يومئذ اسمه السبل في عسكره على ناحية فبيت السبل ابن عمه فكبر في عسكره فظن ابن عم السبل ان العرب قد غدروا به وأنهم خافوه على الغدر حين اعتزل عسكرهم فأسره السبل فأتى به قلعته فقتله قال فأطاف يزيد بن المهلب بقلعة السبل فصالحوه على فدية حملوها اليه ورجع الى المهلب فأرسلت أم الذى قتله السبل الى أم السبل كيف ترجين بقاء السبل بعد قتل ابن عمه وله سبعة اخوة قد وترهم وأنت أم واحد فأرسلت اليها ان الأسد تقل أولادها والخنازير تكثر أولادها ووجه المهلب ابنه حبيبا الى رنجن فوافى صاحب بخارى في أربعين ألفا فدعا رجل من المشركين المبارزة فبرز له جبلة غلام حبيب فقتل المشرك وحمل على جمعهم فقتل منهم ثلاثة نفر ثم رجع ورجع العسكر ورجع العدو الى بلادهم ونزلت جماعة من العدو قرية فسار اليهم حبيب في أربعة آلاف فقاتلهم فظفر بهم فأحرقها ورجع الى أبيه فسميت المحترقة ويقال ان الذى أحرقها جبلة غلام حبيب قال فمكث المهلب سنتين مقيما بكش فقيل له لو تقدمت الى السغد وما وراء ذلك قال ليت حظى من هذه الغزوة سلامة هذه الجند حتى يرجعوا الى مرو سالمين قال وخرج رجل من العدو يوما فسأله البراز فبرز اليه هريم بن عدى أبو خالد بن هريم وعليه عمامة قد شدها فوق البيضة فانتهى الى جدول فجاوله المشرك ساعة فقتله هريم وأخذ سلبه فلامه المهلب وقال لو أصبت ثم أمددت بألف فارس ما عدلوك عندى واتهم المهلب وهو بكش قوما من مضر فحبسهم بها فلما قفل وصار صلح خلاهم فكتب اليه الحجاج ان كنت أصبت بحبسهم فقد أخطأت في تخليتهم وان كنت أصبت بتخليتهم فقد ظلمتهم اذ حبستهم فقال المهلب خفتهم فحبستهم فلما أمنت خليتهم وكان فيمن حبس عبد الملك بن أبى شيخ القشيرى ثم صالح المهلب أهل كش على فدية فأقام ليقبضها وأتاه كتاب ابن الاشعث بخلع الحجاج ويدعوه الى مساعدته على خلعه فبعث بكتاب ابن الاشعث الى الحجاج ﴿وفي هذه السنة﴾ وجه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الى سجستان لحرب رتبيل صاحب الترك وقد اختلف أهل السير في سبب توجيهه اياه اليها وأين كان عبد الرحمن يوم ولاه الحجاج سجستان وحرب رتبيل فأما يونس بن أبى اسحاق فيما حدث هشام عن أبى مخنف عنه فانه ذكر ان عبد الملك لما ورد عليه كتاب الحجاج بن يوسف بخبر الجيش الذى كان مع عبيد الله بن أبى بكرة في بلاد رتبيل وما قوابها كتب اليه أما بعد فقد أتانى كتابك تذكر فيه مصاب المسلمين بسجستان وأولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وعلى الله ثوابهم وأما ما أردت أن يأتيك فيه رأيى من توجيه الجنود وامضائها

الى ذلك الفرج الذى أصيب فيه المسلمون أوكفها فان رأيى فى ذلك أن تمضى رأيك راشدا موفقا وكان الحجاج وليس بالعراق رجل أبغض اليه من عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكان يقول ما رأيته قط الا أردت قتله (قال أبو مخنف) فحدثنى نمير بن وعلة الهمدانى ثم اليناعى عن الشعبى قال كنت عند الحجاج جالسا حين دخل عليه عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فلما رآه الحجاج قال انظر الى مشيته والله لهممت أن أضرب عنقه قال فلما خرج عبد الرحمن خرجت فسبقته وانتظرته على باب سعيد بن قيس السَّبيعى فلما انتهى الى قلت ادخل بنا الباب انى أريد أن أحدثك حديثا هو عندك بأمانة الله أن تذكره ما عاش الحجاج فقال نعم فأخبرته بمقالة الحجاج له فقال وأنا كما زعم الحجاج ان لم أحاول أن أزيله عن سلطانه فأجهد الجهد اذ طال بى وبه بقاء ثم ان الحجاج أخذ فى جهاز عشرين ألف رجل من أهل الكوفة وعشرين ألف رجل من أهل البصرة وجدّ فى ذلك وشمّر وأعطى الناس أعطياتهم كملا وأخذهم بالخيول الروائع والسلاح الكامل وأخذ فى عرض الناس ولا يرى رجلا تذكر منه شجاعة الا أحسن معونته فمرّ عبيد الله بن أبى مخجن الثقفى على عبّاد بن الحصين الحبطى وهو مع الحجاج يريد عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفىّ وهو يعرض الناس فقال عبّاد ما رأيت فرسا أروع ولا أحسن من هذا وان الفرس قوة وسلاح وان هذه البغلة علنداة فزاده الحجاج خمسين وخمسمائة درهم ومر به عطية العنبرى فقال له الحجاج ياعبد الرحمن أحسن الى هذا فلما استتب له أمر ذيّك الجند بعث الحجاج عطارد بن عمير التميمى فعسكر بالاهواز ثم بعث عبيد الله بن حُجر بن ذى الجوشن العامرى من بنى كلاب ثم بداله فبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وعزل عبيد الله بن حجر فأتى الحجاج عمه اسماعيل بن الاشعث فقال له لا تبعثه فانى أخاف خلافه والله ما جاز جسر الفرات قط فرأى لوال من الولاة عليه طاعة وسلطانا فقال الحجاج ليس هناك هو لى أهيب وفىّ أرغب من أن يخالف أمرى أو يخرج من طاعتى فأمضاه على ذلك الجيش فخرج بهم حتى قدم سجستان سنة ٨٠ فجمع أهلها حين قدمها (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو الزبير الارحبى رجل من همدان كان معه انه صعد منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الامير الحجاج ولانى ثغركم وأمرنى بجهاد عدوكم الذى استباح بلادكم وأباد خياركم فايا كم أن يتخلف منكم رجل فيعلّ بنفسه العقوبة اخرجوا الى معسكركم فعسكر وابه مع الناس فعسكر الناس كلهم فى معسكرهم ووُضعت لهم الاسواق وأخذ الناس بالجهاز والهيئة بآلة الحرب فبلغ ذلك رتبيل فكتب الى عبد الرحمن بن محمد يعتذر اليه من مصاب المسلمين ويخبره انه كان لذلك كارها وانهم أجؤوه الى قتالهم ويسأله الصلح ويعرض عليه أن يقبل منه الخراج فلم يجبه ولم يقبل منه ولم ينشب عبد الرحمن ان سار

فى الجنود اليه حتى دخل أول بلاده وأخذ رتبيل يضم اليه جنده ويدع له الارض رستاقا رستاقا وحصنا حصنا وطفق ابن الاشعث كلما حوى بلدا بعث اليه عاملا وبعث معه أعوانا ووضع البُرد فيما بين كل بلد وبلد وجعل الأرصاد على العقاب والشعاب ووضع المسالح بكل مكان مخوف حتى اذا حاز من أرضه أرضا عظيمة وملأ يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة حبس الناس عن الوغول فى أرض رتبيل وقال نكتفى بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها وتجترئ المسلمون على طرقها ثم نتعاطى فى العام المقبل ما وراءها ثم لم نزل نتنقصهم فى كل عام طائفة من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم وفى أقصى بلادهم وممتنع حصونهم ثم لا نزايل بلادهم حتى يهلكهم الله ثم كتب الى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد العدو وبما صنع الله للمسلمين وبهذا الرأى الذى رآه لهم وأما غير يونس بن أبى إسحاق وغير من ذكرت الرواية عنه فى أمر ابن الأشعث فإنه قال فى سبب ولايته سجستان ومسيره الى بلاد رتبيل غير الذى رويت عن أبى مخنف وزعم ان السبب فى ذلك كان ان الحجاج وجه هميان بن عدى السَّدُوسى الى كرمان مسلحة لها اليمد عامل سجستان والسند ان احتاجا الى مدد فعصى هميانُ ومن معه فوجه الحجاج بن الأشعث فى محاربته فهزمه وأقام بموضعه ومات عبيد الله بن أبى بكرة وكان عاملا على سجستان فكتب الحجاج عهد ابن الأشعث عليها وجهز اليها جيشا انفق عليهم ألفى ألف سوى أعطياتهم كان يدعى جيش الطواويس وأمره بالإقدام على رتبيل ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة أبان بن عثمان كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال محمد بن عمر الواقدى وقال بعضهم الذى حج بالناس فى هذه السنة سليمان بن عبد الملك وكان على المدينة فى هذه السنة أبان بن عثمان وعلى العراق والمشرق كله الحجاجُ بن يوسف وعلى خراسان المهلب بن أبى صفرة من قبل الحجاج وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبى موسى وعلى قضاء البصرة موسى ابن أنس وأغزى عبد الملك فى هذه السنة ابنه الوليد

﴿ ثم دخلت سنة احدى وثمانين ﴾

﴿ذكر ما كان فيها من الأحداث﴾

﴿ففى هذه السنة﴾ كان فتح قاليقلا حدثنى عمر بن شبة قال حدثنا على بن محمد قال أغزى عبد الملك سنة ٨١ ابنه عبيد الله بن عبد الملك ففتح قاليقلا ﴿وفى هذه السنة﴾ قتل بحير ابن ورقاء الصريمى بخراسان

﴿ذكر الخبر عن مقتله﴾

وكان سبب قتله ان بحيرا كان هو الذى تولى قتل بكير بن وشاح بأمر أمية بن عبد الله اياه بذلك فقال عثمان بن رجاء بن جابر بن شداد أحد بنى عوف بن سعد من الأبناء يحض رجلا

من الأبناء من آل بكير بالوتر

لعمرى لقد أغضيت عينا على القذى * وبت بطينا من رحيق مروق
وخليت ثأرا طل واحترت نومة * ومن شرب الصهباء بالوتر يسبق
فلو كنت من عوف بن سعد ذؤابة * تركت بحيرا فى دم متفرق
فقل لبحير نم ولا تحش ثائرا * بعوف فعوف أهل شاة حبلق
دع الضأن يوما قد سبقتم بوتركم * وصرتم حديثا بين غرب ومشرق
وهبوا فلو أمسى بكير كعهده * صحيحا لغاداهم بجأواء فيلق

﴿ وقال أيضا ﴾

فلو كان بكر بارزا فى أداته * وذى العرش لم يقدم عليه بحير
ففى الدهر ان أبقانى الدهر مطلب * وفى الله طلاب بذاك جدير

وبلغ بحيرا ان الأبناء يتوعدونه فقال

توعدنى الأبناء جهلا كأنما * يرون فنائى مفقرا من بنى كعب
رفعت له كفى بحد مهند * حسام كلون الملح ذى رونق عضب

فذكر على بن محمد عن المفضل بن محمد ان سبعة عشر رجلا من بنى عوف بن كعب بن سعد تعاقدوا على الطلب بدم بكير فخرج فتى منهم يقال له الشمردل من البادية حتى قدم خراسان فنظر الى بحير واقفا فشد عليه فطعنه فصرعه فظن انه قد قتله وقال الناس خارجىّ فراكضهم فعثر فرسه فندر عنه فقتل ثم خرج صعصعة بن حرب العوفى ثم أحد بنى جندب من البادية وقد باع غنيمات له واشترى حمارا ومضى الى سجستان فجاور قرابة لبحير هناك ولاطفهم وقال أنا رجل من بنى حنيفة من أهل اليمامة فلم يزل يأنيهم ويجالسهم حتى أنسوا به فقال لهم ان لى بخراسان ميراثا قد غلبت عليه وبلغنى ان بحيرا عظيم القدر بخراسان فاكتبوا لى اليه كتابا يعينونى على طلب حقى فكتبوا اليه فخرج فقدم مرو والمهلب غاز قال فلقى قوما من بنى عوف فأخبرهم أمره فقام اليه مولى لبكير صيقل فقبل رأسه فقال له صعصعة اتخذلى خنجرا فعمل له خنجرا وأحماه وغمسه فى لبن أتان مرارا ثم شخص من مرو فقطع النهر حتى أتى عسكر المهلب وهو بأخرون يومئذ فلقى بحيرا بالكتاب وقال انى رجل من بنى حنيفة كنت من أصحاب ابن أبى بكرة وقد ذهب مالى بسجستان ولى ميراث بمرو فقدمت لأبيعه وأرجع الى اليمامة قال فأمر له بنفقة وأنزله معه وقال له استعن بى على ما أحببت قال أقيم عندك حتى يقفل الناس فأقام شهرا أو نحوا من شهر يحضر معه باب المهلب ومجلسه حتى عرف به قال وكان بحير يخاف الفتك به ولا يأمن أحدا فلما قدم صعصعة بكتاب أصحابه قال هو رجل من بكر بن وائل فأمنه فجاء يوما وبحير جالس فى مجلس المهلب عليه قميص ورداء

ونعلان فقعد خلفه ثم دنا منه فأكب عليه كأنه يكلمه فوجأه بخنجره في خاصرته فغيبه في جوفه فقال الناس خارجيّ فنادى بالثأرات بكير أناثائر ببكير فأخذه أبو العجفاء بن أبي الخرقاء وهو يومئذ على شرط المهلب فأتى به المهلب فقال له بؤسا لك ما أدركت بثأرك وقتلت نفسك وما على بحير بأس فقال لقد طعنته طعنة لو قسمت بين الناس لماتوا ولقد وجدت ريح بطنه في يدي فحبسه فدخل عليه السجن قوم من الأباء فقبلوا رأسه قال ومات بحير من غد عند ارتفاع النهار فقيل لصعصعة مات بحير فقال اصنعوا بي الآن ما شئتم وما بدا لكم أليس قد حلت نذور نساء بني عوف وأدركت بثأري لا أبالي ما لقيت أما والله لقد أمكنني منه ما صنعت خاليا غير مرة فكرهت أن أقتله سرا فقال المهلب ما رأيت رجلا أسخى نفسا بالموت صبرا من هذا وأمر بقتله أبا سويقة ابن عم لبحير فقال له أنس بن طلق ويحك قتل بحير فلا تقتلوا هذا فأبى وقتله فشتمه أنس وقال آخرون بعث به المهلب الى بحير قبل ان يموت فقال له أنس بن طلق العبشمي يا بحير انك قتلت بكيرا فاشتهي هذا فقال بحير أدنوه مني لا والله لا أموت وأنت حيّ فأدنوه منه فوضع رأسه بين رجليه وقال اصبر عفاق انه شرباق فقال ابن طلق لبحير لعنك الله أكلمك فيه وتقتله بين يدي فطعنه بحير بسيفه حتى قتله ومات بحير فقال المهلب انا لله وإنا إليه راجعون غزوة أصيب فيها بحير فغضب عوف بن كعب والأبناء وقالوا علام قتل صاحبنا وانما طلب بثأره فنازعتهم مقاعس والبطون حتى خاف الناس ان يعظم البأس فقال أهل الحجى احملوا دم صعصعة واجعلوا دم بحير بواء ببكير فودوا صعصعة فقال رجل من الابناء يمدح صعصعة

لله درّ فتى تجاوز همّه * دون العراق مفاوزا وبحورا
مازال يدأب نفسه ويكدّها * حتى تناول في خرون بحيرا

قال وخرج عبد ربه الكبير أبو وكيع وهو من رهط صعصعة الى البادية فقال لرهط بكير قتل صعصعة بطلبه بدم صاحبكم فودوه فأخذ لصعصعة ديتين ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الحجاج ومن معه من جند العراق وأقبلوا اليه لحربه في قول أبي مخنف وروايته لذلك عن أبي المخارق الراسبي وأما الواقدي فإنه زعم ان ذلك كان في سنة ٨٢

﴿ذكر الخبر عن السبب الذي دعا عبد الرحمن بن محمد الى ما فعل من ذلك وما كان من صنيعه بعد خلافه الحجاج في هذه السنة﴾

قد ذكرنا فيما مضى قبل ما كان من عبد الرحمن بن محمد في بلاد رتبيل وكتابه الى الحجاج بما كان منه هناك وبما عرض عليه من الرأي فيما يستقبل من أيامه في سنة ٨٠ ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة ٨١ في رواية أبي مخنف عن أبي المخارق ﴿ذكر هشام﴾ عن

أبي مخنف قال قال أبو المخارق الراسبي كتب الحجاج الى عبد الرحمن بن محمد جواب كتابه أما بعد فان كتابك أتاني وفهمت ماذكرت فيه وكتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح الى الموادعة قد صانع عدوا قليلا ذليلا قد أصابوا من المسلمين جندا كان بلاؤهم حسنا وغناؤهم في الاسلام عظيما لعمرك يا ابن أم عبد الرحمن انك حيث تكف عن ذلك العدو بجندي وحدي لشحي النفس عمن أصيب من المسلمين انى لم أعد رأيك الذي زعمت انك رأيته رأى مكيدة ولكني رأيت انه لم يحملك عليه الا ضعفك والتياث رأيك فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ثم أردفه كتابا فيه أما بعد فمر من قبلك من المسلمين فليعسكروا وليقيموا فانهادارهم حتى يفتحها الله عليهم ثم اردفه كتابا آخر فيه أما بعد فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم والافان اسحاق بن محمد أحاك أمير الناس فخله وماوليته فقال حين قرأ كتابه أنا أحمل ثقل اسحاق فعرض له فقال لا تفعل فقال ورب هذا يعني المصحف لئن ذكرته لأحد لاقتلنك فظن انه يريد السيف فوضع يده على قائم السيف ثم دعا الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انى لكم ناصح ولصلاحكم محب ولكم في كل ما يحيط بكم نفعه ناظر وقد كان من رأيي فيما بينكم وبين عدوكم رأى استشرت فيه ذوي أحلامكم وأولى التجربة للحرب منكم فرضوه لكم رأيا ورأوه لكم في العاجل والآجل صلاحا وقد كتبت الى أميركم الحجاج فجاءني منه كتاب يعجزني ويضعفني ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في أرض العدو وهي البلاد التي هلك اخوانكم فيها بالامس وانما أنا رجل منكم أمضى اذا مضيتم وآبى اذا أبيتم فثار اليه الناس فقالوا لا بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع (قال أبو مخنف) فحدثني مطرف بن عامر بن واثلة الكناني ان أباه كان أول متكلم يومئذ وكان شاعرا خطيبا فقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه أما بعد فان الحجاج والله ما يرى بكم الا ما رأى القائل الاول اذ قال لاخيه احمل عبدك على الفرس فان هلك هلك وان نجا فلك ان الحجاج والله ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلادا كثيرة اللهوب واللصوب فان ظفرتم فغنمتم أكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة في سلطانه وان ظفر عدوكم كنتم أنتم الاعداء البغضاء الذي لا يبالي عنتهم ولا يبقي عليهم اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا عبد الرحمن فاني أشهدكم اني أول خالع فنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا قد خلعنا عدو الله وقام عبد المؤمن بن شبث بن ربعي التميمي ثانيا وكان على شرطته حين أقبل فقال عباد الله انكم ان أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم وجمركم تجمير فرعون الجنود فانه بلغني انه أول من جمر البعوث ولن تعاينوا الاحبة فيما أرى أو يموت أكثركم بايعوا أميركم وانصرفوا الى عدوكم فانفوه عن بلادكم فوثب الناس الى عبد الرحمن فبايعوه فقال تبايعوني على خلع الحجاج عدو الله وعلى النصرة لي وجهاده معي حتى ينفيه الله من أرض العراق

فبايعه الناس ولم يذكر خلع عبد الملك اذذاك بشئ (قال أبو مخنف) حدثني عمر بن ذر القاص ان أباه كان معه هنالك وان ابن محمد كان ضربه وحبسه لانقطاعه كان الى أخيه القاسم ابن محمد فلما كان من أمره الذى كان من الخلاف دعاه فحمله وكساه وأعطاه فأقبل معه فمن أقبل وكان قاصا خطيبا (قال أبو مخنف) حدثني سيف بن بشر العجلي عن المنخل بن حابس العبدى ان ابن محمد لما أقبل من سجستان أمر على بُست عياض بن هميان البكرى من بني سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة وعلى زرنج عبد الله بن عامر التميمى ثم الدارمى ثم بعث الى رتبيل فصالحه على أن ابن الاشعث ان ظهر فلا خراج عليه أبدا ما بقى وان هزم فأراده ألجأه عنده (قال أبو مخنف) حدثني خشينة بن الوليد العبسى ان عبد الرحمن لما خرج من سجستان مقبلا الى العراق سار بين يديه الاعشى على فرس وهو يقول

شطت نوى من داره بالايوان * ايوان كسرى ذى القرى والريحان
من عاشق أمسى بزابلستان * ان ثقيفا منهم الكذابان
كذابها الماضى وكذاب ثان * أمكن ربى من ثقيف همدان
يوما الى الليل يسلى ما كان * انا سمونا للكفور الفتان
حين طغى فى الكفر بعد الايمان * بالسيد الغطريف عبد الرحمن
سار بجمع كالدبى من قحطان * ومن معد قد أبى ابن عدنان
بجحفل جم شديد الارنان * فقل لحجاج ولى الشيطان
يثبت لجمع مذحج وهمدان * فانهم ساقوه كأس الذيفان
وملحقوه بقرى ابن مروان

قال وبعث على مقدمته عطية بن عمر والعنبرى وبعث الحجاج اليه الخيل فجعل لا يلقى خيلا الا هزمها فقال الحجاج من هذا فقيل له عطية فذلك قول الاعشى

فاذا جعلت دروب فا * رس خلفهم دربا فدربا
فابعث عطية في الخيو * ل يكبهن عليك كبا

ثم ان عبد الرحمن أقبل يسير بالناس فسأل عن أبى اسحاق السبيعى وكان قد كتبه في أصحابه وكان يقول أنت خالى فقيل له ألا تأتيه فقد سأل عنك فكره أن يأتيه ثم أقبل حتى مر بكرمان فبعث عليهم خرشة بن عمرو التميمى ونزل أبو اسحاق بها فلم يدخل في فتنته حتى كانت الجماجم ولما دخل الناس فارس اجتمع الناس بعضهم الى بعض وقالوا انا اذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك فاجتمعوا الى عبد الرحمن فكان أول الناس (قال أبو مخنف) فيما حدثني أبو الصلت التيمى خلع عبد الملك بن مروان نعمان بن أبجر من بني تيم الله بن ثعلبة فقام فقال أيها الناس انى خلعت أباذبان كخلعى قميصى فخلعه الناس الا قليلا منهم ووثبوا الى ابن

محمد فبايعوه وكانت بيعته تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه وخلع أئمة الضلالة وجهاد المحلين فاذا فالوانعم بايدع فلما بلغ الحجاج خلعه كتب الى عبد الملك يخبره خبر عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ويسأله أن يعجل بعثة الجنود اليه وبعث كتابه الى عبد الملك يتمثل فى آخره بهذه الأبيات وهى للحارث بن وعلة

سائل مجاور جرم هل جنيت لهم * حربا تفرق بين الجيرة الخلط

وهل سموت بجرار له لجب * جم الصواهل بين الجم والفرط

وهل تركت نساء الحي ضاحية * في ساحة الدار يستوقدن بالغبط

وجاء حتى نزل البصرة وقد كان بلغ المهلب شقاق عبد الرحمن وهو بسجستان فكتب اليه أما بعد فانك وضعت رجلك يا ابن محمد في غرز طويل الغي على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الله الله فانظر لنفسك لاتهلكها ودماء المسلمين فلا تسفكها والجماعة فلا تفرقها والبيعة فلا تنكثها فان قلت أخاف الناس على نفسي فالله أحق ان تخافه عليها من الناس فلا تعرضها لله في سفك دم ولا استحلال محرم والسلام عليك وكتب المهلب الى الحجاج أما بعد فان أهل العراق قد أقبلوا اليك وهم مثل السيل المنحدر من عل ليس شئ يرده حتى ينتهى الى قراره وان لاهل العراق شرة في أول مخرجهم وصبابة الى أبنائهم ونسائهم فليس شئ يردهم حتى يسقطوا الى أهليهم ويشموا أولادهم ثم واقفهم عندها فان الله ناصرك عليهم ان شاء الله فلما قرأ كتابه قال فعل الله به وفعل لا والله مالى نظر ولكن لابن عمه نصح ولما وقع كتاب الحجاج الى عبد الملك هاله ثم نزل عن سريره وبعث الى خالد بن يزيد بن معاوية ودعاه فأقرأه الكتاب ورأى مابه من الجزع فقال يا أمير المؤمنين ان كان هذا الحدث من قبل سجستان فلا تخفه وان كان من قبل خراسان تخوفته قال فخرج الى الناس فقام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان أهل العراق طال عليهم عمرى فاستعجلوا قدرى اللهم سلط عليهم سيوف أهل الشأم حتى يبلغوا رضاك فاذا بلغوا رضاك لم يجاوزوا الى سخطك ثم نزل وأقام الحجاج بالبصرة وتجهز ليلقى ابن محمد وترك رأى المهلب وفرسان أهل الشأم يسقطون الى الحجاج فى كل يوم مائة وخمسون وعشرة وأقل على البرد من قبل عبد الملك وهو في كل يوم تسقط الى عبد الملك كتبه ورسله بخبر ابن محمد أى كورة نزل ومن أى كورة يرتحل وأى الناس اليه أسرع (قال أبو مخنف) حدثنى فضيل ابن خديج ان مكتبه كان بكرمان وكان بها أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة وأهل البصرة فلما مر بهم ابن محمد بن الاشعث انجفلوا معه وعزم الحجاج رأيه على استقبال ابن الاشعث فسار باهل الشأم حتى نزل تستر وقدم بين يديه مطهر بن حر العكى أو الجذامى وعبد الله بن رميثة الطائى ومطهر على الفريقين فجاؤا حتى انتهوا الى دجيل وقد قطع عبد الرحمن بن محمد خيلا له عليها عبد الله بن أبان الحارثى في ثلثمائة فارس وكانت مسلحة له وللجند

فلما

فلما انتهى اليه مطهر بن حر أمر عبد الله بن رميثة الطائى فأقدم عليهم فهزمت خيل عبد الله حتى انتهت اليه وجرح أصحابه (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو الزبير الهمدانى قال كنت فى أصحاب ابن محمد اذ دعا الناس وجمعهم اليه ثم قال اعبروا اليهم من هذا المكان فأقحم الناس خيولهم دجيل من ذلك المكان الذى أمرهم به فوالله ما كان باسرع من ان عبر عظم خيولنا فانكاملت حتى حملنا على مطهر بن حر والطائى فهزمناهما يوم الاضحى فى سنة ٨١ وقتلناهم قتلا ذريعا وأصبنا عسكرهم وأتت الحجاج الهزيمة وهو يخطب فصعد اليه أبو كعب بن عبيد بن سُرجَس فأخبره بهزيمة الناس فقال أيها الناس ارتحلوا الى البصرة الى معسكر ومقاتل وطعام ومادة فان هذا المكان الذى نحن به لا يحمل الجند ثم انصرف راجعا وتبعته خيول أهل العراق فكلما أدركوا منهم شاذا قتلوه وأصابوا ثقلا حووه ومضى الحجاج لا يلوى على شئ حتى نزل الزاوية وبعث الى طعام التجار بالكلأ فأخذه فحمله اليه وخلى البصرة لاهل العراق وكان عامله عليهم الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى وجاء أهل العراق حتى دخلوا البصرة وقد كان الحجاج حين صدم تلك الصدمة وأقبل راجعا دعا بكتاب المهلب فقرأه ثم قال لله أبوه أى صاحب حرب هو أشار علينا بالرأى ولكنا لم نقبل وقال غير أبى مخنف كان عامل البصرة يومئذ الحكم بن أيوب على الصلاة والصدقة وعبد الله بن عامر بن مسمع على الشرط فسار الحجاج فى جيشه حتى نزل رستقباذ وهى من دستوى من كور الاهواز فعسكر بها وأقبل ابن الاشعث فنزل تستر وبينهما نهر فوجه الحجاج مُطَهَّر بن حر العكى فى ألفى رجل فأوقعوا بمسلحة لابن الاشعث وسار ابن الاشعث مبادرا فواقعهم وهى عشية عرفة من سنة ٨١ فيقال انهم قتلوا من أهل الشأم ألفا وخمسمائة وجاء الباقون منهزمين ومعه يومئذ مائة وخمسون ألف ألف ففرقها فى قواده وضمنهم اياها وأقبل منهزما الى البصرة وخطب ابن الاشعث أصحابه فقال أما الحجاج فليس بشئ ولكنا نريد غزو عبد الملك وبلغ أهل البصرة هزيمة الحجاج فأراد عبد الله بن عامر بن مسمع أن يقطع الجسر دونه فرشاه الحكم بن أيوب مائة ألف فكف عنه ودخل الحجاج البصرة فأرسل الى ابن عامر فانتزع المائة الالف منه ﴿رجع الحديث الى حديث أبى مخنف عن أبى الزبير الهمدانى﴾ فلما دخل عبد الرحمن ابن محمد البصرة بايعه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك جميع أهلها من قرائها وكهولها وكان رجل من الازد من الجماهم يقال له عقبة بن عبد الغافر له صحابة فنزا فبايع عبد الرحمن مستبصرا فى قتال الحجاج وخندق الحجاج عليه وخندق عبد الرحمن على البصرة وكان دخول عبد الرحمن البصرة فى آخر ذى الحجة من سنة ٨١ ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة سليمان ابن عبد الملك كذا حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وقال فى هذه السنة ولد ابن أبى ذئب وكان العامل فى هذه السنة على

المدينة أبان بن عثمان وعلى العراق والمشرق الحجاج بن يوسف وعلى حرب خراسان المهلب وعلى خراجها المغيرة بن مهلب من قبل الحجاج وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ﴾

﴿ذكر الخبر عن الكائن من الاحداث فيها﴾

فمن ذلك ما كان بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد من الحروب بالزاوية ﴿ذكر هشام﴾ ابن محمد عن أبي مخنف قال حدثني أبو الزبير الهمداني قال كان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة واقتتلوا في المحرم من سنة ٨٢ فتزاحفوا ذات يوم فاشتد قتالهم ثم ان أهل العراق هزموهم حتى انتهوا الى الحجاج وحسي قاتلوهم على خنادقهم وانهزمت عامة قريش وثقيف حتى قال عبيد بن موهب مولى الحجاج وكاتبه

فرَّ البَراءُ وابنُ عَمِّهِ مُصعَبٌ * وفرَّتْ قُرَيْشٌ غَيْرَ آلِ سَعِيدِ

ثم انهم تزاحفوا في المحرم في آخره في اليوم الذي هزم فيه أهل العراق أهل الشأم فنكصت ميمنتهم وميسرتهم واضطربت رماحهم وتقوض صفهم حتى دنوا منا فلما رأى الحجاج ذلك جثا على ركبتيه وانتضى نحوا من شبر من سيفه وقال لله درّ مُصعَب ما كان أكرمه حين نزل به ما نزل فعلمت انه والله لا يريد ان يفرّ قال فغمزت أبي بعيني ليأذن لي فيه فأضربه بسيفي فغمزني غمزة شديدة فسكنت وحانت مني التفاتة فإذا سفيان بن الأبرد الكلبي قد حمل عليهم فهزمهم من قبل الميمنة فقلت ابشر أيها الأمير فإن الله قد هزم العدو فقال لي قم فانظر قال فقمت فنظرت فقلت قد هزمهم الله قال قم يا زياد فانظر قال فقام فنظر فقال الحق أصلحك الله بقينا قد هزموا فخر ساجدا فلما رجعت شتمني أبي وقال أردت ان تهلكني وأهل بيتي وقتل في المعركة عبد الرحمن بن عوسجة أبو سفيان النهمي وقتل عقبة بن عبد الغافر الأزدي ثم الجهضمي في أولئك القراء في ربضة واحدة وقتل عبد الله بن رزام الحارثي وقتل المنذر ابن الجارود وقتل عبد الله بن عامر بن مسمع وأتى الحجاج برأسه فقال ما كنت أرى هذا فارقني حتى جاءني الآن برأسه وبارز سعيد بن يحيى بن سعيد بن العاص رجلا يومئذ فقتله وزعموا انه كان مولى للمفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان شجاعا يدعى نصيرا فلما رأى مشيته بين الصفين وكان يلومه على مشيته قال لا ألومه على هذه المشية أبدا وقتل الطُّفيل بن عامر بن واثلة وقد كان قال وهو بفارس يقبل مع عبد الرحمن من كرمان الى الحجاج

ألا طرَقَتْنا بالغَرِيَّيْنِ بَعْدَما * كَلَلْنَا على شَحْطِ المَزارِ جَنُوبُ
أتوكَ يَقُودُونَ المَنايا وإنَّما * هَدَتْها ولا نَا إليكَ ذُنُوبُ

ولا خير في الدُّنيا لمن لم يكُن لهُ * مِنَ اللهِ في دارِ القَرارِ نصيبُ
ألا أبلِغ الحجاج أنْ قَدْ أظلهُ * عذابٌ بأيدي المؤمنينَ مُصيبُ
متى تَهبِط المصرَين يهرُب مُحمَّدٌ * وليسَ بمُنجي ابنَ اللعينِ هُروبُ

قال منيتنا أمرا كان في علم الله أنك أولى به فعجَّل لك في الدنيا وهو معذبك في الآخرة وانهزم الناس فأقبل عبد الرحمن نحو الكوفة وتبعه من كان معه من أهل الكوفة وتبعه أهل القوة من أصحاب الخيل من أهل البصرة ولما مضى عبد الرحمن نحو الكوفة وثب أهل البصرة الى عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه فقاتل بهم خمس ليال الحجاج أشد قتال رآه الناس ثم انصرف فلحق بابن الأشعث وتبعه طائفة من أهل البصرة فلحقوا به وخرج الحريش بن هلال السعدي وهو من بني أنف الناقة وكان جريحا الى سفوان فمات من جراحته وقتل في المعركة زياد بن مقاتل بن مسمع من بني قيس بن ثعلبة فقامت حميدة ابنته تندبه وكان على خمس بكر بن وائل مع ابن الأشعث وعلى الرجال فقالت

حامي زيادٌ على رايتيه * وفرَّجدَّي بني العنبرِ

فجاء البلتع السعدي فسمعها وهي تندب أباها وتعيب التميمي فجاء وكان يبيع سمنا بالمربد فترك سمنه عند أصحابه وجاء حتى قام تحتها فقال

عَلامَ تَلومينَ من لم يُلمْ * تطاول ليلكِ من مُعْصِرِ
فانْ كان أردى أباكِ السنان * فقَدْ تلحقُ الخيلُ بالمُدبِرِ
وقَدْ تَنطَحُ الخيلُ تحتَ العجا * جِ غيرَ البريِّ ولا المُعذرِ
ونحنُ منَعْنا لواءَ الحريش * وطاحَ لواءُ بني جَحْدرِ

فقال عامر بن وائلة يرثي ابنه طفيلا

خَلّى طُفيلٌ عَلَيَّ الهمَّ فانشعبا * وهَدَّ ذلكَ رُكْني هدَّةً عجبا
وابنَيْ سُمَيَّةَ لا أنساهُما أبدًا * فيمن نسيتُ وكلٌّ كانَ لي نصبا
وأخطأتني المنايا لا تُطالِعُني * حتى كبِرتُ ولم يترُكن لي نشبا
وكُنتُ بعدَ طُفَيلٍ كالذي نَضَبَتْ * عنه المياهُ وغاضَ الماءُ فانقضبا
فلا يَعيرُ لهُ في الأرضِ يركُبُهُ * وان سَعى إثرَ مَنْ قَدْ فاتَهُ لَغبا
وسارَ من أرضِ خاقانَ التي غلبَت * أبناءَ فارسَ في أربائِها غلبا
ومِن سِجِسْتانَ أسبابٌ تُزَيِّنُها * لكَ المَنِيَّةُ حينًا كانَ مُجتلبا

حتى وردتْ حياضَ الموتِ فانكشفتْ * عنكَ الكتائبُ لا تخفى لها عقبا
وغادروكَ صريعاً رهنَ معركةٍ * تُرى النُّسورُ على القتلى بها عُصُبا
تعاهدُوا ثم لَمْ يُوفُوا بما عهدُوا * وأسلَمُوا للعدوِّ السَّبْيَ والسَّلَبا
ياسوءةَ القومِ إذْ تَسْبى نساؤهمُ * وهُمْ كثيرٌ يَرَوْنَ الخزيَ والحربا

(قال أبو مخنف) فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي ان الحجاج أقام بقية المحرم وأوّل صفر ثم استعمل على البصرة أيوب بن الحكم بن أبي عقيل ومضى ابن الأشعث الى الكوفة وقد كان الحجاج خلف عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرميّ حليف حرب بن أمية على الكوفة (قال أبو مخنف) كما حدثني يونس بن أبي اسحاق انه كان على أربعة آلاف من أهل الشأم (قال أبو مخنف) فحدثني سهم بن عبد الرحمن الجهنيّ انهم كانوا ألفين وكان حنظلة بن الورّاد من بني رياح بن يربوع التميمي وابن عتاب بن ورقاء على المدائن وكان مطر بن ناجية من بني يربوع على المعونة فلما بلغه ما كان من أمر ابن الاشعث أقبل حتى دنا من الكوفة فتحصّن منه ابن الحضرميّ في القصر ووثب أهل الكوفة مع مطر بن ناجية بابن الحضرميّ ومن معه من أهل الشأم فحاصرهم فصالحوه على ان يخرجوا ويخلوه والقصر فصالحهم (قال أبو مخنف) فحدثني يونس بن أبي اسحاق انه رآهم ينزلون من القصر على العجل وفتح باب القصر لمطر بن ناجية فازدحم الناسُ على باب القصر فزحم مطرٌ على باب القصر فاخترط سيفه فضرب به جحفلة بغل من بغال أهل الشأم وهم يخرجون من القصر فألقى جحفلته ودخل القصر واجتمع الناس عليه فأعطاهم مائتي درهم قال يونس وأنا رأيتها تقسم بينهم وكان أبو السقر فيمن أعطاها وأقبل ابن الأشعث منهزما الى الكوفة وتبعه الناس اليها ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة كانت وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الاشعث في قول بعضهم قال الواقدي كانت وقعة دير الجماجم في شعبان من هذه السنة وفي قول بعضهم كانت في سنة ٨٣

﴿ذكر الخبر عن ذلك وعن سبب مصير ابن الاشعث الى دير الجماجم وذكر ما جرى بينه وبين الحجاج بها﴾

﴿ذكر هشام﴾ عن أبي مخنف قال حدثني أبو الزبير الهمداني ثم الأرحبي قال كنت قد أصابتني جراحة وخرج أهل الكوفة يستقبلون ابن الاشعث حين أقبل فاستقبلوه بعد ما جاز قنطرة زبارا فلما دنا منها قال لي ان رأيت ان تعدل عن الطريق فلا يرى الناس جراحتك فإني لا أحب ان يستقبلهم الجرحى ففعلت ودخل الناس فلما دخل الكوفة مال اليه أهل الكوفة كلهم وسبقت همدان اليه فحفت به عند دار عمرو بن حريث الا ان طائفة من تميم ليسوا بالكثير قد أتوا مطر بن ناجية فأرادوا ان يقاتلوا دونه فلم

يطيقوا

يطيقوا قتال الناس فدعا عبد الرحمن بالسلاليم والعجل فوضعت ليصعد الناس القصر فصعد الناس القصر فأخذوه فأتى به عبد الرحمن بن محمد فقال له استبقني فاني أفضل فرسانك وأعظمهم عنك غنى فأمر به فحبس ثم دعا به بعد ذلك فعفا عنه وبايعه مطر ودخل الناس اليه فبايعوه وسقط اليه أهل البصرة وتقوضت اليه المسالح والثغور وجاءه فيمن جاءه من أهل البصرة عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وعرف بذلك وكان قد قاتل الحجاج بالبصرة بعد خروج ابن الاشعث ثلاثا فبلغ ذلك عبد الملك ابن مروان فقال قاتل الله عدي الرحمن انه قد فر وقاتل غلمان من غلمان قريش بعد ثلاثا وأقبل الحجاج من البصرة فسار في البر حتى مر بين القادسية والعذيب ومنعوه من نزول القادسية وبعث اليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من خيل المصرين فمنعوه من نزول القادسية ثم سايروه حتى ارتفعوا على وادي السباع ثم تسايروا حتى نزل الحجاج دير قرة ونزل عبد الرحمن بن العباس دير الجماجم ثم جاء ابن الأشعث فنزل بدير الجماجم والحجاج بدير قرة فكان الحجاج بعد ذلك يقول أما كان عبد الرحمن يزجر الطير حيث رآني نزلت دير قرة ونزل دير الجماجم واجتمع أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الثغور والمسالح بدير الجماجم والقراء من أهل المصرين فاجتمعوا جميعا على حرب الحجاج وجمعهم عليه بغضهم والكراهية له وهم اذ ذاك مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم من مواليهم وجاءت الحجاج أيضا أمداده من قبل عبد الملك من قبل ان ينزل دير قرة وقد كان الحجاج أراد قبل ان ينزل دير قرة ان يرتفع الى هيت وناحية الجزيرة ارادة أن يقترب من الشأم والجزيرة فيأتيه المدد من الشأم من قريب ويقترب من رفاغة سعر الجزيرة فلما مر بدير قرة قال ما بهذا المنزل بعد من أمير المؤمنين وإن الفلاليج وعين التمر الى جنبنا فنزل فكان في عسكره مخند قا وابن محمد في عسكره مخند قا والناس يخرجون في كل يوم فيقتتلون فلا يزال أحدهما يدنى خندقه نحو صاحبه فإذا رآه الآخر خندق أيضا وأدنى خندقه من صاحبه واشتد القتال بينهم فلما بلغ ذلك رؤس قريش وأهل الشأم قبل عبد الملك ومواليه فقالوا ان كان انما يرضى أهل العراق ان تنزع عنهم الحجاج فإن نزع الحجاج أيسر من حرب أهل العراق فانزعه عنهم تخلص لك طاعتهم وتحقن به دماءنا ودماءهم فبعث ابنه عبد الله بن عبد الملك وبعث الى أخيه محمد بن مروان بأرض الموصل يأمره بالقدوم عليه فاجتمعا جميعا عنده كلاهما في جنديهما فأمرهما ان يعرضا على أهل العراق نزع الحجاج عنهم وان يجرى عليهم أعطياتهم كما تجرى على أهل الشأم وان ينزل ابن محمد أي بلد من عراق شاء يكون عليه واليا مادام حيا وكان عبد الملك واليا فإن هم قبلوا ذلك عزل عنهم الحجاج وكان محمد بن مروان أمير العراق وإن أبوا ان

يقبلوا فالحجاج أمير جماعة أهل الشأم وولي القتال ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك
في طاعته فلم يأت الحجاج أمر قط كان أشد عليه ولا أغيظ له ولا أوجع لقلبه
منه مخافة أن يقبلوا فيعزل عنهم فكتب الى عبد الملك يا أمير المؤمنين والله لئن أعطيت
أهل العراق نزعمي لا يلبثون الا قليلا حتى يخالفوك و يسيروا اليك ولا يزيدهم ذلك الا جرأة
عليك ألم تر وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر على ابن عفان * فلما سألهم ما يريدون
قالوا نزع سعيد بن العاص فلما نزعه لم تتم لهم السنة حتى ساروا اليه فقتلوه إن الحديد
بالحديد يفلح خار الله لك فيما ارتأيت والسلام عليك فأبى عبد الملك الا عرض هذه الخصال
على أهل العراق ارادة العافية من الحرب فلما اجتمع مع الحجاج خرج عبد الله بن عبد
الملك فقال يا أهل العراق أنا عبد الله ابن أمير المؤمنين وهو يعطيكم كذا وكذا فذكر هذه
الخصال التي ذكرنا * وقال محمد بن مروان أنا رسول أمير المؤمنين اليكم وهو يعرض عليكم
كذا وكذا فذكر هذه الخصال فلما رجع العشية فرجعوا فاجتمعوا عند ابن الأشعث فلم
يبق فائد ولا رأس قوم ولا فارس الا أتاه فحمد الله ابن الأشعث وأثنى عليه ثم قال أما بعد فقد
أعطيتم أمرا انتهازكم اليوم اياه فرصة ولا آمن أن يكون على ذي الرأي غدا حسرة وانكم
اليوم على النصف وان كانوا اعتدوا بالزاوية فأنتم تعتدون عليهم بيوم تستر فاقبلوا ما عرضوا
عليكم وأنتم أعزاء أقوياء والقوم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون فلا والله لا زلتم عليهم جراء
ولا زلتم عندهم أعزاء ان أنتم قبلتم أبدا ما بقيتم فوثب الناس من كل جانب فقالوا ان الله قد
أهلكهم فأصبحوا في الأزل والضنك والمجاعة والفلة والذلة ونحن ذو والعدد الكثير والسعر
الرفيع والمادة القريبة لا والله لا نقبل فأعادوا خلعه ثانية وكان عبد الله بن ذواب السلمي
وعمير بن تيحان أول من قام بخلعه في الجماجم وكان اجتماعهم على خلعه بالجماجم أجمع من
خلعهم اياه بفارس فرجع محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك الى الحجاج فقالا شأنك
بعسكرك وجندك فاعمل برأيك فانا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع فقال قد قلت لكما انه
لا يراد بهذا الامر غيركما ثم قال انما أقاتل لكما وانما سلطاني سلطانكما فكانا اذا القياه
سلما عليه بالإمرة وقد زعم أبو يزيد السكسكي انه انما كان أيضا يسلم عليهما بالامرة اذا
لقيهما وخلياه والحرب فتولاها (قال أبو مخنف) فحدثني الكلبي محمد بن السائب أن الناس
لما اجتمعوا بالجماجم سمعت عبد الرحمن بن محمد وهو يقول ألا ان بني مروان يعيرون بالزرقاء
والله ما لهم نسب أصح منه الا ان بني أبي العاص أعلاج من أهل صفورية فان يكن هذا
الأمر في قريش فعني فقئت بيضة قريش وان يك في العرب فأنا ابن الأشعث بن قيس
ومد بها صوته يسمع الناس وبرزوا للقتال فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم
الكلبي وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي وعلى خيله سفيان بن الأبرد الكلبي وعلى

رجاله عبد الرحمن بن حبيب الحكمي وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجاج بن جارية الخثعمي وعلى ميسرته الابرد بن قرة التميمي وعلى خيله عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة ابن الحارث الهاشمي وعلى رجاله محمد بن سعد بن أبي وقاص وعلى مجففته عبد الله بن رزام الحارثي وجعل على القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفي وكان معه خمسة عشر رجلا من قريش وكان فيهم عامر الشعبي وسعيد بن جبير وأبو البختري الطائي وعبد الرحمن ابن أبي ليلى ثم انهم أحدقوا يتزاحفون في كل يوم ويقتتلون وأهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة ومن سوادها فهم فياشاؤا من خصبهم واحوانهم من أهل البصرة وأهل الشام في ضيق شديد قد غلت عليهم الأسعار وقل عندهم الطعام وفقدوا اللحم وكانوا كأنهم في حصار وهم على ذلك يغادون أهل العراق ويراوحونهم فيقتتلون أشد القتال وكان الحجاج يدني خندقه مرة وهؤلاء أخرى حتى كان اليوم الذي أصيب فيه جبلة بن زحر ثم انه بعث الى كميل بن زياد النخعي وكان رجلا ركينا وقورا عند الحرب له بأس وصوت في الناس وكانت كتيبته تدعى كتيبة القراء يحمل عليهم فلا يكادون يبرحون ويحملون فلا يكذبون فكانوا قد عرفوا بذلك فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون وخرج الناس فعبى الحجاج أصحابه ثم زحف في صفوفه وخرج ابن محمد في سبعة صفوف بعضها على أثر بعض وعبى الحجاج لكتيبة القراء التي مع جبلة بن زحر ثلاث كتائب وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكمي فأقبلوا نحوهم (قال أبو مخنف) حدثني أبو يزيد السكسكي قال أنا والله في الخيل التي عبئت لجبلة بن زحر قال حملنا عليه وعلى أصحابه ثلاث حملات كل كتيبة تحمل حملة فلا والله ما استنقصنا منهم شيأ ﴿وفي هذه السنة﴾ توفي المغيرة بن المهلب بخراسان ﴿ذكر علي بن محمد﴾ عن المفضل بن محمد قال كان المغيرة بن المهلب خليفة أبيه بمرو على عمله كله فمات في رجب سنة ٨٢ فأتى الخبر يزيد وعلمه أهل العسكر فلم يخبروا المهلب وأحب يزيد أن يبلغه فأمر النساء فصرخن فقال المهلب ما هذا فقيل مات المغيرة فاسترجع وجزع حتى ظهر جزعه عليه فلامه بعض خاصته فدعا يزيد فوجه الى مرو فجعل يوصيه بما يعمل ودموعه تنحدر على لحيته وكتب الحجاج الى المهلب يعزيه عن المغيرة وكان سيدا وكان المهلب يوم مات المغيرة مقيما بكش وراء النهر لحرب أهلها قال فسار يزيد في ستين فارسا ويقال سبعين فيهم مجاعة بن عبد الرحمن العنكي وعبد الله بن معمر بن سمير اليشكري ودينار السجستاني والهيثم بن المغفل الجرموزي وغزوان الإسكاف صاحب زم وكان أسلم على يد المهلب وأبو محمد الزمي وعطية مولى لعتيك فلقيهم خمسمائة من الترك في مفازة نسف فقالوا ما أنتم قالوا تجار قالوا فأين الأثقال قالوا قد منعناها قالوا فأعطونا شيأ فأبى يزيد فأعطاهم مجاعة ثوبا وكرابيس وقوسا فانصرفوا ثم غدروا وعادوا اليهم فقال يزيد انا كنت

أعلم بهم فقاتلوهم فاشتدّ القتال بينهم ويزيد على فرس قريب من الارض ومعه رجل من الخوارج كان يزيد أخذه فقال استبقني فمنّ عليه فقال له ما عندك فحمل عليهم حتى خالطهم وصار من ورائهم وقد قتل رجلا ثم كرّ فخالطهم حتى تفدّمهم وقتل رجلا ثم رجع الى يزيد وقتل يزيد عظيما من عظمائهم ورُمي يزيد في ساقه واشتدت شوكتهم وهرب أبو محمد الزمّي وصبر لهم يزيد حتى حاجز وهم وقالوا قد غدرنا ولكن لا ننصرف حتى نموت جميعا أو تموتوا أو تعطونا شيأ خلف يزيد لا يُعطيهم شيأ فقال مجاعة أذكرك الله قد هلك المغيرة وقد رأيت ما دخل على المهلب من مصابه فأنشدك الله ان تصاب اليوم قال إنّ المغيرة لم يَعدُ أجله ولست أعدو أجلي فرمى اليهم مجاعة بعمامة صفراء فأخذوها وانصرفوا وجاء أبو محمد الزمي بفوارس وطعام فقال له يزيد أسلمتنا يا أبا محمد فقال انما ذهبتُ لأجيئكم بمدد وطعام فقال الراجز

يزيدُ يا سيفَ أبي سعيد * قد علمَ الاقوامُ والجنودْ
والجمعُ يومَ المجمع المشهودْ * أنكَ يومَ الترك صلبُ العودْ

وقال الاشقريّ

والترك تعلم إذ لاقى جموعهم * أن قد لقوهُ شهابا يفرجُ الظلما
بفتية كاسود الغاب لم يجدوا * غير التأسي وغير الصبر معتصما
نرى شرائج تغشى القوم من علق * وما أرى نبوة منهم ولا كزما
وتحتهم قرح يركبن ما ركبوا * من الكريهة حتى يبتلعن دما
في حازة الموت حتى جنّ ليلهمُ * كلا الفريقين ماولى ولا انهزما

﴿ وفي هذه السنة ﴾ صالح المهلب أهل كشّ على فدية ورحل عنها يزيد مرو

﴿ ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلب عن كشّ ﴾

ذكر عليّ بن محمد عن المفضل بن محمد ان المهلب اتهم قوما من مُضر فحبسهم وقفل من كشّ وخلفهم وخلف حريث بن قطبة مولى خزاعة وقال اذا استوفيت الفدية فردّ عليهم الرُّهن وقطع النهر * فلما صار ببلخ أقام بها وكتب الى حريث انى لست آمن إن رددتَ عليهم الرهن أن يُغير واعليك فاذا قبضت الفدية فلا تخلي الرهن حتى تقدم أرض بلخ فقال حريث للملك كشّ ان المهلب كتب اليّ أن أحبس الرهن حتى أقدم أرض بلخ فإن عجلتَ لي ما عليك سلمتُ اليك رهائنك وسرتُ فأخبرته ان كتابه ورد وقد استوفيتُ ما عليكم ورددت عليكم الرهن فعجل لهم صُلحهم وردّ عليهم من كان في أيديهم منهم وأقبل فعرض لهم الترك فقالوا افد نفسك ومن معك فقد لقينا يزيد بن المهلب ففدى نفسه فقال حريث ولدتني اذا أمُّ يزيدَ وقاتلهم فقتلهم وأسر منهم أسرى ففدوهم فمنّ عليهم وخلاهم وردّ عليهم

الفداء، وبلغ المهلب قوله ولدتنى أم يزيد اذا فقال يأنف العبد أن تلده رحمه وغضب * فلما قدم عليه بلخ قال له أين الرهن قال قبضت ما عليهم وخليتهم قال ألم أكتب اليك أن لا تخليهم قال أتانى كتابك وقد خليتهم وقد كفيت ما خفت قال كذبت ولكنك تقربت اليهم وإلى ملكهم فأطلعته على كتابى اليك وأمر بتجريده فجزع من التجريد حتى ظن المهلب أن به برصا فجرده وضربه ثلاثين سوطا فقال حريث وددت أنه ضربنى ثلاثمائة سوط ولم يجردنى أنفا واستحياء من التجريد وحلف ليقتلن المهلب فركب المهلب يوما وركب حريث فأمر غلامين له وهو يسير خلف المهلب أن يضرباه فأبى أحدهما وتركه وانصرف ولم يجترئ الآخر لما صار وحده أن يقدم عليه فلما رجع قال لغلامه ما منعك منه قال الإشفاق والله عليك ووالله ما جزعت على نفسى وعلمت أنا ان قتلناه انك ستقتل ونقتل ولكن كان نظرى لك ولو كنت أعلم انك تسلم من القتل لقتلته قال فترك حريث اتيان المهلب وأظهر انه وجع وبلغ المهلب انه تمارض وانه يريد الفتك به فقال المهلب لثابت بن قطبة جئنى بأخيك فإنما هو كبعض ولدى عندى وما كان ما كان منى اليه الا نظرا له وأدبا ولربما ضربت بعض ولدى أؤدبه فأتى ثابت أخاه فناشده وسأله أن يركب الى المهلب فأبى وخافه وقال والله لا أجيئه بعد ما صنع بى ما صنع ولا آمنه ولا يأمننى فلما رأى ذلك أخوه ثابت قال له أما ان كان هذا رأيك فاخرج بنا الى موسى بن عبد الله بن خازم وخاف ثابت أن يفتك حريث بالمهلب فيقتلون جميعا فخرجا فى ثلثمائة من شاكريتهما والمنقطعين اليهما من العرب ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة توفى المهلب بن أبى صفرة

﴿ذكر الخبر عن سبب موته ومكان وفاته﴾

قال على بن محمد حدثنى المفضل قال مضى المهلب منصرفه من كش يريد مرو فلما كان بزاغول من مرو الروذ أصابته الشوصة وقوم يقولون الشوكة فدعا حبيبا ومن حضره من ولده ودعا بسهام فحزمت وقال أترونكم كاسريها مجتمعة قالوا لا قال أفترونكم كاسريها متفرقة قالوا نعم قال فهكذا الجماعة فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم فإن صلة الرحم تنسئ فى الاجل وتثرى المال وتكثر العدد وأنهاكم عن القطيعة فان القطيعة تعقب النار وتورث الذلة والقلة فتحابوا وتواصلوا واجمعوا أمركم ولا تختلفوا وتبارّوا واجتمع أمور كم ان بنى الأم يختلفون فكيف ببنى العلات وعليكم بالطاعة والجماعة وليكن فعالكم أفضل من قولكم فإنى أحب للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه واتقوا الجواب وزلة اللسان فإن الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته ويزل لسانه فيهلك أعرفوا لمن يغشاكم حقه فكفى بغدو الرجل ورواحه اليكم تذكرة له وآثروا الجود على البخل وأحبوا العرب واصطنعوا العرف فإن الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك فكيف الصنيعة عنده عليكم فى

الحرب بالأناة والمكيدة فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة وإذا كان اللقاء نزل القضاء فإن أحذر جل بالحزم فظهر على عدوه قيل أتى الأمر من وجهه ثم ظفر فحمد وان لم يظفر بعد الأناة قيل ما فرط ولا ضيع ولكن القضاء غالب وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السنن وأدب الصالحين واياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم وقد استخلفت عليكم يزيد وجعلت حبيبا على الجند حتى يقدم بهم على يزيد فلا تخالفوا يزيد فقال له المفضل لو لم تقدمه لقدمناه ومات المهلب وأوصى الى حبيب فصلى عليه حبيب ثم سار الى مرو وكتب يزيد الى عبد الملك بوفاة المهلب واستخلافه اياه فأقره الحجاج ويقال انه قال عند موته ووصيته لو كان الأمر الى لوليت سيد ولدي حبيبا قال وتوفي في ذي الحجة سنة ٨٢ فقال نهار بن توسعة التميمي

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى * ومات الندى والجود بعد المهلب
أقاما بمرو الرود رهنى ضريحه * وقد غيبا عن كل شرق ومغرب
اذا قيل أي الناس أولى بنعمة * على الناس قلناه ولم نتهيب
أباح لناسهل البلاد وحزنها * بخيل كأرسال القطا المتسرب
يعرضها للطعن حتى كأنما * يحللها بالأرجوان المخضب
تطيف به قحطان قد عصبت به * وأحلافها من حي بكر وتغلب
وحيا معد عوذ بلوائه * يفدونه بالنفس والأم والأب

﴿وفي هذه السنة﴾ ولى الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب خراسان بعد موت المهلب ﴿وفيها﴾ عزل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة قال الواقدي عزله عنها لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة قال وفيها ولى عبد الملك هشام بن اسماعيل المخزومي المدينة وعزل هشام بن اسماعيل عن قضاء المدينة لما وليها نوفل بن مساحق العامري وكان يحيى بن الحكم هو الذي استقضاه على المدينة * فلما عزل يحيى وليها أبان بن عثمان أقره على قضائها وكانت ولاية أبان المدينة سبع سنين وثلاثة أشهر وثلاث عشرة ليلة فلما عزل هشام بن اسماعيل نوفل بن مساحق عن القضاء ولى مكانه عمرو بن خالد الزرقي ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق ابن عيسى عن أبي معشر وكان على الكوفة والبصرة والمشرق الحجاج وعلى خراسان يزيد ابن المهلب من قبل الحجاج

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين﴾

﴿ذكر الأحداث التي كانت فيها﴾

فمما كان فيها من ذلك هزيمة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بدير الجماجم

﴿ذكر الخبر عن سبب انهزامه﴾

ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف قال حدثني أبو الزبير الهمداني قال كنت في خيل جبلة ابن زحر * فلما حمل عليه أهل الشأم مرة بعد مرة نادانا عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه فقال يا معشر القراء ان الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم اني سمعت عليا رفع الله درجته في الصالحين وأثابه أحسن ثواب الشهداء والصديقين يقول يوم لقينا أهل الشأم أيها المؤمنون انه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن أنكر بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ونور في قلبه باليقين فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه وقال أبو البختري أيها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم فوالله لئن ظهروا عليكم ليفسدن عليكم دينكم وليغلبن على دنياكم وقال الشعبي يا أهل الاسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم فوالله ما أعلم قوما على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أجور منهم في الحكم فليكن بهم البدار وقال سعيد بن جبير قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنية ويقين وعلى آثامهم قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجبرهم في الدين واستذلالهم الضعفاء وإماتتهم الصلاة (قال أبو مخنف) قال أبو الزبير فتهيأنا للحملة عليهم فقال لنا جبلة اذا حملتم عليهم فاحملوا حملة صادقة ولا ترددوا وجوهكم عنهم حتى تواقعوا صفهم قال فحملنا عليهم حملة بجد منا في قتالهم وقوة منا عليهم فضربنا الكتائب الثلاث حتى اشفترت ثم مضينا حتى واقعنا صفهم فضربناهم حتى أزلناهم عنه ثم انصرفنا فرارنا بجبلة صريعا لا ندري كيف قتل قال فهدنا ذلك وجبنا فوقفنا موقفنا الذي كنا به وان قراءنا لمتوافرون ونحن نتناعى جبلة بن زحر بيننا كأنما فقد به كل واحد منا أباه أو أخاه بل هو في ذلك الموطن كان أشد علينا فقدا فقال لنا أبو البختري الطائي لا يستبينن فيكم قتل جبلة بن زحر فإنما كان كرجل منكم أتته منيته ليومها فلم يكن ليتقدم يومه ولا ليتأخر عنه وكلكم ذائق ما ذاق ومدعو فمجيب قال فنظرت الى وجوه القراء فاذا الكآبة على وجوههم بينة واذا ألسنتهم منقطعة واذا الفشل فيهم قد ظهر واذا أهل الشأم قد سروا وجذلوا فنادوا يا أعداء الله قد هلكتم وقد قتل الله طاغوتكم (قال أبو مخنف) فحدثني أبو يزيد السكسكي ان جبلة حين حمل هو وأصحابه علينا انكشفنا وتبعونا وافترقت منا فرقة فكانت ناحية فنظرنا فاذا أصحابه يتبعون أصحابنا وقد وقف لأصحابه ليرجعوا اليه على رأس رهوة فقال بعضنا هذا والله جبلة ابن زحر احملوا عليه مادام أصحابه مشاغيل بالقتال عنه لعلكم تصيبونه قال فحملنا عليه فأشهد ما ولى ولكن حمل علينا بالسيف * فلما هبط من الرهوة شجرناه بالرماح فأذريناه

عن فرسه فوقع قتيلا ورجع أصحابه فلما رأيناهم مقبلين تنحّينا عنهم فلما رأوه قتيلا رأينا من استرجاعهم وجزعهم ما قرّت به أعيننا قال فتبيّنا ذلك في قتالهم اياناوخروجهم الينا (قال أبو مخنف) حدّثني سهم بن عبد الرحمن الجهنيّ قال لما أصيب جبلة هدّ الناس مقتله حتى قدم علينا بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيبانيّ فشجع الناس مقدمه وقالوا هذا يقوم مقام جبلة فسمع هذا القول من بعضهم أبو البختريّ فقال قبّحتم ان قتل منكم رجل واحد ظننتم أن قد أحيط بكم فان قتل الآن ابن مصقلة ألقيتم بأيديكم الى التهلكة وقلتم لم يبق أحد يقاتل معه ما أخلقكم أن يخلف رجاؤنا فيكم وكان مقدم بسطام من الريّ فالتقى هو وقتيبة في الطريق فدعاه قتيبة الى الحجاج وأهل الشأم ودعاه بسطام الى عبد الرحمن وأهل العراق فكلاهما أبى على صاحبه وقال بسطام لأن أموت مع أهل العراق أحبّ اليّ من ان أعيش مع أهل الشأم وكان قد نزل ماسبذان فلما قدم قال لابن محمد أمرني على خيل ربيعة ففعل فقال لهم يا معشر ربيعة إنّ في شرسفة عند الحرب فاحتملوها لي وكان شجاعا فخرج الناس ذات يوم ليقتتلوا فحمل في خيل ربيعة حتى دخل عسكرهم فأصابوا فيهم نحوا من ثلاثين امرأة من بين أمة وسريّة فأقبل بهنّ حتى اذا دنى من عسكره ردّهنّ فجئن دخلن عسكر الحجاج فقال أولى لهم منع القوم نساءهم أما لو لم يردّوهنّ لسبيت نساؤهم غدا اذا ظهرت ثم اقتتلوا يوما آخر بعد ذلك فحمل عبد الله بن مليل الهمداني في خيل له حتى دخل عسكرهم فسبا ثماني عشرة امرأة وكان معه طارق بن عبد الله الأسديّ وكان راميا فخرج شيخ من أهل الشأم من فسطاطه فأخذ الأسديّ يقول لبعض أصحابه استرمني هذا الشيخ لعلني أرميه أو أحمل عليه فأطعنه فإذا الشيخ يقول رافعا صوته اللهم لمّا وإياهم بعافية فقال الأسديّ ما أحبّ أن أقتل مثل هذا فتركه وأقبل ابن مليل بالنساء غير بعيد ثم خلى سبيلهنّ أيضا فقال الحجاج مثل مقالته الأولى (قال هشام) قال أبي أقبل الوليد بن نحيت الكلبيّ من بني عامر في كتيبة الى جبلة بن زحر فلحظ عليه الوليد من رابية وكان جسيما وكان جبلة رجلا ربعة فالتقيا فضربه على رأسه فسقط وانهزم أصحابه وجيء برأسه (قال هشام) فحدّثني بهذا الحديث أبو مخنف وعوانة الكلبيّ قالا لما جيء برأس جبلة بن زحر الى الحجاج حمله على رمحين ثم قال يا أهل الشأم ابشروا هذا أول الفتح لا والله ما كانت فتنة قطّ فخبت حتى يقتل فيها عظيم من عظماء أهل اليمن وهذا من عظمائهم ثم خرجوا ذات يوم فخرج رجل من أهل الشأم يدعو الى المبارزة فخرج اليه الحجاج بن جارية فحمل عليه فطعنه فأذراه وحمل أصحابه فاستنقذوه فإذا هو رجل من خثعم يقال له أبو الدرداء فقال الحجاج بن جارية أما اني لم أعرفه حتى وقع ولو عرفته ما بارزته ما أحبّ أن يصاب من قومي مثله وخرج عبد الرحمن بن عوف الرؤاسيّ أبو حميد فدعا الى المبارزة فخرج اليه ابن عمّ

له من أهل الشأم فاضطر بابسيفيهما فقال كل واحد منهما أنا الغلام الكلابي فقال كل واحد منهما لصاحبه من أنت فلما تساءلا تحاجزا وخرج عبد الله بن رزام الحارثي الى كتيبة الحجاج فقال اخرجوا الي رجلا رجلا فأخرج اليه رجل فقتله ثم فعل ذلك ثلاثة أيام يقتل كل يوم رجلا حتى اذا كان اليوم الرابع أقبل فقالوا قد جاء لاجاء الله به فدعا الى المبارزة فقال الحجاج للجراح أخرج اليه فخرج اليه فقال له عبد الله بن رزام وكان له صديقا ويحك ياجراح ما أخرجك الى قال قد ابتليت بك قال فهل لك في خير قال ماهو قال أنهزم لك فترجع الى الحجاج وقد أحسنت عنده وحمدك وأما أنا فاني أحتمل مقالة الناس في انهزامي عنك حبا لسلامتك فاني لا أحب أن أقتل من قومي مثلك قال فافعل فحمل عليه فأخذ يستطرد له وكان الحارثي قد قطعت لهاته وكان يعطش كثيرا وكان معه غلام له معه إداوة من ماء فكلما عطش سقاه الغلام فاطرد له الحارثي وحمل عليه الجراح حملة يجد لا يريد الا قتله فصاح به غلامه إن الرجل جاد في قتلك فعطف عليه فضربه بالعمود على رأسه فصرعه فقال لغلامه انضح على وجهه من ماء الإداوة واسقه ففعل ذلك به فقال ياجراح بئس ماجزيتني أردت بك العافية وأردت أن تزبرني المنية فقال لم أرد ذلك فقال انطلق فقد تركتك للقرابة والعشيرة (قال محمد بن عمر الواقدي) حدثني ابن أبي سبرة عن صالح بن كيسان قال قال سعيد الحرشي أنا في صف القتال يومئذ اذ خرج رجل من أهل العراق يقال له قدامة بن الحريش التميمي فوقف بين الصفين فقال يامعشر جرامقة أهل الشأم انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة رسوله فإن أبيتم فليخرج الي رجل فخرج اليه رجل من أهل الشأم فقتله حتى قتل أربعة فلما رأى ذلك الحجاج أمر مناديا فنادى لايخرج الى هذا الكلب أحد قال فكف الناس قال سعيد الحرشي فدنوت من الحجاج فقلت أصلح الله الأمير انك رأيت أن لايخرج الى هذا الكلب أحد وإنما هلك من هلك من هؤلاء النفر بآجالهم ولهذا الرجل أجل وأرجو أن يكون قد حضر فأذن لأصحابي الذين قدموا معي فليخرج اليه رجل منهم فقال الحجاج ان هذا الكلب لم يزل هذا له عادة وقد أرعب الناس وقد أذنت لأصحابك فمن أحب أن يقوم فليقم فرجع سعيد الحرشي الى أصحابه فأعلمهم فلما نادى ذلك الرجل بالبراز برز اليه رجل من أصحاب الحرشي فقتله قدامة فشق ذلك على سعيد وثقل عليه لكلامه الحجاج ثم نادى قدامة من يبارز فدنا سعيد من الحجاج فقال أصلح الله الأمير ائذن لي في الخروج الى هذا الكلب فقال وعندك ذلك قال سعيد نعم انا كما تحب فقال الحجاج أرني سيفك فأعطاه اياه فقال الحجاج معي سيف أثقل من هذا فامر له بالسيف فاعطاه اياه فقال الحجاج ونظر الى سعيد فقال ما أجود درعك وأقوى فرسك ولا أدري كيف تكون مع هذا الكلب قال سعيد أرجو أن

يظفرنى الله به فال الحجاج اخرج على بركة الله فال سعيد فخرجت اليه فلما دنوت منه فال قف ياعدو الله فوقفت فسرّنى ذلك منه فقال احترازا ما أن تمكننى فأضرب بك ثلاثا واما أن أمكنك فتضربنى ثلاثا ثم تمكننى قلت أمكنى فوضع صدره على قربوسه ثم فال اضرب فجمعت يدى على سيفى ثم ضربت على المغفر متمكنا فلم يصنع شيأ فساءنى ذلك من سيفى ومن ضربتى ثم أجمع رأيى أن أضربه على أصل العاتق فاما ان أقطع واما ان أوهن يده عن ضربته فضربته فلم أصنع شيأ فساءنى ذلك ومن غاب عنى ممن هو فى ناحية العسكر حين بلغه ما فعلت والثالثة كذلك ثم اخترط سيفا ثم فال أمكنى فامكنته فضربنى ضربة صرعنى منها ثم نزل عن فرسه وجلس على صدرى وانتزع من خفيه خنجرا أو سكينا فوضعها على حلقى يريد ذبحى فقلت له أنشدك الله فانك لست مصيبا من قتلى الشرف والذكر مثل ما أنت مصيب من تركى فال ومن أنت قلت سعيد الحرشى فال أولى ياعدو الله فانطلق فأعلم صاحبك ما لقيت فال سعيد فانطلقت أسعى حتى انتهيت الى الحجاج فقال كيف رأيت فقلت الأمير كان أعلم بالأمر ﴿رجع الحديث﴾ الى حديث أبى مخنف عن أبى يزيد فال وكان أبو البخترى الطائى وسعيد ابن جبير يقولان ما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا الى آخر الآية ثم يحملان حتى يواقعا الصف (فال أبو المخارق) فاتلناهم مائة يوم سواء أعدّها عدّا فال نزلنا دير الجماجم مع ابن محمد غداة الثلاثاء لليلة مضت من شهر ربيع الاول سنة ٨٣ وهزمنا يوم الاربعاء لاربع عشرة مضت من جمادى الآخرة عند امتداد الضحى ومتوع النهار وما كنا قط أجرأ عليهم ولا هم أهون علينا منهم فى ذلك اليوم فال خرجنا اليهم وخرجوا الينا يوم الاربعاء لاربع عشرة مضت من جمادى الآخرة فقاتلناهم عامة النهار أحسن قتال فاتلناهموه قط ونحن آمنون من الهزيمة عالون للقوم اذ خرج سفيان بن الابرد الكلبى فى الخيل من قبل ميمنة أصحابه حتى دنا من الابرد بن قرّة التميمى وهو على ميسرة عبد الرحمن بن محمد فوالله ما فاتله كبير قتال حتى انهزم فأنكرها الناس منه وكان شجاعا ولم يكن الفرار له بعادة فظن الناس انه قد كان أومن وصولح على أن ينهزم بالناس فلما فعلها تقوّضت الصفوف من نحوه وركب الناس وجوههم وأخذوا فى كل وجه وصعد عبد الرحمن بن محمد المنبر فأخذ ينادى الناس عباد الله الى أنا ابن محمد فأتاه عبد الله بن زرام الحارثى فوقف تحت منبره وجاء عبد الله بن ذؤاب السلمى فى خيل له فوقف منه قريبا وثبت حتى دنا منه أهل الشأم فأخذت نبلهم تحوزه فقال يا ابن زرام احمل على هذه الرجال والخيل فحمل عليهم حتى أمعنوا ثم جاءت خيل لهم أخرى ورجاله فقال احمل عليهم يا ابن ذؤاب فحمل عليهم حتى أمعنوا وثبت لا يبرح منبره ودخل أهل الشأم العسكر فكبّروا فصعد اليه عبد الله بن يزيد بن المغفّل الازدى وكانت مليكة ابنة أخيه امرأة عبد الرحمن فقال انزل فانى أخاف عليك ان لم تنزل أن تؤسر

ولعلك ان انصرفت أن تجمع لهم جمعا يهلكهم الله به بعد اليوم فنزل وخلى أهل العراق العسكر وانهزموا لا يلوون على شئ ومضى عبد الرحمن بن محمد مع ابن جعدة بن هبيرة ومعه أناس من أهل بيته حتى اذا حاذوا قرية بنى جعدة بالفلوجة دعوا بمعبر فعبر وافيه فانتهى اليهم بسطام بن مصقلة فقال هل فى السفينة عبد الرحمن بن محمد فلم يكلموه وظن انه فيهم فقال

لا وألت نفس عليها تحاذر
ضرم قيس على البلا * دحتى اذا اضطرمت أجذما

ثم جاء حتى انتهى الى بيته وعليه السلاح وهو على فرسه لم ينزل عنه فخرجت اليه ابنته فالتزمها وخرج اليه أهله يبكون فأوصاهم بوصية وقال لا تبكوا أرأيتم ان لم أترككم كم عسيت أن أبقى معكم حتى أموت وان أنا متُّ فان الذى رزقكم الآن حيٌّ لا يموت وسيرزقكم بعد وفاتى كما رزقكم فى حياتى ثم ودّع أهله وخرج من الكوفة (قال أبو مخنف) فحدثنى الكلبى محمد بن السائب انهم لما هزموا ارتفاع النهار حين امتد ومتع قال جئت أشتد ومعى الرمح والسيف والترس حتى بلغت أهلى من يومى ما ألقيت شيأ من سلاحى فقال الحجاج اتركوهم فليتبددوا ولا تتبعوهم ونادى المنادى من رجع فهو آمن ورجع محمد بن مروان الى الموصل وعبد الله بن عبد الملك الى الشأم بعد الوقعة وخلّيا الحجاج والعراق وجاء الحجاج حتى دخل الكوفة وأجلس مصقلة بن كرب بن رقبة العبدى الى جنبه وكان خطيبا فقال اشتم كلّ امرئ بما فيه ممن كنا أحسنا اليه فاشتمه بقلة شكره ولؤم عهده ومن علمت منه عيبا فعبّه بما فيه وصغّر اليه نفسه وكان لا يبايعه أحد إلا قال له أتشهد انك قد كفرت فاذا قال نعم بايعه والا قتله فجاءه رجل من خثعم قد كان معتزلا للناس جميعا من وراء الفرات فسأله عن حاله فقال ما زلت معتزلا وراء هذه النطفة منتظرا أمر الناس حتى ظهرت فأتيتك لأبايعك مع الناس قال أمتربّص أتشهد انك كافر قال بئس الرجل أنا ان كنت عبدت الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسى بالكفر قال اذا أقتلك قال وان قتلتنى فوالله ما بقى من عمرى الا ظمء حمار وانى لانتظر الموت صباح مساء قال اضربوا عنقه فضربت عنقه فزعموا انه لم يبق حوله قرشىّ ولا شأمىّ ولا أحد من الحزبين الا رحمه ورثى له من القتل ودعا بكميل بن زياد النخعى فقال له أنت المقتصّ من عثمان أمير المؤمنين قد كنت أحب أن أجد عليك سبيلا فقال والله ما أدرى على أينا أنت أشد غضبا عليه حين أقاد من نفسه أم علىّ حين عفوت عنه ثم قال أيها الرجل من ثقيف لا تصرف على أنيابك ولا تهدّم على تهدّم الكثيب ولا تكثر كثران الذئب والله ما بقى من عمرى الا ظمء الحمار فانه يشرب غدوة ويموت عشية ويشرب عشية ويموت غدوة اقض ما أنت قاض فان الموعد الله وبعد القتل الحساب قال الحجاج فان الحجة عليك قال ذلك ان كان القضاء اليك قال بلى كنت فيمن قتل عثمان وخلعت أمير المؤمنين اقتلوه فقدم فقتل

قتله أبو الجهم بن كنانة الكلبي من بني عامر بن عوف ابن عم منصور بن جمهور وأتى بآخر من بعده فقال الحجاج اني أرى رجلا ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر فقال أخاف مما عن نفسي أنا أكفر أهل الأرض وأكفر من فرعون ذي الأوتاد فضحك الحجاج وخلى سبيله وأقام بالكوفة شهرا وعزل أهل الشأم عن بيوت أهل الكوفة ﴿وفي هذه السنة﴾ كانت الوقعة بمسكن بين الحجاج وابن الاشعث بعد ما انهزم من ديرا لجماجم

﴿ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة وعن صفتها﴾

(قال هشام) حدثني أبو مخنف عن أبي يزيد السكسكي قال خرج محمد بن سعد بن أبي وقاص بعد وقعة الجماجم حتى نزل المدائن واجتمع اليه ناس كثير وخرج عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي حتى اتى البصرة وبها أيوب بن الحكم بن أبي عقيل ابن عم الحجاج فاخذها وخرج عبد الرحمن بن محمد حتى قدم البصرة وهو بها فاجتمع الناس الى عبد الرحمن ونزل فاقبل عبيد الله حينئذ الى ابن محمد بن الاشعث وقال له انى لم أرد فراقك وانما أخذتها لك وخرج الحجاج فبدأ بالمدائن فأقام عليها خمسا حتى هيأ الرجال في المعابر فلما بلغ محمد بن سعد عبورهم اليهم خرجوا حتى لحقوا ابن الاشعث جميعا وأقبل نحوهم الحجاج فخرج الناس معه الى مسكن على دجيل وأتاه أهل الكوفة والفلول من الأطراف وتلاوم الناس على الفرار وبايع أكثرهم بسطام بن مصقلة على الموت وخندق عبد الرحمن على أصحابه وبث الماء من جانب فجعل القتال من وجه واحد وقدم عليه خالد بن جرير بن عبد الله القسري من خراسان في ناس من بعث الكوفة فاقتتلوا خمس عشرة ليلة من شعبان أشد القتال حتى قتل زياد بن غنيم القيني وكان على مسالح الحجاج فهدّ ذلك وأصحابه هدّا شديدا

(قال أبو مخنف) حدثني أبو جهضم الأزدي قال بات الحجاج ليله كله يسير فينا يقول لنا انكم أهل الطاعة وهم أهل المعصية وأنتم تسعون في رضوان الله وهم يسعون في سخط الله وعادة الله عندكم فيهم حسنة ما صدقتموهم في موطن قط ولا صبرتم لهم الا أعقبكم الله النصر عليهم والظفر بهم فاصبحوا اليهم عادين جادين فانى لست أشك في النصر ان شاء الله قال فاصبحنا وقد عبانا في السير فباكرناهم فقاتلناهم أشد قتال قاتلناهموه قط وقد جاءنا عبد الملك بن المهلب محففا وقد كشفت خيل سفيان بن الأبرد فقال له الحجاج ضم اليك يا عبد الملك هذا البشر لعلى أحمل عليهم ففعل وحمل الناس من كل جانب فانهزم أهل العراق أيضا وقتل أبو البختري الطائي وعبد الرحمن بن أبي ليلى وقالا قبل أن يقتتلا ان الفرار كل ساعة بنا لقبيح فاصيبا قال ومشى بسطام بن مصقلة الشيباني في أربعة آلاف من أهل الحفاظ من أهل المصرين فكسروا جفون السيوف وقال لهم ابن مصقلة لو كنا اذا فررنا بانفسنا من الموت نجونا منه فررنا ولكنا قد علمنا انه نازل بنا عما قليل فاين المحيد عما لا بد منه يا قوم انكم

محقون فقاتلوا على الحق والله لو لم تكونوا على الحق لكان موت في عز خيرا من حياة في ذل فقاتل هو وأصحابه قتالا شديدا كشفوا فيه أهل الشأم مرارا حتى قال الحجاج على بالرماة لا يقاتلهم غيرهم فلما جاءتهم الرماة وأحاط بهم الناس من كل جانب قتلوا الا قليلا وأخذ بكير ابن ربيعة بن أبي ثروان الضبي أسيرا فاتى به الحجاج فقتله (قال أبو مخنف) فحدثني أبو الجهضم قال جئت بأسير كان الحجاج يعرفه بالبأس فقال الحجاج يا أهل الشأم انه من صنع الله لكم ان هذا غلام من الغلمان جاء بفارس أهل العراق أسيرا اضرب عنقه فقتله قال ومضى ابن الاشعث والفل من المنهزمين معه نحو سجستان فاتبعهم الحجاج عمارة بن تميم اللخمي ومعه ابنه محمد بن الحجاج وعمارة أمير على القوم فسار عمارة بن تميم الى عبد الرحمن فادركه بالسوس فقاتله ساعة من نهار ثم انه انهزم هو وأصحابه فمضوا حتى أتوا سابور واجتمعت الى عبد الرحمن ابن محمد الأكراد مع من كان معه من الفلول فقاتلهم عمارة بن تميم قتالا شديدا على العقبة حتى جرح عمارة وكثير من أصحابه ثم انهزم عمارة وأصحابه وخلوا لهم عن العقبة ومضى عبد الرحمن حتى مر بكرمان (قال الواقدي) كانت وقعة الزاوية بالبصرة في المحرم سنة ٨٣ (قال أبو مخنف) حدثني سيف بن بشر العجلي عن المغل بن حابس العبدي قال لما دخل عبد الرحمن بن محمد كرمان تلقاه عمرو بن لقيط العبدي وكان عامله عليها فهيأ له نزلا فنزل فقال له شيخ من عبد القيس يقال له معقل والله لقد بلغنا عنك يا ابن الاشعث أن قد كنت جبانا فقال عبد الرحمن والله ما جبنت والله لقد دلفت الرجال بالرجال ولففت الخيل بالخيل واقد قاتلت فارسا وقاتلت راجلا وما انهزمت ولا تركت العرصة للقوم في موطن حتى لا أجد مقاتلا ولا أرى معي مقاتلا ولكني زاولت ملكا مؤجلا ثم انه مضى بمن معه حتى فوز في مفازة كرمان (قال أبو مخنف) فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي قال لما مضى ابن محمد في مفازة كرمان وأتبعه أهل الشأم دخل بعض أهل الشأم قصرا في المفازة فاذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر أبي جلدة اليشكري وهي قصيدة طويلة

أيا لهفا ويا حزنا جميعا * ويا حرّ الفؤاد لما لقينا
تركنا الدين والدنيا جميعا * وأسلمنا الحلائل والبنينا
فما كنا أناسا أهل دين * فنصبر في البلاء اذا ابتلينا
وما كنا أناسا أهل دنيا * فنمنعها ولو لم نرج دينا
تركنا دورنا لطغام عك * وأنباط القرى والاشعرينا

ثم ان ابن محمد مضى حتى خرج على زرنج مدينة سجستان وفيها رجل من بني تميم قد كان عبد الرحمن استعمله عليها يقال له عبد الله بن عامر البعّار من بني مجاشع بن دارم فلما قدم عليه عبد الرحمن بن محمد منهزما أغلق باب المدينة دونه ومنعه دخولها فاقام عليها عبد

الرحمن أيام رجاء افتتاحها ودخولها فلما رأى انه لا يصل اليها حرج حتى أتى بُست وقد كان استعمل عليها رجلا من بكر بن وائل يقال له عياض بن همْيان أبو هشام بن عياض السدوسي فاستقبله وقال له انزل فجاء حتى نزل به وانتظر حتى اذا غفل أصحاب عبد الرحمن وتفرقوا عنه وثب عليه فأوثقه وأراد ان يأمن بها عند الحجاج ويتخذ بها عنده مكانا وقد كان رُتبيل سمع بمقدم عبد الرحمن عليه فاستقبله في جنوده فجاء رتبيل حتى أحاط ببست ثم نزل وبعث الى البكري والله لئن آذيته بما يُقذي عينه أو ضررته ببعض المضرّة أو رزأته حبلا من شعر لا أبرح العرصة حتى استنزلك فاقتلك وجميع من معك ثم أسبي ذراريكم وأقسم بين الجند أموالكم فارسل اليه البكري أن أعطنا أمانا على أنفسنا وأموالنا ونحن ندفعه اليك سالما وما كان له من مال مُوَفَّرا فصالحهم على ذلك وآمنهم ففتحوا الابن الاشعث الباب وخلوا سبيله فأتى رتبيل فقال له ان هذا كان عاملي على هذه المدينة وكنت حيث وليته وانقابه مطمئنا اليه فغدر بي وركب مني ما قد رأيت فأذن لي في قتله قال قد آمنته وأكره أن أغدر به قال فأذن لي في دفعه ولهزه والتصغير به قال أما هذا فنعم ففعل به عبد الرحمن بن محمد ثم مضى حتى دخل مع رُتبيل بلاده فانزله رتبيل عنده وأكرمه وعظمه وكان معه ناس من الفل كثير ثم ان عُظم الفلول وجماعة أصحاب عبد الرحمن ومن كان لا يرجو الامان من الرؤس والقادة الذين نصبوا للحجاج في كل موطن مع ابن الاشعث ولم يقبلوا أمان الحجاج في أول مرة وجهدوا عليه الجهد كله اقبلوا في أثر ابن الاشعث وفي طلبه حتى سقطوا بسجستان فكان بها منهم وممن تبعهم من أهل سجستان وأهل البلد نحو من ستين ألفا ونزلوا على عبد الله بن عامر البعار فحصروه وكتبوا الى عبد الرحمن يخبرونه بقدومهم وعددهم وجماعتهم وهو عند رتبيل وكان يصلي بهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فكتبوا اليه أن أقبل الينا العلنا نسير الى خراسان فان بها منا جندا عظيما فلعلهم يبايعوننا على قتال أهل الشأم وهي بلاد واسعة عريضة وبها الرجال والحصون فخرج اليهم عبد الرحمن بن محمد بمن معه فحصروا عبد الله بن عامر البعار حتى استنزلوه فامر به عبد الرحمن فضرب وعُذب وحبس وأقبل نحوهم عُمارة بن تميم في أهل الشأم فقال أصحاب عبد الرحمن بن محمد لعبد الرحمن أخرج بنا عن سجستان فلند عها له ونأتي خراسان فقال عبد الرحمن بن محمد على خراسان يزيد بن المهلب وهو شاب شجاع صارم وليس بتارك لكم سلطانه ولو دخلتموها وجدتموه اليكم سريعا ولن يَدَعَ أهل الشأم اتباعكم فاكرهُ ان يجتمع عليكم أهل خراسان وأهل الشأم وأخاف ان لا تنالوا ما تطلبون فقالوا انما أهل خراسان منا ونحن نرجو أن لو قد دخلناها ان يكون من يتبعنا منهم أكثر

ممن يقاتلنا وهى أرض طويلة عريضة ننتهى فيها حيث شئنا ونمكث حتى يهلك الله الحجاج أو عبد الملك أو نرى من رأينا فقال لهم عبد الرحمن سيروا على اسم الله فساروا حتى بلغوا هراة فلم يشعروا بشئ حتى خرج من عسكره عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة القرشى في ألفين ففارقه فأخذ طريقا سوى طريقهم فلما أصبح ابن محمد قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانى قد شهدتكم فى هذه المواطن وليس فيها مشهد الا أصبر لكم فيه نفسى حتى لا يبقى منكم فيه أحد فلما رأيت انكم لا تقاتلون ولا تصبرون أتيت ملجأ ومأمنا فكنت فيه فجاءتنى كتبكم بأن أقبل اليكم فاقدا جتمعنا وأمرنا واحد لعلنا نقاتل عدونا فأتيتكم فرأيت ان أمضى الى خراسان وزعمتم انكم مجتمعون لى وانكم لن تفروا عنى ثم هذا عبيد الله بن عبد الرحمن قد صنع ما قد رأيتم فحسبى منكم يومى هذا فاصنعوا ما بدا لكم أما أنا فمنصرف الى صاحبى الذى أتيتكم من قبله فمن أحب منكم ان يتبعنى فليتبعنى ومن كره ذلك فليذهب حيث أحب فى عياذ من الله فتفرقت منهم طائفة ونزلت معه طائفة وبقى عظم العسكر فوثبوا الى عبد الرحمن بن العباس لما انصرف عبد الرحمن فبايعوه ثم مضى ابن محمد الى رتبيل ومضوا هم الى خراسان حتى انتهوا الى هراة فلقوا بها الرقاد الأزدى من العتيك فقتلوه وساروا اليهم يزيد ابن المهلب * وأما على بن محمد المدائنى فانه ذكر عن المفضل بن محمد ان ابن الأشعث لما انهزم من مسكن مضى الى كابل وان عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة أتى هراة فذم ابن الأشعث وعابه بفراره وأتى عبد الرحمن بن عباس سجستان فانضم اليه فل ابن الأشعث فسار الى خراسان في جمع يقال عشرين ألفا فنزل هراة ولقوا الرقاد بن عبيد العتكى فقتلوه وكان مع عبد الرحمن من عبد القيس عبد الرحمن بن المنذر بن الجارود فأرسل اليه يزيد بن المهلب قد كان لك فى البلاد متسع ومن هو أكل منى حدا وأهون شوكة فارتحل الى بلد ليس لى فيه سلطان فانى أكره قتالك وان أحببت ان أمدك بمال لسفرك أعنتك به فأرسل اليه ما نزلنا هذه البلاد لمحاربة ولا لمقام ولكنا أردنا ان نربح ثم نشخص ان شاء الله وليست بنا حاجة الى ما عرضت فانصرف رسول يزيد اليه وأقبل الهاشمى على الجباية وبلغ يزيد فقال من أراد يربح ثم يجتزل لم يجب الخراج فقدم المفضل في أربعة آلاف ويقال فى ستة آلاف ثم أتبعه في أربعة آلاف ووزن يزيد نفسه بسلاحه فكان أربعمائة رطل فقال ما أرانى الا قد ثقلت عن الحرب أى فرس يحملنى ثم دعا بفرسه الكامل فركبه واستخلف على مرو حاله جديع بن يزيد وصير طريقه على مرو الروذ فأتى قبر أبيه فأقام عنده ثلاثة أيام وأعطى من معه مائة درهم مائة درهم ثم أتى هراة فأرسل الى الهاشمى قد أرحت وأسمنت وجبيت فلك ما جبيت وإن أردت زيادة زدناك فاخرج فوالله ما أحب ان أقاتلك فقال فأبى الا القتال ومعه عبيد الله ابن عبد الرحمن بن سمرة ودس الهاشمى الى جند يزيد يمنيهم ويدعوهم الى نفسه فأخبر

بعضهم يزيد فقال جل الأمر عن العتاب أتغدى بهذا قبل ان يتعشى بي فسار اليه حتى تدانى العسكران وتأهبوا للقتال وألقى ليزيد كرسي فقعد عليه وولى الحرب أخاه المفضل فأقبل رجل من أصحاب الهاشمي يقال له خليد عُمَيْنِين من عبد القيس على ظهر فرسه فرفع صوته فقال

دَعَتْ يا يَزِيدَ بنَ المهلَّبِ دَعْوَةً * لها جزَعٌ ثم استهلَّت عيونُها
ولو يُسمع الداعي النداء أجابها * بصُمِّ القنا والبيض تُلقَى جفونُها
وقد فرَّ أشرافُ العراق وغادَرُوا * بها بقرًا للحين جُمًّا قُرُونُها

وأراد ان يحض يزيد فسكت يزيد طويلا حتى ظن الناس ان الشعر قد حركه ثم قال لرجل ناد وأسمعهم جَشَّمُوهم ذلك فقال خليد

لبئس المنادى والمنوَّهُ باسمه * تنادِيه أبكارُ العراقِ وعونُها
يَزِيدُ إذا يُدعى لِيَوْمٍ حفيظةٍ * ولا يَمْنَعُ السَّوْآتِ إلا حُصُونُها
فإني أراه عن قليل بنفسه * يُدان كما قد كان قبلُ يَدِينُها
فلا حُرَّةٌ تُبكيه لكن نوائحٌ * تبكّى عليه البقع منها وجونُها

فقال يزيد للمفضل قدم خيلك فتقدم بها وتها يجوا فلم يكن بينهم كبير قتال حتى تفرق الناس عن عبد الرحمن وصبر وصبرت معه طائفةٌ من أهل الحفاظ وصبر معه العبديون وحمل سعد بن نجد القُرْدُوسي على حليس الشيبانيّ وهو امام عبد الرحمن فطعنه - ليس فأذراه عن فرسه وحماه أصحابه وكثرهم الناس فانكشفوا فأمر يزيد بالكف عن اتباعهم وأخذ واما كان في عسكرهم وأسروا منهم أسرى فولى يزيد عطاء بن أبي السائب العسكر وأمره بضم ما كان فيه فأصابوا ثلاث عشرة امرأة فأتوا بهن يزيد فدفعهن الى مرة بن عطاء بن أبي السائب فحملهن الى الطَّبَسَيْن ثم حملهن الى العراق وقال يزيد لسعد بن نجد من طعنك قال حليس الشيباني وأنا والله راجلا أشدُّ منه وهو فارس قال فبلغ حليسا فقال كذب والله لأنا أشدُّ منه فارسا وراجلا وهرب عبد الرحمن بن منذر بن بشر بن حارثة فصار الى موسى بن عبد الله بن خازم قال فكان في الأسرى محمد بن سعد بن أبي وقاص وعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وعياش بن الأسود بن عوف الزهري والهلقام بن نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة وفيروز حصين وأبو العلج مولى عبيد الله بن معمر ورجل من آل أبي عقيل وسوار بن مروان وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خلف وعبد الله بن فضالة الزهرانيّ ولحق الهاشمي بالسند وأتى ابن سمرة مرو ثم انصرف يزيد الى مرو وبعث بالأسرى الى الحجاج مع سبرة بن نخعب بن أبي صفرة وخلى عن ابن طلحة وعبد الله بن فضالة وسعى قوم بعبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة فأخذه يزيد فحبسه ﴿وأما هشام﴾ فانه ذكر

انه حدثه القاسم بن محمد الحضرمي عن حفص بن عمر بن قبيصة عن رجل من بني حنيفة يقال له جابر بن عمارة ان يزيد بن المهلب حبس عنده عبد الرحمن بن طلحة وآمنه وكان الطلحي قد آلى على يمين ان لا يرى يزيد بن المهلب في موقف الا أتاه حتى يقبل يده شكرا لما أبلاه قال وقال محمد بن سعد بن أبي وقاص ليزيد أسألك بدعوة أبي لأبيك فخلى سبيله ولقول محمد بن سعد ليزيد أسألك بدعوة أبي لأبيك حديث فيه بعض الطول ﴿قال هشام﴾ حدثني أبو مخنف قال حدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي قال بعث يزيد بن المهلب ببقية الأسرى الى الحجاج بن يوسف بعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر فقال أنت صاحب شرطة عدي الرحمن فقال أصلح الله الأمير كانت فتنة شملت البر والفاجر فدخلنا فيها فقد أمكنك الله منا فان عفوت فبحلمك وفضلك وان عاقبت عاقبت ظلمة مذنبين فقال الحجاج أما قولك انها شملت البر والفاجر فكذبت ولكنها شملت الفجار وعوفي منها الأبرار وأما اعترافك بذنبك فعسى ان ينفعك فعزل ورجا الناس له العافية حتى قدم بالهلقام بن نعيم فقال له الحجاج أخبرني عنك ما رجوت من اتباع عبد الرحمن بن محمد أرجوت أن يكون خليفة قال نعم رجوت ذلك وطمعت ان ينزلني منزلتك من عبد الملك قال فغضب الحجاج وقال اضربوا عنقه فقتل قال ونظر الى موسى بن عمر بن عبيد الله بن معمر وقد نحي عنه فقال اضربوا عنقه وقتل بقيتهم وقد كان آمن عمرو بن أبي قرة الكندي ثم الحجري وهو شريف وله بيت قديم فقال يا عمرو كنت تقضي الي وتحدثني انك ترغب عن ابن الأشعث وعن الأشعث قبله ثم تبعت عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث والله ما بك عن اتباعهم رغبة ولا نعمة عين لك ولا كرامة قال وقد كان الحجاج حين هزم الناس بالجماجم نادى مناديه من لحق بقتيبة بن مسلم بالري فهو أمانه فلحق ناس كثير بقتيبة وكان فيمن لحق به عامر الشعبي فذكر الحجاج الشعبي يوما فقال أين هو وما فعل فقال له يزيد بن أبي مسلم بلغني أيها الأمير انه لحق بقتيبة بن مسلم بالري قال فأبعث اليه فلنؤته به فكتب الحجاج الى قتيبة أما بعد فابعث الي بالشعبي حين تنظر في كتابي هذا والسلام عليك فسرح اليه (قال أبو مخنف) فحدثني السري بن اسماعيل عن الشعبي قال كنت لابن أبي مسلم صديقا فلما قدم بي على الحجاج لقيت ابن أبي مسلم فقلت أشر علي قال ما أدري ما أشير به عليك غير أن اعتذر ما استطعت من عذر وأشار بمثل ذلك علي نصحائي واخواني فلما دخلت عليه رأيت والله غير ما رأوا الى فسلمت عليه بالإمرة ثم قلت أيها الامير ان الناس قد أمروني ان أعتذر اليك بغير ما يعلم الله انه الحق وايم الله لا أقول في هذا المقام الا حقا قد والله سودناك عليك وحرضناك وجهدنا عليك كل الجهد فما آلونا فيما كنا بالاقوياء الفجرة ولا الاتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فإن سطوت فبذنوبنا وما جرت اليه أيدينا وان عفوت عنا فبحلمك وبعد الحجة لك علينا

فقال له الحجاج أنت والله أحب الىّ قولا ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول ما فعلت ولا شهدت قد أمنت عندنا ياشعبى فانصرف قال فانصرفت فلما مشيت قليلا قال هلم ياشعبى قال فوجل لذلك قلبى ثم ذكرت قوله قد أمنت ياشعبى فاطمأنت نفسى قال كيف وجدت الناس ياشعبى بعدنا قال وكان لى مكرما فقلت أصلح الله الامير اكتهلت والله بعدك السهر واستوعرت الجناب واستهلست الخوف وفقدت صالح الإخوان ولم أجد من الامير خلفا قال انصرف ياشعبى فانصرفت (قال أبو مخنف) قال خالد بن قطن الحارثى أتى الحجاج بالاعشى أعشى همدان فقال إيه ياعدو الله أنشدنى قولك بين الاشج بين قيس أنفذ بيتك قال بل أنشدك ماقلت لك قال بل أنشدنى هذه فأنشده

أبى الله إلا أن يتم نوره * ويطفئ نور الفاسقين فيخمدا
ويظهر أهل الحق فى كل موطن * ويعدل وقع السيف من كان أصيدا
ويترل ذلا بالعراق وأهله * لما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما أخذوا من بدعة وعظيمة * من القول لم تصعد إلى الله مصعدا
وما نكثوا من بيعة بعد بيعة * إذا ضمنوها اليوم حاسوا بها غدا
وجبنا حشاه ربهم فى قلوبهم * فما يقربون الناس إلا تهددا
فلا صدق فى قول ولا صبر عندهم * ولكن فخرا فيهم وتزيدا
فكيف رأيت الله فرق جمعهم * ومزقهم عرض البلاد وشردا
فقتلاهم قتلى ضلال وفتنة * وحيهم أمسى ذليلا مطردا
ولما زحفنا لابن يوسف غدوة * وأبرق منا العارضان وأرعدا
قطعنا إليه الخندقين وإنما * قطعنا وأفضينا الى الموت مرصدا
فكافحنا الحجاج دون صفوفنا * كفاحا ولم يضرب لذلك موعدا
بصفر كأن البرق فى حجراته * اذا ما تجلى بيضه وتوقدا
دلفنا إليه فى صفوف كأنها * جبال شروى لوتعان فتنهدا
فما لبث الحجاج أن سل سيفه * علينا فولى جمعنا وتبددا
ومازاحف الحجاج إلا رأيته * معانا ملقى للفتوح معودا
وإن ابن عباس لفى مرجحنة * نشبهها قطعا من الليل أسودا
فما شرعوا رمحا ولا جردوا له * ألا ربما لاقى الجبان فجردا
وكرت علينا خيل سفيان كرة * بفرسانها والسمهرى مقصدا

وسفيانُ يهديها كأنَّ لواءهُ * من الطعن سِندِيانٌ بالصبغ مُجسَدا
كهولٌ ومردٌ من قُضاعةَ حولَهُ * مَساعيرُ أبطال اذا النكسُ عرَّدا
إذا قال شُدُّوا شدَّةً حملوا معًا * فأنهلَ خرصانَ الرِّماحِ وأوردا
جُنودُ أميرِ المؤمنينَ وخيلُهُ * وسلطانُهُ أمسى عزيزًا مؤيَّدا
فيُنجي أميرَ المؤمنينَ ظهورُه * على أمةٍ كانوا بُغاةً وحُسَّدا
نزوا يشتكونَ البغيَ من أمرائهمْ * وكانوا هُمُ أبغى البغاةِ وأعندا
وجدْنا بني مروانَ خيرَ أئمةٍ * وأفضلَ هذي الناسِ حِلْماً وسُؤددا
وخيرَ قُريشٍ في قريشٍ أرُومةً * وأكرمَهم إلا النبيَّ محمدا
إذا ما تدبَّرنا عواقبَ أمرِه * وجدْنا أميرَ المؤمنينَ مُسدَّدا
سيغلبُ قومٌ غالبُوا اللهَ جهرةً * وإن كايدُوهُ كانَ أقوى وأكيدا
كذاكَ يضلُّ اللهُ من كان قلبُهُ * مريضاً ومن والى النفاقَ وألحدا
فقد تركوا الأهلينَ والمالَ خلفَهمْ * وبيضاً عليهنَّ الجلابيبُ خُرَّدا
يُناديهمُ مُستعبراتٍ إليهمِ * ويُذرينَ دمعاً في الخدودِ وإثمدا
فإلا تُناوِلهنَّ منكَ برحمةٍ * يكنَّ سبايا والبُعولةُ أعبُدا
أنكثاً وعصياناً وغدراً وذلةً * أهانَ الإلهُ من أهانَ وأبعدا
لقد شأمَ المِصرينِ فرخُ محمدٍ * بحقٍّ ومالاقى من الطيرِ أسعدا
كما شأمَ اللهُ النُّجيرَ وأهلَهُ * بجدٍّ لهُ قد كانَ أشقى وأنكدا

فقال أهل الشأم أحسن أصلح الله الأمير فقال الحجاج لا لم يحسن انكم لا تدرون ما أراد بها ثم قال يا عدوّ الله انا لسنا نحمدك على هذا القول انما قلت تأسّف ان لا يكون ظهر وظفر وتحريضا لاصحابك علينا وليس عن هذا سألناك أنفذ لنا قولك * بين الاشجّ وبين قيس باذخ * فأنفذها فلما قال * بخ بخ لوالده وللمولود * قال الحجاج لا والله لا تبخبخ بعدها الا حد أبدا فقدمه فضرب عنقه ﴿وقد ذكر﴾ من أمر هؤلاء الاسرى الذين أسرهم يزيد بن المهلب ووجههم الى الحجاج ومن قتل ابن الاشعث الذين انهزموا يوم مسكن أمر غير ما ذكره أبو مخنف عن أصحابه والذي ذكر عنهم من ذلك انه لما انهزم ابن الاشعث مضى هؤلاء مع سائر الفلّ الى الريّ وقد غلب عليها عمر بن أبي الصلت بن كنان مولى بني نصر بن معاوية وكان من أفرس الناس فانضموا اليه فأقبل قتيبة بن مسلم الى الريّ من قِبَل الحجاج وقد ولاه عليها فقال النفر الذين ذكرت أن يزيد بن المهلب وجههم الى الحجاج مقيّدين وسائر فلّ

ابن الأشعث الذين صاروا الى الرى لعمر بن أبى الصلت نوليك أمرنا وتحارب بنا قتيبة فشاور عمر أباه أبا الصلت فقال له أبوه والله يابنى ما كنت أبالى اذا سار هؤلاء تحت لوائك أن تقتل من غد فقد لواه وسار فهزم وهزم أصحابه وانكشفوا الى سجستان واجتمعت بها الفلول وكتبوا الى عبد الرحمن بن محمد وهو عند رتبيل ثم كان من أمرهم وأمر يزيد بن المهلب ماقد ذكرت * وذكر أبو عبيدة أن يزيد لما أراد أن يوجه الأسرى الى الحجاج قال له أخوه حبيب بأى وجه تنظر الى اليمانية وقد بعثت ابن طلحة فقال يزيد هو الحجاج ولا يتعرض له وقال وطن نفسك على العزل ولا ترسل به فإن له عندنا بلاء قال وما بلاؤه قال لزم المهلب فى مسجد الجماعة بمائتى ألف فأداها طلحة عنه فأطلقه وأرسل بالباقين فقال الفرزدق

وجد ابن طلحة يوم لاقى قومه * قحطان يوم هراة خير المعشر

وقيل ان الحجاج لما أتى بهؤلاء الأسرى من عند يزيد بن المهلب قال لحاجبه اذا دعوتك بسيدهم فأتنى بفيروز فأبر زسريره وهو حينئذ بواسط القصب قبل أن تبنى مدينة واسط ثم قال لحاجبه جئنى بسيدهم فقال لفيروز فقال له الحجاج أباعثمان ما أخرجك مع هؤلاء فوالله ما الملك من لحومهم ولا دمك من دمائهم قال فتنة عمت الناس فكنا فيها قال اكتب لى أموالك قال ثم ماذا قال اكتبها أول قال ثم أنا آمن على دمى قال اكتبها ثم أنظر قال اكتب ياغلام ألف ألف ألفى ألف فذكر مالا كثيرا فقال الحجاج أين هذه الأموال قال عندى قال فأدها قال وأنا آمن على دمى قال والله لتؤدينها ثم لأقتلنك قال والله لاتجمع مالى ودمى فقال الحجاج للحاجب نحه فنحاه ثم قال ائتنى بمحمد بن سعد بن أبى وقاص فدعاه فقال له الحجاج أيها الشيطان أعظم الناس تيها وكبرا تأبى بيعة يزيد بن معاوية وتشبه بحسين وابن عمر ثم صرت مؤذنا لابن كناز عبد بنى نصر يعنى عمر بن أبى الصلت وجعل يضرب بعود فى يده رأسه حتى أدماه فقال له محمد أيها الرجل ملكت فأسجح فكف يده فقال ان رأيت أن تكتب الى أمير المؤمنين فان جاءك عفو كنت شريكا فى ذلك محمودا وان جاءك غير ذلك كنت قد أعذرت فأطرق مليا ثم قال اضرب عنقه فضربت عنقه ثم دعا بعمر بن موسى فقال ياعبد المرأة أتقوم بالعمود على رأس ابن الحائك وتشرب معه الشراب فى حمام فارس وتقول المقالة التى قلت أين الفرزدق قم فأنشده ماقلت فيه فأنشده

وخضبت أير ك للزناء ولم تكن * يوم الهياج لتخضب الأبطالا

فقال أما والله لقد رفعته عن عقائل نسائك ثم أمر بضرب عنقه ثم دعا بابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة فإذا غلام حدث فقال أصلح الله الأمير مالى ذنب انما كنت غلاما صغيرا مع أبى وأمى لا أمر لى ولا نهى وكنت معهما حيث كانا فقال وكانت أمك مع أبيك فى هذه الفتن كلها قال نعم قال على أبيك لعنة الله ثم دعا بالهلقام بن نعيم فقال اجعل ابن الأشعث

طلب ما طلب ما الذى أملت أنت معه قال أملت أن يملك فيولينى العراق كما ولاك عبد الملك قال قم يا حوشب فاضرب عنقه فقام اليه فقال له الهلقام يا ابن لطيفة اتنكا القرح فضرب عنقه ثم أتى بعبد الله بن عامر فلما قام بين يديه قال لا رأت عيناك يا حجاج الجنة ان أقلت ابن المهلب بما صنع قال وما صنع قال

لأنه كاس في إطلاق أسرته * وقاد نحوك في أغلالها مضرا
وقى بقومك ورد الموت أسرته * وكان قومك أدنى عنده خطرا

فأطرق الحجاج مليا وقرت فى قلبه وقال وما أنت وذاك اضرب عنقه فضربت عنقه ولم تزل فى نفس الحجاج حتى عزل يزيد عن خراسان وحبسه ثم أمر بفير وزفعذب فكان فيما عذب به ان كان يشد عليه القصب الفارسى المشقوق ثم يجر عليه حتى يحرق جسده ثم ينضح عليه الخل والملح فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب ان الناس لا يشكون انى قد قتلت ولى ودائع أموال عند الناس لا تؤدى اليكم أبدا فأظهرونى للناس ليعلموا انى حى فيؤدوا المال فأعلم الحجاج فقال أظهروه فأخرج الى باب المدينة فصاح فى الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن أنكرنى فأنا فيروز حصين ان لى عند أقوام مالا فمن كان لى عنده شىء فهو له وهو منه فى حل فلا يؤدين منه أحد درهما ليبلغ الشاهد الغائب فأمر به الحجاج فقتل وكان ذلك مما روى الوليد بن هشام بن قحذم عن أبى بكر الهذلى * وذكر ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب ان عمال الحجاج كتبوا اليه إن الخراج قد انكسر وان أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار فكتب الى البصرة وغيرها ان من كان له أصل فى قرية فليخرج اليها فخرج الناس فعسكروا فجعلوا يبكون وينادون يا محمداه يا محمداه وجعلوا لا يدرون أين يذهبون فجعل قراء أهل البصرة يخرجون اليهم متقنعين فيبكون لما يسمعون منهم ويرون قال فقدم ابن الأشعث على تفيئة ذلك واستبصر قراء أهل البصرة فى قتال الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث * وذكر عن ضمرة بن ربيعة عن الشيبانى قال قتل الحجاج يوم الزاوية أحد عشر ألفا ما استحيا منهم الا واحدا كان ابنه فى كتاب الحجاج فقال له أتحب أن نعفو لك عن أبيك قال نعم فتركه لابنه وانما خدعهم بالأمان أمر مناديا فنادى عند الهزيمة ألا لا أمان لفلان ولا فلان فسمى رجالا من أولئك الأشراف ولم يقل الناس آمنون فقالت العامة قد آمن الناس كلهم الا هؤلاء النفر فأقبلوا الى حجرته فلما اجتمعوا أمرهم بوضع أسلحتهم ثم قال لا مرحبا بكم اليوم رجلا ليس بينكم وبينه قرابة فأمر بهم عمارة بن تميم اللخمى فقربهم فقتلهم * وروى عن النضر بن شميل عن هشام ابن حسان انه قال بلغ ما قتل الحجاج صبرا مائة وعشرين أو مائة وثلاثين ألفا * وقد ذكر فى هزيمة ابن الأشعث بمسكن قول غير الذى ذكره أبو مخنف والذى ذكر من ذلك ان

ابن الأشعث والحجاج اجتمعا بمسكن من أرض ابزقباذ فكان عسكر ابن الاشعث على نهر يُدعى خداش مؤخرُ النهر نهرُ تيرَى ونزل الحجاج على نهر أفريذو والعسكران جميعا بين دجلة والسيب والكرخ فاقتتلوا شهرا وقيل دون ذلك ولم يكن الحجاج يعرف اليهم طريقا الا الطريق الذى يلتقون فيه فأتى بشيخ كان راعيا يُدعى زورا فدله على طريق من وراء الكرخ طوله ستة فراسخ في أجمة وضحضاح من الماء فانتخب أربعة آلاف من جلة أهل الشأم وقال لقائدهم ليكن هذا العلج امامك وهذه أربعة آلاف درهم معك فإن أقامك على عسكرهم فادفع المال اليه وإن كان كذبا فاضرب عنقه فإن رأيتهم فاحمل عليهم فمن معك وليكن شعارُكم يا حجاجُ يا حجاجُ فانطلق القائد صلاة العصر والتقى عسكر الحجاج وعسكر ابن الاشعث حين فصل القائد بمن معه وذلك مع صلاة العصر فاقتتلوا الى الليل فانكشف الحجاج حتى عبر السيب وكان قد عقده ودخل ابن الأشعث عسكره فانتهب مافيه فقيل له لو اتبعته فقال قد تعبنا ونصبنا فرجع الى عسكره فألقى أصحابه السلاح وباتوا آمنين في أنفسهم لهم الظفر وهجم القوم عليهم نصف الليل يصيحون بشعارهم فجعل الرجل من أصحاب ابن الاشعث لا يدرى أين يتوجه دُجيل عن يساره ودجلة أمامه ولها جرف منكر فكان من غرق أكثر ممن قتل وسمع الحجاج الصوت فعبر السيب الى عسكره ثم وجه خيله الى القوم فالتقى العسكران على عسكر ابن الاشعث وانحاز في ثلثمائة فمضى على شاطئ دجلة حتى أتى دُجيلا فعبره في السفن وعقروا دوابهم وانحدروا في السفن الى البصرة ودخل الحجاج عسكره فانتهب مافيه وجعل يقتل من وجد حتى قتل أربعة آلاف فيقال ان فيمن قتل عبد الله بن شداد بن الهاد وقتل فيهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة وعمر بن ضبيعة الرقاشي وبشر بن المنذر بن الجارود والحكم بن مخرمة العبديين وبكير بن ربيعة بن ثروان الضبي فأتى الحجاج برؤسهم على ترس فجعل ينظر الى رأس بسطام ويتمثل

إذا مررت بوادى حيَّة ذكر * فاذهب ودعنى أقاسى حية الوادى

ثم نظر الى رأس بكير فقال ما ألقى هذا الشقى مع هؤلاء خذ بأذنه يا غلام فألقه عنهم ثم قال ضع هذا الترس بين يدى مسمع بن مالك بن مسمع فوضع بين يديه فبكى فقال له الحجاج ما أبكاك أحزنا عليهم قال بل جزعا لهم من النار ﴿وفى هذه السنة﴾ بنى الحجاج واسطا وكان سبب بنائه ذلك فيما ذُكر ان الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة الى خراسان فعسكروا بحمام عمر وكان فتى من أهل الكوفة من بنى أسد حديث عهد بعرس بابنة عم له انصرف من العسكر الى ابنة عمه ليلا فطرق الباب طارق ودقه دقا شديدا فإذا سكران من أهل الشأم فقالت للرجل ابنة عمه لقد لقينا من هذا الشأمى شرا يفعل بنا كل ليلة ماترى يريد المكروه وقد شكوته الى مشيخة أصحابه وعرفوا ذلك فقال ائذنوا له ففعلوا فأغلق الباب

وقد

وقد كانت المرأة تجدّت منزلها وطيّبته فقال الشامي قد آن لكم فاستقناه الاسدي فأندر رأسه فلما أذن بالفجر خرج الرجل الى العسكر وقال لامرأته اذا صليت الفجر فابعثي الى الشاميين أن أخرجوا صاحبكم فسيأتون بك الحجاج فاصدقيه الخبر على وجهه ففعلت ورُفع القتيل الى الحجاج وأدخلت المرأة عليه وعنده عنبسة بن سعيد على سريره فقال لها ما خطبك فأخبرته فقال صدقتني ثم قال لولاة الشامي ادفنوا صاحبكم فإنه قتيل الله الى النار لا قود له ولا عقل ثم نادى مناديه لا ينزلن أحد على أحد واخرجوا فعسكروا وبعث رُوّادا يرتادون له منزلا وأمعن حتى نزل أطراف كسكر فبيناهو في موضع واسط اذا راهب قد أقبل على حمار له وعبر دجلة * فلما كان في موضع واسط تفاجت الاتان فبالت فنزل الراهب فاحتفر ذلك البول ثم احتمله فرمى به في دجلة وذلك بعين الحجاج فقال على به فأتي به فقال ما حملك على ما صنعت قال نجد في كتبنا انه يُبنى في هذا الموضع مسجد يُعبد الله فيه مادام في الارض أحد يوحّده فاختط الحجاج مدينة واسط وبنى المسجد في ذلك الموضع

﴿وفي هذه السنة﴾ عزل عبد الملك فيما قال الواقدي عن المدينة أبان بن عثمان واستعمل عليها هشام بن اسماعيل المخزومي * وحج بالناس في هذه السنة هشام بن اسماعيل حدّثني بذلك أحمد بن ثابت عمن حدّثه عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكان العمال في هذه السنة على الامصار سوى المدينة هم العمال الذين كانوا عليها في السنة التي قبلها وأما المدينة فقد ذكرنا من كان عليها فيما

﴿ثم دخلت سنة أربع وثمانين﴾

﴿ذكر ما كان فيها من الاحداث﴾

﴿ففيها﴾ كانت غزوة عبد الله بن عبد الملك بن مروان الروم ففتح فيها المَصِيصة كذلك ذكر الواقدي ﴿وفيها﴾ قتل الحجاج أيوب بن القرّية وكان ممن كان مع ابن الاشعث وكان سبب قتله اياه فيما ذكر انه كان يدخل على حوشب بن يزيد بعد انصرافه من دير الجماجم وحوشب على الكوفة عامل للحجاج فيقول حوشب انظروا الى هذا الواقف معي وغدا أو بعد غد يأتي كتاب من الامير لا أستطيع الا انفاذه فبيناهو ذات يوم واقف اذ أتاه كتاب من الحجاج أما بعد فإنك صرت كهفا لمنافقي أهل العراق ومأوى فاذا نظرت في كتابي هذا فابعث الي ابن القرّية مشدودة يده الى عنقه مع ثقة من قِبَلك فلما قرأ حوشب الكتاب رمى به اليه فقرأه فقال سمعا وطاعة فبعث به الى الحجاج موثقا فلما دخل على الحجاج قال له يا ابن القرية ما أعددت لهذا الموقف قال أصلح الله الامير ثلاثة حروف * كانهن ركب وقوف * دنيا وآخرة ومعروف * قال اخرج مما قلت قال افعل أما الدنيا فمال حاضر يأكل منه البرّ والفاجر وأما الآخرة فميزان عادل ومشهد ليس فيه باطل

وأما المعروف فإن كان علىّ اعترفت وان كان لى اعترفت قال امّالى فاعترف بالسيف اذا وقع بك قال أصلح الله الامير أقلنى عثرتى واسقنى ريقى فانه ليس جواد الاله كبوة ولا شجاع الاله هبوة قال الحجاج كلا والله لأرينك جهنم قال فأرحنى فانى أجد حرّها قال قدّمه ياحرسىّ فاضرب عنقه فلما نظر اليه الحجاج يتشحّط فى دمه قال لو كنا تركنا ابن القرية حتى نسمع من كلامه ثم أمر به فأخرج فرمى به قال هشام قال عوانة حين منع الحجاج من الكلام ابن القرية قال له ابن القرية أما والله لو كنت أنا وأنت على السواء لسكتنا جميعا أولا لفيت منيعا ﴿وفى هذه السنة﴾ فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس

﴿ذكر سبب فتحه اياها﴾

*ذكر علىّ بن محمد عن المفضل بن محمد قال كان نيزك ينزل بقلعة باذغيس فتحيّن يزيد غزوه ووضع عليه العيون فبلغه خروجه فخالفه يزيد اليها وبلغ نيزك فرجع فصالحه على أن يدفع اليه ما فى القلعة من الخزائن ويرتحل عنها بعياله فقال كعب بن معدان الاشقرىّ

وباذغيس التى من حلّ ذروتها * عزّ الملوك فان شاجار أو ظلما
منيعة لم يكدها قبله ملك * الا اذا واجهت جيشا له وجما
تخال نيرانها من بعد منظرها * بعض النجوم إذا ماليلها عتما
لما أطاف بها ضاقت صدورهم * حتى أقرّوا له بالحكم فاحتكما
فذلّ ساكنها من بعد عزّته * يعطى الجزى عارفا بالذلّ مهتضما
وبعد ذلك أياما نعدّدها * وقبلها ما كشفت الكرب والظلما
أعطاك ذاك ولىّ الرزق يقسمه * بين الخلائق والمحروم من حرما
يداك إحداهما تسقى العدوّ بها * سما وأخرى نداها لم يزل ديما
فهل كسيب يزيد أو كنائله * إلا الفرات وإلا النيل حين طما
ليسا بأجود منه حين مدّهما * اذ يعلوان حداب الارض والأكما

﴿وقال﴾

ثنائى على حىّ العتيك بأنها * كرام مقاريها كرام نصابها
إذا عقدوا للجار حلّ بنجوة * عزيز مراقيها منيع هضابها
نفى نيزكا عن باذغيس ونيزك * بمنزلة أعيى الملوك اغتصابها
محلقة دون السماء كأنها * غمامة صيف زلّ عنها سحابها
ولا يبلغ الأروى شماريخها العلى * ولا الطير إلا نسرها وعقابها
وما خوّفت بالذئب ولدان أهلها * ولا نبحت إلا النجوم كلابها

تمنيتُ أن ألقى العتيكَ ذوى النُّهى * مُسلطـــةً تحمى بملك ركابُها
كما يتمنى صاحبُ الحرثِ اعطشت * مزارعُـهُ غيثاً غزيراً رَبابُها
فأُسقى بعد اليأس حتى تحيَّرتْ * جـــداولها رياً وعبَّ عبابُها
لقـد جمع الله النوى وتشعَّبتْ * شعُوبٌ من الآفاق شتَّى مآبُها

قال وكان نيزك يعظم القلعة اذا رآها سجد لها وكتب يزيد بن المهلب الى الحجاج بالفتح وكانت كتب يزيد الى الحجاج يكتبها يحيى بن يعمر العدوانىّ وكان حليفاً لهذيل فكتب إنا لقينا العدوَّ فمنحنا الله أكتافهم ففتلنا طائفة وأسرنا طائفة ولحقت طائفة برؤس الجبال وعراعر الأودية وأهضام الغيطان وأثناء الأنهار فقال الحجاج من يكتب ليزيد فقيل يحيى بن يعمر فكتب الى يزيد فحمله على البريد فقدم عليه أفصحُ الناس فقال له أين وُلدت قال بالأهواز قال فهذه الفصاحة قال حفظت كلام أبى وكان فصيحا قال من هناك فأخبرنى هل يلحن عنبسة بن سعيد قال نعم كثيرا قال ففلان قال نعم قال فاخبرْنى عنى ألحنُ قال نعم تلحن لحنا خفيّا تزيد حرفا وتنقص حرفا وتجعل أنّ فى موضع إنّ وانّ فى موضع أنّ قال قد أجلتُك ثلاثا فإن أجدْك بعد ثلاث بأرض العراق قتلتك فرجع الى خراسان ﴿ وحج ﴾ بالناس فى هذه السنة هشام بن اسماعيل المخزومىّ كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكانت عمال الأمصار فى هذه السنة عمالها الذين سمّيتُ قبلُ فى سنة ٨٣

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثمانين ﴾

﴿ ذكر ما كان فيها من الأحداث ﴾

﴿ ففيها ﴾ كان هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

﴿ ذكر السبب الذى به هلك وكيف كان ﴾

(ذكر هشام بن محمد) عن أبى مخنف قال لما انصرف ابن الأشعث من هَراة راجعا الى رتبيل كان معه رجل من أُود يقال له علقمة ابن عمر وفقال له ما أريد أن أدخل معك فقال له عبد الرحمن لِمَ قال لأنى أتخوّف عليك وعلى من معك والله لكأنى بكتاب الحجاج قد جاء فوقع الى رتبيل يُرغبه ويُرهبه فإذا هو قد بعث بك سَلَماً أو قتلكم ولكن ههنا خمسمائة قد تابعونا على أن ندخل مدينة فنتحصّن فيها ونقاتل حتى نُعطى أمانا أو نموت كراما فقال له عبد الرحمن أما لو دخلت معى لآسيتك وأكرمتك فأبى عليه علقمةُ ودخل عبد الرحمن بن محمد الى رتبيل وخرج هؤلاء الخمسمائة فبعثوا عليهم مودودا النصرىّ وأقاموا حتى قدم عليهم عُمارة بن تميم اللخمىّ فحاصرهم فقاتلوه وامتنعوا منه حتى آمنهم فخرجوا اليه فوفى لهم قال

وتتابعت كتب الحجاج الى رتبيل في عبد الرحمن بن محمد أن ابعث به الي والا فوالذي لا إله الا هو لأوطئن أرضك ألف ألف مقاتل وكان عند رتبيل رجل من بني تميم ثم من بني يربوع يقال له عبيد بن أبي سبيع فقال لرتبيل انا آخذ لك من الحجاج عهدا لا يكفن الخراج عن أرضك سبع سنين على أن تدفع اليه عبد الرحمن بن محمد قال رتبيل لعبيد فان فعلت فان لك عندي ما سألت فكتب الى الحجاج يخبره ان رتبيل لا يعصيه وانه لن يدع رتبيل حتى يبعث اليه بعبد الرحمن بن محمد فأعطاه الحجاج على ذلك مالا وأخذ من رتبيل عليه مالا وبعث رتبيل برأس عبد الرحمن بن محمد الى الحجاج وترك له الصلح الذي كان يأخذه منه سبع سنين وكان الحجاج يقول بعث الي رتبيل بعدو الله فألقى نفسه من فوق إجار فات (قال أبو مخنف) وحدثني سليمان بن أبي راشد انه سمع مليكة ابنة يزيد تقول والله لمات عبد الرحمن وإن رأسه لعلى فخذي كان السل قد أصابه * فلما مات وأراد وا دفنه بعث اليه رتبيل فحز رأسه فبعث به الى الحجاج وأخذ ثمانية عشر رجلا من آل الأشعث فحبسهم عنده وترك جميع من كان معه من أصحابه وكتب الى الحجاج يأخذه الثمانية عشر رجلا من أهل بيت عبد الرحمن فكتب اليه أن اضرب رقابهم وابعث الي برؤسهم وكره أن يؤتى بهم اليه أحياء فيطلب فهم الى عبد الملك فيترك منهم أحدا وقد قيل في أمر ابن أبي سبيع وابن الأشعث غير ما ذكرت عن أبي مخنف وذلك ما ذكر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى انه كان يقول زعم ان عمارة بن تميم خرج من كرمان فأتى سجستان وعليها رجل من بني العنبر يدعى مودود فحصره ثم آمنه ثم استولى على سجستان وأرسل الى رتبيل وكتب اليه الحجاج أما بعد فاني قد بعثت اليك عمارة بن تميم في ثلاثين ألفا من أهل الشام لم يخالفوا طاعة ولم يخلعوا خليفة ولم يتبعوا امام ضلالة يجرى على كل رجل منهم في كل شهر مائة درهم يستطعمون الحرب استطعاما يطلبون ابن الأشعث فأبى رتبيل أن يسلمه وكان مع ابن الأشعث عبيد ابن أبي سبيع التميمي قد خص به وكان رسوله الى رتبيل فخص برتبيل أيضا وخف عليه فقال القاسم بن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن اني لا آمن غدر هذا التميمي فاقتله فهم به وبلغ ابن أبي سبيع فخافه فوشى به الى رتبيل وخوفه الحجاج ودعاه الى الغدر بابن الأشعث فأجابه فخرج سرا الى عمارة بن تميم فاستجعل في ابن الأشعث فجعل له ألف ألف فأقام عنده وكتب بذلك عمارة الى الحجاج فكتب اليه أن أعط عبيدا ورتبيل ما سألاك فاشترط فاشترط رتبيل أن لا تغزى بلاده عشر سنين وأن يؤدى بعد العشر سنين في كل سنة تسعمائة ألف فأعطى وعبيدا ما سألا وأرسل رتبيل الى ابن الأشعث فأحضره وثلاثين من أهل بيته وقد أعد لهم الجوامع والقيود فألقى في عنقه جامعة وفي عنق القاسم جامعة وأرسل بهم جميعا الى أدنى مسالح عمارة منه وقال لجماعة من كان مع ابن الاشعث من

الناس

الناس تفرّقوا الى حيث شئتم ولما قرب ابن الأشعث من عمارة ألقى نفسه من فوق قصر فمات فاحتزّ رأسه فأتى به وبالاسرى عمارةُ فضرب أعناقهم وأرسل برأس ابن الاشعث وبرؤس أهله وبامرأته الى الحجاج فقال فى ذلك بعض الشعراء

هيهات موضعُ جُثّةٍ من رأسها * رأسٌ بمصر وجثّةٌ بالرُّحّج

وكان الحجاج أرسل به الى عبد الملك فأرسل به عبد الملك الى عبد العزيز وهو يومئذ على مصر * وذكر عمر بن شبّة ان ابن عائشة حدّثه قال أخبرنى سعد بن عبيد الله. قال لما أتى عبد الملك برأس ابن الاشعث أرسل به مع خصىّ الى امرأة منهم كانت تحت رجل من قريش فلما وضع بين يديها قالت مرحبا بزائر لا يتكلم ملك من الملوك طلب ما هو أهله فأبت المقاديرُ فذهب الخصىّ يأخذ الرأس فاجتذبته من يده قالت لا والله حتى أبلغ حاجتى ثم دعت بخطمى فغسلته وغلفته ثم قالت شأنك به الآن فأخذه ثم أخبر عبد الملك فلما دخل عليه زوجها قال ان استطعت أن تصيب منها سخلة * وذكر ان ابن الاشعث نظر الى رجل من أصحابه وهو هارب الى بلاد تبيل فتمثل

يطردُه الخوفُ فهو تابِعُه * كذاكَ من يكرهُ حرَّ الجلادِ
مُنخرقُ الخفين يشكو الوجا * تنكبُه أطرافُ مرو حدادِ
قد كان فى الموت له راحةٌ * والموتُ حتمٌ فى رقاب العبادِ

فالتفت اليه فقال يا لحية هلا ثبتّ فى موطن من المواطن فتموت بين يديك فكان حبر الك مما صرت اليه (قال هشام) قال أبو مخنف خرج الحجاج فى أيامه تلك يسير ومعه حميد الارقط وهو يقول

ما زال يبنى خندقا ويهدمُه * عن عسكرٍ يقودُه فيسلمُه
حتى يصيرُ فى يديكَ مقسمُه * هيهات من مصقّعٍ منهزمُه
إنّ أخا الكظاظ من لا يسأمُه

فقال الحجاج هذا أصدق من قول الفاسق أعنى همدان

نُبّئتُ أنّ بنى يو * سف حرَّ من زلقٍ فتبّا

قد تبيّن له من زلق وتبّ ودحض فانكبّ وخاف وخاب وشكّ وارتاب ورفع صوته فما بقى أحد الا فزع لغضبه وسكت الأرقط فقال له الحجاج عد فيما كنت فيه مالك يا أرقط قال انى جعلت فداك أيها الأمير وسلطان الله عزيز ما هو الا أن رأيتك غضبت فأرعدت خصائلى واحزألّت مفاصلى وأظلم بصرى ودارت بى الارض قال له الحجاج أجل ان سلطان الله عزيز عد فيما كنت فيه ففعل وقال الحجاج وهو ذات يوم يسير ومعه زياد بن جرير بن عبد الله البجلى وهو أعور فقال الحجاج للارقط كيف قلت لابن سمرة قال قلت

يا أعور العـــين فديت العورا * كنت حسبت الخـــدق المحفورا
يرد عنك القدر المقـــدورا * ودائرات السوء أن تدورا

وقد قيل ان مهلك عبد الرحمن بن محمد كان فى سنة ٨٤ ﴿وفى هذه السنة﴾ عزل الحجاج ابن يوسف يزيد بن المهلب عن خراسان وولاها المفضل بن المهلب أخا يزيد

﴿ذكر السبب الذى من أجله عزله الحجاج عن خراسان واستعمل المفضل﴾

ذكر علىّ بن محمد عن المفضل بن محمد ان الحجاج وفد الى عبد الملك فرّ فى منصرفه بدير فنزله فقيل له ان فى هذا الدير شيخا من أهل الكتب عالما فدعاه فقال ياشيخ هل تجدون فى كتبكم ما أنتم فيه ونحن قال نعم نجد ما مضى من أمركم وما أنتم فيه وما هو كائن قال أفمسمّى أم موصوفا قال كلّ ذلك موصوف بغير اسم واسم بغير صفة قال فما تجدون صفة أمير المؤمنين قال نجده فى زماننا الذى نحن فيه ملك أقرع من يقم لسبيله يصرع قال ثم من قال اسم رجل يقال له الوليد قال ثم ماذا قال رجل اسمه اسم نبى يفتح به على الناس قال أفتعرفنى قال قد أخبرت بك قال أفتعلم ما ألى قال نعم قال فمن يليه بعدى قال رجل يقال له يزيد قال فى حياتى أم بعد موتى قال لا أدرى قال أفتعرف صفته قال يغدر غدرة لا أعرف غيرها قال فوقع فى نفسه يزيد بن المهلب وارتحل فسار سبعا وهو وجل من قول الشيخ وقدم فكتب الى عبد الملك يستعفيه من العراق فكتب اليه يا ابن أم الحجاج قد علمت الذى تغرّ وانك تريد ان تعلم رأيى فيك ولعمرى انى لأرى مكان نافع بن علقمة قاله عن هذا حتى يأتى الله بما هو آت فقال الفرزدق يذكر مسيره

لو أنّ طيرا كلفت مثل سيره * إلى واسط من إيلياء لملت
سرى بالنهارى من فلسطين بعدما * دنا الليل من شمس النهار فولّت
فما عاد ذاك اليوم حتى أناخها * بميسان قد ملّت سراها وكلّت
كأنّ قطاميا على الرحل طاويا * اذا غمزته الظلماء عنه تجلت

قال فبينا الحجاج يوما خال اذ دعا عبيد بن موهب فدخل وهو ينكت فى الارض فرفع رأسه فقال ويحك ياعبيد ان أهل الكتب يذكرون ان ما تحت يدى يليه رجل يقال له يزيد وقد تذكرت يزيد بن أبى كبشة ويزيد بن حصين بن نمير ويزيد بن دينار فليسوا هناك وما هو ان كان الا يزيد بن المهلب فقال عبيد لقد شرفتهم وأعظمت ولايتهم وإنّ لهم لعددا وجلدا وطاعة وحظا فأخلق به فأجمع على عزل يزيد فلم يجد له شيأ حتى قدم الخيار بن سبرة بن ذؤيب بن عرفجة بن محمد بن سفيان بن مجاشع وكان من فرسان المهلب وكان مع يزيد فقال له الحجاج أخبرنى عن يزيد قال حسن الطاعة لين السيرة قال كذبت أصدقنى عنه قال الله أجل وأعظم قد أسرج ولم يلجم قال صدقت واستعمل الخيار على عمان بعد ذلك قال ثم

كتب الى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب بالزبيرية فكتب اليه عبد الملك انى لا أرى نقصا بآل المهلب طاعتهم لآل الزبير بل أراه وفاء منهم لهم وان وفاءهم لهم يدعوهم الى الوفاء لى فكتب اليه الحجاج يخوفه غدرهم لما أخبره به الشيخ فكتب اليه عبد الملك قد أكثرت فى يزيد وآل المهلب فسم لى رجلا يصلح لخراسان فسمى له مجّاعة بن سعر السعدى فكتب اليه عبد الملك ان رأيك الذى دعاك الى استفساد آل المهلب هو الذى دعاك الى مجاعة بن سعر فانظر لى رجلا صارما ماضيا لأمرك فسمى قتيبة بن مسلم فكتب اليه وولّه وبلغ يزيد ان الحجاج عزله فقال لاهل بيته من ترون الحجاج يولى خراسان فالوا رجلا من ثقيف قال كلا ولكنه يكتب الى رجل منكم بعهده فإذا قدمت عليه عزله وولى رجلا من قيس وأخلق بقتيبة قال فلما أذن عبد الملك للحجاج فى عزل يزيد كره ان يكتب اليه بعزله فكتب اليه أن استخلف المفضل وأقبل فاستشار يزيد حضين بن المنذر فقال له أقم واعتل فان أمير المؤمنين حسن الرأى فيك وانما أتيت من الحجاج فإن أقمت ولم تعجل رجوت ان يكتب اليه ان يقر يزيد قال انا أهل بيت بورك لنا فى الطاعة وأنا أكره المعصية والخلاف فأخذ فى الجهاز وأبطأ ذلك على الحجاج فكتب الى المفضل انى قد وليتك خراسان فجعل المفضل يستحث يزيد فقال له يزيد إن الحجاج لا يقرك بعدى وانما دعاه الى ما صنع مخافة أن أمتنع عليه قال بل حسدتنى قال يزيد يا ابن بهلة أنا أحسدك ستعلم وخرج يزيد فى ربيع الآخر سنة ٨٥ فعزل الحجاج المفضل فقال الشاعر للمفضل وعبد الملك وهو أخوه لامه

يا ابنَىْ بهـلةَ إنما أخزاكما * ربّى غداةَ غدا الهمامُ الازهرُ
أحفرتُمُ لاخيكمُ فوقعتمُ * فى قعرِ مُظْلمةٍ أخوها المُعورُ
جُودوا بتوبةِ مخلصينَ فإنما * يأبى ويأنفُ أن يتوبَ الاخسرُ

وقال حضين ليزيد

أمرتُكَ أمرًا حازمًا فعصيتنى * فأصبحتُ مسلوبَ الإمارةِ نادما
فما أنا بالباكى عليكَ صبابةً * وما أنا بالدامى لترجعَ سالما

فلما قدم قتيبة خراسان قال لحضين كيف قلت ليزيد قال قلت

أمرتُكَ أمرًا حازمًا فعصيتنى * فنفسُكَ أولى اللومِ إن كنتَ لائما
فإن يبلغِ الحجاجَ أنّ قد عصيتَهُ * فانكَ تلقى أمرَهُ متفاقما

قال فماذا أمرته به فعصاك قال أمرته ان لا يدع صفرا، ولا بيضاء الا حملها الى الامير فقال رجل لعياض بن حضين أما أبوك فوجد قتيبة حين فرّ فارحا بقوله أمرته أن لا يدع صفراء ولا بيضاء الا حملها الى الامير * قال على وحدثنا كليب بن خلف قال كتب الحجاج الى يزيد أن اغزُ خوارزم فكتب اليه أيها الامير انها قليلة السلب شديدة الكلب فكتب اليه

الحجاج استخلف واقدم فكتب اليه انى أريد ان أغزو خوارزم فكتب اليه لا تغزها فإنها كما وصفت فغزا ولم يطعه فصالحه أهل خوارزم وأصاب سبيا مما صالحوه وقفل فى الشتاء فاشتد عليهم البرد فأخذ الناس ثياب الاسرى فلبسوها فمات ذلك السبى من البرد قال ونزل يزيد بلستانة وأصاب أهل مرو الروذ طاعون ذلك العام فكتب اليه الحجاج أن اقدم فقدم فلم يمر ببلد الا فرشوا له الرياحين وكان يزيد ولى سنة ٨٢ وعزل سنة ٨٥ وخرج من خراسان فى ربيع الآخر سنة ٨٥ وولى قتيبة ﴿وأما هشام بن محمد﴾ فإنه ذكر عن أبى مخنف فى عزل الحجاج يزيد عن خراسان سببا غير الذى ذكره على بن محمد والذى ذكر من ذلك عن أبى مخنف ان أبا المخارق الراسبى وغيره حدثوه ان الحجاج لم يكن له حين فرغ من عبد الرحمن بن محمد هم الا يزيد بن المهلب وأهل بيته وقد كان الحجاج أذل أهل العراق كلهم الا يزيد وأهل بيته ومن معهم من أهل المصرين بخراسان ولم يكن يخوف بعد عبد الرحمن ابن محمد بالعراق غير يزيد بن المهلب فأخذ الحجاج فى مؤاربة يزيد ليستخرجه من خراسان فكان يبعث اليه ليأتيه فيعتل عليه بالعدو وحرب خراسان فمكث بذلك حتى كان آخر سلطان عبد الملك ثم ان الحجاج كتب الى عبد الملك يشير عليه بعزل يزيد بن المهلب ويخبره بطاعة آل المهلب لابن الزبير وانه لا وفاء لهم فكتب اليه عبد الملك انى لا أرى تقصيرا بولد المهلب طاعتهم لآل الزبير ولا وفاء هم لهم فإن طاعتهم ووفاءهم لهم هو دعاهم الى طاعتى والوفاء لى ثم ذكر بقية الخبر نحو الذى ذكره على بن محمد ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا المفضل باذغيس ففتحها

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

ذكر على بن محمد عن المفضل بن محمد قال عزل الحجاج يزيد وكتب الى المفضل بولايته على خراسان سنة ٨٥ فوليها تسعة أشهر فغزا باذغيس ففتحها وأصاب مغنما فقسمه بين الناس فأصاب كل رجل منهم ثمانمائة درهم ثم غزا أخرون وشومان فظفر وغنم وقسم ما أصاب بين الناس ولم يكن للمفضل بيت مال كان يعطى الناس كلما جاءه شىء وإن غنم شيئا قسمه بينهم فقال كعب الاشقرى يمدح المفضل

ترى ذا الغنى والفقر من كل معشر * عصائب شتى يبتغون المفضلا
فمن زائر يرجو فواضل سيبه * وآخر يقضى حاجة قد ترحلا
إذا ما انتوينا غير أرضك لم نجد * بها منتوى خيرا ولا متعللا
إذا ما عددنا الاكرمين ذوى النهى * وقد قدموا من صالح كنت أولا
لعمرى لقد صال المفضل صولة * أباحت بشومان المناهل والكلا
ويوم ابن عباس تناولت مثلها * فكانت لنابين الفريقين فيصلا

صفت لك أخلاق المهلب كلها * وسرت من مسعاته ما تسر بلا
أبوك الذى لم يسع ساع كسعيه * فأورث مجدا لم يكن متنحلا

﴿وفي هذه السنة﴾ قتل موسى بن عبد الله بن خازم السلمى بالترمذ

﴿ذكر سبب قتله ومصيره الى الترمذ حتى قتل بها﴾

ذكر ان سبب مصيره الى الترمذ كان ان أباه عبد الله بن خازم لما قتل من قتل من بنى تميم بفرتنا وقد مضى ذكرى خبر قتله اياهم تفرق عنه عظم من كان بقى معه منهم فخرج الى نيسابور وخاف بنى تميم على ثقله بمرو فقال لابنه موسى حول ثقلى عن مرو وأقطع نهر بلخ حتى تلجأ الى بعض الملوك أوالى حصن تقيم فيه فشخص موسى من مرو فى عشرين ومائتى فارس فأتى آمل وقد ضوى اليه قوم من الصعاليك فصار في أربعمائة وانضم اليه رجال من بنى سليم منهم زرعة بن علقمة فاتى زم فقاتلوه فظفر بهم وأصاب مالا وقطع النهر فأتى بخارى فسأل صاحبها أن يلجأ اليه فأبى وخافه وقال رجل فاتك وأصحابه مثله أصحاب حرب وشر فلا آمنه وبعث اليه بصلة عين ودواب وكسوة ونزل على عظيم من عظماء أهل بخارى فى نوقان فقال له انه لا خير لك في المقام فى هذه البلاد وقد هابك القوم وهم لا يأمنونك فاقام عند دهقان نوقان أشهرا ثم خرج يلتمس ملكا يلجأ اليه أو حصنا فلم يأت بلدا الا كرهوا مقامه فيهم وسألوه أن يخرج عنهم * قال على بن محمد فاتى سمرقند فاقام بها وأكرمه طرخون ملكها وأذن له فى المقام فاقام ماشاء الله ولا هل الصغد مائدة يوضع عليها لحم ودك وخبز وابريق شراب وذلك فى كل عام يوما يجعل ذلك لفارس الصغد فلا يقربه أحد غيره هو وطعامه في ذلك اليوم فان أكل منه أحد غيره بارزه فايهما قتل صاحبه فالمائدة له فقال رجل من أصحاب موسى ماهذه المائدة فاخبر عنها فسكت فقال صاحب موسى لآكلن ما على هذه المائدة ولأبارزن فارس الصغد فان قتلته كنت فارسهم فجلس فاكل ما عليها وقيل لصاحب المائدة فجاء مغضبا فقال ياعربى بارزنى قال نعم وهل أريد الا المبارزة فبارزه فقتله صاحب موسى فقال ملك الصغد أنزلتكم وأكرمتكم فقتلتم فارس الصغد لولا انى أعطيتك وأصحابك الامان لقتلتكم أخرجوا عن بلدى ووصله فخرج موسى فاتى كس فكتب صاحب كس الى طرخون يستنصره فاتاه فخرج اليه موسى فى سبعمائة فقاتلهم حتى أمسوا وتحاجزوا وباصحاب موسى جراح كثير فلما أصبحوا أمرهم موسى فحلقوا رؤسهم كما يصنع الخوارج وقطعوا صفنات اخبيتهم كما يصنع العجم اذا استماتوا وقال موسى لزرعة بن علقمة انطلق الى طرخون فاحتل له فاتاه فقال له طرخون لم صنع أصحابك ما صنعوا قال استقتلوا فما حاجتك الى أن تقتل أيها الملك موسى وتقتل فانك لا تصل اليه حتى يقتل مثل عدتهم منكم ولو قتلته واياهم جميعا ما نلت حظا لان له قدرا في العرب فلا يلى أحد خراسان الا طالبك بدمه فان

سلمت من واحد لم تسلم من آخر قال ليس الى ترك كس في يده سبيل قال فكف عنه حتى يرتحل فكف وأتى موسى الترمذ وبها حصن يشرف على النهر الى جانب منه فنزل موسى على بعض دهاقين الترمذ خارجا من الحصن والدهقان مجانب لترمذشاه فقال لموسى ان صاحب الترمذ متكرم شديد الحياء فان ألطفته وأهديت اليه أدخلك حصنه فانه ضعيف قال كلا ولكني أسأله أن يدخلني حصنه فسأله فأبى فما كره موسى وأهدى له وألطفه حتى لطف الذي بينهما وخرج فتصيد معه وكثر الطاف موسى له فصنع صاحب الترمذ طعاما وأرسل اليه اني أحب أن أكرمك فتغدّ عندي وائتني في مائة من أصحابك فانتخب موسى من أصحابه مائة فدخلوا على خيولهم فلما صارت في المدينة تصاهلت فتطير أهل الترمذ وقالوا لهم انزلوا فنزلوا فأدخلوا بيتا خمسين في خمسين وغدوهم فلما فرغوا من الغداء اضطجع موسى فقالوا له اخرج قال لا أصيب منزلا مثل هذا فلست بخارج منه حتى يكون بيني أو قبري وقاتلوهم في المدينة فقتل من أهل الترمذ عدة وهرب الآخرون فدخلوا منازلهم وغلب موسى على المدينة وقال لترمذشاه اخرج فاني لست أعرض لك ولا لاحد من أصحابك فخرج الملك وأهل المدينة فأتوا الترك يستنصرونهم فقالوا دخل اليكم مائة رجل فاخرجوكم عن بلادكم وقد قاتلناهم بكس فنحن لا نقاتل هؤلاء فاقام ابن خازم بالترمذ ودخل اليه أصحابه وكانوا سبعمائة فأقام فلما قتل أبوه انضم اليه من أصحاب أبيه أربعمائة فارس فقوى فكان يخرج فيغير على من حوله قال فأرسل الترك قوما الى أصحاب موسى ليعلموا علمه فلما قدموا قال موسى لاصحابه لا بدّ من مكيدة لهؤلاء قال وذلك في أشد الحر فامر بنارفاججت وأمر أصحابه فلبسوا ثياب الشتاء ولبسوا فوقها البود وامدوا أيديهم الى النار كانهم يصطلون وأذن موسى للترك فدخلوا ففزعوا مما رأوا وقالوا لم صنعتم هذا قالوا نجد البرد في هذا الوقت ونجد الحر في الشتاء فرجعوا وقالوا جنّ لا نقاتلهم قال وأراد صاحب الترك أن يغزو موسى فوجه اليه رسلا وبعث بسمّ ونشاب في مسلك وانما أراد بالسم ان حربهم شديدة والنشاب الحرب والمسلك السلم فاختار الحرب أو السلم فاحرق السلم وكسر النشاب ونثر المسلك فقال القوم لم يريدوا الصلح وأخبر أن حربهم مثل النار وأنه يكسرنا فلم يغزهم قال فولى بكير بن وشاح خراسان فلم يعرض له ولم يوجه اليه أحدا ثم قدم أمية فسار بنفسه يريده فخالفه بكير وخلع فرجع الى مرو فلما صالح أمية بكيرا أقام عامه ذلك فلما كان في قابل وجه الى موسى رجلا من خزاعة في جمع كثير فعاد أهل الترمذ الى الترك فاستنصروهم فابوا فقالوا لهم قد غزاهم قوم منهم وحصروهم فان أعناهم عليهم ظفرنا بهم فسارت الترك مع أهل الترمذ في جمع كثير فاطاف بموسى الترك والخزاعيّ فكان يقاتل الخزاعي أول النهار والتركُ آخر النهار فقاتلهم شهرين أو ثلاثة فقال موسى لعمرو بن خالد بن حصين الكلابي وكان فارس قد طال أمرنا وأمر هؤلاء وقد أجمعت أن أبيت عسكر الخزاعي فانهم للبيات آمنون فما ترى قال البيات نعما هو

وليكن ذلك بالعجم فان العرب أشد حذرا وأسرع فزعا وأجرأ على الليل من العجم فبيتهم فاني أرجو أن ينصرنا الله عليهم ثم نتفرد لقتال الخزاعي فنحن في حصن وهم بالعراء وليسوا باولى بالصبر ولا أعلم بالحرب منا قال فاجمع موسى على بيات الترك فلما ذهب من الليل ثلثه خرج في أربعمائة وقال لعمرو بن خالد اخرجوا بعدنا وكونوا منا قريبا فاذا سمعتم تكبيرنا فكبروا وأخذ على شاطئ النهر حتى ارتفع فوق العسكر ثم أخذ من ناحية كفتان فلما قرب من عسكرهم جعل أصحابه أرباعا ثم قال أطيفوا بعسكرهم فاذا سمعتم تكبيرنا فكبروا وأقبل وقدم عمرا بين يديه ومشوا خلفه فلما رأته أصحاب الأرصاد قالوا من أنتم قالوا عابرى سبيل قال فلما جازوا الرصد تفرقوا وأطافوا بالعسكر وكبروا فلم يشعر الترك الا بوقع السيوف فثاروا يقتل بعضهم بعضا وولوا وأصيب من المسلمين ستة عشر رجلا وحوا عسكرهم وأصابوا سلاحا ومالا وأصبح الخزاعي وأصحابه قد كسرهم ذلك وخافوا مثلها من البيات فتحذروا فقال لموسى عمرو بن خالد انك لا تظفر الا بمكيدة ولهم أمداد وهم يكثرون فدعني آتهم لعلي أصيب من صاحبهم فرصة اني ان خلوت به قتلته فتناولني بضرب قال تتعجل الضرب وتتعرض للقتل قال أما التعرض للقتل فانا كل يوم متعرض له وأما الضرب فأيسره في جنب ما أريد فتناوله بضرب ضربه خمسين سوطا فخرج من عسكر موسى فاتى عسكر الخزاعي مستأمنا وقال أنا رجل من أهل اليمن كنت مع عبد الله بن خازم فلما قتل أتيت ابنه فلم أزل معه وكنت أول من أتاه فلما قدمت اتهمني وتعصب علي وتنكر لي وقال لي قد تعصبت لعدونا فأنت عين له فضربني ولم آمن القتل وقلت ليس بعد الضرب الا القتل فهربت منه فآمنه الخزاعي وأقام معه قال فدخل يوما وهو خال ولم ير عنده سلاحا فقال كانه ينصح له أصلحك الله ان مثلك في مثل حالك لا ينبغي أن يكون في حال من أحواله بغير سلاح فقال ان معي سلاحا فرفع صدر فراشه فاذا سيف منتضى فتناوله عمرو فضربه فقتله وخرج فركب فرسه ونذروا به بعد ما أمعن فطلبوه ففاتهم فاتى موسى وتفرق ذلك الجيش فقطع بعضهم النهر وأتى بعضهم موسى مستأمنا فآمنه فلم يوجه اليه أميّة أحدا قال وعزل أمية وقدم المهلب أميرا فلم يعرض لابن خازم وقال لبنيه اياكم وموسى فانكم لا تزالون ولاة هذا الثغر ما أقام هذا النمط بمكانه فان قتل كان أول طالع عليكم أميرا على خراسان رجل من قيس فمات المهلب ولم يوجه اليه أحدا ثم تولى يزيد بن المهلب فلم يعرض له وكان المهلب ضرب حريث بن قطبة الخزاعي فخرج هو وأخوه ثابت الى موسى فلما ولي يزيد بن المهلب أخذ أموالهما وحرمهما وقتل أخاهما لامهما الحارث بن منقذ وقتل صهرهما كانت عنده أم حفص ابنة ثابت فبلغهما ما صنع يزيد قال فخرج ثابت الى طرخون فشكا اليه ما صنع به وكان ثابت محببا في العجم بعيد الصوت يعظمونه ويتقون به فكان الرجل منهم اذا أعطى عهدا يريد الوفاء به حلف بحياة ثابت فلا يغدر فغضب له طرخون وجمع له نيزك والسبل وأهل بخارى والصغانيان فقدموا مع ثابت

الى موسى بن عبد الله وقد سقط الى موسى فل عبد الرحمن بن العباس من هراة وفل ابن الاشعث من العراق ومن ناحية كابل وقوم من بنى تميم ممن كان يقاتل ابن خازم فى الفتنة من أهل خراسان فاجتمع الى موسى ثمانية آلاف من تميم وقيس وربيعة واليمن فقال له ثابت وحريث سر حتى تقطع النهر فتخرج يزيد بن المهلب عن خراسان ونوليك فان طرخون ونيزك والسبل وأهل بخارى معك فهم أن يفعل فقال له أصحابه ان ثابتا وأخاه خائفان ليزيد وان أخرجت يزيد عن خراسان وأمنا توليا الامر وغلباك على خراسان فاقم مكانك فقبل رأيهم وأقام بالترمذ وقال لثابت ان أخرجنا يزيد قدم عامل لعبد الملك ولكنا نخرج عمال يزيد من وراء النهر مما يلينا وتكون هذه الناحية لنا نأكلها فرضى ثابت بذلك وأخرج من كان من عمال يزيد من وراء النهر وحملت اليهم الاموال وقوى أمرهم وأمر موسى وانصرف طرخون ونيزك وأهل بخارى والسبل الى بلادهم وتدبير الامر لحريث وثابت والامير موسى ليس له غير الاسم فقال لموسى أصحابه لسنا نرى من الامر فى يديك شيأ أكثر من اسم الامارة فاما التدبير فلحريث وثابت فاقتلهما وتول الامر فأبى وقال ما كنت لاغدر بهما وقد قويا أمرى فحسدوهما وألحوا على موسى فى أمرهما حتى أفسدوا قلبه وخوفوه غدرهما وهم بمتابعتهم على الوثوب بثابت وحريث واضطرب أمرهم فانهم لفى ذلك اذ خرجت عليهم الهياطلة والتبت والترك فأقبلوا فى سبعين ألفا لا يعدون الحاشر ولا صاحب بيضة جماء لا يعدون الاصاحب بيضة ذات قونس قال فخرج ابن خازم الى ربض المدينة فى ثلثمائة راجل وثلاثين مجففا وألقى له كرسى فقعد عليه قال فأمر طرخون أن يثلم حائط الربض فقال موسى دعوهم فهد مواود خل أوائلهم فقال دعوهم يكثرون وجعل يقلب طبرزينا بيده فلما كثروا قال الآن امنعوهم فركب وحمل عليهم فقاتلهم حتى أخرجهم عن الثلمة ثم رجع فجلس على الكرسى وذمر الملك أصحابه ليعودوا فأبوا فقال لفرسانه هذا الشيطان من سره أن ينظر الى رستم فلينظر الى صاحب الكرسى فمن أبى فليقدم عليه ثم تحولت الاعاجم الى رستاق كفتان قال فأغاروا على سرح موسى فاغتنم ولم يطعم وجعل يعبث بلحيته فسار ليلا على نهر فى حافيته نبات لم يكن فيه ماء وهو يفضى الى خندقهم فى سبعمائة فأصبحوا عند عسكرهم وخرج السرح فأغار عليه فاستاقه واتبعه قوم منهم فعطف عليه سوار مولى لموسى فطعن رجلا منهم فصرعه فرجعوا عنهم وسلم موسى بالسرح قال وغداهم العجم القتال فوقف ملكهم على تل فى عشرة آلاف فى أكمل عدة فقال موسى ان أزلتم هؤلاء فليس الباقون بشىء ففصد لهم حريث بن قطبة فقاتلهم صدر النهار وألح عليهم حتى أزالوهم عن التل ورمى يومئذ حريث بنشابة فى جبهته فتحاجزوا وفيئتهم موسى وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتى وصل الى شمعة ملكهم فوجأ رجلا منهم بقبيعة سيفه فطعن فرسه فاحتمله فألقاه فى نهر بلخ فغرق وعليه درعان فقتل العجم قتلا ذريعا ونجا منهم من نجا بشر ومات

حريث بن قطبة بعد يومين فدُفن في قبته قال وارتحل موسى وحملوا الرؤس الى الترمذ فبنوا من تلك الرؤس جوسقين وجعلوا الرؤس يقابل بعضها بعضا وبلغ الحجاج خبر الوقعة فقال الحمد لله الذي نصر المنافقين على الكافرين فقال أصحاب موسى قد كُفينا أمر حريث فأرحنا من ثابت فأبى وقال لا وبلغ ثابتا بعضُ ما يخوضون فيه فدس محمد بن عبد الله بن مرثد الخزاعي عم نصر بن عبد الحميد عامل أبي مسلم على الري وكان في خدمة موسى بن عبد الله وقال له اياك أن تتكلم بالعربية وان سألوك من أين أنت فقل من سبي الباميان فكان يخدم موسى وينقل الى ثابت خبرهم فقال له تحفظ ما يقولون وحذر ثابتٌ فكان لا ينام حتى يرجع الغلام وأمر قوما من شاكريته يحرسونه ويبيتون عنده في داره ومعهم قومٌ من العرب وألحّ القومُ على موسى فأضجروه فقال لهم ليلة قد أكثرتم علي وفيما تريدون هلاككم وقد أبرمتموني فعلى أي وجه تفتكون به وأنا لا أغدر به فقال نوح ابن عبد الله أخو موسى خلنا واياه فاذا غدا اليك غدوة عدلنا به الى بعض الدور فضربنا عنقه فيها قبل أن يصل اليك قال أما والله انه لهلاككم وأنتم أعلم والغلام يسمع فأتى ثابتا فأخبره فخرج من ليلته في عشرين فارسا فمضى وأصبحوا وقد ذهب فلم يدروا من أين أوتوا وفقدوا الغلام فعلموا انه كان عينا له عليهم ولحق ثابت بحشورا فنزل المدينة وخرج اليه قوم كثير من العرب والعجم فقال موسى لاصحابه قد فتحتم على أنفسكم بابا فسُدّوه وسار اليه موسى فخرج اليه ثابت في جمع كثير فقاتلهم فأمر موسى بإحراق السور وقاتلهم حتى ألجؤا ثابتا وأصحابه الى المدينة وقاتلوهم عن المدينة فأقبل رقبة بن الحر العنبري حتى اقتحم النار فانتهى الى باب المدينة ورجل من أصحاب ثابت واقفٌ يحمي أصحابه فقتله ثم رجع فخاض النار وهي تلتهب وقد أخذت بجوانب نمط عليه فرمى به عنه ووقف وتحصن ثابت في المدينة وأقام موسى في الربض وكان ثابت حين شخص الى حشورا أرسل الى طرخون فأقبل طرخون مُعينا له وبلغ موسى مجيء طرخون فرجع الى الترمذ وأعانه أهل كس ونسف وبخارى فصار ثابت في ثمانين ألفا فحصروا موسى وقطعوا عنه المادة حتى جُهدوا قال وكان أصحاب ثابت يعبرون نهرا الى موسى بالنهار ثم يرجعون بالليل الى عسكرهم فخرج يوما رقبة وكان صديقا لثابت وقد كان ينهى أصحاب موسى عما صنعوا فنادى ثابتا فبرز له وعلى رقبة قباء خز فقال له كيف حالك يا رقبة فقال ما تسأل عن رجل عليه جبة خز في حمارة القيظ وشكا اليه حالهم فقال أنتم صنعتم هذا بأنفسكم فقال أما والله ما دخلت في أمرهم ولقد كرهت ما أرادوا فقال ثابت أين تكون حتى يأتيك ما قُدّر لك قال أنا عند المحل الطُفاوي رجل من قيس من يَعْصُر وكان المحل شيخا صاحب شراب فنزل رقبة عنده قال فبعث ثابت الى رقبة بخمسمائة درهم مع علي بن المهاجر الخزاعي وقال إن لنا تجارا قد

خرجوا من بلخ فإذا بلغك انهم قد قدموا فأرسل الى تأتك حاجتك فأتى على باب المحل فدخل فإذا رقبة والمحل جالسان بينهما جفنة فيها شراب وخوان عليه دجاج وأرغفة ورقبة شعث الرأس متوشح بملحفة حمراء فدفع اليه الكيس وأبلغه الرسالة وما كلمه وتناول الكيس وقال له بيده أخرج ولم يكلمه قال وكان رقبة جسيما كبير اغائر العينين ناتئ الوجنتين مفلج بين كل سنين له موضع سن كأن وجهه ترس قال فلما أضاق أصحاب موسى واشتد عليهم الحصار قال يزيد بن هزيل انما مقام هؤلاء مع ثابت والقتل أحسن من الموت جوعا والله لأفتكن بثابت أولا موتن فخرج الى ثابت فاستأمنه فقال له ظهير أنا أعرف بهذا منك ان هذا لم يأتك رغبة فيك ولا جزعا لك ولقد جاءك بغدرة فاحذره وخلني واياه فقال ما كنت لأقدم على رجل أتاني لا أدري أكذلك هو أم لا قال فدعني أرتهن منه رهنا فأرسل ثابت الى يزيد فقال أما أنا فلم أكن أظن رجلا يغدر بعد ما يسأل الامان وابن عمك أعلم بك مني فانظر ما يعاملك عليه فقال يزيد لظهير أبيت يا اباسعيد الا حسدا قال أما يكفيك ما ترى من الذل تشردت عن العراق وعن أهلي وصرت بخراسان فما ترى أفما تعطفك الرحم فقال له ظهير أما والله لو تركت ورأيي فيك لما كان هذا ولكن أرهنا ابنيك قدامة والضحاك فدفعهما اليهم فكانا في يدي ظهير قال وأقام يزيد يلتمس غرة ثابت لا يقدر منه على ما يريد حتى مات ابن لزياد القصير الخزاعي أتى أباه نعيه من مرو فخرج ثابت متفضلا الى زياد ليعزيه ومعه ظهير ورهط من أصحابه وفيهم يزيد بن هزيل وقد غابت الشمس فلما صار على نهر الصغانيان تأخر يزيد بن هزيل ورجلان معه وقد تقدم ظهير وأصحابه فدنا يزيد من ثابت فضربه فعض السيف برأسه فوصل الى الدماغ قال ورمى يزيد وصاحباه بأنفسهم في نهر الصغانيان فرموهم فجاز يزيد سباحة وقتل صاحباه وحمل ثابت الى منزله فلما أصبح طرخون أرسل الى ظهير ائتني بابني يزيد فأتاه بهما فقدم ظهير الضحاك بن يزيد فقتله ورمى به وبرأسه في النهر وقدم قدامة ليقتله فالتفت فوقع السيف في صدره ولم يبن فألقاه في النهر حيا فغرق فقال طرخون أبوهما قتلهما وغدره فقال يزيد بن هزيل لاقتلن بابني كل خزاعي بالمدينة فقال له عبد الله بن بديل بن عبد الله بن بديل بن ورقاء وكان ممن أتى موسى من قبل ابن الاشعث لو رمت ذلك من خزاعة لصعب عليك وعاش ثابت سبعة أيام ثم مات وكان يزيد بن هزيل سخيا شجاعا شاعرا ولي أيام ابن زياد جزيرة ابن كاوان فقال

قد كنت أدعو الله في السر مخلصا * ليمكنني من جزية ورجال

فأتركه فيها ذكر طلحة حاملا * ويحمد فيها نائلي وفعالي

قال فقام بأمر العجم بعد موت ثابت طرخون وقام ظهير بأمر أصحاب ثابت فقاما قياما

ضعيفا

ضعيفا وانتشر أمرهم فأجمع موسى على بياتهم فجاء رجل فأخبر طرخون فضحك وقال موسى يعجز أن يدخل متوضأه فكيف ببيتنا لقد طار قلبك لا يحرسن الليلة أحد العسكر فلما ذهب من الليل ثلثه خرج موسى في ثمانمائة قد عبأهم من النهار وصيرهم أرباعا قال فصير على ربع رقبة بن الحر وعلى ربع أخاه نوح بن عبد الله بن خازم وعلى ربع يزيد ابن هزيل وصار هو في ربع وقال لهم اذا دخلتم عسكرهم فتفرقوا ولا يمرن أحد منكم بشيء الا ضربه فدخلوا عسكرهم من أربع نواح لا يمرون بدابة ولا رجل ولا خباء ولا جوالق الا ضربوه وسمع الوجبة نيزك فلبس سلاحه ووقف في ليلة مظلمة وقال لعلي بن المهاجر الخزاعي انطلق الى طرخون فأعلمه موقفي وقل له ما ترى أعمل به فأتى طرخون فاذا هو في فازة قاعد على كرسي وشاكريته قد أوقدوا النيران بين يديه فأبلغه رسالة نيزك فقال اجلس وهو طامح ببصره نحو العسكر والصوت اذ أقبل محمية السلمي وهو يقول حم لا ينصرون فتفرق الشاكرية ودخل محمية الفازة وقام اليه طرخون فبدره فضربه فلم يغن شيأ قال وطعنه طرخون بذباب السيف في صدره فصرعه ورجع الى الكرسي فجلس عليه وخرج محمية يعدو قال ورجعت الشاكرية فقال لهم طرخون فررتم من رجل أرأيتم لو كان ناره كانت تحرق منكم أكثر من واحد فما فرغ من كلامه حتى دخل جواريه الفازة وخرج الشاكرية هرابا فقال للجواري اجلسن وقال لعلي ابن المهاجر قم قال فخرجا فاذا نوح بن عبد الله بن خازم في السرادق فتجاولا ساعة واختلفا ضربتين فلم يصنعا شيأ وولى نوح وأتبعه طرخون فطعن فرس نوح في خاصرته فشب فسقط نوح والفرس في نهر الصفاليان ورجع طرخون وسيفه يقطر دما حتى دخل السرادق وعلي بن المهاجر معه ثم دخلا الفازة وقال طرخون للجواري ارجعن فرجعن الى السرادق وأرسل طرخون الى موسى كف أصحابك فانا نرتحل اذا أصبحنا فرجع موسى الى عسكره فلما أصبحوا ارتحل طرخون والعجم جميعا فأتى كل قوم بلادهم قال وكان أهل خراسان يقولون ما رأينا مثل موسى بن عبد الله بن خازم ولا سمعنا به قاتل مع أبيه سنتين ثم خرج يسير في بلاد خراسان حتى أتى ملكا فغلبه على مدينته وأخرجه منها ثم سارت اليه الجنود من العرب والترك فكان يقاتل العرب أول النهار والعجم آخر النهار وأقام في حصنه خمس عشرة سنة وسار ما وراء النهر لموسى لا يعازه فيه أحد قال وكان يقوم بس رجل يقال له عبد الله يجتمع اليه فتيان يتنادمون عنده في مؤونته ونفقته فلزمه دين فأتى موسى بن عبد الله فأعطاه أربعة آلاف فأتى بها أصحابه فقال الشاعر يعاتب رجلا يقال له موسى

فما أنت موسى اذ نباتي إلهه * ولا واهب القينات موسى بن خازم

قال فلما عزل يزيد وولى المفضل خراسان أراد أن يحظى عند الحجاج بقتال موسى بن عبد الله فأخرج عثمان بن مسعود وكان يزيد حبسه فقال انى أريد أن أوجهك الى موسى بن عبد الله فقال والله لقد وترتنى وانى لثائر بابن عمى ثابت وبالخزاعى ومايد أبيك وأخيك عندى وعند أهل بيتى بالحسنة لقد حبستمونى وشردتم بنى عمى واصطفيتم أموالهم فقال له المفضل دع هذا عنك وسر فأدركْ بثأرك فوجهه في ثلاثة آلاف وقال له مر منادياً فلينادِ من لحق بنا فله ديوان فنادى بذلك فى السوق فسارع اليه الناس وكتب المفضل الى مدرك وهو ببلخ أن يسير معه فخرج فلما كان ببلخ خرج ليلة يطوف في العسكر فسمع رجلا يقول قتلته والله فرجع الى أصحابه فقال قتلت موسى ورب الكعبة قال فأصبح فسار من بلخ وخرج مدرك معه متثاقلا فقطع النهر فنزل جزيرة بالترمذ يقال لها اليوم جزيرة عثمان لنزول عثمان بها في خمسة عشر ألفا وكتب الى السبل والى طرخون فقدموا عليه فحصروا موسى فضيقوا عليه وعلى أصحابه فخرج موسى ليلا فأتى كفتان فامتار منها ثم رجع فمكث شهرين في ضيق وقد خندق عثمان وحذر البيات فلم يقدر موسى منه على غرة فقال لاصحابه حتى متى اخر جوابنا فاجعلوا يومكم اما ظفرتم واما قتلتم وقال لهم اقصدوا اللصغد والترك فخرج وخلف النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم في المدينة وقال له ان قتلتُ فلا تدفنّ المدينة الى عثمان وا فعها الى مدرك بن المهلب وخرج فصيّر ثلث أصحابه بازاء عثمان وقال لاتهايجوه الا أن يقاتلكم وقصد لطرخون وأصحابه فصدقوهم فانهزم طرخونُ والترك وأخذوا عسكرهم فجعلوا يتقلونه ونظر معاوية بن خالد بن أبى برزة الى عثمان وهو على برذون لخالد بن أبى برزة الاسلمى فقال انزل أيها الامير فقال خالد لاتنزلْ فان معاوية مشؤم وكرّت الصغدُ والترك راجعة فخالوا بين موسى وبين الحصن فقاتلهم فعُقر به فسقط فقال لمولى له احملنى فقال الموت كريه ولكن ارتدفْ فان نجونا نجونا جميعا وان هلكنا هلكنا جميعا قال فارتدف فنظر اليه عثمان حين وثب فقال وثبة موسى ورب الكعبة وعليه مغفر له موشّى بخزّ أحمر فى أعلاه ياقوتة اسمانجونيّة فخرج من الخندق فكشفوا أصحاب موسى فقصد لموسى وعثرت دابة موسى فسقط هو ومولاه فابتدروه فانطوا عليه فقتلوه ونادى منادى عثمان لاتقتلوا أحدا من لقيتموه فخذوه أسيرا قال فتفرّق أصحاب موسى وأسر منهم قوم فعُرضوا على عثمان فكان اذا أتى بأسير من العرب قال دماؤنا لكم حلال ودماؤكم علينا حرام ويأمر بقتله واذا أتى بأسير من الموالى شتمه وقال هذه العربُ تقاتلنى فهلاّ غضبت لى فيأمر به فيُشدخ وكان فظا غليظا فلم يسلم عليه يومئذ أسير الا عبد الله بن بديل ابن عبد الله بن بديل بن ورقاء فانه كان مولاه فلما نظر اليه أعرض عنه وأشار بيده أن خلوا عنه و رقبة بن الحرّ لما أتى به نظر اليه وقال ما كان من هذا الينا كبير ذنب وكان

صديقا

صديقا لثابت وكان مع قوم فوقى لهم والعجب كيف أسرتموه فالوا طعن فرسه فسقط عنه في وهدة فأسر فأطاقه وحمله وقال لخالد بن أبي برزة ليكن عندك قال وكان الذى أجهز على موسى بن عبد الله واصل بن طيسلة العنبرى ونظر يومئذ عثمان الى زرعة بن علقمة السلمى والحجاج بن مروان وسنان الاعرابى ناحية فقال لكم الامان فظن الناس انه لم يؤمنهم حتى كاتبوه قال وبقيت المدينة فى يدى النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم فقال لا أدفعها الى عثمان ولكنى أدفعها الى مدرك فدفعها اليه وآمنه فدفعها مدرك الى عثمان وكتب المفضل بالفتح الى الحجاج فقال الحجاج العجب من ابن بهلة آمره بقتل ابن سمرة فيكتب الى انه لما به ويكتب الى انه قتل موسى بن عبد الله بن خازم قال وقتل موسى سنة ٨٥ فذكر البعترى ان مغراء بن المغيرة بن أبي صفرة قتل موسى فقال

وقد عركت بالترمذ الخيل حازما * ونوحا وموسى عركة بالكلاكل

قال فضرب رجل من الجند ساق موسى فلما ولى قتيبة أخبر عنه فقال مادعاك الى ماصنعت بفتى العرب بعد موته قال كان قتل أخى فأمر به قتيبة فقتل بين يديه ﴿وفي هذه السنة﴾ أراد عبد الملك بن مروان خلع أخيه عبد العزيز بن مروان

﴿ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهما فيه﴾

*ذكر الواقدى ان عبد الملك هم بذلك فنهاه عنه قبيصة بن ذؤيب وقال لا تفعل هذا فإنك باعث على نفسك صوت نعار ولعل الموت يأتيه فتستريح منه فكف عبد الملك عن ذلك ونفسه تنازعه الى ان يخلعه ودخل عليه روح بن زنباع الجذامى وكان أجل الناس عند عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين لو خلعته ما انتطح فيه عنزان فقال ترى ذلك يا أبا زرعة قال اى والله وأنا أول من يجيبك الى ذلك فقال نصبح ان شاء الله قال فبيناهو على ذلك وقد نام عبد الملك وروح بن زنباع اذ دخل عليهما قبيصة بن ذؤيب طروقا وكان عبد الملك قد تقدم الى حجابه فقال لا يحجب عنى قبيصة أى ساعة جاء من ليل أو نهار اذا كنت خاليا أو عندى رجل واحد وان كنت عند النساء أدخل المجلس وأعلمت بمكانه فدخل وكان الخاتم اليه وكانت السكة اليه تأتيه الاخبار قبل عبد الملك ويقرأ الكتاب قبله ويأتى بالكتاب الى عبد الملك منشورا فيقرأه إعظاما لقبيصة فدخل عليه فسلم عليه وقال أجرك الله يا أمير المؤمنين فى أخيك عبد العزيز قال وهل توفى قال نعم فاسترجع عبد الملك ثم أقبل على روح فقال كفانا الله أبا زرعة ما كنا نريد وما أجمعنا عليه وكان ذلك مخالفا لك يا أبا اسحاق فقال قبيصة ماهو فأخبره بما كان فقال قبيصة يا أمير المؤمنين ان الرأى كله في الاناة والعجلة فيهما فقال عبد الملك ربما كانت فى العجلة خير كثير رأيت أمر عمرو ابن سعيد ألم تكن العجلة فيه خيرا من التأنى ﴿وفي هذه السنة﴾ توفي عبد العزيز بن

مروان بمصر فى جمادى الاولى فضم عبد الملك عمله الى ابنه عبد الله بن عبد الملك و ولاه مصر وأما المدائنى فانه قال فى ذلك ما حدثنا به أبو زيد عنه ان الحجاج كتب الى عبد الملك يزين له بيعة الوليد وأوفد وفدا فى ذلك عليهم عمران بن عصام العنزى فقام عمران خطيبا فتكلم وتكلم الوفد وحثوا عبد الملك وسألوه ذلك فقال عمران بن عصام

أمير المؤمنين اليك نهدى * على النأى التحية والسلاما
أجبنى فى بنيك يكن جوابى * لهم عادية ولنا قواما
فلو أن الوليد أطاع فيه * جعلت له الخلافة والذماما
شبيهك حول قبته قريش * به يستمطر الناس الغماما
ومثلك فى التقى لم يصب يوما * لدن خلع القلائد والتماما
فإن تؤثر أخاك بها فانا * وجدك لا نطيق لها اتهاما
ولكنا نحاذر من بنيه * بنى العلات مأثرة سماما
ونخشى ان جعلت الملك فيهم * سهاما أن تعود لهم جهاما
فلا يبك ما حلبت غدا القوم * وبعد غد بنوك هم العياما
فأقسم لو تخطأنى عصام * بذلك ما عذرت به عصاما
ولو أنى حبوت أخا بفضل * أريد به المقالة والمقاما
لعقب فى بنى على بنيه * كذلك أولرمت له مراما
فمن يك فى أقاربه صدوع * فصدع الملك أبطأه التئاما

فقال عبد الملك يا عمران انه عبد العزيز قال احتل له يا أمير المؤمنين قال على أراد عبد الملك بيعة الوليد قبل أمر ابن الاشعث لان الحجاج بعث فى ذلك عمران بن عصام فلما أبى عبد العزيز أعرض عبد الملك عما أراد حتى مات عبد العزيز ولما أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز ويبايع لابنه الوليد كتب الى أخيه ان رأيت أن تصير هذا الامر لابن أخيك فأبى فكتب اليه فاجعلها له من بعدك فانه أعز الخلق على أمير المؤمنين فكتب اليه عبد العزيز انى أرى فى أبى بكر بن عبد العزيز ما ترى فى الوليد فقال عبد الملك اللهم ان عبد العزيز قطعنى فاقطعه فكتب اليه عبد الملك احمل خراج مصر فكتب اليه عبد العزيز يا أمير المؤمنين انى واياك قد بلغنا سنا لم يبلغها أحد من أهل بيتك الا كان بقاؤه قليلا وانى لا أدرى ولا تدرى أينا يأتيه الموت أولا فان رأيت أن لا تغثث على بقية عمرى فافعل فرق له عبد الملك وقال لعمرى لا أغثث عليه بقية عمره وقال لابنيه ان يرد الله أن يعطيكموها لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك وقال لابنيه الوليد وسليمان هل فارقتما حراما قط قالا لا

والله قال الله أكبر نلتماها ورب الكعبة قال فلما أبى عبد العزيز أن يجيب عبد الملك الى ما أراد قال عبد الملك اللهم قد قطعني فاقطعه فلما مات عبد العزيز قال أهل الشأم رد على أمير المؤمنين أمره فدعا عليه فاستجيب له قال وكتب الحجاج الى عبد الملك يشير عليه أن يستكتب محمد بن يزيد الأنصاري وكتب اليه ان أردت رجلا مأمونا فاضلا عاقلا وديعا مسلما كتوما تتخذه لنفسك وتضع عنده سرك ومالا تحب أن يظهر فاتخذ محمد بن يزيد فكتب اليه عبد الملك احمله الي فحمله فاتخذه عبد الملك كاتبا قال محمد فلم يكن يأتيه كتاب الا دفعه الي ولا يسترشيأ الا أخبرني به وكتمه الناس ولا يكتب الى عامل من عماله الا أعلمنيه فإني لجالس يوما نصف النهار اذا أنا ببريد قد قدم من مصر فقال الاذن على أمير المؤمنين قلت ليست هذه ساعة اذن فاعلمني ما قدمت له قال لا قلت فان كان معك كتاب فادفعه الي قال لا قال فأبلغ بعض من حضرني أمير المؤمنين فخرج فقال ما هذا قلت رسول قدم من مصر قال فخذ الكتاب قلت زعم انه ليس معه كتاب قال فسله عما قدم له قلت قد سألته فلم يخبرني قال أدخله فأدخلته فقال أجرك الله يا أمير المؤمنين في عبد العزيز فاسترجع وبكى ووجم ساعة ثم قال يرحم الله عبد العزيز مضى والله عبد العزيز لشأنه وتركنا وما نحن فيه ثم بكى النساء وأهل الدار ثم دعاني من غد فقال ان عبد العزيز رحمه الله قد مضى لسبيله ولا بد للناس من علم وقائم يقوم بالأمر من بعدي فمن ترى قلت يا أمير المؤمنين سيد الناس وأرضاهم وأفضلهم الوليد بن عبد الملك قال صدقت وفقك الله فمن ترى أن يكون بعده قلت يا أمير المؤمنين أين تعدلها عن سليمان فتى العرب قال وفقت أما انا لو تركنا الوليد واياها لجعلها لبنيه اكتب عهد الوليد وسليمان من بعده فكتبت بيعة الوليد ثم سليمان من بعده فغضب علي الوليد فلم يولني شيأ حين أشرت بسليمان من بعده قال علي عن ابن جعدبة كتب عبد الملك الى هشام بن اسماعيل المخزومي أن يدعو الناس لبيعة الوليد وسليمان فبايعوا غير سعيد بن المسيب فانه أبى وقال لا أبايع وعبد الملك حي فضربه هشام ضربا مبرحا وألبسه المسوح وسرحه الى ذباب ثنية بالمدينة كانوا يقتلون عندها ويصلبون فظن انهم يريدون قتله فلما انتهوا به الى ذلك الموضع ردوه فقال لو ظننت أنهم لا يصلبوني ما لبست سراويل مسوح ولكن قلت يصلبونني فيسترني وبلغ عبد الملك الخبر فقال قبح الله هشاما انما كان ينبغي أن يدعوه الى البيعة فان أبى يضرب عنقه أو يكف عنه ﴿ وفي هذه السنة ﴾ بايع عبد الملك لابنيه الوليد ثم من بعده لسليمان وجعلهما وليي عهد المسلمين وكتب ببيعته لهما الى البلدان فبايع الناس وامتنع من ذلك سعيد بن المسيب فضربه هشام ابن اسماعيل وهو عامل عبد الملك على المدينة وطاف به وحبسه فكتب عبد الملك الى هشام يلومه على ما فعل من ذلك وكان ضربه ستين سوطا وطاف به في تبان من شعر حتى بلغ

به رأس الثنية وأما الحارث فانه قال حدثني ابن سعد عن محمد بن عمر الواقدي قال حدثنا عبد الله بن جعفر وغيره من أصحابنا قالوا استعمل عبد الله بن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهري على المدينة فدعا الناس الى البيعة لابن الزبير فقال سعيد بن المسيب لا حتى يجتمع الناس فضربه ستين سوطا فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب الى جابر يلومه وقال ما لنا ولسعيد دعه *وحدثني الحارث عن ابن سعد ان محمد بن عمر أخبره قال حدثنا عبد الله بن جعفر وغيره من أصحابنا ان عبد العزيز بن مروان توفي بمصر في جمادى سنة ٨٤ فعقد عبد الملك لابنيه الوليد وسليمان العهد وكتب بالبيعة لهما الى البلدان وعامله يومئذ هشام بن اسماعيل المخزومي فدعا الناس الى البيعة فبايع الناس ودعا سعيد بن المسيب أن يبايع لهما فأبى وقال لا حتى أنظر فضربه هشام بن اسماعيل ستين سوطا وطاف به في تبان شعر حتى بلغ به رأس الثنية فلما كروا به قال أين تكرون بي قالوا الى السجن قال والله لولا اني ظننت انه الصلب لما لبست هذا التبان أبدا فرده الى السجن وحبسه وكتب الى عبد الملك يخبره بخلافه وما كان من أمره فكتب اليه عبد الملك يلومه فيما صنع ويقول سعيد والله كان أحوج أن تصل رحمه من أن تضربه وانا لنعلم ما عنده من شقاق ولا خلاف ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة هشام بن اسماعيل المخزومي كذلك حدثنا أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وكان العامل على المشرق في هذه السنة مع العراق الحجاج بن يوسف

﴿ثم دخلت سنة ست وثمانين﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

فمما كان فيها من ذلك هلاك عبد الملك بن مروان وكان مهلكه في النصف من شوال منها حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال توفي عبد الملك بن مروان يوم الخميس للنصف من شوال سنة ٨٦ فكانت خلافته ثلاث عشرة سنة وخمسة أشهر *وأما الحارث فانه حدثني عن ابن سعد عن محمد بن عمر قال حدثني شرحبيل بن أبي عون عن أبيه قال أجمع الناس على عبد الملك بن مروان سنة ٧٣ قال ابن عمر وحدثني أبو معشر نجيح قال مات عبد الملك بن مروان بدمشق يوم الخميس للنصف من شوال سنة ٨٦ فكانت ولايته منذ يوم بويع الى يوم توفي احدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا كان تسع سنين منها يقاتل فيها عبد الله بن الزبير ويسلم عليه بالخلافة بالشأم ثم بالعراق بعد مقتل مصعب وبقي بعد مقتل عبد الله بن الزبير واجتماع الناس عليه ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر الا سبع ليال * وأما علي بن محمد المدائني فانه فيما حدثنا أبو زيد عنه قال مات عبد الملك سنة ٨٦ بدمشق وكانت ولايته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوما

﴿ذكر الخبر عن مبلغ سنه يوم توفي﴾

اختلف أهل السير في ذلك فقال أبو معشر فيه ما حدثني الحارث عن ابن سعد قال أخبرنا محمد ابن عمر قال حدثني أبو معشر نجيح قال مات عبد الملك بن مروان وله ستون سنة ﴿قال الواقدي﴾ وقد روى لنا انه مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة قال والاول أثبت وهو على مولده قال وولد سنة ٢٦ في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين وقال المدائني علي بن محمد فيما ذكر أبو زيد عنه مات عبد الملك وهو ابن ثلاث وستين سنة

﴿ذكر نسبه وكنيته﴾

أما نسبه فانه عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأما كنيته فأبو الوليد وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية وله يقول ابن قيس الرقيات

أنت ابن عائشة التي * فضلت أروم نسائها
لم تلتفت للدانها * ومضت على عُلوائها

﴿ذكر أولاده وأزواجه﴾

منهم الوليد وسليمان ومروان الاكبر درج وعائشة أمهم ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس ابن بغيض ويزيد ومروان ومعاوية درج وأم كلثوم وأمهم عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وهشام وأمه أم هشام بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وقال المدائني اسمها عائشة بنت هشام وأبو بكر واسمه بكار أمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله والحكم درج أمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان وفاطمة بنت عبد الملك أمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة وعبد الله ومسلمة والمنذر وعنبسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج لامهات أولاد * قال المدائني وكان له من النساء سوى من ذكرنا شقراء بنت لمة بن حلبس الطائي وابنة لعلي بن ابي طالب عليه السلام وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر * وذكر المدائني عن عوانة وغيره ان سلمة بن زيد بن وهب بن نباتة الفهمي دخل على عبد الملك فقال له أي الزمان أدركت أفضل وأي الملوك أكمل قال أما الملوك فلم أر الا ذاما وحامدا وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع أقواما وكلهم يذم زمانه لأنه يبلي جديدهم ويهرم صغيرهم وكل ما فيه منقطع غير الأمل قال فاخبرني عن فهم قال هم كما قال من قال

درج الليل والنهار على فهـ * ـم بن عمرو فاصبحوا كالرميم
وخلت دارهم فأضحت يبابا * بعد عز وثروة ونعيم

وكذاك الزمان يذهب بالنا * س وتبقى ديارهم كالرسوم

قال فمن يقول منكم

رأيت الناس مذ خلقوا وكانوا * يحبون الغنى من الرجال
وان كان الغنى قليل خير * بخيلا بالقليل من النوال
فما أدرى علام وفيم هذا * وماذا يرتجون من البخال
ألا للدنيا فليس هناك دنيا * ولا يرجى لحادثة الليالى

قال أنا * قال على قال أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط لعبد الملك بن مروان

نبئت أن ابن القلمس عابنى * ومن ذا من الناس الصحيح المسلم
فابصر سبيل الرشد سيد قومه * وقد يبصر الرشد الرئيس المعمم
فمن أنتم هاخبرونا من انتم * وقد جعلت أشياء تبدو وتكتم

فقال عبد الملك ما كنت أرى ان مثلنا يقال له من أنتم أما والله لولا ما تعلم لقلت قولا الحقكم باصلكم الخبيث ولضربتك حتى تموت وقال عبد الله بن الحجاج الثعلبى لعبد الملك

يا ابن أبى العاص ويا حير فنى * أنت سداد الدين ان دين وهى
أنت الذى لا يجعل الامر سدى * حبيب قريش عنكم حوب الرحى
ان أبا العاصى وفى ذاك اعتصى * أوصى بنيه فوعوا عنه الوصى
ان يسعروا الحرب ويأبوا ما أبى * الطاعنين فى النحور والكلى
شزرا ووصلا للسيوف بالخطى * الى القتال خوضوا ماقد حوى

وقال أعشى بنى شيبان

عرفت قريش كلها * لبنى أبى العاص الإمارة
لأبرها وأحقها * عند المشورة بالاشارة
المانعين لما ولوا * والنافعين ذوى الضرارة
وهم أحقهم بها * عند الحلاوة والمراره

وقال عبد الملك ما أعلم مكان أحد أقوى على هذا الأمر منى وان ابن الزبير لطويل الصلاة كثير الصيام ولكن لبخله لا يصلح أن يكون سائسا

﴿ خلافة الوليد بن عبد الملك ﴾

﴿ وفى هذه السنة ﴾ بويع للوليد بن عبد الملك بالخلافة فذكر انه لما دفن أباه وانصرف عن قبره دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع اليه الناس فخطب فقال انا لله وانا اليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين والحمد لله على ما أنعم به علينا من الخلافة قوموا

فبايعوا

فبايعوا فكان أول من قام لبيعته عبد الله بن همام السلولى فانه قام وهو يقول

الله أعطاك التى لا فوقها * وقد أراد الملحدون عوقها

عنك ويأبى الله الا سوقها * اليك حتى قلدوك طوقها

فبايعه ثم تتابع الناس على البيعة * وأما الواقدى فانه ذكر ان الوليد لما رجع من دفن أبيه ودفن خارج باب الجابية لم يدخل منزله حتى صعد على منبر دمشق فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أيها الناس انه لا مقدم لما أخر الله ولا مؤخر لما قدم الله وقد كان من قضاء الله وسابق علمه وما كتب على أنبيائه وحملة عرشه الموت وقد صار الى منازل الأبرار ولىُّ هذه الامة بالذى يحق عليه لله من الشدة على المريب واللين لأهل الحق والفضل واقامة ما أقام الله من منار الاسلام وأعلامه من حج هذا البيت وغزو وهذه الثغور وشن هذه الغارة على أعداء الله فلم يكن عاجزا ولا مفرطا أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فان الشيطان مع الفرد أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ومن سكت مات بدائه ثم نزل فنظر الى ما كان من دواب الخلافة فحازه وكان جبارا عنيدا

﴿ وفى هذه السنة ﴾ قدم قتيبة بن مسلم خراسان واليا عليها من قبل الحجاج فذكر علىُّ ابن محمد ان كليب بن خلف أخبره عن طفيل بن مرداس العمى والحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير العمى قال أخبرنى عمى قال رأيت قتيبة بن مسلم حين قدم خراسان فى سنة ٨٦ فقدم والمفضل يعرض الجند وهو يريد أن يغزو أخرون وشومان فخطب الناس قتيبة وحثهم على الجهاد وقال ان الله أحلكم هذا المحل ليعز دينه ويذب بكم عن الحرمات ويزيد بكم المال استفاضة والعدو وقا ووعد نبيه صلى الله عليه النصر بحديث صادق وكتاب ناطق فقال هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ووعد المجاهدين فى سبيله أحسن الثواب وأعظم الذخر عنده فقال ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله الى قوله أحسن ما كانوا يعملون ثم أخبر عمن قتل فى سبيله انه حى مرزوق فقال ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فتنجزوا موعود ربكم ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر وأمضى ألم وإياى والهوينا

﴿ ذكر ما كان من أمر قتيبة بخراسان فى هذه السنة ﴾

ثم عرض قتيبة الجند فى السلاح والكراع وسار واستخلف بمرو على حربها إياس بن عبد الله بن عمرو وعلى الخراج عثمان بن السعدى فلما كان بالطالقان تلقاه دهاقين بلخ وبعض عظمائهم فسار وامعه فلما قطع النهر تلقاه بيش الأعور ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من ذهب فدعاه الى بلاده فأتاه وأتى ملك كفتان بهدايا وأموال ودعاه الى بلاده فمضى مع

بيش الى الصغانيان فسلم اليه بلاده وكان ملك أخرون وشومان قد أساء جوار بيش وغزاه وضيق عليه فسار قتيبة الى أخرون وشومان وهما من طخارستان فجاءه غيسلشتان فصالحه على فدية أداها اليه فقبلها قتيبة ورضى ثم انصرف الى مرو واستخلف على الجند أخاه صالح ابن مسلم وتقدم جنده فسبقهم الى مرو ووقع صالح بعد رجوع قتيبة بأسارى بحصن وكان معه نصر بن سيار فأبلى يومئذ فوهب له قرية تدعى تنجانة ثم قدم صالح على قتيبة فاستعمله على الترمذ قال وأما الباهليون فيقولون قدم قتيبة خراسان سنة ٨٥ فعرض الجند فكان جميع ما أحصوا من الدروع فى جند خراسان ثلاثمائة وخمسين درعا فغزا أخرون وشومان ثم قفل فركب السفن فانحدر الى آمل وخلف الجند فأخذوا طريق بلخ الى مرو وبلغ الحجاج فكتب اليه يلومه ويعجز رأيه فى تخليفه الجند وكتب اليه اذا غزوت فكن فى مقدم الناس واذا قفلت فكن فى أخريا تهم وساقتهم * وقد قيل ان قتيبة أقام قبل أن يقطع النهر فى هذه السنة على بلخ لأن بعضها كان منتقضا عليه وقد ناصب المسلمين فحارب أهلها فكان ممن سبى امرأة برمك أبى خالد بن برمك وكان برمك على النوبهار فصارت لعبد الله بن مسلم الذى يقال له الفقير أخى قتيبة بن مسلم فوقع عليها وكان به شئ من الجذام ثم ان أهل بلخ صالحوا من غد اليوم الذى حاربهم قتيبة فأمر قتيبة برد السبى فقالت امرأة برمك لعبد الله بن مسلم يا تازى انى قد علقت منك وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة فأوصى أن يلحق به ما فى بطنها ورد ت الى برمك * فذكر ان ولد عبد الله بن مسلم جاؤا أيام المهدى حين قدم الرى الى خالد فادعوه فقال لهم مسلم بن قتيبة انه لا بد لكم ان استلحقتموه ففعل من أن تزوجوه فتركوه وأعرضوا عن دعواهم وكان برمك طبيبا فداوى بعد ذلك مسلمة من علة كانت به ﴿ وفى هذه السنة ﴾ غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ﴿ وفيها ﴾ حبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان وعبد الملك بن المهلب عن شرطته ﴿ وحج ﴾ بالناس فى هذه السنة هشام بن اسماعيل المخزومى كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وكان الأمير على العراق كله والمشرق كله الحجاج بن يوسف وعلى الصلاة بالكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبى عقيل وعلى الحرب بها من قبل الحجاج زياد بن جرير بن عبد الله وعلى البصرة أيوب بن الحكم وعلى خراسان قتيبة بن مسلم

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثمانين ﴾

﴿ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث ﴾

﴿ ففى هذه السنة ﴾ عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن اسماعيل عن المدينة وورد عزله عنها فيما ذكر لليلة الأحد لسبع ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة ٨٧ وكانت إمرته

عليها أربع سنين غير شهر أو نحوه ﴿وفي هذه السنة﴾ ولى الوليد عمر بن عبد العزيز المدينة قال الواقدي قدمها واليا في شهر ربيع الأول وهو ابن خمس وعشرين سنة وولد سنة ٦٢ قال وقدم على ثلاثين بعيرا فنزل دار مروان قال فحدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال لما قدم عمر بن عبد العزيز المدينة ونزل دار مروان دخل عليه الناس فسلموا فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وأبا بكر بن عبد الرحمن وأبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم ابن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة ابن زيد فدخلوا عليه فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال إني انما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعوانا على الحق ما أريد أن أقطع أمرا الا برأيكم أو برأي من حضر منكم فإن رأيتم أحدا يتعدى أو بلغكم عن عامل لي ظلامة فأحرج الله على من بلغه ذلك إلا بلغني فخرجوا يجزونه خيرا وافترقوا قال وكتب الوليد الى عمر يأمره أن يقف هشام بن اسماعيل للناس وكان فيه سيئ الرأي قال الواقدي فحدثني داود بن جبير قال أخبرتني أم ولد سعيد بن المسيب ان سعيدا دعا ابنه وواليه فقال ان هذا الرجل يوقف للناس أو قد وقف فلا يتعرض له أحد ولا يؤذه بكلمة فانا سنترك ذلك لله وللرحم فان كان ما علمت لسيئ النظر لنفسه فأما كلامه فلا أكلمه أبدا * قال وحدثني محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر عن أبيه قال كان هشام بن اسماعيل يسيئ جوارنا ويؤذينا ولقي منه علي بن الحسين أذى شديدا فلما عزل أمر به الوليد أن يوقف للناس فقال ما أحاف الا من علي بن الحسين فمر به على وقد وقف عند دار مروان وكان علي قد تقدم الى خاصته أن لا يعرض له أحد منهم بكلمة فلما مر ناداه هشام بن اسماعيل الله أعلم حيث يجعل رسالاته ﴿وفي هذه السنة﴾ قدم نيزك على قتيبة وصالح قتيبة أهل باذغيس على أن لا يدخلها قتيبة

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

* ذكر علي بن محمد ان أبا الحسن الجشمي أخبره عن أشياخ من أهل خراسان وجبلة بن فروخ عن محمد بن المثنى ان نيزك طرخان كان في يديه أسراء من المسلمين وكتب اليه قتيبة حين صالح ملك شومان فيمن في يديه من أسرى المسلمين أن يطلقهم ويهدده في كتابه فخافه نيزك فأطلق الاسرى وبعث بهم الى قتيبة فوجه اليه قتيبة سليما الناصح مولى عبيد الله بن أبي بكرة يدعوه الى الصلح والى أن يؤمنه وكتب اليه كتابا يحلف فيه بالله لئن لم يقدم عليه ليغزونه ثم ليطلبنه حيث كان لا يقلع عنه حتى يظفر به أو يموت قبل ذلك فقدم سليم على نيزك بكتاب قتيبة وكان يستنصحه فقال له ياسليم ما أظن عند صاحبك خيرا كتب

الىّ كتابا لا يكتب الى مثلى قال له سليم يا أبا الهياج ان هذا رجل شديد فى سلطانه سهل اذا سُوهل صعب اذا عُوسر فلا يمنعك منه غلظة كتابه اليك فما أحسن حالك عنده وعند جميع مضر فقدم نيزك مع ليم على قتيبة فصالحه أهل باذغيس فى سنة ٨٧ على ان لا يدخل باذغيس ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ومعه يزيد ابن جبير فلقى الروم فى عدد كثير بسُوسَنة من ناحية المَصِّيصَة قال الواقدىّ فيها لاقى مسلمةُ ميمونا الجرجانىّ ومع مَسْلمة نحوٌ من ألف مقاتل من أهل انطاكية عند طُوانَة فقتل منهم بشرا كثيرا وفتح الله على يديه حصونا وقيل ان الذى غزا الروم فى هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح الله على يديه حصن بولق وحصن الاخرم وحصن بولس وقمقم وقتل من المستعربة نحوا من ألف مقاتل وسبى ذراريّهم ونساءهم ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا قتيبة بيكند

﴿ذكر الخبر عن غزوته هذه﴾

* ذكر علىّ بن محمد ان أبا الذيّال أخبره عن المهلب بن اياس عن أبيه عن حصين بن مجاهد الرازىّ وهارون بن عيسى عن يونس بن أبى اسحاق وغيرهم ان قتيبة لما صالح نيزك أقام الى وقت الغزو ثم غزا فى تلك السنة سنة ٨٧ بيكند فسار من مرو وأتى مرورُوذ ثم أتى آمل ثم مضى الى زَمّ فقطع النهر وسار الى بيكند وهى أدنى مدائن بُخارى الى النهر يقال لها مدينة التجار على رأس المفازة من بخارى فلما نزل بعقوتهم استنصروا الصغد واستمدّوا من حولهم فأتوهم فى جمع كثير وأخذوا بالطريق فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل اليه رسول ولم يجر له خبر شهرين وأبطأ خبره على الحجاج فأشفق الحجاج على الجند فأمر الناس بالدعاء لهم فى المساجد وكتب بذلك الى الامصار وهم يقتتلون فى كل يوم قال وكان لقتيبة عين يقال له تنذر من العجم فأعطاه أهل بخارى الأعلى مالا على أن يفئ عنهم قتيبة فأتاه فقال أخلنى فنهض الناس واحتبس قتيبة ضرار بن حصين الضبّى فقال تنذر هذا عامل يقدم عليك وقد عزل الحجاج فلو انصرفت بالناس الى مرو فدعا قتيبة سيّاه مولاه فقال اضرب عنق تنذر فقتله ثم قال لضرار لم يبق أحد يعلم هذا الخبر غيرى وغيرك وإنى أعطى الله عهدا إن ظهر هذا الحديث من أحد حتى تنقضى حربنا هذه لأحقنك به فاملك لسانك فإن انتشار هذا الحديث يفتّ فى اعضاد الناس ثم أذن للناس قال فدخلوا فراعهم قتل تنذر فوجموا وأطرقوا فقال قتيبة ما يرى وعكم من قتل عبدٍ أحانه الله قالوا إنا كنا نظنه ناصحا للمسلمين قال بل كان غاشا فأحانه الله بذنبه فقد مضى لسبيله فاغدوا على قتال عدوكم والقَوْهم بغير ما كنتم تلقونهم به فغدا الناس متأهبين وأخذوا مصافهم ومشى قتيبة فحضّ أهل الرايات فكانت بين الناس مشاولة ثم تزاحفوا والتقوا وأخذت السيوف مأخذها

وانزل

وأنزل الله على المسلمين الصبر فقاتلوهم حتى زالت الشمس ثم منح الله المسلمين أكتافهم فانهزموا يريدون المدينة وأتبعهم المسلمون فشغلوهم عن الدخول فتفرقوا وركبهم المسلمون قتلا وأسرا كيف شاؤا واعتصم من دخل المدينة بالمدينة وهم قليل فوضع قتيبة الفعلة في أصل الهدمها فسألوه الصلح فصالحهم واستعمل عليهم رجلا من بني قتيبة وارتحل عنهم يريد الرجوع فلما سار مرحلة أو ثنتين وكان منهم على خمس فراسخ نقضوا وكفروا فقتلوا العامل وأصحابه وجدعوا آنافهم وآذانهم وبلغ قتيبة فرجع اليهم وقد تحصنوا فقاتلهم شهرا ثم وضع الفعلة في أصل المدينة فعلقوها بالخشب وهو يريد اذا فرغ من تعليقها أن يحرق الخشب فتنهدم فسقط الحائط وهم يعلقونه فقتل أربعين من الفعلة فطلبوا الصلح فأبى وقاتلهم فظفر بها عنوة فقتل من كان فيها من المقاتلة وكان فيمن أخذ وافي المدينة رجل أعور كان هو الذي استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة أنا أفدي نفسي فقال له سليم الناصح ما تبذل قال خمسة آلاف حريرة صينية قيمتها ألف ألف فقال قتيبة ما ترون قالوا نرى ان فداءه زيادة في غنائم المسلمين وما عسى أن يبلغ من كيده هذا قال لا والله لا تروع بك مسلمة أبدا وأمر به فقتل * قال علي قال أبو الذيال عن المهلب بن اياس عن أبيه والحسن بن رشيد عن طفيل بن مرداس ان قتيبة لما فتح بيكند أصابوا فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى فولى الغنائم والقسم عبد الله بن وألان العدوي أحد بني ملكان وكان قتيبة يسميه الأمين بن الأمين وإياس بن بهيس الباهلي فأذابا الآنية والأصنام فرفعاه الى قتيبة ورفعا اليه خبث ما أذابا فوهبه لهما فأعطيا به أربعين ألفا فأعلماه فرجع فيه وأمرهما أن يذيباه فأذاباه فخرج منه خمسون ومائة ألف مثقال أو خمسون ألف مثقال وأصابوا في بيكند شيأ كثيرا وصار في أيدي المسلمين من بيكند شيء لم يصيبوا مثله بخراسان ورجع قتيبة الى مرو وقوي المسلمون فاشتروا السلاح والخيل وجلبت اليهم الدواب وتنافسوا في حسن الهيئة والعدة وغالوا بالسلاح حتى بلغ الرمح سبعين وقال الكميت

ويوم بيكند لا تحصى عجائبه * وما بخارا مما أخطأ العدد

وكان في الخزائن سلاح وآلة من آلة الحرب كثيرة فكتب قتيبة الى الحجاج يستأذنه في دفع ذلك السلاح الى الجند فأذن له فأخرجوا ما كان في الخزائن من عدة الحرب وآلة السفر فقسمه في الناس فاستعدوا فلما كان أيام الربيع ندب الناس وقال اني أغزيكم قبل أن تحتاجوا الى حمل الزاد وأنتقلكم قبل أن تحتاجوا الى الادفاء فسار في عدة حسنة من الدواب والسلاح فأتى آمل ثم عبر من زم الى بخارى فأتى نومشكث وهي من بخارى فصالحوه قال علي حدثنا أبو الذيال عن أشياخ من بني عدي ان مسلما الباهلي قال لو ألان ان عندي مالا أحب أن أستودعكه قال أتريد أن يكون مكتوما أو لا تكره أن يعلمه الناس قال أحب أن تكتمه قال ابعث به مع رجل تثق به الى موضع كذا وكذا ومره اذا رأى رجلا في ذلك

الموضع أن يضع مامعه وينصرف قال نعم فجعل مسلم المال في خُرج ثم حمله على بغل وقال لمولى له انطلق بهذا البغل الى موضع كذا وكذا فإذا رأيت رجلا جالسا فخل عن البغل وانصرف فانطلق الرجل بالبغل وقد كان وألان أتى الموضع ليعاده فأبطأ عليه رسول مسلم ومضى الوقت الذى وعده فظن انه قد بدا له فانصرف وجاء رجل من بنى تغلب فجلس في ذلك الموضع وجاء مولى مسلم فرأى الرجل جالسا فخلى عن البغل ورجع فقام التغلبى الى البغل فلما رأى المال ولم ير مع البغل أحدا قاد البغل الى منزله فأخذ البغل وأخذ المال فظن مسلم ان المال قد صار الى وألان فلم يسأل عنه حتى احتاج اليه فلقيه فقال مالى فقال ماقبضت شيأ ولا لك عندى مال فكان مسلم يشكوه ويتنقصه قال فأتى يوما مجلس بنى ضبيعة فشكاه والتغلبى جالس فقام اليه فخلا به وسأله عن المال فأخبره فانطلق به الى منزله وأخرج الخُرج فقال أتعرفه قال نعم قال والخاتم قال نعم قال اقبض مالك وأخبره الخبر فكان مسلم يأتى الناس والقبائل التى كان يشكو اليهم وألان فيعذره ويخبرهم الخبر وفي وألان يقول الشاعر

لست كوألان الذى ساد بالتُقى * ولست كعمران ولا كالمهلب

وعمران بن الفصيل البرجمى ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة فيما حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر عمر بن عبد العزيز وهو أمير على المدينة وكان على قضاء المدينة في هذه السنة أبو بكر بن عمرو بن حزم من قبل عمر بن عبد العزيز وكان على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وخليفته على البصرة في هذه السنة فيما قيل الجراح بن عبد الله الحكمى وعلى قضائها عبد الله بن أذينة وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جرير ابن عبد الله وعلى قضائها أبو بكر بن أبى موسى الأشعرى وعلى خراسان قتيبة بن مسلم

﴿ثم دخلت سنة ثمان وثمانين﴾

﴿ذكر ما كان فيها من الأحداث﴾

فمن ذلك ما كان من فتح الله على المسلمين حصنا من حصون الروم يُدعى طوانة فى جمادى الآخرة وشتوا بها وكان على الجيش مَسْلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك * فذكر محمد بن عمر الواقدى أن ثور بن يزيد حدثه عن أصحابه قال كان فتح طوانة على يدى مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد وهزم المسلمون العدو يومئذ هزيمة صاروا الى كنيستهم ثم رجعوا فانهزم الناس حتى ظنوا ألا يجتبروها أبدا وبقى العباس معه نفير منهم ابن محيريز الجمحى فقال العباس لابن مُحيريز أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة فقال ابن محيريز نادهم يأتوك فنادى العباس يا أهل القرآن فأقبلوا جميعا فهزم الله العدو حتى دخلوا طوانة وكان الوليد بن عبد الملك ضرب

البعث على أهل المدينة في هذه السنة * فذكر محمد بن عمر عن أبيه أن مخرمة بن سليمان الوالبي قال ضرب عليهم بعث ألفين وانهم تجاعلوا فخرج ألف وخمسمائة وتخلف خمسمائة فغزوا الصائفة مع مسلمة والعباس وهما على الجيش وانهم شتوا بطوانة وافتتحوها ﴿وفيها﴾ ولد الوليد بن يزيد بن عبد الملك ﴿وفيها﴾ أمر الوليد بن عبد الملك بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدم بيوت ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وادخالها في المسجد فذكر محمد بن عمران محمد بن جعفر بن وردان البناء قال رأيت الرسول الذي بعثه الوليد بن عبد الملك قدم في شهر ربيع الأول سنة ٨٨ قدم معتجرا فقال الناس ماقدم به الرسول فدخل على عمر بن عبد العزيز بكتاب الوليد يأمره بادخال حُجَر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله وأن يشترى مافي مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ويقول له قدم القبلة ان قدرت وأنت تقدر لمكان اخوالك فانهم لايخالفونك فمن أبى منهم فرد أهل المصر فليقوموا له قيمة عدل ثم اهدم عليهم وادفع اليهم الأثمان فان لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان فأقرأهم كتاب الوليد وهم عنده فاجاب القوم الى الثمن فاعطاهم اياه وأخذ في هدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناء المسجد فلم يمكث الا يسيرا حتى قدم الفعلة بعث بهم الوليد (قال محمد بن عمر) وحدثني موسى بن يعقوب عن عمه قال رأيت عمر بن عبد العزيز يهدم المسجد ومعه وجوه الناس القاسم وسالم وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وخارجة بن زيد وعبد الله بن عبد الله بن عمر يرونه أعلاما في المسجد ويقدرونه فاسسوا أساسه (قال محمد بن عمر) وحدثني يحيى بن النعمان الغفاري عن صالح بن كيسان قال لما جاء كتاب الوليد من دمشق سار خمس عشرة بهدم المسجد تجرد عمر ابن عبد العزيز قال صالح فاستعملني على هدمه وبنائه فهدمناه بعمال المدينة فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حتى قدم علينا الفعلة الذين بعث بهم الوليد (قال محمد) وحدثني موسى بن أبي بكر عن صالح بن كيسان قال ابتدأنا بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر من سنة ٨٨ وبعث الوليد الى صاحب الروم يعلمه انه أمر بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يعينه فيه فبعث اليه بمائة ألف مثقال ذهب وبعث اليه بمائة عامل وبعث اليه من الفسيفساء باربعين حملا وأمر أن يتتبع الفسيفساء في المدائن التي خربت فبعث بها الى الوليد فبعث بذلك الوليد الى عمر بن عبد العزيز ﴿وفي هذه السنة﴾ ابتدأ عمر بن عبد العزيز في بناء المسجد ﴿وفيها﴾ غزا أيضا مسلمة الروم ففتح على يديه حصون ثلاثة حصن قسطنطين وغزاله وحصن الأخرم وقتل من المستعربة نحوا من ألف مع سبي الذرية وأخذ الأموال ﴿وفي هذه السنة﴾ غزا قتيبة نومشكث ورامينه

﴿ذكر الخبر عما كان من خبر غزوته هذه﴾

* ذكر علي بن محمد ان المفضل بن محمد أخبره عن أبيه ومصعب بن حيان عن مولى لهم أدرك ذلك ان قتيبة غزا ومشكث في سنة ٨٨ وا تخلف على مرو بشار بن مسلم فتلقاه أهلها فصالحهم ثم صار الى راميثنه فصالحه أهلها فانصرف عنهم وزحف اليه الترك معهم السغد وأهل فرغانة فاعترضوا المسلمين في طريقهم فلحقوا عبد الرحمن بن مسلم الباهلي وهو على الساقة بينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل فلما قربوا منه أرسل رسولا الى قتيبة يخبره وغشيه الترك فقاتلوه وأتى الرسول قتيبة فرجع بالناس فانتهى الى عبد الرحمن وهو يقاتلهم وقد كاد الترك يستعلونهم فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصبروا وقاتلوهم الى الظهر وأبلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة فهزم الله الترك وفض جمعهم ورجع قتيبة يريد مرو وقطع النهر من الترمذ يريد بلخ ثم أتى مرو وقال الباهليون لقي الترك المسلمين عليهم كور بغانون التركي ابن أخت ملك الصين في مائتي ألف فاظهر الله المسلمين عليهم ﴿وفي هذه السنة﴾ كتب الوليد بن عبد الملك الى عمر بن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحفر الآبار في البلدان (قال محمد بن عمر) حدثني ابن أبي سبرة قال حدثني صالح بن كيسان قال كتب الوليد الى عمر في تسهيل الثنايا وحفر الآبار بالمدينة وخرجت كتبه الى البلدان بذلك وكتب الوليد الى خالد بن عبد الله بذلك قال وحبس المجذمين عن أن يخرجوا على الناس وأجرى عليهم أرزاقا وكانت تجرى عليهم وقال ابن أبي سبرة عن صالح بن كيسان قال كتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز أن يعمل الفوارة التي عند دار يزيد بن عبد الملك اليوم فعملها عمر وأجرى ماءها فلما حج الوليد وقف عليها فنظر الى بيت الماء والفوارة فاعجبته وأمر لها بقوام يقومون عليها وأن يسقى أهل المسجد منها ففعل ذلك ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز في رواية محمد بن عمر * ذكر ان محمد بن عبد الله بن جبير مولى لبني العباس حدثه عن صالح بن كيسان قال خرج عمر بن عبد العزيز تلك السنة يعني سنة ٨٨ بعدة من قريش أرسل اليهم بصلات وظهر للحمولة وأحرموا معه من ذي الحليفة وساق معه بدنا فلما كان بالتنعيم لقيهم نفر من قريش منهم ابن أبي مليكة وغيره فاخبروه ان مكة قليلة الماء وانهم يخافون على الحاج العطش وذلك أن المطر قل فقال عمر فالمطلب ههنا بين تعالوا ندع الله قال فرأيتهم دعوا ودعا معهم فما حالوا في الدعاء قال صالح فلا والله ان وصلنا الى البيت ذلك اليوم الا مع المطر حتى كان مع الليل وسكبت السماء وجاء سيل الوادي فجاء أمر خافه أهل مكة ومطرت عرفة ومنى وجمع فما كانت الا عبرا قال ونبتت مكة تلك السنة للخصب * وأما أبو معشر فانه قال حج بالناس سنة ٨٨ عمر بن الوليد بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه وكانت العمال على الامصار في هذه السنة العمال الذين ذكرنا انهم كانوا عمالها في سنة ٨٧

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثمانين ﴾

﴿ ذكر الخبر عن الاحداث التي كانت فيها ﴾

فمن ذلك افتتاح المسلمين في هذه السنة حصن سورية وعلى الجيش مسلمة بن عبد الملك زعم الواقدي ان مسلمة غزا في هذه السنة أرض الروم ومعه العباس بن الوليد ودخلاها جميعا ثم تفرّقا ففتح مسلمة حصن سورية وافتتح العباس اذرولية ووافق من الروم جمعا فهزمهم وأما غير الواقدي فانه قال قصد مسلمة عمورية فوافق بها الروم جمعا كثيرا فهزمهم الله وافتتح هرقلة وقودية وغزا العباس الصائفة من ناحية البذندون ﴿ وفي هذه السنة ﴾ غزا قتيبة بخارى ففتح راميثنه * ذكر علي بن محمد عن الباهليين انهم قالوا ذلك وأن قتيبة رجع بعد ما فتحها في طريق بلخ فلما كان بالفارياب أتاه كتاب الحجاج أن ردّ وردان خذاه فرجع قتيبة سنة ٨٩ فاتى زم فقطع النهر فلقيه السغد وأهل كس ونسف في طريق المفازة فقاتلوه فظفر بهم ومضى الى بخارى فنزل خرقانة السفلى عن يمين وردان فلقوه بجمع كثير فقاتلهم يومين وليلتين ثم أعطاه الله الظفر عليهم فقال نهار بن توسعة

وباتت لهم منا بخرقان ليلة * وليلتنا كانت بخرقان أطولا

قال علي أخبرنا أبو الذيال عن المهلب بن اياس وأبو العلاء عن ادريس بن حنظلة ان قتيبة غزا وردان خذاه ملك بخارى سنة ٨٩ فلم يطقه ولم يظفر من البلد بشيء فرجع الى مرو وكتب الى الحجاج بذلك فكتب اليه الحجاج أن صوّرها لي فبعث اليه بصورتها فكتب اليه الحجاج أن ارجع الى مراغتك فتب الى الله مما كان منك وأتها من مكان كذا وكذا وقيل كتب اليه الحجاج ان كس بكس وانسف نسفا وردّ وردان واياك والتعويط ودعني من بنيات الطريق ﴿ وفي هذه السنة ﴾ ولى خالد بن عبد الله القسري مكة فيما زعم الواقدي وذكر ان عمر بن صالح حدثه عن نافع مولى بني مخزوم قال سمعت خالد بن عبد الله يقول على منبر مكة وهو يخطب أيها الناس أيهما أعظم أخليفة الرجل على أهله أم رسوله اليهم والله لولم تعلموا فضل الخليفة ألا ان ابراهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه ملحا أجاجا واستسقاه الخليفة فسقاه عذبا فراتا بئرا حفرها الوليد بن عبد الملك بالثنيتين ثنية طوى وثنية الحجون فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من أدم الى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم قال ثم غارت البئر فذهبت فلا يدرى أين هي اليوم ﴿ وفيها ﴾ غزا مسلمة بن عبد الملك الترك حتى بلغ الباب من ناحية آذربيجان ففتح حصونا ومدائن هنالك ﴿ وحج ﴾ بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكان العمال في هذه السنة على الامصار العمال في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل

﴿ ثم دخلت سنة تسعين ﴾

﴿ ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها ﴾

﴿ ففي هذه السنة ﴾ غزا مسلمة أرض الروم فيما ذكر محمد بن عمر من ناحية سورية ففتح الحصون الخمسة التي بسورية ﴿ وغزا ﴾ فيها العباس بن الوليد قال بعضهم حتى بلغ الارزن وقال بعضهم حتى بلغ سورية وقال محمد بن عمر قول من قال حتى بلغ سورية أصح ﴿ وفيها ﴾ قتل محمد بن القاسم الثقفي داهر بن صصة ملك السند وهو على جيش من قبل الحجاج بن يوسف ﴿ وفيها ﴾ استعمل الوليد قرة بن شريك على مصر موضع عبد الله بن عبد الملك ﴿ وفيها ﴾ أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر فذهبوا به الى ملكهم فاهداه ملك الروم الى الوليد بن عبد الملك ﴿ وفيها ﴾ فتح قتيبة بخارى وهزم جموع العدو بها

﴿ ذكر الخبر عن ذلك ﴾

* ذكر علي بن محمد ان أبا الذيال أخبره عن المهلب بن اياس وأبو العلاء عن ادريس بن حنظلة ان كتاب الحجاج لما ورد على قتيبة يأمره بالتوبة مما كان من انصرافه عن وردان خذاه ملك بخارى قبل الظفر به والمصير اليه ويعرفه الموضع الذي ينبغي له أن يأتي بلده منه خرج قتيبة الى بخارى في سنة ٩٠ غازيا فأرسل وردان خذاه الى السغد والترك ومن حولهم يستنصرونهم فأتوهم وقد سبق اليها قتيبة فحصرهم فلما جاءتهم أمدادهم خرجوا اليهم ليقاتلوهم فقالت الأزد اجعلونا على حدة وخلوا بيننا وبين قتالهم فقال قتيبة تقدموا فتقدموا يقاتلونهم وقتيبة جالس عليه رداء أصفر فوق سلاحه فصبروا جميعا مليا ثم جال المسلمون وركبهم المشركون فحطموهم حتى دخلوا في عسكر قتيبة وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكين فكروا راجعين وانطوت مجنبتا المسلمين على الترك فقاتلوهم حتى ردوهم الى مواقفهم فوقف الترك على نشز فقال قتيبة من يزيلهم لنا عن هذا الموضع فلم يقدم عليهم أحد والأحياء كلها وقوف فمشى قتيبة الى بني تميم فقال يا بني تميم انكم أنتم بمنزلة الحطيمة فيوم كأيامكم أبى لكم الفداء قال فأخذ وكيع اللواء بيده وقال يا بني تميم أتسلمونني اليوم قالوا لا يا أبا مطرف وهريم بن أبي طحمة المجاشعي على خيل بني تميم ووكيع رأسهم والناس وقوف فأحجموا جميعا فقال وكيع يا هريم قدم ودفع اليه الراية وقال قدم خيلك فتقدم هريم ودب وكيع في الرجال فانتهى هريم الى نهر بينه وبين العدو فوقف فقال له وكيع اقحم يا هريم قال فنظر هريم الى وكيع نظرا لجمل الصؤول وقال أنا أقحم خيلي هذا النهر فإن انكشفت كان هلاكها والله إنك لأحمق قال يا ابن اللخناء ألا أراك تردد أمري وحذفه بعمود كان معه فضرب هريم فرسه فأقحمه وقال ما بعد هذا أشد من هذا وعبر هريم في الخيل وانتهى وكيع الى النهر فدعا بخشب فقنطر النهر وقال لأصحابه من

وطّن منكم نفسه على الموت فليعبر ومن لا فليثبت مكانه فما عبر معه الا ثمانمائة راجل فدبّ فيهم حتى اذا أعيوا أقعدهم فأراحوا حتى دنا من العدو فجعل الخيل مجنبتين وقال لهريم انى مطاعن القوم فاشغلهم عنا بالخيل وقال للناس شدّوا فحملوا فما انثنوا حتى خالطوهم وحمل هريم خيله عليهم فطاعنوهم بالرماح فما كفوا عنهم حتى حدروهم عن موقفهم ونادى قتيبة أما ترون العدو منهزمين فما عبر أحد ذلك النهر حتى ولى العدو منهزمين فأتبعهم الناس ونادى قتيبة من جاء برأس فله مائة قال فزعم موسى بن المتوكل القريعى قال جاء يومئذ أحد عشر رجلا من بنى قريع كل رجل رجل يجئ برأس فيقال له من أنت فيقول قريعى قال فجاء رجل من الأزد برأس فألقاه فقالوا له من أنت قال قريعى قال وجهم بن زحر قاعد فقال كذب والله أصلحك الله انه لابن عمى فقال له قتيبة ويحك ما دعاك الى هذا قال رأيت كل من جاء قال قريعى فظننت أنه ينبغى لكل من جاء برأس أن يقول قريعى قال فضحك قتيبة قال وجرح يومئذ خاقان وابنه ورجع قتيبة الى مرو وكتب الى الحجاج انى بعثت عبد الرحمن بن مسلم ففتح الله على يديه قال وقد شهد الفتح مولى للحجاج فقدم فأخبره الخبر فغضب الحجاج على قتيبة فاغتم لذلك فقال له الناس ابعث وفدا من بنى تميم وأعطهم وأرضهم يخبروا الأمير أن الأمر على ما كتبت فبعث رجالا فيهم عمران بن شتير الضبى فلما قدموا على الحجاج صاح بهم وعابهم ودعا بالحجام بيده مقراض فقال لأقطعن ألسنتكم أو لتصدقنى فقالوا الأمير قتيبة وبعث عليهم عبد الرحمن فالفتح للأمير والرأس الذى يكون على الناس وكلمه بهذا عمران بن شتير فسكن الحجاج ﴿وفى هذه السنة﴾ جدد قتيبة الصلح بينه وبين طرخون ملك السغد

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

* قال على ذكر أبو السرى عن الجهم الباهلى قال لما أوقع قتيبة بأهل بخارى فض جمعهم هابه أهل السغد فرجع طرخون ملك السغد ومعه فارسان حتى وقف قريبا من عسكر قتيبة وبينهما نهر بخارى فسأل أن يبعث اليه رجلا يكلمه فأمر قتيبة رجلا فدنا منه وأما الباهليون فيقولون نادى طرخون حيان النبطى فأتاه فسألهم الصلح على فدية يؤديها اليهم فأجابه قتيبة الى ما طلب وصالحه وأخذ منه رهنا حتى يبعث اليه بما صالحه عليه وانصرف طرخون الى بلاده ورجع قتيبة ومعه نيزك ﴿وفى هذه السنة﴾ غدر نيزك فنقض الصلح الذى كان بينه وبين المسلمين وامتنع بقلعته وعاد حربا فغزاه قتيبة

﴿ذكر الخبر عن سبب غدره وسبب الظفر به﴾

* قال على ذكر أبو الذيال عن المهلب بن اياس والمفضل الضبى عن أبيه وعلى بن مجاهد وكليب بن خلف العمى كل قد ذكر شيأ فألفته وذكر الباهليون شيأ فألحقته فى خبر

هؤلاء وألفته أن قتيبة فصل من بخارى ومعه نيزك وقد ذعره ما قد رأى من الفتوح وخاف قتيبة فقال لأصحابه وخاصته متهم أنا مع هذا ولست آمنه وذلك أن العربى بمنزلة الكلب اذا ضربته نبح واذا أطعمته بصبص واتبعك واذا غزوته ثم أعطيته شيأ رضى ونسى ما صنعت به وقد قاتله طرخون مرازا فلما أعطاه فدية قبلها ورضى وهو شديد السطوة فاجر فلو استأذنت ورجعت كان الرأى فالوا استأذنه فلما كان قتيبة بالمل استأذنه فى الرجوع الى تخارستان فأذن له فلما فارق عسكره متوجها الى بلخ قال لأصحابه أغذوا السير فسار واسيرا شديدا حتى أتوا النوبهار فنزل يصلى فيه ويتبرك به وقال لأصحابه انى لأشك أن قتيبة قد ندم حين فارقنا عسكره على اذنه لى وسيقدم الساعة رسوله على المغيرة ابن عبد الله يأمره بحبسى فأقيموا ربيئة تنظر فاذا رأيتم الرسول قد جاوز المدينة وخرج من الباب فإنه لا يبلغ البروقان حتى نبلغ تخارستان فيبعث المغيرة رجلا فلا يدركنا حتى ندخل شعب خلم ففعلوا قال وأقبل رسول من قبل قتيبة الى المغيرة يأمره بحبس نيزك فلما مر الرسول الى المغيرة وهو بالبروقان ومدينة بلخ يومئذ خراب ركب نيزك وأصحابه فمضوا وقدم الرسول على المغيرة فركب بنفسه فى طلبه فوجده قد دخل شعب خلم فانصرف المغيرة وأظهر نيزك الخلع وكتب الى أصبهبذ بلخ والى باذام ملك مرو رود والى سهرك ملك الطالقان والى ترسل ملك الفارياب والى الجوزجانى ملك الجوزجان يدعوهم الى خلع قتيبة فأجابوه وواعدهم الربيع أن يجمعوا ويغزوا قتيبة وكتب الى كابل شاه يستظهر به وبعث اليه بثقله وماله وسأله إن يأذن له أن اضطر اليه أن يأتيه ويؤمنه فى بلاده فأجابه الى ذلك وضم ثقله قال وكان جيغويه ملك تخارستان ضعيفا واسمه الشذ فأخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب مخافة أن يشغب عليه وجيغويه ملك تخارستان ونيزك من عبيده فلما استوثق منه وضع عليه الرقباء وأخرج عامل قتيبة من بلاد جيغويه وكان العامل محمد بن سليم الناصح وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء وقد تفرق الجند فلم يبق مع قتيبة الا أهل مرو فبعث عبد الرحمن أخاه الى بلخ فى اثنى عشر ألفا الى البروقان وقال أقم بها ولا تحدث شيأ فإذا حسر الشتاء فعسكر وسر نحو تخارستان واعلم انى قريب منك فسار عبد الرحمن فنزل البروقان وأمهل قتيبة حتى اذا كان فى آخر الشتاء كتب الى أبرشهر وبيورد وسرخس وأهل هراة ليقدموا عليه فقدموا قبل أوانهم الذى كانوا يقدمون عليه فيه ﴿ وفى هذه السنة ﴾ أوقع قتيبة بأهل الطالقان بخراسان فيما قال بعض أهل الأخبار فقتل من أهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم سماطين أربعة فراسخ فى نظام واحد

﴿ ذكر الخبر عن سبب ذلك ﴾

وكان السبب فى ذلك فيما ذكر ان نيزك طرخان لما غدر وخلع قتيبة وعزم على حربه طابقه

على حربه ملك الطالقان وواعده المصير اليه مع من استجاب للنهوض معه من الملوك لحرب قتيبة فلما هرب نيزك من قتيبة ودخل شعب خلم الذى يأخذ الى طخارستان علم انه لا طاقة له بقتيبة فهرب وسار قتيبة الى الطالقان فأوقع بأهلها ففعل ماذكرت فيما قبل وقد خولف قائل هذا القول فيما قال من ذلك وأنا ذاكره في احداث سنة ٩١ ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال محمد بن عمر وكان عمر بن عبد العزيز في هذه السنة عامل الوليد بن عبد الملك على مكة والمدينة والطائف وعلى العراق والمشرق الحجاج بن يوسف وعامل الحجاج على البصرة الجراح بن عبد الله وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة وعلى الكوفة زياد بن جرير بن عبد الله وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى وعلى خراسان قتيبة بن مسلم وعلى مصر قرة بن شريك ﴿وفي هذه السنة﴾ هرب يزيد بن المهلب وإخوته الذين كانوا معه في السجن مع آخرين غيرهم فلحقوا بسليمان بن عبد الملك مستجيرين به من الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك

﴿ذكر الخبر عن سبب تخلصهم من سجن الحجاج ومسيرهم الى سليمان﴾

(قال هشام) حدثني أبو مخنف عن أبي المخارق الراسبي قال خرج الحجاج الى رستقباذ للبعث لأن الأكراد كانوا قد غلبوا على عامة أرض فارس فخرج يزيد وإخوته المفضل وعبد الملك حتى قدم بهم رستقباذ فجعلهم في عسكره وجعل عليهم كهيئة الخندق وجعلهم في فسطاط قريبا من حجرته وجعل عليهم حرسا من أهل الشأم وأغرمهم ستة آلاف ألف وأخذ يعذبهم وكان يزيد يصبر صبرا حسنا وكان الحجاج يغيظه ذلك فقيل له انه رمي بنشابة فثبت نصلها في ساقه فهو لا يمسها شيء الا صاح فان حركت أدنى شيء سمعت صوته فأمر أن يعذب ويدهق ساقه فلما فعل ذلك به صاح وأخته هند بنت المهلب عند الحجاج فلما سمعت صياح يزيد صاحت وناحت فطلقها ثم انه كف عنهم وأقبل يستأديهم فأخذوا يؤدون وهم يعملون في التخلص من مكانهم فبعثوا الى مروان بن المهلب وهو بالبصرة يأمرونه أن يضمر لهم الخيل ويرى الناس انه انما يريد بيعها ويعرضها على البيع ويغلي بها لئلا تشترى فتكون لنا عدة ان نحن قدرنا على أن نجوم مما ههنا ففعل ذلك مروان وحبيب بالبصرة يعذب أيضا وأمر يزيد بالحرس فصنع لهم طعام كثير فأكلوا وأمر بشراب فسقوا فكانوا متشاغلين به ولبس يزيد ثياب طباخه ووضع على لحيته لحية بيضاء وخرج فرآه بعض الحرس فقال كأن هذه مشية يزيد فجاء حتى استعرض وجهه ليلا فرأى بياض اللحية فانصرف عنه فقال هذا شيخ وخرج المفضل على أثره ولم يفطن له فجاؤا الى سفنهم وقد هيأوها في البطائح وبينهم وبين البصرة ثمانية عشر فرسخا فلما انتهوا الى السفن

أبطأ عليهم عبد الملك وشغل عنهم فقال يزيد للمفضل اركب بنا فانه لاحق فقال المفضل وعبد الملك أخوه لأمه وهي بهلة هندية لا والله لا أبرح حتى يجيء ولو رجعت الى السجن فأقام يزيد حتى جاءهم عبد الملك وركبوا عند ذلك السفن فساروا ليلتهم حتى أصبحوا ولما أصبح الحرس علموا بذهابهم فرفع ذلك الى الحجاج وقال الفرزدق في خروجهم

لم أر كالرهط الذين تتابعوا * على الجذع والحراس غير نيام
مضوا وهم مستيقنون بأنهم * الى قدر آجالهم وحمام
وإن منهم إلا يسكن جأشه * بعضب صقيل صارم وحسام
فلما التقوا لم يلتقوا بمنقصه * كبير ولا رخص العظام غلام
بمثل أبيهم حين تمت لدانهم * بخمسين تترى جرأة وتمام

ففزع له الحجاج وذهب وهمه انهم ذهبوا قبل خراسان وبعث البريد الى قتيبة بن مسلم يحذره قدومهم ويأمره أن يستعد لهم وبعث الى أمراء الثغور والكور أن يرصدوهم ويستعدوا لهم وكتب الى الوليد بن عبد الملك يخبره بهربهم وأنه لا يراهم أرادوا الا خراسان ولم يزل الحجاج يظن بيزيد ما صنع كان يقول إني لأظنه يحدث نفسه بمثل الذي صنع ابن الأشعث ولما دنا يزيد من البطائح من موقوع استقبلته الخيل قد هيئت له ولإخوته فخرجوا عليها ومعهم دليل لهم من كلب يقال له عبد الجبار بن يزيد بن الربعة فأخذ بهم على السماوة وأتى الحجاج بعد يومين فقيل له انما أخذ الرجل طريق الشأم وهذه الخيل حسرى في الطريق وقد أتى من رآهم موجهين في البر فبعث الى الوليد يعلمه ذلك ومضى يزيد حتى قدم فلسطين فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي وكان كريما على سليمان وأنزل بعض ثقله وأهله على سفيان بن سليمان الأزدي وجاء وهيب بن عبد الرحمن حتى دخل على سليمان فقال هذا يزيد بن المهلب وإخوته في منزلي وقد أتوك هرابا من الحجاج متعوذين بك قال فأتني بهم فهم آمنون لا يوصل اليهم أبدا وأنا حي فجاء بهم حتى أدخلهم عليه فكانوا في مكان آمن وقال الكلبي دليلهم في مسيرهم

ألا جعل الله الأخلاء كلهم * فداء على ما كان لابن المهلب
لنعم الفتى يا معشر الأزد أسعفت * ركابكم بالوهب شرقي منقب
عدلن يمينا عنهم رمل عالج * وذات يمين القوم أعلام غرب
فإلا تصبح بعد خمس ركابنا * سليمان من أهل اللوى تتأوب
تقر قرار الشمس مما وراءنا * وتذهب في داج من الليل غيهب
بقوم هم كانوا الملوك هدايتهم * بظلماء لم ينصر بها ضوء كوكب

ولا

ولا قرإلا ضئيلا كأنه * سوار حناه صائغ السور مذهب

(قال هشام) فأخبرني الحسن بن أبان العلجي قال بينا عبد الجبار بن يزيد بن الربعة يسري بهم فسقطت عمامة يزيد فقدها فقال يا عبد الجبار ارجع فاطلبها فقال ان مثلي لا يؤمر بهذا فأعاد فأبى فتناوله بالسوط فانتسب له فاستحيا منه فذلك قوله

ألا جعل الله الأخلاء كلهم * فداء على ما كان لابن المهلب

وكتب الحجاج ان آل المهلب خانوا مال الله وهربوا مني ولحقوا بسليمان وكان آل المهلب قدموا على سليمان وقد أمر الناس أن يحتملوا ليسروا الى خراسان لا يرون الا أن يزيد توجه الى خراسان ليفتن من بها فلما بلغ الوليد مكانه عند سليمان هون عليه بعض ما كان في نفسه وطار غضبا بالمال الذي ذهب به وكتب سليمان الى الوليد أن يزيد بن المهلب عندي وقد آمنته وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف كان الحجاج أغرمهم ستة آلاف ألف فأدوا ثلاثة آلاف ألف وبقي ثلاثة آلاف ألف فهي علي فكتب اليه لا والله لا أومنه حتى تبعث به الي فكتب اليه لئن أنا بعثت به اليك لأجيئن معه فأنشدك الله ان تفضحني ولا ان تحفرني فكتب اليه والله لئن جئتني لا أومنه فقال يزيد ابعثني اليه فوالله ما أحب ان أوقع بينك وبينه عداوة وحربا ولا ان يتشاءم بي لكما الناس ابعث اليه بي وأرسل معي ابنك واكتب اليه بألطف ما قدرت عليه فأرسل ابنه أيوب معه وكان الوليد أمره ان يبعث به اليه في وثاق فبعث به اليه وقال لابنه اذا أردت ان تدخل عليه فادخل أنت ويزيد في سلسلة ثم ادخلا جميعا على الوليد ففعل ذلك به حين انتهيا الى الوليد فدخلا عليه فلما رأى الوليد ابن أخيه في سلسلة قال والله لقد بلغنا من سليمان ثم إن الغلام دفع كتاب أبيه الى عمه وقال يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك لا تحفر ذمة أبي وأنت أحق من منعها ولا تقطع منار رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك ولا تذل من رجا العز في الانقطاع الينا العز بابك وقرأ الكتاب لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك أما بعد يا أمير المؤمنين فوالله ان كنت لا ظن لو استجار بي عدو قد نابذك وجاهدك فأنزلته وأجرته أنك لا تذل جاري ولا تحفر جواري بل لم أجر إلا سامعا مطيعا حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته وقد بعثت به اليك فإن كنت انما تغزو قطيعتي والإخفار لذمتي والإبلاغ في مساءتي فقد قدرت إن أنت فعلت وأنا أعيذك بالله من احتراد قطيعتي وانتهاك حرمتي وترك بري ووصلتي فوالله يا أمير المؤمنين ما تدري ما بقائي وبقاؤك ولا متى يفرق الموت بيني وبينك فإن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره ان لا يأتي علينا أجل الوفاة الا وهو لي واصل ولحق مؤد وعن مساءتي نازع فليفعل والله يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشيء من أمر الدنيا بعد تقوى الله فيها بأسر مني برضاك وسرورك وان رضاك مما ألتمس به رضوان الله فان كنت يا أمير المؤمنين تريد يوما من الدهر مسرتي ووصلتي وكرامتي وإعظام حقي فتجاوز لي عن يزيد وكل ما طلبته

به فهو علي فلما قرأ كتابه قال لقد شققنا على سليمان ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه وتكلم يزيد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه ثم قال يا أمير المؤمنين ان بلاءكم عندنا أحسن البلاء فمن ينس ذلك فلسنا ناسيه ومن يكفر فلسنا كافريه وقد كان من بلائنا أهل البيت في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغارب ما ان المنة علينا فيها عظيمة فقال له اجلس فجلس فآمنه وكف عنه ورجع الى سليمان وسعى اخوته في المال الذي عليه وكتب الى الحجاج اني لم أصل الى يزيد وأهل بيته مع سليمان فاكفف عنهم والهَ عن الكتاب الي فيهم فلما رأى ذلك الحجاج كف عنهم وكان أبو عيينة بن المهلب عند الحجاج عليه ألف ألف درهم فتركها له وكف عن حبيب بن المهلب ورجع يزيد الى سليمان بن عبد الملك فأقام عنده يعلمه الهيئة ويصنع له طيب الأطعمة ويهدي له الهدايا العظام وكان من أحسن الناس عنده منزلةً وكان لا تأتي يزيد بن المهلب هديةٌ الا بعث بها الى سليمان ولا تأتي سليمان هديةٌ ولا فائدة الا بعث بنصفها الى يزيد بن المهلب وكان لا تعجبه جارية الا بعث بها الى يزيد الا خطيئة الجارية فبلغ ذلك الوليد بن عبد الملك فدعا الحارث بن مالك بن ربيعة الأشعري فقال انطلق الى سليمان فقل له يا خالفة أهل بيته إن أمير المؤمنين قد بلغه أنه لا تأتيك هدية ولا فائدة الا بعثت الى يزيد بنصفها وانك تأتي الجارية من جواريك فلا ينقضي طهرها حتى تبعث بها الى يزيد وقع ذلك عليه وعيّر به أتراك مبلغا ما أمرتك به قال طاعتك طاعة وانما أنا رسول قال فأنه فقل له ذلك وأقم عنده فإني باعث اليه بهديّة فادفعها اليه وخذ منه البراءة بما تدفع اليه ثم أقبل فمضى حتى قدم عليه وبين يديه المصحف وهو يقرأ فدخل عليه فسلم فلم يرد عليه السلام حتى فرغ من قراءته ثم رفع رأسه اليه فكلمه بكل شيء أمره به الوليد فتمعر وجهه ثم قال أما والله لئن قدرت عليك يوما من الدهر لأقطعن منك طابقا فقال له انما كانت على الطاعة ثم خرج من عنده فلما أتى بذلك الذي بعث به الوليد الى سليمان دخل عليه الحارث بن ربيعة الأشعري وقال له أعطني البراءة بهذا الذي دفعت اليك فقال كيف قلت لي قال لا أعيده عليك أبدا انما كان على فيه الطاعة فسكن وعلم ان قد صدقه الرجل ثم خرج وخرجوا معه فقال خذوا نصف هذه الأعدال وهذه الاسفاط وابعثوا بها الى يزيد قال فعلم الرجل انه لا يطيع في يزيد أحدا ومكث يزيد بن المهلب عند سليمان تسعة أشهر وتوفي الحجاج سنة ٩٥ في رمضان لتسع بقين منه في يوم الجمعة

﴿ ثم دخلت سنة احدى وتسعين ﴾

﴿ ذكر ما كان فيها من الاحداث ﴾

﴿ ففيها ﴾ غزا فيما ذكر محمد بن عمر وغيره الصائفة عبد العزيز بن الوليد وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك ﴿ وفيها ﴾ غزا أيضا مسلمة الترك حتى بلغ الباب من ناحية

آذربيجان ففتح على يديه مدائن وحصون ﴿وفيها﴾ غزا موسى بن نصير الأندلسي ففتح على يديه أيضا مدائن وحصون ﴿وفي هذه السنة﴾ قتل قتيبة بن مسلم نيزك طرخان ﴿رجع الحديث﴾ الى حديث علي بن محمد وقصة نيزك وظفر قتيبة به حتى قتله ولما قدم من كان قتيبة كتب اليه يأمره بالقدوم عليه من أهل أبرشهر وبيورد وسرخس وهراة على قتيبة سار بالناس الى مرو روذ واستخلف على الحرب حماد بن مسلم وعلى الخراج عبد الله بن الأهتم وبلغ مرزبان مرو روذ إقباله الى بلاده فهرب الى بلاد الفرس وقدم قتيبة مرو روذ فأخذ ابنين له فقتلهما وصلبهما ثم سار الى الطالقان فقام صاحبها ولم يحارب فكف عنه وفيها الصوص فقتلهم قتيبة وصلبهم واستعمل على الطالقان عمرو بن مسلم ومضى الى الفاريات فخرج اليه ملك الفاريات مذعنا مقرا بطاعته فرضي عنه ولم يقتل بها أحدا واستعمل عليها رجلا من باهلة وبلغ صاحب الجوزجان خبرهم فترك أرضه وخرج الى الجبال هاربا وسار قتيبة الى الجوزجان فلقيه أهلها سامعين مطيعين فقبل منهم فلم يقتل فيها أحدا واستعمل عليها عامر بن مالك الحمانى ثم أتى بلخ فلقيه الاصبهبذ في أهل بلخ فدخلها فلم يقم بها الا يوما واحدا ثم مضى يتبع عبد الرحمن حتى أتى شعب خلم وقد مضى نيزك فعسكر ببغلان وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضايقه يمنعونه ووضع مقاتلة في قلعة حصينة من وراء الشعب فأقام قتيبة أياما يقاتلهم على مضيق الشعب لا يقدر منهم على شيء ولا يقدر على دخوله وهو مضيق الوادي يجري وسطه ولا يعرف طريقا يفضي به الى نيزك الا الشعب أو مفازة لا تحتمل العساكر فبقي متلددا يلتمس الحيل قال فهو في ذلك اذ قدم عليه الرؤب خان ملك الرؤب وسمنجان فاستأمنه على ان يدله على مدخل القلعة التي وراء هذا الشعب فآمنه قتيبة وأعطاه ما سأله وبعث معه رجالا ليلا فانتهى بهم الى القلعة التي من وراء شعب خلم فطرقوهم وهم آمنون ففتلوهم وهرب من بقي منهم ومن كان في الشعب فدخل قتيبة والناس الشعب فأتى القلعة ثم مضى الى سمنجان ونيزك ببغلان بعين تدعى فنج جاه وبين سمنجان وبغلان مفازة ليست بالشديدة قال فأقام قتيبة بسمنجان أياما ثم سار الى نيزك وقدم أخاه عبد الرحمن وبلغ نيزك فارتحل من منزله حتى قطع وادي فرغانة ووجه ثقله وأمواله الى كابل شاه ومضى حتى نزل الكرز وعبد الرحمن بن مسلم يتبعه فنزل عبد الرحمن وأخذ بمضايق الكرز ونزل قتيبة اسكيمشت بينه وبين عبد الرحمن فرسخان فقهر نيزك في الكرز وليس اليه مسلك الا من وجه واحد وذلك الوجه صعب لا تطيقه الدواب فحصره قتيبة شهرين حتى قل ما في يد نيزك من الطعام وأصابهم الجدري وجدر جيغويه وخاف قتيبة الشتاء فدعا سليما الناصح فقال انطلق الى نيزك واحتل لأن تأتيني به بغير أمان فان أعياك وأبى فآمنه واعلم أني ان عاينتك وليس هو معك صلبتك فاعمل لنفسك قال فاكتب لي الى عبد

الرحمن لايخالفني قال نعم فكتب له الى عبد الرحمن فقدم عليه فقال له ابعث رجالا فليكونوا على فم الشعب فاذا خرجت أنا ونيزك فليعطفوا من ورائنا فيحولوا بيننا وبين الشعب قال فبعث عبد الرحمن خيلا فكانوا حيث أمرهم سليم ومضى سليم وقد حمل معه من الأطعمة التي تبقى أياما والأحبصة أوقارا حتى أتى نيزك فقال له نيزك خذلتني ياسليم قال ماخذلتك ولكنك عصيتني وأسأت بنفسك خلعت وغدرت قال فبالرأي قال الرأي ان تأتيه فقد أحكمته وليس ببارح موضعه هذا قد اعتزم على ان يشتو بمكانه هلك أوسلم قال آتيه على غير أمان قال ماأظنه يؤمنك لما في قلبه عليك فانك قد ملأته غيظا ولكني أرى ان لايعلم بك حتى تضع يدك في يده فاني أرجو ان فعلت ذاك أن يستحي ويعفو عنك قال أترى ذلك قال نعم قال ان نفسي لتأبى هذا وهو إن رآني قتلني فقال له سليم ماأتيتك الا لأشير عليك بهذا ولو فعلت لرجوت ان تسلم وان تعود حالك عنده الى ما كانت فأما اذا أبيت فإني منصرف قال فتغديك اذا قال اني لأظنكم في شغل عن تهيئة الطعام ومعنا طعام كثير قال ودعا سليم بالغداء فجاؤا بطعام كثير لاعهد لهم بمثله منذ حصر وافانتهبه الأتراك ففهم ذلك نيزك وقال سليم ياأبا الهياج انالك من الناصحين أرى أصحابك قد جهدوا وإن طال بهم الحصار وأقمت على حالك لم آمنهم أن يستأمنوا بك فانطلق وأت قتيبة قال ماكنت لآمنه على نفسي ولا آتيه على غير أمان فإن ظني به انه قاتلي وإن آمنني ولكن الأمان أعذر لي وأرجى قال فقد آمنك افتتهمني قال لا قال فانطلق معي قال له أصحابه اقبل قول سليم فلم يكن ليقول الا حقا فقد عابد وابه وخرج مع سليم فلما انتهى الى الدرجة التي يهبط منها الى قرار الأرض قال ياسليم من كان لايعلم متى يموت فإني أعلم متى أموت أموت اذا عاينت قتيبة قال كلا أيقتلك مع الامان فركب ومضى معه جيغويه وقد برأمن الجدري وصول وعثمان ابنا أخي نيزك وصول طرخان خليفة جيغويه وخنس طرخان صاحب شرطه قال فلما خرج من الشعب عطفت الخيل التي خلفها سليم على فوهة الشعب فحالوا بين الأتراك وبين الخروج فقال نيزك لسليم هذا أول الشر قال لاتفعل تخلف هؤلاء عنك خير لك وأقبل سليم ونيزك ومن خرج معه حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مسلم فأرسل رسولا الى قتيبة يعلمه فأرسل قتيبة عمرو بن أبي مهزم الى عبد الرحمن أن أقدم بهم علي فقدم بهم عبد الرحمن عليه فحبس أصحاب نيزك ودفع نيزك الى ابن بسام الليثي وكتب الى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك فجعل ابن بسام نيزك في قبته وحفر حول القبة خندقا ووضع عليه حرسا ووجه قتيبة معاوية بن عامر بن علقمة العلمي فاستخرج ما كان في الكنز من متاع ومن كان فيه وقدم به على قتيبة فحبسهم ينتظر كتاب الحجاج فيما كتب اليه فأتاه كتاب الحجاج بعد أربعين يوما يأمره بقتل نيزك قال فدعا به فقال هل لك عندي عقد أوعند عبد الرحمن أوعند سليم قال لي عند سليم قال كذبت وقام فدخل

وردّ نيزك الى حبسه فمكث ثلاثة أيام لا يظهر للناس قال فقال المهلب بن اياس العدوى وتكلم الناس في أمر نيزك فقال بعضهم ما يحل له ان يقتله وقال بعضهم ما يحل له تركه وكثرت الأقاويل فيه قال وخرج قتيبة اليوم الرابع فجلس وأذن للناس فقال ما ترون في قتل نيزك فاختلفوا فقال قائل اقتله وقال قائل أعطيته عهدا فلا تقتله وقال قائل ما أمنه على المسلمين ودخل ضرار بن حصين الضبي فقال ما تقول يا ضرار قال أقول انى سمعتك تقول أعطيت الله عهدا ان أمكنك منه ان تقتله فان لم تفعل لا ينصرنك الله عليه أبدا فأطرق قتيبة طويلا ثم قال والله لو لم يبق من أجلى الا ثلاث كلمات لقلت اقتلوه اقتلوه اقتلوه وأرسل الى نيزك فأمر بقتله وأصحابه ففتل مع سبعمائة وأما الباهليون فيقولون لم يؤمنه ولم يؤمنه سليم فلما أراد قتله دعا به ودعا بسيف حنفي فانتضاه وطول كميه ثم ضرب عنقه بيده وأمر عبد الرحمن فضرب عنق صول وأمر صالحا فقتل عثمان ويقال شقران ابن أخي نيزك وقال لبكر بن حبيب السهمي من باهلة هل بك قوة قال نعم وأريد وكانت في بكر أعرابية فقال دونك هؤلاء الدهاقين قال وكان اذا أتى برجل ضرب عنقه وقال أوردوا ولا تصدروا فكان من قتل يومئذ اثنا عشر ألفا في قول الباهليين وصلب نيزك وابنى أخيه في أصل عين تدمى وخش خاشان في اسكيمشت فقال المغيرة بن حبناء يذكر ذلك في كلمة له طويلة

لعمرى لنعمت غزوة الجند غزوة * قضت نحبها من نيزك وتعلت

قال على أخبرنا مصعب بن حيان عن أبيه قال بعث قتيبة برأس نيزك مع مخفن بن جزء الكلابي وسوار بن زهدم الجرمي فقال الحجاج ان كان قتيبة لحقيقا ان يبعث برأس نيزك مع ولد مسلم فقال سوار

أقول لمخفن وجرى سنيح * وآخر بارح من عن يميني
وقد جعلت بوائق من أمور * ترفع حوله وتكف دوني
نشدتك هل يسرك أن سرجي * وسرجك فوق أبغل باذبين

قال فقال مخفن نعم وبالصين قال على أخبرنا حمزة بن ابراهيم وعلى بن مجاهد عن حنبل بن أبى حريدة عن مرزبان قهستان وغيرهما ان قتيبة دعا يوما بنيزك وهو محبوس فقال ما رأيك في السبل والشذ أتراهما يأتيان إن أرسلت اليهما قال لا قال فأرسل اليهما قتيبة فقدما عليه ودعا نيزك وجيغويه فدخلا فاذا السبل والشذ بين يديه على كرسيين فجلسا بإزائهما فقال الشذ لقتيبة إن جيغويه وإن كان لى عدوا فهو أسن منى وهو الملك وأنا كعبده فأذن لى أدن منه فأذن له فدنا منه فقبل يده وسجد له قال ثم استأذنه في السبل فأذن له فدنا منه فقبل يده فقال نيزك لقتيبة ائذن لى أدن من الشذ فانى عبده فأذن له فدنا منه فقبل يده ثم أذن قتيبة للسبل والشذ فانصرفا الى بلادهما وضم الى الشذ الحجاج القينى وكان من وجوه

أهل خراسان وقتل قتيبة نيزك فأخذ الزبير مولى عباس الباهلي خفا لنيزك فيه جوهر وكان أكثر من في بلاده مالا وعقارا من ذلك الجوهر الذي أصابه في خفه فسوغه اياه قتيبة فلم يزل موسرا حتى هلك بكابل في ولاية أبي داود قال وأطلق قتيبة جيغويه ومن عليه وبعث به الى الوليد فلم يزل بالشأم حتى مات الوليد ورجع قتيبة الى مرو واستعمل أخاه عبد الرحمن على بلخ فكان الناس يقولون غدر قتيبة بنيزك فقال ثابت قطنة

لا تحسبن الغدر حزما فربما * ترقت به الأقدام يوما فزلت

وقال وكان الحجاج يقول بعثت قتيبة فتى غرا فازدنه ذراعا الا زادني باعا قال علي أخبرنا حمزة بن ابراهيم عن أشياخ من أهل خراسان وعلي بن مجاهد عن حنبل بن أبي حريدة عن مرزبان قهستان وغيرهما ان قتيبة بن مسلم لما رجع الى مرو وقتل نيزك طلب ملك الجوزجان وكان قد هرب عن بلاده فأرسل يطلب الأمان فأمنه على ان يأتيه فيصالحه فطلب رهنا يكونون في يديه ويعطي رهائن فأعطى قتيبة حبيب بن عبد الله بن عمرو بن حصين الباهلي وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته فخلف ملك الجوزجان حبيبا بالجوزجان في بعض حصونه وقدم على قتيبة فصالحه ثم رجع فمات بالطالقان فقال أهل الجوزجان سموه فقتلوا حبيبا وقتل قتيبة الرهن الذين كانوا عنده فقال نهار بن توسعة لقتيبة

أراك الله في الأتراك حكما * كحكم في قريظة والنضير
قضاء من قتيبة غير جور * به يشفى الغليل من الصدور
فان يرنيزك خزيا وذلا * فكم في الحرب حمق من أمير

وقال المغيرة بن حبناء يمدح قتيبة ويذكر قتل نيزك وصول وابن أخي نيزك عثمان أو شقران

لمن الديار عفت بسفح سنام * الا بقيـــة أبصر وثمام
عصف الرياح ذيولها فمحونها * وجرين فوق عراصها بتمام
دار لجارية كأن رضابها * مسك يشاب مزاجه بمدام
أبلغ أبا حفص قتيبة مدحتي * واقرأ عليه تحيتي وسلامي
ياسيف أبلغها فان ثناءها * حسن وانك شاهد لمقامي
يسمو فتنضع الرجال اذا سما * لقتيبة الحامي حمى الاسلام
لأغر منتجب لكل عظيمة * نخر يباح به العدو لهام
يمضي اذا هاب الجبان وأحجمت * حرب تسعر نارها بضرام
تروى القناة مع اللواء أمامه * تحت اللوامع والنحور دوام
والهام تفريه السيوف كأنه * بالقاع حين تراه قيض نعام

وترى الجياد معا الجياد ضوامرا * بفنائه لحوادث الأيام
وبهن أنزل نيزك كامن شاهق * والكرز حيث يروم كل مرام
وأخاه شقرانا سقيت بكأسه * وسقيت كاسهما أخا باذام
وتركت صولاحين صال مجدلا * يركبنه بدوابر وحوام

﴿وفي هذه السنة﴾ أعني سنة ٩١ غزا قتيبة شومان وكس ونسف غزوته الثانية وصالح طرخان

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

قال علي أخبرنا بشر بن عيسى عن أبي صفوان وأبو السري وجبلة بن فروخ عن سليمان بن مجالد والحسن بن رشيد عن طفيل بن مرداس العمي وأبو السري المروزي عن عمه وبشر ابن عيسى وعلي بن مجاهد عن حنبل بن أبي حريدة عن مرزبان قهستان وعياش بن عبد الله الغنوي عن أشياخ من أهل خراسان قال وحدثني ظئري كل قد ذكر شيأ فألفته وأدخلت من حديث بعضهم في حديث بعض أن فيلسنشب باذ ق وقال بعضهم غيلشتان ملك شومان طرد عامل قتيبة ومنع الفدية التي صالح عليها قتيبة فبعث اليه قتيبة عياشا الغنوي ومعه رجل من نساك أهل خراسان يدعو ان ملك شومان الى أن يؤدي الفدية على ما صالح عليه قتيبة فقدما البلد فخرجوا اليهما فرموهما فانصرف الرجل وأقام عياش الغنوي فقال أما ههنا مسلم فخرج اليه رجل من المدينة فقال أنا مسلم فما تريد قال تعينني على جهادهم قال نعم فقال له عياش كن خلفي لتمنع لي ظهري فقام خلفه وكان اسم الرجل المهلب فقاتلهم عياش فحمل عليهم فتفرقوا عنه وحمل المهلب على عياش من خلفه فقتله فوجدوا به ستين جراحة فعمهم قتله وقالوا قتلنا رجلا شجاعا وبلغ قتيبة فساء اليهم بنفسه وأخذ طريق بلخ فلما أتاها قدم أخاه عبد الرحمن واستعمل على بلخ عمرو بن مسلم وكان ملك شومان صديقا لصالح بن مسلم فأرسل اليه صالح رجلا يأمره بالطاعة ويضمن له رضى قتيبة إن رجع الى الصلح فأبى وقال لرسول صالح ما تخوفني به من قتيبة وأنا أمنع الملوك حصنا أرمي أعلاه وأنا أشد الناس قوسا وأشده رميا فلا تبلغ نشابتي نصف حصني فما أخاف من قتيبة فمضى قتيبة من بلخ فعبر النهر ثم أتى شومان وقد تحصن ملكها فوضع عليه المجانيق ورمى حصنه فهشمه فلما خاف أن يظهر عليه ورأى ما نزل به جمع ما كان له من مال وجوهر فرمى به في عين في وسط القلعة لا يدرك قعرها قال ثم فتح القلعة وخرج اليهم فقاتلهم فقتل وأخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم رجع الى باب الحديد فأجاز منه الى كس ونسف وكتب اليه الحجاج أن كس بكس وانسف نسف واياك والتعويط ففتح كس ونسف وامتنع عليه فرياب فخرقها فسميت المحترقة وسرح قتيبة من كس

ونسف أخاه عبد الرحمن بن مسلم الى السغد الى طرخون فسار حتى نزل بمرج قريبا منهم وذلك فى وقت العصر فانتبذ الناس وشربوا حتى عبثوا وعاثوا وأفسدوا فأمر عبد الرحمن أبا مرضية مولى لهم أن يمنع الناس من شرب العصير فكان يضربهم ويكسر آنيتهم ويصب نبيذهم فسال فى الوادى فسمى مرج النبيذ فقال بعض شعرائهم

أما النبيذ فلست أشربه * أخشى أبا مرضية الكلب

متعسفا يسعى بسكته * يتوثب الحيطان للشرب

فقبض عبد الرحمن من طرخون شيأ كان قد صالحه عليه قتيبة ودفع اليه رهنا كانوا معه وانصرف عبد الرحمن الى قتيبة وهو ببخارى فرجعوا الى مرو فقالت السغد لطرخون انك قد رضيت بالذل واستطبت الجزية وأنت شيخ كبير فلا حاجة لنا بك قال فولوا من أحببتم قال فولوا غوزك وحبسوا طرخون فقال طرخون ليس بعد سلب الملك الا القتل فيكون ذلك بيدى أحب الى من أن يليه منى غيرى فاتكأ على سيفه حتى خرج من ظهره قال وانما صنعوا بطرخون هذا حين خرج قتيبة الى سجستان وولوا غوزك وأما الباهليون فيقولون حصر قتيبة ملك شومان ووضع على قلعته المجانيق ووضع منجنيقا كان يسميها الفحجاء فرمى بأول حجر فأصاب الحائط ورمى بآخر فوقع فى المدينة ثم تتابعت الحجارة فى المدينة فوقع حجر منها فى مجلس الملك فأصاب رجلا فقتله ففتح القلعة عنوة ثم رجع الى كس ونسف ثم مضى الى بخارى فنزل قرية فيها بيت نار وبيت آلهة وكان فيها طواويس فسموه منزل الطواويس ثم سار الى طرخون بالسغد ليقبض منه ما كان صالحه عليه فلما أشرف على وادى السغد فرأى حسنه تمثل

واد خصيب عشيب ظل يمنعه * من الأنيس حذار اليوم ذى الرهج

وردته بعنا جيج مسومة * يزدين بالشعث سفا كين للهج

قال فقبض من طرخون صلحه ثم رجع الى بخارى فلك بخارى خذاه غلاما حدثا وقتل من خاف أن يضاده ثم أخذ على آمل ثم أتى مرو قال وذكر الباهليون عن بشار بن عمرو عن رجل من باهلة قال لم يفرغ الناس من ضرب أبنيتهم حتى افتتحت القلعة ﴿ وفى هذه السنة ﴾ ولى الوليد بن عبد الملك مكة خالد بن عبد الله القسرى فلم يزل واليا عليها الى أن مات الوليد * فذكر محمد بن عمر الواقدى أن اسماعيل بن ابراهيم بن عقبة حدثه عن نافع مولى بنى مخزوم قال سمعت خالد بن عبد الله يقول يا أيها الناس انكم بأعظم بلاد الله حرمة وهى التى اختار الله من البلدان فوضع بها بيته ثم كتب على عباده حجه من استطاع اليه سبيلا أيها الناس فعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة واياكم والشبهات فإنى والله ما أوتى بأحد يطعن على امامه الا صلبته فى الحرم ان الله جعل الخلافة منه بالموضع الذى جعلها فسلموا

واطيعوا

وأطيعوا ولا تقولوا كيت وكيت انه لا رأى فيما كتب به الخليفة أو رآه إلا إمضاؤه واعلموا أنه بلغني ان قوما من أهل الخلاف يقدمون عليكم ويقيمون في بلادكم فاياكم أن تنزلوا أحدا ممن تعلمون أنه زائغ عن الجماعة فاني لا أجد أحدا منهم في منزل أحد منكم الا هدمت منزله فانظروا من تنزلون في منازلكم وعليكم بالجماعة والطاعة فان الفرقة هو البلاء العظيم * قال محمد بن عمر وحدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة قال اعتمرت فنزلت دور بني أسد في منازل الزبير فلم أشعر الا به يدعوني فدخلت عليه فقال ممن أنت قلت من أهل المدينة قال ما أنزلك في منازل المخالف للطاعة قلت انما مقامي ان أقمت يوما أو بعضه ثم أرجع الى منزلي وليس عندي خلاف أنا ممن يعظم أمر الخلافة وأزعم ان من جحدها فقد هلك قال فلا عليك ما أقمت انما يكره أن يقيم من كان زارا على الخليفة قلت معاذ الله وسمعته يوما يقول والله لو أعلم ان هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو نطقت لم تقر بالطاعة لأخرجتها من الحرم إنه لا يسكن حرم الله وأمنه مخالف للجماعة زار عليهم قلت وفق الله الأمير ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة الوليد بن عبد الملك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال حج الوليد بن عبد الملك سنة ٩١ وكذلك قال محمد بن عمر حدثني موسى بن أبي بكر قال حدثنا صالح بن كيسان قال لما حضر قدوم الوليد أمر عمر بن عبد العزيز عشرين رجلا من قريش يخرجون معه فيتلقون الوليد بن عبد الملك منهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأخوه محمد ابن عبد الرحمن وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فخرجوا حتى بلغوا السويداء وهم مع عمر بن عبد العزيز وفي الناس يومئذ دواب وخيل فلقوا الوليد وهو على ظهر فقال لهم الحاجب انزلوا الأمير المؤمنين فنزلوا ثم أمرهم فركبوا فدعا بعمر بن عبد العزيز فساره حتى نزل بذي خشب ثم أحضر وافدعاهم رجلا رجلا فسلموا عليه ودعا بالغداء فتغدوا عنده وراح من ذي خشب فلما دخل المدينة غدا الى المسجد ينظر الى بنائه فأخرج الناس منه فما ترك فيه أحدا وبقي سعيد بن المسيب ما يجترئ أحد من الحرس أن يخرجه وما عليه الا ريطتان ماتساويان الا خمسة دراهم في مصلاه فقيل له لو قمت قال والله لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم فيه قيل فلو سلمت على أمير المؤمنين قال والله لا أقوم اليه قال عمر ابن عبد العزيز فجعلت أعدل بالوليد في ناحية المسجد رجاء أن لا يرى سعيدا حتى يقوم فحانت من الوليد نظرة الى القبلة فقال من ذلك الجالس أهو الشيخ سعيد بن المسيب فجعل عمر يقول نعم يا أمير المؤمنين ومن حاله ومن حاله ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك وهو ضعيف البصر قال الوليد قد علمت حاله ونحن نأتيه فنسلم عليه فدار في المسجد حتى وقف على القبر ثم أقبل حتى وقف على سعيد فقال كيف أنت أيها الشيخ فوالله ما تحرك سعيد ولا قام فقال بخير والحمد لله فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله قال الوليد خير والحمد لله فانصرف وهو

يقول لعمر هذا بقية الناس فقلت أجل يا أمير المؤمنين قال وقسم الوليد بالمدينة رقيقا كثيرا عجما بين الناس وآنية من ذهب وفضة وأموالا وخطب بالمدينة في الجمعة فصلى بهم (قال محمد بن عمر) وحدثني اسحاق بن يحيى قال رأيت الوليد يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة عام حج قد صف له جنده صفين من المنبر الى جدار مؤخر المسجد في أيديهم الحرز وعمد الحديد على العواتق فرأيته طلع في درّاعة وقلنسوة ما عليه رداء فصعد المنبر فلما صعد سلم ثم جلس فأذن المؤذنون ثم سكتوا فخطب الخطبة الاولى وهو جالس ثم قام فخطب الثانية قائما قال اسحاق فلقيت رجاء بن حيوة وهو معه فقلت هكذا يصنعون قال نعم وهكذا صنع معاوية فهلم جرا قلت أفلا تكلمه قال أخبرني قبيصة بن ذؤيب انه كلم عبد الملك بن مروان فأبى أن يفعل وقال هكذا خطب عثمان فقلت والله ما خطب هكذا ما خطب عثمان الا قائما قال رجاء روى لهم هذا فأخذوا به قال اسحاق لم نر منهم أحد أشد تجبرا منه (قال محمد بن عمر) وقدم بطيب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجمره وبكسوة الكعبة فنشرت وعلقت على حبال في المسجد من ديباج حسن لم ير مثله قط فنشرها يوما وطوى ورفع قال وأقام الحجاج الوليد بن عبد الملك * وكانت عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عمالها في سنة ٩٠ غير مكة فإن عاملها كان في هذه السنة خالد بن عبد الله القسري في قول الواقدي وقال غيره كانت ولاية مكة في هذه السنة أيضا الى عمر بن عبد العزيز

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ﴾

﴿ ذكر الأحداث التي كانت فيها ﴾

فمن ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرض الروم ففتح على يدي مسلمة حصون ثلاثة وجلا أهل سوسنه الى جوف أرض الروم ﴿ وفيها ﴾ غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الأندلس في اثني عشر ألفا فلقي ملك الأندلس زعم الواقدي انه يقال له ادريونق وكان رجلا من أهل أصبهان قال وهم ملوك عجم الاندلس فزحف له طارق بجميع من معه فزحف الادريونق في سرير الملك وعلى الادريونق تاجه وقفازه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك فاقتتلوا قتالا شديدا حتى قتل الله الادريونق وفتح الأندلس سنة ٩٢ ﴿ وفيها ﴾ غزا فيما زعم بعض أهل السير قتيبة سجستان يريد رتبيل الاعظم والزابل فلما نزل سجستان تلقته رسل رتبيل بالصلح فقبل ذلك وانصرف واستعمل عليهم عبد ربه ابن عبد الله بن عمير الليثي ﴿ وحج ﴾ بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وغيره وكان عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ﴾

﴿ذكر الاحداث التي كانت فيها﴾

فما كان فيها من ذلك غزوة العباس بن الوليد أرض الروم ففتح الله على يديه سَمَسْطِيَة ﴿وفيها﴾ كانت أيضا غزوة مروان بن الوليد الروم فبلغ خنجرة ﴿وفيها﴾ كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم فافتتح ماسة وحصن الحديد وغزالة وبرجمة من ناحية ملطية ﴿وفيها﴾ قتل قتيبة ملك خام جرد وصالح مالك خوارزم صلحا مجددا

﴿ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الامر فيه﴾

* ذكر علي بن محمد ان أبا الذيال أخبره عن المهلب بن اياس والحسن بن رشيد عن طفيل ابن مرداس العمي وعلي بن مجاهد عن حنبل بن أبي حريدة عن مرزبان قهستان وكليب ابن خلف والباهليين وغيرهم وقد ذكر بعضهم مالم يذكر بعض فألفته أن ملك خوارزم كان ضعيفا فغلبه أخوه خرزاذ على أمره وخرزاذ أصغر منه فكان اذا بلغه أن عند أحد ممن هو منقطع الى الملك جارية أو دابة أو متاعا فاخرا أرسل فأخذه أو بلغه أن لأحد منهم بنتا أو أختا أو امرأة جميلة أرسل اليه فغصبه وأخذ ماشاء وحبس ماشاء لا يمتنع عليه أحد ولا يمنعه الملك فإذا قيل له قال لا أقوى عليه وقد ملأه مع هذا غيظا فلما طال ذلك منه عليه كتب الى قتيبة يدعوه الى أرضه يريد أن يسلمها اليه و بعث اليه بمفاتيح مدائن خوارزم ثلاثة مفاتيح من ذهب واشترط عليه أن يدفع اليه أخاه وكل من كان يضاده يحكم فيه مايرى وبعث في ذلك رسلا ولم يُطلع أحدا من مرازبته ولا دهاقينه على ما كتب به الى قتيبة فقدمت رسله على قتيبة في آخر الشتاء ووقت الغزو وقد تهيأ للغزو وأظهر قتيبة أنه يريد السغد ورجع رسل خوارزم شاه اليه بما يحب من قبل قتيبة وسار واستخلف على مرو ثابتا الأعور مولى مسلم قال فجمع ملوكه وأحباره ودهاقينه فقال ان قتيبة يريد السغد وليس بغازيكم فهلم نتنعم في ربيعنا هذا فأقبلوا على الشرب والتنعم وأمنوا عند أنفسهم الغزو قال فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزارسب دون النهر فقال خوارزم شاه لاصحابه ماترون قالوا نرى أن نقاتله قال لكني لا أرى ذلك قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة ولكني أرى أن نصرفه بشيء نؤديه اليه فنصرفه عامنا هذا ونرى رأينا قالوا ورأينا رأيك فأقبل خوارزم شاه فنزل في مدينة الفيل من وراء النهر قال ومدائن خوارزم شاه ثلاث مدائن يطيف بها فارقين واحد فمدينة الفيل أحصنهن فنزلها خوارزم شاه وقتيبة في هزارسب دون النهر لم يعبره بينه و بين خوارزم شاه نهر بلخ فصالحه على عشرة آلاف رأس وعين ومتاع وعلى أن يُعينه على ملك خام جرد وان يفي له بما كتب اليه فقبل ذلك منه قتيبة ووفى له وبعث قتيبة أخاه الى ملك خام جرد وكان يعادي خوارزم شاه فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب

على أرضه وقدم منهم على قتيبة بأربعة آلاف أسير فقتلهم وأمر قتيبة لما جاءه بهم أخاه عبد الرحمن بسريره فأخرج وبرز للناس قال وأمر بقتل الاسرى فقتل بين يديه ألف وعن يمينه ألف وعن يساره ألف وخلف ظهره ألف قال قال المهلب بن اياس أخذت يومئذ سيوف الاشراف فضرب بها الاعناق فكان فيها ما لا يقطع ولا يجرح فأخذ واسيفي فلم يضرب به شيء الا أبانه فحسدني بعض آل قتيبة فغمز الذي يضرب أن اصفح به فصفح به قليلا فوقع في ضرس المقتول فثلمه (قال أبو الذيال) والسيف عندي قال ودفع قتيبة الى خوارزم شاه أخاه ومن كان يخالفه فقتلهم واصطفى أموالهم فبعث بها الى قتيبة ودخل قتيبة مدينة فيل فقبل من خوارزم شاه ما صالحه عليه ثم رجع الى هزارسب وقال كعب الاشقري

رمتك فيل بما فيها وما ظلمت * ورامها قبلك الفجفاجة الصلف
لا يجزئ الثغر خوار القناة ولا * هش المكاسر والقلب الذي يجف
هل تذكرون ليالي الترك تقتلهم * مادون كازه والفجفاج ملتحف
لم يركبوا الخيل إلا بعد ما كبروا * فهم ثقال على أكتافها عنف
أنتم شباس ومرداذان محتقر * وبسخراء قبور حشوها القلف
إني رأيت أباحفص نفضلة * أيامه ومساعي الناس تختلف
قيس صريح وبعض الناس يجمعهم * قرى وريف فمنسوب ومقترف
لو كنت طاوعت أهل العجز ما اقتسموا * سبعين ألفا وعز السغد مؤتنف
وفي سمرقند أخرى أنت قاسمها * لكن تأخر عن حوبائك التلف
ما قدم الناس من خير سبقت به * ولا يفوتك مما خلفوا شرف

قال أنشدني علي بن مجاهد رمتك * رمتك فيل بما دون كازه * قال وكذلك قال الحسن ابن رشيد الجوزجاني وأما غيرهما فقال * رمتك فيل بما فيها * وقالوا فيل مدينة سمرقند قال وأثبتها عندي قول علي بن مجاهد قال وقال الباهليون أصاب قتيبة من خوارزم مائة ألف رأس قال وكان خاصة قتيبة كلموه سنة ٩٣ وقالوا الناس كالون قد موا من بجستان فأجمهم عامهم هذا فأبى قال فلما صالح أهل خوارزم سار الى السغد فقال الأشقري

لو كنت طاوعت أهل العجز ما اقتسموا * سبعين ألفا وعز السغد مؤتنف

﴿ قال أبو جعفر ﴾ وفي هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم منصرفه من خوارزم سمرقند فافتتحها

﴿ ذكر الخبر عن ذلك ﴾

قد تقدم ذكر الإسناد عن القوم الذين ذكر علي بن محمد أنه أخذ عنهم حين صالح قتيبة صاحب خوارزم ثم ذكر مدرجا في ذلك أن قتيبة لما قبض صلح خوارزم قام اليه المجسر

ابن مزاحم السلمي فقال إن لي حاجة فأخلني فأخلاه فقال ان أردت السغد يوما من الدهر فالآن فانهم آمنون من أن تأتيهم من عاملك هذا وانما بينك وبينهم عشرة أيام قال أشار بهذا عليك أحد قال لا قال فأعلمته أحدا قال لا قال والله لئن تكلم به أحد لاضربن عنقك فأقام يومه ذلك فلما أصبح من الغد دعا عبد الرحمن فقال سر في الفرسان والمرامية وقدم الاثقال الى مرو فوجهت الاثقال الى مرو ومضى عبد الرحمن يتبع الاثقال يريد مرو يومه كله فلما أمسى كتب اليه اذا أصبحت فوجه الاثقال الى مرو وسر في الفرسان والمرامية نحو السغد وأكتم الاخبار فاني بالاثر قال فلما أتى عبد الرحمن الخبر أمر أصحاب الاثقال أن يمضوا الى مرو وسار حيث أمره وخطب قتيبة الناس فقال ان الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقت الغز وفيه ممكن وهذه السغد شاغرة برجلها قد نقضوا العهد الذي كان بيننا ومنعونا ما كنا صالحناهم عليه طرخون وصنعوا به ما بلغكم وقال الله من نكث فانما ينكث على نفسه فسيروا على بركة الله فاني أرجو أن يكون خوارزم والسغد كالنضير وقريظة وقال الله وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها قال فأتى السغد وقد سبقه اليها عبد الرحمن بن مسلم في عشرين ألفا وقدم عليه قتيبة في أهل خوارزم وبخارى بعد ثلاثة أو أربعة من نزول عبد الرحمن بهم فقال انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين فحصرهم شهرا فقاتلوهم في حصارهم مرارا من وجه واحد وكتب أهل السغد وخافوا طول الحصار الى ملك الشاش وإخشاذ فرغانة أن العرب إن ظفروا بنا عادوا عليكم بمثل ما أتونا به فانظروا لأنفسكم فأجمعوا على أن يأتوهم وأرسلوا اليهم أرسلوا من يشغلهم حتى نبيت عسكرهم قال وانتخبوا فرسانا من أبناء المرازبة والأساورة والاشداء الابطال فوجهوهم وأمروهم أن يبيتوا عسكرهم وجاءت عيون المسلمين فأخبروهم فانتخب قتيبة ثلثمائة أو ستمائة من أهل النجدة واستعمل عليهم صالح بن مسلم فصيرهم في الطريق الذي يخاف أن يؤتى منه وبعث صالح عيونا يأتونه بخبر القوم ونزل على فرسخين من عسكر القوم فرجعت اليه عيونه فأخبروه أنهم يصلون اليه من ليلتهم ففرق صالح خيله ثلاث فرق فجعل كمينا في موضعين وأقام على قارعة الطريق وطرقهم المشركون ليلا ولا يعلمون بمكان صالح وهم آمنون في أنفسهم من أن يلقاهم أحد دون العسكر فلم يعلموا بصالح حتى غشوه قال فشدوا عليهم حتى اذا اختلفت الرماح بينهم خرج الكمينان فاقتتلوا قال وقال رجل من البراجم حضرتهم فما رأيت قط قوما كانوا أشد قتالا من أبناء أولئك الملوك ولا أصبر فقتلناهم فلم يفلت منهم الا نفر يسير وحوينا سلاحهم واحتززنا رؤسهم وأسرنا منهم أسرى فسألناهم عمن قتلنا فقالوا ما قتلتم الا ابن ملك أو عظيما من العظماء أو بطلا من الابطال ولقد قتلتم رجالا إن كان الرجل ليعدل بمائة رجل فكتبنا على آذانهم ثم دخلنا العسكر حين أصبحنا وما منا رجل الا معلق رأس معروفا باسمه وسلبنا من جيد السلاح وكريم المتاع

ومناطق الذهب ودواب فرهة فنفلنا قتيبة ذلك كله وكسر ذلك أهل السغد ووضع قتيبة عليهم المجانيق فرماهم بها وهو فى ذلك يقاتلهم لا يقلع عنهم وناصحه من معه من أهل بخارى وأهل خوارزم فقاتلوا قتالا شديدا وبذلوا أنفسهم فأرسل اليه غوزك انما تقاتلنى بإخوتى وأهل بيتى من العجم فأخرج الى العرب فغضب قتيبة ودعا الجدلى فقال اعرض الناس وميز أهل البأس فجمعهم ثم جلس قتيبة يعرضهم بنفسه ودعا العرفاء فجعل يدعو برجل رجل فيقول ما عندك فيقول العريف شجاع ويقول ما هذا فيقول مختصر ويقول ما هذا فيقول جبان فسمى قتيبة الجبناء الاثنان وأخذ خيلهم وجيد سلاحهم فأعطاه الشجعاء والمختصرين وترك لهم رث السلاح ثم زحف بهم فقاتلهم بهم فرسانا ورجالا ورمى المدينة بالمجانيق فثلم فيها ثلمة فسدوها بغرائر الدخن وجاء رجل حتى قام على الثلمة فشتم قتيبة وكان مع قتيبة قوم رماة فقال لهم قتيبة اختار وا منكم رجلين فاختاروا فقال أيكما يرمى هذا الرجل فإن أصابه فله عشرة آلاف وإن أخطأه قطعت يده فتلكأ أحدهما وتقدم الآخر فرماه فلم يخطئ عينه فأمر له بعشرة آلاف قال وأخبرنا الباهليون عن يحيى ابن خالد عن أبيه خالد بن باب مولى مسلم بن عمرو قال كنت فى رماة قتيبة فلما افتتحنا المدينة صعدت السور فأتيت مقام ذلك الرجل الذى كان فيه فوجدته ميتا على الحائط ما أخطأت النشابة عينه حتى خرجت من قفاه ثم أصبحوا من غد فرموا المدينة فثلموا فيها وقال قتيبة ألحوا عليها حتى تعبروا على الثلمة فقاتلوهم حتى صاروا على ثلمة المدينة ورماهم السغد بالنشاب فوضعوا أترستهم فكان الرجل يضع ترسه على عينه ثم يحمل حتى صاروا على الثلمة فقالوا له انصرف عنا اليوم حتى نصالحك غدا فاما باهلة فيقولون قال قتيبة لا نصالحهم الا ورجالنا على الثلمة ومجانيقنا تخطر على رؤسهم ومدينتهم قال وأما غيرهم فيقولون قال قتيبة جزع العبيد فانصرفوا على ظفركم فانصرفوا فصالحهم من الغد على ألفى ألف ومائتى ألف فى كل عام على أن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس ليس فيهم صبى ولا شيخ ولا عيب على أن يخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم فيها مقاتل فيبنى له فيه مسجد فيدخل ويصلى ويوضع له فيها منبر فيخطب ويتغدى ويخرج قال فلما تم الصلح بعث قتيبة عشرة من كل خمس برجلين فقبضوا ما صالحوهم عليه فقال قتيبة الآن ذلوا حين صار اخوانهم وأولادهم فى أيديكم ثم أخلوا المدينة وبنوا مسجدا ووضعوا منبرا ودخلها فى أربعة آلاف انتخبهم فلما دخلها أتى المسجد فصلى وخطب ثم تغدى وأرسل الى أهل السغد من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذ فإنى لست خارجا منها وانما صنعت هذا لكم ولست آخذ منكم أكثر مما صالحتكم عليه غير أن الجند يقيمون فيها قال وأما الباهليون فيقولون صالحهم قتيبة على مائة ألف رأس وبيوت النيران وحلية الاصنام فقبض ما صالحهم عليه وأتى بالاصنام فسلبت ثم وضعت بين يديه فكانت كالقصر العظيم حين جمعت فأمر

بتحريقها فقالت الاعاجم إن فيها أصناما من حرقها هلك فقال قتيبة أنا أحرقها بيدى فجاء غوزك فجثا بين يديه وقال أيها الامير ان شكرك على واجب لا تعرض لهذه الاصنام فدعا قتيبة بالنار وأخذ شعلة بيده وخرج فكبر ثم أشعلها وأشعل الناس فاضطرمت فوجدوا من بقاياما كان فيها من مسامير الذهب والفضة خمسين ألف مثقال قال وأخبرنا مخلد بن حمزة بن بيض عن أبيه قال حدثنى من شهد قتيبة وفتح سمرقند أو بعض كور خراسان فاستخرجوا منها قدورا عظاما من نحاس فقال قتيبة لحضين يا أبا ساسان أترى رقاش كان لها مثل هذه القدور فقال لا ولكن كانت لعيلان قدر مثل هذه القدور فضحك قتيبة وقال أدركت بثأرك قال وقال محمد بن أبى عيينة لسلم بن قتيبة بين يدى سليمان بن على إن العجم ليعيرون قتيبة الغدر أنه غدر بخوارزم وسمرقند قال فأخبرنا شيخ من بنى سدوس عن حمزة ابن بيض قال أصاب قتيبة بخراسان بالسغد جارية من ولد يزدجرد فقال أترون ابن هذه يكون هجينا فقالوا نعم يكون هجينا من قبل أبيه فبعث بها الى الحجاج فبعث بها الحجاج الى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد * قال وأخبرنا بعض الباهليين عن نهشل بن يزيد عن عمه وكان قد أدرك ذلك كله قال لما رأى غوزك الحاح قتيبة عليهم كتب الى ملك الشاش وإخشاذ فرغانة وخاقان إنا نحن دونكم فيما بينكم وبين العرب فان وصل الينا كنتم أضعف وأذل فمهما كان عندكم من قوة فابذلوها فنظروا فى أمرهم فقالوا انما نؤتى من سفلتنا وانهم لا يجدون كوجدنا ونحن معشر الملوك المعنيون بهذا الامر فانتخبوا أبناء الملوك وأهل النجدة من فتيان ملوكهم فليخرجوا حتى يأتوا عسكر قتيبة فليبيتوه فانه مشغول بحصار السغد ففعلوا وولوا عليهم ابنا لخاقان وساروا وقد أجمعوا أن يبيتوا العسكر وبلغ قتيبة فانتخب أهل النجدة والبأس ووجوه الناس فكان شعبة بن ظهير وزهير بن حيان فيمن انتخب فكانوا أربعمائة فقال لهم ان عدوكم قد رأوا بلاء الله عندكم وتأييده اياكم فى مزاحفتكم ومكاثرتكم كل ذلك يفلجكم الله عليهم فاجمعوا على أن يحتالوا لاغرتكم وبياتكم واختاروا دهاقينهم وملوكهم وأنتم دهاقين العرب وفرسانهم وقد فضلكم الله بدينه فأبلوا الله بلاء حسنا تستوجبون به الثواب مع الذب عن أحسابكم قال ووضع قتيبة عيونا على العدو حتى اذا قربوا منه قدر ما يصلون الى عسكره من الليل ادخل الذين انتخبهم فكلمهم وحضهم واستعمل عليهم صالح بن مسلم فخرجوا من العسكر عند المغرب فساروا فنزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم الذين وصفوا لهم ففرق صالح خيله وأكمن كمينا عن يمينه وكمينا عن يساره حتى اذا مضى نصف الليل أو ثلثاه جاء العدو باجتماع واسراع وصمت وصالح واقف فى خيله فلما رأوه شدوا عليه حتى اذا اختلفت الرماح شد الكمينان عن يمين وعن شمال فلم نسمع الا الاعتزاء فلم نر قوما كانوا أشد منهم قال وقال رجل من البراجم حدثنى زهير أو شعبة قال انا نختلف عليهم بالطعن والضرب اذ تبينت تحت الليل قتيبة وقد ضربت

ضربة أعجبتني وأنا أنظر الى قتيبة فقلت كيف ترى بابى أنت وأمى قال اسكت دق الله فاك قال فقتلناهم فلم يفلت منهم الا الشريد وأقمنا نحوى الاسلاب ونحتز الرؤس حتى أصبحنا ثم أقبلنا الى العسكر فلم أر جماعة قط جاؤا بمثل ما جئنا به ما منا رجل الا معلق رأسا معروفا باسمه وأسيرٌ فى وثاقه قال وجئنا قتيبة بالرؤس فقال جزاكم الله عن الدين والاعراض خيرا وأكرمنى قتيبة من غير أن يكون باح لى بشئ وقرن بى فى الصلة والاكرام حيان العدوى وحليس الشيبانى فظننت انه رأى منهما مثل الذى رأى منى وكسر ذلك أهل السُغد فطلبوا الصلح وعرضوا الفدية فأبى وقال أنا ثائر بدم طرخون كان مولاى وكان من أهل ذمتى قالوا حدث عمرو بن مسلم عن أبيه قال أطال قتيبة المُقام وتُلمت الثلمة فى سمرقند قال فنادى منادٍ فصيح بالعربية يشتم قتيبة قال فقال عمرو بن أبى زهدم ونحن حول قتيبة لحين سمعنا الشتم خرجنا مسرعين فكمنا طويلا وهو ملحّ بالشتم فجئت الى رواق قتيبة فاطلعتُ فإذا قتيبة مُحتَبٍ بشملة يقول كالمناجى لنفسه حتى متى ياسمرقند يعشش فيك الشيطان أما والله لئن أصبحتُ لأحاولن من أهلك أقصى غاية فانصرفت الى أصحابى فقلت كم من نفس أبية ستموت غدا منا ومنهم فأخبرتهم الخبرَ قال وأما باهلة فيقولون سار قتيبة فجعل النهر يمينه حتى ورد بخارى فاستنهضهم معه وسار حتى اذا كان بمدينة أربنجن وهى التى تجلب منها اللبود الأربنجنية لقيهم غوزك صاحب السغد فى جمع عظيم من الترك وأهل الشاش وفرغانة فكانت بينهم وقائعُ من غير مزاحفة كل ذلك يظهر المسلمون ويتحاجزون حتى قربوا من مدينة سمرقند فتزاحفوا يومئذ فحمل السغد على المسلمين حملة حطموهم حتى جازوا عسكرهم ثم كرّ المسلمون عليهم حتى ردوهم الى عسكرهم وقتل الله من المشركين عددا كثيرا ودخلوا مدينة سمرقند فصالحوهم قال وأخبرنا الباهليون عن حاتم بن أبى صغيرة قال رأيت خيلا يومئذ تطاعن خيل المسلمين وقد أمر يومئذ قتيبة بسريره فأبرز وقعد عليه وطاعنوهم حتى جازوا قتيبة وانه لمحتب بسيفه ما حل حبوته وانطوت مجنبتا المسلمين على الذين هزموا القلب فهزموهم حتى ردّوهم الى عسكرهم وقتل من المشركين عدد كثير ودخلوا مدينة سمرقند فصالحوهم وصنع غوزك طعاما ودعا قتيبة فأتاه فى عدد من أصحابه فلما تغدى استوهب منه سمرقند فقال للملك انتقل عنها فانتقل عنها وتلا قتيبة وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى * قال وأخبرنا أبو الذيال عن عمر بن عبد الله التميمى قال حدثنى الذى سرحه قتيبة الى الحجاج بفتح سمرقند قال قدمت على الحجاج فوجهنى الى الشأم فقدمتها فدخلت مسجدها فجلست قبل طلوع الشمس وإلى جنبى رجل ضرير فسألته عن شئ من أمر الشأم فقال انك لغريب قلتُ أجل قال من أى بلد أنت قلت من خراسان قال ما أقدمك فأخبرته فقال والذى بعث محمدا بالحق ما افتتحوها الا غدرا وانكم يا أهل خراسان للذين

تسلبون بنى أمية ملكهم وتنقضون دمشق حجرا حجرا قال وأخبرنا العلاء بن جرير قال بلغنى أن قتيبة لما فتح سمرقند وقف على جبلها فنظر الى الناس متفرقين فى مروج السغد فتمثل قول طرفة

وأرتع أقوام ولولا مكاننا * بمخشية ردوا الجمال فقوضوا

قال وأخبرنا خالد بن الأصفح قال قال الكميت

كانت سمرقند أحقابا يمانية * فاليوم تنسبها قيسية مضر

قال وقال أبو الحسن الجشمى فدعا قتيبة نهار بن توسعة حين صالح أهل السغد فقال يا نهار أين قولك

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى * ومات الندى والجود بعد المهلب

أقاما بمرو الروذ رهن ضريحه * وقد غيبا عن كل شرق ومغرب

أفغزو هذا يا نهار قال لا هذا أحسن وأنا الذى أقول

وما كان مذ كنا ولا كان قبلنا * ولا هو فيما بعدنا كابن مسلم

أعم لأهل الترك قتلا بسيفه * وأكثر فينا مقسما بعد مقسم

قال ثم ارتحل قتيبة راجعا الى مرو واستخلف على سمرقند عبد الله بن مسلم وخلف عنده جندا كثيفا وآلة من آلة الحرب كثيرة وقال لا تدعن مشركا يدخل بابا من أبواب سمرقند الا مختوم اليد وان جفت الطينة قبل ان يخرج فاقتله وان وجدت معه حديدة سكينا فما سواه فاقتله وان أغلقت الباب ليلا فوجدت فيها أحدا منهم فاقتله فقال كعب الاشقرى ويقال رجل من جعفى

كل يوم يحوى قتيبة نهبا * ويزيد الأموال مالا جديدا

يا هلى قد ألبس التاج حتى * شاب منه مفارق كن سودا

دوخ السغد بالكتائب حتى * ترك السغد بالعراء قعودا

فوليد يبكى لفقد أبيه * وأب موجع يبكى الوليدا

كلما حل بلدة أو أتاها * تركت خيله بها أخدودا

قال وقال قتيبة هذا العداء لا عداء عير بن لانه فتح خوارزم وسمرقند فى عام واحد وذلك ان الفارس اذا صرع فى طلق واحد عير بن قيل عادى بين عير بن ثم انصرف عن سمرقند فأقام بمرو وكان عامله على خوارزم إياس بن عبد الله بن عمر وعلى حربها وكان ضعيفا وكان على خراجها عبيد الله بن أبى عبيد الله مولى بنى مسلم قال فاستضعف أهل خوارزم إياسا وجمعوا له فكتب عبيد الله الى قتيبة فبعث قتيبة عبد الله بن مسلم فى الشتاء عاملا وقال

اضرب اياس بن عبد الله وحيان النبطي مائة مائة واحلقهما وضم اليك عبيد الله بن أبي عبيد الله مولى بني مسلم واسمع منه فان له وفاء فقضى حتى اذا كان من خوارزم على سكة قدس الى اياس فأنذره فتنحى وقدم فأخذ حيان فضربه مائة وحلقه قال ثم وجه قتيبة بعد عبد الله المغيرة بن عبد الله في الجنود الى خوارزم فبلغهم ذلك فلما قدم المغيرة اعتزل أبناء الذين قتلهم خوارزم شاه وقالوا لا نعينك فهرب الى بلاد الترك وقدم المغيرة فسبى وقتل وصالحه الباقون فأخذ الجزية وقدم على قتيبة فاستعمله على نيسابور ﴿وفي هذه السنة﴾ عزل موسى بن نصير طارق بن زياد عن الاندلس ووجهه الى مدينة طليطلة

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

ذكر محمد بن عمر ان موسى بن نصير غضب على طارق في سنة ٩٣ فشخص اليه في رجب منها ومعه حبيب بن عقبة بن نافع الفهري واستخلف حين شخص على افريقية ابنه عبد الله ابن موسى بن نصير وعبر موسى الى طارق في عشرة آلاف فتلقاه فترضاه فرضي عنه وقبل منه عذره ووجهه منها الى مدينة طليطلة وهي من عظام مدائن الاندلس وهي من قرطبة على عشرين يوما فأصاب فيها مائدة سليمان بن داود فيها من الذهب والجوهر ما الله أعلم به ﴿قال﴾ وفيها أجدب أهل افريقية جدبا شديدا فخرج موسى بن نصير فاستسقى ودعا يومئذ حتى انتصف النهار وخطب الناس فلما أراد ان ينزل قيل له ألا تدعو لامير المؤمنين قال ليس هذا يوم ذاك فسقوا سقيا كفاهم حينا ﴿وفيها﴾ عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة

﴿ذكر سبب عزل الوليد اياه عنها﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الوليد يخبره بعسف الحجاج أهل عمله بالعراق واعتدائه عليهم وظلمه لهم بغير حق ولا جناية وأن ذلك بلغ الحجاج فاضطغنه على عمر وكتب الى الوليد ان من قبلي من مراق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولجأوا الى المدينة ومكة وان ذلك وهن فكتب الوليد الى الحجاج أن أثر على برجلين فكتب اليه يشير عليه بعثمان بن حيان وخالد بن عبد الله فولى خالدا مكة وعثمان المدينة وعزل عمر بن عبد العزيز قال محمد بن عمر خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة فأقام بالسويداء وهو يقول لمزاحم أتخاف ان تكون ممن نفته طيبة ﴿وفيها﴾ ضرب عمر بن عبد العزيز حبيب بن عبد الله بن الزبير بأمر الوليد اياه وصب على رأسه قربة من ماء بارد ﴿ذكر﴾ محمد ابن عمر ان أبا المليح حدثه عمن حضر عمر بن عبد العزيز حين جلد حبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطا وصب على رأسه قربة من ماء في يوم شات ووقفه على باب المسجد فمكث يومه ثم مات ﴿وحج بالناس في هذه السنة﴾ عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكانت

عمال الامصار فى هذه السنة عمالها فى السنة التى قبلها الا ما كان من المدينة فان العامل عليها كان عثمان بن حيان المرّى وليها فيما قيل فى شعبان سنة ٩٣ وأما الواقدى فانه قال قدم عثمان المدينة لليلتين بقيتا من شوال سنة ٩٤ وقال بعضهم شخص عمر بن عبد العزيز عن المدينة معزولا فى شعبان من سنة ٩٣ وغزا فيها واستخلف عليها حين شخص عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى وقدم عثمان بن حيان المدينة لليلتين بقيتا من شوال

﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين ﴾

﴿ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث ﴾

فمن ذلك ما كان من غزوة العباس بن الوليد أرض الروم فقيل انه فتح فيها انطاكية ﴿ وفيها ﴾ غزا فيما قيل عبد العزيز بن الوليد أرض الروم حتى بلغ غزالة وبلغ الوليد بن هشام المعيطى أرض برج الحمام ويزيد بن أبى كبشة أرض سورية ﴿ وفيها ﴾ كانت الرجفة بالشأم ﴿ وفيها ﴾ افتتح القاسم بن محمد الثقفى أرض الهند ﴿ وفيها ﴾ غزا قتيبة شاش وفرغانة حتى بلغ خجندة وكاشان مدينتى فرغانة

﴿ ذكر الخبر عن غزوة قتيبة هذه ﴾

ذكر على بن محمد ان أبا الفوارس التميمى أخبره عن ماهان ويونس بن أبى اسحاق ان قتيبة غزا سنة ٩٤ فلما قطع النهر فرض على أهل بخارى وكس ونسف وخوارزم عشرين ألف مقاتل قال فسار وامعه الى السغد فوجهوا الى الشاش وتوجه هو الى فرغانة وسار حتى أتى خجندة فجمع له أهلها فلقوه فاقتتلوا مرارا كل ذلك يكون الظفر للمسلمين ففرغ الناس يوما فركبوا خيولهم فأوفى رجل على نشز فقال تالله ما رأيت كاليوم غرة لو كان هيج اليوم ونحن على ما أرى من الانتشار لكانت الفضيحة فقال له رجل الى جنبه كلا نحن كما قال عوف ابن الخرع

نأم البلاد لحب اللقا * ولا تتقى طائرا حيث طارا
* سنحا ولا جار يا بارحا * على كل حال نلاقى اليسارا

وقال سحبان وائل يذكر قتالهم بخجندة

فسل الفوارس فى خجندة * تحت مرهفة العوالى
هل كنت أجمعهم إذا * هزموا وأقدم فى قتالى
أم كنت أضرب هامة الـ * ـعاتى وأصبر للعوالى
هذا وأنت قريع قيـ * ـس كلها ضخم النوال

وفضلت قيسا في الندى * وأبوك في الحجج الخوالي
ولقد تبين عدل حكمك فيهم في كل مال
تمت مروأتكم ونا * غى عزكم غلب الجبال

قال ثم أتى قتيبة كاشان مدينة فرغانة وأتاه الجنود الذين وجههم الى الشاش وقد فتحوها وحرقوا أكثرها وانصرف قتيبة الى مرو وكتب الحجاج الى محمد بن القاسم الثقفي أن وجه من قبلك من أهل العراق الى قتيبة ووجه اليهم جهم بن زحر بن قيس فانه في أهل العراق خير منه في أهل الشأم وكان محمد وادا لجهم بن زحر فبعث سليمان بن صعصعة وجهم بن زحر فلما ودعه جهم بكى وقال ياجهم انه للفراق قال لابد منه قال وقدم على قتيبة سنة ٩٥ ﴿وفي هذه السنة﴾ قدم عثمان بن حيان المرى المدينة والياعليها من قبل الوليد بن عبد الملك

﴿ذكر الخبر عن ولايته﴾

قد ذكرنا قبل سبب عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة ومكة وتأميره على المدينة عثمان بن حيان فزعم محمد بن عمران عثمان قدم المدينة أميرا عليها لليلتين بقيتا من شوال سنة ٩٤ فنزل بهادار مروان وهو يقول محلة والله مظلعان المغرور من غربك فاستقضى أبا بكر بن حزم قال محمد بن عمر حدثني محمد بن عبد الله بن أبي حرة عن عمه قال رأيت عثمان بن حيان أخذ رياح بن عبيد الله ومنقذا العراقي فحبسهم وعاقبهم ثم بعث بهم في جوامع الى الحجاج بن يوسف ولم يترك بالمدينة أحدا من أهل العراق تاجرا ولا غير تاجر وأمر بهم ان يخرجوا من كل بلد فرأيتهم في الجوامع وأتبع أهل الأهواء وأخذ هيضما فقطعه ومنحورا وكانا من الخوارج قال وسمعته يخطب على المنبر يقول بعد حمد الله أيها الناس انا وجدنا كم أهل غش لأمير المؤمنين في قديم الدهر وحديثه وقد ضوى اليكم من يزيدكم خبالا أهل العراق هم أهل الشقاق والنفاق هم والله غش النفاق وبيضته التي تفلقت عنه والله ما جربت عراقيا قط الا وجدت أفضلهم عندنفسه الذي يقول في آل أبي طالب مايقول وماهم لهم بشيعة وإنهم لاعداء لهم ولغيرهم ولكن لما يريد الله من سفك دمائهم فاني والله لا أوتى باحد آوى أحدا منهم أو أكراه منزلا ولا أنزله الا هدمت منزله وأنزلت به ماهو أهله ثم ان البلدان لما مصرها عمر بن الخطاب وهو مجتهد على مايصلح رعيته جعل يمر عليه من يريد الجهاد فيستشيره الشأم أحب اليك أم العراق فيقول الشأم أحب الي اني رأيت العراق داء عضالا وبها فرخ الشيطان والله لقد أعضلوا بي واني لأراني أفرقهم في البلدان ثم أقول لو فرقتهم لافسدوا من دخلوا عليه بجدل وحجاج وكيف ولم وسرعة وجيف في الفتنة فإذا خبروا عند السيوف لم يخبر منهم طائل لم يصلحوا على عثمان فلق منهم الامرين وكانوا أول الناس فتق هذا التفق العظيم ونقضوا عرى الإسلام عروة عروة وأنغلوا البلدان والله

انى لاتقرب الى الله بكل ما أفعل بهم لما أعرف من رأيهم ومذاهبهم ثم وليهم أمير المؤمنين معاوية فداجهم فلم يصلحوا عليه وليهم رجل الناس جلد افبسط عليهم السيف وأخافهم فاستقاموا له أحبوا أو كرهوا وذلك انه خبرهم وعرفهم أيها الناس انا والله ما رأينا شعارا قط مثل الأمن ولا رأينا حلسا قط شرا من الخوف فالزموا الطاعة فان عندى يا أهل المدينة خبرة من الخلاف والله ما أنتم بأصحاب قتال فكونوا من أحلاس بيوتكم وعضوا على النواجذ فانى قد بعثت فى مجالسكم من يسمع فيبلغنى عنكم إنكم فى فضول كلام غيره ألزم لكم فدعوا عيب الولاة فان الأمر انما ينقض شيأ شيأ حتى تكون الفتنة وان الفتنة من البلاء والفتن تذهب بالدين وبالمال والولد قال يقول القاسم بن محمد صدق فى كلامه هذا الأخير إن الفتنة لهكذا * قال محمد بن عمر وحدثنى خالد بن القاسم عن سعيد بن عمرو الانصارى قال رأيت منادى عثمان بن حيان ينادى عندنا يا بنى أمية بن زيد برئت ذمة الله ممن آوى عراقيا وكان عندنا رجل من أهل البصرة له فضل يقال له أبو سوادة من العباد فقال والله ما أحب ان أدخل عليكم مكروها بلغونى ما أمنى قلت لا خير لك في الخروج ان الله يدفع عنا وعنك قال فأدخلته بيتى وبلغ عثمان بن حيان فبعث احراسا فأخرجته الى بيت أخى فما قدروا على شئ وكان الذى سعى بى عدوا فقلت للأمير أصلح الله الأمير يؤتى بالباطل فلا تعاقب عليه قال فضرب الذى سعى بى عشرين سوطا وأخرجنا العراقى فكان يصلى معنا ما يغيب يوما واحدا وحدب عليه أهل دارنا فقالوا نموت دونك فما برح حتى عزل الخبيث * قال محمد بن عمر وحدثنا عبد الحكم بن عبد الله بن أبى فروة قال انما بعث الوليد عثمان بن حيان الى المدينة لاخراج من بها من العراقيين وتفريق أهل الأهواء ومن ظهر عليهم أو علا بأمرهم فلم يبعثه واليا فكان لا يصعد المنبر ولا يخطب عليه فلما فعل فى أهل العراق ما فعل وفى منصور وغيره أنبته على المدينة فكان يصعد على المنبر ﴿ وفي هذه السنة ﴾ قتل الحجاج سعيد بن جبير

﴿ ذكر الخبر عن مقتله ﴾

وكان سبب قتل الحجاج اياه خروجه عليه مع من خرج عليه مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكان الحجاج جعله على عطاء الجند حين وجه عبد الرحمن الى رتبيل لقتاله فلما خلع عبد الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلعه معه فلما هزم عبد الرحمن وهرب الى بلاد رتبيل هرب سعيد

حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو بكر بن عياش قال كتب الحجاج الى فلان وكان على أصبهان وكان سعيد قال الطبرى أظنه انه لما هرب من الحجاج ذهب الى أصبهان فكتب اليه ان سعيدا عندك فخذه فجاء الامر الى رجل تحرج فأرسل الى سعيد تحول عنى فتنحى عنه فأتى آذربيجان فلم يزل بآذربيجان فطال عليه السنون واعتمر فخرج الى مكة فأقام بها فكان اناس ممن ضربه يستخفون فلا يخبرون بأسمائهم قال فقال أبو حصين وهو يحدثنا هذا فبلغنا

أن فلانا قد أمّر على مكة فقلت له يا سعيد ان هذا الرجل لا يؤمن وهو رجل سوء وأنا أتقيه عليك فأظعن وأشخص فقال يا أبا حصين قد والله فررت حتى استحييت من الله سيجيئني ما كتب الله لي قلت أظنك والله سعيدا كما سمتك أمك قال فقدم ذلك الرجل الى مكة فأرسل فأخذ فلانا له وكلمه فجعل يدبره وذكر أبو عاصم عن عمر بن قيس قال كتب الحجاج الى الوليد ان أهل النفاق والشقاق قد لجؤا الى مكة فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لي فيهم فكتب الوليد الى خالد بن عبد الله القسري فأخذ عطاء وسعيد بن جبير ومجاهد وطلق بن حبيب وعمرو بن دينار فأما عمرو بن دينار وعطاء فأرسلا لانهما مكيان وأما الآخرون فبعث بهم الى الحجاج فمات طلق في الطريق وحبس مجاهد حتى مات الحجاج وقتل سعيد بن جبير ❁ حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو بكر قال حدثنا الاشجعي قال لما أقبل الحرسيان بسعيد بن جبير نزل منزلا قريبا من الربذة فانطلق أحد الحرسيين في حاجته وبقي الآخر فاستيقظ الذي عنده وقد رأى رؤيا فقال يا سعيد اني أبرأ الى الله من دمك اني رأيت في منامي فقيل ويلك تبرأ من دم سعيد بن جبير اذهب حيث شئت لا أطلبك أبدا فقال سعيد أرجو العافية وأرجو وأبى حتى جاء ذاك فنزلا من الغد فأرى مثلها فقيل ابرأ من دم سعيد فقال يا سعيد اذهب حيث شئت اني أبرأ الى الله من دمك حتى جاء به فلما جاء به الى داره التي كان فيها سعيد وهي دارهم هذه ❁ حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو بكر قال حدثنا يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم قال دخلت عليه في دار سعيد هذه جيء به مقيدا فدخل عليه قراء أهل الكوفة قلت يا أبا عبد الله فحدثكم قال اي والله ويضحك وهو يحدثنا وبنية له في حجره فنظرت نظرة فأبصرت القيد فبكت فسمعته يقول اي بنية لا تطيري اياك وشق والله عليه فاتبعناه نشيعه فانتهينا به الى الجسر فقال الحرسيان لا نعبر به أبدا حتى يعطينا كفيلا نخاف ان يغرق نفسه قال قلنا سعيد يغرق نفسه فاعبروا حتى كفلنا به * قال وهب بن جرير حدثنا أبي قال سمعت الفضل بن سويد قال بعثني الحجاج في حاجة فجئ بسعيد بن جبير فرجعت فقلت لأنظرن ما يصنع فقمت على رأس الحجاج فقال له الحجاج يا سعيد ألم أشركك في أماني ألم أستعملك ألم أفعل حتى ظننت انه يخلي سبيله قال بلى قال فما حملك على خروجك علي قال عزم علي قال فطار غضبا وقال هيه رأيت لعزمة عدو الرحمن عليك حقا ولم تر لله ولا لأمير المؤمنين ولا لي عليك حقا أضرب باعنقه فضربت عنقه فندر رأسه عليه كمة بيضاء لاطية صغيرة ❁ وحدثت عن أبي غسان مالك بن اسماعيل قال سمعت خلف بن خليفة يذكر عن رجل قال لما قتل سعيد بن جبير فندر رأسه هلل ثلاثا مرة يفصح بها وفي الثنتين يقول مثل ذلك فلا يفصح بها * وذكر أبو بكرة الباهلي قال سمعت أنس بن أبي شيخ يقول لما أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال لعن الله ابن النصرانية قال يعني خالدا القسري وهو الذي

أرسل به من مكة أما كنت أعرف مكانه بلى والله والبيت الذى هو فيه بمكة ثم أقبل عليه فقال ياسعيد ما أخرجك علىّ فقال أصلح الله الأمير انما أنا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيب مرة قال فطابت نفس الحجاج وتطلق وجهه ورجا ان يتخلص من أمره قال فعاوده في شئ فقال له انما كانت له بيعة فى عنقى قال فغضب وانتفخ حتى سقط أحد طرفي ردائه عن منكبه فقال ياسعيد ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير ثم أخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لامير المؤمنين عبد الملك قال بلى قال ثم قدمت الكوفة والياعلى العراق فجددت لامير المؤمنين البيعة فأخذت بيعتك له ثانية قال بلى قال فتنكث بيعتين لامير المؤمنين وتفى بواحدة للحائك ابن الحائك أضربا عنقه قال فاياه عنى جرير بقوله

يارُبَّ نَاكِثِ بَيْعَتَيْنِ تَرَكْتَهُ * وَخِضَابُ لِحْيَتِهِ دَمُ الأوداج

وذكر عتاب بن بشر عن سالم الافطس قال أتى الحجاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب وقد وضع احدى رجليه فى الغرز والركاب فقال والله لا أركب حتى تبوء مقعدك من النار اضربوا عنقه فضربت عنقه فالتبس عقله مكانه فجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوا انه قال القيود التى على سعيد بن جبير فقطعوا رجليه من انصاف ساقيه وأخذوا القيود * قال محمد ابن حاتم حدثنا عبد الملك بن عبد الله عن هلال بن جناب قال جئ بسعيد بن جبير الى الحجاج فقال اكتبت الى مصعب بن الزبير قال بل كتب الىّ مصعب قال والله لاقتلنك قال إنى اذا لسعيد كما سمتنى أمى قال فقتله فلم يلبث بعده الا نحوا من أربعين يوما فكان اذا نام يراه فى منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول ياعدو الله فيم قتلتنى فيقول مالى ولسعيد بن جبير مالى ولسعيد بن جبير ﴿قال أبو جعفر﴾ وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء مات فيها عامة فقهاء أهل المدينة مات في أولها علىّ بن الحسين عليه السلام ثم عروة بن الزبير ثم سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ﴿واستقضى﴾ الوليد فى هذه السنة بالشأم سليمان بن حبيب واختلف فيمن أقام الحج للناس فى هذه السنة فقال أبو معشر فيما حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه قال حج بالناس مسلمة بن عبد الملك سنة ٩٤ وقال الواقدى حج بالناس سنة ٩٤ عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك قال ويقال مسلمة بن عبد الملك وكان العامل فيها على مكة خالد بن عبد الله القسرى وعلى المدينة عثمان بن حيان المرّىّ وعلى الكوفة زياد بن جرير وعلى قضائها أبو بكر بن أبى موسى وعلى البصرة الجرّاح بن عبد الله وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة وعلى خراسان قتيبة بن مسلم وعلى مصر قرّة بن شريك وكان العراق والمشرق كله الى الحجاج

﴿ ثم دخلت سنة خمس وتسعين ﴾

﴿ذكر الاحداث التي كانت فيها﴾

﴿ففيها﴾ كانت غزوة العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الروم ففتح الله على يديه ثلاثة حصون فيما قيل وهي طولس والمرزبانين وهرقلة ﴿وفيها﴾ فتح آخر الهند الاالكيرج والمندل ﴿وفيها﴾ بنيت واسط القصب في شهر رمضان ﴿وفيها﴾ انصرف موسى ابن نصير الى افريقية من الاندلس وضحى بقصر الماء فيما قيل على ميل من القيروان ﴿وفيها﴾ غزا قتيبة بن مسلم الشاش

﴿ذكر الخبر عن غزوته هذه﴾

﴿رجع الحديث﴾ الى حديث علي بن محمد قال وبعث الحجاج جيشا من العراق فقدموا على قتيبة سنة ٩٥ فغزا فلما كان بالشاش أو بكشماهن أتاه موت الحجاج في شوال فغمه ذلك وقفل راجعا الى مرو وتمثل

لعمري لنعم المرء من آل جعفر * بحوران أمسى أعلقته الحبائل

فإن تحي لا أملل حياتي وإن تمت * فما في حياة بعد موتك طائل

قال فرجع بالناس ففرقهم فخلف في بخارى قوما ووجه قوما الى كس ونسف ثم أتى مرو فأقام بها وأتاه كتاب الوليد قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك في جهاد أعداء المسلمين وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك كالذي يجب لك فالزم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأني أنظر الى بلادك والثغر الذي أنت به ﴿وفيها﴾ مات الحجاج بن يوسف في شوال وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة وقيل ابن ثلاث وخمسين سنة وقيل كانت وفاته في هذه السنة لخمس ليال بقين من شهر رمضان ﴿وفيها﴾ استخلف الحجاج لما حضرته الوفاة على الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج وكانت إمرة الحجاج على العراق فيما قال الواقدي عشرين سنة ﴿وفي هذه السنة﴾ افتتح العباس بن الوليد قنسرين ﴿وفيها﴾ قتل الوضاحي بأرض الروم ونحو من ألف رجل معه ﴿وفيها﴾ ذكر ولد المنصور عبد الله بن محمد بن علي ﴿وفيها﴾ ولى الوليد بن عبد الملك يزيد بن أبي كبشة على الحرب والصلاة بالمصرين الكوفة والبصرة وولى خراجهما يزيد بن أبي مسلم وقيل ان الحجاج كان استخلف حين حضرته الوفاة على حرب البلدين والصلاة بأهلهما يزيد بن أبي كبشة وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم فأقرهما الوليد بعد موت الحجاج على ما كان الحجاج استخلفهما عليه وكذلك فعل بعمال الحجاج كلهم أقرهم بعده على أعمالهم التي كانوا عليها في حياته ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة بشر بن الوليد بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد ابن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وكان عمال

الامصار فى هذه السنة هم العمال الذى كانوا فى السنة التى قبلها الا ما كان من الكوفة والبصرة فانهما ضمتا الى من ذكرت بعد موت الحجاج

﴿ ثم دخلت سنة ست وتسعين ﴾

﴿ذكر الأحداث التى كانت فيها﴾

﴿ففيها﴾ كانت فيما قال الواقدى غزوة بشر بن الوليد الشاتية فقفل وقدمات الوليد ﴿وفيها﴾ كانت وفاة الوليد بن عبد الملك يوم السبت فى النصف من جمادى الآخرة سنة ٩٦ فى قول جميع أهل السير واختلف فى قدر مدة خلافته فقال الزهرى فى ذلك ما حدثت عن ابن وهب عن يونس عنه ملك الوليد عشر سنين الا شهرا وقال أبو معشر فيه ما حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه كانت خلافة الوليد تسع سنين وسبعة أشهر (وقال هشام) بن محمد كانت ولاية الوليد ثمانى سنين وستة أشهر وقال الواقدى كانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين واختلف أيضا فى مبلغ عمره فقال محمد بن عمر توفى بدمشق وهو ابن ست وأربعين سنة وأشهر وقال هشام بن محمد توفى وهو ابن خمس وأربعين سنة وقال على بن محمد توفى وهو ابن اثنتين وأربعين سنة وأشهر وقال على كانت وفاة الوليد بدير مرّان ودفن خارج باب الصغير ويقال فى مقابر الفراديس ويقال انه توفى وهو ابن سبع وأربعين سنة وقيل صلى عليه عمر بن عبد العزيز وكان له فيما قال على تسعة عشر ابنا عبد العزيز ومحمد والعباس وابراهيم وتمام وخالد وعبد الرحمن ومبشر ومسرور وأبو عبيدة وصدقة ومنصور ومروان وعنبسة وعمرو وروح وبشر ويزيد ويحيى أم عبد العزيز ومحمد أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وأم أبى عبيدة فزارية وسائرهم لامهات شتى

﴿ذكر الخبر عن بعض سيره﴾

حدثنى عمر قال حدثنى على قال كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشأم أفضل خلائفهم بنى المساجد مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنار وأعطى الناس وأعطى المجذمين وقال لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائدا وفتح فى ولايته فتوح عظام فتح موسى بن نصير الاندلس وفتح قتيبة كاشغر وفتح محمد بن القاسم الهند قال وكان الوليد يمر بالبقال فيقف عليه فيأخذ حزمة البقل فيقول بكم هذه فيقول بفلس فيقول زد فيها قال وأتاه رجل من بنى مخزوم يسأله فى دينه فقال نعم ان كنت مستحقا لذلك قال يا أمير المؤمنين وكيف لا أكون مستحقا لذلك مع قرابتى قال أقرأت القرآن قال لا قال ادن منى فدنا منه فنزع عمامته بقضيب كان فى يده وقرعه قرعات بالقضيب وقال لرجل ضم هذا اليك فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن فقام اليه عثمان بن يزيد بن خالد بن عبد الله بن

خالد بن أسيد فقال يا أمير المؤمنين إن علي دينا فقال أقرأت القرآن قال نعم فاستقرأه عشر آيات من الانفال وعشر آيات من براءة فقرأ فقال نعم نقضي عنكم ونصل أرحامكم على هذا قال ومرض الوليد فرهقته غشية فمكث عامة يومه عندهم ميتا فبكى عليه وخرجت البرد بموته فقدم رسول على الحجاج فاسترجع ثم أمر بحبل فشد في يديه ثم أوثق الى اسطوانة وقال اللهم لا تسلط علي من لا رحمة له فقد طال ما سألتك أن تجعل منيتي قبل منيته وجعل يدعو فانه لكذلك اذ قدم عليه بريد بافاقته قال علي ولما أفاق الوليد قال ما أحد أسر بعافية أمير المؤمنين من الحجاج فقال عمر بن عبد العزيز ما أعظم نعمة الله علينا بعافيتك وكأني بكتاب الحجاج قد أتاك يذكر فيه أنه لما بلغه برؤك خر لله ساجدا وأعتق كل مملوك له وبعث بقوارير من أنبج الهند فما لبث الا أياما حتى جاء الكتاب بما قال قال ثم لم يمت الحجاج حتى ثقل على الوليد فقال خادم للوليد إني لاوضئ الوليد يوما للغداء فمد يده فجعلت أصب عليه الماء وهو ساه والماء يسيل ولا أستطيع أن أتكلم ثم نضح الماء في وجهي وقال أناعس أنت ورفع رأسه الي وقال ماتدري ماجاء الليلة قلت لا قال ويحك مات الحجاج فاسترجعت قال اسكت ما يسرمولاك أن في يده تفاحة يشمها قال علي وكان الوليد صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع وكان الناس يلتقون في زمانه فانما يسأل بعضهم بعضا عن البناء والمصانع فولي سليمان فكان صاحب نكاح وطعام فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن التزويج والجواري * فلما ولي عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل ما وردك الليلة وكم تحفظ من القرآن ومتى تختم ومتى ختمت وما تصوم من الشهر ورثى جرير الوليد فقال

يا عين جودي بدمع هاجه الذكر * فما لدمعك بعد اليوم مدخر
إن الخليفة قد وارت شمائله * غبراء ملحدة في جوفها زور
أضحى بنوه وقد جلت مصيبتهم * مثل النجوم هوى من بينها القمر
كانوا جميعا فلم يدفع منيته * عبد العزيز ولا روح ولا عمر

حدثني عمر قال حدثنا علي قال حج الوليد بن عبد الملك وحج محمد بن يوسف من اليمن وحمل هدايا للوليد فقالت أم البنين للوليد يا أمير المؤمنين اجعل لي هدية محمد بن يوسف وأمر بصرفها اليها فجاءت رسل أم البنين الى محمد فيها فأبى وقال حتى ينظر اليها أمير المؤمنين فيرى رأيه وكانت هدايا كثيرة فقالت يا أمير المؤمنين انك أمرت بهدايا محمد أن تصرف الي ولا حاجة لي بها قال ولم قالت بلغني أنه غصبها الناس وكلفهم عملها وظلمهم وحمل محمد المتاع الى الوليد فقال بلغني انك أصبتها غصبا قال معاذ الله فأمر فاستحلف بين الركن والمقام خمسين يمينا بالله ما غصب شيأ منها ولا ظلم أحدا ولا أصابها الا من طيب فحلف فقبلها

الوليدُ ودفعها الى أمّ البنين فمات محمد بن يوسف باليمن أصابه داء تقطع منه ﴿وفي هذه السنة﴾ كان الوليد أراد الشخوص الى أخيه سليمان فخلعه وأراد البيعة لابنه من بعده وذلك قبل مرضته التي مات فيها ﴿حدثني﴾ عمر قال حدثنا علي قال كان الوليد وسليمان وليّي عهد عبد الملك فلما أفضى الامر الى الوليد أراد أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان فأبى سليمانُ فأراده على أن يجعله له من بعده فأبى فعرض عليه أموالا كثيرة فأبى فكتب الى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز ودعا الناس الى ذلك فلم يجبه أحدٌ الا الحجاج وقتيبة وخواصٌ من الناس فقال عباد بن زياد ان الناس لا يجيبونك الى هذا ولو أجابوك لم آمنهم على الغدر بابنك فاكتب الى سليمان فليقدم عليك فإن لك عليه طاعةً فأرده على البيعة لعبد العزيز من بعده فانه لا يقدر على الامتناع وهو عندك فان أبى كان الناس عليه فكتب الوليد الى سليمان يأمره بالقدوم فأبطأ فاعتزم الوليد على المسير اليه وعلى أن يخلعه فأمر الناس بالتأهب وأمر بحُجره فأخرجت فمرض ومات قبل أن يسير وهو يريد ذلك قال عمر قال عليّ وأخبرنا أبو عاصم الزيادي عن الهلواث الكلبي قال كنا بالهند مع محمد بن القاسم فقتل الله داهرا وجاءنا كتاب من الحجاج أن اخلعوا سليمان فلما ولي سليمان جاءنا كتاب سليمان أن ازرعوا واحرثوا فلا شأم لكم فلم نزل بتلك البلاد حتى قام عمرُ بن عبد العزيز فأقفلنا قال عمر قال عليّ أراد الوليد أن يبني مسجد دمشق وكانت فيه كنيسةٌ فقال الوليد لاصحابه أقسمت عليكم لمّا أتاني كلُّ رجل منكم بلبنةٍ فجعل كلُّ رجل يأتيه بلبنة ورجل من أهل العراق يأتيه بلبنتين فقال له ممن أنت قال من أهل العراق قال يا أهل العراق تفرطون في كل شيء حتى في الطاعة وهدموا الكنيسة وبناها مسجدا فلما ولي عمرُ بن عبد العزيز شكوا ذلك اليه فقيل إن كلّ ما كان خارجا من المدينة افتتح عنوةً فقال لهم عمر نردّ عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما فإنها فتحت عنوة وبنيتها مسجدا فلما قال لهم ذلك قالوا بل ندع لكم هذا الذي هدمه الوليد ودعوا النا كنيسة توما ففعل عمر ذلك ﴿وفي هذه السنة﴾ افتتح قتيبة بن مسلم كاشغر وغزا الصين

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

﴿رجع الحديث﴾ الى حديث علي بن محمد بالإسناد الذي ذكرتُ قبلُ قال ثم غزا قتيبة في سنة ٩٦ وحمل مع الناس عيالهم وهو يريد أن يحرز عياله في سمرقند خوفا من سليمان فلما عبر النهر استعمل رجلا من مواليه يقال له الخوارزمي على مقطع النهر وقال لا يجوزنّ أحدٌ الا بجواز ومضى الى فرغانة وأرسل الى شعب عصام من يسهّل له الطريق الى كاشغر وهي أدنى مدائن الصين فأتاه موتُ الوليد وهو بفرغانة قال فأخبرنا أبو الذيال عن المهلب ابن اياس قال قال اياس بن زهير لما عبر قتيبة النهر أنبئته فقلت له انك خرجت ولم أعلم

رأيك فى العيال فنأخذ أهبة ذلك وبنى الاكابر معى ولى عيال قد خلفتهم وأم عجوز وليس عندهم من يقوم بأمرهم فان رأيت أن تكتب لى كتابا مع بعض بنى أو وجهه فيقدم على بأهلى فكتب فأعطانى الكتاب فانتهيت الى النهر وصاحب النهر من الجانب الآخر فألويت بيدى فجاء قوم فى سفينة فقالوا من أنت وأين جوازك فأخبرتهم فقعد معى قوم وردّ قوم السفينة الى العامل فأخبروه قال ثم رجعوا الىّ فحملونى فانتهيت اليهم وهم يأكلون وأنا جائع فرميت بنفسى فسألنى عن الامر وأنا آكل لا أجيبه فقال هذا أعرابى قدمات من الجوع ثم ركبت فمضيت فأتيت مرو فحملت أمى ورجعت أريد العسكر وجاءنا موت الوليد فانصرفت الى مرو قال وأخبرنا أبو مخنف عن أبيه قال بعث قتيبة كثير بن فلان الى كاشغر فسبى منها سبيا فختم أعناقهم مما أفاء الله على قتيبة ثم رجع قتيبة وجاءهم موت الوليد قال وأخبرنا يحيى بن زكرياء الهمدانى عن أشياخ من أهل خراسان والحكم بن عثمان قال حدثنى شيخ من أهل خراسان قال وغل قتيبة حتى قرب من الصين قال فكتب اليه ملك الصين أن ابعث الينا رجلا من أشراف من معكم يخبرنا عنكم ونسائله عن دينكم فانتخب قتيبة من عسكره اثنى عشر رجلا وقال بعضهم عشرة من أفناء القبائل لهم جمال وأجسام وألسن وشعور وبأس بعد ما سأل عنهم فوجدهم من صالح من هم منه فكلمهم قتيبة وفاطنهم فرأى عقولا وجمالا فأمر لهم بعدة حسنة من السلاح والمتاع الجيد من الخز وز والوشى واللين من البياض والرقيق والنعال والعطر وحملهم على خيول مطهمة تقاد معهم ودواب يركبونها قال وكان هبيرة بن المشمرج الكلابى مفوها بسيط اللسان فقال ياهبيرة كيف أنت صانع قال أصلح الله الامير قد كفيت الادب وقل ماشئت أقله وآخذ به قال سيروا على بركة الله وبالله التوفيق لا تضعوا العمائم عنكم حتى تقدموا البلاد فاذا دخلتم عليه فأعلموه انى قد حلفت أن لا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبى خراجهم قال فساروا وعليهم هبيرة بن المشمرج فلما قدموا أرسل اليهم ملك الصين يدعوهم فدخلوا الحمام ثم خرجوا فلبسوا ثيابا بياضا تحتها الغلائل ثم مسوا الغالية وتدخنوا ولبسوا النعال والاردية ودخلوا عليه وعنده عظماء أهل مملكته فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا أحد من جلسائه فنهضوا فقال الملك لمن حضره كيف رأيتم هؤلاء قالوا رأينا قوما ماهم الا نساء مابقى منا أحد حين رآهم ووجد رائحتهم الا انتشر ما عنده قال فلما كان الغد أرسل اليهم فلبسوا الوشى وعمائم الخز والمطارف وغدوا عليه فلما دخلوا عليه قيل لهم ارجعوا فقال لاصحابه كيف رأيتم هذه الهيئة قالوا هذه الهيئة أشبه بهيئة الرجال من تلك الاولى وهم أولئك فلما كان اليوم الثالث أرسل اليهم فشدوا عليهم سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر وتقلدوا السيوف وأخذوا الرماح وتنكبوا القسى وركبوا خيولهم وغدوا فنظر

اليهم

اليهم صاحب الصين فرأى أمثال الجبال مُقبلةً فلما دنوا ركزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوهم مشمّرين فقيل لهم قبل أن يدخلوا ارجعوا ما دخل قلوبهم من خوفهم قال فانصرفوا فركبوا خيولهم واختلجوا رماحهم ثم دفعوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها فقال الملك لأصحابه كيف ترونهم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء قطّ فلما أمسى أرسل اليهم الملك أن ابعثوا الى زعيمكم وأفضلكم رجلا فبعثوا اليه هبيرة فقال له حين دخل عليه قد رأيتم عظيم ملكي وانه ليس أحدٌ يمنعكم مني وأنتم في بلادي وانما أتتم بمنزلة البَيضة في كفّي وأنا سائلك عن أمر فان لم تصدقني قتلتكم قال سل قال لِمَ صنعتم ما صنعتم من الزيّ في اليوم الأوّل والثاني والثالث قال أما زيُّنا الأول فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم وأما يومنا الثاني فاذا أتينا أمراءنا وأما اليوم الثالث فزيُّنا لعدوّنا فاذا هاجناهيج وفزعٌ كنا هكذا قال ما أحسن ما دبّرتم دهركم فانصرفوا الى صاحبكم فقولوا له ينصرف فاني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه والا بعثتُ عليكم من يُهلككم ويهلكه قال له كيف يكون قليل الأصحاب مَن أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا عليها وغزاك وأما تخويفك اياناً بالقتل فإنّ لنا آجالاً اذا حضرت فأكرمها القتلُ فلسنا نكرهه ولا نخافه قال فما الذي يرضى صاحبك قال انه قد حلف أن لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويُعطي الجزية قال فانا نُخرجه من يمينه نبعث اليه بتراب من تراب أرضنا فيطأه ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ونبعث اليه بجزية يرضاها قال فدعا بصحاف من ذهب فيها تراب وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم أجازهم فأحسن جوائزهم فسار وافقد موا بما بعث به فقبل قتيبةُ الجزية وختم الغلمة وردّهم ووطئ التراب فقال سوادة بن عبدالله السلولي

لا عيبَ في الوفد الذين بعثتهم * للصين ان سلكوا طريق المنهج
كسروا الجفون على القذى خوف الرّدى * حاشى الكريم هبيرة بن مُشمرج
لم يرضَ غير الختم في أعناقهم * ورهائنٍ دُفعتْ بحمل سمرّج
أدّى رسالتك التي استرعيته * وأتاك من حنث اليمين بمخرج

قال فأوفد قتيبةُ هبيرة الى الوليد فمات بقرية من فارس فرثاه سوادة فقال

لله قبرُ هبيرة بن مُشمرجٍ * ماذا تضمّن من ندًى وجمالِ
وبديهةٍ يَعيا بها أبناؤُها * عند احتفال مشاهد الأقوالِ
كان الربيع اذا السنون تتابعت * والليثَ عند تكعكع الأبطالِ
فسقت بقرية حيثُ أمسى قبرُه * غرٌّ يرحن بمسبلٍ هطّالِ
بكت الجيادُ الصافناتُ لفقده * وبكاه كلُّ مُثقّفٍ عسّالِ

وبكتبه شُعثٌ لم يجدْنَ مُؤاسيًا * في العام ذى السَّنوات والإمحالِ

قال وقال الباهليون كان قتيبة اذا رجع من غزاته كل سنة اشترى اثنى عشر فرسا من جياد الخيل واثنى عشر هجينا لا يجاوز بالفرس أربعة آلاف فيقام عليها الى وقت الغزو فاذا تأهب للغزو وعسكر قيدت وأضمرت فلا يقطع نهرا بخيل حتى تخف لحومها فيحمل عليها من يحمله في الطلائع وكان يبعث في الطلائع الفرسان من الأشراف ويبعث معهم رجالا من العجم ممن يستنصح على تلك الهجن وكان اذا بعث بطليعة أمر بلوح فنقش ثم يشقه شقتين فأعطاه شقة واحتبس شقة لئلا يمثل مثلها ويأمره أن يدفنها في موضع يصفه له من مخاضة معروفة أو تحت شجرة معلومة أو خربة ثم يبعث بعده من يستبريها ليعلم أصادق طليعته أم لا وقال ثابت قطنة العتكى يذكر من قتل من ملوك الترك

أقرَّ العينَ مقتلُ كازرنكٍ * وكشبيزٍ ومالاقى بيادُ

وقال الكميت يذكر غزوة السغد وخوارزم

وبعدُ في غزوةٍ كانت مُباركةً * تَردى زراعةَ أقوامٍ وتحتصدُ
نالتْ غمامتُها فيلاً بوابلِها * والسُّغد حين دنا شؤبوبُها البردُ
اذ لا يزالُ له نهبٌ يُنفِّلُه * من المقاسمِ لا وحشٌ ولا نكدُ
تلك الفتوحُ التى تدلى بحجتها * على الخليفة أنا معشرٌ حُشُدُ
لم تثنِ وجهكَ عن قومٍ غزوتَهم * حتى يُقالَ لهم بُعدًا وقد بعدُوا
لم ترضَ من حضنهم ان كان ممتنعًا * حتى يكبَّر فيه الواحدُ الصَّمدُ

﴿خلافة سليمان بن عبد الملك﴾

﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة بويع سليمان بن عبد الملك بالخلافة وذلك فى اليوم الذى توفى فيه الوليد بن عبد الملك وهو بالرملة ﴿وفيها﴾ عزل سليمان بن عبد الملك عثمان بن حيان عن المدينة ذكر محمد بن عمر انه نزعه عن المدينة لسبع بقين من شهر رمضان سنة ٩٦ قال وكان عمله على المدينة ثلاث سنين وقيل كانت إمرته عليها سنتين غير سبعة ليال قال الواقدى وكان أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قد استأذن عثمان أن ينام فى غد ولا يجلس للناس ليقوم ليلة احدى وعشرين فأذن له وكان أيوب بن سلمة المخزومى عنده وكان الذى بين أيوب بن سلمة وبين أبى بكر بن عمرو بن حزم شيئا فقال أيوب لعثمان ألم ترالى ما يقول هذا انما هذا منه رئاء فقال عثمان قد رأيت ذلك ولست لأبى إن أرسلت اليه غدوة ولم أجده جالسا لأجلدنه مائة ولأحلقن رأسه ولحيته قال أيوب فجاءنى أمر أحبه فعجلت من السحر فاذا شمعة فى الدار فقلت عجل المرئ فاذا رسول سليمان قد قدم على أبى بكر بتأميره وعزل عثمان وحده قال أيوب فدخلت دار الامارة

فاذا

فإذا ابن حيان جالس وإذا بأبي بكر على كرسي يقول للحداد اضرب في رجل هذا الحديد ونظر الى عثمان فقال

آبواعلى أدبارهم كشفا * والأمر يحدث بعده الأمر

﴿وفي هذه السنة﴾ عزل سليمان يزيد بن أبي مسلم عن العراق وأمر عليه يزيد بن المهلب وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج وأمره أن يقتل آل أبي عقيل و يبسط عليهم العذاب

ذكر الخبر عن سبب ذلك

حدثني عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد قال قدم صالح العراق على الخراج ويزيد على الحرب فبعث يزيد زياد بن المهلب على عمان وقال له كاتب صالحا واذا كتبت اليه فابدأ باسمه وأخذ صالح آل أبي عقيل فكان يعذبهم وكان يلي عذابهم عبد الملك بن المهلب ﴿وفي هذه السنة﴾ قتل قتيبة بن مسلم بخراسان

﴿ذكر الخبر عن سبب مقتله﴾

وكان سبب ذلك ان الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل ابنه عبد العزيز بن الوليد ولي عهده ودس في ذلك الى القواد والشعراء فقال جرير في ذلك

اذا قيل أي الناس خير خليفة * أشارت الى عبد العزيز الاصابع

رأوه أحق الناس كلهم بها * وما ظلموا فبايعوه وسارعوا

وقال أيضا جرير يحض الوليد على بيعة عبد العزيز

الى عبد العزيز سمت عيون الر * عية اذ تحيرت الرعاء

اليه دعت دواعيه إذا ما * عماد الملك خرت والسماء

وقال أولوا الحكومة من قريش * علينا البيع ان بلغ الغلاء

رأوا عبد العزيز ولي عهد * وما ظلموا بذاك ولا أساؤا

فما ذا تنظرون بها وفيكم * جسور بالعظائم واعتلاء

* فزحلفها بأزملها اليه * أمير المؤمنين اذا تشاء *

فإن الناس قد مدوا اليه * أكفهم وقد برح الخفاء

ولو قد بايعوك ولي عهد * لقام الوزن واعتدل البناء

فبايعه على خلع سليمان الحجاج بن يوسف وقتيبة ثم هلك الوليد وقام سليمان بن عبد الملك فخافه قتيبة قال علي ابن محمد أخبرنا بشر بن عيسى والحسن بن رشيد وكليب بن خلف عن طفيل بن مرداس وجبلة بن فروخ عن محمد بن عزيز الكندي وجبلة بن أبي داود ومسلمة بن محارب عن السكن بن قتادة ان قتيبة لما أتاه موت الوليد بن عبد الملك وقيام سليمان أشفق من سليمان لانه كان يسعى في بيعة عبد العزيز بن الوليد مع الحجاج وخاف أن يولي سليمان يزيد بن المهلب خراسان قال فكتب اليه كتابا يهنئه بالخلافة ويعزيه على

الوليد ويعلمه بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد وأنه له على مثل ما كان لهما عليه من الطاعة والنصيحة ان لم يعزله عن خراسان وكتب اليه كتابا آخر يعلمه فيه فتوحه ونكايته وعظم قدره عند ملوك العجم وهيبته في صدورهم وعظم صوته فيهم ويذم المهلب وآل المهلب ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه وكتب كتابا ثالثا فيه خلعه وبعث بالكتب الثلاثة مع رجل من باهلة وقال له ادفع اليه هذا الكتاب فان كان يزيد بن المهلب حاضرا فقرأه ثم ألقاه اليه فادفع اليه هذا الكتاب فإن قرأه وألقاه الى يزيد فادفع اليه هذا الكتاب فإن قرأ الاول ولم يدفعه الى يزيد فاحتبس الكتابين الآخرين قال فقدم رسول قتيبة فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب فدفع اليه الكتاب فقرأه ثم ألقاه الى يزيد فدفع اليه كتابا آخر فقرأه ثم رمى به الى يزيد فأعطاه الكتاب الثالث فقرأه فتمعر لونه ثم دعا بطين فختمه ثم أمسكه بيده وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فانه قال فيما حدثت عنه كان في الكتاب الاول وقيعة في يزيد بن المهلب وذكر غدره وكفره وقلة شكره وكان في الثاني ثناء على يزيد وفي الثالث لئن لم تقرني على ما كنت عليه وتؤمنني لأخلعنك خلع النعل ولأملأنها عليك خيلا ورجالا وقال أيضا لما قرأ سليمان الكتاب الثالث وضعه بين مثالين من المثل التي تحته ولم يحر في ذلك مرجوعا ﴿رجع الحديث﴾ الى حديث علي بن محمد قال ثم أمر يعني سليمان برسول قتيبة أن ينزل فحول الى دار الضيافة فلما أمسى دعا به سليمان فأعطاه صرة فيها دنانير فقال هذه جائزتك وهذا عهد صاحبك على خراسان فسر وهذا رسولي معك بعهده قال فخرج الباهلي وبعث معه سليمان رجلا من عبد القيس ثم أحد بني ليث يقال له صعصعة أو مصعب فلما كان بحلوان تلقاهم الناس بخلع قتيبة فرجع العبدي ودفع العهد الى رسول قتيبة وقد خلع واضطرب الامر فدفع اليه عهده فاستشار اخوته فقالوا لا يثق بك سليمان بعد هذا (قال علي) وحدثني بعض العنبريين عن أشياخ منهم أن توبة بن أبي أسيد العنبري قال قدم صالح العراق فوجهني الى قتيبة ليطلعني طلع ما في يديه فصحبني رجل من بني أسد فسألني عما خرجت فيه فكاتمته أمري فإنا لنسير اذ سنح لنا سانح فنظر الى رفيقي فقال أراك في أمر جسيم وأنت تكتمني فمضيت فلما كنت بحلوان تلقاني الناس بقتل قتيبة * قال علي وذكر أبو الذيال وكليب ابن خلف وأبو علي الجوزجاني عن طفيل بن مرداس وأبو الحسن الجشمي ومصعب بن حبان عن أخيه مقاتل بن حبان وأبو مخنف وغيرهم ان قتيبة لما هم باخلع استشار اخوته فقال له عبد الرحمن اقطع بعثا فوجه فيه كل من تخافه ووجه قوما الى مرو وسر حتى تنزل سمرقند ثم قل لمن معك من أحب المقام فله المواساة ومن أراد الانصراف فغير مستكره ولا متبوع بسوء فلا يقيم معك الا مناصح وقال له عبد الله اخلعه مكانك وادع الناس الى

خلعه

خلعه فليس يختلف عليك رجلان فأحذر أى عبد الله فخلع سليمان ودعا الناس الى خلعه فقال للناس انى قد جمعتكم من عين التمر وفيض البحر فضممت الأخ الى أخيه والولد الى أبيه وقسمت بينكم فيأكم وأجريت عليكم اعطياتكم غير مكدرة ولا مؤخرة وقد جربتم الولاة قبلى أتاكم أمية فكتب الى أمير المؤمنين ان خراج خراسان لا يقيم بمطبخى ثم جاءكم أبو سعيد فدوّم بكم ثلاث سنين لا تدرون أفي طاعة أنتم أم فى معصية لم يجب فيئا ولم ينكأ عدوا ثم جاءكم بنوه بعده يزيد فخل تبارى اليه النساء وانما خليفتكم يزيد بن ثروان هبنقة القيسى قال فلم يجبه أحد فغضب فقال لا أعز الله من نصرتم والله لو اجتمعتم على عنز ما كسرتم قرنه يا أهل السافلة ولا أقول أهل العالية يا أوباش الصدقة جمعتكم كما تجمع ابل الصدقة من كل أوب يا معشر بكر بن وائل يا أهل النفخ والكذب والبخل بأى يوميكم تفخرون بيوم حربكم أم بيوم سلمكم فوالله لأنا أعز منكم يا أصحاب مسيلمة يا بنى ذميم ولا أقول تميم يا أهل الخور والقصف والغدر كنتم تسمون الغدر فى الجاهلية كيسان يا أصحاب سجاح يا معشر عبد القيس القساة تبدلتم بأبر النخل أعنة الخيل يا معشر الأزد تبدلتم بقلوس السفن أعنة الخيل الحصن ان هذا البدعة في الإسلام والاعراب وما الاعراب لعنة الله على الاعراب يا كناسة المصرين جمعتكم من منابت الشيح والقيصوم ومنابت الفلفل تركبون البقر والحمر في جزيرة ابن كاوان حتى اذا جمعتكم كما تجمع قزع الخريف قلتم كيت وكيت أما والله انى لابن أبيه وأخو أخيه أما والله لأعصبنكم عصب السلمة ان حول الصليان الزمزمة يا أهل خراسان هل تدرون من وليكم وليكم يزيد بن ثروان كأنى بأمير مزجاء وحكم قد جاءكم فغلبكم على فيئكم واطلالكم ان ههنا نارا ارموها ارم معكم ارموا غرضكم الاقصى قد استخلف عليكم أبو نافع ذو الودعات ان الشأم أب مبرور وان العراق أب مكفور رحمى متى يتبطح أهل الشأم بأفنيتكم وظلال داركم يا أهل خراسان انسبونى تجدونى عراقيا لام عراقيا لاب عراقيا المولد عراقيا الهوى والرأى والدين وقد أصبحتم اليوم فيما ترون من الامن والعافية قد فتح الله لكم البلاد وآمن سبلكم فالظعينة تخرج من مرو الى بلخ بغير جواز فاحمدوا الله على النعمة وسلوه الشكر والمزيد قال ثم نزل فدخل منزله فأتاه أهل بيته فقالوا ما رأينا كاليوم قط والله ما اقتصرت على أهل العالية وهم شعارك ودثارك حتى تناولت بكرا وهم أنصارك ثم لم ترض بذلك حتى تناولت تميما وهم اخوتك ثم لم ترض بذلك حتى تناولت الازد وهم يدك فقال لما تكلمت فلم يجبنى أحد غضبت فلم أدر ما قلت إن أهل العالية كابل الصدقة قد جمعت من كل أوب وأما بكر فإنها أمة لا تمنع يد لامس وأما تميم فجمل أجرب وأما عبد القيس فما يضرب العير بذنبه وأما الأزد فأعلاج شرار من خلق الله لو ملكت أمرهم لوسمتهم قال فغضب الناس

وكرهوا خلع سليمان وغضبت القبائل من شتم قتيبة فأجمعوا على خلافه وخلعه وكان أوّل من تكلم فى ذلك الازد فأتوا حضين بن المنذر فقالوا ان هذا قد دعا الى ما دعا اليه من خلع الخليفة وفيه فساد الدين والدنيا ثم لم يرض بذلك حتى قصر بنا وشتمنا فما ترى يا أبا حفص وكان يكنى فى الحرب بأبى ساسان ويقال كنيته أبو محمد فقال لهم حضين مُضَر بخراسان تعدل هذه الثلاثة الاخماس وتميم أكثر الخمسين وهم فرسان خراسان ولا يرضون أن يصير الامر فى غير مُضَر فان أخرجتموهم من الامر أعانوا قتيبة قالوا انه قد وتر بنى تميم بقتل ابن الاهتم قال لا تنظروا الى هذا فانهم يتعصّبون للمُضَرِيّة فانصرفوا وارادين لرأى حُضين فارادوا أن يولّوا عبد الله بن حوذان الجهضمى فأبى وتدافعوها فرجعوا الى حُضين فقالوا قد تدافعنا الرياسة فنحن نوليك أمرنا وربيعة لا تخالفك قال لا ناقة لى فى هذا ولا جمل قالوا ما ترى قال ان جعلتم هذه الرياسة فى تميم تمّ أمركم قالوا فمن ترى من تميم قال ما أرى أحدا غير وكيع فقال حيّان مولى بنى شيبان ان أحدا لا يتقلد هذا الامر فيصلى بحرّه ويبذل دمه ويتعرض للقتل فان قدم أمير أخذه بما جنى وكان المهنّا لغيره الا هذا الأعرابى وكيع فانه مقدام لا يبالى ما ركب ولا ينظر فى عاقبة وله عشيرة كثيرة تطيعه وهو موتور يطلب قتيبة برياسته التى صرفها عنه وصيّرها لضرار بن حُصين بن زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبّى فمشى الناس بعضهم الى بعض سرّا وقيل لقتيبة ليس يُفسد أمر الناس الا حيّان فاراد أن يغتاله وكان حيّان يلاطف حشم الولاة فلا يخفون عنه شيأ فدعا قتيبة رجلا فامره بقتل حيان وسمعه بعض الخدم فاتى حيّان فاخبره فارسل اليه يدعوه فحذر وتمارض وأتى الناس وكيعا فسألوه أن يقوم بامرهم فقال نعم وتمثل قول الاشهب بن رُميلة

سأجنى ما جنيت وان ركنى * لمعتمد الى نصر كين

قال وبخراسان يومئذ من المقاتلة من أهل البصرة من أهل العالية تسعة آلاف وبكر سبعة آلاف رئيسهم الحضين بن المنذر وتميم عشرة آلاف عليهم ضرار بن حصين الضبّى وعبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن علوان عوذى والازد عشرة آلاف رأسهم عبد الله ابن حوذان ومن أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جهم بن زحر أو عبيد الله بن على والموالى سبعة آلاف عليهم حيان وحيان يقال انه من الديلم ويقال انه من خراسان وانما قيل له نبطى للكنته فارسل حيان الى وكيع أرأيت ان كففت عنك وأعنتك تجعل لى جانب نهر بلخ خراجه ما دمت حيا وما دمت واليا قال نعم فقال للعجم هؤلاء يقاتلون على غير دين فدعوهم يقتل بعضهم بعضا قالوا نعم فبايعوا وكيعا سرا فاتى ضرار بن حصين قتيبة فقال ان الناس يختلفون الى وكيع وهم يبايعونه وكان وكيع يأتى منزل عبد الله بن مُسلم الفقير فيشرب عنده فقال عبد الله هذا يحسد وكيعا وهذا الامر باطل هذا وكيع فى بيتى يشرب ويسكر ويسلح فى

نيابه وهذا يزعم انهم يبايعونه قال وجاء وكيع الى قتيبة فقال احذر ضرارا فانى لا آمنه عليك فانزل قتيبة ذلك منهما على التحاسد وتمارض وكيع ثم ان قتيبة دس ضرار بن سنان الضبى الى وكيع فبايعه سرا فتبين لقتيبة ان الناس يبايعونه فقال لضرار قد كنت صدقتنى قال انى لم أخبرك الا بعلم فانزلت ذلك منى على الحسد وقد قضيت الذى كان على قال صدقت وأرسل قتيبة الى وكيع يدعوه فوجده رسول قتيبة قد طلى على رجله مغرة وعلى ساقه خرزا ووادعا وعنده رجلان من زهران يرقيان رجله فقال له أجب الامير قال قد ترى ما برجلى فرجع الرسول الى قتيبة فاعاده اليه قال يقول لك ائتنى محمولا على سرير قال لا أستطيع قال قتيبة لشريك بن الصامت الباهلى أحد بنى وائل وكان على شرطته ورجل من غنى انطاقا الى وكيع فاتيانى به فان أبى فاضربا عنقه ووجه معهما خيلا ويقال كان على شرطه بخراسان ورقاء بن نصر الباهلى * قال على قال أبو الذيال قال ثمامة بن ناجذ العدوى أرسل قتيبة الى وكيع من يأتيه به فقلت أنا آتيك به أصلحك الله فقال ائتنى به فاتيت وكيعا وقد سبق اليه الخبر ان الخيل تأتيه فلما رآنى قال يا ثمامة نادى الناس فناديت فكان أول من أتاه هريم بن أبى طحمة فى ثمانية قال وقال الحسن بن رشيد الجوزجانى أرسل قتيبة الى وكيع فقال هريم أنا آتيك به قال فانطلق قال هريم فركبت برذونى مخافة أن يردنى فاتيت وكيعا وقد خرج قال وقال كليب بن خلف أرسل قتيبة الى وكيع شعبة بن ظهير أحد بنى صخر بن نهشل فاتاه فقال يا ابن ظهير لبث قليلا تلحق الكتائب ثم دعا بسكين فقطع خرزا كان على رجليه ثم لبس سلاحه وتمثل

شدوا علىّ سرتى لا تقلقف * يوم لهمدان ويوم للصدف

وخرج وحده ونظر اليه نسوة فقلن أبو مطرف وحده فجاء هريم بن أبى طحمة فى ثمانية فيهم عميرة بن البريد بن ربيعة العجيفى قال حمزة بن ابراهيم وغيره ان وكيعا خرج فتلقاه رجل فقال ممن أنت قال من بنى أسد قال ما اسمك قال ضرغامة قال ابن من قال ابن ليث قال دونك هذه الراية قال المفضل بن محمد الضبى ودفع وكيع رايته الى عقبة بن شهاب المازنى قال ثم رجع الى حديثهم قالوا فخرج وكيع وأمر غلمانه فقال اذهبوا بثقلى الى بنى العم فقالوا لا نعرف موضعهم قال انظروا رجلين مجموعين أحدهما فوق الآخر فوقهما مخلاة فهم بنو العم قال وكان فى العسكر منهم خمسمائة قال فنادى وكيع فى الناس فاقبلوا أرسالا من كل وجه فاقبل فى الناس يقول

قرم اذا جل مكروهة * شد الشراسيف لها والحزيم

وقال قوم تمثل وكيع حين خرج

انحن بلقمان بن عاد فجنسه * أربنى سلاحى ان يطير وابأعزل

واجتمع الى قتيبة أهل بيته وخواص من أصحابه وثقاته فيهم اياس بن بهس بن عمرو ابن عم

قتيبة دنيا وعبد الله بن وألان العدوى وناس من رهطة بنى وائل وأتاه حيان بن اياس العدوى في عشرة فيهم عبد العزيز بن الحارث قال وأتاه ميسرة الجدلى وكان شجاعا فقال ان شئت أتيتك برأس وكيع فقال قف مكانك وأمر قتيبة رجلا فقال نادِ في الناس أين بنو عامر فنادى أين بنو عامر فقال محفن بن جزء الكلابى وقد كان جفاهم حيث وضعتهم قال نادِ أذكركم الله والرحم فنادى محفن أنت قطعتها قال نادِ لكم العتبى فناداه محفن أو غيره لا أفالنا الله اذا فقال قتيبة

يا نفس صبرا على ما كان من ألم * اذ لم أجد لفضول القوم اقرانا

ودعا بعمامة كانت أمه بعثت بها اليه فاعتم بها كان يعتم بها فى الشدائد ودعا ببرذون له مدرب كان يتطير اليه فى الزحوف فقرب اليه ليركبه فجعل يقمص حتى أعياه فلما رأى ذلك عاد الى سريره فقعد عليه وقال دعوه فان هذا أمر يراد وجاء حيان النبطى فى العجم فوقف وقتيبة واجد عليه فوقف معه عبد الله بن مسلم فقال عبد الله لحيان احمل على هذين الطرفين قال لم يأن لذلك فغضب عبد الله وقال ناولنى قوسى قال حيان ليس هذا يوم قوس فارسل وكيع الى حيان أين ما وعدتنى فقال حيان لابنه اذرأيتنى قد حولت قلنسوتى ومضيت نحو عسكر وكيع فمل بمن معك من العجم الى فوقف ابن حيان مع العجم فلما حول حيان قلنسوته مالت الاعجام الى عسكر وكيع فكبر أصحابه وبعث قتيبة أخاه صالحا الى الناس فرماه رجل من بنى ضبة يقال له سليمان الزنجير ج وهو الحرتوب ويقال بل رماه رجل من بلعم فاصاب هامته فحمل الى قتيبة ورأسه مائل فوضع فى مصلاه فتحول قتيبة فجلس عنده ساعة ثم تحول الى سريره * قال وقال أبو السرى الازدى رمى صالحا رجل من بنى ضبة فاثقله وطعنه زياد بن عبد الرحمن الازدى من بنى شريك بن مالك * قال وقال أبو مخنف حمل رجل من غنى على الناس فرأى رجلا مجففا فشبهه بجهم بن زحر بن قيس فطعنه وقال

ان غنيا أهل عز ومصدق * اذا حاربوا والناس مفتتنونا

فاذا الذى طعن علج وتهايج الناس وأقبل عبد الرحمن بن مسلم نحوهم فرماه أهل السوق والغوغاء فقتلوه وأحرق الناس موضعا كانت فيه ابل لقتيبة ودوابه ودنوا منه فقاتل عنه رجل من باهلة من بنى وائل فقال له قتيبة انج بنفسك فقال له بئس ما جزيتك اذا وقد أطعمتنى الجردق وألبستنى النرمق قال فدعا قتيبة بدابة فاتى ببرذون فلم يقر ليركبه فقال ان له لشأنا فلم يركبه وجلس وجاء الناس حتى بلغوا الفسطاط فخرج اياس بن بيهس وعبد الله ابن وألان حين بلغ الناس الفسطاط وتركا قتيبة وخرج عبد العزيز بن الحارث يطلب ابنه عمرا أو عمر فلقيه الطائى فحذره ووجد ابنه فاردفه قال وفطن قتيبة للهيثم بن المخفل وكان ممن يعين عليه فقال

أعلّمُهُ الرّمايَةَ كلَّ يَوْمٍ * فلمّا اشتدّ ساعِدُهُ رَمانِي

قال وقتل معه اخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم بنو مسلم وقتل ابنه كثير بن قتيبة وناس من أهل بيته ونجا أخوه ضرار استنقذه اخواله وأمه غراء بنت ضرار ابن القعقاع بن معبد بن زرارة وقال قوم قتل عبد الكريم بن مسلم بقزوين وقال أبو عبيدة قال أبو مالك قتلوا قتيبة سنة ٩٦ وقتل من بني مسلم احد عشر رجلا فصلبهم وكيع سبعة منهم لصلب مسلم وأربعة من بني أبنائهم قتيبة وعبد الرحمن وعبد الله الفقير وعبيد الله وصالح وبشّار ومحمّد بنو مسلم وكثير بن قتيبة ومغلس بن عبد الرحمن ولم ينج من صلب مسلم غير عمرو وكان عامل الجوزجان وضرار وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة فجاء اخواله فدفعوه حتى نجوه ففي ذلك يقول الفرزدق

عشيّةَ ماودّ ابنُ غرّاءَ أنه * له من سوانا اذ دعا أبوانِ

وضرب اياس بن عمرو ابن أخي مسلم بن عمرو على ترقوته فعاش قال ولما غشي القوم الفسطاط قطعوا أطنابه قال زهير فقال جهم بن زحر لسعد انزل فخزّ رأسه وقد أثخن جراحا فقال أخاف أن تحول الخيل قال تخاف وأنا الى جنبك فنزل سعد فشق صوقعة الفسطاط فاحتز رأسه فقال حُضَين بن المنذر

وان ابن سعد وابنَ زحرٍ تعاورا * بسيفيهما رأسَ الهُمام المتوّجِ
عشيّةَ جئنا بابنِ زحرٍ وجئتمُ * بادغمَ مرقومِ الذراعين دَيزجِ
أصمَّ غُدانيّ كأنّ جبينه * لطاخةُ نقسٍ في أديمٍ مُمجمجِ

قال فلما قتل مسلمة يزيد بن المهلب استعمل على خراسان سعيدُ خُذَينة بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص فحبس عمّال يزيد وحبس فيهم جهم بن زحر الجُعفيّ وعلى عذابه رجل من باهلة فقيل له هذا قاتل قتيبة فقتله في العذاب فلامه سعيد فقال أمرتني أن أستخرج منه المال فعذبته فأتى على أجله قال وسقطت على قتيبة يوم قتل جارية له خوارزمية فلما قتل خرجت فاخذها بعد ذلك يزيد بن المهلب فهي أم خُلَيْدة قال علي قال حمزة بن ابراهيم وأبو اليقظان لما قتل قتيبة صعد عمارة بن جنية الرياحي المنبر فتكلم فاكثر فقال له وكيع دعنا من قذرك وهذرك ثم تكلم وكيع فقال مَثَلي ومَثَلُ قتيبة كما قال الاول

من يَنِكِ العَيْرَ يَنِكْ نِيًّا كا

أراد قتيبة أن يقتلني وأنا قتال

قد جرّبوني ثم جربوني * من غلوتين ومن المئينِ
حتى اذا شِبْتُ وشيّبوني * خلّوا عناني وتنكّبوني

أنا أبو مطرف قال وأخبرنا أبو معاوية عن طلحة بن اياس قال قال وكيع يوم قتل قتيبة

أنا ابن حندف تنمي قبائلها * للصالحات وعمي قيس عيلانا

ثم أخذ بلحيته ثم قال

شيخ اذا حمل مكروهة * شد الشراسيف لها والحزيم

والله لأقتلن ثم لأقتلن ولأصلبن ثم لأصلبن انى والغ دما ان مر زبانكم هذا ابن الزانية قد أغلى عليكم أسعاركم والله ليصيرن القفيز فى السوق غدا بار بعة أو لأصلبنه صلوا على نبيكم ثم نزل قال على وأخبرنا المفضل بن محمد وشيخ من بنى تميم ومسلمة بن محارب قالوا طلب وكيع رأس قتيبة وخاتمه فقيل له ان الأزد أخذته فخرج وكيع وهو يقول دع ذر بن سعد القين

في أى يومى من الموت أفر * أيوم لم يقدر أم يوم قدر

لا خير فى احزم جياد القرع * في أى يوم لم أرع ولم أرع

والله الذى لا اله غيره لا أبرح حتى أوتى بالرأس أو يذهب برأسى مع رأس قتيبة وجاء بخشب فقال ان هذه الخيل لا بد لها من فرسان يتهددون بالصلب فقال له حضين يا أبا مطرف تؤتى به فاسكن وأتى حضين الازد فقال أحمق أنتم بايعناه وأعطيناه المقادة وعرض نفسه ثم تأخذون الرأس أخرجوه لعنه الله من رأس فجاؤا بالرأس فقالوا يا أبا مطرف ان هذا هو احتزه فاشكمه قال نعم فاعطاه ثلاثة آلاف وبعث بالرأس مع سليط بن عبد الكريم الحنفى ورجال من القبائل وعليهم سليط ولم يبعث من بنى تميم أحدا * قال قال أبو الذيال كان فيمن ذهب بالرأس أنيف بن حسان أحد بنى عدى (قال أبو مخنف) وفى وكيع لحيان النبطى بما كان أعطاه * قال قال حريم بن أبى يحيى عن أشياخ من قيس قالوا قال سليمان للهذيل بن زفر حين وضع رأس قتيبة ورؤس أهل بيته بين يديه هل ساءك هذا يا هذيل قال لو ساءنى ساء قوما كثيرا فكلمه خريم بن عمرو والقعقاع بن خليد فقالا ائذن فى دفن رؤسهم قال نعم وما أردت هذا كله قال على قال أبو عبد الله السلمى عن يزيد بن سويد قال قال رجل من عجم أهل خراسان يا معشر العرب قتلتم قتيبة والله لو كان قتيبة منا فمات فينا جعلناه فى تابوت فكنا نستفتح به اذا غزونا وما صنع أحد قط بخراسان ما صنع قتيبة الا انه قد غدر وذلك ان الحجاج كتب اليه أن اختلهم واقتلهم فى الله قال وقال الحسن بن رشيد قال الاصبهبذ لرجل يا معشر العرب قتلتم قتيبة ويزيد وهما سيدا العرب قال فايهما كان أعظم عندكم وأهيب قال لو كان قتيبة بالمغرب باقصى حجر به فى الارض مكبلا بالحديد ويزيد معنا فى بلادنا والى علينا لكان قتيبة أهيب فى صدورنا وأعظم من يزيد قال على قال المفضل بن محمد الضبى جاء رجل الى قتيبة يوم قتل وهو جالس فقال اليوم يقتل ملك العرب وكان قتيبة عندهم ملك العرب فقال له اجلس قال وقال كليب بن خلف حدثنى رجل ممن كان مع وكيع حين قتل قتيبة قال أمر وكيع رجلا فنادى لا يسلبن قتيل فرا ابن عبيد الهجرى على أبى الحجر الباهلى فسلبه فبلغ

وكيعا فضرب عنقه قال أبو عبيدة قال عبد الله بن عمر من تيم اللات ركب وكيع ذات يوم فأتوه بسكران فأمر به فقتل فقيل له ليس عليه القتل انما عليه الحد قال لأعاقب بالسياط ولكني أعاقب بالسيف فقال نهار بن توسعة

وكنا نبكي من الباهلي * فهذا الغداني شر وشر

(وقال أيضا)

ولما رأينا الباهلي ابن مسلم * تجبر عممناه عضبا مهندا

وقال الفرزدق يذكر وقعة وكيع

ومنا الذي سل السيوف وشامها * عشية باب القصر من فرغانِ
عشية لم تمنع بنيها قبيلة * بعز عراقي ولا بيمانِ
عشية ما ود ابن غراء أنه * له من سوانا اذ دعا أبوانِ
عشية لم تستر هوازن عامر * ولا غطفان عورة ابن دخانِ
عشية ود الناس انهم لنا * عبيد اذا الجمعان يضطربانِ
رأوا جبلا يعلو الجبال اذا التقت * رؤس كبيرين ينتطحانِ
رجال على الاسلام إذ ما تجالدوا * على الدين حتى شاع كل مكانِ
وحتى دعا في سور كل مدينة * مناد ينادي فوقها بأذانِ
فيجزى وكيع بالجماعة إذ دعا * اليها بسيف صارم ويمانِ
جزاء بأعمال الرجال كما جرى * ببدر وباليرموك في جنانِ

وقال الفرزدق في ذلك أيضا

أتاني ورحلي بالمدينة وقعة * لآل تميم أقعدت كل قائم

وقال علي أخبرنا خريم بن أبي يحيى عن بعض عمومته قال أخبرني شيوخ من غسان قالوا إنا لبثنية العقاب اذ نحن برجل يشبه الفيوج معه عصا وجراب قلنا من أين أقبلت قال من خراسان قلنا فهل كان بها من خبر قال نعم قتل قتيبة بن مسلم أمس فتعجبنا لقوله فلما رأى انكارنا ذلك قال أين ترونني الليلة من افريقية ومضى واتبعناه على خيولنا فاذا شيء يسبق الطرف وقال الطرماح

لولا فوارس مذحج ابنة مذحج * والازد زعزع واستبيح العسكرُ
وتقطعت بهم البلاد ولم يؤب * منهم الى أهل العراق مخبرُ
واستضلعت عقد الجماعة وازدرى * أمر الخليفة واستحل المنكرُ
قوم هم قتلوا قتيبة عنوة * والخيل جانحة عليها العثيرُ

بالمرج مرج الصين حيث تبينت * مضر العراق من الأعز الأكبر
إذ حالفت جزعا ربيعة كلها * وتفرقت مضر ومن يتمضر
وتقدمت أزد العراق ومذحج * للموت يجمعها أبوها الأكبر
قحطان تضرب رأس كل مدجج * تحمي بصائرهن اذ لا تبصر
والأزد تعلم ان تحت لوائها * ملكا قراسية وموت أحمر
فبعزنا نصر النبي محمد * وبنا تثبت في دمشق المنبر

وقال عبد الرحمن بن جمانة الباهلي

كأن أبا حفص قتيبة لم يسر * بجيش الى جيش ولم يعل منبرا
ولم تخفق الرايات والقوم حوله * وقوف ولم يشهد له الناس عسكرا
دعته المنايا فاستجاب لربه * وراح الى الجنات عفا مطهرا
فمارزئ الإسلام بعد محمد * بمثل أبي حفص فبكيه عبهرا

يعني أم ولده وقال الأصم بن الحجاج يرثي قتيبة

ألم يأن للأحياء أن يعرفوا لنا * بلى نحن أولى الناس بالمجد والفخر
نقود تميما والموالي ومذحجا * وأزد وعبد القيس والحي من بكر
نقتل من شئنا بعزة ملكنا * ونجبر من شئنا على الخسف والقسر
سليمان كم من عسكر قد حوت لكم * أسنتنا والمقربات بنا تجري
وكم من حصون قد أبحنا منيعة * ومن بلد سهل ومن جبل وعر
ومن بلدة لم يغزها الناس قبلنا * غزونا نقود الخيل شهرا الى شهر
مررن على الغزو الجرور ووقرت * على النفر حتى ما تهال من النفر
وحتى لوان النار شبت وأكرهت * على النار خاضت في الوغى لهب الجمر
تلاعب أطراف الأسنة والقنا * بلبانها والموت في لجج خضر
بهن أبحنا أهل كل مدينة * من الشرك حتى جاوزت مطلع الفجر
ولو لم تعجلنا المنايا لجاوزت * بنا رادم ذي القرنين ذا الصخر والقطر
ولكن آجالا قضين ومدة * تناهى إليها الطيبون بنو عمرو

﴿ وفي هذه السنة ﴾ عزل سليمان بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري عن مكة وولاها طلحة بن داود الحضرمي ﴿ وفيها ﴾ غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم الصائفة ففتح حصنا يقال له حصن عوف ﴿ وفي هذه السنة ﴾ توفي قرة بن شريك العبسي وهو أمير مصر في

صفر فى قول بعض أهل السير وقال بعضهم كان هلاك قرة فى حياة الوليد فى سنة ٩٥ في الشهر الذى هلك فيه الحجاج ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وغيره وكان الأمير على المدينة فى هذه السنة أبو بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن وعلى البصرة سفيان بن عبد الله الكندى من قبل يزيد بن المهلب وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبى موسى وعلى حرب خراسان وكيع بن أبى سود

﴿ثم دخلت سنة سبع وتسعين﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فى هذه السنة من الأحداث﴾

فمن ذلك ما كان من تجهيز سليمان بن عبد الملك الجيوش الى القسطنطينية واستعماله ابنه داود بن سليمان على الصائفة فافتتح حصن المرأة ﴿وفيها﴾ غزا فيما ذكر الواقدى مسلمة ابن عبد الملك أرض الروم ففتح الحصن الذى كان فتحه الوضاح صاحب الوضاحية ﴿وفيها﴾ غزا عمرو بن هبيرة الفزارى فى البحر أرض الروم فشتا بها ﴿وفيها﴾ قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بالأندلس وقدم برأسه على سليمان حبيب بن أبى عبيد الفهرى ﴿وفيها﴾ ولى سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب خراسان

﴿ذكر الخبر عن سبب ولايته خراسان﴾

وكان السبب فى ذلك أن سليمان بن عبد الملك لما أفضت الخلافة اليه ولى يزيد بن المهلب حرب العراق والصلاة وخراجها (فذكر هشام) بن محمد عن أبى مخنف أن يزيد نظر لما ولاه سليمان ما ولاه من أمر العراق فى أمر نفسه فقال ان العراق قد أحر بها الحجاج وأنا اليوم رجاء أهل العراق ومنى قد منها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس الحرب وأعيد عليهم تلك السجون التى قد عافاهم الله منها ومتى لم آت سليمان بمثل ما جاءه به الحجاج لم يقبل منى فأتى يزيد سليمان فقال أدلك على رجل بصير بالخراج توليه اياه فتكون أنت تأخذه به صالح بن عبد الرحمن مولى بنى تميم فقال له قد قبلنا رأيك فأقبل يزيد الى العراق ﴿وحدثنى﴾ عمر بن شبة قال قال على كان صالح قدم العراق قبل قدوم يزيد فنزل واسطا قال على فقال عباد بن أيوب لما قدم يزيد خرج الناس يتلقونه فقيل لصالح هذا يزيد وقد خرج الناس يتلقونه فلم يخرج حتى قرب يزيد من المدينة فخرج صالح عليه دراعة ودبوسية صفراء صغيرة بين يديه أربعمائة من أهل الشأم فلقى يزيد فسايره فلما دخل المدينة قال له صالح قد فرغت لك هذا الدار فأشار له الى

دار فنزل يزيد ومضى صالح الى منزله قال وضيّق صالح على يزيد فلم يملكه شيأ واتخذ يزيد ألف خوان يُطعم الناس عليها فأخذها صالح فقال له يزيد اكتب ثمنها عليّ واشترى متاعا كثيرا وصكّ صكا كالى صالح لباعتها منه فلم ينفذه فرجعوا الى يزيد فغضب وقال هذا عمل بنفسي فلم يلبث ان جاء صالح فأوسع له يزيد فجلس وقال ليزيد ما هذه الصكاك الخراج لا يقوم لها قد أنفقت لك منذ أيام صكا بمائة ألف وعجلت لك أرزاقك وسألت مالا للجند فأعطيتك فهذا لا يقوم له شيء ولا يرضى أمير المؤمنين به وتؤخذ به فقال له يزيد يا أبا الوليد أجزها هذه الصكاك هذه المرّة وضاحكه قال فإني أجيزها فلا تكثرن عليّ قال لا * قال علي بن محمد حدثنا مسلمة بن محارب وأبو العلاء التيمي والطفيل بن مرداس العمّي وأبو حفص الأزدي عمن حدثه عن جهم بن زحر بن قيس والحسن بن رُشيد عن سليمان بن كثير وأبو الحسن الخراساني عن الكرماني وعامر بن حفص وأبو مخنف عن عثمان بن عمرو ابن محصن الازدي وزهير بن هنيد وغيرهم وفي خبر بعضهم ما ليس في خبر بعض فألفت ذلك ان سليمان بن عبد الملك ولى يزيد بن المهلب العراق ولم يُوله خراسان فقال سليمان بن عبد الملك لعبد الملك بن المهلب وهو بالشأم ويزيد بالعراق كيف أنت يا عبد الملك إن وليتك خراسان قال يجدني أمير المؤمنين حيث يحبّ ثم أعرض سليمان عن ذلك قال وكتب عبد الملك بن المهلب الى جرير بن يزيد الجهضمي وإلى رجال من خاصته ان أمير المؤمنين عرض عليّ ولاية خراسان فبلغ الخبر يزيد بن المهلب وقد ضجر بالعراق وقد ضيّق عليه صالح بن عبد الرحمن فليس يصل معه الى شيء فدعا عبد الله بن الأهتم فقال اني أريدك لأمر قد أهمّني فأحبّ أن تكفينيه قال مُرني بما أحببت قال أنا فيما ترى من الضيق وقد أضجرني ذلك وخراسان شاغرة برجلها وقد بلغني ان أمير المؤمنين ذكرها لعبد الملك بن المهلب فهل من حيلة قال نعم سرّحني الى أمير المؤمنين فإني أرجو أن آتيك بعهدك عليها قال فاكتم ما أخبرتك به وكتب الى سليمان كتابين أحدهما يذكر له فيه أمر العراق وأثنى فيه على ابن الاهتم وذكر له علمه بها ووجّه ابن الأهتم وحمله على البريد وأعطاه ثلاثين ألف افسار سبعا فقدم بكتاب يزيد على سليمان فدخل عليه وهو يتغدّى فجلس ناحية فأتى بدجاجتين فأكلهما قال فدخل ابن الاهتم فقال له سليمان لك مجلس غير هذا تعود اليه ثم دعا به بعد ثالثة فقال له سليمان ان يزيد بن المهلب كتب الىّ يذكر علمك بالعراق وبخراسان ويثني عليك فكيف علمك بها قال أنا أعلم الناس بها بها وُلدت وبها نشأت فلي بها وبأصلها خبر وعلم قال ما أحوج أمير المؤمنين الى مثلك يشاوره في أمرها فأشر عليّ برجل أوليه خراسان قال أمير المؤمنين أعلم بمن يريد ولي فإن ذكر منهم أحدا أخبرته برأيي فيه هل يصلح لها أم لا قال فسمى سليمان رجلا من قريش قال يا أمير المؤمنين ليس من رجال

خراسان قال فعبد الملك بن المهلب قال لا حتى عدّ رجالا فكان في آخر من ذكر وكيع ابن أبي سود فقال يا أمير المؤمنين وكيع رجل شجاع صارم بئيس مقدام وليس بصاحبها مع هذا إنه لم يقد ثلثمائة قط فرأى لأحد عليه طاعة قال صدقت ويحك فمن لها قال رجل اعلمه لم تسمّه قال فمن هو قال لا أبوح باسمه إلا أن يضمن لي أمير المؤمنين ستر ذلك وان يجيرني منه ان علم قال نعم سمّه من هو قال يزيد بن المهلب قال ذاك بالعراق والمقام بها أحب اليه من المقام بخراسان قال قد علمت يا أمير المؤمنين ولكن تكرهه على ذلك فيستخلف على العراق رجلا ويسير قال أصبت الرأي فكتب عهد يزيد على خراسان وكتب اليه كتابا إنّ ابن الاهتم كما ذكرت في عقله ودينه وفضله ورأيه ودفع الكتاب وعهد يزيد الى ابن الاهتم فسار سبعا فقدم على يزيد فقال له ما وراءك قال فأعطاه الكتاب فقال ويحك أعندك خير فأعطاه العهد فأمر يزيد بالجهاز للسير من ساعته ودعا ابنه مخلدا فقدّمه الى خراسان قال فسار من يومه ثم سار يزيد واستخلف على واسط الجرّاح بن عبد الله الحكميّ واستعمل على البصرة عبد الله بن هلال الكلابي وصيّر مروان بن المهلب على أمواله وأموره بالبصرة وكان أوثق اخوته عنده ولمروان يقول أبو البهاء الإيادي

رأيت أبا قبيصة كلّ يوم * على العلات أكرمهم طباعا
اذا ما هم أبوا أن يستطيعوا * جسيم الامر يحمل ما استطاعا
وان ضاقت صدورهم بأمر * فضلتهم بذاك ندى وباعا

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنّى فانه قال في ذلك حدّثني أبو مالك ان وكيع بن أبي سود بعث بطاعته وبرأس قتيبة الى سليمان فوقع ذلك من سليمان كلّ موقع فجعل يزيد بن المهلب لعبد الله بن الاهتم مائة ألف على أن ينقر وكيعا عنده فقال أصلح الله أمير المؤمنين والله ما أحد أوجب شكرا ولا أعظم عندي يدا من وكيع لقد أدرك بثأري وشفاني من عدوّي ولكن أمير المؤمنين أعظم وأوجب عليّ حقا وان النصيحة تلزمني لامير المؤمنين ان وكيعا لم يجتمع له مائة عنان قط الا حدّث نفسه بغدرة خامل في الجماعة نابه في الفتنة فقال ما هو اذا ممن نستعين به وكانت قيس تزعم ان قتيبة لم يخلع فاستعمل سليمان يزيد بن المهلب على حرب العراق وأمره ان أقامت قيس البينة أن قتيبة لم يخلع فينزع يده من طاعة أن يقيد وكيعا به فغدر يزيد فلم يعط عبد الله بن الاهتم ما كان ضمن له ووجّه ابنه مخلد بن يزيد الى وكيع ﴿ رجع الحديث الى حديث علي ﴾ قال علي أخبرنا أبو مخنف عن عثمان بن عمرو ابن محصن وأبو الحسن الخراساني عن الكرماني قال وجه يزيد ابنه مخلدا الى خراسان فقدّم مخلد عمرو بن عبد الله بن سنان العتكي ثم الصُّنابحي حين دنا من مرو فلما قدمها أرسل الى وكيع أن القني فأبى فأرسل اليه عمرو يا أعرابيّ أحمق جلفا جافيا

انطلق الى أميرك فتلقه وخرج وجوه من أهل مرو يتلقونه مخلدا وتثاقل وكيع عن الخروج فأخرجه عمر والازدي فلما بلغوا مخلدا نزل الناس كلهم غير وكيع ومحمد بن حمران السعدي وعباد بن لقيط أحد بني قيس بن ثعلبة فأنزلوهم فلما قدم مرو حبس وكيعا فعذبه وأخذ أصحابه فعذبهم قبل قدوم أبيه قال علي عن كليب بن خلف قال حدثنا ادريس بن حنظلة قال لما قدم مخلد خراسان حبسني فجاءني ابن الأهتم فقال لي أتريدان تنجو قلت نعم قال أخرج الكتب التي كتبها القعقاع بن خليد العبسي وخريم بن عمر والمري الى قتيبة في خلع سليمان فقلت له يا ابن الأهتم اياي تخدع عن ديني قال فدعا بطومار وقال انك أحمق فكتب كتابا عن لسان القعقاع ورجال من قيس الى قتيبة ان الوليد بن عبد الملك قد مات وسليمان باعث هذا المزوني على خراسان فاخلعه فقلت يا ابن الأهتم تهلك والله نفسك والله لئن دخلت عليه لأعلمنه أنك كتبتها ﴿وفي هذه السنة﴾ شخص يزيد بن المهلب الى خراسان أميرا عليها فذكر علي بن محمد عن أبي السري الأزدي عن عمه قال ولي وكيع خراسان بعد قتل قتيبة تسعة أشهر أو عشرة وقدم يزيد بن المهلب سنة ٩٧ قال علي فذكر المفضل بن محمد عن أبيه قال أدنى يزيد أهل الشأم وقوما من أهل خراسان فقال نهار بن توسعة

وما كنا نؤمل من أمير * كما كنا نؤمل من يزيد
فأخطأ ظننا فيه وقدما * زهدنا في معاشرة الزهيد
إذا لم يعطنا نصفا أمير * مشينا نحوه مثل الأسود
فهلا يا يزيد أنب إلينا * ودعنا من معاشرة العبيد
نجيء فلا نرى إلا صدودا * على أنا نسلم من بعيد
ونرجع خائبين بلا نوال * فما بال التجهم والصدود

قال علي أخبرنا زياد بن الربيع عن غالب القطان قال رأيت عمر بن عبد العزيز واقفا بعرفات في خلافة سليمان وقد حج سليمان عامئذ وهو يقول لعبد العزيز بن عبد الله ابن خالد بن أسيد العجب لأمير المؤمنين استعمل رجلا على أفضل ثغر للمسلمين فقد بلغني عمن يقدم من التجار من ذلك الوجه انه يعطى الجارية من جواريه مثل سهم ألف رجل أما والله ما الله أراد بولايته فعرفت انه يعني يزيد والجهنية فقلت يشكر بلاءهم أيام الأزارقة قال ووصل يزيد عبد الملك بن سلام السلولي فقال

ما زال سيبك يا يزيد بحوبتي * حتى ارتويت وجودكم لا ينكر
أنت الربيع إذا تكون خصاصة * عاش المقيم به وعاش المقتر
عمت سحابته جميع بلادكم * فروا وأغدقهم سحاب ممطر

فسقاك ربك حيث كنت مخيلة * ريا سحائبها تروح وتبكر

﴿وفي هذه السنة﴾ حج بالناس سليمان بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر ﴿وفيها﴾ عزل سليمان طلحة بن داود الحضرمي عن مكة قال الواقدي حدثني ابراهيم بن نافع عن ابن أبي مليكة قال لما صدر سليمان بن عبد الملك من الحج عزل طلحة بن داود الحضرمي عن مكة وكان عمله عليها ستة أشهر وولى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف وكانت عمال الامصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها الا خراسان فان عاملها على الحرب والخراج والصلاة يزيد بن المهلب وكان خليفته على الكوفة فيما قيل حرملة بن عمير اللخمي أشهر ثم عزله وولاها بشير بن حسان النهدي

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

فمن ذلك ما كان من توجيه سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك الى القسطنطينية وأمره ان يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه أمره فشتا بها وصاف فذكر محمد بن عمران ثور بن يزيد حدثه عن سليمان بن موسى قال لما دنا مسلمة من قسطنطينية أمر كل فارس ان يحمل على عجز فرسه مُدَّين من طعام حتى يأتي به القسطنطينية فأمر بالطعام فألقي في ناحية مثل الجبال ثم قال للمسلمين لا تأكلوا منه شيأ أغيروا في أرضهم وازرعوا وعمل بيوتا من خشب فشتا فيها وزرع الناس ومكث ذلك الطعام في الصحراء لا يكنه شيء والناس يأكلون مما أصابوا من الغارات ثم أكلوا من الزرع فأقام مسلمة بالقسطنطينية قاهر الأهلها معه وجوه أهل الشأم خالد بن معدان وعبد الله بن أبي زكريا الخزاعي ومجاهد بن جبر حتى أتاه موت سليمان فقال القائل

تحمل مُدّيها ومدّي مَسلَمه

حدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد قال لما ولي سليمان غزا الروم فنزل دابق وقدم مسلمة فهابه الروم فشخص إليون من أرمينية فقال لمسلمة ابعث الي رجلا يكلمني فبعث ابن هبيرة فقال له ابن هبيرة ما تعدون الاحمق فيكم قال الذي يملأ بطنه من كل شيء يجده فقال له ابن هبيرة إنا أصحاب دين ومن ديننا طاعة أمرائنا قال صدقت كنا وأنتم نقاتل على الدين ونغضب له فأما اليوم فإنا نقاتل على الغلبة والملك نعطيك عن كل رأس دينارا فرجع ابن هبيرة الى الروم من غد وقال أبى ان يرضى أتيته وقد تغدى وملأ بطنه ونام فانتبه وقد غلب عليه البلغم فلم يدر ما قلت وقالت البطارقة لإليون ان صرفت عنا مسلمة ملكناك فوثقوا له فأتى مسلمة فقال قد علم القوم انك لا تصدقهم القتال وانك تطاولهم مادام الطعام عندك ولو أحرقت الطعام أعطوا بأيديهم فأحرقه فقوى العدو وضاق المسلمون حتى كادوا

يهلكون فكانوا على ذلك حتى مات سليمان قال وكان سليمان بن عبد الملك لما نزل دابق أعطى الله عهدا أن لا ينصرف حتى يدخل الجيش الذى وجهه الى الروم القسطنطينية قال وهلك ملك الروم فأتاه اليون فأخبره وضمن له ان يدفع اليه أرض الروم فوجه معه مسلمة حتى نزل بها وجمع كل طعام حولها وحصر أهلها وأتاهم اليون فملكوه فكتب الى مسلمة يخبره بالذى كان ويسأله ان يدخل من الطعام ما يعيش به القوم ويصدقونه بأن أمره وأمر مسلمة واحد وانهم فى أمان من السباء والخروج من بلادهم وأن يأذن لهم ليلة فى حمل الطعام وقد هيأ اليون السفن والرجال فأذن له فما بقى فى تلك الحظائر الا ما لا يذكر حمل فى ليلة وأصبح اليون محاربا وقد خدعه خديعة لو كان امرأة لعيب بها فلق الجند ما لم يلق جيش حتى ان كان الرجل ليخاف ان يخرج من العسكر وحده وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق وكل شىء غير التراب وسليمان مقيم بدابق ونزل الشتاء فلم يقدر بمدهم حتى هلك سليمان ﴿وفي هذه السنة﴾ بايع سليمان بن عبد الملك لابنه أيوب بن سليمان وجعله ولى عهده فحدثنى عمر بن شبة عن على بن محمد قال كان عبد الملك أخذ على الوليد وسليمان ان يبايعا لابن عاتكة ولمروان بن عبد الملك من بعده قال فحدثنى طارق بن المبارك قال مات مروان بن عبد الملك فى خلافة سليمان منصرفه من مكة فبايع سليمان حين مات مروان لأيوب وأمسك عن يزيد وتربص به ورجا ان يهلك فهلك أيوب وهو ولى عهده ﴿وفى هذه السنة﴾ فتحت مدينة الصقالبة قال محمد بن عمر أغارت برجان فى سنة ٩٨ على مسلمة بن عبد الملك وهو فى قلة من الناس فأمده سليمان بن عبد الملك بمسعدة أو عمرو ابن قيس فى جمع فمكرت بهم الصقالبة ثم هزمهم الله بعد ان قتلوا شراحيل بن عبدة ﴿وفي هذه السنة﴾ فيما زعم الواقدى غزا الوليد بن هشام وعمرو بن قيس فأصيب ناس من أهل انطاكية وأصاب الوليد ناسا من ضواحى الروم وأسر منهم بشرا كثيرا ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان فذكر هشام بن محمد عن أبى مخنف ان يزيد بن المهلب لما قدم خراسان أقام ثلاثة أشهر أو أربعة ثم أقبل الى دهستان وجرجان وبعث ابنه مخلدا على خراسان وجاء حتى نزل بدهستان وكان أهلها طائفة من الترك فأقام عليها وحاصر أهلها معه أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام ووجوه أهل خراسان والرى وهو فى مائة ألف مقاتل سوى الموالى والمماليك والمتطوعين فكانوا يخرجون فيقاتلون الناس فلا يلبثهم الناس ان يهزموهم فيدخلون حصنهم ثم يخرجون أحيانا فيقاتلون فيشتد قتالهم وكان جهم وجمال ابنا زحر من يزيد بمكان وكان يكرمهما وكان محمد بن عبد الرحمن بن أبى سبرة الجعفى له لسان وبأس غير انه كان يفسد نفسه بالشراب وكان لا يكسر غشيان يزيد وأهل بيته وكانه أيضا عجزه عن ذلك ما رأى من حسن أثرهم على ابنى زحر جهم وجمال وكان اذا نادى

المنادى ياخيل الله اركبى وابشرى كان أول فارس من أهل العسكر يبدر الى موقف البأس عند الروع محمدُ بن عبد الرحمن بن أبى سبرة فنودى ذات يوم فى الناس فبدر الناس ابن أبى سبرة فانه لواقف على تل اذ مر به عثمان بن المفضل فقال له يا ابن أبى سبرة ما قدرت على ان أسبقك الى الموقف قط فقال وما يغنى ذلك عنى وأنتم ترشحون غلمان مذحج وتجهلون حق ذوى الاسنان والتجارب والبلاء فقال أما انك لو تريد ما قبلنا لم نعدل عنك ما أنت له أهل قال وخرج الناس فاقتتلوا قتالا شديدا فحمل محمد بن أبى سبرة على تركى قد صد الناس عنه فاختلفا ضربتين فثبت سيف التركى فى بيضة ابن أبى سبرة وضربه ابن أبى سبرة فقتله ثم أقبل وسيفه فى يده يقطر دما وسيف التركى فى بيضته فنظر الناس الى أحسن منظر رأوه من فارس ونظر يزيد الى التقاء السيفين والبيضة والسلاح فقال من هذا فقالوا ابن أبى سبرة فقال لله أبوه أى رجل هو لولا اسرافه على نفسه وخرج يزيد بعد ذلك يوما وهو يرتاد مكانا يدخل منه على القوم فلم يشعر بشئ حتى هجم عليه جماعة من الترك وكان معه وجوه الناس وفرسانهم وكان فى نحو من أربعمائة والعدو فى نحو من أربعة آلاف فقاتلهم ساعة ثم قالوا ليزيد أيها الأمير انصرف ونحن نقاتل عنك فأبى ان يفعل وغشى القتال يومئذ بنفسه وكان كأحدهم وقاتل ابن أبى سبرة وابنا زحر والحجاج بن جارية الخثعمى وجل أصحابه فأحسنوا القتال حتى اذا أرادوا الانصراف جعل الحجاج بن جارية على الساقة فكان يقاتل من ورائه حتى انتهى الى الماء وقد كانوا عطشوا فشربوا وانصرف عنهم العدو ولم يظفروا منهم بشئ فقال سفيان بن صفوان الخثعمى

لولا ابنُ جارية الأغرُّ جبينُه * لسُقيتَ كأسَ مُرَّة المُتجرِّع

وحِماكَ فى فُرْسانه وخُيُوله * حتَّى وَرَدتَ الماءَ غيرَ مُتَعتع

ثم انه ألح عليها وأنزل الجنود من كل جانب حولها وقطع عنهم المواد فلما جهدوا وعجزوا عن قتال المسلمين واشتد عليهم الحصار والبلاء بعث صول دهقان دهستان الى يزيد انى أصالحك على ان تؤمننى على نفسى وأهل بيتى ومالى وأدفع اليك المدينة وما فيها وأهلها فصالحه وقبل منه ووفى له ودخل المدينة فأخذ ما كان فيها من الاموال والكنوز ومن السبى شيأ لا يحصى وقتل أربعة عشر ألف تركى صبرا وكتب بذلك الى سليمان بن عبد الملك ثم خرج حتى أتى جرجان وقد كانوا يصالحون أهل الكوفة على مائة ألف ومائتى ألف أحيانا وثلثمائة ألف وصالحوهم عليها فلما أتاهم يزيد استقبلوه بالصلح وهابوه وزادوه واستخلف عليهم رجلا من الأزد يقال له أسد بن عبد الله ودخل يزيد الى الإصبهبذ فى طبرستان فكان معه الفعلة يقطعون الشجر ويصلحون الطرق حتى انتهوا اليه فنزل به فحصره وغلب على أرضه وأخذ الإصبهبذ يعرض على يزيد الصلح ويزيده على ما كان يؤخذ منه فيأبى رجاء افتتاحها فبعث

ذات يوم أخاه أباعيينة فى أهل المصرين فأصعد فى الجبل اليهم وقد بعث الاصبهذ الى الديلم فاستجاش بهم فاقتتلوا فحازهم المسلمون ساعة وكشفوهم وخرج رأس الديلم يسأل المبارزة فخرج اليه ابن أبى سبرة فقتله فكانت هزيمتهم حتى انتهى المسلمون الى فم الشعب فذهبوا ليصعدوا فيه وأشرف عليهم العدو يرشقونهم بالنشاب ويرمونهم بالحجارة فانهزم الناس من فم الشعب من غير كبير قتال ولا قوة من عدوهم على إتباعهم وطلبهم وأقبلوا يركب بعضهم بعضا حتى أخذوا يتساقطون فى اللهوب ويتدهدأ الرجل من رأس الجبل حتى نزلوا الى عسكر يزيد لا يعبؤن بالنبرشيا وأقام يزيد بمكانه على حاله وأقبل الاصبهذ يكاتب أهل جرجان ويسألهم ان يثبوا بأصحاب يزيد وان يقطعوا عليه مادته والطرق فيما بينه وبين العرب ويعدهم ان يكافئهم على ذلك فوثبوا بمن كان يزيد خلف من المسلمين فقتلوا منهم من قدروا عليه واجتمع بقيتهم فتحصنوا فى جانب فلم يزالوا فيه حتى خرج اليهم يزيد وأقام يزيد على الاصبهذ فى أرضه حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف نقدا ومائتى ألف وأربعمائة حمار موقرة زعفران وأربعمائة رجل على رأس كل رجل برنس على البرنس طيلسان وجام من فضة وسرقة من حرير وقد كانوا صالحوا قبل ذلك على مائتى ألف درهم ثم خرج منها يزيد وأصحابه كأنهم فل ولولا ما صنع أهل جرجان لم يخرج من طبرستان حتى يفتحها وأما غير أبى مخنف فإنه قال فى أمر يزيد وأمر أهل جرجان ما حدثنى أحمد بن زهير عن على ابن محمد عن كليب بن خلف وغيره ان سعيد بن العاص صالح أهل جرجان ثم امتنعوا وكفروا فلم يأت جرجان بعد سعيد أحد ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك طريق خراسان من ناحيته أحد الا على وجل وخوف من أهل جرجان كان الطريق الى خراسان من فارس الى كرمان فأول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولى خراسان ثم غزا مصقلة خراسان أيام معاوية فى عشرة آلاف فأصيب وجنده بالرويان وهى متاخمة طبرستان فهلكوا فى وادمن أوديتها أخذ العدو عليهم بمضايقه فقتلوا جميعا فهو يسمى وادى مصقلة قال وكان يضرب به المثل حتى يرجع مصقلة من طبرستان قال على عن كليب بن خلف العمى عن طفيل بن مرداس العمى وإدريس بن حنظلة ان سعيد بن العاص صالح أهل جرجان فكانوا يجيؤن أحيانا مائة ألف ويقولون هذا صلحنا وأحيانا مائتى ألف وأحيانا ثلثمائة ألف وكانوا ربما أعطوا ذلك وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجا حتى أتاهم يزيد بن المهلب فلم يعازه أحد حين قدمها فلما صالح صول وفتح البعيرة ودهستان صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص ۞ حدثنى أحمد عن على عن كليب بن خلف العمى عن طفيل بن مرداس وبشر بن عيسى عن صفوان قال على وحدثنى أبو حفص الازدى عن سليمان بن كثير وغيرهم ان صول التركى كان ينزل دهستان والبعيرة جزيرة

فى البحر بينها وبين دهستان خمسة فراسخ وهما من جرجان مما يلى خوارزم فكان صول يغير على فيروز بن قول مرزبان جرجان وبينهم خمسة وعشرون فرسخا فيصيب من أطرافهم ثم يرجع الى البحيرة ودهستان فوقع بين فيروز وبين ابن عم له يقال له المرزبان منازعة فاعتزله المرزبان فنزل البياسان فخاف فيروزان يغير عليه الترك فخرج الى يزيد بن المهلب بخراسان وأخذ صول جرجان فلما قدم على يزيد بن المهلب قال له ما أقدمك قال خفت صولا فهربت منه قال له يزيد هل من حيلة لقتاله قال نعم شئ واحد ان ظفرت به قتلته أو أعطى بيده قال ما هو قال إن خرج من جرجان حتى ينزل البحيرة ثم أتيته ثم حاصرته بها ظفرت به فاكتب الى الاصبهبذ كتابا تسأله فيه ان يحتال لصول حتى يقيم بجرجان واجعل له على ذلك جعلا ومنه فانه يبعث بكتابك الى صول يتقرب به اليه لانه يعظمه فيتحول عن جرجان فينزل البحيرة فكتب يزيد بن المهلب الى صاحب طبرستان إنى أريد ان أغزو صولا وهو بجرجان فخفت إن بلغه أنى أريد ذلك أن يتحول الى البحيرة فينزلها فإن تحول اليها لم أقدر عليه وهو يسمع منك ويستنصحك فان حبسته العام بجرجان فلم يأت البحيرة حملت اليك خمسين ألف مثقال فاحتل له حيلة تحبسه بجرجان فانه ان أقام بها ظفرت به فلما رأى الاصبهبذ الكتاب أراد ان يتقرب الى صول فبعث بالكتاب اليه فلما أتاه الكتاب أمر الناس بالرحيل الى البحيرة وحمل الأطعمة ليتحصن فيها وبلغ يزيد أنه قد سار من جرجان الى البحيرة فاعتزم على السير الى الجرجان فخرج فى ثلاثين ألفا ومعه فيروز بن قول واستخلف على خراسان مخلد بن يزيد واستخلف على سمرقند وكس ونسف وبخارى ابنه معاوية بن يزيد وعلى طخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلب وأقبل حتى أتى جرجان ولم تكن يومئذ مدينة انما هى جبال محيطة بها وأبواب ومخارم يقوم الرجل على باب منها فلا يقدم عليه أحد فدخلها يزيد لم يعازه أحد وأصاب أموالا وهرب المرزبان وخرج يزيد بالناس الى البحيرة فأناخ على صول وتمثل حين نزل بهم

فخر السيف وارتعشت يداه * وكان بنفسه وقيت نفوس

قال فحاصرهم فكان يخرج اليه صول فى الايام فيقاتله ثم يرجع الى حصنه ومع يزيد أهل الكوفة وأهل البصرة ثم ذكر من قصة جهم بن زحر وأخيه ومحمد نحو ما ذكره هشام غير انه قال فى ضربة التركى ابن أبى سبرة فشب سيف التركى فى درقة ابن أبى سبرة قال على ابن محمد عن على بن مجاهد عن عنبسة قال قاتل محمد بن أبى سبرة الترك بجرجان فأحاطوا به واعتوروه بأسيافهم فانقطع فى يده ثلاثة أسياف ﴿ثم رجع الى حديثهم﴾ قال فمكثوا بذلك يعنى الترك محصورين يخرجون فيقاتلون ثم يرجعون الى حصنهم ستة أشهر حتى شربوا ماء الاحساء فأصابهم داء يسمى السؤاد فوقع فيهم الموت وأرسل صول فى ذلك يطلب

الصلح فقال يزيد بن المهلب لا الا ان ينزل على حكمي فأبى فأرسل اليه انى أصلحك على نفسي ومالي وثلثمائة من أهل بيتي وخاصتي على ان تؤمنني فتنزل البحيرة فأجابه الى ذلك يزيد فخرج بماله وثلثمائة ممن أحب وصار مع يزيد فقتل يزيد من الأتراك أربعة عشر ألفا صبرا ومن على الآخرين فلم يقتل منهم أحدا وقال الجند ليزيد أعطنا أرزاقنا فدعا ادريس بن حنظلة العمي فقال يا ابن حنظلة أحص لنا ما في البحيرة حتى نعطي الجند فدخلها ادريس فلم يقدر على إحصاء ما فيها فقال ليزيد فيها ما لا أستطيع احصاءه وهو في ظروف فنحصي الجواليق ونعلم ما فيها ونقول للجند ادخلوا فخذوا فمن أخذ شيأ عرفنا ما أخذ من الحنطة والشعير والأرز والسمسم والعسل قال نعم ما رأيت فأحصوا الجواليق عددا وعلموا كل جوالق ما فيه وقالوا للجند خذوا فكان الرجل يخرج وقد أخذ ثيابا أو طعاما أو ما حمل من شيء فيكتب على كل رجل ما أخذ فأخذوا شيأ كثيرا قال علي قال أبو بكر الهذلي كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب فرفعوا عليه انه أخذ خريطة فسأله يزيد عنها فأتاه بها فدعا يزيد الذي رفع عليه فشتمه وقال لشهر هي لك قال لا حاجة لي فيها فقال القطامي الكلبي ويقال سنان بن مكمل النميري

لقد باع شهر دينه بخريطة * فمن يأمن القراء بعدك ياشهر
أخذت به شيأ طفيفا وبعته * من ابن جونبوذان هذا هو الغدر

وقال مرة النخعي لشهر

يا ابن المهلب ما أردت إلى امرئ * لولاك كان كصالح القراء

قال علي قال أبو محمد الثقفي أصاب يزيد بن المهلب تاجا بجرجان فيه جوهر فقال أترون أحدا يزهد في هذا التاج قالوا لا فدعا محمد بن واسع الأزدي فقال خذ هذا التاج فهو لك قال لا حاجة لي فيه قال عزمت عليك فأخذه وخرج فأمر يزيد رجلا ينظر ما يصنع به فلقي سائلا فدفعه اليه فأخذ الرجل السائل فأتى به يزيد وأخبره الخبر فأخذ يزيد التاج وعوض السائل مالا كثيرا قال علي وكان سليمان بن عبد الملك كلما افتتح قتيبة فتحا قال ليزيد بن المهلب أما ترى ما يصنع الله على يدي قتيبة فيقول ابن المهلب ما فعلت جرجان التي حالت بين الناس والطريق الأعظم وأفسدت قومس وأبرشهر ويقول هذه الفتوح ليست بشيء الشأن في جرجان فلما ولي يزيد بن المهلب لم يكن له همة غير جرجان قال ويقال كان يزيد بن المهلب في عشرين ومائة ألف معه من أهل الشأم ستون ألفا قال علي في حديثه عمن ذكر خبر جرجان عنهم وزاد فيه علي بن مجاهد عن خالد بن صبيح أن يزيد بن المهلب لما صالح صول طمع في طبرستان أن يفتحها فاعتزم على أن يسير اليها فاستعمل عبد الله بن المعمر اليشكري على البياسان ورد هستان وخلف معه أربعة

آلاف ثم أقبل الى أدانى جرجان مما يلى طبرستان واستعمل على اندرستان أسد بن عمرو أوابن عبد الله بن الربعة وهى مما يلى طبرستان وخلفه فى أربعة آلاف ودخل يزيد بلاد الاصبهبذ فأرسل اليه يسأله الصلح وان يخرج من طبرستان فأبى يزيد ورجا أن يفتحها فوجه أخاه أبا عيينة من وجه وخالد بن يزيد ابنه من وجه وأبا الجهم الكلبى من وجه وقال اذا اجتمعتم فأبو عيينة على الناس فسار أبو عيينة فى أهل المصرين ومعه هريم بن أبى طحمة وقال يزيد لأبى عيينة شاور هريما فإنه ناصح وأقام يزيد معسكرا قال واستجاش الاصبهبذ بأهل جيلان وأهل الديلم فأتوه فالتقوا فى سند جبل فانهزم المشركون وأتبعهم المسلمون حتى انتهوا الى فم الشعب فدخله المسلمون وصعد المشركون فى الجبل وأتبعهم المسلمون فرماهم العدو بالنشاب والحجارة فانهزم أبو عيينة والمسلمون فركب بعضهم بعضا يتساقطون من الجبل فلم يثبتوا حتى انتهوا الى عسكر يزيد وكف العدو عن اتباعهم وخافهم الاصبهبذ فكتب الى المرزبان ابن عم فيروز بن قول وهو بأقصى جرجان مما يلى البياسان إنا قد قتلنا يزيد وأصحابه فاقتل من فى البياسان من العرب فخرج الى أهل البياسان والمسلمون غارون فى منازلهم قد أجمعوا على قتلهم فقتلوا جميعا فى ليلة فأصبح عبد الله بن المعمر مقتولا وأربعة آلاف من المسلمين لم ينج منهم أحد وقتل من بنى العم خمسون رجلا قتل الحسين بن عبد الرحمن واسماعيل بن ابراهيم بن ثماس وكتب الى الاصبهبذ يأخذ بالمضايق والطرق و بلغ يزيد قتل عبد الله بن المعمر وأصحابه فأعظموا ذلك وهالهم ففزع يزيد الى حيان النبطى وقال لا يمنعك ما كان منى اليك من نصيحة المسلمين قد جاءنا عن جرجان ما جاءنا وقد أخذ هذا بالطرق فاعمل فى الصلح قال نعم فأتى حيان الاصبهبذ فقال أنا رجل منكم وان كان الدين قد فرق بينى وبينكم فإنى لك ناصح وأنت أحب الى من يزيد وقد بعث يستمد وأمداده منه قريبة وانما أصابوا منه طرفا ولست آمن أن يأتيك مالا تقوم له فأرح نفسك منه وصالحه فإنك ان صالحته صيرحده على أهل جرجان بغدرهم وقتلهم من قتلوا فصالحه على سبعمائة ألف وقال على بن مجاهد على خمسمائة ألف وأربعمائة وقر زعفران أوقيمته من العين وأربعمائة رجل على كل رجل برنس وطيلسان ومع كل رجل جام فضة وسرقة خز وكسوة ثم رجع الى يزيد بن المهلب فقال ابعث من يحمل صلحهم الذى صالحتهم عليه قال من عندهم أو من عندنا قال من عندهم وكان يزيد قد طابت نفسه على أن يعطيهم ما سألوا ويرجع الى جرجان فأرسل يزيد من يحمل ما صالحهم عليه حيان وانصرف الى جرجان وكان يزيد قد غرم حيانا مائتى ألف فخاف أن لا يناصحه والسبب الذى له أغرم حيانا فيه ما حدثنى على بن مجاهد عن خالد بن صبيح قال كنت مؤدبا لولد حيان فدعانى فقال لى اكتب كتابا الى مخلد بن يزيد ومخلد يومئذ ببلخ ويزيد بمرو فتناولت

القرطاس فقال اكتب من حيان مولى مصقلة الى مخلد بن يزيد فغمزني مقاتل بن حيان أن لا تكتب وأقبل على أبيه فقال يا أبت تكتب الى مخلد وتبدأ بنفسك قال نعم يا بني فان لم يرض لقي مالقي قتيبة ثم قال لي اكتب فكتبت فبعث مخلد بكتابه الى أبيه فأغرم يزيد حيانا مائتي ألف درهم ﴿وفي هذه السنة﴾ فتح يزيد جرجان الفتح الآخر بعد غدرهم بجنده ونقضهم العهد قال علي عن الرهط الذين ذكر أنهم حدثوه بخبر جرجان وطبرستان ثم إن يزيد لما صالح أهل طبرستان قصد لجرجان فأعطى الله عهدا ألين ظفر بهم أن لا يقلع عنهم ولا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم ويختبز من ذلك الطحين ويأكل منه فلما بلغ المرزبان أنه قد صالح الاصبهبذ وتوجه الى جرجان جمع أصحابه وأتى وجاه فتحصن فيها وصاحبها لا يحتاج الى عدة من طعام ولا شراب وأقبل يزيد حتى نزل عليها وهم متحصنون فيها وحولها غياض فليس يعرف لها الا طريق واحد فأقام بذلك سبعة أشهر لا يقدر منهم على شيء ولا يعرف لهم مأتى الا من وجه واحد فكانوا يخرجون في الأيام فيقاتلونه ويرجعون الى حصنهم فبيناهم على ذلك اذ خرج رجل من عجم خراسان كان مع يزيد يتصيد ومعه شاكرية له (وقال هشام بن محمد) عن أبي مخنف فخرج رجل من عسكره من طيء يتصيد فأبصر وعلا برقى في الجبل فاتبعه وقال لمن معه قفوا مكانكم ووقل في الجبل يقتص الأثر فما شعر بشيء حتى هجم على عسكرهم فرجع يريد أصحابه فخاف أن لا يهتدي فجعل يخرق قبائه ويعقد على الشجر علامات حتى وصل الى أصحابه ثم رجع الى العسكر ويقال ان الذي كان يتصيد الهياج بن عبد الرحمن الأزدي من أهل طوس وكان منهوما بالصيد فلما رجع الى العسكر أتى عامر بن أينم الواشجي صاحب شرطة يزيد فمنعوه من الدخول فصاح ان عندي نصيحة (وقال هشام) عن أبي مخنف جاء حتى رفع ذلك الى ابني زحر بن قيس فانطلق به ابناز حر حتى أدخلاه على يزيد فأعلمه الخبر فضمن له بضمان الجهنية أم ولد كانت ليزيد على شيء قد سماه وقال علي بن محمد في حديثه عن أصحابه فدعا به يزيد فقال ما عندك قال أتريد أن تدخل وجاه بغير قتال قال نعم قال جعالتي قال احتكم قال أربعة آلاف قال لك دية قال عجلوا لي أربعة آلاف ثم أنتم بعد من وراء الاحسان فأمر له بأربعة آلاف وندب الناس فانتدب ألف وأربعمائة فقال الطريق لا يحمل هذه الجماعة لالتفاف الغياض فاختار منهم ثلثمائة فوجههم واستعمل عليهم جهم بن زحر وقال بعضهم استعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد وقال له ان غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت واياك ان أراك عندي منهزما وضم اليه جهم بن زحر وقال يزيد للرجل الذي ندب الناس معه متى تصل اليهم قال غدا عند العصر فيما بين الصلاتين قال امضوا على بركة الله فاني سأجهد على مناهضتهم غدا عند صلاة الظهر فساروا فلما قارب انتصاف النهار

من

من غد أمر يزيد الناس أن يشعلوا النار فى حطب كان جمعه في حصاره اياهم فصيره آكاما فأضرموه نارا فلم تزل الشمس حتى صار حول عسكره امثال الجبال من النيران ونظر العدو الى النار فهالهم ما رأوا من كثرتها فخرجوا اليهم وأمر يزيد الناس حين زالت الشمس فصلوا فجمعوا بين الصلاتين ثم زحفوا اليهم فاقتتلوا وسار الآخرون بقية يومهم والغد فهجموا على عسكر الترك قبيل العصر وهم آمنون من ذلك الوجه ويزيد يقاتل من هذا الوجه فما شعروا الا بالتكبير من ورائهم فانقطعوا جميعا الى حصنهم وركبهم المسلمون فأعطوا بأيديهم ونزلوا على حكم يزيد فسبى ذراريهم وقتل مقاتلتهم وصلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره وفاد منهم اثنى عشر ألفا الى الاندرهز وادى جرجان وقال من طلبهم بثأر فليقتل فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعة والخمسة في الوادى وأجرى الماء في الوادى على الدم وعليه أرحاء ليطحن بدمائهم ولتبر يمينه فطحن واختبز وأكل وبنى مدينة جرجان وقال بعضهم قتل يزيد من أهل جرجان أربعين ألفا ولم تكن قبل ذلك مدينة ورجع الى خراسان واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفى (وأما هشام) بن محمد فانه ذكر عن أبى مخنف انه قال دعا يزيد جهم بن زحر فبعث معه أربعمائة رجل حتى أخذوا فى المكان الذى دلوا عليه وقد أمرهم يزيد فقال اذا وصلتم الى المدينة فانتظروا حتى اذا كان فى السحر فكبروا ثم انطلقوا نحو باب المدينة فانكم تجدونى وقد نهضت بجميع الناس الى بابها فلما دخل ابن زحر المدينة أمهل حتى اذا كانت الساعة التى أمره يزيد أن ينهض فيها مشى بأصحابه فأخذ لا يستقبل من احراسهم أحدا الا قتله وكبر ففزع أهل المدينة ففزعا لم يدخلهم مثله قط فيما مضى فلم يرعهم الا والمسلمون معهم فى مدينتهم يكبرون فدهشوا فألقى الله في قلوبهم الرعب وأقبلوا لا يدرون أين يتوجهون غير أن عصابة منهم ليسوا بالكثير قد أقبلوا نحو جهم بن زحر فقاتلوا ساعة فدقت يد جهم وصبر لهم هو وأصحابه فلم يلبثوهم أن قتلوهم الا قليلا وسمع يزيد بن المهلب التكبير فوثب فى الناس الى الباب فوجدوهم قد شغلهم جهم بن زحر عن الباب فلم يجد عليه من يمنعه ولا من يدفع عنه كبير دفع ففتح الباب ودخلها من ساعته فأخرج من كان فيها من المقاتلة فنصب لهم الجذوع فرسخين عن يمين الطريق ويساره فصلبهم أربعة فراسخ وسبى أهلها وأصاب ما كان فيها قال على فى حديثه عن شيوخه الذين قد ذكرت أسماءهم قبل وكتب يزيد الى سليمان بن عبد الملك أما بعد فإن الله قد فتح لأمير المؤمنين فتحا عظيما وصنع للمسلمين أحسن الصنع فلربنا الحمد على نعمه واحسانه أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان وقد أعيى ذلك سابور ذا الأكتاف وكسرى بن قباذ وكسرى بن هرمز وأعيى الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومن بعدهما من خلفاء الله حتى

فتح الله ذلك لأمير المؤمنين كرامة من الله له وزيادة في نعمه عليه وقد صار عندى من خمس ما أفاء الله على المسلمين بعد ان صار الى كل ذى حق حقه من الفئ والغنيمة ستة آلاف ألف وأنا حامل ذلك الى أمير المؤمنين ان شاء الله فقال له كاتبه المغيرة بن أبى قرة مولى بنى سدوس لا تكتب بتسمية مال فإنك من ذلك بين أمرين إما استكثره فأمرك بحمله وإما سخت نفسه لك به فسوغكه فتكلفت الهدية فلا يأتيه من قبلك شئ الا استقله فكأنى بك قد استغرقت ما سميت ولم يقع منه موقعا ويبقى المال الذى سميت مخلدا عندهم عليك في دواوينهم فإن ولى وال بعده أخذك به وإن ولى من يتحامل عليك لم يرض منك بأضعافه فلا تمض كتابك ولكن اكتب بالفتح وسله القدوم فتشافهه بما أحببت مشافهة وتقصر فانك أن تقصر عما أحببت أحرى من أن تكثر فأبى يزيد وأمضى الكتاب وقال بعضهم كان فى الكتاب أربعة آلاف ألف ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة توفى أيوب بن سليمان بن عبد الملك فحدثت عن على بن محمد قال حدثنا على بن مجاهد عن شيخ من أهل الرى أدرك يزيد قال أتى يزيد بن المهلب الرى حين فرغ من جرجان فبلغه وفاة أيوب بن سليمان وهو يسير في باغ أبى صالح على باب الرى فارتجز راجز بين يديه فقال

ان يك أيوب مضى لشانه * فإن داود لفى مكانه
يقيم ما قد زال من سلطانه

﴿وفي هذه السنة﴾ فتحت مدينة الصقالبة ﴿وفيها﴾ غزا داود بن سليمان بن عبد الملك أرض الروم ففتح حصن المرأة مما يلى ملطية ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وهو يومئذ أمير على مكة حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عليها سنة سبع وقد ذكرناهم قبل غير أن عامل يزيد بن المهلب على البصرة فى هذه السنة كان فيما قيل سفيان بن عبد الله الكندى

﴿ثم دخلت سنة تسع وتسعين﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

فمن ذلك وفاة سليمان بن عبد الملك توفي فيما حدثت عن هشام عن أبى مخنف بدابق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر الا خمسة أيام وقد قيل توفي لعشر ليال مضين من صفر وقيل كانت خلافته سنتين وسبعة أشهر وقيل سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام وقد حدث الحسن بن حماد عن طلحة أبى محمد عن أشياخه انهم قالوا استخلف سليمان بن عبد الملك بعد الوليد ثلاث سنين وصلى عليه عمر بن

عبد العزيز ۞ وحدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال توفي سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة ٩٩ فكانت خلافته ثلاث سنين الا أربعة أشهر

﴿ذكر الخبر عن بعض سيره﴾

حدثت عن علي بن محمد قال كان الناس يقولون سليمان مفتاح الخير ذهب عنهم الحجاج فولي سليمان فاطلق الاسارى وخلى أهل السجون وأحسن الى الناس واستخلف عمر بن عبد العزيز فقال ابن بيض

حاز الخلافة والداك كلاهما * من بين سخطة ساخط اوطائع
أبواك ثم أخوك أصبح ثالثا * وعلى جبينك نور ملك الرابع

وقال علي قال المفضل بن المهلب دخلت على سليمان بدابق يوم جمعة فدعا بثياب فلبسها فلم تعجبه فدعا بغيرها بثياب خضر سوسية بعث بها يزيد بن المهلب فلبسها واعتم وقال يا ابن المهلب أعجبتك قلت نعم فحسر عن ذراعيه ثم قال أنا الملك الفتى فصلى الجمعة ثم لم يجمع بعدها وكتب وصيته ودعا ابن ابي نعيم صاحب الخاتم فختمه قال علي قال بعض أهل العلم ان سليمان لبس يوما حلة خضراء وعمامة خضراء ونظر في المرآة فقال أنا الملك الفتى فما عاش بعد ذلك الا أسبوعا (قال علي) وحدثنا سحيم بن حفص قال نظرت الى سليمان جارية له يوما فقال ما تنظرين فقالت

أنت خير المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للانسان
ليس فيما علمته فيك عيب * كان في الناس غيرك فان

فنفض عمامته (قال علي) كان قاضي سليمان سليمان بن حبيب المحاربي وكان ابن أبي عيينة يقص عنده ۞ وحدثت عن أبي عبيدة عن رؤبة بن العجاج قال حج سليمان بن عبد الملك وحج الشعراء معه وحججت معهم فلما كان بالمدينة راجعا تلقوه بنحو من أربعمائة أسير من الروم فقعد سليمان وأقربهم منه مجلسا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم فقدم بطريقهم فقال يا عبد الله اضرب عنقه فقام فما أعطاه أحد سيفا حتى دفع اليه حرسي سيفه فضربه فأبان الرأس وأطن الساعد وبعض الغل فقال سليمان أما والله ما من جودة السيف جادت الضربة ولكن لحسبه وجعل يدفع البقية الى الوجوه والى الناس يقتلونهم حتى دفع الى جرير رجلا منهم فدست اليه بنو عبس سيفا في قراب أبيض فضربه فأبان رأسه ودفع الى الفرزدق أسيرا فلم يجد سيفا فدس اليه سيفا دنانا متينا لا يقطع فضرب به الاسير ضربات فلم يصنع شيأ فضحك سليمان والقوم وشمت بالفرزدق بنو عبس أخوال سليمان فألقى السيف وأنشأ يقول ويعتذر الى سليمان ويأتسي ببني سيف ورقاء عن رأس خالد

ان يكُ سيفٌ خان أوقدرٌ أتى * بتأخيرِ نفسٍ حتفُها غيرُ شاهدِ
فسيفُ بنى عبسٍ وقد ضربوابه * نبا بيدَىْ ورقاء عن رأس خالدِ
كذاك سيُوفُ الهند تنبُو ظُباتها * وتقطعُ أحيانا مناطَ القلائدِ

وورقاء هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسى ضرب خالد بن جعفر بن كلاب وخالد مكبّ على أبيه زهير قد ضربه بالسيف وصرعه فأقبل ورقاء بن زهير فضرب خالدا فلم يصنع شيأ فقال ورقاء بن زهير

رأيتُ زهيرا تحت كلكلِ خالدٍ * فأقبلتُ أسعى كالعجُولِ أبادرُ
فشُلّت يمينى يوم أضربُ خالدا * ويُخضبُه منى الحديدُ المُظاهرُ

وقال الفرزدق في مقامه ذلك

أيعجبُ الناسُ ان أضحكتُ خيرَهمُ * خليفةَ اللهِ يُستسقَى به المطرُ
فانما السيفُ عن جُبنٍ ولا دهشٍ * عند الامام ولكن أخّرَ القدرُ
ولو ضربتُ على عمرٍ مقلّدَهُ * لخرّ جُثمانُهُ مافوقه شعرُ
وما يُعجّلُ نفسا قبلَ ميتتها * جمعُ اليدين ولا الصمصامةُ الذكرُ

وقال جرير في ذلك

بسيفِ أبى رغوانَ سيفِ مجاشعٍ * ضربتَ ولم تضرب بسيف ابن ظالمِ
ضربتَ به عند الامام فأرعشتْ * يداك وقالوا مُحدثٌ غيرُ صارمِ

حدثنى عبد الله بن أحمد قال حدثنى أبى قال حدثنى سليمان قال حدثنى عبد الله بن محمد بن عيينة قال أخبرنى أبو بكر بن عبد العزيز بن الضحاك بن قيس قال شهد سليمان بن عبد الملك جنازة بدابق فدُفنت في حفل فجعل سليمان يأخذ من تلك التربة فيقول ما أحسن هذه التربة ما أطيبها فما أتى عليه جمعةٌ أو كما قال حتى دفن الى جنب ذلك القبر

﴿خلافة عمر بن عبد العزيز﴾

﴿وفي هذه السنة﴾ استخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

﴿ذكر الخبر عن سبب استخلاف سليمان اياه﴾

حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال حدثنا محمد بن عمر قال حدثنى الهيثم بن واقد قال استخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة ٩٩ قال محمد ابن عمر حدثنى داود بن خالد بن دينار عن سهيل بن أبى سهيل قال سمعت رجاء بن حيوة يقول لما كان يوم الجمعة لبس سليمانُ بن عبد الملك ثيابا خضرا من حزّ ونظر فى المرآة فقال أنا والله الملك الشابّ فخرج الى الصلاة فصلّى بالناس الجمعة فلم يرجع حتى وُعك فلما ثقل عهد فى كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام لم يبلغ فقلت ما تصنع يا أمير المؤمنين انه مما يحفظ الخليفة فى

قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح فقال سليمان أنا أستخير الله وأنظر فيه ولم أعزم عليه قال فمكث يوما أو يومين ثم خرّقه فدعاني فقال ما ترى في داود بن سليمان فقلت هو غائب عنك بقسطنطينية وأنت لا تدري أحيّ هو أم ميت فقال لي فمن ترى قلت رأيك يا أمير المؤمنين وأنا أريد أن أنظر من يذكر فقال كيف ترى في عمر بن عبد العزيز فقلت أعلمه والله خيرا فاضلا مسلما فقال هو والله على ذلك ثم قال والله لئن وليته ولم أول أحدا سواه لتكونن فتنة ولا يتركونه أبدا بي عليهم الا أن يجعل أحدهم بعده ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم قال فيزيد بن عبد الملك أجعله بعده فان ذلك مما يسكنهم ويرضون به قلت رأيك قال فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز اني قد وليتك الخلافة من بعدي ومن بعدك يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم وختم الكتاب وأرسل الى كعب بن حامد العبسي صاحب شرطه فقال مر أهل بيتي فليجتمعوا فارسل كعب اليهم أن يجتمعوا فاجتمعوا ثم قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم اذهب بكتابي هذا اليهم فاخبرهم ان هذا كتابي وأمرهم فليبايعوا من وليت فيه ففعل رجاء فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا ندخل فنسلم على أمير المؤمنين قال نعم فدخلوا فقال لهم سليمان في هذا الكتاب وهو يشير لهم اليه وهم ينظرون اليه في يد رجاء بن حيوة عهدي فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سميت في هذا الكتاب فبايعوه رجلا رجلا ثم خرج بالكتاب مختوما في يد رجاء ابن حيوة قال رجاء فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال أخشى أن يكون هذا أسند الى شيأ من هذا الامر فانشدك الله وحرمتي ومودتي الا أعلمتني ان كان ذلك حتى استعفيه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة قال رجاء لا والله ما أنا بمخبرك حرفا فال فذهب عمر غضبان قال رجاء ولقيني هشام بن عبد الملك فقال يا رجاء ان لي بك حرمة ومودة قديمة وعندي شكر فأعلمني هذا الامر فان كان الى علمت وان كان الى غيري تكلمت فليس مثلي قصر به فأعلمني فلك الله عليّ أن لا أذكر من ذلك شيأ أبدا قال رجاء فابيت فقلت والله لا أخبرك حرفا واحدا مما أسر الي قال فانصرف هشام وهو قد يئس ويضرب باحدى يديه على الاخرى وهو يقول فإلى من اذا نحيت عني أتخرج من بني عبد الملك قال رجاء ودخلت على سليمان فاذا هو يموت فجعلت اذا أخذته السكرة من سكرات الموت حرّفته الى القبلة فجعل يقول حين يفيق لم يأن لذلك بعد يا رجاء ففعلت ذلك مرتين فلما كانت الثالثة قال من الآن يا رجاء ان كنت تريد شيأ أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال فحرّفته ومات فلما غمضته سجيته بقطيفة خضراء وأغلقت الباب وأرسلت الى زوجته تقول كيف أصبح فقلت نائم وقد تغطى فنظر الرسول اليه مغطى بالقطيفة فرجع فاخبرها فقبلت ذلك وظنت انه نائم قال رجاء وأجلست على الباب من أثق به وأوصيته

أن لا يبرح حتى آتيه ولا يدخل على الخليفة أحد قال فخرجت فارسلت الى كعب بن حامد العبسى فجمع أهل بيت أمير المؤمنين فاجتمعوا في مسجد دابق فقلت بايعوا فقالوا قد بايعنا مرة ونبايع أخرى قلت هذا عهد أمير المؤمنين فبايعوا على ما أمر به ومن سمى فى هذا الكتاب المختوم فبايعوا الثانية رجلا رجلا قال رجاء فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيت انى قد أحكمت الامر قلت قوموا الى صاحبكم فقدمات قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقرأت الكتاب عليهم فلما انتهيت الى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام بن عبد الملك لا نبايعه أبدا قلت أضرب والله عنقك قم فبايع فقام يجر رجليه قال رجاء وأخذت بضبعى عمر بن عبد العزيز فاجلسته على المنبر وهو يسترجع لما وقع فيه وهشام يسترجع لما أخطأه فلما انتهى هشام الى عمر قال عمر انا لله وانا اليه راجعون حين صارت الى لكراهته والآخر يقول انا لله وانا اليه راجعون حيث نحيت عنى قال وغسل سليمان وكفن وصلى عليه عمر بن عبد العزيز قال رجاء فلما فرغ من دفنه أتى بمراكب الخلافة البراذين والخيل والبغال ولكل دابة سائس فقال ما هذا قالوا مركب الخلافة قال دابتى أوفق لى وركب دابته قال فصرفت تلك الدواب ثم أقبل سائرا فقيل منزل الخلافة فقال فيه عيال أبى أيوب وفى فسطاطى كفاية حتى يتحولوا فاقام فى منزله حتى فرغوه بعد قال رجاء فلما كان المساء من ذلك اليوم قال يا رجاء ادع لى كاتبا فدعوته وقد رأيت منه كل ما سرنى صنع فى المراكب ما صنع وفي منزل سليمان فقلت كيف يصنع الآن في الكتاب أيصنع نسخا أم ماذا فلما جلس الكاتب أملى عليه كتابا واحدا من فيه الى يد الكاتب بغير نسخة فاملى أحسن املاء وأبلغه وأوجزه ثم أمر بذلك الكتاب ان ينسخ الى كل بلد وبلغ عبد العزيز بن الوليد وكان غائبا عن موت سليمان بن عبد الملك ولم يعلم ببيعة الناس عمر بن عبد العزيز وعهد سليمان الى عمر فعقد لواء ودعا الى نفسه فبلغته بيعة الناس عمر بعهد سليمان فاقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر قد بلغنى انك كنت بايعت من قبلك وأردت دخول دمشق فقال قد كان ذلك وذلك أنه بلغنى ان الخليفة سليمان لم يكن عقد لاحد فخفت على الاموال أن تنتهب فقال عمر لو بايعت وقمت بالامر ما نازعتك ذلك ولقعدت فى بيتى فقال عبد العزيز ما أحب انه ولى هذا الامر غيرك وبايع عمر بن عبد العزيز قال فكان يرجى لسليمان بتوليته عمر بن عبد العزيز وترك ولده ﴿وفي هذه السنة﴾ وجه عمر بن عبد العزيز الى مسلمة وهو بارض الروم وأمره بالقفول منها بمن معه من المسلمين ووجه اليه خيلا عتاقا وطعاما كثيرا وحث الناس على معونتهم وكان الذى وجه اليه من الخيل العتاق فيما قيل خمسمائة فرس ﴿وفي هذه السنة﴾ أغارت الترك على آذربيجان فقتلوا من المسلمين جماعة ونالوا منهم فوجه اليهم عمر بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلى فقتل أولئك الترك فلم يفلت منهم الا اليسير فقدم منهم على عمر بخناصرة بخمسين أسيرا ﴿وفيها﴾

عزل

عزل عمر بزيد بن المهلب عن العراق ووجه على البصرة وأرضها عدى بن ارطاة الفزارى وبعث على الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الاعرج القرشى من بنى عدى بن كعب وضم اليه أبا الزناد فكان أبو الزناد كاتب عبد الحميد بن عبد الرحمن وبعث عدى فى أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوجيه الحميرى ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم وكان عامل عمر على المدينة وكان عامل عمر على مكة فى هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن وعلى البصرة وأرضها عدى بن ارطاة وعلى خراسان الجراح بن عبد الله وعلى قضاء البصرة اياس بن معاوية بن قرة المزنى وكان قد ولى فيما ذكر قبله الحسن بن أبى الحسن فشكى فاستقضى اياس بن معاوية وكان على قضاء الكوفة فى هذه السنة فيما قيل عامر الشعبى (وكان الواقدى) يقول كان الشعبى على قضاء الكوفة أيام عمر بن عبد العزيز من قبل عبد الحميد بن عبد الرحمن والحسن بن أبى الحسن البصرى على قضاء البصرة من قبل عدى ابن أرطاة ثم ان الحسن استعفى من القضاء عديا فاعفاه وولى اياسا

﴿ ثم دخلت سنة مائة ﴾

﴿ذكر الخبر عن الاحداث التى كانت فيها﴾

فمن ذلك خروج الخارجة التى خرجت على عمر بن عبد العزيز بالعراق

﴿ذكر الخبر عن أمرهم﴾

ذكر محمد بن عمران ابن أبى الزناد حدثه قال خرجت حرورية بالعراق فكتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامل العراق يأمره أن يدعوهم الى العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فلما أعذر فى دعائهم بعث اليهم عبد الحميد جيشا فهزمتهم الحرورية فبلغ عمر فبعث اليهم مسلمة بن عبد الملك فى جيش من أهل الشأم جهزهم من الرقة وكتب الى عبد الحميد قد بلغنى ما فعل جيشك جيش السوء وقد بعثت مسلمة بن عبد الملك فخل بينه وبينهم فلقيهم مسلمة فى أهل الشأم فلم ينشب ان أظهره الله عليهم (وذكر أبو عبيدة) معمر بن المثنى ان الذى خرج على عبد الحميد بن عبد الرحمن بالعراق فى خلافة عمر بن عبد العزيز شوذب واسمه بسطام من بنى يشكر فكان مخرجه بجوخى فى ثمانين فارسا اكثرهم من ربيعة فكتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد أن لا تحركهم الا أن يسفكوا دما أو يفسدوا فى الارض فان فعلوا فخل بينهم وبين ذلك وانظر رجلا صليبا حازما فوجهه اليهم ووجه معه جندا وأوصه بما أمرتك به فعقد عبد الحميد لمحمد بن جرير بن عبد الله البجلى فى ألفين من أهل الكوفة وأمره بما أمره به عمر وكتب عمر الى بسطام يدعوه ويسأله عن مخرجه فقدم كتاب عمر عليه وقد قدم عليه محمد بن جرير فقام بازائه لا يحركه

ولا يهيجه فكان في كتاب عمر اليه انه بلغني انك خرجت غضبا لله ولنبيه ولست بأولى بذلك مني فهلم أناظرك فان كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس وان كان في يدك نظرنا في أمرنا فلم يحرك بسطام شيأ وكتب الى عمر قد أنصفت وقد بعثت اليك رجلين يدارسانك ويناظرانك قال أبو عبيدة أحد الرجلين اللذين بعثهما شوذب الى عمر ممزوج مولى بني شيبان والآخر من صليبة بني يشكر قال فيقال أرسل نفرا فيهم هذان فأرسل اليهم عمر أن اختاروا رجلين فاختاروهما فدخلا عليه فناظراه فقال له أخبرنا عن يزيد لم تقره خليفة بعدك قال صيره غيري قال أفرأيت لو وليت مالا لغيرك ثم وكلته الى غير مأمون عليه أتراك كنت أديت الامانة الى من ائتمنك قال فقال أنظرني ثلاثا فخرج من عنده وخاف بنو مروان أن يخرج ما عندهم وفي أيديهم من الأموال وأن يخلع يزيد فدسوا اليه من سقاه سما فلم يلبث بعد خروجهما من عنده الا ثلاثا حتى مات ﴿وفي هذه السنة﴾ أغزى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعيطي وعمرو بن قيس الكندي من أهل حمص الصائفة ﴿وفيها﴾ شخص عمر بن هبيرة الفزاري الى الجزيرة عاملا لعمر عليها ﴿وفي هذه السنة﴾ حمل يزيد بن المهلب من العراق الى عمر بن عبد العزيز

﴿ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف وصل اليه حتى استوثق منه﴾

اختلف أهل السير في ذلك فاما هشام بن محمد فانه ذكر عن أبي مخنف أن عمر بن عبد العزيز لما جاء يزيد بن المهلب فنزل واسط ثم ركب السفن يريد البصرة بعث عدي بن ارطاة الى البصرة أميرا فبعث عدي موسى بن الوجيه الحميري فلحقه في نهر معقل عند الجسر جسر البصرة فأوثقه ثم بعث به الى عمر بن عبد العزيز فقدم به عليه موسى بن الوجيه فدعا به عمر ابن عبد العزيز وقد كان عمر يبغض يزيد وأهل بيته ويقول هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم وكان يزيد بن المهلب يبغض عمر ويقول اني لأظنه مرائيا فلما ولي عمر عرف يزيد ان عمر كان من الرياء بعيدا ولما دعا عمر يزيد سأله عن الاموال التي كتب بها الى سليمان بن عبد الملك فقال كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت وانما كتبت الى سليمان لأسمع الناس به وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء سمعت ولا بأمر أكرهه فقال له ما أجد في أمرك الا حبسك فاتق الله وأد ما قبلك فانها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها فردده الى محبسه وبعث الى الجراح بن عبد الله الحكمي فسرحه الى خراسان وأقبل مخلد ابن يزيد من خراسان يعطي الناس ولا يمر بكورة إلا أعطاهم فيها أموالا عظاما ثم خرج حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فدخل عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله يا أمير المؤمنين صنع لهذه الأمة بولايتك عليها وقد ابتلينا بك فلا تكن أشقى الناس بولايتك علام تحبس هذا الشيخ أنا أتحمل ما عليه فصالحني على ما إياه تسأل فقال عمر لا الا أن تحمل جميع ما نسأله اياه فقال يا أمير المؤمنين ان كانت لك بينة فخذ بها وان لم تكن بينة فصدق

مقالة يزيد والا فاستحلفه فان لم يفعل فصالحه فقال له عمر ما أجد الا أخذه بجميع المال فلما خرج مخلد قال هذا خير عندي من أبيه فلم يلبث مخلد الا قليلا حتى مات فلما أبى يزيد أن يؤدي الى عمر شيأ ألبسه جبة من صوف وحمله على جمل ثم قال سيروا به الى دهلك فلما أخرج فمر به على الناس أخذ يقول مالي عشيرة مالي يذهب بي الى دهلك انما يذهب الى دهلك بالفاسق المريب الخارب سبحان الله أما لي عشيرة فدخل على عمر سلامة بن نعيم الخولاني فقال يا أمير المؤمنين ارددْ يزيد الى محبسه فاني أخاف ان أمضيته أن ينتزعه قومه فاني قد رأيت قومه غضبوا له فرده الى محبسه فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر * وأما غير أبي مخنف فانه قال كتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة يأمره بتوجيه يزيد بن المهلب ودفعه الى من بعين التمر من الجند فوجهه عدي بن ارطاة مع وكيع بن حسان بن أبي سود التميمي مغلولا مقيدا في سفينة فلما انتهى به الى نهر أبان عرض لوكيع ناس من الازد لينتزعوه منه فوثب وكيع فانتضى سيفه وقطع قلس السفينة وأخذ سيف يزيد بن المهلب وحلف بطلاق امرأته ليضربن عنقه ان لم يتفرقوا فناداهم يزيد بن المهلب فأعلمهم يمين وكيع فتفرقوا ومضى به حتى سلمه الى الجند الذين بعين التمر ورجع وكيع الى عدي بن ارطاة ومضى الجند الذين بعين التمر بيزيد بن المهلب الى عمر بن عبد العزيز فحبسه في السجن ﴿ قال أبو جعفر ﴾ وفي هذه السنة عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله عن خراسان وولاها عبد الرحمن بن نعيم القشيري فكانت ولاية الجراح بخراسان سنة وخمسة أشهر قدمها سنة ٩٩ وخرج منها لايام بقيت من شهر رمضان سنة ١٠٠

﴿ ذكر سبب عزل عمر اياه ﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر علي بن محمد عن كليب بن خلف عن ادريس بن حنظلة والمفضل عن جده وعلي بن مجاهد عن خالد بن عبد العزيز أن يزيد بن المهلب ولى جهم بن زحر جرجان حين شخص عنها فلما كان من أمر يزيد ما كان وجه عامل العراق من العراق واليا على جرجان فقدم الوالي عليها من العراق فأخذ جهما فقيده ووقيد رهطا قد موا معه ثم خرج في خمسين من اليمن يريد الجراح بخراسان فاطلق أهل جرجان عاملهم فقال الجراح لجهم لولا انك ابن عمي لم أسوغك هذا فقال له جهم ولولا انك ابن عمي لم آتك وكان جهم سلف الجراح من قبل ابنتي حصين بن الحارث وابن عمه لان الحكم وجعفي ابنا سعد فقال له الجراح خالفت إمامك وخرجت عاصيا فاغز لعلك أن تظفر فيصلح أمرك عند خليفتك فوجهه الى الختل فخرج فلما قرب منهم سار متنكرا في ثلاثة وخلف في عسكره ابن عمه القاسم بن حبيب وهو ختنه على ابنته أم الاسود حتى دخل على صاحب الختل فقال له أخلني فأخلاه فاعتزى فنزل صاحب الختل عن سريره وأعطاه حاجته ويقولون

الختل موالى النعمان وأصاب مغنما فكتب الجراح الى عمر وأوفد وفدا رجلين من العرب ورجلا من الموالى من بنى ضبة ويكنى أبا الصيداء واسمه صالح بن طريق كان فاضلا فى دينه وقال بعضهم المولى سعيد أخو خالد أو يزيد النحوى فتكلم العربيان والآخر جالس فقال له عمر أما أنت من الوفد قال بلى قال فما يمنعك من الكلام قال يا أمير المؤمنين عشرون ألفا من الموالى يغزون بلا عطاء ولا رزق ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج وأميرنا عصبى جاف يقوم على منبرنا فيقول أتيتكم حفيا وانا اليوم عصبى والله لرجل من قومى أحب الى من مائة من غيرهم وبلغ من جفائه ان كم درعه يبلغ نصف درعه وهو بعد سيف من سيوف الحجاج قد عمل بالظلم والعدوان فقال عمر إذن مثلك فليوفد وكتب عمر الى الجراح أنظر من صلى قبلك الى القبلة فضع عنه الجزية فسارع الناس الى الاسلام فقيل للجراح ان الناس قد سارعوا الى الاسلام وانما ذلك نفورا من الجزية فامتحنهم بالختان فكتب الجراح بذلك الى عمر فكتب اليه عمر ان الله بعث محمدا صلى الله عليه داعيا ولم يبعثه خاتنا وقال عمر ابغونى رجلا صدوقا أسأله عن خراسان فقيل له قد وجدته عليك بأبى مجلز فكتب الى الجراح ان أقبل واحمل أبا مجلز وخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم الغامدى وعلى جزيتها عبيد الله أو عبد الله بن حبيب فخطب الجراح فقال يا أهل خراسان جئتكم فى ثيابى هذه التى على وعلى فرسى لم أصب من مالكم الا حلية سيفى ولم يكن عنده الا فرس قد شاب وجهه و بغلة قد شاب وجهها فخرج فى شهر رمضان واستخلف عبد الرحمن بن نعيم فلما قدم قال له عمر متى خرجت قال فى شهر رمضان قال قد صدق من وصفك بالجفاء هلا أقمت حتى تفطر ثم تخرج وكان الجراح يقول أنا والله عصبى عقبى يريد من العصبية وكان الجراح لما قدم خراسان كتب الى عمر انى قدمت خراسان فوجدت قوما قد أبطرتهم الفتنة فهم ينزون فيها نزوا أحب الامور اليهم أن تعود ليمنعوا حق الله عليهم فليس يكفهم الا السيف والسوط وكرهت الإقدام على ذلك الا باذنك فكتب اليه عمر يا ابن أم الجراح أنت أحرص على الفتنة منهم لا تضربن مؤمنا ولا معاهدا سوطا الا فى حق واحذر القصاص فانك صائر الى من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور وتقرأ كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ولما أراد الجراح الشخص من خراسان الى عمر بن عبد العزيز أخذ عشرين ألفا وقال بعضهم عشرة آلاف من بيت المال وقال هى على سلفا حتى أؤديها الى الخليفة فقدم على عمر فقال له عمر متى خرجت قال لأيام بقين من شهر رمضان وعلى دين فاقضه قال لو قمت حتى تفطر ثم خرجت قضيت عنك فأدى عنه قومه فى أعطياتهم

﴿ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعيم وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراسان﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر لي أن الجراح بن عبد الله لما شكي واستقدمه عمر بن عبد العزيز فقدم عليه عزله عن خراسان لما قد ذكرت قبل ثم ان عمر لما أراد استعمال عامل على خراسان قال فيما ذكر علي بن محمد عن خارجة بن مصعب الضبعي وعبد الله بن المبارك وغيرهما ابغوني رجلا صدوقا أسأله عن خراسان فقيل له أبو مجلز لاحق بن حميد فكتب فيه فقدم عليه وكان رجلا لا تأخذه العين فدخل أبو مجلز على عمر في جفة الناس فلم يثبته عمر وخرج مع الناس فسأل عنه فقيل دخل مع الناس ثم خرج فدعا به عمر فقال يا أبا مجلز لم أعرفك قال فهلا أنكرتني اذ لم تعرفني قال اخبرني عن عبد الرحمن بن عبد الله قال يكافي الاكفاء ويعادي الاعداء وهو أمير يفعل ما يشاء ويقدم ان وجد من يساعده قال عبد الرحمن بن نعيم قال ضعيف لين يحب العافية وتأتي له قال الذي يحب العافية وتأتي له أحب الي فولاه الصلاة والحرب وولى عبد الرحمن القشيري ثم أحد بني الأعور بن قشير الخراج وكتب الى أهل خراسان اني استعملت عبد الرحمن على حربكم وعبد الرحمن بن عبد الله على خراجكم عن غير معرفة مني بهما ولا اختيار الا ما أخبرت عنهما فان كانا على ما تحبون فاحمدوا الله وان كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله ولا حول ولا قوة الا بالله قال علي وحدثنا أبو السري الأزدي عن ابراهيم الصائغ أن عمر بن عبد العزيز كتب الى عبد الرحمن بن نعيم أما بعد فكن عبدا لله صالحا في عباده ولا يأخذك في الله لومة لائم فان الله أولى بك من الناس وحقه عليك أعظم فلا تولين شيأ من أمر المسلمين الا المعروف بالنصيحة لهم والتوفير عليهم وأداء الامانة فيما استرعى واياك أن يكون ميلك ميلا الى غير الحق فان الله لا يخفى عليه خافية ولا تذهبن عن الله مذهبا فانه لا ملجأ من الله الا اليه قال علي عن محمد الباهلي وأبي نهيك بن زياد وغيرهما ان عمر بن عبد العزيز بعث بعهد عبد الرحمن بن نعيم على حرب خراسان وسجستان مع عبد الله بن صخر القرشي فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر بن عبد العزيز وبعد ذلك حتى قتل يزيد بن المهلب ووجه مسلمة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف وليها في شهر رمضان من سنة ١٠٠ وعزل سنة ١٠٢ بعد ما قتل يزيد بن المهلب قال علي كانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهرا

أول الدعوة

﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة أعني سنة ١٠٠ وجه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من أرض الشراة ميسرة الى العراق ووجه محمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج

وهو أبو محمد الصادق وحيّان العطار خال ابراهيم بن سلمة الى خراسان وعليها يومئذ الجراح ابن عبد الله الحكمي من قبل عمر بن عبد العزيز وأمرهم بالدعاء اليه والى أهل بيته فلقوا من لقوائم انصرفوا بكتب من استجاب لهم الى محمد بن علي فدفعوها الى ميسرة فبعث بها ميسرة الى محمد بن علي واختار أبو محمد الصادق لمحمد بن علي اثني عشر رجلا نقباء منهم سليمان بن كثير الخزاعي ولاهز بن قريظ التميمي وقحطبة بن شبيب الطائي وموسى بن كعب التميمي وخالد بن ابراهيم أبو داود من بني عمرو بن شيبان بن ذهل والقاسم بن مجاشع التميمي وعمران بن اسماعيل أبو النجم مولى لآل أبي مُعيط ومالك بن الهيثم الخزاعي وطلحة بن زُرَيق الخزاعي وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى لخزاعة وشِبْل بن طهمان أبو علي الهروي مولى لبني حنيفة وعيسى بن أعين مولى لخزاعة واختار سبعين رجلا فكتب اليهم محمد بن علي كتابا ليكون لهم مثالا وسيرة يسيرون بها ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق ابن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وكان عمال الامصار في هذه السنة العمال في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل ما خلا عامل خراسان فان عاملها كان في آخرها عبد الرحمن بن نعيم على الصلاة والحرب وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج

ثم دخلت سنة احدى ومائة

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

فمن ذلك ما كان من هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز

﴿ذكر الخبر عن سبب هربه منه وكيف كان هربه منه﴾

* ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف أن عمر بن عبد العزيز لما كلم في يزيد بن المهلب حين أراد نفيه الى دهلك وقيل له انا نخشى أن ينتزعه قومه ردّه الى محبسه فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر فأخذ يعمل بعد في الهرب من محبسه مخافة يزيد بن عبد الملك لانه كان قد عذّب اصهاره آل أبي عقيل كانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف عند يزيد بن عبد الملك فولدت له الوليد بن يزيد المقتول فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقا فكان يخشى ذلك فبعث يزيد ابن المهلب الى مواليه فأعدّ والها بلا وكان مرض عمر في دير سمعان فلما اشتدّ مرض عمر أمر بابله فأتي بها فلما تبين له انه قد ثقل نزل من محبسه فخرج حتى مضى الى المكان الذي واعدهم فيه فلم يجدهم جاؤا فجزع أصحابه وضجروا فقال لأصحابه أترونني أرجع الى السجن لا والله لا أرجع اليه أبدا ثم ان الابل جاءت فاحتمل فخرج ومعه عاتكة امرأته ابنة الفرات بن معاوية العامرية من بني البكّاء في شق المحمل فمضى فلما جاز كتب الى عمر

ابن عبد العزيز انى والله لو علمت انك تبقى ما خرجت من محبسى ولكنى لم آمن يزيد بن عبد الملك فقال عمر اللهم ان كان يزيد يريد بهذه الأمة شرًّا فاكفهم شره وارد كيده في نحره ومضى يزيد بن المهلب حتى مر بحدث الزقاق وفيه الهذيل بن زفر معه قيس فأتبعوا يزيد بن المهلب حيث مر بهم فأصابوا طرفا من ثقله وغلمة من وصفائه فأرسل الهذيل بن زفر في آثارهم فردهم فقال ما تطلبون أخبرونى أتطلبون يزيد بن المهلب أو أحدا من قومه بتبل فقالوا لا قال فما تريدون انما هو رجل كان فى أسار فخاف على نفسه فهرب وزعم الواقدى أن يزيد بن المهلب انما هرب من سجن عمر بعد موت عمر ﴿وفى هذه السنة﴾ توفى عمر بن عبد العزيز فحدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر قال توفى عمر بن عبد العزيز لخمس ليال بقين من رجب سنة ١٠١ وكذلك قال محمد بن عمر حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى عمرو ابن عثمان قال مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليال بقين من رجب سنة ١٠١ (وقال هشام) عن أبى مخنف مات عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لخمس بقين من رجب بدير سمعان فى سنة ١٠١ وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ومات بدير سمعان ❀ وحدثنى الحارث قال حدثنا أحمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى عمى الهيثم بن واقد قال ولدت سنة ٩٧ واستخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة ٩٩ فأصابنى من قسمه ثلاثة دنانير وتوفى بخناصرة يوم الأربعاء لخمس ليال بقين من رجب سنة ١٠١ وكان شكوه عشرين يوما وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ودفن بدير سمعان وقد قال بعضهم كان له يوم توفى تسع وثلاثون سنة وخمسة أشهر * وقال بعضهم كان له أربعون سنة (وقال هشام) توفى عمر وهو ابن أربعين سنة وأشهر وكان يكنى أبا حفص وله يقول عويف القوافى وقد حضره فى جنازة شهدها معه

أجنبنى أبا حفص لقيت محمدا * على حوضه مستبشرا من ورا كا
فأنت امرؤ كلتا يديك مفيدة * شمالك خير من يمين سوا كا

وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وكان يقال له أشج بنى أمية وذلك ان دابة من دواب أبيه كانت شجته فقيل له أشج بنى أمية ❀ وحدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا سليمان بن حرب قال حدثنا المبارك بن فضالة عن عبيد الله بن عمر عن نافع قال كنت أسمع ابن عمر كثيرا يقول ليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر فى وجهه علامة يملأ الأرض عدلا ❀ وحدثت عن منصور بن أبى مزاحم قال حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الافطس ان عمر بن عبد العزيز رمحته دابة وهو غلام بدمشق فأتيت به أمه أم

عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فضمته اليها وجعلت تمسح الدم عن وجهه ودخل أبوه عليها على تلك الحال فأقبلت عليه تعذله وتلومه وتقول ضيعت ابنى ولم تضم اليه خادما ولا حاضنا يحفظه من مثل هذا فقال لها اسكتى يا أم عاصم فطوبالك اذ كان أشج بنى أمية

﴿ذكر بعض سيره﴾

* ذكر على بن محمد ان كليب بن خلف حدثهم عن ادريس بن حنظلة والمفضل عن جده وعلى بن مجاهد عن خالد ان عمر بن عبد العزيز كتب حين ولى الخلافة الى يزيد بن المهلب أما بعد فان سليمان كان عبدا من عبيد الله أنعم الله عليه ثم قبضه واستخلفنى ويزيد ابن عبد الملك من بعدى ان كان وان الذى ولانى الله من ذلك وقدر لى ليس على بهين ولو كانت رغبتى فى اتخاذ أزواج واعتقاد أموال كان فى الذى أعطانى من ذلك ماقد بلغ بى أفضل مابلغ بأحد من خلقه وأنا أخاف فيما ابتليت به حسابا شديدا ومسئلة غليظة الا ماعافى الله ورحم وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك فلما قدم الكتاب على يزيد بن المهلب ألقاه الى أبى عيينة فلما قرأه قال لست من عماله قال ولم قال ليس هذا كلام من مضى من أهل بيته وليس يريد أن يسلك مسلكهم فدعا الناس الى البيعة فبايعوا قال ثم كتب عمر الى يزيد استخلف على خراسان وأقبل فاستخلف ابنه مخلدا قال على وحدثنا على بن مجاهد عن عبد الاعلى بن منصور عن ميمون بن مهران قال كتب عمر الى عبد الرحمن بن نعيم ان العمل والعلم قريبان فكن عالما بالله عاملا له فان أقواما علموا ولم يعملوا فكان علمهم عليهم وبالا قال وأخبرنا مصعب بن حيان عن مقاتل بن حيان قال كتب عمر الى عبد الرحمن أما بعد فاعمل عمل رجل يعلم ان الله لا يصلح عمل المفسدين قال على أخبرنا كليب بن خلف عن طفيل بن مرداس قال كتب عمر الى سليمان بن أبى السرى أن اعمل خانات فى بلادك فمن مر بك من المسلمين فاقروهم يوما وليلة وتعهدوا دوابهم فمن كانت به علة فاقروه يومين وليلتين فان كان منقطعا به فقووه بما يصل به الى بلده فلما أتاه كتاب عمر قال أهل سمرقند لسليمان ان قتيبة غدر بنا وظلمنا وأخذ بلادنا وقد أظهر الله العدل والانصاف فائذن لنا فليفد منا وفد الى أمير المؤمنين يشكون ظلامتنا فان كان لنا حق أعطيناه فان بنا الى ذلك حاجة فأذن لهم فوجهوا منهم قوما فقدموا على عمر فكتب لهم عمر الى سليمان بن أبى السرى ان أهل سمرقند قد شكوا الى ظلما أصابهم ونحاملا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم فاذا أتاك كتابى فأجلس لهم القاضى فلينظر فى أمرهم فان قضى لهم فاخرجهم الى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل ان ظهر عليهم قتيبة قال فأجلس لهم سليمان جميع بن حاضر القاضى الناجى فقضى ان يخرج عرب سمرقند الى معسكرهم وينابذوهم على سواء فيكون صلحا جديدا أو ظفرا عنوة فقال أهل السغد بل نرضى بما كان ولا نجدد حربا وتراضوا بذلك فقال أهل الرأى قد خاطناهؤلاء القوم وأقمنا معهم وأمنونا وأمناهم فان حكم لنا عدنا الى الحرب ولا ندرى لمن يكون الظفر

وان

وان لم يكن لنا كنا قد اجتلبنا عداوة في المنازعة فتركوا الامر على ما كان ورضوا ولم ينازعوا قال وكتب عمر الى عبد الرحمن بن نعيم يأمره بإقفال من وراء النهر من المسلمين بذراريهم قال فأبوا وقالوا لا يسعنا مر وفكتب الى عمر بذلك فكتب اليه عمر اللهم انى قد قضيت الذى علىّ فلا تغز بالمسلمين فحسبهم الذى قد فتح الله عليهم قال وكتب الى عقبة بن زرعة الطائى وكان قد ولاه الخراج بعد القشيرى ان السلطان أركانا لا يثبت الا بها فالوالى ركن والقاضى ركن وصاحب بيت المال ركن والركن الرابع أنا وليس من ثغور المسلمين ثغر أهم الىّ ولا أعظم عندى من ثغر خراسان فاستوعب الخراج واحرزه فى غير ظلم فإن يك كفافا لأعطياتهم فسبيل ذلك والا فاكتب الىّ حتى أحمل اليك الاموال فتوفر لهم أعطياتهم قال فقدم عقبة فوجد خراجهم يفضل عن أعطياتهم فكتب الى عمر فاعلمه فكتب اليه عمر ان اقسم الفضل فى أهل الحاجة ❁ وحدثنى عبد الله بن أحمد بن شبّويه قال حدثنى أبى قال حدثنى سليمان قال سمعت عبد الله يقول عن محمد بن طلحة عن داود بن سليمان الجعفى قال كتب عمر ابن عبد العزيز من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الحميد سلام عليك أما بعد فان أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور فى أحكام الله وسنة خبيثة أستنها عليهم عمال السوء وان قوام الدين العدل والإحسان فلا يكونن شىء أهم اليك من نفسك فانه لا قليل من الاثم ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامرا على خراب انظر الخراب فخذ منه ما أطاق وأصلحه حتى يعمر ولا يؤخذ من العامر الا وظيفة الخراج فى رفق وتسكين لاهل الارض ولا تأخذن فى الخراج الا وزن سبعة ليس لها آيين ولا أجور الضرابين ولا هدية النيروز والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا أجور الفيوج ولا أجور البيوت ولا دراهم النكاح ولا اخراج على من أسلم من أهل الارض فاتبع فى ذلك أمرى فانى قد وليتك من ذلك ما ولانى الله ولا تعجل دونى بقطع ولا صلب حتى تراجعنى فيه وانظر من أراد من الذرية ان يحج فعجل له مائة يحج بها والسلام ❁ حدثنا عبد الله بن أحمد بن شبّويه قال حدثنى أبى قال حدثنا سليمان قال حدثنى عبد الله عن شهاب بن شريعة المجاشعى قال ألحق عمر بن عبد العزيز ذرارى الرجال الذين فى العطايا أقرع بينهم فمن أصابته القرعة جعله فى المائة ومن لم تصبه القرعة جعله فى الاربعين وقسم فى فقراء أهل البصرة كل انسان ثلاثة دراهم فأعطى الزمنى خمسين خمسين قال وأراه رزق الفطم ❁ حدثنى عبد الله قال حدثنا أبى قال حدثنا الفضيل عن عبد الله قال بلغنى ان عمر بن عبد العزيز كتب الى أهل الشأم سلام عليكم ورحمة الله أما بعد فانه من أكثر ذكر الموت قل كلامه ومن علم ان الموت حق رضى اليسير والسلام قال علىّ بن محمد وقال أبو مجلز لعمر انك وضعتنا بمنقطع التراب فاحمل الينا الاموال قال يا أبا مجلز قلبت الامر قال يا أمير المؤمنين أهو لنا أم لك قال بل هو لكم اذا قصر خراجكم عن أعطياتكم قال فلا أنت تحمله الينا ولا نحمله اليك وقد وضعت بعضه على بعض قال احمله اليكم ان شاء الله

ومرض من ليلته فمات من مرضه وكانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهرا ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة توفي عمارة بن أكيمة الليثي ويكنى أبا الوليد وهو ابن تسع وسبعين

﴿زيادة في سير عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب أبي جعفر الى أول خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان﴾

روى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي قال حدثنا رجل في مسجد الجناب ذان عمر بن عبد العزيز خطب الناس بخناصرة فقال أيها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا ينزل الله فيه للحكم فيكم والفضل بينكم وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض ألا واعلموا انما الأمان غدا لمن حذر الله وخافه وباع نافدا ببا قي وقليلا بكثير وخوفا بأمان ألا ترون انكم في اسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك حتى ترد الى خير الوارثين وفي كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله قد قضى نحبه وانقضى أجله فتغيبونه في صدع من الارض ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد قد فارق الأحبة وخلع الأسباب فسكن التراب وواجه الحساب فهو مرتهن بعمله ففقير الى ما قدم غني عما ترك فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقعه وايم الله اني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي فأستغفر الله وأتوب اليه وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة الا أحببت ان أسد من حاجته ما قدرت عليه وما منكم من أحد يسعه ما عندنا الا وددت انه ساواني ولحمتي حتى يكون عيشنا وعيشه سواء وايم الله ان لو أردت غير هذا من الغضارة والعيش لكان اللسان مني به ذلولا عالما بأسبابه ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة يدل فيها على طاعته وينهى عن معصيته ثم رفع طرف ردائه فبكى حتى شهق وأبكى الناس حوله ثم نزل فكانت اياها لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله (روى خلف بن تميم) قال حدثنا عبد الله بن محمد بن سعد قال بلغني ان عمر بن عبد العزيز مات ابن له فكتب عامل له يعزيه عن ابنه فقال لكاتبه أجبه عني قال فأخذ الكاتب يبري القلم قال فقال للكاتب ادق القلم فانه أبقى للقرطاس وأوجز للحروف واكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان هذا الامر أمر قد كنا وطنا أنفسنا عليه فلما نزل لم نذكره والسلام روى منصور بن مزاحم قال حدثنا شعيب يعني ابن صفوان عن ابن عبد الحميد قال قال عمر بن عبد العزيز من وصل أخاه بنصيحة له في دينه ونظر له في صلاح دنياه فقد أحسن صلته وأدى واجب حقه فاتقوا الله فانها نصيحة لكم في دينكم فاقبلوها وموعظة منجية في العواقب فالزموها الرزق مقسوم فلن يغدر المؤمن ما قسم له فأجملوا في الطلب فان في القنوع سعة وبلغة وكفافا ان أجل الدنيا في أعناقكم وجهنم أمامكم وما تركون ذاهب ومامضى فكأن لم يكن وكل أموات عن قريب وقد رأيتم

حالات الميت وهو يسوق وبعد فراغه وقد ذاق الموت والقوم حوله يقولون قد فرغ رحمه الله وعاينتم تعجيل اخراجه وقسمة تراثه ووجهه مفقود وذكره منسي وبابه مهجور كان لم يخالط اخوان الحفاظ ولم يعمر الديار فاتقوا هول يوم لا تحقر فيه مثقال ذرة في الموازين * روى سهل ابن محمود قال حدثنا حرملة بن عبد العزيز قال حدثني أبي عن ابن لعمر بن عبد العزيز قال أمرنا عمر ان نشتري موضع قبره فاشتريناه من الراهب قال فقال بعض الشعراء

أقولُ لمانعي النّاعُونَ لي عمرا * لا يبعدنّ قوامُ العدل والدّينِ
قد غادر القومُ باللحد الذي لحدوا * بدير سمعان قسطاس الموازينِ

روى عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان قال قال عمر بن عبد العزيز من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه والرضا قليل ومعوّل المؤمن الصبر وما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فاعاضه مما انتزع منه الصبر الا كان ما أعاضه خيرا مما انتزع منه ثم قرأ هذه الآية إنّما يُوفى الصّابرُونَ أجرَهُم بغَيْرِ حسَابٍ وقدم كتابه على عبد الرحمن بن نعيم لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار صولحتم عليه ولا تحدثنّ كنيسة ولا بيت نار ولا تجر الشاة الى مذبحها ولا تخدّوا الشفرة على رأس الذبيحة ولا تجمعوا بين الصلاتين الا من عذر روى عفان بن مسلم عن عثمان بن عبد الحميد قال حدثنا أبي قال بلغنا ان فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قالت اشتدّ علىّ ليلة فسهر وسهرنا معه فلما أصبحنا أمرت وصيفا له يقال له مرثد فقلت له يا مرثد كن عند أمير المؤمنين فان كانت له حاجة كنت قريبا منه ثم انطلقنا فضربنا برؤسنا لطول سهرنا فلما انتفخ النهار استيقظت فتوجهت اليه فوجدت مرثدا خارجا من البيت نائما فايقظته فقلت يا مرثد ما أخرجك قال هو أخرجني قال يا مرثد اخرج عني فوالله اني لأرى شيأ ما هو بالانس ولا جانّ فخرجت فسمعته يتلو هذه الآية تِلكَ الدّارُ الآخرَةُ نَجْعَلُها للّذينَ لا يُريدُونَ عُلوًّا في الأرضِ ولا فَسادًا والعاقبَةُ للمُتّقين قال فدخلت عليه فوجدته قد وجه نفسه واغمض عينيه وانه لميت رحمه الله

﴿خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان﴾

﴿وفيها﴾ ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان وكنيته أبو خالد وهو ابن تسع وعشرين سنة في قول هشام بن محمد ولما ولي الخلافة نزع عن المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وولاها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري فقدمها فيما زعم الواقدي يوم الاربعاء لليال بقين من شهر رمضان فاستقضى عبد الرحمن سلمة بن عبد الله بن عبد الاسد المخزومي وذكر محمد بن عمران عبد الجبار بن عمارة حدثه عن أبي بكر بن حزم انه قال لما قدم عبد الرحمن بن الضحاك المدينة وعزلني دخلت عليه فسلمت فلم يقبل علي فقلت هذا شيء

لا تملكه قريش الا نصار فرجعت الى منزلي وخفقته وكان شابا مقداما فاذا هو يبلغني عنه انه يقول ما يمنع ابن حزم ان يأتيني الا الكبر وانى لعالم بخيانته فجاءني ما كنت أحذر وما أستيقن من كلامه فقلت للذي جاءني بهذا قل له ما الخيانة لي بعادة وما أحب أهلها والامير يحدث نفسه بالخلود في سلطانه كم نزل هذه الدار من أمير وخليفة قبل الامير فخرجوا منها وبقيت آثارهم أحاديث ان خيرا فخير او ان شرا فشر افاتق الله ولا تسمع قول ظالم أو حاسد على نعمة فلم يزل الامر يترقى بينهما حتى خاصم اليه رجل من بني فهر وآخر من بني النجار وكان أبو بكر قضى للنجاري على الفهري في أرض كانت بينهما نصفين فدفع أبو بكر الارض الى النجاري فأرسل الفهري الى النجاري والى أبي بكر بن حزم فاحضرهما ابن الضحاك فتظلم الفهري من أبي بكر بن حزم وقال أخرج مالي من يدي فدفعه الى هذا النجاري فقال أبو بكر اللهم غفرا أمار أيتني سألتك أياما في أمرك وأمر صاحبك فاجتمع لي على اخراجها من يدك وأرسلتك الى من أفتاني بذلك سعيد بن المسيب وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فسألتهما فقال الفهري بلى وليس يلزمني قولهما فانكسر ابن الضحاك فقال قوموا فقاموا فقال للفهري تقرله انك سألت من أفتاه بهذا ثم تقول رده على أنت أرعن اذهب فلا حق لك فكان أبو بكر يتقيه ويخافه حتى كلم ابن حيان يزيد ان يقيده من أبي بكر فانه ضربه حدين فقال يزيد لا أفعل رجل اصطنعه أهل بيتي ولكني أوليك المدينة قال لا أريد ذلك لو ضربته بسلطاني لم يكن لي قود فاكتب يزيد الى عبد الرحمن بن الضحاك كتابا أما بعد فانظر فيما ضرب ابن حزم ابن حيان فان كان ضربه في أمر بين فلا تلتفت اليه وان كان ضربه في أمر يختلف فيه فلا تلتفت اليه فان كان ضربه في أمر غير ذلك فأقده منه فقدم بالكتاب على عبد الرحمن بن الضحاك فقال عبد الرحمن ما جئت بشيء أترى ابن حزم ضربك في أمر لا يختلف فيه فقال عثمان لعبد الرحمن ان أردت ان تحسن أحسنت قال الآن أصبت المطلب فأرسل عبد الرحمن الى ابن حزم فضربه حدين في مقام واحد ولم يسأله عن شيء فرجع أبو المعز ابن حيان وهو يقول أنا بو المعز ابن الحيان والله ما قربت النساء من يوم صنع بي ابن أبي حزم ما صنع حتى يومي هذا واليوم أقرب النساء ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة قتل شوذب الخارجي

﴿ذكر الخبر عن مقتله﴾

قد ذكرنا قبل الخبر عما كان من مراسلة شوذب عمر بن عبد العزيز لمناظرته في خلافه عليه فلما مات عمر أحب فيما ذكر معمر بن المثنى عبد الحميد بن عبد الرحمن ان يحظى عند يزيد بن عبد الملك فكتب الى محمد بن جرير يأمره بمحاربة شوذب وأصحابه ولم يرجع رسولا شوذب ولم يعلم بموت عمر فلما رأى محمد بن جرير يستعد للحرب أرسل اليه شوذب ما أعجلك قبل انقضاء المدة فيما بيننا وبينكم اليس قد تواعدنا الى أن يرجع رسولا شوذب فأرسل اليهم محمد انه لا يسعنا تركك على هذه الحالة قال غير أبي عبيدة فقالت الخوارج

مافعل هؤلاء هذا الاوقدمات الرجل الصالح قال معمر بن المثنى فبرزلهم شوذب فاقتتلوا فاصيب من الخوارج نفر واكثروا في أهل القبلة القتل وولوا منهزمين والخوارج في أعقابهم تقتل حتى بلغوا أحصاص الكوفة ولجؤا الى عبد الحميد وجرح محمد بن جرير في استه ورجع شوذب الى موضع فاقام ينتظر صاحبيه فجاءه فاخبراه بما صادرا عليه عمر وان قد مات فأقر يزيد عبد الحميد على الكوفة ووجه من قبله تميم بن الحباب في ألفين فراسلهم وأخبرهم ان يزيد لا يفارقهم على مافارقهم عليه عمر فلعنوه ولعنوا يزيد فحاربهم فقتلوه وهزموا أصحابه فلجأ بعضهم الى الكوفة ورجع الآخرون الى يزيد فوجه اليهم نجدة بن الحكم الازدي في جمع فقتلوه وهزموا أصحابه فوجه اليهم الشهاج بن وداع في ألفين فراسلهم وراسلوه فقتلوه وقتل منهم نفرا فيهم هُدْبة اليشكري ابن عم بسطام وكان عابدا وفيهم أبو شبيل مقاتل بن شيبان وكان فاضلا عندهم فقال أبو ثعلبة أيوب بن خولى يرثيهم

تَرَكْنا تميما في الغُبارِ مُلَحَّبًا * تَبَكَّى عليهِ عِرْسُهُ وقَرائبُهْ
وقد أسلمَتْ قَيْسٌ تميما ومالكا * كما أسلمَ الشَّهّاجُ أمسِ أقاربُه
وأقبلَ مِنْ حرّانَ يَحْمِلُ رايَةً * يُغالِبُ أمرَ اللهِ واللهُ غالبُهْ
فياهُدْبَ للهَيْجا ويا هُدْبَ للنَّدى * ويا هدبَ للخَصْمِ الألَدِّ يُحارِبُه
ويا هدبَكم من مُلحمٍ قد أجبْتَهُ * وقد أسلمَتْهُ للرِّماحِ جوالبُهْ
وكان أبو شَيْبانَ خيرَ مُقاتِلٍ * يُرجّي ويَخشى بأسَهُ من يحارِبُه
ففازَ ولاقى اللهَ بالخيرِ كلِّهِ * وخَذَّمَهُ بالسَّيْفِ في اللهِ ضاربُهْ
تَزَوَّدَ مِنْ دُنياهُ دِرْعًا ومِغفرًا * وعَضْبًا حُسامًا لم تَخُنْهُ مَضاربُهْ
وأجردَ مَحْبُوكَ السَّراةِ كأنَّهُ * إذا انقَضَّ وافى الرِّيشِ حُجْنٌ مَخالبُهْ

فلما دخل مسلمة الكوفة شكا اليه أهلها مكان شوذب وخوفهم منه وما قد قتل منهم فدعا مسلمة سعيد بن عمرو الحرشي وكان فارسا فعقد له على عشرة آلاف ووجهه اليه وهو مقيم بموضعه فاتاه ما لا طاقة له به فقال شوذب لاصحابه من كان يريد الله فقد جاءته الشهادة ومن كان انما خرج للدنيا فقد ذهبت الدنيا وانما البقاء في الدار الآخرة فكسروا أغماد السيوف وحملوا فكشفوا سعيدا وأصحابه مرارا حتى خاف الفضيحة فدمر أصحابه وقال لهم أمن هذه الشرذمة لا أبا لكم تفرون يا أهل الشأم يوما كايامكم قال فحملوا عليهم فطحنهم طحنا لم يبقوا منهم أحدا وقتلوا بسطاما وهو شوذب وفرسانه منهم الريان بن عبد الله اليشكري وكان من المحسنين فقال أخوه شمر بن عبد الله يرثيه

ولقد فجعتُ بسادةٍ وفوارسٍ * للحربِ سُعْرٍ من بني شَيْبانِ
إعْناقَهُمْ رَيْبُ الزَّمانِ فغالَهُمْ * وتَرَكْتُ فَرْدًا غيرَ ذى إخوانِ

كمد تجلجل في فؤادي حسرة * كالنار من وجد على الريان
وفوارس باعوا الإله نفوسهم * من يشكر عند الوغا فرسان

وقال حسان بن جعدة يرثيهم

يا عين أذري دموعا منك تسجاما * وابكي صحابة بسطام وبسطاما
فلن ترى أبدا ما عشت مثلهم * أتقى وأكمل في الاحلام أحلاما
بسيهم قد تأسوا عند شدتهم * ولم يريدوا عن الأعداء إحجاما
حتى مضوا للذي كانوا له خرجوا * فأورثونا منارات وأعلاما
إني لأعلم أن قد أنزلوا غرفا * من الجنان ونالوا ثم خلدا ما
أسقى الإله بلادا كان مصرعهم * فيها سحابا من الوسمي سجاما

﴿ قال أبو جعفر ﴾ وفي هذه السنة لحق يزيد بن المهلب بالبصرة فغلب عليها وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك عليها عدي بن أرطاة الفزاري فحبسه وخلع يزيد بن عبد الملك

﴿ ذكر الخبر عن سبب خلعه يزيد بن عبد الملك وما كان من أمره وأمر يزيد في هذه السنة ﴾

قد مضى ذكرنا خبر هرب يزيد بن المهلب من محبسه الذي كان عمر بن عبد العزيز حبسه فيه ونذكر الآن ما كان من صنيعه بعد هربه في هذه السنة أعني سنة ١٠١ ولما مات عمر ابن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي مات فيه عمر وبلغه هرب يزيد بن المهلب فكتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن يأمره ان يطلبه ويستقبله وكتب الى عدي بن ارطاة يعلمه هربه ويأمره ان يتهيأ لاستقباله وان يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته

﴿ فذكر هشام بن محمد ﴾ عن أبي مخنف ان عدي بن أرطاة أخذهم وحبسهم وفيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب وأقبل يزيد بن المهلب حتى مر بسعيد بن عبد الملك بن مروان فقال يزيد لأصحابه الا نعرض لهذا فنأخذه فنذهب به معنا فقال أصحابه لا بل امض بنا ودعه وأقبل يسير حتى ارتفع فوق القطقطانة وبعث عبد الحميد بن عبد الرحمن هشام بن مساحق ابن عبد الله بن مخرمة بن عبد العزيز بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤي القرشي في ناس من أهل الكوفة من الشرط ووجوه الناس وأهل القوة فقال له انطلق حتى تستقبله فانه اليوم يمر بجانب العذيب فمشى هشام قليلا ثم رجع الى عبد الحميد فقال آجيئك به أسيرا أم آتيك برأسه فقال أي ذلك ما شئت فكان يعجب لقوله ذلك من سمعه وجاء هشام حتى نزل العذيب ومر يزيد منهم غير بعد فاتقوا الاقدام عليه ومضى يزيد نحو البصرة ففيه يقول الشاعر

وسار ابن المهلب لم يعرج * وعرس ذو القطيفة من كنانه

ويأسر والتيأسر كان حزما * ولم يقرب قصور القطقطانة

ذو القطيفة هو محمد بن عمرو وأبو قطيفة بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهو أبو قطيفة وانما سمي ذا القطيفة لانه كان كثير شعر اللحية والوجه والصدر ومحمد يقال له ذو الشامة فلما جاء يزيد بن المهلب انصرف هشام بن مساحق الى عبد الحميد ومضى يزيد الى البصرة وقد جمع عدي بن أرطاة اليه أهل البصرة وخندق عليها وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله ابن أبي عقيل الثقفي وكان عدي بن أرطاة رجلا من بني فزارة وقال عبد الملك بن المهلب لعدي بن أرطاة خذ ابني حميد افاحبسه مكاني وأنا أضمن لك ان أرد يزيد عن البصرة حتى يأتي فارس ويطلب لنفسه الامان ولا يقربك فأبى عليه وجاء يزيد ومعه أصحابه الذين أقبل فيهم والبصرة محفوفة بالرجال وقد جمع محمد بن المهلب ولم يكن ممن حبس رجالا وفتيه من أهل بيته وناسا من مواليه فخرج حتى استقبله فأقبل في كتيبة يهول من رآها وقد دعا عدي أهل البصرة فبعث على كل خمس من أخماسها رجلا فبعث على خمس الازد المغيرة بن زياد ابن عمرو العتكي وبعث على خمس بني تميم محرز بن حمران السعدي من بني منقر وعلى خمس بكر بن وائل عمران بن عامر بن مسمع من بني قيس بن ثعلبة فقال أبو منقر رجل من قيس ابن ثعلبة ان الراية لا تصلح الا في بني مالك بن مسمع فدعا عدي نوح بن شيبان بن مالك ابن مسمع فعقد له على بكر بن وائل ودعا مالك بن المنذر بن الجارود فعقد له على عبد القيس ودعا عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر القرشي فعقد له على أهل العالية والعالية قريش وكنانة والازد وبجيلة وخثعم وقيس عيلان كلها ومزينة وأهل العالية بالكوفة يقال لهم ربع أهل المدينة وبالبصرة خمس أهل العالية وكانوا بالكوفة أخماسا فجعلهم زياد بن عبيد أرباعا قال هشام عن أبي مخنف وأقبل يزيد بن المهلب لا يمر بخيل من خيلهم ولا قبيلة من قبائلهم الا تنحوا له عن السبيل حتى يمضي واستقبله المغيرة بن عبد الله الثقفي في الخيل فحمل عليه محمد بن المهلب في الخيل فافرج له عن الطريق هو وأصحابه وأقبل يزيد حتى نزل داره واختلف الناس اليه وأخذ يبعث الى عدي بن أرطاة ان ادفع الي أخوتي وأنا أصالحك على البصرة واخليك واياها حتى آخذ لنفسي ما أحب من يزيد بن عبد الملك فلم يقبل منه وخرج الى يزيد بن عبد الملك حميد بن عبد الملك بن المهلب فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري وعمر بن يزيد الحكمي بامان يزيد بن المهلب وأهل بيته وأخذ يزيد بن المهلب يعطي من أتاه من الناس فكان يقطع لهم قطع الذهب وقطع الفضة فمال الناس اليه ولحق به عمران بن عامر بن مسمع ساخطا على عدي بن أرطاة حين نزع منه رايته رايه بكر بن وائل وأعطاها ابن عمه ومالت الى يزيد ربيعة وبقية تميم وقيس وناس بعد ناس فيهم عبد الملك ومالك ابنا مسمع ومعه ناس من أهل الشأم وكان عدي لا يعطي الا درهمين

درهمين ويقول لا يحل لى ان أعطيكم من بيت المال درهما الا بأمر يزيد بن عبد الملك ولكن تبلغوا بهذا حتى يأتى الامر فى ذلك فقال الفرزدق فى ذلك

أظن رجال الدرهمين بسوقهم * إلى الموت آجال لهم ومصارع

فأحزمهم من كان فى قعر بيته * وأيقن أن الأمر لا شك واقع

وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدى فنزلوا المربد فبعث اليهم يزيد بن المهلب مولى له يقال له دارس فحمل عليهم فهزمهم فقال الفرزدق فى ذلك

تفرقت الحمراء إذ صاح دارس * ولم يصبروا تحت السيوف الصوارم

جزى الله قيسا عن عدى ملامة * ألا صبروا حتى تكون ملاحم

وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع له الناس حتى نزل جبانة بنى يشكر وهو المنصف فيما بينه وبين القصر وجاءته بنو تميم وقيس وأهل الشأم فاقتتلوا هنيهة فحمل عليهم محمد بن المهلب فضرب مسور بن عباد الحبطى بالسيف فقطع أنف البيضة ثم أسرع السيف الى أنفه وحمل على هريم بن أبى طلحة بن أبى نهشل بن دارم فأخذ بمنطقته فخذفه عن فرسه فوقع فيما بينه وبين الفرس وقال هيهات هيهات عمك أثقل من ذلك وانهزموا وأقبل يزيد بن المهلب أثر القوم يتلوهم حتى دنا من القصر فقاتلوهم وخرج اليه عدى بنفسه فقتل من أصحاب الحارث ابن مصرف الاودى وكان من أشراف أهل الشأم وفرسان الحجاج وقتل موسى بن الوجيه الحميرى ثم الكلاعى وقتل راشد المؤذن وانهزم أصحاب عدى وسمع أخوة يزيد وهم فى محبس عدى الاصوات تدنو والنشاب تقع فى القصر فقال لهم عبد الملك انى أرى النشاب تقع فى القصر وأرى الاصوات تدنو ولا أرى يزيد الا قد ظهر وانى لا آمن من مع عدى من مضر ومن أهل الشأم ان يأتونا فيقتلونا قبل ان يصل الينا يزيد الى الدار فاغلقوا الباب ثم القوا عليه ثيابا ففعلوا فلم يلبثوا الا ساعة حتى جاءهم عبد الله بن دينار مولى ابن عامر وكان على حرس عدى فجاء يشتد الى الباب هو وأصحابه وقد وضع بنو المهلب متاعا على الباب ثم اتكوا عليه فأخذ الآخرون يعالجون الباب فلم يستطيعوا الدخول وأعجلهم الناس فخلوا عنهم وجاء يزيد ابن المهلب حتى نزل دار سالم بن زياد بن أبى سفيان الى جانب القصر وأتى بالسلاليم فلم يلبث عثمان ان فتح القصر وأتى بعدى بن أرطاة فجئ به وهو يتبسم فقال له يزيد لم تضحك فوالله انه لينبغى ان يمنعك من الضحك خصلتان احداهما الفرار من القتلة الكريمة حتى أعطيت بيدك اعطاء المرأة بيدها فهذه واحدة والاخرى انى أتيت بك تتلّ كما يتلّ العبد الآبق الى أربابه وليس معك منى عهد ولا عقد فما يؤمنك ان أضرب عنقك فقال عدى أما أنت فقد قدرت على ولكنى أعلم ان بقائى بقاؤك وان هلاكى مطلوب به من جرته يده انك قد رأيت جنود الله بالمغرب وعلمت بلاء الله عندهم فى كل موطن من مواطن الغدر والنكث

فتدارك فلتتك وزلتك بالتوبة واستقالة العثرة قبل ان يرمى اليك البحر بأمواجه فان طلبت الاستقالة حينئذ لم تقل وان أردت الصلح وقد أشخصت القوم اليك وجدتهم لك مباعدين ومالم يشخص القوم اليك فلم يمنعوك شيأ طلبت فيه الامان على نفسك وأهلك ومالك فقال له يزيد أما قولك ان بقاءك بقائى فلا أبقانى الله حسوة طائر مذعور ان كنت لا يبقينى الا بقاؤك وأما قولك ان هلاكك مطلوب به من جرته يده فوالله لو كان فى يدى من أهل الشأم عشرة آلاف انسان ليس فيهم رجل الا أعظم منزلة منك فيهم ثم ضربت أعناقهم فى صعيد واحد لكان فراقى اياهم وخلافى عليهم أهول عندهم وأعظم فى صدورهم من قتل أولئك ثم لو شئت ان تهدر لى دماؤهم وان أحكم فى بيوت أموالهم وان يجوز والى عظيما من سلطانهم على ان أضع الحرب فيما بينى وبينهم لفعلوا فلا يخفين عليك ان القوم ناسوك لوقد وقعت أخبارنا اليهم وان أعمالهم وكيدهم لا يكون الا لأنفسهم لا يذكرونك ولا يحفلون بك وأما قولك تدارك أمرك واستقله وافعل وافعل فوالله ما استشرتك ولا أنت عندى بواد ولا نصيح فما كان ذلك منك الا عجزا وفضلا انطلقوا به فلما ذهبوا به ساعة قال ردوه فلما رد قال أما ان حبسى اياك ليس الا لحبسك بنى المهلب وتضييقك عليهم فيما كنا سألك التسهيل فيه عليهم فلم تكن تألو ما عسرت وضيقت وخالفت فكانه لهذا القول حين سمعه أمن على نفسه وأخذ عدى يحدث به كل من دخل عليه وكان رجل يقال له السميدع الكندى من بنى مالك بن ربيعة من ساكنى عمان يرى رأى الخوارج وكان خرج وأصحاب يزيد وأصحاب عدى مصطفون فاعتزل ومعه ناس من القراء فقال طائفة من أصحاب يزيد وطائفة من أصحاب عدى قد رضينا بحكم السميدع ثم ان يزيد بعث الى السميدع فدعاه الى نفسه فأجابه فاستعمله يزيد على الابلة فأقبل على الطيب والتخلق والنعيم فلما ظهر يزيد بن المهلب هرب رؤس أهل البصرة من قيس وتميم ومالك بن المنذر فلحقوا بعبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة ولحق بعضهم بالشأم فقال الفرزدق

فداء لقوم من تميم تتابعوا * الى الشأم لم يرضوا بحكم السميدع
أحكم حرورى من الدين مارق * أضل وأغوى من حمار مجدع

فأجابه خليفة الأقطع

وما وجهوها نحوه عن وفادة * ولا نهزة يرجى بها خير مطمع
ولكنهم راحوا اليها وأدلجوا * بأقرع أستاه ترى يوم مفزع
وهم من حذار القوم أن يلحقوا بهم * لهم نزلة فى كل خمس وأربع

وخرج الحوارى بن زياد بن عمرو العتكى يريد يزيد بن عبد الملك هاربا من يزيد بن المهلب فلقى خالد بن عبد الله القسرى وعمرو بن يزيد الحكمى ومعهما حميد بن عبد الملك

ابن المهلب قد أقبلوا من عند يزيد بن عبد الملك بأمان يزيد بن المهلب وكل شيء اراده فاستقبلهما فسألاه عن الخبر فخلا بهما حين رأى معهما حميد بن عبد الملك فقال أين تريدان فقالا ليزيد بن المهلب قد جئناه بكل شيء اراده فقال ما تصنعان بيزيد شيأ ولا يصنعه بكما قد ظهر على عدوه عدي بن ارطاة وقتل القتلى وحبس عديا فارجعا أيها الرجلان ويمر رجل من باهلة يقال له مسلم بن عبد الملك فلم يقف عليه ما فصاح به وساءلاه فلم يقف عليهما فقال القسري ألا تردوه فتجلدوه مائة جلدة فقال له صاحبه غر به عنك وأملا لينصرف ومضى الحواري بن زياد الى يزيد بن عبد الملك وأقبلا بحميد بن عبد الملك معهما فقال لهما حميد أنشدكما الله أن تخالفا أمر يزيد بما بعثتما به فإن يزيد قابل منكما وان هذا وأهل بيته لم يزالوا أعداء فأنشدكما الله أن تقبلا مقالته فلم يقبلا قوله وأقبلا به حتى دفعاه الى عبد الرحمن ابن سليمان الكلبي وقد كان يزيد بن عبد الملك بعثه الى خراسان عاملا عليها فلما بلغه خلع يزيد بن عبد الملك كتب اليه ان جهاد من خالفك أحب الي من عملي على خراسان فلا حاجة لي فيها فاجعلني ممن توجهني الى يزيد بن المهلب وبعث بحميد بن عبد الملك الى يزيد ووثب عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب على خالد بن يزيد بن المهلب وهو بالكوفة وعلى حمال بن زحر الجعفي وليس ممن كان ينطق بشيء الا انهم عرفوا ما كان بينه وبين بني المهلب فأوثقهما وسرحهما الى يزيد بن عبد الملك فحبسهما جميعا فلم يفارقوا السجن حتى هلكوا فيه وبعث يزيد بن عبد الملك رجالا من أهل الشأم الى الكوفة يسكنونهم ويثنون عليهم بطاعتهم ويمنونهم الزيادات منهم القطامي بن الحصين وهو أبو الشرقي واسم الشرقي الوليد وقد قال القطامي حين بلغه ما كان من يزيد بن المهلب

لعل عيني أن ترى يزيدا * يقود جيشا جحفلا شديدا
تسمع للأرض به وئيدا * لا برما هدا ولا حسودا
ولا جبانا في الوغى عديدا * ترى ذوي التاج له سجودا
مكفرين حاشعين قودا * وآخرين رحبوا وفودا
لا ينقض العهد ولا المعهودا * من نفر كانوا هجانا صيدا
ترى لهم في كل يوم عيدا * من الأعادي جزرا مقصودا

ثم ان القطامي سار بعد ذلك الى العقر حتى شهد قتال يزيد بن المهلب مع مسلمة بن عبد الملك فقال يزيد بن المهلب ما أبعد شعر القطامي من فعله ثم ان يزيد بن عبد الملك بعث العباس بن الوليد في أربعة آلاف فارس جريدة خيل حتى وافوا الحيرة يبادر اليها يزيد ابن المهلب ثم أقبل بعد ذلك مسلمة بن عبد الملك وجنود أهل الشأم وأخذ على الجزيرة على شاطئ الفرات فاستوثق أهل البصرة ليزيد بن المهلب وبعث عماله على الاهواز وفارس

وكرمان عليها الجرّاح بن عبد الله الحكمي حتى انصرف الى عمر بن عبد العزيز وعبد الرحمن بن نعيم الأزدي فكان على الصلاة واستخلف يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن القشيري على الخراج وجاء مُدرك بن المهلب حتى انتهى الى رأس المفازة فدسّ عبد الرحمن ابن نعيم الى بني تميم أن هذا مدرك بن المهلب يريد أن يُلقي بينكم الحرب وأنتم في بلاد عافية وطاعة وعلى جماعة فخرجوا اليلا يستقبلونه وبلغ ذلك الأزد فخرج منهم نحو من ألفي فارس حتى لحقوهم قبل أن ينتهوا الى رأس المفازة فقالوا لهم ما جاء بكم وما أخرجكم الى هذا المكان فاعتلوا عليهم بأشياء ولم يُقرّوا لهم انهم خرجوا ليُتلفوا مدرك بن المهلب فقال لهم الآخرون بل قد علمنا أن تخرجوا التلقّي صاحبنا وها هو ذا قريب فاشتموا ثم انطلقت الازد حتى تلقوا مدرك بن المهلب على رأس المفازة فقالوا له انك أحبّ الناس الينا وأعزّهم علينا وقد خرج أخوك ونابذه فان يُظهره الله فانما ذلك لنا ونحن أسرع الناس اليكم أهل البيت وأحقّه بذلك وان تكن الأخرى فوالله مالك في أن يغشينا ما يعرّنا فيه من البلاء راحةٌ فعزم له رأيه على الانصراف فقال ثابت قُطنة وهو ثابت بن كعب من الأزد من العتيك

أَلَمْ تَرَ دوسرًا منعَتْ أحاها * وقد حَشَدَتْ لتقتلَهُ تميمُ
رأوا من دونه الزُّرْقَ العوالي * وحيًّا ما يُباحُ لهم حريمُ
شَنُوا أنْهَا وعمرانُ بنُ حزمٍ * هناكَ المجدُ والحسبُ الصَّميمُ
فما حملوا ولكن نَهْنَهَتْهُمْ * رِماحُ الأزدِ والعزُّ القديمُ
رَدَدْنا مُدْرِكًا بمَرَدِّ صِدْقٍ * وليسَ بوجهه منكم كَلُومُ
وخيلٍ كالقداحِ مُسَوَّماتٍ * لَدَى أرضٍ مغانيها الجميمُ
عليها كلُّ أصيدَ دَوْسَرِيٍّ * عزيزٍ لا يَفِرُّ ولا يَرِيمُ
بهم تُستَعْتَبُ السفهاءُ حتى * ترى السفهاءَ تَرْدَعُها الحلومُ

(قال هشام) قال أبو مخنف فحدّثني معاذ بن سعد أن يزيد لما استجمع له البصرة قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم أخبرهم أنه يدعوهم الى كتاب الله وسنة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ويحثّ على الجهاد ويزعم ان جهاد أهل الشأم أعظم ثوابًا من جهاد الترك والديلم قال فدخلت أنا والحسن البصري وهو واضع يده على عاتقي وهو يقول انظر هل ترى وجه رجل تعرفه قلت لا والله ما أرى وجه رجل أعرفه قال فهؤلاء والله الاعتاء قال فضينا حتى دنونا من المنبر قال فسمعته يذكر كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثم رفع صوته فقال والله لقد رأيناك والياً ومولياً عليك فما ينبغي لك ذلك قال فوثبنا عليه فأخذنا بيده وفمه وأجلسناه فوالله ما نشكّ انه سمعه ولكنه لم يلتفت اليه ومضى في خطبته قال ثم انا خرجنا

الى باب المسجد فاذا على باب المسجد النضر بن أنس بن مالك يقول ياعباد الله ماتنقمون من أن تجيبوا الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فوالله مارأينا ذلك ولا رأيتموه منذ ولدتم الاهذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز فقال الحسن سبحان الله وهذا النضر بن أنس قد شهد أيضا (قال هشام) قال أبو مخنف وحدثني المثنى بن عبد الله ان الحسن البصري مر على الناس وقد اصطفوا صفين وقد نصبوا الرايات والرماح وهم ينتظرون خروج يزيد وهم يقولون يدعونا يزيد الى سنة العمرين فقال الحسن انما كان يزيد بالامس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ثم يسرح بها الى بني مروان يريد بها هلاك هؤلاء رضاهم فلما غضب غضبة نصب قصبا ثم وضع عليها خرقا ثم قال انى قد خالفتهم فخالفوهم قال هؤلاء نعم وقال انى أدعوكم الى سنة العمرين وان من سنة العمرين أن يوضع قيد في رجله ثم يرد الى محبس عمر الذى فيه حبسه فقال له ناس من أصحابه ممن سمع قوله والله لكأنك ياأبا سعيد راض عن أهل الشأم فقال أنا راض عن أهل الشأم قبحهم الله وبرحهم أليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله يقتلون أهله ثلاثة أيام وثلاث ليال قد أباحوهم لأنباطهم وأقباطهم يحملون الحرائر ذوات الدين لا يتناهون عن انتهاك حرمة ثم خرجوا الى بيت الله الحرام فهدموا الكعبة وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها عليهم لعنة الله وسوء الدار قال ثم ان يزيد خرج من البصرة واستعمل عليها مروان بن المهلب وخرج معه بالسلاح وبيت المال فأقبل حتى نزل واسط وقد استشار أصحابه حين توجه نحو واسط فقال هاتوا الرأى فان أهل الشأم قد نهضوا اليكم فقال له حبيب وقد أشار اليه غير حبيب أيضا فقالوا نرى أن تخرج وتنزل بفارس فتأخذ بالشعاب وبالعقاب وتدنو من خراسان وتطاول القوم فان أهل الجبال ينفضون اليك وفي يدك القلاع والحصون فقال ليس هذا برأى ليس يوافقني هذا انما تريدون أن تجعلوني طائرا على رأس جبل فقال له حبيب فان الرأى الذى كان ينبغى أن يكون فى أول الامر قد فات قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجه خيلا عليها أهل بيتك حتى ترد الكوفة فانما هو عبد الحميد بن عبد الرحمن مررت به فى سبعين رجلا فعجز عنك فهو عن خيلك أعجز في العدة فتسبق اليها أهل الشأم وعظماء أهلها يرون رأيك وان تلى عليهم أحب الى جلهم من أن يلى عليهم أهل الشأم فلم تطعني وأنا أشير الآن برأى سرح مع أهل بيتك خيلا من خيلك عظيمة فتأتى الجزيرة وتبادر اليها حتى ينزلوا حصنا من حصونها وتسير في أثرهم فاذا أقبل أهل الشأم يريدونك لم يدعوا جندا من جنودك بالجزيرة ويقبلون اليك فيقيمون عليهم فكأنهم حابستهم عليك حتى تأتيهم فيأتيك من بالموصل من قومك وينفض اليك أهل العراق وأهل الثغور وتقاتلهم فى أرض رفيعة السعر وقد جعلت العراق كله وراء ظهرك فقال انى أكره أن أقطع

جيشي وجندي فلما نزل واسط أقام بها أيامًا يسيرة ﴿قال أبو جعفر﴾ وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال محمد بن عمر وكان عبد الرحمن عامل يزيد بن عبد الملك على المدينة وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن وعلى قضائها الشعبي وكانت البصرة قد غلب عليها يزيد بن المهلب وكان على خراسان عبد الرحمن بن نعيم

﴿ثم دخلت سنة اثنتين ومائة﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

فمن ذلك ما كان فيها من مسير العباس بن الوليد بن عبد الملك ومسلمة بن عبد الملك الى يزيد ابن المهلب بتوجيه يزيد بن عبد الملك اياهما لحربه ﴿وفيها﴾ قتل يزيد بن المهلب في صفر

﴿ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب﴾

* ذكر هشام عن أبي مخنف أن معاذ بن سعيد حدثه أن يزيد بن المهلب استخلف على واسط حين أراد الشخوص عنها لقاء مسلمة بن عبد الملك والعباس ابنه معاوية وجعل عنده بيت المال والخزائن والاسراء وقدم بين يديه أخاه عبد الملك ثم سار حتى مر بفم النيل ثم سار حتى نزل العقر وأقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات حتى نزل الأنبار ثم عقد عليها الجسر فعبر من قبل قرية يقال لها فارط ثم أقبل حتى نزل على يزيد بن المهلب * وقد قدم يزيد أخاه نحو الكوفة فاستقبله العباس بن الوليد بسورا فاصطفوا ثم اقتتل القوم فشد عليهم أهل البصرة شدة كشفوهم فيها وقد كان معهم ناس من بني تميم وقيس ممن انهزم من يزيد من البصرة فكانت لهم جماعة حسنة مع العباس فيهم هريم بن أبي طحمة المجاشعي فلما انكشف أهل الشأم تلك الانكشافة ناداهم هريم بن أبي طحمة يا أهل الشأم الله الله أن تسلمونا وقد اضطرهم أصحاب عبد الملك الى نهر فاخذوا يناديونه لا بأس عليك أن لأهل الشأم جولة في أول القتال أتاك الغوث قال ثم ان أهل الشأم كروا عليهم فكشف أصحاب عبد الملك وهزموا وقتل المنتوف من بكر بن وائل مولى لهم فقال الفرزدق يحرض بكر بن وائل

تبكي على المنتوف بكر بن وائل * وتنهى عن ابني مسمع من بكاهما
غلامين شبا في الحروب وأدركا * كرام المساعي قبل وصل لحاهما
ولو كان حيا مالك وابن مالك * اذا أوقدوا نارين يعلو اسناهما

وابنا مسمع مالك وعبد الملك ابنا مسمع قتلهم معاوية بن يزيد بن المهلب * فأجابه الجعد ابن درهم مولى . . . . . من همدان

نبكي على المتوف في نصر قومه * ولسنا نبكي الشائدين أباهما
أرادا فناء الحي بكر بن وائل * فعز تميم لو أصيب فناهما
فلا لقيا روحا من الله ساعة * ولا رقأت عينا شجي بكاهما
أفي الغش نبكي إن بكينا عليهما * وقد لقيا بالغش فينا رداهما

وجاء عبد الملك بن المهلب حتى انتهى الى أخيه بالعقر وأمر عبد الله بن حيان العبدي فعبر الى جانب الصراة الاقصى وكان الجسر بينه وبينه ونزل هو وعسكره وجمع من جموع يزيد وخندق عليه وقطع مسلمة اليهم الماء وسعيد بن عمرو الحرشي ويقال عبر اليهم الوضاح فكانوا بازائهم وسقط الى يزيد ناس من الكوفة كثير ومن الجبال وأقبل اليه ناس من الثغور فبعث على أرباع أهل الكوفة الذين خرجوا اليه وربع أهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الازدي وبعث على ربع مذحج وأسد النعمان بن ابراهيم بن الأشتر النخعي وبعث على ربع كندة وربيعة محمد بن اسحاق بن محمد بن الاشعث وبعث على ربع تميم وهمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميمي وجمعهم جميعا مع المفضل بن المهلب (قال هشام بن محمد) عن أبي مخنف حدثني العلاء بن زهير قال والله انا لجلوس عند يزيد ذات يوم اذ قال ترون ان في هذا العسكر ألف سيف يضرب به قال حنظلة بن عتاب اى والله وأربعة آلاف سيف قال انهم والله ماضربوا بألف سيف قط والله لقد أحصى ديواني مائة وعشرين ألفا والله لوددت ان مكانهم الساعة معي من بخراسان من قومي (قال هشام) قال أبو مخنف ثم انه قام ذات يوم فحرضنا وغبنا في القتال ثم قال لنا فيما يقوله ان هؤلاء القوم لن يردهم عن غيهم الا الطعن في عيونهم والضرب بالمشرفية على هامهم ثم قال انه قد ذكر لي ان هذه الجرادة الصفراء يعني مسلمة بن عبد الملك وعاقر ناقة ثمود يعني العباس ابن الوليد وكان العباس أزرق أحمر كانت أمه رومية والله لقد كان سليمان أراد أن ينفيه حتى كلمته فيه فأقره على نسبه فبلغني أنه ليس همهما الا التماسي في الارض والله لو جاؤا بأهل الارض جميعا وليس الا أنا ما برحت العرصة حتى تكون لي أو لهم قالوا نخاف أن تعتنينا كما عنانا عبد الرحمن بن محمد قال ان عبد الرحمن فضح الذمار وفضح حسبه وهل كان يعدو أجله ثم نزل قال ودخل علينا عامر بن العميثل رجل من الأزد قد جمع جموعا فأتاه فبايعه وكانت بيعة يزيد تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى أن لا تطأ الجنود بلادنا ولا بيضتنا ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجاج فمن بايعنا على ذلك قبلنا منه ومن أبى جاهدناه وجعلنا الله بيننا وبينه ثم يقول تبايعونا فاذا قالوا نعم بايعهم * وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنخيلة وبعث الى المياه فبثقها فيما بين الكوفة وبين يزيد بن المهلب لئلا يصل الى الكوفة ووضع على الكوفة مناظر وارصاد التحبس أهل الكوفة عن

الخروج

الخروج الى يزيد وبعث عبد الحميد بعثا من الكوفة عليهم سيف بن هانئ الهمدانى حتى قدموا على مسلمة فألطفهم مسلمة وأثنى عليهم بطاعتهم ثم قال والله لقل ما جاءنا من أهل الكوفة فبلغ ذلك عبد الحميد فبعث بعثا هم أكثر من ذلك وبعث عليهم سبرة بن عبد الرحمن ابن مخنف الأزدى فلما قدم أثنى عليه وقال هذا رجل لاهل بيته طاعة وبلاء ضموا اليه من كان ههنا من أهل الكوفة وبعث مسلمة الى عبد الحميد بن عبد الرحمن فعزله وبعث محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة وهو ذو الشامة مكانه فدعا يزيد بن المهلب رؤس أصحابه فقال لهم قد رأيت أن أجمع اثنى عشر ألف رجل فأبعثهم مع محمد بن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ويحملوا معهم البراذع والأكف والزبل لدفن خندقهم فيقاتلهم على خندقهم وعسكرهم بقية ليلتهم وأمده بالرجال حتى أصبح فاذا أصبحت نهضت اليهم أنا بالناس فنناجزهم فانى أرجو عند ذلك أن ينصر الله عليهم فقال السميدع انا قد دعوناهم الى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وقد زعموا انهم قابلوه هذا منا فليس لنا أن نمكر ولا نغدر ولا نريدهم بسوء حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا فقال أبو رؤبة وكان رأس طائفة من المرجئة ومعه أصحاب له صدق هكذا ينبغى فقال يزيد يحكم أنصدقون بنى أمية انهم يعملون بالكتاب والسنة وقد ضيعوا ذلك منذ كانوا انهم لم يقولوا لكم انا نقبل منكم وهم يريدون أن لا يعملوا بسلطانهم الا ما تأمرونهم به وتدعونهم اليه لكنهم أرادوا أن يكفوكم عنهم حتى يعملوا فى المكر فلا يسبقوكم الى تلك أبدوهم بها انى قد لقيت بنى مروان فوالله ما لقيت رجلا هو أمكر ولا أبعد غورا من هذه الجرادة الصفراء يعنى مسلمة فقالوا لا نرى أن نفعل ذلك حتى يردوا علينا ما زعموا انهم قابلوه منا وكان مروان بن المهلب وهو بالبصرة يحث الناس على حرب أهل الشأم ويسرح الناس الى يزيد وكان الحسن البصرى يثبط الناس عن يزيد بن المهلب (قال أبو مخنف) فحدثنى عبد الحميد البصرى ان الحسن البصرى كان يقول فى تلك الأيام أيها الناس الزموا رحالكم وكفوا أيديكم واتقوا الله مولاكم ولا يقتل بعضكم بعضا على دنيا زائلة وطمع فيها يسير ليس لاهلها بباق وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براض انه لم يكن فتنة الا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه والخيلاء وليس يسلم منها الا المجهول الخفى والمعروف التقى فمن كان منكم خفيا فليلزم الحق وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا فكفاه والله بمعرفة الله اياه بالخير شرفا وكفى له به من الدنيا خلفا ومن كان منكم معروفا شريفا فترك ما يتنافس فيه نظرا وأوه من الدنيا ارادة الله بذلك فوا لها لهذا ما أسعده وأرشده وأعظم أجره وأهدى سبيله فهذا غدا يعنى يوم القيامة القرير عينا الكريم عند الله مآبا فلما بلغ ذلك مروان ابن المهلب قام خطيبا كما يقوم فأمر الناس بالجد والاجتهاد ثم قال لهم لقد بلغنى ان هذا

الشيخ الضال المرائى ولم يسمه يثبط الناس والله لو أن جاره نزع من خص داره قصبة لظل يرعف أنفه أينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن نطلب خيرنا وان ننكر مظلمتنا أم والله ليكفن عن ذكرنا وعن جمعه الينا سقاط الأبلة وعلوج فرات البصرة قوما ليسوا من أنفسنا ولا ممن جرت عليه النعمة من أحدنا أولا نحين عليه مبرداً خشنا فلما بلغ ذلك الحسن قال والله ما أكره أن يكرمنى الله بهوانه فقال ناس من أصحابه لو أرادك ثم شئت لمنعناك فقال لهم فقد خالفتكم اذا الى ما نهيتكم عنه آمركم ألا يقتل بعضكم بعضا مع غيرى وأدعوكم الى أن يقتل بعضكم بعضا دونى فبلغ ذلك مروان بن المهلب فاشتد عليهم وأخافهم وطلبهم حتى تفرقوا ولم يدع الحسن كلامه ذلك وكف عنه مروان بن المهلب وكانت اقامة يزيد بن المهلب منذ أجمع هو ومسلمة ثمانية أيام حتى اذا كان يوم الجمعة لاربع عشرة خلت من صفر بعث مسلمة الى الوضاح أن يخرج بالوضاحية والسفن حتى يحرق الجسر ففعل وخرج مسلمة فعبى جنود أهل الشأم ثم ازدلف بهم نحو يزيد بن المهلب وجعل على ميمنته جبلة بن مخرمة الكندى وجعل على ميسرته الهذيل بن زفر بن الحارث العامرى وجعل العباس على ميمنته سيف بن هانئ الهمدانى وعلى ميسرته سويد بن القعقاع التميمى ومسلمة على الناس وخرج يزيد بن المهلب وقد جعل على ميمنته حبيب ابن المهلب وعلى ميسرته المفضل بن المهلب وكان مع المفضل أهل الكوفة وهو عليهم ومعه خيل لربيعة معها عدد حسن وكان مما يلى العباس بن الوليد (قال أبو مخنف) فحدثنى الغنوى قال هشام وأظن الغنوى العلاء بن المنهال ان رجلا من الشأم خرج فدعا الى المبارزة فلم يخرج اليه أحد فبرزله محمد بن المهلب فحمل عليه فاتقاه الرجل بيده وعلى كفه كف من حديد فضربه محمد فقطع كف الحديد وأسرع السيف فى كفه واعتنق فرسه وأقبل محمد يضربه ويقول المنجل أعود عليك قال فذكر لى انه حيان النبطى قال فلما دنا الوضاح من الجسر ألهب فيه النار فسطع دخانه وقد اقتتل الناس ونشبت الحرب ولم يشتد القتال فلما رأى الناس الدخان وقيل لهم أحرق الجسر انهزموا فقالوا ليزيد قد انهزم الناس قال ومما انهزموا هل كان قتال ينهزم من مثله فقيل له قالوا أحرق الجسر فلم يثبت أحد قال قبحهم الله بق دخن عليه فطار فخرج وخرج معه أصحابه ومواليه وناس من قومه فقال اضربوا وجوه من ينهزم ففعلوا ذلك بهم حتى كثر واعليه فاستقبلهم منهم مثل الجبال فقال دعوهم فوالله انى لأرجو أن لا يجمعنى الله واياهم فى مكان واحد أبدا دعوهم يرحمهم الله غنم عدا فى نواحيها الذئب وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار وقد كان يزيد بن الحكم بن أبى العاص وأمه ابنة الزبرقان السعدى أتاه وهو بواسط قبل أن يصل الى العقر فقال

إن بني مروان قد بادَ ملكُهم * فإن كنت لم تشعُر بذلك فاشعُر

قال يزيد ما شعرتُ قال ففال يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي

عِشْ ملكاً أو مُتْ كريماً وان تمُتْ * وسيفُك مشهورا بكفك تُعذَر

قال أما هذا فعسى ولما خرج يزيد الى أصحابه واستقبلته الهزيمة فقال يا سُمَيْدَع أرأيي أم رأيك ألم أعلمك ما يريد القوم قال بلى والله والرأي كان رأيك وانا ذا معك لا أزايلك فمُرني بأمرك قال إمّا لا فانزل فنزل في أصحابه وجاء يزيد بن المهلب جاء فقال ان حبيبا قد قتل (قال هشام) قال أبو مخنف فحدثني ثابت مولى زهير بن سلمة الأزدي قال أشهد اني أسمعه حين قال له ذلك قال لا خير في العيش بعد حبيب قد كنت والله أبغض العيش بعد الهزيمة فوالله ما ازددت له الا بغضاً أمضوا قدما فعلمنا والله ان قد استقتل فأخذ من يكره القتال ينكص وأخذوا يتسللون و بقيت معه جماعة حسنة وهو يزدلف فكلما مرّ بخيل كشفها أو جماعة من أهل الشأم عدلوا عنه وعن سَنَن أصحابه فجاء أبو رُؤبة المُرجئ فقال ذهب الناس وهو يشير بذلك اليه وأنا أسمعه فقال هل لك أن تنصرف الى واسط فانها حصن فتنزلها ويأتيك مَدَدُ أهل البصرة ويأتيك أهل عمان والبحرين في السفن وتضرب خندقا فقال له قبح الله رأيك أتى تقول هذا الموت أيسر عليّ من ذلك فقال له فاني أخوّف عليك لما ترى أما ترى ما حولك من جبال الحديد وهو يشير اليه فقال له أما أنا فما أبالي جبال حديد كانت أم جبال نار اذهب عنا ان كنت لا تريد قتالا معنا قال وتمثل قول حارثة بن بدر الغُدانيّ ﴿قال أبو جعفر﴾ اخطأ هذا هو للاعشى

أبالموت خشتني عِبادٌ وانما * رأيتُ منايا الناس يشقى ذليلها

فما ميتةٌ إن متُّها غير عاجز * بعارٍ اذا ما غالت النفس غولها

وكان يزيد بن المهلب على برذون له أشهب فأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره حتى اذا دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب فعطف عليه خيول أهل الشأم وعلى أصحابه فقتل يزيد بن المهلب وقتل معه السميدع وقتل معه محمد بن المهلب وكان رجل من كلب من بني جابر بن زهير ابن جناب الكلبي يقال له القحل بن عياش لما نظر الى يزيد قال يا أهل الشأم هذا والله يزيد والله لأقتلنه أو ليقتلني وإن دونه ناسا فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصل اليه فقال له ناس من أصحابه نحن نحمل معك ففعلوا فحملوا بأجمعهم واضطربوا ساعة وسطع الغبار وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلا وعن القحل بن عياش بآخر رمق فأومى الى أصحابه يريهم مكان يزيد يقول لهم أنا قتلته ويومي الى نفسه أنه هو قتلني ومرّ مسلمة على القحل بن عياش صريعا الى جنب يزيد فقال أما اني أظنّ هذا هو الذي قتلني وجاء برأس يزيد مولى لبني مُرّة فقيل له أنت قتلته فقال لا فلما أتي به مسلمة لم يعرف ولم ينكر فقال له

الحوارى بن زياد بن عمرو العتكى مُر برأسه فليُغسل ثم ليعمَّم ففعل ذلك به فعرفه فبعث برأسه الى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْط (قال أبو مخنف) فحدثنى ثابت مولى زهير قال لقد قتل يزيد وهزم الناس وان المفضل بن المهلب ليقاتل أهل الشأم مايدرى بقتل يزيد ولا بهزيمة الناس وانه لعلى برذون شديد قريب من الارض وان معه لمجففة أمامه فكلما حمل عليها انكصت وانكشفت وانكشف فيحمل فى ناس من أصحابه حتى يخالط القوم ثم يرجع حتى يكون من وراء أصحابه وكان لا يرى منا مُلتفتًا الا أشار اليه بيده الا يلتفت ليقبل القوم بوجوههم على عدوهم ولا يكون لهم همٌّ غيرهم قال ثم اقتتلنا ساعة فكانى أنظر الى عامر بن العَمَيْثَل الأزدى وهو يضرب بسيفه ويقول

قد علمت أمُّ الصَّبِىّ المولود * أنى بنصل السيف غير رِعديد

قال واضطربنا والله ساعة فانكشفت خيل ربيعة والله مارأيت عند أهل الكوفة من كبير صبر ولا قتال فاستقبل ربيعة بالسيف يناديهم أى معشر ربيعة الكرّة الكرة والله ما كنتم بكُشُف ولا لئام ولا هذه لكم بعادة فلا يؤتين أهل العراق اليوم من قبلكم أى ربيعة فُدتكم نفسى اصبروا ساعة من النهار قال فاجتمعوا حوله وثابوا اليه وجاءت كُوَيفتك قال فاجتمعنا ونحن نريد الكرة عليهم حتى أتى فقيل له مانصنع ههنا وقد قتل يزيد وحبيب ومحمد وانهزم الناس منذ طويل وأخبر الناس بعضهم بعضا فتفرّقوا ومضى المفضل فأخذ الطريق الى واسط فمارأيت رجلا من العرب مثل منزلته كان أغشى للناس بنفسه ولا أضرب بسيفه ولا أحسن تعبئة لاصحابه منه (قال أبو مخنف) فقال لى ثابت مولى زهير مررت بالخندق فاذا عليه حائط عليه رجال معهم النبل وأنا مجفَّف وهم يقولون ياصاحب المجفاف أين تذهب قال فما كان شىء أثقل علىّ من تجفافى قال فما هو الا أن جُزتهم فنزلت فألقيته لاخفف عن دابتى وجاء أهل الشأم الى عسكر يزيد بن المهلب فقاتلهم أبو رُؤبة صاحب المُرجئة ساعة من النهار حتى ذهب عظمهم وأسر أهل الشأم نحوا من ثلاثمائة رجل فسرّحهم مسلمة الى محمد بن عمرو بن الوليد فحبسهم وكان على شُرطه العريان بن الهيثم وجاء كتاب من يزيد بن عبد الملك الى محمد بن عمرو أن اضرب رقاب الأسراء فقال للعريان بن الهيثم اخرجهم عشرين عشرين وثلاثين ثلاثين قال فقام نحو من ثلاثين رجلا من بنى تميم فقالوا نحن انهزمنا بالناس فاتقوا الله وابدؤا بنا أخرجونا قبل الناس فقال لهم العريان أخرجوا على اسم الله فأخرجهم الى المصطبة وأرسل الى محمد ابن عمرو يخبره باخراجهم ومقالتهم فبعث اليه أن اضرب أعناقهم (قال أبو مخنف) فحدثنى نجيح أبو عبد الله مولى زهير قال والله انى لأنظر اليهم ليقولون انا لله انهزمنا بالناس وهذا جزاؤنا فما هو الا أن فرغ منهم حتى جاء رسول من عند مسلمة فيه عافية الاسراء والنهى

عن قتلهم فقال حاجب بن ذبيان من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم

لعمرى لقد خاضت معيطٌ دماءنا * بأسيافها حتى انتهى بهم الوحلُ
وما حمل الأقوام أعظم من دمٍ * حرامٍ ولا ذحل إذا التمس الذحلُ
حقنتم دماء المصلتين عليكمُ * وجرّ على فرسان شيعتك القتلُ
وقى بهم العريان فرسان قومه * فيا عجبًا أين الأمانة والعدلُ

وكان العريان يقول والله ما اعتمدتهم ولا أردتهم حتى قالوا ابدُ بنا أخرجنا فما تركت حين أخرجتهم ان أعلمت المأمور بقتلهم فما يقبل حجتهم وأمر بقتلهم والله على ذلك ما أحبّ ان قتل من قومى مكانهم رجل ولئن لامونى ما أنا بالذى أحفل لائمتهم ولا تكبر علىّ وأقبل مسلمة حتى نزل الحيرة فأتى بنحو من خمسين أسيرا ولم يكونوا فيمن بعث به الى الكوفة كان أقبل بهم معه فلما رأى الناس أنه يريد أن يضرب رقابهم قام اليه الحصين بن حماد الكلبىّ فاستوهبه ثلاثة زياد بن عبد الرحمن القشيرىّ وعتبة بن مسلم واسماعيل مولى آل بنى عقيل بن مسعود فوهبهم له ثم استوهب بقيتهم أصحابه فوهبهم لهم فلما جاءت هزيمة يزيد الى واسط أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيرا كانوا فى يده فضرب أعناقهم منهم عدىّ بن ارطاة ومحمد بن عدىّ بن ارطاة ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وعبد الله بن عزرة البصرى وعبد الله بن وائل وابن أبى حاضر التميمى من بنى أسيد بن عمرو بن تميم وقد قال له القوم ويحك انا لا نراك تقتلنا الا ان أباك قد قتل وان قتلنا ليس بنافع لك فى الدنيا وهو ضارك فى الآخرة فقتل الاسارى كلهم غير ربيع بن زياد بن الربيع بن أنس بن الرفان تركه فقال له ناس نسيته فقال ما نسيته ولكن لم أكن لاقتله وهو شيخ من قومى له شرف ومعروف وبيت عظيم ولست أتهمه فى ودّ ولا أخاف بغيه فقال ثابت قطنة فى قتل عدى بن أرطاة

ما سرّنى قتل الفزارىّ وابنه * عدىّ ولا أحببت قتل ابن مسمع
ولكنها كانت معاوى زلة * وضعت بها أمرى على غير موضع

ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن وجاء المفضّل بن المهلب واجتمع جميع آل المهلب بالبصرة وقد كانوا يتخوّفون الذى كان من يزيد وقد أعدوا السفن البحريّة وتجهزوا بكل الجهاز وقد كان يزيد بن المهلب بعث وداع بن حميد الازدى على قندابيل أميرا وقال له انى سائر الى هذا العدو ولو قد لقيتهم لم أبرح العرصة حتى تكون الىّ أولهم فان ظفرت أكرمتك وان كانت الأخرى كنت بقندابيل حتى يقدم عليك أهل بيتى فيتحصنوا بها حتى يأخذوا لانفسهم أمانا أما انى قد اخترتك لاهل بيتى من بين قومى فكن عند أحسن ظنى وأخذ عليه أيمانا غلاظا لينا صحن أهل بيته ان هم احتاجوا اليه ولجؤا اليه فلما اجتمع آل المهلب بالبصرة

بعد الهزيمة حملوا عيالاتهم وأموالهم فى السفن البحرية ثم لججوا فى البحر حتى مروا بهرمز بن القرار العبدى وكان يزيد استعمله على البحرين فقال لهم أشير عليكم ألا تفارقوا سفنكم فان ذلك بقاؤكم وانى أتخوف عليكم ان خرجتم من هذه السفن أن يخطفكم الناس وأن يتقربوا بكم الى بنى مروان فمضوا حتى اذا كانوا بحيال كرمان خرجوا من سفنهم وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب وكان معاوية بن يزيد بن المهلب حين قدم البصرة قد مهاومعه الخزائن وبيت المال فكأنه أراد أن يتأمر عليهم فاجتمع آل المهلب وقالوا للمفضل أنت أكبرنا وسيدنا وانما أنت غلام حديث السن كبعض فتيان أهلك فلم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا الى كرمان وبكرمان فلول كثيرة فاجتمعوا الى المفضل وبعث مسلمة بن عبد الملك مُدْرِك بن ضب الكلبى فى طلب آل المهلب وفى أثر الفل فأدرك مدرك المفضل بن المهلب وقد اجتمعت اليه الفلول بفارس فتبعهم فادركهم فى عقبة فعطفوا عليه فقاتلوه واشتد قتالهم اياه فقتل مع المفضل بن المهلب النعمان بن ابراهيم بن الاشتر النخعى ومحمد بن اسحاق بن محمد بن الاشعث وأخذ ابن صول ملك قهستان أسيرا وأخذت سُرِّية المفضل العالية وجُرح عثمان بن اسحاق ابن محمد بن الاشعث جراحة شديدة وهرب حتى انتهى الى حلوان فدُلَّ عليه فقتل وحُمل رأسه الى مسلمة بالحيرة ورجع ناس من أصحاب يزيد بن المهلب فطلبوا الأمان فأومنوا منهم مالك بن ابراهيم بن الاشتر والورد بن عبد الله بن حبيب السعدى من تميم وكان قد شهد مع عبد الرحمن بن محمد مواطنه وأيامه كلها فطلب له الامان محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان الى مسلمة بن عبد الملك عمه وابنة مسلمة تحته فآمنه فلما أتاه الورد وقفه مسلمة فشتمه قائما فقال صاحب حلاف وشقاق ونفاق ونفار فى كل فتنة مرة مع حائك كندة ومرة مع ملاح الازد ما كنت بأهل أن تؤمن قال ثم انطلق وطلب الامان لمالك بن ابراهيم بن الاشتر الحسن ابن عبد الرحمن بن شراحيل وشراحيل يلقب رستم الحضرمى فلما جاء ونظر اليه قال له الحسن ابن عبد الرحمن الحضرمى هذا مالك بن ابراهيم بن الاشتر قال له انطلق قال له الحسن أصلحك الله لم تشتمه كما شتمت صاحبه قال أجللتكم عن ذلك وكنتم أكرم علىَّ من أصحاب الآخر وأحسن طاعة قال فانه أحب الينا أن تشتمه فهو والله أشرف أبا وجدًّا واسوأ أثرا من أهل الشأم من الورد بن عبد الله فكان الحسن يقول بعد أشهر ما تركه الا حسدا من أن يعرف صاحبنا فاراد أن يرينا انه قد حقره ومضى آل المهلب ومن سقط منهم من الفلول حتى انتهوا الى قندابيل وبعث مسلمة الى مدرك بن ضب الكلبى فرده وسرح فى أثرهم هلال بن أحوز التميمى من بنى مازن بن عمرو بن تميم فلحقهم بقندابيل فاراد آل المهلب دخول قندابيل فمنعهم وداع بن حميد وكاتبه هلال بن أحوز ولم يبايعا آل المهلب فيفارقهم فتبين لهم فراقه لما التقوا وصفوا كان وداع بن حميد على الميمنة وعبد الملك بن هلال على الميسرة وكلاهما أزدى

فرفع لهم هلال راية الأمان فمال اليهم وداع بن حميد وعبد الملك بن هلال وارفض عنهم الناس فخلوهم فلما رأى ذلك مروان بن المهلب ذهب يريد أن ينصرف الى النساء فقال له المفضل أين تريد قال أدخل الى نسائنا فاقتلهن لئلا يصل اليهن هؤلاء الفساق فقال ويحك أتقتل اخواتك ونساء أهل بيتك انا والله ما نخاف عليهن منهم قال فرده عن ذلك ثم مشوا بأسيافهم فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم الا أبا عيينة بن المهلب وعثمان بن المفضل فانهما نجوا فلحقا بخاقان ورتبيل وبعث بنسائهم وأولادهم الى مسلمة بالحيرة وبعث برؤسهم الى مسلمة فبعث بهم مسلمة الى يزيد بن عبد الملك فبعث بهم يزيد بن عبد الملك الى العباس بن الوليد بن عبد الملك وهو على حلب فلما نصبوا حرج لينظر اليهم فقال لاصحابه هذا رأس عبد الملك هذا رأس المفضل والله لكانه جالس معي يحدثني (وقال مسلمة) لأبيعن ذريتهم وهم في دار الرزق فقال الجراح بن عبد الله فانا أشتريهم منك لأبر يمينك فاشتراهم منه بمائة ألف قال هاتها قال اذا شئت فخذها فلم يأخذ منه شيأ وخلى سبيلهم الا تسعة فتية منهم احداث بعث بهم الى يزيد بن عبد الملك فقدم بهم عليه فضرب رقابهم فقال ثابت قطنة حين بلغه قتل يزيد بن المهلب يرثيه

ألا ياهند طال عليَّ ليلي * وعاد قصيرهُ ليلا تماما
كاني حين حلَّقت الثريَّا * سُقيتُ لُعاب أسود أو سَماما
أمرَّ عليَّ حلو العيش يومٌ * من الايام شيَّبني غلاما
مُصاب بني أبيك وغبت عنهم * فلم أشهدهم ومضوا كراما
فلا والله لا أنسى يزيدا * ولا القتلى التي قُتلت حرامًا
فعلَّى أن أبوء باخيك يوما * يزيدا أو أبوء به هشاما
وعلَّى أن أقود الخيل شعثًا * شوازب ضُمَّرًا نقص الإكاما
فاصبحهنَّ حمير من قريب * وعكًّا أو أرُعْ بهما جذاما
ونسقي مذحجًا والحي كلبا * من الذيفان أنفاسا قواما
عشائرنا التي تبغي علينا * تُجرِّبنا زكا عاما بعاما
ولولاهم وما جلبوا علينا * لأصبح وسطنا ملكا هُماما

وقال أيضا يرثي يزيد بن المهلب

أبى طول هذا الليل أن يتصرَّما * وهاج لك الهمُّ الفؤاد المتيَّما
أرقتُ ولم تأرق معي أمُّ خالد * وقد أرقت عيناي حولًا مجرَّما
على هالكٍ هدَّ العشيرة فقدُهُ * دعته المنايا فاستجاب وسلَّما
على ملكٍ ياصاح بالعقر جبَّتْ * كتائبه واستورد الموت معلما

أصيب ولم أشهد ولو كنت شاهدا * تسليت ان لم يجمع الحى مأتما
وفى غير الايام يا هند فاعلمى * لطالب وتر نظرة ان تلوما
فعلى ان مالت بى الريح ميلة * على ابن أبى ذبان أن يتندما
أمسلم ان يقدر عليك رماحنا * نذوقك بها قئ الاساود مسلما
وان تلق للعباس فى الدهر عثرة * نكافه باليوم الذى كان قدما
قصاصا ولا نعدو الذى كان قد أتى * الينا وان كان ابن مروان أظلما
ستعلم ان زلت بك النعل زلة * وأظهر أقوام حياء مجمجما
من الظالم الجانى على أهل بيته * اذا أحصرت أسباب أمر وأبهما
وانا لعطافون بالحلم بعدما * نرى الجهل من فرط اللئيم تكرما
وإنا لحلالون بالثغر لا نرى * به ساكنا الا الحميس العرمرما
نرى أن للجيران حاجا وحرمة * اذا الناس لم يرعوا الذى الجار محرما
وانا لنقرى الضيف من قمع الذرى * اذا كان رفد الرافدين تجشما
وراحت بصراد ملث جليده * على الطلح ارما كامن الشهب صيما
أبونا أبو الانصار عمرو بن عامر * وهم ولدوا عوفا وكعبا وأسلما
وقد كان فى غسان مجد يعده * وعادية كانت من المجد معظما

فلما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب يزيد بن المهلب جمع له يزيد بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان فى هذه السنة فلما ولاه يزيد ذلك ولى مسلمة الكوفة ذا الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط وقام بامر البصرة بعد ان خرج منها آل المهلب فيما قيل شبيب بن الحارث التميمى فضبطها فلما ضمت الى مسلمة بعث عاملا عليها عبد الرحمن ابن سليم الكلبى وعلى شرطتها واحداثها عمر بن يزيد التميمى فاراد عبد الرحمن بن سليم أن يستعرض أهل البصرة وأفشى ذلك الى عمر بن يزيد فقال له عمر أتريد أن تستعرض أهل البصرة ولم تمكن حصنا بكوفة وتدخل تحتاج اليه فوالله لو رماك أهل البصرة وأصحابك بالحجارة لخفت أن يقتلوناولكن انظرنا عشرة أيام حتى نأخذ أهبة ذلك ووجه رسولا الى مسلمة يخبره بما هم به عبد الرحمن فوجه مسلمة عبد الملك بن بشر بن مروان على البصرة وأقر عمر بن يزيد على الشرطة والأحداث ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة وجه مسلمة بن عبد الملك سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبى العاص وهو الذى يقال له سعيد خذينة وانما لقب بذلك فيما ذكر انه كان رجلا ليناسهلا متنعما قدم خراسان على بختية معلقا سكينا فى منطقه فدخل عليه ملك أبغر وسعيد متفضل فى ثياب مصبغة حوله مرافق مصبغة

فلما

فلما خرج من عنده قالوا له كيف رأيت الامير قال خذينية لمته سكينية فلقب خذينة وخذينة هى الدهقانة ربة البيت وانما استعمل مسلمة سعيد خذينة على خراسان لانه كان ختنه على ابنته كان سعيد متزوجا بابنة مسلمة

﴿ذكر الخبر عن أمر سعيد فى ولاية خراسان فى هذه السنة﴾

ولما ولى مسلمة سعيد خذينة خراسان قدم اليها قبل شخوصه سورة بن الحر من بنى دارم فقدمها قبل سعيد فيما ذكر بشهر فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلى على سمرقند فخرج اليها فى خمسة وعشرين رجلا من أهل بيته فاخذ على آمل فأتى بخارى فصحبه منها مائتا رجل فقدم السغد وقد كان أهلها كفروا فى ولاية عبد الرحمن بن نعيم الغامدى وولياها ثمانية عشر شهرا ثم عادوا الى الصلح فخطب شعبة أهل السغد ووبخ سكانها من العرب وعيرهم بالجبن فقال ما أرى فيكم جريحا ولا أسمع فيكم أنة فاعتذروا اليه بان جبنوا عاملهم علباء بن حبيب العبدى وكان على الحرب ثم قدم سعيد فأخذ عمال عبد الرحمن بن عبد الله القشيرى الذين ولوا أيام عمر بن عبد العزيز فحبسهم فكلمه فيهم عبد الرحمن بن عبد الله القشيرى فقال له سعيد قد رفع عليهم ان عندهم أموالا من الخراج قال فانا أضمنه فضمن عنهم سبعمائة ألف ثم لم يأخذه بها ثم ان سعيدا رفع اليه فيما ذكر على بن محمد ان جهم بن زحر الجعفى وعبد العزيز ابن عمرو بن الحجاج الزبيدى والمنتجع بن عبد الرحمن الازدى والقعقاع الازدى ولوا يزيد ابن المهلب وهم ثمانية وعندهم أموال قد اختانوها من فيء المسلمين فارسل اليهم فحبسهم في قهندز مرو وقيل له ان هؤلاء لا يؤدون الا أن تبسط عليهم فارسل الى جهم بن زحر فحمل على حمار من قهندز مرو فمر وابه على الفيض بن عمران فقام اليه فوجأ أنفه فقال له جهم يا فاسق هلا فعلت هذا حين أتونى بك سكران قد شربت الخمر فضربتك حدا فغضب سعيد على جهم فضربه مائتى سوط فكبر أهل السوق حين ضرب جهم بن زحر وأمر سعيد بجهم والثمانية الذين كانوا فى السجن فدفعوا الى ورقاء بن نصر الباهلى فاستعفاه فاعفاه (وقال) عبد الحميد بن دينار أو عبد الملك بن دينار والزبير بن نشيط مولى باهلة وهو زوج أم سعيد خذينة ولنا محابسهم فولاهم فقتلوا فى العذاب جهما وعبد العزيز بن عمرو والمنتجع وعذبوا القعقاع وقوما حتى أشرفوا على الموت قال فلم يزالوا في السجن حتى غزتهم الترك وأهل السغد فأمر سعيد باخراج من بقى منهم فكان سعيد يقول قبح الله الزبير فانه قتل جهما ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا المسلمون السغد والترك فكان فيها الوقعة بينهم بقصر الباهلى ﴿وفيها﴾ عزل سعيد خذينة شعبة بن ظهير عن سمرقند

﴿ذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شعبة وسبب هذه الوقعة وكيف كانت﴾

ذكر على بن محمد عن الذين تقدم ذكرى خبره عنهم ان سعيد خذينة لما قدم خراسان دعا

قوما من الدهاقين فاستشارهم فيمن يوجه الى الكور فاشاروا اليه بقوم من العرب فولاهم فشكوا اليه فقال للناس يوما وقد دخلوا عليه انى قدمت البلد وليس لى علم بأهله فاستشرت فأشاروا على بقوم فسألت عنهم فحمدوا فوليتهم فاحرج عليكم لما أخبرتمونى عن عمالى فأثنى عليهم القوم خيرا فقال عبد الرحمن بن عبد الله القشيرى لولم تحرج علينا لكففت فأما اذ حرجت علينا فانك شاورت المشركين فأشاروا عليك بمن لا يخالفهم وباشباههم فهذا علمنا فيهم قال فانكى سعيد ثم جلس فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قوموا قال وعزل سعيد شعبة بن ظهير عن السغد وولى حربها عثمان بن عبد الله بن مطرف ابن الشخير وعلى الخراج سليمان بن أبى السرى مولى بنى عوافة واستعمل على هراة معقل بن عروة القشيرى فسار اليها وضعف الناس سعيدا وسموه خذينة فطمع فيه الترك فجمع له خاقان الترك ووجههم الى السغد فكان على الترك كورصول وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلى * وقال بعضهم أراد عظيم من عظماء الدهاقين أن يتزوج امرأة من باهلة وكانت فى ذلك القصر فارسل اليها يخطبها فأبت فاستجاش ورجا أن يسبوا من فى القصر فيأخذ المرأة فأقبل كورصول حتى حصر أهل القصر وفيه مائة أهل بيت بذراريهم وعلى سمرقند عثمان بن عبد الله وخافوا أن يبطئ عنهم المدد فصالحوا الترك على أربعين ألفا وأعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة وندب عثمان بن عبد الله الناس فانتدب المسيب بن بشر الرياحى وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل فقال شعبة بن ظهير لو كان ههنا خيول خراسان ما وصلوا الى غايتهم قال وكان فيمن انتدب من بنى تميم شعبة بن ظهير النهشلى وبلعاء بن مجاهد العنزى وعميرة بن ربيعة أحد بنى العجيف وهو عميرة الثريد وغالب بن المهاجر الطائى وهو أبو العباس الطوسى وأبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائى وثابت قطنة وأبو المهاجر بن دارة من غطفان وجليس الشيبانى والحجاج بن عمر والطائى وحسان بن معدان الطائى والأشعث أبو حطامة وعمرو ابن حسان الطيئان فقال المسيب بن بشر لما عسكروا انكم تقدمون على حلبة الترك حلبة خاقان وغيرهم والعوض ان صبرتم الجنة والعقاب النار ان فررتم فمن أراد الغزو والصبر فليقدم فانصرف عنه ألف وثلاثمائة وسار فى الباقين فلما سار فرسخا قال للناس مثل مقالته الاولى فاعتزل ألف ثم سار فرسخا آخر فقال لهم مثل ذلك فاعتزل ألف ثم سار وكان دليلهم الاشهب بن عبيد الحنظلى حتى اذا كان على فرسخين من القوم نزل فأتاهم ترك خاقان ملك ق فقال انه لم يبق ههنا دهقان الا وقد بايع الترك غيرى وأنا فى ثلاثمائة مقاتل فهم معك وعندى الخبر قد كانوا صالحوهم على أربعين ألفا فأعطوهم سبعة عشر رجلا ليكونوا رهنا فى أيديهم حتى يأخذوا صلحهم فلما بلغهم مسيركم اليهم قتل الترك من كان فى أيديهم من الرهائن قال وكان فيهم نهشل بن يزيد الباهلى فجالم يقتل والاشهب بن عبيد

الله الحنظلي وميعادهم أن يقاتلوهم غدا أو يفتحوا القصر فبعث المسيب رجلين رجلا من العرب ورجلا من العجم من ليلته على خيولهم وقال لهم اذا قربتم فشدوا وادبكم بالشجر واعلموا علم القوم فأقبلا في ليلة مظلمة وقد أجرت الترك الماء في نواحي القصر فليس يصل اليه أحد ودنوا من القصر فصاح بهما الربيّة فقالا لا تصح وادع لنا عبد الملك بن دثار فدعاه فقالا له أرسلنا المسيب وقد أتاكم الغياث قال أين هو قال على فرسخين فهل عندكم امتناع ليلتك وغدا فقال قد أجمعنا على تسليم نسائنا وتقديمهم للموت أما مناحتى نموت جميعا غدا فرجعا الى المسيب فأخبراه فقال المسيب للذين معه اني سائر الى هذا العدو فمن أحب أن يذهب فليذهب فلم يفارقه أحد وبايعوه على الموت فسار وقد زاد الماء الذى أجروه حول المدينة تحصينا فلما كان بينه و بينهم نصف فرسخ نزل فأجمع على بياتهم فلما أمسى أمر الناس فشدوا على خيولهم وركب فحثهم على الصبر ورغبهم فيما يصير اليه أهل الاحتساب والصبر ومالهم في الدنيا من الشرف والغنيمة ان ظفروا وقال لهم اكعموا دبكم وقودوهم فاذا دنوتم من القوم فاركبوها وشدّوا شدّة صادقة وكبروا وليكن شعاركم يا محمد ولا تتبعوا موليا وعليكم بالدواب فاعقروها فان الدواب اذا عقرت كانت أشدّ عليهم منكم والقليل الصابر خير من الكثير الفشل وايست بكم قلة فان سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر الا أوهنوه وان كثر أهله قال وعبّاهم وجعل على الميمنة كثير الدبوسي وعلى الميسرة رجلا من ربيعة يقال له ثابت قطنة وسار واحتى اذا كانوا منهم على غلوتين كبروا وذلك في السحر وثار الترك وخالط المسلمون العسكر فعقروا الدواب وصابرهم الترك فجال المسلمون وانهزموا حتى صاروا الى المسيب وتبعهم الترك وضربوا عجز دابة المسيب فترجل رجال من المسلمين فيهم البختري أبو عبد الله المرائي ومحمد بن قيس الغنوي ويقال محمد بن قيس العنبري وزياد الأصبهاني ومعاوية بن الحجاج وثابت قطنة فقاتل البختري فقطعت يمينه فأخذ السيف بشماله فقطعت فجعل يذب بيديه حتى استشهد واستشهد أيضا محمد بن قيس العنبري أو الغنوي وشبيب بن الحجاج الطائي قال ثم انهزم المشركون وضرب ثابت قطنة عظيما من عظمائهم فقتله ونادى منادى المسيب لا تتبعهم فانهم لا يدرون من الرعب اتبعتموهم أم لا واقصدوا القصر ولا تحملوا شيأ من المتاع الا المال ولا تحملوا من يقدر على المشى وقال المسيب من حمل امرأة أو صبيا أو ضعيفا حسبة فأجره على الله ومن أبى فله أربعون درهما وان كان في القصر أحد من أهل عهدكم فاحملوه قال فقصدوا جميعا القصر فحملوا من كان فيه وانتهى رجل من بني فقيم الى امرأة فقالت أغثني أغاثك الله فوقف وقال دونك وعجز الفرس فوثبت فاذا هي على عجز الفرس فاذا هي أفرس من رجل فتناول الفقيمي بيدا بنها غلاما صغيرا فوضعه بين يديه وأتوا ترك خافان فأنزلهم قصره وأتاهم

بطعام وقال الحقوا بسمرقند لا نرجعوا في آثاركم فخرجوا نحو سمرقند فقال لهم هل بقي أحد قالوا هلال الحريري قال لا أسلمه فأتاه وبه بضع وثلاثون جراحة فاحتمله فبرأ ثم أصيب يوم الشعب مع الجنيد قال ورجع الترك من الغد فلم يروا في القصر أحدا ورأوا قتلاهم فقالوا لم يكن الذين جاؤا من الانس فقال ثابت قطنة

فدت نفسي فوارس من تميم * غداة الروع في ضنك المقام
فدت نفسي فوارس اكتفوني * على الأعداء في رهج القتام
بقصر الباهلي وقد رأوني * أحامي حيث ضن به المحامي
بسيفي بعد حطم الرمح قدما * أذود هم بذي شطب حسام
أكر عليهم اليحموم كرا * ككر الشرب آنية المدام
أكر به لدى الغمرات حتى * تجللت لا يضيق بها مقامي
فلولا الله ليس له شريك * وضربي قونس الملك الهمام
إذا لسعت نساء بني دثار * أمام الترك بادية الخدام
فمن مثل المسيب في تميم * أبي بشر كقادمة الحمام

وقال جرير يذكر المسيب

لولا حماية يربوع نساءكم * كانت لغيركم منهن أطهار
حامي المسيب والخيلان في رهج * إذ مازن ثم لا يحمى لها جار
إذ لا عقال يحامي عن ذمارهم * ولا زرارة يحميها وزرار

قال وعور تلك الليلة أبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائي وشلت يده وقد كان ولي ولاية قبل سعيد فخرج عليه شيء مما كان بقي عليه فأخذ به فدفعه سعيد الى شداد بن خليد الباهلي ليحاسبه ويستأديه فضيق عليه شداد فقال يا معشر قيس سرت الى قصر الباهلي وأنا شديد البطش حديد البصر فعورت وشلت يدي وقاتلت مع من قاتل حتى استنقذناهم بعد أن أشرفوا على القتل والاسر والسبي وهذا صاحبكم يصنع بي ما يصنع فكفوه عني فخلاه قال وقال عبد الله بن محمد عن رجل شهد ليلة قصر الباهلي قال كنا في القصر فلما التقوا ظننا ان القيامة قد قامت لما سمعنا من هماهم القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل ﴿وفي هذه السنة﴾ قطع سعيد خذينة نهر بلخ وغزا السغد وكانوا نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين

﴿ذكر الخبر عما كان من أمر سعيد والمسلمين في هذه الغزوة﴾

وكان سبب غزو سعيد هذه الغزوة فيما ذكر ان الترك عادوا الى السغد فكلم الناس سعيدا وقالوا تركت الغزو وقد أغار الترك وكفر أهل السغد فقطع النهر وقصد للسغد فلقيه الترك

وطائفة من أهل السغد فهزمهم المسلمون فقال سعيد لا تتبعوهم فإن السغد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتموهم أفتريدون بوارهم وقد قاتلتم يا أهل العراق الخلفاء غير مرة فهل أبار وكم وسار المسلمون فانتهوا الى واد بينهم وبين المرج فقال عبد الرحمن بن صبح لا يقطعن هذا الوادى مجفف ولا راجل وليعبر من سواهم فعبروا ورأتهم الترك فأكمنوا كمينا وظهرت لهم خيل المسلمين فقاتلوهم فانحاز الترك فأتبعوهم حتى جازوا الكمين فخرجوا عليهم فانهزم المسلمون حتى انتهوا الى الوادى فقال لهم عبد الرحمن بن صبح سابقوهم ولا تقطعوا فانكم ان قطعتم أبادوكم فصبر والهم حتى انكشفوا عنهم فلم يتبعوهم فقال قوم قتل يومئذ شعبة بن ظهير وأصحابه وقال قوم بل انكشفت الترك منهم يومئذ منهزمين ومعهم جمع من أهل السغد فلما كان الغد خرجت مسلحة للمسلمين والمسلحة يومئذ من بنى تميم فما شعروا الا بالترك معهم خرجوا عليهم من غيضة وعلى خيل بنى تميم شعبة بن ظهير فقاتلهم شعبة فقتل أعجلوه عن الركوب وقتل رجل من العرب فأخرجت جاريته حنّاء وهى تقول حنى منى أعدّ لك مثل هذا الخضاب وأنت مختضب بالدم مع كلام كثير فأبكت أهل العسكر وقتل نحو من خمسين رجلا وانهزم أهل المسلحة وأتى الناس الصريخ فقال عبد الرحمن بن المهلب العدوى كنت أنا أول من أتاهم لما أتانا الخبر وتحتى فرس جواد فإذا عبد الله بن زهير الى جنب شجرة كأنه قنفد من النشاب وقد قتل وركب الخليل بن أوس العبشمى أحد بنى ظالم وهو شاب ونادى يا بنى تميم أنا الخليل الى فانضمت اليه جماعة فحمل بهم على العدو فكفوهم وورّعوهم عن الناس حتى جاء الامير والجماعة فانهزم العدو فصار الخليل على خيل بنى تميم يومئذ حتى ولى نصر بن سيار ثم صارت رياسة بنى تميم لأخيه الحكم بن أوس وذكر على بن محمد عن شيوخه ان سورة بن الحر قال لحيان انصرف يا حيان قال عقيرة الله أدعها وأنصرف قال يا نبطى قال أنبط الله وجهك قال وكان حيان النبطى يكنى فى الحرب أبا الهياج وله يقول الشاعر

إنّ أبا الهياج أربحى * للريح فى أثوابه دوىّ

قال وعبر سعيد النهر مرتين فلم يجاوز سمرقند نزل فى الاولى بازاء العدو فقال له حيان مولى مصقلة بن هبيرة الشيبانى أيها الامير ناجز أهل السغد فقال لا هذه بلاد أمير المؤمنين فرأى دخاناً ساطعاً فسأل عنه فقيل له السغد قد كفروا ومعهم بعض الترك قال فناوشهم فانهزموا فألحوا فى طلبهم فنادى منادى سعيد لا تطلبوهم انما السغد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتموهم أفتريدون بوارهم وأنتم يا أهل العراق قد قاتلتم أمير المؤمنين غير مرة فعفا عنكم ولم يستأصلكم ورجع فلما كان العام المقبل بعث رجالا من بنى تميم الى ورغسر فقالوا ليتنا نلقى العدو فنطاردهم وكان سعيد اذا بعث سرية فاصابوا وغنموا وسبوا ردد ذرارى السبى

وعاقب السرية فقال الهجري وكان شاعرا

سَرَيْتَ إلى الأعداء تلهو بلعبة * وأيرُكَ مسلولٌ وسيفُكَ مُغمَدُ
وأنتَ لمن عاديتَ عِرسٌ خفيةٌ * وأنتَ علينا كالحسام المهنَّدِ
فللهِ دَرُّ السَّعْدِ لما تحزَّبوا * ويا عجبًا من كيدِكَ المتردِّدِ

قال فقال سورة بن الحر لسعيد وقد كان حفظ عليه وحقد عليه قوله انبط الله وجهك ان هذا العبد أعدى الناس للعرب والعمال وهو أفسد خراسان على قتيبة بن مسلم وهو واثب بك مفسد عليك خراسان ثم يتحصن في بعض هذه القلاع فقال يا سورة لا تسمعن هذا أحدا ثم مكث أياما ثم دعا في مجلسه بلبن وقد أمر بذهب فسحق وألقي في إناء حيان فشربه وقد خلط بالذهب ثم ركب فركب الناس أربع فراسخ الى باركث كأنه يطلب عدوا ثم رجع فعاش حيان أربعة أيام ومات في اليوم الرابع فثقل سعيد على الناس وضعفوه وكان رجل من بني أسد يقال له اسماعيل منقطعا الى مروان بن محمد فذكر اسماعيل عند خذينة ومودته لمروان فقال سعيد وماذاك الملط فهجاه اسماعيل فقال

زعمت خُذينةُ أنني ملطٌ * لخذينةَ المرآة والمشطُ
ومجامرٌ ومكاحلٌ جُعلت * ومعازفٌ وبخدِّها نقطُ
أفذاكَ أم زغفٌ مضاعفةٌ * ومهنَّدٌ من شأنه القطُّ
لمقرَّسٍ ذكرٍ أخي ثقةٍ * لم يغذهُ التأنيث واللفطُ
أغضبتَ أن بات ابن أمكمُ * بهمُ وأنَّ أباكم سقطُ
إني رأيتُ نبالهم كسيت * ريشَ اللؤامِ ونبلكم مرطُ
ورأيتهم جعلوا مكاسرهم * عند الندى وأنتم خلطُ

﴿ وفي هذه السنة ﴾ عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان وانصرف الى الشأم

﴿ ذكر الخبر عن سبب عزله وكيف كان ذلك ﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر علي بن محمد ان مسلمة لما ولي ما ولي من أرض العراق وخراسان لم يرفع من الخراج شيأ وان يزيد بن عاتكة أراد عزله فاستعفى منه وكتب اليه ان استخلف على عملك وأقبل وقد قيل ان مسلمة شاور عبد العزيز بن حاتم بن النعمان في النهوض الى ابن عاتكة ليزوره فقال له أمن شوق بك اليه انك لطروب وان عهدك به لقريب قال لا بد من ذلك قال إذا لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالي عليه فنهض فلما بلغ دورين لقيه عمر بن هبيرة على خمس من دواب البريد فدخل عليه ابن هبيرة فقال الى أين يا ابن هبيرة فقال وجهني أمير المؤمنين في حيازة أموال بني المهلب فلما خرج من عنده أرسل الى عبد العزيز فجاءه فقال هذا ابن هبيرة قد لقينا كما ترى قال قد أنبأتك قال فانه انما وجهه لحيازة أموال بني

المهلب قال هذا أعجب من الاول يصرف عن الجزيرة ويوجه فى حيازة أموال بنى المهلب قال فلم يلبث ان جاءه عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم فقال الفرزدق

راحت بمسلمة الركاب مودعا * فارعى فزارة لا هناك المرتع
عزل ابن بشر وابن عمرو قبله * وأخو هراة لمثلها يتوقع
ولقد علمت لئن فزارة أمرت * أن سوف يطمع فى الامارة أتبع
من خلق ربك ما هم ولمثلهم * فى مثل ما نالت فزارة يطمع

يعنى بابن بشر عبد الملك بن بشر بن مروان وبابن عمرو محمدا ذا الشامة بن عمرو بن الوليد وبأخى هراة سعيد خزينة بن عبد العزيز كان عاملا لمسلمة على خراسان ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا عمر بن هبيرة الروم بارمينية فهزمهم وأسر منهم بشرا كثيرا قيل سبعمائة أسير ﴿وفيها﴾ وجه فيما ذكر مسيرة رسله من العراق الى خراسان وظهر أمر الدعوة بها فجاء رجل من بنى تميم يقال له عمرو بن بحير بن ورقاء السعدى الى سعيد خذينة فقال له ان ها هنا قوما قد ظهر منهم كلام قبيح فبعث اليهم سعيد فأتى بهم فقال من أنتم قالوا أناس من التجار قال فما هذا الذى يحكى عنكم قالوا لا ندرى قال جئتم دعاة فقالوا ان لنا فى أنفسنا وتجارتنا شغلا عن هذا فقال من يعرف هؤلاء فجاء أناس من أهل خراسان جلهم ربيعة واليمن فقالوا نحن نعرفهم وهم علينا ان أتاك منهم شئ تكرهه فخلى سبيلهم ﴿وفيها﴾ أعنى سنة ١٠٢ قتل يزيد بن أبى مسلم بافريقية وهو وال عليها

﴿ذكر الخبر عن سبب قتله﴾

وكان سبب ذلك انه كان فيما ذكر عزم ان يسير بهم بسيرة الحجاج بن يوسف فى أهل الاسلام الذين سكنوا الامصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فاسلم بالعراق ممن ردهم الى قراهم ورساتيقهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم فلما عزم على ذلك تآمروا فى أمره فاجمع رأيهم فيما ذكر على قتله فقتلوه وولوا على أنفسهم الوالى الذى كان عليهم قبل يزيد بن أبى مسلم وهو محمد بن يزيد مولى الانصار وكان فى جيش يزيد بن أبى مسلم وكتبوا الى يزيد بن عبد الملك انا لم نخلع أيدينا من الطاعة ولكن يزيد بن أبى مسلم سامنا ما لا يرضى الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك فكتب اليهم يزيد بن عبد الملك انى لم أرض ما صنع يزيد بن أبى مسلم واقر محمد بن يزيد على افريقية ﴿وفى هذه السنة﴾ استعمل عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة على العراق وخراسان ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك كذلك قال أبو معشر والواقدى وكان العامل على المدينة عبد الرحمن بن الضحاك وعلى مكة عبد العزيز ابن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى الكوفة محمد بن عمر وذو الشامة وعلى قضائها القاسم بن

عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود وعلى البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان وعلى خراسان سعيد خذينة وعلى مصر أسامة بن زيد

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث ومائة ﴾

﴿ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ﴾

فما كان فيها من ذلك عزل عمر بن هبيرة سعيد خذينة عن خراسان وكان سبب عزله عنها فيما ذكر علي بن محمد عن أشياخه ان المجشر بن مزاحم السلمي وعبد الله بن عمير الليثي قدما على عمر بن هبيرة فشكواه فعزله واستعمل سعيد بن عمرو بن الأسود بن مالك بن كعب بن وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وخذينة غاز بباب سمرقند فبلغ الناس عزله ففقل خذينة وخلف بسمرقند ألف فارس فقال نهار بن توسعة

فمن ذا مُبلغٌ فتيانَ قومي * بأنَّ النَّبلَ ريشتْ كلَّ ريشِ
بأنَّ اللهَ أبدلَ من سعيدٍ * سعيدًا الا المُخنَّثَ من قريشِ

قال ولم يعرض سعيد الحرشي لاحد من عمال خذينة فقر أرجل عهده فلحن فيه فقال سعيد صه مهما سمعتم فهو من الكاتب والامير منه برئ فقال الشاعر يضعف الحرشي في هذا الكلام

تبدَّلنا سعيدًا من سعيدٍ * لجدَّ السوءِ والقدرِ المتاحِ

﴿ قال الطبري ﴾ وفي هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح مدينة يقال لها رسلة ﴿ وفيها ﴾ أغارت الترك على اللان ﴿ وفيها ﴾ ضمت مكة الى عبد الرحمن بن الضحاك الفهري فجمعت له مع المدينة ﴿ وفيها ﴾ ولي عبد الواحد بن عبد الله النضري الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن مكة ﴿ وفيها ﴾ أمر عبد الرحمن بن الضحاك ان يجمع بين أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعثمان بن حيان المرّي وكان من أمره وأمرهما ما قد مضى ذكره قبل ﴿ وحج ﴾ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك ابن قيس الفهري كذلك قال أبو معشر والواقدي وكان عامل يزيد بن عاتكة في هذه السنة على مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك وعلى الطائف عبد الواحد بن عبد الله النضري وعلى العراق وخراسان عمر بن هبيرة وعلى خراسان سعيد بن عمرو الحرشي من قبل عمر بن هبيرة وعلى قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى ﴿ وفيها ﴾ استعمل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي على خراسان

﴿ ذكر الخبر عن سبب استعماله الحرشي على خراسان ﴾

ذكر علي بن محمد عن أصحابه ان ابن هبيرة لما ولي العراق كتب الى يزيد بن عبد الملك بأسماء من ابلى يوم العقر ولم يذكر الحرشي فقال يزيد بن عبد الملك لم لم يذكر الحرشي فكتب الى ابن هبيرة ولِّ الحرشي خراسان فولاه فقدم الحرشي على مقدمته المجشر بن مزاحم السلمي

سنة ١٠٣ ثم قدم الحرشي خراسان والناس بازاء العدو وقد كانوا نكبوا فخطبهم وحثهم على الجهاد فقال انكم لا تقاتلون عدوا الاسلام بكثرة ولا بعدة ولكن بنصر الله وعز الاسلام فقولوا لا حول ولا قوة الا بالله وقال

فلستُ لعامرٍ إنْ لم تَرَوني * أمامَ الخيلِ أطعنُ بالعوالي
فأضربُ هامةَ الجبّارِ منهم * بعضبِ الحدِّ حودثَ بالصقالِ
فما أنا في الحروبِ بمستكينٍ * ولا أحشى مُصاولةَ الرجالِ
أبى لي والدي من كلِّ ذَمٍّ * وخالي في الحوادثِ خيرُ خالِ
إذا خطرتْ أمامي حيُّ كعبٍ * وزافتْ كالجبالِ بنو هلالِ

﴿وفي هذه السنة﴾ ارتحل أهل السغد عن بلادهم عند مقدم سعيد بن عمرو الحرشي فلحقوا بفرغانة فسألوا ملكها معونتهم على المسلمين

﴿ذكر الخبر عما كان منهم ومن صاحب فرغانة﴾

ذكر علي بن محمد عن أصحابه ان السغد كانوا قد أعانوا الترك أيام خذينة فلما ولي هم الحرشي خافوا على أنفسهم فاجمع عظماؤهم على الخروج عن بلادهم فقال لهم ملكهم لا تفعلوا أقيموا واحملوا اليه خراج ما مضى واضمنوا له خراج ما تستقبلون واضمنوا له عمارة أرضيكم والغزو معه ان أراد ذلك واعتذروا مما كان منكم وأعطوه رهائن يكونون في يديه فالوا نخاف ان لا يرضى ولا يقبل منا ولكنا نأتي خجندة فنستجير ملكها ونرسل الى الامير فنسأله الصفح عما كان منا ونوثق له أن لا يرى منا أمرا يكرهه فقال أنا رجل منكم وما أشرت به عليكم كان خيرا لكم فأبوا فخرجوا الى خجندة وخرج كارزنج وكشين وبيركث وثابت بأهل إشتيخن فارسلوا الى ملك فرغانة الطار يسألونه ان يمنعهم وينزلهم مدينة فهم ان يفعل فقالت له أمه لا تدخل هؤلاء الشياطين مدينتك ولكن فرغ لهم رستاقا يكونون فيه فارسل اليهم سموالى رستاقا أفرغه لكم وأجلوني أربعين يوما ويقال عشرين يوما وان شئتم فرغت لكم شعب عصام بن عبد الله الباهلي وكان قتيبة خلفه فيهم فقبلوا شعب عصام فارسلوا اليه فرغه لنا قال نعم وليس لكم على عقد ولا جوار حتى تدخلوه وان أتتكم العرب قبل ان تدخلوه لم أمنعكم فرضوا ففرغ لهم الشعب وقد قيل ان ابن هبيرة بعث اليهم قبل ان يخرجوا من بلادهم يسألهم ان يقيموا ويستعمل عليهم من أحبوا فأبوا وخرجوا الى خجندة وشعب عصام من رستاق أسفرة واسفرة يومئذ ولي عهد ملك فرغانة بلاذا وبيلاذا أبوا نوجور ملكها وقيل قال لهم كارزنج أخبركم ثلاث خصال ان تركتموها هلكتم ان سعيدا فارس العرب وقد وجه على مقدمته عبد الرحمن بن عبد الله القشيري في حماة أصحابه فبيتوه فاقتلوه فان الحرشي اذا أتاه خبره لم يغزكم فأبوا عليه قال فاقطعوا نهر الشاش فسلوهم ماذا تريدون فان

أجابوكم والا مضيتم الى سو ياب فالوا لا قال فأعطوهم قال فارتحل كارزنج وجانج بأهل قى وأبار بن ماخنون وثابت بأهل اشتيخن وارتحل أهل بيار كث وأهل سبسكث بألف رجل عليهم مناطق الذهب معهم دهاقين بُرماجن فارتحل الديواشنى بأهل بنجيكث الى حصن أبغر ولحق كارزنج وأهل السغد بخجندة

﴿ ثم دخلت سنة أربع ومائة ﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

﴿ففى هذه السنة﴾ كانت وقعة الحرشى بأهل السغد وقتله من قتل من دهاقينها

﴿ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فى هذه الوقعة﴾

ذكر على عن أصحابه ان الحرشى غزا فى سنة ١٠٤ فقطع النهر وعرض الناس ثم سار فنزل قصر الريح على فرسخين من الدُّبوسية ولم يجتمع اليه جنده قال فامر الناس بالرحيل فقال له هلال بن عليم الحنظلى ياهناه انك وزير اخير منك أميرا الارض حربٌ شاغرة برجلها ولم يجتمع لك جندك وقد أمرت بالرحيل قال فكيف لى قال تأمر بالنزول ففعل وخرج النيلان ابن عم ملك فرغانة الى الحرشى وهو نازل على مغون فقال له ان أهل السغد بخجندة وأخبره خبرهم وقال عاجلهم قبل ان يصيروا الى الشعب فليس لهم علينا جوار حتى يمضى الاجل فوجه الحرشى مع النيلان عبد الرحمن القشيرى وزياد بن عبد الرحمن القشيرى فى جماعة ثم ندم على ما فعل فقال جاءنى علج لا أدرى صدق أم كذب فغررت بجندة من المسلمين وارتحل فى أثرهم حتى نزل فى أثر وسنة فصالحهم بشئ يسير فبينا هو يتعشى اذ قيل له هذا عطاء الدُّبوسى وكان فيمن وجهه مع القشيرى ففزع وسقطت اللقمة من يده ودعا بعطاء فدخل عليه فقال ويلك فاتلتم أحدا فقال لا قال الحمد لله وتعشى وأخبره بما قدم له عليه فسار جوادا مغذا حتى لحق القشيرى بعد ثالثة وسار فلما انتهى الى خجندة قال للفضل بن بسام ماترى قال أرى المعاجلة قال لا أرى ذلك ان جرح رجل فالى أين يرجع أو قتل قتيل فالى من يحمل ولكنى أرى النزول والتأنى والاستعداد للحرب فنزل فرفع الابنية وأخذ فى التأهب فلم يخرج أحد من العدو فجبن الناس الحرشى وقالوا كان هذا يذكر بأسه بالعراق ورأيه فلما صار بخراسان ماق قال فحمل رجل من العرب فضرب باب خجندة بعمود ففتح الباب وقد كانوا حفروا فى ربضهم وراء الباب الخارج خندقا وغطوه بقصب وعلوه بالتراب مكيدة وأرادوا اذا التقوا ان انهزموا ان يكونوا قد عرفوا الطريق ويشكل على المسلمين فيسقطوا فى الخندق قال فلما خرجوا قاتلوهم فانهزموا واخطأوهم الطريق فسقطوا فى الخندق فاخرجوا من الخندق أربعين رجلا على الرجل درعان درعان وحصرهم الحرشى ونصب عليهم المجانيق فارسلوا الى ملك فرغانة غدرت بنا وسألوه ان

ينصرهم فقال لهم لم أغدر ولا أنصركم فانظروا لأنفسكم فقد أتوكم قبل انقضاء الاجل ولستم في جواري فلما أيسوا من نصره طلبوا الصلح وسألوا الامان وان يردهم الى السغد فاشترط عليهم ان يردوا من في أيديهم من نساء العرب وذراريهم وان يؤدّوا ما كسروا من الخراج ولا يغتالوا أحدًا ولا يتخلف منهم بخجندة أحد فان احدثوا حدثا حلت دماؤهم قال وكان السفير فيما بينهم موسى بن مشكان مولى آل بسام فخرج اليه كارزنج فقال له ان لي حاجة أحب ان تشفعني فيها قال وما هي قال أحب ان جنى منهم رجل جناية بعد الصلح ان لا تأخذني بما جنى فقال الحرشي ولي حاجة فاقضها قال وما هي قال لا تلحقني في شرطي ما أكره قال فأخرج الملوك والتجار من الجانب الشرقي وترك أهل خجندة الذين هم أهلها على حالهم فقال كارزنج للحرشي ما تصنع قال أخاف عليكم معرة الجند قال وعظماؤهم مع الحرشي في العسكر نزلوا على معارفهم من الجند ونزل كارزنج على أيوب بن أبي حسان فبلغ الحرشي انهم قتلوا امرأة من نساء كُنّ في أيديهم فقال لهم بلغني ان ثابتا الاشتيخني قتل امرأة ودفنها تحت حائط فجحدوا فارسل الحرشي الى قاضي خجندة فنظر وافاذا المرأة مقتولة قال فدعا الحرشي بثابت فأرسل كارزنج غلامه الى باب السرادق ليأتيه بالخبر وسأل الحرشي ثابتا وغيره عن المرأة فجحد ثابت وتيقن الحرشي انه قتلها فقتله فرجع غلام كارزنج اليه بقتل ثابت فجعل يقبض على لحيته ويقرّضها بأسنانه وخاف كارزنج ان يستعرضهم الحرشي فقال لايوب بن أبي حسان ابن ضيفك وصديقك فلا يجمل بك ان يقتل صديقك في سراويل خلق قال فخذ سراويلي قال وهذا لا يجمل أقتل في سراويلاتكم فسرح غلامك الى جانج ابن أخي يجيئني بسراويل جديد وكان قد قال لابن أخيه اذا أرسلت اليك أطلب سراويل فاعلم انه القتل فلما بعث بسراويل اخرج فرندة خضراء فقطعها عصائب وعصبها برؤس شاكريته ثم خرج هو وشاكريته فاعترض الناس فقتل ناسا من ربيعي بن حضين فنفحه نفحة على رجله فلم يزل يخمع منها وتضعضع أهل العسكر ولقي الناس منه شرًا حتى انتهى الى ثابت بن عثمان بن مسعود في طريق ضيق فقتله ثابت بسيف عثمان بن مسعود وكان في أيدي السغد اسراء من المسلمين فقتلوا منهم خمسين ومائة ويقال قتلوا منهم أربعين قال فأفلت منهم غلام فأخبر الحرشي ويقال بل أتاه رجل فأخبره فسألهم فجحدوا فأرسل اليهم من علم علمهم فوجد الخبر حقا فأمر بقتلهم وعزل التجار عنهم وكان التجار أربعمائة كان معهم مال عظيم قدموا به من الصين قال فامتنع أهل السغد ولم يكن لهم سلاح فقاتلوا بالخشب فقتلوا عن آخرهم فلما كان الغد دعا الحرائين ولم يعلموا ما صنع أصحابهم فكان يختم في عنق الرجل ويخرج من حائط الى حائط فيقتل وكانوا ثلاثة آلاف ويقال سبعة آلاف فارسل جرير بن هميان والحسن بن أبي العمرّطة ويزيد بن أبي زينب فأحصوا أموال التجار وكانوا اعتزلوا وقالوا لا نقاتل فاصطفى أموال السغد وذراريهم فأخذ منه ما أعجبه ثم دعا مسلم بدَيل العدوي عدي الرباب فقال قد

وليتك المقسم قال بعد ما عمل فيه عمالك ليلة وله غيرى فولاه عبيد الله بن زهير بن حيان العدوى فاخرج الخمس وقسم الاموال وكتب الحرشى الى يزيد بن عبد الملك ولم يكتب الى عمر بن هبيرة فكان هذا مما وجد فيه عليه عمر بن هبيرة فقال ثابت قطنة يذكر ما أصابوا من عظمائهم

أقرّ العينَ مصرعُ كارزنج * وكشّين ومالاقى بيارُ

وديواشنى ومالاقى جلنج * بحصنِ خجندةٍ إذ مرّوا فبارُوا

ويروى أقرّ العين مصرع كارزنج وكشكيش ويقال ان ديواشنى دهقان أهل سمرقند واسمه ديواشنج فأعربوه ديواشنى ويقال كان على أقباض خجندة علباء بن أحمر اليشكرى فاشترى رجل منه جونة بدرهمين فوجد فيها سبائك ذهب فرجع وهو واضع يده على لحيته كأنه رمد فرد الجونة وأخذ الدرهمين فطلب فلم يوجد قال وسرح الحرشى سليمان بن أبى السرى مولى بنى عوافة الى قلعة لايطيف بها وادى السغد الامن وجه واحد ومعه شوكر بن جميك وخوارزم شاه وعورم صاحب أخرون وشومان فوجه سليمان بن أبى السرى على مقدمته المسيب بن بشر الرياحى فتلقوه من القلعة على فرسخ فى قرية يقال لها كوم فهزمهم المسيب حتى ردهم الى القلعة فحصرهم سليمان ودهقانها يقال له ديواشنى قال فكتب اليه الحرشى فعرض عليه ان يمده فأرسل اليه ملتقانا ضيق فسر الى كس فانا فى كفاية الله ان شاء الله فطلب الديواشنى ان ينزل على حكم الحرشى وان يوجهه مع المسيب بن بشر الى الحرشى ففعل له سليمان ووجهه الى سعيد الحرشى فألطفه وأكرمه مكيدة فطلب أهل القلعة الصلح بعد مسيره على ان لايعرض لمائة أهل بيت منهم ونسائهم وأبنائهم ويسلمون القلعة فكتب سليمان الى الحرشى ان يبعث الامناء فى قبض ما فى القلعة قال فبعث محمد بن عزيز الكندى وعلباء ابن أحمر اليشكرى فباعوا ما فى القلعة مزايدة فأخذ الخمس وقسم الباقى بينهم وخرج الحرشى الى كس فصالحوه على عشرة آلاف رأس ويقال صالح دهقان كس واسمه ويك على ستة آلاف رأس يوفيه فى أربعين يوما على ان لايأتيه فلما فرغ من كس خرج الى ربنجن فقتل الديواشنى وصلبه على ناوس وكتب على أهل ربنجن كتابا بمائة ان فقد من موضعه وولى نصر بن سيار قبض صلح كس ثم عزل سورة بن الحر وولى نصر بن سيار واستعمل سليمان ابن أبى السرى على كس ونسف حربها وخراجها وبعث برأس الديواشنى الى العراق ويده اليسرى الى سليمان بن أبى السرى الى طخارستان قال وكانت خزار منيعة فقال المجشر بن مزاحم لسعيد بن عمرو الحرشى ألا أدلك على من يفتحها لك بغير قتال قال بلى قال المسربل بن الحرّيت بن راشد الناجى فوجهه اليها وكان المسربل صديقا لملكها واسم الملك سبقرى وكانوا يحبون المسربل فاخبر الملك ما صنع الحرشى باهل خجندة وخوفه قال فما ترى قال أرى ان

تنزل

تنزل بأمان قال فما أصنع بمن لحق بي من عوام الناس قال تصيرهم معك في أمانك فصالحهم فآمنوه وبلاده قال ورجع الحرشي الى مرو ومعه سبقرى فلما نزل أسنان وقدم مهاجر ابن يزيد الحرشي وأمره ان يوافيه ببرذون ابن كشانيشاه قتل سبقرى وصلبه ومعه أمانه ويقال كان هذا دهقان ابن ماجر قدم على ابن هبيرة فأخذ أمانا لاهل السغد فحبسه الحرشي في قهندز مرو فلما قدم مرو دعا به وقتله وصلبه في الميدان فقال الراجز

إذا سَعِيدٌ سارَ في الاخماس * في رَهَجٍ يَأْخُذُ بالانفاس
دارَتْ على التُّرْكِ أمَرُّ الكاس * وَطَارَتِ التركُ على الأحلاسِ
ولَوْا فِرارًا عُطَّلَ القياسِ

﴿وفي هذه السنة﴾ عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهريّ عن المدينة ومكة وذلك للنصف من شهر ربيع الاول وكان عامله على المدينة ثلاث سنين ﴿وفيها﴾ ولى يزيد بن عبد الملك المدينة عبد الواحد النضرى

﴿ذكر الخبر عن سبب عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن ابن الضحاك عن المدينة وما كان ولاه من الاعمال﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد بن أبي يحيى قال خطب عبد الرحمن ابن الضحاك بن قيس الفهرى فاطمة ابنة الحسين فقالت والله ما أريد النكاح ولقد قعدت على بنى هؤلاء وجعلت تحاجزه وتكره ان تنابذه لما تخاف منه قال وألحّ عليها وقال والله لئن لم تفعلى لاجلدنّ أكبر بنيك في الخمر يعنى عبد الله بن الحسن فبينا هو كذلك وكان على ديوان المدينة ابن هرمز رجل من أهل الشأم فكتب اليه يزيد ان يرفع حسابه ويدفع الديوان فدخل على فاطمة بنت الحسين يودّعها فقال هل من حاجة فقالت تخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحاك وما يتعرّض منّى قال وبعثت رسولا بكتاب الى يزيد تخبره وتذكر قرابتها ورحمها وتذكر ما ينال ابن الضحاك منها وما يتوعّدها به قال فقدم ابن هرمز والرسول معا قال فدخل ابن هرمز على يزيد فاستخبره عن المدينة وقال هل كان من مغربة خبر فلم يذكر ابن هرمز من شأن ابنة الحسين فقال الحاجب أصلح الله الامير بالباب رسول فاطمة بنت الحسين فقال ابن هرمز أصلح الله الامير انّ فاطمة بنت الحسين يوم خرجت حملتنى رسالة اليك فاخبره الخبر قال فنزل من أعلى فراشه وقال لا أم لك ألم أسألك هل من مغربة خبر وهذا عندك لا تخبرنيه قال فاعتذر بالنسيان قال فأذن للرسول فادخله فأخذ الكتاب فاقترأه قال وجعل يضرب بخيزران في يديه وهو يقول لقد اجترأ ابن الضحاك هل من رجل يسمعنى صوته في العذاب وأنا على فراشى قيل له عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضرىّ قال فدعا بقرطاس فكتب بيده الى عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضرىّ

وهو بالطائف سلام عليك أما بعد فانى قد وليتك المدينة فاذا جاءك كتابى هذا فاهبط واعزل عنها ابن الضحاك وأغرمه أربعين ألف دينار وعذبه حتى أسمع صوته وأنا على فراشى قال وأخذ البريد الكتاب وقدم به المدينة ولم يدخل على ابن الضحاك وقد أوجست نفس ابن الضحاك فارسل الى البريد فكشف له عن طرف المفرش فاذا ألف دينار فقال هذه ألف دينار لك ولك العهد والميثاق لئن أنت أخبرتنى خبر وجهك هذا دفعتها اليك فاخبره فاستنظر البريد ثلاثا حتى يسير ففعل ثم خرج ابن الضحاك فاغذ السير حتى نزل على مسلمة بن عبد الملك فقال أنا فى جوارك فغدا مسلمة على يزيد فرقه وذكر حاجة جاء لها فقال كل حاجة تكلمت فيها هى فى يدك مالم يكن ابن الضحاك فقال هو والله ابن الضحاك فقال والله لا أعفيه أبدا وقد فعل ما فعل قال فرده الى المدينة الى النضرى قال عبد الله بن محمد فرأيته فى المدينة عليه جبة من صوف يسأل الناس وقد عذب ولقى شرا وقدم النضرى يوم السبت للنصف من شوال سنة ١٠٤ ﴿قال﴾ محمد بن عمر حدثنى ابراهيم بن عبد الله بن أبى فروة عن الزهرى قال قلت لعبد الرحمن بن الضحاك انك تقدم على قومك وهم ينكرون كل شئ خالف فعلهم فالزم ما أجمعوا عليه وشاور القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله فانهما لا يألونك رشدا قال الزهرى فلم يأخذ بشئ من ذلك وعادى الانصار طرا وضرب أبا بكر بن حزم ظلما وعدوانا فى باطل فما بقى منهم شاعر الا هجاه ولا صالح الا عابه وأتاه بالقبيح فلما ولى هشام رأيته ذليلا وولى المدينة عبد الواحد بن عبد الله بن بشر فاقام بالمدينة لم يقدم عليهم وال أحب عليهم منه وكان يذهب مذاهب الخير لا يقطع أمرا الا استشار فيه القاسم وسالما ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا الجراح بن عبد الله الحكمى وهو أمير على أرمينية وآذربيجان أرض الترك ففتح على يديه بلنجر وهزم الترك وغرقهم وعامة ذراريهم فى الماء وسبوا ما شاؤا وفتح الحصون التى تلى بلنجر وجلا عامة أهلها ﴿وفيها﴾ ولد فيما ذكر أبو العباس عبد الله بن محمد بن على فى شهر ربيع الآخر ﴿وفيها﴾ دخل أبو محمد الصادق وعدة من أصحابه من خراسان الى محمد بن على وقد ولد أبو العباس قبل ذلك بخمس عشرة ليلة فاخرجه اليهم فى خرقة وقال لهم والله ليتمن هذا الامر حتى تدركوا ثأركم من عدوكم ﴿وفى هذه السنة﴾ عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشى عن خراسان وولاها مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابى

﴿ذكر الخبر عن سبب عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمر الحرشى عن خراسان﴾

ذكر ان سبب ذلك كان من موجدة وجدها عمر على الحرشى فى أمر الديوان وذلك انه كان كتب اليه يأمره بتخليته وقتله وكان يستخف بأمر ابن هبيرة وكان البريد والرسول اذا ورد من العراق قال له كيف أبو المثنى ويقول لكاتبه اكتب الى أبى المثنى ولا يقول الامير ويكثر ان يقول قال أبو المثنى وفعل أبو المثنى فبلغ ذلك ابن هبيرة فدعا جميل بن عمران فقال له بلغنى

أشياء عن الحرشي فاخرج الى خراسان وأظهر انك قدمت تنظر في الدواوين واعلم لي علمه فقدم جميل فقال له الحرشي كيف تركت أبا المثنى فجعل ينظر في الدواوين فقيل للحرشي ما قدم جميل لينظر في الدواوين وما قدم الا ليعلم علمك فسم بطيخة وبعث بها الى جميل فاكلها فمرض وتساقط شعره ورجع الى ابن هبيرة فعولج واستبل وصح فقال لابن هبيرة الأمر أعظم مما بلغك ما يرى سعيد الا انك عامل من عماله فغضب عليه وعزله وعذبه ونفح في بطنه النمل وكان يقول حين عزله لو سألني عمر درهما يضعه في عينه ما أعطيته فلما عذب أدى فقال له رجل ألم تزعم انك لا تعطيه درهما قال لا تعنفني انه لما أصابني الحديد جزعت فقال أذينة بن كليب أو كليب بن أذينة

تصبر أبا يحيى فقد كنت علمنا * صبورا ونهاضا بثقل المغارم

وقال علي بن محمد انما غضب عليه ابن هبيرة انه وجه معقل بن عروة الى هراة إما عاملا واما في غير ذلك من أموره فنزل قبل ان يمر على الحرشي وأتى هراة فلم ينفذ له ما قدم فيه وكتب الى الحرشي فكتب الحرشي الى عامله أن احمل الي معقلا فحمله فقال له الحرشي ما منعك من اتياني قبل ان تأتي هراة قال أنا عامل لابن هبيرة ولاني كما ولاك فضربه مائتين وحلقه فعزله ابن هبيرة واستعمل على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة فكتب الى الحرشي يلحنه فقال له سعيد بل هو ابن اللخناء وكتب الى مسلم أن احمل الى الحرشي مع معقل بن عروة فدفعه اليه فاساء به وضيق عليه ثم أمره يوما فعذبه وقال اقتله بالعذاب فلما أمسى ابن هبيرة سمر فقال من سيد قيس قالوا الامير قال دعوا هذا سيد قيس الكوثر بن زفر لو بوق بليل لوافاه عشرون ألفا لا يقولون لما دعوتنا ولا يسألونه وهذا الحمار الذي في الحبس قد أمرت بقتله فارسها وأما خير قيس لها فعسى ان أكونه انه لم يعرض الى أمر أرى اني أقدر فيه على منفعة وخير الا جررته اليهم فقال له اعرابي من بني فزارة ما أنت كما تقول لو كنت كذلك ما أمرت بقتل فارسها فارسل الى معقل ان كف عما كنت أمرتك به قال علي قال مسلم بن المغيرة لما هرب ابن هبيرة أرسل خالد في طلبه سعيد بن عمر والحرشي فلحقه بموضع من الفرات يقطعه الى الجانب الآخر في سفينة وفي صدر السفينة غلام لابن هبيرة يقال له قبيض فعرفه الحرشي فقال له قبيض قال نعم قال أفي السفينة أبو المثنى قال نعم قال فخرج اليه ابن هبيرة فقال له الحرشي أبا المثنى ما ظننتك بي قال ظني بك انك لا تدفع رجلا من قومك الى رجل من قريش قال هو ذاك قال فالنجا قال علي قال أبو اسحاق بن ربيعة لما حبس ابن هبيرة الحرشي دخل عليه معقل بن عروة القشيري فقال أصلح الله الامير قيدت فارس قيس وفضحته وما أنا براض عنه غيرانى لم أحب ان تبلغ منه ما بلغت قال أنت بيني وبينه قدمت العراق فوليته البصرة ثم وليته خراسان فبعث الى ببرذون حطم واستخف بأمري وخان فعزلته وقلت له

يا ابن نسعة فقال لى يا ابن بسرة فقال معقل وفعل ابن الفاعلة ودخل على الحرشى السجن فقال يا ابن نسعة أمك دخلت واشتريت بثمانين عنزا جربا كانت مع الرعاء ترادفها الرعاء مطية الصادر والوارد تجعلها ندا البنت الحارث بن عمرو بن حرجة وافترى عليه فلما عزل ابن هبيرة وقدم خالد العراق استعدى الحرشى على معقل بن عروة وأقام البينة أنه قذفه فقال للحرشى اجلده فحده وقال لولا ان ابن هبيرة وهن فى عضدى لنقبت عن قلبك فقال رجل من بنى كلاب لمعقل أسأت الى ابن عمك وقذفته فأداله الله منك فصرت لا شهادة لك فى المسلمين وكان معقل حين ضرب الحد قذف الحرشى أيضا فأمر خالد باعادة الحد فقال القاضى لا يحد قال وأم عمر بن هبيرة بسرة بنت حسان عدوية من عدى الرباب ﴿وفى هذه السنة﴾ ولى عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة بن عمرو بن خويلد الصعق خراسان بعد ما عزل سعيد بن عمر والحرشى عنها

﴿ذكر الخبر عن سبب توليته اياها﴾

(ذكر على بن محمد) ان أبا الذيال وعلى بن مجاهد وغيرهما حدثوه قالوا لما قتل سعيد بن أسلم ضم الحجاج ابنه مسلم بن سعيد مع ولده فتأدب ونبل فلما قدم عدى بن أرطاة أراد أن يوليه فشاور كاتبه فقال وله ولاية خفيفة ثم ترفعه فولاه ولاية فقام بها وضبطها وأحسن فلما وقعت فتنة يزيد بن المهلب حمل تلك الاموال الى الشأم فلما قدم عمر بن هبيرة أجمع على أن يوليه ولاية فدعاه ولم يكن شاب بعد فنظر فرأى شيبة فى لحيته فكبر قال ثم سمر ليلة ومسلم فى سمره فتخلف مسلم بعد السمار وفى يد ابن هبيرة سفرجلة فرمى بها وقال أيسرك أن أوليك خراسان قال نعم قال غدوة ان شاء الله قال فلما أصبح جلس ودخل الناس فعقد لمسلم على خراسان وكتب عهده وأمره بالسير وكتب الى عمال الخراج أن يكاتبوا مسلم بن سعيد ودعا بجبلة بن عبد الرحمن مولى باهلة فولاه كرمان فقال جبلة ما صنعت بى المولوية كان مسلم ينبغى يطمع ان ألى ولاية عظيمة فاوليه كورة فعقد له على خراسان وعقد لى على كرمان قال فسار مسلم فقدم خراسان فى آخر سنة ١٠٤ أو ١٠٣ نصف النهار فوافق باب دار الامارة مغلقا فاتى دار الدواب فوجد الباب مغلقا فدخل المسجد فوجد باب المقصورة مغلقا فصلى وخرج وصيف من باب المقصورة فقيل له الامير فمشى بين يديه حتى أدخله مجلس الوالى فى دار الامارة وأعلم الحرشى وقيل له قدم مسلم بن سعيد بن أسلم فارسل اليه أقدمت أميرا أو وزيرا أو زائرا فارسل اليه مثلى لا يقدم خراسان زائرا ولا وزيرا فاتاه الحرشى فشتمه وأمر بحبسه فقيل له ان أخرجته نهارا قتل فامر بحبسه عنده حتى أمسى ثم حبسه ليلا وقيده ثم أمر صاحب السجن أن يزيده قيدا فاتاه حزينا فقال مالك فقال أمرت أن أزيدك قيدا فقال لكاتبه اكتب اليه ان صاحب سجنك ذكر انك أمرته أن يزيدنى قيدا فان كان أمرا من

فوقك

فوقك فسمعا وطاعة وان كان رأيا رأيته فسيرك الحقحقة وتمثل

هُمُ ان يثقفوني يقتلوني * ومن أثقف فليس الى خلود

ويروى

فاما تثقفوني فاقتلوني * فمن أثقف فليس الى خلود

هُمُ الاعداء ان شهدوا وغابوا * أولوا الاحقاد والاكباد سود

أريغوني إراغتكم فاني * وحذقة كالشجا تحت الوريد

*ويروى أريدوني اراداتكم قال وبعث مسلم على كوره رجلا من قبله على حربها قال وكان ابن هبيرة حريصا أحذق مما تاليزيد بن المهلب له علم بخراسان وبأشرافهم فحبسه فلم يدع منهم شريفا الا قرفه فبعث أبا عبيدة العنبري ورجلا يقال له خالد وكتب الى الحرشي وأمره أن يدفع الذين سماهم اليه يستأديهم فلم يفعل فرد رسول ابن هبيرة فلما استعمل ابن هبيرة مسلم بن سعيد أمره بجباية تلك الاموال فلما قدم مسلم أراد أخذ الناس بتلك الاموال التي قرفت عليهم فقيل له ان فعلت هذا بهؤلاء لم يكن لك بخراسان قرار وان لم تعمل في هذا حتى توضع عنهم فسدت عليك وعليهم خراسان لان هؤلاء الذين تريد أن تأخذهم بهذه الاموال أعيان البلد قرفوا بالباطل انما كان على مهزم بن جابر ثلثمائة ألف فزاد وا مائة ألف فصارت أربعمائة ألف وعامة من سمو الك ممن كثر عليه بمنزله فكتب مسلم بذلك الى ابن هبيرة وأوفد وفدا فيهم مهزم بن جابر فقال له مهزم بن جابر أيها الامير ان الذي رفع اليك الظلم والباطل ما علينا من هذا كله لو صدق الا القليل الذي لو أخذنا به أديناه فقال ابن هبيرة ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فقال اقر أما بعدها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل فقال ابن هبيرة لا بد من هذا المال قال أما والله لئن أخذته لتأخذنه من قوم شديدة شوكتهم ونكايتهم في عدوك وليضرن ذلك بأهل خراسان في عدتهم وكراعهم وحلقتهم ونحن في ثغر نكابد فيه عدوا لا ينقضي حربهم ان أحدنا ليلبس الحديد حتى يخلص صدأه الى جلده حتى ان الخادم التي تخدم الرجل لتصرف وجهها عن مولاها وعن الرجل الذي تخدمه لريح الحديد وأنتم في بلادكم متفضلون في الرفاق وفي المعصفرة والذين قرفوا بهذا المال وجوه أهل خراسان وأهل الولايات والكلف العظام في المغازي وقبلنا قوم قدموا علينا من كل فج عميق فجاؤا على الحمرات فولوا الولايات فاقتطعوا الاموال فهي عندهم موفرة جمة فكتب ابن هبيرة الى مسلم بن سعيد بما قال الوفد وكتب اليه أن استخرج هذه الاموال ممن ذكر الوفد أنها عندهم فلما أتى مسلما كتاب ابن هبيرة أخذ أهل العهد بتلك الاموال وأمر حاجب ابن عمرو الحارثي أن يعذبهم ففعل وأخذ منهم ما قرف عليهم ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن

اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وكان العامل على مكة والمدينة والطائف في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري وعلى العراق والمشرق عمر بن هبيرة وعلى قضاء الكوفة حسين بن الحسن الكندي وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى

﴿ ثم دخلت سنة خمس ومائة ﴾

﴿ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث ﴾

فما كان فيها من ذلك غزوة الجراح بن عبد الله الحكمي اللان حتى جاز ذلك الى مدائن وحصون من وراء بلنجر ففتح بعض ذلك وجلى عنه بعض أهله وأصاب غنائم كثيرة ﴿ وفيها ﴾ كانت غزوة سعيد بن عبد الملك أرض الروم فبعث سرية في نحو من ألف مقاتل فاصيبوا فيما ذكر جميعا ﴿ وفيها ﴾ غزا مسلم بن سعيد الترك فلم يفتح شيأ ففقل ثم غزا أفشينة مدينة من مدائن السغد بعد في هذه السنة فصالح ملكها وأهلها

﴿ ذكر الخبر عن ذلك ﴾

(ذكر علي بن محمد) عن أصحابه ان مسلم بن سعيد مرزبهرام سيس فجعله المرزبان وان مسلما غزا في آخر الصيف من سنة ١٠٥ فلم يفتح شيأ وقفل فاتبعه الترك فلحقوه والناس يعبرون نهر بلخ وتميم على الساقة وعبيد الله بن زهير بن حيان على خيل تميم فحاموا عن الناس حتى عبروا وماتت يزيد بن عبد الملك وقام هشام وغزا مسلم أفشين فصالح ملكها على ستة آلاف رأس ودفع اليه القلعة فانصرف لتمام سنة ١٠٥ ﴿ وفي هذه السنة ﴾ مات الخليفة يزيد ابن عبد الملك بن مروان لخمس ليال بقين من شعبان منها حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي (وقال الواقدي) كانت وفاته ببلقاء من أرض دمشق وهو يوم مات ابن ثمان وثلاثين سنة وقال بعضهم كان ابن أربعين سنة وقال بعضهم ابن ست وثلاثين سنة فكانت خلافته في قول أبي معشر وهشام بن محمد وعلي بن محمد أربع سنين وشهرا وفي قول الوقدي أربع سنين وكان يزيد بن عبد الملك يكنى أبا خالد كذلك قال أبو معشر وهشام بن محمد والواقدي وغيرهم وقال علي بن محمد توفي يزيد بن عبد الملك وهو ابن خمس وثلاثين سنة أو أربع وثلاثين سنة في شعبان يوم الجمعة لخمس بقين منه سنة ١٠٥ قال ومات بارد من أرض البلقاء وصلى عليه ابنه الوليد وهو ابن خمس عشرة سنة وهشام بن عبد الملك يومئذ بحمص حدثني بذلك عمر بن شبة عن علي (وقال هشام بن محمد) توفي يزيد بن عبد الملك وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة (قال علي) قال أبو ماوية أو غيره من اليهود ليزيد بن عبد الملك انك تملك أربعين سنة فقال رجل من اليهود كذب لعنه الله انما رأى انه يملك أربعين قصبة والقصبة شهر فجعل الشهر سنة

﴿ذكر بعض سيره وأموره﴾

حدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي قال كان يزيد بن عاتكة من فتيانهم فقال يوما وقد طرب وعنده حبابة وسلامة دعوني أطير فقالت حبابة الى من تدع الامة فلما مات قالت سلامة القس

لا تلمنا ان خشعنا * أو همهمنا بالخشوع
قد لعمري بت ليلي * كأخي الداء الوجيع
ثم بات الهم مني * دون من لي من ضجيع
للذي حل بنا اليو * م من الأمر الفظيع
كلما أبصرت ربعا * خاليا فاضت دموعي
قد خلا من سيدكا * ن لنا غير مضيع

ثم نادت واأمير المؤمنيناه والشعر لبعض الانصار (قال علي) حج يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان بن عبد الملك فاشترى حبابة وكان اسمها العالية باربعة آلاف دينار من عثمان بن سهل ابن حنيف فقال سليمان هممت أن أحجر على يزيد فرد يزيد حبابة فاشتراها رجل من أهل مصر فقالت سعدة ليزيد ياأمير المؤمنين هل بقي من الدنيا شيء تتمناه بعد قال نعم حبابة فارسلت سعدة رجلا فاشتراها باربعة آلاف دينار فصنعتها حتى ذهب عنها كلال السفر فأتت بها يزيد فاجلستها من وراء الستر فقالت ياأمير المؤمنين أبقي شيء من الدنيا تتمناه قال ألم تسأليني عن هذا مرة فاعلمتك فرفعت الستر وقالت هذه حبابة وقامت وخلتها عنده فحظيت سعدة عند يزيد وأكرمها وحباها وسعدة امرأة يزيد وهي من آل عثمان بن عفان (قال علي) عن يونس بن حبيب ان حبابة جارية يزيد بن عبد الملك غنت يوما

بين التراقي واللهاة حرارة * ما تطمئن وما تسوغ فتبرد

فأهوى ليطير فقالت ياأمير المؤمنين ان لنا فيك حاجة فرضت وثقلت فقال كيف أنت ياحبابة فلم تجبه فبكا وقال

لئن تسل عنك النفس أو تذهل الهوى * فبالبأس يسلو القلب لا بالتجلد

وسمع جارية لها تتمثل

كفى حزنا بالهائم الصب أن يرى * منازل من يهوى معطلة قفرا

فكان يتمثل بهذا (قال عمر) قال علي مكث يزيد بن عبد الملك بعد موت حبابة سبعة أيام لا يخرج الى الناس أشار عليه بذلك مسلمة وخاف أن يظهر منه شيء يسفهه عند الناس

﴿خلافة هشام بن عبد الملك﴾

﴿وفي هذه السنة﴾ استخلف هشام بن عبد الملك لليال بقين من شعبان منها وهو يوم استخلف

ابن أربع وثلاثين سنة وأشهر ۞ حدثني عمر بن شبة قال حدثني علي قال حدثنا أبو محمد القرشي وأبو محمد الزيادي والمنهال بن عبد الملك وسحيم بن حفص العجيفي قالوا ولد هشام بن عبد الملك عام قتل مصعب بن الزبير سنة ٧٢ وأمه عائشة بنت هشام ابن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت حمقاء أمرها أهلها أن لا تكلم عبد الملك حتى تلد وكانت تثني الوسائد وتركب الوسادة وتزجرها كأنها دابة وتشتري الكندر فتقضغه وتعمل منه تماثيل وتضع التماثيل على الوسائد وقد سمت كل تمثال باسم جارية وتنادي يا فلانة ويا فلانة فطلقها عبد الملك لحمقها وسار عبد الملك الى مصعب فقتله فلما قتله بلغه مولد هشام فسماه منصورا يتفاءل بذلك وسمته أمه باسم أبيها هشام فلم ينكر ذلك عبد الملك وكان هشام يكنى أبا الوليد * وذكر محمد بن عمر عمن حدثه أن الخلافة أتت هشاما وهو بالزيتونة في منزله في دويرة له هناك (قال محمد بن عمر) وقد رأيتها صغيرة فجاءه البريد بالعصا والخاتم وسلم عليه بالخلافة فركب هشام من الرصافة حتى أتى دمشق ﴿وفي هذه السنة﴾ قدم بكير بن ماهان من السند وكان بها مع الجنيد بن عبد الرحمن ترجمانا له فلما عزل الجنيد بن عبد الرحمن قدم الكوفة ومعه أربع لبنات من فضة ولبنة من ذهب فلقي أبا عكرمة الصادق وميسرة ومحمد بن خنيس وسالما الأعين وأبا يحيى مولى بني سلمة فذكر والله أمر دعوة بني هاشم فقبل ذلك ورضيه وأنفق ما معه عليهم ودخل الى محمد ابن علي ومات ميسرة فوجه محمد بن علي بكير بن ماهان الى العراق مكان ميسرة فأقامه مقامه ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة ابراهيم بن هشام بن اسماعيل والنضري على المدينة قال الواقدي حدثني ابراهيم بن محمد بن شرحبيل عن أبيه قال كان ابراهيم بن هشام بن اسماعيل حج فأرسل الى عطاء بن رباح متى أخطب بمكة قال بعد الظهر قبل التروية بيوم فخطب قبل الظهر وقال أمرني رسولي بهذا عن عطاء فقال عطاء ما أمرته الا بعد الظهر قال فاستحيى ابراهيم بن هشام يومئذ وعدوه منه جهلا ﴿وفي هذه السنة﴾ عزل هشام بن عبد الملك عمر بن هبيرة عن العراق وما كان اليه من عمل المشرق وولى ذلك كله خالد بن عبد الله القسري في شوال * ذكر محمد بن سلام الجمحي عن عبد القاهر بن السري عن عمر بن يزيد بن عمير الأسيدي قال دخلت على هشام بن عبد الملك وعنده خالد بن عبد الله القسري وهو يذكر طاعة أهل اليمن قال فصفقت تصفيقة بيدي دق الهواء منها فقلت تالله ما رأيت هكذا خطأ ولا مثله خطلا والله ما فتحت فتنة في الاسلام الا بأهل اليمن هم قتلوا أمير المؤمنين عثمان وهم خلعوا أمير المؤمنين عبد الملك وان سيوفنا لتقطر من دماء آل المهلب قال فلما قمت تبعني رجل من آل مروان كان حاضرا فقال يا أخا بني تميم ورت بك زنادي قد سمعت مقالتك وأمير المؤمنين مولع خالدا العراق وليست لك بدار * ذكر

عبد

عبد الرزاق ان حماد بن سعيد الصنعانيّ قال أخبرني زياد بن عبيد الله قال أتيت الشأم فافترضت فبينا أنا يوماً على الباب باب هشام اذ خرج عليّ رجل من عند هشام فقال لي ممن أنت يافتى قلت يمانٍ قال فمن أنت قلت زياد بن عبيد الله بن عبد المدان قال فتبسم وقال قم الى ناحية العسكر فقل لأصحابي ترتحلوا فان أمير المؤمنين قد رضي عني وأمرني بالمسير وكل بي من يخرجني قال قلت من أنت يرحمك الله قال خالد بن عبد الله القسريّ قال وأمرهم يافتى أن يعطوك منديل ثيابي وبرذوني الاصفر فلما جزت قليلا نادا ني فقال يافتى وان سمعت بي قد وليت العراق يوما فالحق بي قال فذهبت اليهم فقلت ان الأمير قد أرسلني اليكم بأن أمير المؤمنين قد رضي عنه وأمره بالمسير فجعل هذا يحتضنني وهذا يقبل رأسي فلما رأيت ذلك منهم قلت وقد أمرني أن تعطوني منديل ثيابه وبرذونه الاصفر قالوا اى والله وكرامة قال فاعطوني منديل ثيابه وبرذونه الاصفر فأمسى بالعسكر أحد أجود ثيابا مني ولا أجود مركبا مني فلم ألبث الا يسيرا حتى قيل قد ولي خالد العراق فركبني من ذلك همّ فقال لي عريف لنا مالي أراك مهموماً قلت أجل قد ولي خالد كذا وكذا وقد أصبت ههنا رزيقا عشت به وأخشى أن أذهب اليه فيتغيّر عليّ فيفوتني ههنا وههنا فلست أدري كيف أصنع فقال لي هل لك في خصلة قلت وما هي قال توكلني بأرزاقك وتخرج فان أصبت ما تحبّ فلي أرزاقك والا رجعت فدفعتها اليك فقلت نعم وخرجت فلما قدمت الكوفة لبست من صالح ثيابي وأذن للناس فتركتهم حتى أخذوا مجالسهم ثم دخلت فقمت بالباب فسلمت ودعوت وأثنيت فرفع رأسه فقال أحسنت بالرُّحب والسعة فما رجعت الى منزلي حتى أصبت ستمائة دينار بين نقد وعرض ثم كنت أختلف اليه فقال لي يوما هل تكتب يازياد فقلت أقرأ ولا أكتب أصلح الله الامير فضرب بيده على جبينه وقال انا لله وانا اليه راجعون سقط منك تسعة أعشار ما كنت أريده منك وبقي لك واحدة فيها غنى الدهر قال قلت أيها الأمير هل في تلك الواحدة ثمن غلام قال وماذا حينئذ قلت تشتري غلاما كاتبا تبعث به اليّ فيعلمني قال هيهات كبرت عن ذلك قال قلت كلا فاشترى غلاما كاتبا حاسبا بستين دينارا فبعث به اليّ فاكببت على الكتاب وجعلت لا آتيه الا ليلا فما مضت الا خمس عشرة ليلة حتى كتبت ما شئت وقرأت ما شئت قال فاني عنده ليلة اذ قال ما أدري هل أنجحت من ذلك الامر شيأ قلت نعم أكتب ما شئت وأقرأ ما شئت قال انى أراك ظفرت منه بشيء يسير فأعجبك قلت كلا فرفع شادكونه فاذا طومار فقال اقرأ هذا الطومار فقرأت ما بين طرفيه فاذا هو من عامله على الري فقال أخرج فقد وليتك عمله فخرجت حتى قدمت الري فأخذت عامل الخراج فأرسل اليّ ان هذا اعرابيّ مجنون فإن الامير لم يولّ على الخراج عربيا قطّ وانما هو عامل المعونة فقل له فليقرّني على عملي وله

ثلثمائة ألف قال فنظرت فى عهدى فاذا أنا على المعونة فقلت والله لا انكسرت ثم كتبت الى خالد انك بعثتنى على الرى فظننت أنك جمعتها لى فأرسل الى صاحب الخراج أن أقره على عمله و يعطينى ثلثمائة ألف درهم فكتب الى أن اقبل ما أعطاك واعلم أنك مغبون فأقمت بها ما أقمت ثم كتبت أنى قد اشتقت اليك فارفعنى اليك ففعل فلما قدمت عليه ولانى الشرطة * وكان العامل فى هذه السنة على المدينة ومكة والطائف عبد الواحد بن عبد الله النضرى وعلى قضاء الكوفة حسين بن حسن الكندى وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس وقد قيل ان هشاما انما استعمل خالد بن عبد الله القسرى على العراق وخراسان فى سنة ١٠٦ وان عامله على العراق وخراسان فى سنة ١٠٥ كان عمر بن هبيرة

﴿ ثم دخلت سنة ست ومائة ﴾

﴿ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث ﴾

﴿ ففى هذه السنة ﴾ عزل هشام بن عبد الملك عن المدينة عبد الواحد بن عبد الله النضرى وعن مكة والطائف وولى ذلك كله خاله ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومى فقدم المدينة يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من جمادى الآخرة سنة ١٠٦ فكانت ولاية النضرى على المدينة سنة وثمانية أشهر ﴿ وفيها ﴾ غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة ﴿ وفيها ﴾ غزا الحجاج بن عبد الملك اللان فصالح أهلها وأدوا الجزية ﴿ وفيها ﴾ ولد عبد الصمد بن على فى رجب ﴿ وفيها ﴾ مات الامام طاؤوس مولى بحير بن ريسان الحميرى بمكة وسالم بن عبد الله ابن عمر فصلى عليهما هشام وكان موت طاووس بمكة وموت سالم بالمدينة حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى عبد الحكيم بن عبد الله بن أبى فروة قال مات سالم بن عبد الله سنة ١٠٥ فى عقب ذى الحجة فصلى عليه هشام بن عبد الملك بالبقيع فرأيت القاسم بن محمد بن أبى بكر جالسا عند القبر وقد أقبل هشام ما عليه الا درّاعة فوقف على القاسم فسلم عليه فقام اليه القاسم فسأله هشام كيف أنت يا أبا محمد كيف حالك قال بخير قال انى أحب والله أن يجعلكم بخير ورأى فى الناس كثرة فضرب عليهم بعث أربعة آلاف فسمى عام الاربعة آلاف ﴿ وفيها ﴾ استقضى ابراهيم بن هشام محمد بن صفوان الجمحى ثم عزله واستقضى الصلت الكندى ﴿ وفى هذه السنة ﴾ كانت الوقعة التى كانت بين المضرية واليمانية وربيعة بالبرّوقان من أرض بلخ

﴿ ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة ﴾

وكان سبب ذلك فيما قيل ان مسلم بن سعيد غزا فقطع النهر وتباطأ الناس عنه وكان ممن تباطأ عنه البخترى بن درهم فلما أتى النهر رد نصر بن سيار وسليم بن سليمان بن عبد الله بن خازم وبلعاء بن مجاهد بن بلعاء العنبرى وأبا حفص بن وائل الحنظلى وعقبة بن شهاب المازنى

وسالم بن ذؤابة الى بلخ وعليهم جميعا نصر بن سيار وأمرهم أن يخرجوا الناس اليه فاحرق نصر باب البختري وزياد بن ظريف الباهلي فمنعهم عمر و بن مسلم من دخول بلخ وكان عليها وقطع مسلم بن سعيد النهر فنزل نصر البر وقان فأتاه أهل صغانيان وأتاه مسلمة العُقفاني من بني تميم وحسان بن خالد الاسدي كل واحد منهما في خمسمائة وأتاه سنان الاعرابي وزُرعة بن علقمة وسلمة بن أوس والحجاج بن هارون النمري في أهل بيته وتجمعت بكر والازد بالبُر وقان رأسهم البختري وعسكر بالبر وقان على نصف فرسخ منهم فأرسل نصر الى أهل بلخ قد أخذتم أعطياتكم فالحقوا بأميركم فقد قطع النهر فخرجت مضر الى نصر وخرجت ربيعة والازد الى عمر و بن مسلم وقال قوم من ربيعة ان مسلم بن سعيد يريد أن يخلع فهو يكره هنا على الخروج فأرسلت تغلب الى عمرو بن مسلم انك منا وأنشدوه شعرا قاله رجل عزا باهلة الى تغلب وكان بنو قتيبة من باهلة فقالوا انا من تغلب فكرهت بكر أن يكونوا في تغلب فتكثر تغلب فقال رجل منهم

زَعمتْ قتيبةُ أنها من وائلٍ * نسبٌ بعيدٌ يا قتيبةُ فاصعَدي

وذكر ان بني مَعن من الازد يُدعَون باهلة * وذكر عن شريك بن أبي قيلة المعنى ان عمر و بن مسلم كان يقف على مجالس بني معن فيقول لئن لم نكن منكم ما نحن بعرب وقال عمر و بن مسلم حين عزاه التغلبي الى بني تغلب أما القرابة فلا أعرفها وأما المنع فاني سأمنعكم فسفر الضحاك بن مزاحم و يزيد بن المفضل الحدّاني وكلما نصروا وناشداه فانصرف فحمل أصحاب عمر و بن مسلم والبختري على نصر ونادوا يال بكر وجالوا وكرّ نصر عليهم فكان أوّل قتيل رجل من باهلة ومع عمر و بن مسلم البختري وزياد بن طريف الباهلي فقتل من أصحاب عمر و بن مسلم في المعركة ثمانية عشر رجلا وقتل كردان أخو الفُرافصة ومسعَدة ورجل من بكر بن وائل يقال له اسحاق سوى من قتل في السكك وانهزم عمر و بن مسلم الى القصر وأرسل الى نصر ابعث الى بلعاء بن مجاهد فأتاه بلعاء فقال خذلي أمانا منه فآمنه نصر وقال لولا اني أشمت بك بكر بن وائل لقتلتك * وقيل أصابوا عمر و بن مسلم في طاحونة فأتوا به نصرا في عنقه حبل فآمنه نصر وقال له ولزياد بن طريف والبختري ابن دِرهم الحقوا بأميركم * وقيل بل التقى نصر وعمر و بالبر وقان فقتل من بكر بن وائل واليمن ثلاثون فقالت بكر علام نقاتل اخواننا وأمراءنا وقد تقرّبنا الى هذا الرجل فأنكر قرابتنا فاعتزلوا وقاتلت الازد ثم انهزموا ودخلوا حصنا فحصرهم نصر ثم أخذ عمر و بن مسلم والبختري أحد بني عبّاد وزياد بن طريف الباهلي فضربهم نصر مائة مائة وحلق رؤسهم ولحاهم وألبسهم المسوح وقيل أخذ البختري في غيضة كان دخلها فقال نصر في يوم البر وقان

أرَى العينَ لجّت في ابتدارِ وما الذي * يَرُدُّ عليها بالدموعِ ابتدارُها

فما أنا بالوانى إذا الحرب شمرت * تحرق فى شطر الحميسين نارها
ولكننى أدعولها خندفية * تطلع بالعبء الثقيل فقارها
وما حفظت بكر هنالك حلفها * فصار عليها عار قيس وعارها
فإن تك بكر بالعراق تنزرت * ففى أرض مرو علها وازورارها
وقد جربت يوم البروقان وقعة * لخندف إذ حانت وآن بوارها
أتتنى لقيس فى بجيلة وقعة * وقد كان قبل اليوم طال انتظارها

يعنى حين أخذ يوسف بن عمر خالدا وعياله * وذكر على بن محمد أن الوليد بن مسلم قال قائل عمرو بن مسلم نصر بن سيار فهزمه عمرو فقال لرجل من بنى تميم كان معه كيف ترى أستاه قومك يا أخا بنى تميم بعيره بهزيمتهم ثم كرت تميم فهزموا أصحاب عمرو فانجلى الرهج وبلغه أن مجاهد فى جمع من بنى تميم بشلهم فقال التميمى لعمرو هذه أستاه قومى قال وانهزم عمرو فقال بلغاء لاصحابه لا تقتلوا الاسرى ولكن جردوهم وجوبوا سراويلاتهم عن أدبارهم ففعلوا فقال بيان العنبرى يذكر حربهم بالبروقان

أتانى ورحلى بالمدينة وقعة * لآل تميم أرجفت كل مرجف
تظل عيون البرش بكر بن وائل * اذا ذكرت قتلى البروقان تذرف
هم أسلموا للموت عمرو بن مسلم * وولوا شلالا والاسنة ترعف
وكانت من الفتيان فى الحرب عادة * ولم يصبروا عند القنا المتقصف

﴿ وفى هذه السنة ﴾ غزا مسلم بن سعيد الترك فورد عليه عزله من خراسان من خالد بن عبد الله وقد قطع النهر لحربهم وولاية أسد بن عبد الله عليها

﴿ ذكر الخبر عن غزوة مسلم بن سعيد هذه الغزوة ﴾

* ذكر على بن محمد عن أشياخه ان مسلما غزا فى هذه السنة فخطب الناس فى ميدان يزيد وقال ما أخلف بعدى شيأ أهم عندى من قوم يتخلفون بعدى مخلق الرقاب يتوائبون الجدران على نساء المجاهدين اللهم افعل بهم وافعل وقد أمرت نصرا ألا يجد متخلفا الا قتله وما أرى لهم من عذاب ينزله الله بهم يعنى عمرو بن مسلم وأصحابه فلما صار ببخارى أتاه كتاب من خالد بن عبد الله القسرى بولايته على العراق وكتب اليه اتم غزاتك فسار الى فرغانة فقال أبو الضحاك الرواحى أحد بنى رواحة من بنى عبس وعداده فى الازد وكان ينظر فى الحساب ليس على متخلف العام معصية فتخلف أربعة آلاف وسار مسلم بن سعيد فلما صار بفرغانة بلغه أن خاقان قد أقبل اليه وأتاه شميل أو شبيل بن عبد الرحمن المازنى فقال عاينت عسكر خاقان فى موضع كذا وكذا فأرسل الى عبد الله بن أبى عبد الله الكرمانى

مولى بنى سليم فأمره بالاستعداد للمسير فلما أصبح ارتحل بالعسكر فسار ثلاث مراحل فى يوم ثم سار من غد حتى قطع وادى السبوح فأقبل اليهم خاقان وتوافت اليه الخيل فأنزل عبد الله بن أبى عبد الله قوما من العرفاء والموالى فأغار الترك على الذين أنزلهم عبد الله ذلك الموضع فقتلوهم وأصابوا دواب لمسلم وقتل المسيب بن بشر الرياحى وقتل البراء وكان من فرسان المهلب وقتل أخو غوزك وثار الناس فى وجوههم فأخرجوهم من العسكر ودفع مسلم لواءه الى عامر بن مالك الحمانى ورحل بالناس فسار ثمانية أيام وهم مطيفون بهم فلما كانت الليلة التاسعة أراد النزول فشاور الناس فأشاروا عليه بالنزول وقالوا اذا أصبحنا وردنا الماء والماء مناغير بعيد وانك ان نزلت المرج تفرق الناس فى الثمار وانتهب عسكرك فقال لسورة بن الحر يا أبا العلاء ما ترى قال أرى ما رأى الناس ونزلوا قال ولم يرفع بناء فى العسكر وأحرق الناس ما ثقل من الآنية والامتعة فحرقوا قيمة ألف ألف وأصبح الناس فسار وا فوردوا الماء فاذا دون النهر أهل فرغانة والشاش فقال مسلم بن سعيد أعزم على كل رجل الا اخترط سيفه ففعلوا فصارت الدنيا كلها سيوفا فتركوا الماء وعبروا فأقاموا يوما ثم قطع من غد وأتبعهم ابن خاقان قال فأرسل حميد بن عبد الله وهو على الساقة الى مسلم قف ساعة فان خلفى مائتى رجل من الترك حتى أقاتلهم وهو مثقل جراحة فوقف الناس فعطف على الترك فأسر أهل السغد وقائدهم وقائد الترك فى سبعة وانصرف البقية ومضى حميد ورمى بنشابة فى ركبته فمات وعطش الناس وقد كان عبد الرحمن بن نعيم العامرى حمل عشرين قربة على ابله فلما رأى جهد الناس أخرجها فشربوا جرعا واستسقى يوم العطش مسلم بن سعيد فأتوه بإناء فأخذه جابر أو حارثة بن كثير أخو سليمان بن كثير من فيه فقال مسلم دعوه فما نازعنى شربى الا من حر دخله فأتوا خجندة وقد أصابتهم مجاعة وجهد فانتشر الناس فاذا فارسان يسألان عن عبد الرحمن بن نعيم فأتياه بعهده على خراسان من أسد بن عبد الله فأقرأه عبد الرحمن مسلما فقال سمعا وطاعة قال وكان عبد الرحمن أول من اتخذ الخيام فى مفازة آمل قال وكان أعظم الناس غنى يوم العطش اسحاق بن محمد العدانى فقال حاجب الفيل لثابت قطنة وهو ثابت بن كعب

تقضى الأمور وبكر غير شاهدها * بين المجاذيف والسكان مشغول

ما يعرف الناس منه غير قطنته * وما سواها من الآباء مجهول

وكان لعبد الرحمن بن نعيم من الولد نعيم وشديد وعبد السلام وابراهيم والمقداد وكان أشدهم نعيم وشديد فلما عزل مسلم بن سعيد قال الخزرج التغلبى قاتلنا الترك فأعطوا المسلمين حتى أيقنوا بالهلاك فنظرت اليهم وقد اصفرت وجوههم فحمل حوثرة بن يزيد بن الحر ابن الحنيف بن نصر بن يزيد بن جعونة على الترك فى أربعة آلاف فقاتلهم ساعة ثم رجع

وأقبل نصر بن سيار فى ثلاثين فارسا فقاتلهم حتى أزالهم عن مواضعهم وحمل الناس عليهم فانهزم الترك قال وحوثرة هذا هو ابن أخى رقبة بن الحر قال وكان عمر بن هبيرة قال لمسلم ابن سعيد حين ولاه خراسان ليكن حاجبك من صالح مواليك فانه لسانك والمعبر عنك وحث صاحب شرطتك على الامانة وعليك بعمال العذر قال وما عمال العذر قال مر أهل كل بلد أن يختاروا لانفسهم فاذا اختاروا رجلا فوله فان كان خيرا كان لك وان كان شرا كان لهم دونك وكنت معذورا قال وكان مسلم بن سعيد كتب الى ابن هبيرة أن يوجه اليه توبة بن أبى أسيد مولى بنى العنبر فكتب ابن هبيرة الى عامله بالبصرة أحمل الى توبة ابن أبى أسيد فحمله فقدم وكان رجلا جميلا جهيرا له سمت فلما دخل على ابن هبيرة قال ابن هبيرة مثل هذا فليول ووجه به الى مسلم فقال له مسلم هذا خاتمى فاعمل برأيك فلم يزل معه حتى قدم أسد بن عبد الله فأراد توبة أن يشخص مع مسلم فقال له أسد أقم معى فأنا أحوج اليك من مسلم فأقام معه فأحسن الى الناس وألان جانبه وأحسن الى الجند وأعطاهم أرزاقهم فقال له أسد حلفهم بالطلاق ولا يتخلف أحد عن مغزاه ولا يدخل بديلا فأبى ذلك توبة فلم يحلفهم بالطلاق قال وكان الناس بعد توبة يحلفون الجند بتلك الايمان فلما قدم عاصم بن عبد الله أراد أن يحلف الناس بالطلاق فأبوا وقالوا نحلف بأيمان توبة قال فهم يعرفون ذلك يقولون أيمان توبة ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة هشام بن عبد الملك حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وغيره لا خلاف بينهم فى ذلك قال الواقدى حدثنى ابن أبى الزناد عن أبيه قال كتب الى هشام بن عبد الملك قبل أن يدخل المدينة ان اكتب لى سنن الحج فكتبتها له وتلقاه أبو الزناد قال أبو الزناد فانى يومئذ فى الموكب خلفه وقد لقيه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان وهشام يسير فنزل له فسلم عليه ثم سار الى جنبه فصاح هشام أبو الزناد فتقدمت فسرت الى جنبه الآخر فأسمع سعيدا يقول يا أمير المؤمنين ان الله لم يزل ينعم على أهل بيت أمير المؤمنين وينصر خليفته المظلوم ولم يزالوا يلعنون فى هذه المواطن الصالحة أبا تراب فأمير المؤمنين ينبغى له أن يلعنه فى هذه المواطن الصالحة قال فشق على هشام وثقل عليه كلامه ثم قال ما قدمنا لشتم أحد ولا للعنه قدمنا حجاجا ثم قطع كلامه وأقبل على فقال يا عبد الله ابن ذكوان فرغت مما كتبت اليك فقلت نعم فقال أبو الزناد وثقل على سعيد ما حضرته يتكلم به عند هشام فرأيته منكسرا كما رأيته ﴿وفى هذه السنة﴾ كلم ابراهيم بن محمد ابن طلحة هشام بن عبد الملك وهشام واقف قد صلى فى الحجر فقال له أسألك بالله وبحرمة هذا البيت والبلد الذى خرجت معظما لحقه الا رددت على ظلامتى قال أى ظلامة قال دارى قال فأين كنت عن أمير المؤمنين عبد الملك قال ظلمنى والله قال فعن الوليد بن

عبد

عبد الملك قال ظلمني والله قال فمن سليمان قال ظلمني قال فمن عمر بن عبد العزيز قال يرحمه الله ردّها والله عليّ قال فمن يزيد بن عبد الملك قال ظلمني والله هو قبضها مني بعد قبضي لها وهي في يديك قال هشام أما والله لو كان فيك ضربٌ لضربتك فقال ابراهيم في والله ضرب بالسيف والسوط فانصرف هشام والأبرش خلفه فقال أبا مجاشع كيف سمعت هذا اللسان قال ما أجود هذا اللسان * قال هذه قريش وألسنتها ولا يزال في الناس بقايا ما رأيت مثل هذا ﴿وفي هذه السنة﴾ قدم خالد بن عبد الله القسري أميرا على العراق ﴿وفيها﴾ استعمل خالد أخاه أسد بن عبد الله أميرا على خراسان فقدمها ومسلم بن سعيد غازٍ بفرغانة فذكر عن أسد انه لما أتى النهر ليقطع منعه الاشهب بن عبيد التميمي أحد بني غالب وكان على السفن بالمَرْمل فقال له أسد اقطعني فقال لا سبيل الى إقطاعك لاني نهيت عن ذلك قال لاطفوه وأطمعوه فأبى قال فاني الامير ففعل فقال أسد أعرفوا هذا حتى نشركه في أماناتنا فقطع النهر فأتى السغد فنزل مرجها وعلى خراج سمرقند هانئ بن هانئ فخرج في الناس يتلقى أسدا فأتوه بالمرج وهو جالس على حجر فتفاءل الناس فقالوا أسد على حجر ما عند هذا خير فقال له هانئ أقدمت أميرا فتفعل بك ما نفعل بالامراء قال نعم قدمت أميرا ثم دعا بالغداء فتغدّى بالمرج وقال من ينشط بالمسير وله أربعة عشر درهما ويقال قال ثلاثة عشر درهما وهاهي في كمّي وانه ليبكي ويقول انما أنا رجل مثلكم وركب فدخل سمرقند وبعث رجلين معهما عهد عبد الرحمن بن نعيم على الجند فقدم الرجلان على عبد الرحمن بن نعيم وهو في وادي افشين على الساقة وكانت الساقة على أهل سمرقند الموالي وأهل الكوفة فسألا عن عبد الرحمن فقالوا هو في الساقة فأتياه بعهده وكتاب بالقفل والاذن لهم فيه فقرأ الكتاب ثم أتى به مسلما وبعهده فقال مسلم سمعا وطاعة فقام عمرو بن هلال السدوسي ويقال التيمي فقنعه سوطين لما كان منه بالبر وقال الى بكر بن وائل وشتمه حسين بن عثمان بن بشر بن المحتفز فغضب عبد الرحمن بن نعيم فزجرهما ثم أغلظ لهما وأمر بهما فدفعا وقفل بالناس وشخص معه مسلم * فذكر عليّ بن محمد عن أصحابه انهم قدموا على أسد وهو بسمرقند فشخص أسد الى مرو وعزل هانئا واستعمل على سمرقند الحسن بن أبي العَمَرَّطة الكندي من ولد آكل المرار قال فقدمت على الحسن امرأته الجنوب ابنة القعقاع بن الاعلم رأس الازد ويعقوب بن القعقاع قاضي خراسان فخرج يتلقاها وغزاهم الترك فقيل له هؤلاء الترك قد أتوك وكانوا سبعة آلاف فقال ما أتونا بل أتيناهم وغلبناهم على بلادهم واستعبدناهم وايم الله مع هذا لأدينكم منهم ولأقرنّ نواصي خيلكم بنواصي خيلهم قال ثم خرج فتباطأ حتى أغاروا وانصرفوا فقال الناس خرج الى امرأته يتلقاها مسرعا وخرج الى العدو متباطئا فبلغه فخطبهم فقال تقولون

وتعيبون اللهم اقطع آثارهم وعجل أقدارهم وأنزل بهم الضرا وارفع عنهم السرا فشتمه الناس فى أنفسهم وكان خليفته حين خرج الى الترك ثابت قطنة فخطب الناس فحصر فقال من يُطع الله ورسوله فقد ضل وارتج عليه فلم ينطق بكلمة فلما نزل عن المنبر قال

إن لم أكن فيكم خطيبا فإننى * بسيفى اذا جد الوغى لخطيبُ

فقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت خطيبا فقال حاجب الفيل البشكرى يعيره حصره

أبا العلاء لقد لاقيت معضلة * يوم العروبة من كرب وتخنيق
تلوى اللسان إذا رمت الكلام به * كما هوى زلق من شاهق النيق
لما رمتك عيون الناس ضاحية * أنشأت تجرض لما قت بالريق
أما القران فلا تهدى لمحكمة * من القران ولا تهدى لتوفيق

﴿وفي هذه السنة﴾ ولد عبد الصمد بن على فى رجب وكان العامل على المدينة ومكة والطائف فى هذه السنة ابراهيم بن هشام المخزومى وعلى العراق وخراسان خالد بن عبد الله القسرى وعامل خالد على صلاة البصرة عقبة بن عبد الأعلى وعلى شرطتها مالك بن المنذر ابن الجارود وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله بن أنس وعلى خراسان أسد بن عبد الله

﴿ثم دخلت سنة سبع ومائة﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

فمن ذلك ما كان من خروج عباد الرعينى باليمن محكما فقتله يوسف بن عمر وقتل معه أصحابه كلهم وكانوا ثلثمائة ﴿وفيها﴾ غزا الصائفة معاوية بن هشام وعلى جيش الشأم ميمون ابن مهران فقطع البحر حتى عبر الى قبرس وخرج معهم البعث الذى كان هشام أمر به فى سنة ٦ فقدموا فى سنة ٧ على الجعائل غزا منهم نصفهم وأقام النصف وغزا البر مسلمة ابن عبد الملك ﴿وفيها﴾ وقع بالشأم طاعون شديد ﴿وفيها﴾ وجه بكير بن ماهان أبا عكرمة وأبا محمد الصادق ومحمد بن خنيس وعمار العبادى فى عدة من شيعتهم معهم زياد خال الوليد الازرق دعاة الى خراسان فجاء رجل من كندة الى أسد بن عبد الله فوشى بهم اليه فأتى بأبى عكرمة ومحمد بن خنيس وعامة أصحابه ونجا عمار فقطع أسد أيدى من ظفر به منهم وأرجلهم وصلبهم فأقبل عمار الى بكير بن ماهان فاخبره الخبر فكتب به الى محمد بن على فأجابه الحمد لله الذى صدق مقالتكم ودعوتكم وقد بقيت منكم قتلى ستقتل ﴿وفى هذه السنة﴾ حمل مسلم بن سعيد الى خالد بن عبد الله وكان أسد بن عبد الله له مكرما بخراسان لم يعرض له ولم يحبسه فقدم مسلم وابن هبيرة مجمع على الهرب فنهاه عن ذلك مسلم وقال له ان القوم فينا أحسن رأيا منكم فيهم ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا أسد جبال نمرون

ملك الغرشستان مما يلي جبال الطالقان فصالحه نمرون وأسلم على يديه فهم اليوم يتولون اليمن ﴿وفيها﴾ غزا أسد الغور وهي جبال هراة

﴿ذكر الخبر عن غزوة أسد هذه الغزوة﴾

* ذكر علي بن محمد عن أشياخه أن أسدا غزا الغور فعمد أهلها الى أثقالهم فصيروها في كهف ليس اليه طريق فأمر أسد باتخاذ توابيت ووضع فيها الرجال ودلاها بالسلاسل فاستخرجوا ما قدروا عليه فقال ثابت قطنة

أرى أسدا تضمن مفظعات * تهيبها الملوك ذوو الحجاب
سما بالخيل في أكناف مرو * وتوفزهن بين هلا وهاب
الى غورين حيث حوى أزب * وصك بالسيوف وبالحراب
هداها الله بالقتلى تراها * مصلبة بأفواه الشعاب
ملاحم لم تدع لسراة كلب * مهاترة ولا لبني كلاب
فأوردها النهاب وآب منها * بأفضل ما يصاب من النهاب
وكان إذا أناخ بدار قوم * أراها المخزيات من العذاب
ألم يزر الجبال جبال ملع * ترى من دونها قطع السحاب
بأرعن لم يدع لهم شريدا * وعاقبها الممض من العقاب

وملع من جبال خوط فيها تعمل الحزم الملعية ﴿وفي هذه السنة﴾ نقل أسد من كان بالبروقان من الجند الى بلخ فأقطع كل من كان له بالبروقان مسكن مسكنا بقدر مسكنه ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكنا وأراد أن ينزلهم على الاخماس فقيل له انهم يتعصبون فخلط بينهم وكان قسم لعمارة مدينة بلخ الفعلة على كل كورة على قدر خراجها وولى بناء مدينة بلخ برمك أبا خالد بن برمك وكان البروقان منزل الامراء وبين البروقان وبين بلخ فرسخان وبين المدينة والنوبهار قدر غلوتين فقال أبو البريد في بنيان أسد مدينة بلخ

شعفت فؤادك فالهوى لك شاعف * رثم على طفل بحومل عاطف
ترعى البرير بجانبي متهدل * ريان لا يغشو اليه آلف
بمحاضر من منحنى عطفت له * بقر ترجح زانهن روادف
إن المبارك التي أحصنتها * عصم الذليل بها وقر الخائف
فأراك فيها ما رأى من صالح * فتحا وأبواب السماء رواعف
فمضى لك الاسم الذي يرضى به * عنك البصير بما نويت اللاطف
يا خير ملك ساس أمر رعية * إني على صدق اليمين لحالف

الله آمنها بصنعك بعدما * كانت قلوب خوفهن رواجف

﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة ابراهيم بن هشام حدّثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وهشام وغيرهما وكانت عمال الامصار في هذه السنة عمالها الذين ذكرناهم قبل في سنة ١٠٦

﴿ثم دخلت سنة ثمان ومائة﴾

﴿ذكر ما كان فيها من الاحداث﴾

﴿ففيها﴾ كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك حتى بلغ قيسارية مدينة الروم مما يلي الجزيرة ففتحها الله على يديه ﴿وفيها﴾ أيضا غزا ابراهيم بن هشام ففتح أيضا حصنا من حصون الروم ﴿وفيها﴾ وجّه بكير بن ماهان الى خراسان عدّة فيهم عمار العبادي فوشى بهم رجل الى أسد بن عبد الله فأخذ عمارا فقطع يديه ورجليه ونجا أصحابه فقدموا على بكير بن ماهان فأخبروه الخبر فكتب بذلك الى محمد بن علي فكتب اليه في جواب الكتاب الحمد لله الذي صدّق دعوتكم ونجى شيعتكم ﴿وفيها﴾ كان الحريق بدابق فذكر محمد بن عمر أن عبد الله بن نافع حدّثه عن أبيه قال احترق المرعى حتى احترق الدواب والرجال ﴿وفيها﴾ غزا أسد بن عبد الله الختل فذكر عن علي بن محمد ان خاقان أتى أسدا وقد انصرف الى القوادِيان وقطع النهر ولم يكن بينهم قتال في تلك الغزاة وذكر عن أبي عبيدة أنه قال بل هزموا أسدا وفضحوه فتغنى عليه الصبيان

أزُحتَلاَن آمذِي * بروتباه آمذِي

قال وكان السبل محاربا له فاستجلب خاقان وكان أسد قد أظهر انه يشتو بسُرخ درَه فأمر أسد الناس فارتحلوا ووجّه راياته وسار في ليلة مظلمة الى سرخ دره فكبّر الناس فقال أسد ما للناس فقالوا هذه علامتهم اذا قفلوا فقال لعروة المنادي نادِ أن الامير يريد غورين ومضى وأقبل خاقان حين انصرفوا الى غورين فقطع النهر فلم يلتق هو ولاهم ورجع الى بلخ فقال الشاعر في ذلك يمدح أسد بن عبد الله

نذَيتُ لي من كلّ خمسِ ألفين * من كل لحاف عريضِ الدَّفَّين

قال ومضى المسلمون الى الغوريان فقاتلوهم يوما وصبروا لهم وبرز رجل من المشركين فوقف أمام أصحابه وركز رمحه وقد أعلم بعصابة خضراء وسلم بن أحوز واقف مع نصر بن سيّار فقال سلم لنصر قد عرفت رأي أسد وأنا حامل على هذا العلج فلعلي أن أقتله فيرضى فقال شأنك فحمل عليه فما اختلج رمحه حتى غشيه سلم فطعنه فاذا هو بين يدي فرسه ففحص برجله فرجع سلم فوقف فقال لنصر أنا حامل حملة أخرى فحمل حتى اذا دنا منهم اعترضه رجل من العدوّ فاختلفا ضربتين فقتله سلم فرجع سلم جريحا فقال نصر لسلم قف لي حتى

أحمل عليهم فحمل حتى خالط العدو فصرع رجلين ورجع جريحا فوقف فقال أترى ما صنعنا يرضيه لا أرضاه الله فقال لا والله فيما أظن وأتاهما رسول أسد فقال يقول لكما الامير قد رأيت موقفكما منذ اليوم وقلة غنائكما عن المسلمين لعنكما الله فقالا آمين ان عدنا لمثل هذا وتحاجزا ويومئذ ثم عادوا من الغد فلم يلبث المشركون ان انهزموا وحوى المسلمون عسكرهم وظهروا على البلاد فأسروا وسبوا وغنموا وقال بعضهم رجع أسد في سنة ١٠٨ مفلولا من الختل فقال أهل خراسان

ازختلان آمدى * بروتباه آمدى * بيدل فراز آمدى

قال وكان أصاب الجند في غزاة الختل جوع شديد فبعث أسد بكبشين مع غلام له وقال لاتبعهما بأقل من خمسمائة فلما مضى الغلام قال أسد لا يشتريهما الا ابن الشخير وكان في المسلحة فدخل ابن الشخير حين أمسى فوجد الشاتين في السوق فاشتراهما بخمسمائة فذبح احداهما وبعث بالاخرى الى بعض اخوانه فلما رجع الغلام الى أسد أخبره بالقصة فبعث اليه أسد بألف درهم قال وابن الشخير هو عثمان بن عبد الله بن الشخير أخو مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة ابراهيم بن هشام وهو على المدينة ومكة والطائف حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال محمد بن عمر الواقدي ﴿وكان﴾ العمال في هذه السنة على الامصار في الصلاة والحروب والقضاء هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل

﴿ثم دخلت سنة تسع ومائة﴾

﴿ذكر الاحداث التي كانت فيها﴾

فمما كان فيها من ذلك غزوة عبد الله بن عقبة بن نافع الفهري على جيش في البحر وغزوة معاوية بن هشام أرض الروم ففتح حصنا بها يقال له طيبة وأصيب معه قوم من أهل انطاكية ﴿وفيها﴾ قتل عمر بن يزيد الاسيدي قتله مالك بن المنذر بن الجارود

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر أن خالد بن عبد الله شهد عمر بن يزيد أيام حرب يزيد بن المهلب فأعجب به يزيد بن عبد الملك وقال هذا رجل العراق فغاظ ذلك خالدا فأمر مالك بن المنذر وهو على شرطة البصرة أن يعظم عمر بن يزيد ولا يعصى له أمر احتى يعرفه الناس ثم أقبل يعتل عليه حتى يقتله ففعل ذلك فذكر يوما عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر فافترى عليه مالك فقال له عمر بن يزيد تفترى على مثل عبد الاعلى فأغلظ له مالك فضربه بالسياط حتى قتله وفيها غزا أسد بن عبد الله غورين وقال ثابت قطنة

أرى أسدا في الحرب إذ نزلت به * وقارع أهل الحرب فازوأوجبا

تَنَاوَلَ أَرضَ السَّبْلِ خاقانُ رِدوُه * فَحَرَّقَ ما استَعصَى عليه وخَرَّبا
أَتَتْكَ وُفُودُ التُّرْكِ ما بَيْنَ كابُلٍ * وغُورِينَ إذ لم يَهْرُبُوا منكَ مَهْرَبا
فما يَغْمُرُ الأعداءَ من لَيْثِ غابةٍ * أَبِي ضارِياتٍ حَرَّشُوهُ فَعَقَّبا
أَزَبَّ كأنَّ الوَرْسَ فَوْقَ ذِراعِهِ * كَرِيهَ المُحَيَّا قد أَسَنَّ وَجَرَّبا
أَلِيكُ في الحِصْنِ المُبارَكِ عِصمَةً * لِجَنْدِكَ إذهابَ الجَبانُ وأَرْهِبا
بَنى لكَ عَبْدُ اللهِ حِصْناً وَرِثْتَهُ * قَدِيمًا إذا عُدَّ القَدِيمُ وأَنْجَبا

﴿وفي هذه السنة﴾ عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن خراسان وصرف أخاه أسدا عنها

﴿ذكر الخبر عن عزل هشام خالدا وأخاه عن خراسان﴾

وكان سبب ذلك ان أسدا أخا خالد تعصب حتى أفسد الناس فقال أبو البريد فيما ذكر علي بن محمد لبعض الازد ادخلني على ابن عمك عبد الرحمن بن صبح وأوصه بي وأخبره عني فادخله عليه وهو عامل لأسد على بلخ فقال أصلح الله الامير هذا أبو البريد البكري أخونا وناصرنا وهو شاعر أهل المشرق وهو الذي يقول

إنْ تَنْقُضِ الأَزْدُ حِلْفًا كانَ أَكَّدَهُ * في سالِفِ الدَّهرِ عَبَّادٌ ومَسْعُودُ
ومالِكٌ وسُوَيْدٌ أَكَّدَاهُ معًا * لما تَجَرَّدُ فيها أيَّ تَجْرِيدِ
حتى تَنادَوا أَتاكَ اللهُ ضاحِيَةً * وفي الجُلُودِ من الإِيقاعِ تَقْصِيدُ

قال فجذب أبو البريد يده وقال لعنك الله من شفيع كذب أصلحك الله ولكني الذي أقول

الأَزْدُ إِخْوَتُنا وهُمْ حُلَفاؤُنا * ما بَيْنَنا نَكْثٌ ولا تَبْدِيلُ

قال صدقت وضعك وأبو البريد من بني علباء بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة قال وتعصب على نصر بن سيار ونفر معه من مضر فضربهم بالسياط وخطب في يوم جمعة فقال في خطبته قبح الله هذه الوجوه وجوه أهل الشقاق والنفاق والشغب والفساد اللهم فرق بيني وبينهم وأخرجني الى مهاجري ووطني وقل من بروم ما قبلي أو يترمرم وأمير المؤمنين خالي وخالد ابن عبد الله أخي ومعي اثنا عشر ألف سيف يمان ثم نزل عن منبره فلما صلى ودخل عليه الناس فاخذوا مجالسهم اخرج كتابا من تحت فراشه فقرأه على الناس فيه ذكر نصر بن سيار وعبد الرحمن بن نعيم العامري وسورة بن الحر الأباني أبان بن دارم والبختري بن أبي درهم من بني الحارث بن عباد فدعاهم فانبهم فأزم القوم فلم يتكلم منهم أحد فتكلم سورة فذكر حاله وطاعته ومناصحته وانه ليس ينبغي له ان يقبل قول عدو مبطل وان يجمع بينهم وبين من قرفهم بالباطل فلم يقبل قوله وأمر بهم فجردوا فضرب عبد الرحمن بن نعيم فاذا

رجل عظيم البطن أرسح فلما ضرب التوى وجعل سراويله يزل عن موضعه فقام رجل من أهل بيته فاخذ رداءه فهرويا وقام مادا ثوبه بيده وهو ينظر الى أسد يريد ان يأذن له فيؤزره فاومى اليه ان افعل فدنا منه فأزره ويقال بل أزره أبو نميلة وقال له اتزر أبا زهير فان الامير وال مؤدب ويقال بل ضربهم في نواحي مجلسه فلما فرغ قال أين تيس بني حمان وهو يريد ضربه وقد كان ضربه قبل فقال هذا تيس بني حمان وهو قريب العهد بعقوبة الامير وهو عامر بن مالك بن مسلمة بن يزيد بن حجر بن خيشق بن حمان بن كعب بن سعد وقيل انه حلقهم بعد الضرب ودفعهم الى عبد ربه بن أبي صالح مولى بني سليم وكان من الحرس وعيسى بن أبي بريق ووجههم الى خالد وكتب اليه انهم أرادوا الوثوب عليه فكان ابن أبي بريق كلما نبت شعر أحدهم حلقه وكان البختري بن أبي درهم يقول لوددت انه ضربني وهذا شهرا يعني نصر بن سيار لما كان بينهما بالبر وقال فارسل بنو تميم الى نصر ان شئتم انتزعناكم من أيديهم فكفهم نصر فلما قدم بهم على خالد لام أسدا وعنفه وقال الا بعثت برؤسهم فقال عرفجة التميمي

فكيف وأنصار الخليفة كلهم * عناة وأعداء الخليفة تطلق
بكيت ولم أملك دموعي وحق لي * ونصر شهاب الحرب في الغل موثق

وقال نصر

بعثت بالعتاب في غير ذنب * في كتاب تلوم أم تميم
إن أكن موثقا أسير الديهم * في هموم وكربة وسهوم
رهن قسر فما وجدت بلاء * كأسار الكرام عند اللئيم
أبلغ المدعين قسرا وقسرا * أهل عود القناة ذات الوصوم
هل فطمتم عن الخيانة والغد * ر أم انتم كالحاكر المستديم

﴿وقال الفرزدق﴾

أخالد لولا الله لم تعط طاعة * ولولا بنو مروان لم توثقوا نصرا
إذا للقيتم دون شد وناقه * بني الحرب لا كشف اللقاء ولا ضجرا

وخطب أسد بن عبد الله على منبر بلخ فقال في خطبته يا أهل بلخ لقبتموني الزاغ والله لا زيغن قلوبكم فلما تعصب أسد وأفسد الناس بالعصبية كتب هشام الى خالد بن عبد الله أعزل أخاك فعزله فاستأذن له في الحج ففقل أسد الى العراق ومعه دهاقين خراسان في شهر رمضان سنة ١٠٩ واستخلف أسد على خراسان الحكم بن عوانة الكلبي فاقام الحكم صيفية فلم يغز وذكر علي بن محمد ان أول من قدم خراسان من دعاة بني العباس زياد أبو محمد مولى همدان في ولاية أسد بن عبد الله الاولى بعثه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وقال

له ادع الناس الينا وانزل فى اليمن والطف بمضر ونهاه عن رجل من أبرشهر يقال له غالب لانه كان مفرطا فى حب بنى فاطمة ويقال أول من جاء أهل خراسان بكتاب محمد بن على حرب بن عثمان مولى بنى قيس بن ثعلبة من أهل بلخ قال فلما قدم زياد أبو محمد ودعا الى بنى العباس وذكر سيرة بنى مروان وظلمهم وجعل يطعم الناس الطعام فقدم عليه غالب من أبرشهر فكانت بينهم منازعة غالب يفضل آل أبى طالب وزياد يفضل بنى العباس ففارقه غالب وأقام زياد بمرو شتوة وكان يختلف اليه من أهل مرو يحيى بن عقيل الخزاعى وابراهيم ابن الخطاب العدوى قال وكان ينزل برزن سويد الكاتب فى دور آل الرقاد وكان على خراج مرو الحسن بن شيخ فبلغه أمره فاخبر به أسد بن عبد الله فدعا به وكان معه رجل يكنى أبا موسى فلما نظر اليه أسد قال له أعرفك قال نعم قال له أسد رأيتك فى حانوت بدمشق قال نعم قال لزياد فما هذا الذى بلغنى عنك قال رفع اليك الباطل انما قدمت خراسان فى تجارة وقد فرقت مالى على الناس فاذا صار الى خرجت قال له أسد أخرج عن بلادى فانصرف فعاد الى أمره فعاود الحسن أسدا وعظم عليه أمره فارسل اليه فلما نظر اليه قال ألم أنهك عن المقام بخراسان قال ليس عليك أيها الامير منى بأس فاحفظه وأمر بقتلهم فقال له أبو موسى فاقض ما أنت قاض فازداد غضبا وقال له انزلتنى منزلة فرعون فقال له ما أنزلتك ولكن الله أنزلك فقتلوا وكانوا عشرة من أهل بيت الكوفة فلم ينج منهم يومئذ الا غلامان استصغرهما وأمر بالباقين فقتلوا بكشانشاه وقال قوم أمر أسد بزياد ان يخط وسطه فدبين اثنين فضرب فنبا السيف عنه فكبر أهل السوق فقال أسد ما هذا فقيل له لم يحلك السيف فيه فاعطى أبا يعقوب سيفا فخرج فى سراويل والناس قد اجتمعوا عليه فضربه فنبا السيف فضربه ضربة اخرى فقطعه باثنتين وقال آخرون عرض عليهم البراءة فمن تبرأ منهم مما رفع عليه خلى سبيله فأبى البراءة ثمانية منهم وتبرأ اثنان فلما كان الغد أقبل أحدهما وأسد فى مجلسه المشرف على السوق بالمدينة العتيقة فقال أليس هذا أسيرنا بالامس فاتاه فقال له أسألك ان تلحقنى باصحابى فاشرف وابه على السوق وهو يقول رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فدعا أسد بسيف بخار أخذاه فضرب عنقه بيده قبل الاضحى بأربعة أيام ثم قدم بعدهم رجل من أهل الكوفة يسمى كثيرا فنزل على أبى النجم فكان يأتيه الذين لقوا زيادا فيحدثهم ويدعوهم فكان على ذلك سنة أو سنتين وكان كثيرا ميالا فقدم عليه خداش وهو فى قرية تدعى مرعم فغلب كثيرا على أمره ويقال كان اسمه عمارة فسمى خداشا لانه خدش الدين وكان أسد استعمل عيسى بن شداد البرجمى فى مرتبه الاولى فى وجه وجهه على ثابت قطنة فغضب فهجا أسدا فقال

أرى كل قوم يعرفون أباهم * وأبو بجيلة بينهم يتذبذب

إني وجدت أبي أباك فلا تكن * إلبا على مع العدو تجلب
أرمي بسهمي من رماك بسهمه * وعدو من عاديت غير مكذب
أسد بن عبد الله جل عفوه * أهل الذنوب فكيف من لم يذنب
أجعلتني للبرجمي حقيبة * والبرجمي هو اللئيم المحقب
عبد إذا استبق الكرام رأيته * يأتي سكينا حاملا في الموكب
إني أعوذ بقبر كرز أن أرى * تبعا لعبد من تميم محقب

﴿وفي هذه السنة﴾ استعمل هشام بن عبد الملك على خراسان أشرس بن عبد الله السلمي فذكر علي بن محمد عن أبي الذيال العدوي ومحمد بن حمزة عن طرخان ومحمد بن الصلت الثقفي ان هشام بن عبد الملك عزل أسد بن عبد الله عن خراسان واستعمل أشرس بن عبد الله السلمي عليها وأمره ان يكاتب خالد بن عبد الله القسري وكان أشرس فاضلا خيرا وكانوا يسمونه الكامل لفضله عندهم فسار الى خراسان فلما قدمها فرحوا بقدومه فاستعمل على شرطته عميرة أبا أمية اليشكري ثم عزله وولى السمط واستقضى على مرو أبا المبارك الكندي فلم يكن له علم بالقضاء فاستشار مقاتل بن حيان فاشار عليه مقاتل بمحمد بن زيد فاستقضاه فلم يزل قاضيا حتى عزل أشرس وكان أول من اتخذ الرابطة بخراسان واستعمل على الرابطة عبد الملك بن دثار الباهلي وتولى أشرس صغير الامور وكبيرها بنفسه قال وكان أشرس لما قدم خراسان كبر الناس فرحابه فقال رجل

لقد سمع الرحمن تكبير أمة * غداة أتاها من سليم إمامها
إمام هدى قوى لهم أمرهم به * وكانت عجافا مخها عظامها

وركب حين قدم حمارا فقال له حيان النبطي أيها الامير ان كنت تريدان تكون والي خراسان فاركب الخيل وشد حزام فرسك والزم السوط خاصرته حتى تقدم النار والا فارجع قال ارجع إذن ولا أقتحم النار يا حيان ثم أقام وركب الخيل قال علي وقال يحيى بن حضين رأيت في المنام قبل قدوم أشرس قائلا يقول أتاكم الوعر الصدر الضعيف الناهضة المشؤم الطائر فانتبهت فزعا ورأيت في الليلة الثانية أتاكم الوعر الصدر الضعيف الناهضة المشؤم الطائر الخائن قومه جغر ثم قال

لقد ضاع جيش كان جغر أميرهم * فهل من تلاف قبل دوس القبائل
فإن صرفت عنهم به فلعله * وإلا يكونوا من أحاديث قائل

وكان أشرس يلقب جغر بخراسان ﴿وحج بالناس في هذه السنة﴾ ابراهيم بن هشام كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وغيره وقال الواقدي خطب الناس ابراهيم بن هشام بمنى في هذه السنة الغد من يوم النحر بعد

الظهر فقال سلونى فانا ابن الوحيد لا تسألون أحدا أعلم منى فقام اليه رجل من أهل العراق فسأله عن الاضحية أواجبة هى أم لا فما درى أى شئ يقول له فنزل وكان العامل فى هذه السنة على المدينة ومكة والطائف ابراهيم بن هشام وعلى البصرة والكوفة خالد بن عبد الله وعلى الصلاة بالبصرة أبان بن ضبارة اليزنى وعلى شرطتها بلال بن أبى بردة وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله الانصارى من قبل خالد بن عبد الله وعلى خراسان أشرس بن عبد الله

﴿ ثم دخلت سنة عشرة ومائة ﴾

﴿ ذكر ما كان فيها من الأحداث ﴾

فما كان فيها من ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك الترك سار اليهم نحو باب اللان حتى لقى خاقان فى جموعه فاقتتلوا قريبا من شهر وأصابهم مطر شديد فهزم الله خاقان فانصرف فرجع مسلمة فسلك على مسجد ذى القرنين ﴿وفيها﴾ غزا فيما ذكر معاوية بن هشام أرض الروم ففتح صمالة ﴿وفيها﴾ غزا الصائفة عبد الله بن عقبة الفهرى وكان على جيش البحر فيما ذكر الواقدى عبد الرحمن بن معاوية بن حديج ﴿وفى هذه السنة﴾ دعا الاشرس أهل الذمة من أهل سمرقند ومن وراء النهر الى الاسلام على ان توضع عنهم الجزية فاجابوا الى ذلك فلما أسلموا وضع عليهم الجزية وطالبهم بها فنصبوا له الحرب

﴿ ذكر الخبر عما كان من أمر أشرس وأمر أهل سمرقند ومن وليهم فى ذلك ﴾

ذكر ان أشرس قال فى عمله بخراسان أبغونى رجلا له ورع وفضل أوجهه الى من وراء النهر فيدعوهم الى الاسلام فاشاروا عليه بابى الصيداء صالح بن طريف مولى بنى ضبة فقال لست بالماهر بالفارسية فضموا معه الربيع بن عمران التميمى فقال أبو الصيداء أخرج على شريطة ان من أسلم لم يؤخذ منه الجزية فانما حراج خراسان على رؤس الرجال قال أشرس نعم قال أبو الصيداء لاصحابه فانى أخرج فان لم يف العمال أعنتمونى عليهم قالوا نعم فشخص الى سمرقند وعليها الحسن بن أبى العمرطة الكندى على حربها وخراجها فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند ومن حولها الى الاسلام على ان توضع عنهم الجزية فسارع الناس فكتب غوزك الى أشرس ان الخراج قد انكسر فكتب أشرس الى ابن أبى العمرطة ان فى الخراج قوة للمسلمين وقد بلغنى ان أهل السغد وأشباههم لم يسلموا رغبة وانما دخلوا فى الاسلام تعوذا من الجزية فانظر من اختتن وأقام الفرائض وحسن اسلامه وقرأ سورة من القرآن فارفع عنه خراجه ثم عزل أشرس ابن أبى العمرطة عن الخراج وصيره الى هانئ بن هانئ وضم اليه الاشهيد فقال ابن أبى العمرطة لابى الصيداء لست من الخراج الآن فى شئ فدونك هانئا والاشهيد فقام أبو الصيداء يمنعهم من أخذ الجزية ممن أسلم فكتب هانئ ان الناس قد أسلموا وبنوا المساجد فجاء دهاقين بخارى الى أشرس فقالوا ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم

عربا فكتب أشرس الى هانئ والى العمال خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه فاعادوا الجزية على من أسلم فامتنعوا واعتزل من أهل السغد سبعة آلاف فنزلوا على سبعة فراسخ من سمرقند وخرج اليهم أبو الصيداء وربيع بن عمران التميمي والقاسم الشيباني وأبو فاطمة الازدي وبشر بن جرموز الضبي وخالد بن عبد الله النهوي وبشر بن زنبور الازدي وعامر ابن قشير أو بشير الخجندي وبيان العنبري واسماعيل بن عقبة لينصروهم قال فعزل أشرس ابن أبي العمرطة عن الحرب واستعمل مكانه المجشر بن مزاحم السلمي وضم اليه عميرة بن سعد الشيباني قال فلما قدم المجشر كتب الى أبي الصيداء يسأله ان يقدم عليه هو وأصحابه فقدم أبو الصيداء وثابت قطنة فحبسهما فقال أبو الصيداء غدرتم ورجعتم عما قلتم فقال له هانئ ليس بغدر ما كان فيه حقن الدماء وحمل أبا الصيداء الى الاشرس وحبس ثابت قطنة عنده فلما حمل أبو الصيداء اجتمع أصحابه وولوا أمرهم أبا فاطمة ليقاتلوا هانئا فقال لهم كفوا حتى اكتب الى أشرس فيأتينا رأيه فنعمل بامره فكتبوا الى أشرس فكتب أشرس ضعوا عليهم الخراج فرجع أصحاب أبي الصيداء فضعف أمرهم فتتبع الرؤساء منهم فأخذوا وحملوا الى مرو وبقي ثابت محبوسا وأشرك أشرس مع هانئ بن هانئ سليمان بن أبي السري مولى بني عوانة في الخراج فألح هانئ والعمال في جباية الخراج واستخفوا بعظماء العجم وسلط المجشر عميرة بن سعد على الدهاقين فاقتسموا وخرقت ثيابهم والقيت مناطقهم في أعناقهم وأخذوا الجزية ممن أسلم من الضعفاء فكفرت السغد وبخارى واستجاشوا الترك فلم يزل ثابت قطنة في حبس المجشر حتى قدم نصر بن سيار والياً على المجشر فحمل ثابتا الى أشرس مع ابراهيم بن عبد الله الليثي فحبسه وكان نصر بن سيار لطفه وأحسن اليه فمدحه ثابت قطنة وهو محبوس عند أشرس فقال

ماهاجَ شوقكَ من نؤيٍ وأحجارِ * ومنْ رُسُومٍ عفاها صَوبُ أمطارِ
لم يبقَ منها ومنْ أعلامِ عرْصتِها * إلا شَجيجٌ وإلا موقدُ النارِ
ومائلٌ في ديارِ الحيِّ بعدهمُ * مثلُ الرَّبيئةِ في أهدامِهِ العارِي
ديارُ ليلى قفارٌ لا أنيسَ بها * دُونَ الحجونِ وأينَ الحجنُ من دارِي
بُدِّلتُ منها وقد شطَّ المزارُ بها * وادي المخافةِ لا يَسْرِي بها الساري
بينَ السماوةِ في حزمٍ مُشَرَّقةٍ * ومُعْنِقٌ دونَنا أذِيَّةٌ جارِي
تُقارِعُ الترْكَ ما تَنفكُّ نائحةً * منَّا ومنهُم على ذي نَجْدةٍ شارِ
إن كانَ ظنِّي بنصرٍ صادقاً أبدًا * فيما أدَّبرُ منْ نَقضي وإمرارِي
لا يَصرفُ الجندَ حتى يَستفيءَ بهم * نهْبًا عظيمًا ويَحْوِي مُلكَ جبَّارِ
وتَعثرُ الخيلُ في الأقيادِ آونةً * تَحْوِي النِّهابَ إلى طُلَّابِ أوتارِ

حتى يروّهادُوين السرح بارقة * فيها لواءٌ كظلّ الأجدل الضارى
لا يمنع الثغر إلا ذو محافظة * من الحضارم سبّاق بأوتار
إنى وإن كنت من جذم الذى نضرت * منه الفروع وزندى الثاقب الوارى
لذا كر منك أمرًا قد سبقت به * من كان قبلك يا نصر بن سيّار
ناضلت عنّى نضال الحرّ إذ قصرت * دونى العشيرة واستبطأت أنصارى
وصار كلّ صديق كنت آمله * ألبًا علىّ وريث الحبل من جارى
وما تلبّثت بالأمر الذى وقعوا * به علىّ ولا دنست أطمارى
ولا عصيت إمامًا كان طاعته * حقًا علىّ ولا فارقت من عار

قال على وخرج أشرس غازيا فنزل آمل فاقام ثلاثة أشهر وقدّم قطن بن قتيبة بن مسلم فعبر النهر فى عشرة آلاف فأقبل أهل السغد وأهل بخارى معهم خاقان والترك فحصروا قطن بن قتيبة فى خندقه وجعل خاقان ينتخب كل يوم فارسا فيعبر فى قطعة من الترك النهر وقال قوم أقحموا دوابّهم عُرْيا فعبر واوأغاروا على سرح الناس فاخرج أشرس ثابت قطنة بكفالة عبد الله بن بسطام بن مسعود بن عمرو فوجهه مع عبد الله بن بسطام فى الخيل فاتبعوا الترك فقاتلوهم بأمل حتى استنقذوا ما بايديهم ثم قطع الترك النهر اليهم راجعين ثم عبر أشرس بالناس الى قطن بن قتيبة ووجه أشرس رجلا يقال له مسعود أحد بنى حيان فى سريّة فلقيهم العدوّ فقاتلوهم فاصيب رجال من المسلمين وهزم مسعود حتى رجع الى أشرس فقال بعض شعرائهم

خابت سريّة مسعود وما غنمت * إلا أفانين من شدّ وتقريب
حلوا بأرض قفار لا أنيس بها * وهنّ بالسفح أمثال اليعاسيب

وأقبل العدوّ فلما كانوا بالقرب لقيهم المسلمون فقاتلوهم فجالوا جولة فقتل فى تلك الجولة رجال من المسلمين ثم كرّ المسلمون وصبروا لهم فانهزم المشركون ومضى أشرس بالناس حتى نزل بيكند فقطع العدوّ عنهم الماء فاقام أشرس والمسلمون فى عسكرهم يومهم ذلك وليلتهم فاصبحوا وقد نفد ماؤهم فاحتفروا فلم ينبطوا وعطشوا فارتحلوا الى المدينة التى قطعوا عنهم المياه منها وعلى مقدمة المسلمين قطن بن قتيبة فلقيهم العدوّ فقاتلوهم فجهدوا من العطش فمات منهم سبعمائة وعجز الناس عن القتال ولم يبق فى صف الرّباب الا سبعة فكاد ضرار بن حصين يؤسر من الجهد الذى كان به فحض الحارث بن سريج الناس فقال أيها الناس القتل بالسيف أكرم فى الدنيا وأعظم أجرا عند الله من الموت عطشا فتقدم الحارث ابن سريج وقطن بن قتيبة واسحاق بن محمد ابن أخى وكيع فى فوارس من بنى تميم وقيس فقاتلوا حتى أزالوا الترك عن الماء فابتدره الناس فشربوا واراتووا قال فرثابت قطنة بعبد الملك بن دثار الباهلى فقال له يا عبد الملك هل لك فى آثار الجهاد فقال أنظرنى ريثما اغتسل

واتحنط فوقف له حتى خرج ومضيا فقال ثابت لاصحابه أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم وحضهم فحملوا على العدو واشتد القتال فقتل ثابت في عدة من المسلمين منهم صخر بن مسلم بن النعمان العبدي وعبد الملك بن دثار الباهلي والوجيه الخراساني والعقار بن عقبة العودي فضم قطن بن قتيبة واسحاق بن محمد بن حسان خيلا من بني تميم وقيس تبايعوا على الموت فاقدموا على العدو فقاتلوهم فكشفوهم وركبهم المسلمون يقتلونهم حتى حجزهم الليل وتفرق العدو فأتى أشرس بخارى فحصر أهلها (قال علي بن محمد) عن عبد الله بن المبارك حدثني هشام بن عمارة بن القعقاع الضبي عن فضيل بن غزوان قال حدثني وجيه البناني ونحن نطوف بالبيت قال لقينا الترك فقتلوا منا قوما وصرعت وأنا أنظر اليهم يجلسون فيستقون حتى انتهوا الي فقال رجل منهم دعوه فان له أثرا هو واطئه وأجلاهو بالغه فهذا أثر قدوطئته وأنا أرجو الشهادة فرجع الى خراسان فاستشهد مع ثابت قال فقال الوازع ابن مائق مر بي الوجيه في بغلين يوم أشرس فقلت كيف أصبحت يا أبا أسماء قال أصبحت بين حائر وحائز اللهم لف بين الصفين فخالط القوم وهو متنكب قوسه وسيفه مشتمل في طيلسان واستشهد واشتشهد الهيثم بن المخل العبدي قال علي عن عبد الله بن المبارك قال لما التقى أشرس والترك قال ثابت قطنة اللهم اني كنت ضيف ابن بسطام البارحة فاجعلني ضيفك الليلة والله لاينظر الي بنو أمية مشدودا في الحديد فحمل وحمل أصحابه فكذب أصحابه وثبت فرمي برذونه فشب وضرب به فاقدم وضرب فارتث فقال وهو صريع اللهم اني أصبحت ضيفا لابن بسطام وأمسيت ضيفك فاجعل قراي من ثوابك الجنة قال علي ويقال ان أشرس قطع النهر ونزل بيكند فلم يجد بها ماء فلما أصبحوا ارتحلوا فلما دنوا من قصر بخار أخذاه وكان منزله منهم على ميل تلقاهم ألف فارس فاحاطوا بالعسكر وسطع رهج الغبار فلم يكن الرجل يقدر ان ينظر الى صاحبه قال فانقطع منهم ستة آلاف فيهم قطن بن قتيبة وغوزك من الدهاقين فانتهوا الى قصر من قصور بخارى وهم يرون ان أشرس قد هلك وأشرس في قصور بخارى فلم يلتقوا الا بعد يومين ولحق غوزك في تلك الوقعة بالترك وكان قد دخل القصر مع قطن فارسل اليه قطن رجلا فصاحوا برسول قطن ولحق بالترك قال ويقال ان غوزك وقع يومئذ وسط خيل فلم يجد بدا من اللحاق بهم ويقال ان أشرس أرسل الى غوزك يطلب منه طاسا فقال لرسول أشرس انه لم يبق معي شيء أتدهن به غير هذا الطاس فاصفح عنه فارسل اليه اشرب في قرعة وابعث الي بالطاس ففارقه قال وكان على سمرقند نصر بن سيار وعلى خراجها عميرة بن سعد الشيباني وهم محصورون وكان عميرة ممن قدم مع أشرس وأقبل قريش بن أبي كهمس على فرس فقال لقطن قد نزل الامير والناس فلم يفقد أحد من الجند غيرك فمضى قطن والناس الى العسكر وكان بينهم ميل قال ويقال ان أشرس نزل قريبا

من مدينة بخارى على قدر فرسخ وذلك المنزل يقال له المسجد ثم تحول منه الى مرج يقال له بوادرة فاتاهم سبابة أوشبابة مولى قيس بن عبد الله الباهلى وهم نزول بكمرجة وكانت كمرجة من أشرف أيام خراسان وأعظمها أيام أشرس فى ولايته فقال لهم ان خاقان مارٌ بكم غدًا فارى لكم ان تظهروا عدتكم فيرى جدًا واحتشادًا فينقطع طمعه منكم فقال له رجل منهم استوثقوا من هذا فانه جاء ليفُتّ فى أعضادكم فقالوا لا نفعل هذا مولانا وقد عرفناه بالنصيحة فلم يقبلوا منه وفعلوا ما أمرهم به المولى وصبحهم خاقان فلما حاذى بهم ارتفع الى طريق بخارى كانه يريدها فقدر بجنوده من وراء تلّ بينهم وبينه فنزلوا وتأهبوا وهم لا يشعرون بهم فلما كان ذلك ما فاجأهم ان طلعوا على التل فاذا جبل حديد أهل فرغانة والطارَبند وأفشينة ونسف وطوائف من أهل بخارى قال فاسقط فى أيدى القوم فقال لهم كليب بن قنان الذهلى هم يريدون مزاحفتكم فسربوا دوابكم المجففة فى طريق النهر كانكم تريدون ان تسقوها فاذا جردتموها فخذوا طريق الباب وتسربوا الاول فالاول فلما رآهم الترك يتسربون شدُّوا عليهم فى مضايق وكانوا هم أعلم بالطريق من الترك وسبقوهم الى الباب فلحقوهم عنده فقتلوا رجلا كان يقال له المهلب كان حامیتهم وهو رجل من العرب فقاتلوهم فغلبوهم على الباب الخارج من الخندق فدخلوه فاقتتلوا وجاء رجل من العرب بحزمة قصب قد أشعلها فرمى بها فى وجوههم فتنحوا وأخلوا عن قتلى وجرحى فلما أمسوا انصرف الترك وأحرق العرب القنطرة فاتاهم خُسرَو بن يزدجرد فى ثلاثين رجلا فقال يا معشر العرب لم تقتلون أنفسكم وأنا الذى جئت بخاقان ليردّ على مملكتى وأنا آخذ لكم الامان فشتموه فانصرف قال وجاءهم بازغرى فى مائتين وكان داهية من وراء النهر وكان خاقان لا يخالفه ومعه رجلان من قرابة خاقان ومعه أفراس من رابطة أشرس فقال آمنونا حتى ندنو منكم فاعرض عليكم ما أرسلنى اليكم به خاقان فآمنوه فدنا من المدينة وأشرفوا عليه ومعه اسراء من العرب فقال بازغرى يا معشر العرب أحدروا الىّ رجلا منكم أكلمه برسالة خاقان فاحدروا حبيبا مولى مهرة من أهل درقين فكلموه فلم يفهم فقال احدروا الىّ رجلا يعقل عنى فأحدروا يزيد بن سعيد الباهلى وكان يشدو شدوًا من التركية فقال هذه حيل الرابطة ووجوه العرب معه اسراء وقال ان خاقان أرسلنى اليكم وهو يقول لكم انى أجعل من كان عطاؤه منكم ستمائة ألفا ومن كان عطاؤه ثلثمائة ستمائة وهو مجمع بعد هذا على الاحسان اليكم فقال له يزيد هذا أمر لا يلتئم كيف تكون العرب وهم ذئاب مع الترك وهم شاة لا يكون بيننا وبينكم صلح فغضب بازغرى فقال التركيان اللذان معه ألا نضرب عنقه قال لا نزل الينا بأمان وفهم ما قالا له يزيد فخاف فقال بلى يا بازغرى الا ان تجعلونا نصفين فيكون نصف فى أثقالنا ويسير النصف معه فان ظفر خاقان فنحن معه وان كان غير ذلك كنا كسائر مدائن أهل السغد فرضى بازغرى والتركيان

بما

بما قال فقال له اعرض على القوم ما تراضينا به وأقبل فاخذ بطرف الحبل فجذبوه حتى صار على سور المدينة فنادى يا أهل كمرجه اجتمعوا فقد جاءكم قوم يدعونكم الى الكفر بعد الايمان فماترون قالوا لانجيب ولانرضى قال يدعونكم الى قتال المسلمين مع المشركين قالوا نموت جميعا قبل ذلك قال فأعلموهم قال فاشرفوا عليهم وقالوا يابازغرى أتبيع الاسرى فى أيديكم فنفادى بهم فاما ما دعوتنا اليه فلانجيبكم اليه قال لهم أفلا تشترون أنفسكم منا فأنتم عندنا الا بمنزلة من فى أيدينا منكم وكان فى أيديهم الحجاج بن حميد النضرى فقالوا له يا حجاج ألا تكلم قال على رقباء وأمر خاقان بقطع الشجرة فجعلوا يلقون الحطب الرطب ويلقى أهل كمرجه الحطب اليابس حتى سوى الخندق ليقطعوا اليهم فأشعلوا فيه النيران فهاجت ريح شديدة صنعا من الله عز وجل قال فاشتعلت النار فى الحطب فاحترق ما عملوا فى ستة أيام فى ساعة من نهار ورميناهم فاوجعناهم وشغلناهم بالجراحات قال وأصابت بازغرى نشابة فى سرته فاحتقن بوله فمات من ليلته فقطع أتراكه آذانهم وأصبحوا ابتر منكسين رؤسهم يبكونه ودخل عليهم أمر عظيم فلما امتد النهار جاؤا بالاسرى وهم مائة فيهم أبو العوجاء العتكى وأصحابه فقتلوهم ورموا اليهم برأس الحجاج بن حميد النضرى وكان مع المسلمين مائتان من أولاد المشركين كانوا رهائن فى أيديهم فقتلوهم واستماتوا واشتد القتال وقاموا على باب الخندق فسار على السور خمسة أعلام فقال كليب من لى بهؤلاء فقال ظهير بن مقاتل الطفاوى أنا لك بهم فذهب يسعى وقال لفتيان امشوا خلفى وهو جريح قال فقتل يومئذ من الاعلام اثنان ونجا ثلاثة قال فقال ملك من الملوك لمحمد بن وشاح العجب انه لم يبق ملك فيما وراء النهر الا قاتل بكمرجه غيرى وعزعلى ألا أقاتل مع أكفائى ولم يرمكانى فلم يزل أهل كمرجه بذلك حتى أقبلت جنود العرب فنزلت فرغانة فعبر خاقان أهل السغد وفرغانة والشاش والدهاقين وقال لهم زعمتم ان فى هذه خمسين حمارا وانا نفتحها فى خمسة أيام فصارت الخمسة الايام شهرين وشتمهم وأمرهم بالرحلة فقالوا ما ندع جهدا ولكن احضرنا غدا فانظر فلما كان من الغد جاء خاقان فوقف فقام اليه ملك الطارابند فاستأذنه فى القتال والدخول عليهم قال لا أرى ان تقاتل فى هذا الموضع وكان خاقان يعظمه فقال اجعل لى جاريتين من جوارى العرب وأنا أخرج عليهم فأذن له فقاتل فقتل منهم ثمانية وجاء حتى وقف على ثلمة والى جنب الثلمة بيت فيه خرق يفضى الى الثلمة وفى البيت رجل من بنى تميم مريض فرماه بكلوب فتعلق بدرعه ثم نادى النساء والصبيان فجذبوه فسقط لوجهه وركبته ورماه رجل بحجر فاصاب أصل اذنه فصرع وطعنه رجل فقتله وجاء شاب أمرد من الترك فقتله وأخذ سلبه وسيفه فغلبناهم على جسده قال ويقال ان الذى انتدب لهذا فارس أهل الشاش فكانوا قد اتخذوا صناعا وألصقوها بحائط الخندق فنصبوا قبالة ما اتخذوا أبوابا له فاقعدوا الرماة

وراءها وفيهم غالب بن المهاجر الطائى عم أبى العباس الطوسى ورجلان أحدهما شيبانى والآخر ناجى فجاء فاطلع فى الخندق فرماه الناجى فلم يخطئ قصبة أنفه وعليه كاشغودة تبتية فلم تضره الرمية ورماه الشيبانى وليس يرى منه غير عينيه فرماه غالب بن المهاجر فدخلت النشابة فى صدره فنكس فلم يدخل خاقان شىء أشد منه قال فيقال انه انما قتل الحجاج وأصحابه يومئذ لما دخله من الجزع وأرسل الى المسلمين انه ليس من رأينا ان نرتحل عن مدينة نتزلها دون افتتاحها أو ترحلهم عنها فقال له كليب بن قنان وليس من ديننا ان نعطى بايدينا حتى نقتل فاصنعوا ما بدا لكم فرأى الترك ان مقامهم عليهم ضرر فاعطوهم الامان على ان يرحل هو وهم عنها باهاليهم وأموالهم الى سمرقند أو الدبوسية فقال لهم اختاروا لانفسكم فى خروجكم من هذه المدينة قال ورأى أهل كمرجه ما هم فيه من الحصار والشدة فقالوا نشاور أهل سمرقند فبعثوا غالب بن المهاجر الطائى فانحدر فى موضع من الوادى فمضى الى قصر يسمى فرزاونة والدهقان الذى بها صديق له فقال له انى بعثت الى سمرقند فاحملنى فقال ما أجد دابة الا بعض دواب خاقان فان له فى روضة خمسين دابة فخرجا جميعا الى تلك الروضة فاخذ برذونا فركبه وكان إلفه برذون آخر فتبعه فاتى سمرقند من ليلته فاخبرهم بامرهم فاشاروا عليه بالدبوسية وقالوا هى أقرب فرجع الى أصحابه فاخذوا من الترك رهائن ألا يعرضوا لهم وسألوهم رجلا من الترك يتقوون به مع رجال منهم فقال لهم الترك اختاروا من شئتم فاختاروا كورصول يكون معهم فكان معهم حتى وصلوا الى حيث أرادوا ويقال ان خاقان لما رأى انه لا يصل اليهم شتم أصحابه وأمرهم بالارتحال عنهم وكلمه المختار بن غوزك وملوك السغد وقالوا لا تفعل أيها الملك ولكن أعطهم أمانا يخرجون عنها ويرون انك انما فعلت ذلك بهم من أجل غوزك انه مع العرب فى طاعتها وان ابنه المختار طلب اليك فى ذلك مخافة على أبيه فاجابهم الى ذلك فسرح اليهم كورصول يكون معهم يمنعهم ممن أرادهم قال فصار الرهن من الترك فى أيديهم وارتحل خاقان وأظهر انه يريد سمرقند وكان الرهن الذى فى أيديهم من ملوكهم فلما ارتحل خاقان قال كورصول للعرب ارتحلوا فقالوا نكره ان نرتحل والترك لم يمضوا ولا نأمنهم ان يعرضوا لبعض النساء فتحمى العرب فتصير الى مثل ما كنا فيه من الحرب قال فكف عنهم حتى مضى خاقان والترك فلما صلوا الظهر أمرهم كورصول بالرحلة وقال انما الشدة والموت والخوف حتى تسيروا فرسخين ثم تصيروا الى قرى متصلة فارتحلوا وفى يد الترك من الرهن من العرب نفر منهم شعيب البكرى أو النصرى وسباع بن النعمان وسعيد بن عطية وفى أيدى العرب من الترك خمسة قد أردفوا خلف كل رجل من الترك رجلا من العرب معه خنجر وليس على التركى غير قباء فساروا بهم ثم قال العجم لكورصول ان الدبوسية فيها عشرة آلاف مقاتل فلا نأمن ان يخرجوا علينا فقال لهم العرب

ان

ان قاتلوكم قاتلناهم معكم فساروا فلما صاروا بينهم وبين الدبوسية قدر فرسخ أو أقل نظر أهلها الى فرسان وبيارقة وجمع فظنوا ان كمرجه قد فتحت وان خاقان قصدلهم قال وقربنا منهم وقد تأهبوا للحرب فوجه كليب بن قنان رجلا من بنى ناجية يقال له الضحاك على برذون يركض وعلى الدبوسية عقيل بن وراد السغدى فأتاهم الضحاك وهم صفوف فرسان ورجالة فاخبرهم الخبر فاقبل أهل الدبوسية يركضون فحمل من كان يضعف عن المشى ومن كان مجروحا ثم ان كليبا أرسل الى محمد بن كرّاز ومحمد بن درهم ليعلما سباع بن النعمان وسعيد ابن عطية انهم قد بلغوا مأمنهم ثم خلوا عن الرهن فجعلت العرب ترسل رجلا من الرهن الذين فى أيديهم من الترك وترسل الترك رجلا من الرهن الذين في أيديهم من العرب حتى بقى سباع ابن النعمان في أيدى الترك ورجل من الترك فى أيدى العرب وجعل كل فريق منهم يخاف على صاحبه الغدر فقال سباع خلوا رهينة الترك فخلوه وبقى سباع فى أيديهم فقال له كورصول لم فعلت هذا قال وثقت برأيك فيّ وقلت ترفع نفسك عن الغدر فى مثل هذا فوصله وسلحه وحمله على برذون ورده الى أصحابه قال وكان حصار كمرجه ثمانية وخمسين يوما فيقال انهم لم يسقوا ابلهم خمسة وثلاثين يوما قال وكان خاقان قسم فى أصحابه الغنم فقال كلوا لحومها وأملوا جلودها تراباوا كبسوا خندقكم ففعلوا فكبسوه فبعث الله عليهم سحابة فمطرت فاحتمل المطر ما ألقوا فألقاه في النهر الاعظم وكان مع أهل كمرجه قوم من الخوارج فيهم ابن شنتج مولى بنى ناجية ﴿وفي هذه السنة﴾ ارتد أهل كردر فقاتلهم المسلمون وظفروا بهم وقد كان الترك أعانوا أهل كردر فوجه أشرس الى من قرب من كردر من المسلمين ألف رجل ردءا لهم فصاروا اليهم وقد هزم المسلمون الترك فظفروا باهل كردر وقال عرفجة الدارمى

نحن كفينا أهل مرو وغيرهم * ونحن نفينا الترك عن أهل كردر
فإن تجعلوا ما قد غنمنا لغيرنا * فقد يظلم المرء الكريم فيصبر

﴿وفي هذه السنة﴾ جعل خالد بن عبد الله الصلاة بالبصرة مع الشرطة والاحداث والقضاء الى بلال بن أبى بردة فجمع ذلك كله له وعزل به ثمامة بن عبد الله بن أنس عن القضاء ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة ابراهيم بن هشام بن اسماعيل كذلك قال أبو معشر والواقدى وغيرهما حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف ابراهيم بن هشام وعلى الكوفة والبصرة والعراق كلها خالد بن عبد الله وعلى خراسان أشرس بن عبد الله

﴿ ثم دخلت سنة احدى عشرة ومائة ﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

فما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزوة سعيد بن هشام الصائفة اليمنى حتى أتى قيسارية قال الواقدى غزا سنة ١١١ على جيش البحر عبد الله بن أبى مريم وأمر هشام على عامة الناس من أهل الشأم ومصر الحكم بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف وفيها سارت الترك الى آذربيجان فلقيهم الحارث بن عمر وفهزمهم وفيها ولى هشام الجراح بن عبد الله الحكمى على أرمينية وفيها عزل هشام أشرس بن عبد الله السلمى عن خراسان وولاها الجنيد بن عبد الرحمن المزنى

﴿ذكر السبب الذى من أجله عزل هشام أشرس عن خراسان واستعماله الجنيد﴾

ذكر على بن محمد عن أبى الذيال قال كان سبب عزل أشرس ان شداد بن خالد الباهلى شخص الى هشام فشكاه فعزله فاستعمل الجنيد بن عبد الرحمن على خراسان سنة ١١١ قال وكان سبب استعماله اياه انه أهدى لام حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جوهر فأعجبت هشاما فأهدى لهشام قلادة أخرى فاستعمله على خراسان وحمله على ثمانية من البريد فسأله أكثر من تلك الدواب فلم يفعل فقدم خراسان فى خمسمائة وأشرس بن عبد الله يقاتل أهل بخارى والسغد فسأل عن رجل يسير معه الى ماوراء النهر فدل على الخطاب ابن محرز السلمى خليفة أشرس فلما قدم آمل أشار عليه الخطاب ان يقيم ويكتب الى من بزم ومن حوله فيقدموا عليه فأبى وقطع النهر وأرسل الى أشرس ان أمدنى بخيل وخاف ان يقتطع قبل ان يصل اليه فوجه اليه أشرس عامر بن مالك الحمانى فلما كان فى بعض الطريق عرض له الترك والسغد ليقطعوه قبل ان يصل الى الجنيد فدخل عامر حائطا حصينا فقاتلهم على ثلمة الحائط ومعه وردبن زياد بن أدهم بن كلثوم ابن أخى الاسود بن كلثوم فرماه رجل من العدو بنشابة فاصاب بمرض منخره فانفذ المنخرين فقال له عامر بن مالك يا أبا الزاهرية كانك دجاجة مقرق وقتل عظيم من عظماء الترك عند الثلمة وخافان على تل خلفه أجمة فخرج عاصم بن عمير السمرقندى وواصل بن عمرو القيسى فى شاكرية فاستدارا حتى صارا من وراء ذلك الماء فضموا خشبا وقصبا وماقدروا عليه حتى اتخذوا رصفا فعبروا عليه فلم يشعر خافان الا بالتكبير وحمل واصل والشاكرية على العدو فقاتلوهم فقتل تحت واصل برذون وهزم خافان وأصحابه وخرج عامر بن مالك من الحائط ومضى الى الجنيد وهو فى سبعة آلاف فتلقى الجنيد وأقبل معه وعلى

مقدمة الجنيد عمارة بن حريم فلما انتهى الى فرغانة من بيكند تلقته خيل الترك فقاتلهم فكاد الجنيد أن يهلك ومن معه ثم أظهره الله فسار حتى قدم العسكر وظفر الجنيد وقتل الترك وزحف اليه خاقان فالتقوا دون زرمان من بلاد سمرقند وقطن بن قتيبة على ساقة الجنيد وواصل في أهل بخارى وكان ينزلها فاسم ملك الشاش وأسر الجنيد من الترك ابن أخي خاقان في هذه الغزاة فبعث به الى الخليفة وكان الجنيد استخلف في غزاته هذه مجشر ابن مزاحم على مرو وولى سورة بن الحر من بني أبان بن دارم بلخ وأوفد لما أصاب في وجهه ذلك عمارة بن معاوية العدوي ومحمد بن الجراح العبدي وعبد ربه بن أبي صالح السلمي الى هشام بن عبد الملك ثم انصرفوا فتوافقوا بالترمذ فأقاموا بها شهرين ثم أتى الجنيد مرو وقد ظفر فقال خاقان هذا غلام مترف هزمني العام وأنا أملكه في قابل فاستعمل الجنيد عماله ولم يستعمل الا مضريا استعمل قطن بن قتيبة على بخارى والوليد بن القعقاع العبسي على هراة وحبيب بن مرة العبسي على شرطه وعلى بلخ مسلم بن عبد الرحمن الباهلي وكان نصر بن سيار على بلخ والذي بينه وبين الباهليين متباعد لما كان بينهم بالبر وقان فأرسل مسلم الى نصر فصادفوه نائما فجاؤا به في قميص ليس عليه سراويل ملببا فجعل يضم عليه قميصه فاستحيى مسلم وقال شيخ من مضر جئتم به على هذه الحال ثم عزل الجنيد مسلما عن بلخ وولاها يحيى بن ضبيعة واستعمل على خراج سمرقند شداد بن خالد الباهلي وكان مع الجنيد السمهري بن قعنب ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة ابراهيم بن هشام المخزومي وكان اليه من العمل في هذه السنة ما كان اليه في السنة التي قبلها وقد ذكرت ذلك قبل وكان العامل على العراق خالد بن عبد الله وعلى خراسان الجنيد بن عبد الرحمن

ثم دخلت سنه اثنتى عشرة ومائة

﴿ذكر ما كان فيها من الاحداث﴾

فما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خرشنة وحرق فرندية من ناحية ملطية ﴿وفيها﴾ سار الترك من اللان فلقيهم الجراح بن عبد الله الحكمي فمن معه من أهل الشأم وآذربيجان فلم يتتام اليه جيشه فاستشهد الجراح ومن كان معه بمرج أردبيل وافتتحت الترك أردبيل وقد كان استخلف أخاه الحجاج بن عبد الله على أرمينية (ذكر محمد بن عمر) ان الترك قتلت الجراح بن عبد الله ببلنجر وان هشاما لما بلغه خبره دعا سعيد ابن عمرو الحرشي فقال له انه بلغني أن الجراح قد انحاز عن المشركين قال كلا يا أمير المؤمنين الجراح أعرف بالله من أن ينحاز عن العدو ولكنه قتل قال فما الرأي قال تبعثني على أربعين دابة من دواب البريد ثم تبعث الي كل يوم أربعين دابة عليها أربعون رجلا ثم اكتب الى أمراء الاجناد يوافوني ففعل ذلك هشام فذكر أن سعيد بن عمر وأصاب

للترك ثلاثة جموع وفودا الى خاقان بمن أسر وامن المسلمين وأهل الذمة فاستنفذ الحرشي ما أصابوا وأكثروا القتل فيهم وذكر علي بن محمد أن الجنيد بن عبد الرحمن قال في بعض ليالي حربه الترك بالشعب ليلة كليلة الجراح ويوما كيومه فقيل له أصلحك الله أن الجراح سير اليه فقتل أهل الحجى والحفاظ فجن عليه الليل فانسل الناس من تحت الليل الى مدائن لهم بآذربيجان وأصبح الجراح في قلة فقتل ﴿ وفي هذه السنة ﴾ وجه هشام أخاه مسلمة بن عبد الملك في أثر الترك فسار في شتاء شديد البرد والمطر والثلوج فطلبهم فيما ذكر حتى جاز الباب في آثارهم وخلف الحارث بن عمر والطائي بالباب ﴿ وفي هذه السنة ﴾ كانت وقعة الجنيد مع الترك ورئيسهم خاقان بالشعب ﴿ وفيها ﴾ قتل سورة بن الحر وقد قيل ان هذه الوقعة كانت في سنة ١١٣

﴿ ذكر الخبر عن هذه الوقعة وما كان سببها وكيف كانت ﴾

ذكر علي بن محمد عن أشياخه أن الجنيد بن عبد الرحمن خرج غازيا في سنة ١١٢ يريد طخارستان فنزل على نهر بلخ ووجه عمارة بن حريم الى طخارستان في ثمانية عشر ألفا وابراهيم بن بسام الليثي في عشرة آلاف في وجه آخر وجاشت الترك فأتوا سمرقند وعليها سورة بن الحر أحد بني أبان بن دارم فكتب سورة الى الجنيد ان خاقان جاش بالترك فخرجت اليهم فما قدرت أن أمنع حائط سمرقند فالغوث فأمر الجنيد الناس بالعبور فقام اليه المجشر بن مزاحم السلمي وابن بسطام الازدي وابن صبيح الحرقي فقالوا ان الترك ليسوا كغيرهم لا يلقونك صفا ولا زحفا وقد فرقت جندك فمسلم بن عبد الرحمن بالنيروز والبخترى بهراة ولم يحضرك أهل الطالقان وعمارة بن حريم غائب وقال له المجشر ان صاحب خراسان لا يعبر النهر في أقل من خمسين ألفا فكتب الى عمارة فليأتيك وامهل ولا تعجل قال فكيف بسورة ومن معه من المسلمين لو لم أكن الا في بني مرة أو من طلع معي من أهل الشأم لعبرت وقال

أليس أحق الناس أن يشهد الوغا * وأن يقتل الابطال ضخما على ضخم

﴿ وقال ﴾

ما علني ماعلني ماعلني * إن لم أقاتلهم فجزوا لمني

قال وعبر فنزل كس وقد بعث الاشهب بن عبيد الحنظلي ليعلم علم القوم فرجع اليه وقال قد أتوك فتأهب للمسير وبلغ الترك فعوروا الآبار التي في طريق كس وما فيه من الركايا فقال الجنيد أي الطريقين الى سمرقند أمثل قالوا طريق المحترقة قال المجشر بن مزاحم السلمي القتل بالسيف أمثل من القتل بالنار ان طريق المحترقة فيه الشجر والحشيش ولم يزرع منذ سنين فقد ترا كم بعضه على بعض فان لقيت خاقان أحرق ذلك كله فقتلنا

بالنار والدخان ولكن خذ طريق العقبة فهو بيننا وبينهم سواء فأخذ الجنيد طريق العقبة فارتقى في الجبل فأخذ المجشر بعنان دابته وقال انه كان يقال ان رجلا من قيس مترفا يهلك على يديه جند من جنود خراسان وقد خفنا أن تكونه قال أفرخ روعك فقال المجشر اما اذا كان بيننا مثلك فلا يفرخ فبات في أصل العقبة ثم ارتحل حين أصبح فصار الجنيد بين مرتحل ومقيم فتلقى فارسا فقال ما اسمك فقال حرب قال ابن من قال ابن محربة قال من بني من قال من بني حنظلة قال سلط الله عليك الحرب والحرب والكلاب ومضى بالناس حتى دخل الشعب وبينه وبين مدينة سمرقند أربع فراسخ فصبحه خاقان في جمع عظيم وزحف اليه أهل السغد والشاش وفرغانة وطائفة من الترك قال فحمل خاقان على المقدمة وعليها عثمان بن عبد الله بن الشخير فرجعوا الى العسكر والترك تتبعهم وجاؤهم من كل وجه وقد كان الاخر يد قال للجنيد رد الناس الى العسكر فقد جاءك جمع كثير فطلع أوائل العدو والناس يتغدون فرآهم عبيد الله بن زهير بن حيان فكره أن يعلم الناس حتى يفرغوا من غداهم والتفت أبو الذيال فرآهم فقال العدو فركب الناس الى الجنيد فصير تميما والازد في الميمنة وربيعة في الميسرة مما يلي الجبل وعلى مجففة خيل بني تميم عبيد الله بن زهير ابن حيان وعلى المجردة عمر أو عمرو بن جرفاس بن عبد الرحمن بن شقران المنقري وعلى جماعة بني تميم عامر بن مالك الحماني وعلى الازد عبد الله بن بسطام بن مسعود بن عمرو المعني وعلى خيلهم المجففة والمجردة فضيل بن هناد وعبد الله بن حوذان أحدهما على المجففة والآخر على المجردة ويقال بل كان بشر بن حوذان أخو عبد الله بن حوذان الجهضمي فالتقوا وربيعة مما يلي الجبل في مكان ضيق فلم يقدم عليهم أحد وقصد العدو لميمنة وفيها تميم والازد في موضع واسع فيه مجال للخيل فترجل حيان بن عبيد الله بن زهير بين يدي أبيه ودفع برذونه الى أخيه عبد الملك فقال له أبوه يا حيان انطلق الى أخيك فانه حدث وأخاف عليه فأبى فقال يا بني انك ان قتلت على حالك هذه قتلت عاصيا فرجع الى الموضع الذي خلف فيه أخاه والبرذون فاذا أخوه قد لحق بالعسكر وقد شد البرذون فقطع حيان مقوده وركبه فأتى العدو فاذا العدو قد أحاط بالموضع الذي خلف فيه أباه وأصحابه فأمدهم الجنيد بنصر بن سيار في سبعة معه فيهم جميل بن غزوان العدوي فدخل عبيد الله بن زهير معهم وشدوا على العدو فكشفوهم ثم كروا عليهم فقتلوا جميعا فلم يفلت منهم أحد ممن كان في ذلك الموضع وقتل عبيد الله بن زهير وابن حوذان وابن جرفاس والفضيل ابن هناد وجالت الميمنة والجنيد واقف في القلب فأقبل الى الميمنة فوقف تحت راية الازد وقد كان جفاهم فقال له صاحب راية الازد ما جئنا التعبونا ولا لتكرمنا ولكنك قد علمت أنه لا يوصل اليك ومنا رجل حتى فان ظفرنا كان لك وان هلكنا لم تبك علينا ولعمري لئن

ظفرنا وبقيت لا أكلمك كلمة أبدا وتقدم فقتل وأخذ الراية ابن مجاعة فقتل فتداول الراية ثمانية عشر رجلا منهم فقتلوا فقتل يومئذ ثمانون رجلا من الازد قال وصبر الناس يقاتلون حتى أعيوا فكانت السيوف لا تحيك ولا تقطع شيأ فقطع عبيدهم الخشب يقاتلون به حتى مل الفريقان فكانت المعانقة فتحاجز وا فقتل من الازد حمزة بن مجاعة العتكي ومحمد بن عبد الله بن حوذان الجهضمي وعبد الله بن بسطام المعني وأخوه زنيم والحسن بن شيخ والفضيل الحارثي وهو صاحب الخيل ويزيد بن المفضل الحداني وكان حج فأنفق في حجه ثمانين ومائة ألف فقال لامه وحشية ادعي الله أن يرزقني الشهادة فدعت له وغشي عليه فاستشهد بعد مقدمه من الحج بثلاثة عشر يوما وقاتل معه عبدان له وقد كان أمرهما بالانصراف فقتلا فاستشهدا قال وكان يزيد بن المفضل حمل يوم الشعب على مائة بعير سويقا للمسلمين فجعل يسأل عن الناس ولا يسأل عن أحد الا قيل له قد قتل فاستقدم وهو يقول لا إله الا الله فقاتل حتى قتل وقاتل يومئذ محمد بن عبد الله بن حوذان وهو على فرس أشقر عليه تجفاف مذهب فحمل سبع مرات يقتل في كل حملة رجلا ثم رجع الى موقفه فهابه من كان في ناحيته فناداه ترجمان للعدو يقول لك الملك لا تقبل وتحول الينا فنرفض صنمنا الذي نعبده ونعبدك فقال محمد أنا أقاتلكم لتتركوا عبادة الاصنام وتعبدوا الله وحده فقاتل واستشهد وقتل جشم بن قرط الهلالي من بني الحارث وقتل النضر بن راشد العبدي وكان دخل على امرأته والناس يقتتلون فقال لها كيف أنت اذا أتيت بأبي ضمرة في لبد مضرجا بالدماء فشقت جيبها ودعت بالويل فقال حسبك لو أعولت على كل أنثى لعصيتها شوقا الى الحور العين ورجع فقاتل حتى استشهد رحمه الله قال فبينا الناس كذلك اذ أقبل رهج فطلعت فرسان فنادى منادي الجنيد الارض الارض فترجل وترجل الناس ثم نادى منادي الجنيد ليخندق كل قائد على حياله فخندق الناس قال ونظر الجنيد الى عبد الرحمن بن مكية يحمل على العدو فقال ما هذا الخرطوم السائل قيل له هذا ابن مكية قال ألسان البقرة لله در أي رجل هو وتحاجزوا وأصيب من الازد مائة وتسعون وكانوا لقوا خافان يوم الجمعة فأرسل الجنيد الى عبد الله بن معمر بن سمير اليشكري أن يقف في الناحية التي تلي كس ويحبس من مر به ويحوز الاثقال والرجالة وجاءت الموالي رجالة ليس فيهم غير فارس واحد والعدو يتبعونهم فثبت عبد الله بن معمر للعدو فاستشهد في رجال من بكر وأصبحوا يوم السبت فأقبل خافان نصف النهار فلم ير موضعا للقتال فيه أيسر من موضع بكر بن وائل وعليهم زياد بن الحارث فقصدلهم فقالت بكر لزياد القوم قد كثرونا فخل عنا نحمل عليهم قبل أن يحملوا علينا فقال لهم قد مارست سبعين سنة انكم ان حملتم عليهم فصعدتم انهزمتم ولكن دعوهم حتى يقربوا ففعلوا فلما قربوا منهم حملوا عليهم

فافرجوا

فافرجوالهم فمجد الجنيد وقال خاقان يومئذ ان العرب اذا أخرجوا استقتلوا فخلوهم حتى يخرجوا ولا تعرضوا لهم فانكم لا تقومون لهم وخرج جوار للجنيد يولولن فانتدب رجال من أهل الشأم فقالوا الله الله يا أهل خراسان الى أين وقال الجنيد ليلة كليلة الجراح ويوم كيومه ﴿وفي هذه السنة﴾ قتل سورة بن الحر التميمي

﴿ذكر الخبر عن مقتله﴾

* ذكر علي عن شيوخه أن عبيد الله بن حبيب قال للجنيد اختر بين أن تهلك أنت أو سورة فقال هلاك سورة أهون علي قال فاكتب اليه فليأتك في أهل سمرقند فان الترك ان بلغهم أن سورة قد توجه اليك انصرفوا اليه فقاتلوه فكتب الى سورة يأمره بالقدوم * وقيل كتب أغثني فقال عبادة بن السليل المحاربي أبو الحكم بن عبادة لسورة أنظر أبرد بيت بسمرقند فنم فيه فانك ان خرجت لا تبالي أسخط عليك الامير أم رضي وقال له حليس بن غالب الشيباني ان الترك بينك وبين الجنيد فان خرجت كروا عليك فاختطفوك فكتب الى الجنيد اني لا أقدر على الخروج فكتب اليه الجنيد يا ابن اللخناء تخرج والا وجهت اليك شداد بن خالد الباهلي وكان له عدوا فاقدم وضع فلانا بفرخشاذ في خمسمائة ناشب وألزم الماء فلا تفارقه فأجمع على المسير فقال الوجف بن خالد العبدي انك لمهلك نفسك والعرب بمسيرك ومهلك من معك قال لا يخرج حملي من التنور حتى أسير فقال له عبادة وحليس أما اذا أبيت الا المسير فخذ على النهر فقال أنا لا أصل اليه على النهر في يومين وبيني وبينه من هذا الوجه ليلة فأصبحه فاذا سكنت الرجل سرت فأعبره فجاءت عيون الاتراك فأخبروهم وأمر سورة بالرحيل واستخلف على سمرقند موسى بن أسود أحد بني ربيعة بن حنظلة وخرج في اثني عشر ألفا فأصبح على رأس جبل وانما دله على ذلك الطريق علج يسمى كارتقبد فتلقاه خاقان حين أصبح وقد سار ثلاثة فراسخ وبينه وبين الجنيد فرسخ فقال أبو الذيال قاتلهم في أرض حوارة فصبر وصبر واحتى اشتد الحر وقال بعضهم قال له غوزك يومك يوم حار فلا تقاتلهم حتى تحمى عليهم الشمس وعليهم السلاح تثقلهم فلم يقاتلهم خاقان وأخذ برأي غوزك وأشعل النار في الحشيش واقفهم وحال بينهم وبين الماء فقال سورة لعبادة ما ترى يا أبا السليل قال أرى والله أنه ليس من الترك أحد الا وهو يريد الغنيمة فاعقر هذه الدواب وأحرق هذا المتاع وجرد السيف فانهم يخلون لنا الطريق قال أبو الذيال فقال سورة لعبادة ما الرأي قال تركت الرأي قال فما ترى الآن قال ان تنزل فنشرع الرماح ونزحف زحفا فانما هو فرسخ حتى نصل الى العسكر قال لا أقوى على هذا ولا يقوى فلان وفلان وعدد رجالا ولكن أرى أن أجمع الخيل ومن أرى أنه يقاتل فأصكهم صلمت أم عطبت فجمع الناس وحملوا فانكشفت الترك وثار الغبار فلم يبصروا ومن وراء الترك

اللهبُ فسقطوا فيه وسقط فيه العدوّ والمسلمون وسقط سورة فاندقّت فخذه وتفرّق الناس وانكشفت الغمّة والناس متفرقون فقطعتهم الترك فقتلوهم فلم ينجُ منهم غير ألفين ويقال ألف وكان ممن نجا عاصم بن عمير السمرقندىّ عرفه رجل من الترك فأجاره واستشهد حليس بن غالب الشيبانىّ فقال رجل من العرب الحمد لله استشهد حليس ولقد رأيته يرمى البيت أيام الحجاج ويقول درّى عقاب بلبن وأخشاب وامرأة قائمة فكلما رمى بحجر قالت المرأة يارب بى ولا ببيتك ثم رُزق الشهادة وانحاز المهلب بن زياد العجلىّ فى سبعمائة ومعه قريش بن عبد الله العبدىّ الى رستاق يسمى المرغاب ففاتلوا أهل قصر من قصورهم فاصيب المهلب بن زياد وولوا أمرهم الوجف بن خالد ثم أتاهم الاشكند صاحب نسف فى خيل ومعه غوزك فقال غوزك ياوجف لكم الامان فقال قريش لاتثقوا بهم ولكن اذا جنّنا الليل خرجنا عليهم حتى نأتى سمرقند فانا إن أصبحنا معهم قتلونا قال فعصوه وأقاموا فساقوهم الى خافان فقال لا أجيز أمان غوزك فقال غوزك للوجف أنا عبد لخافان من شاكريته قالوا فلم غورتنا فقاتلهم الوجف وأصحابه فقتلوا غير سبعة عشر رجلا دخلوا الحائط وأمسوا فقطع المشركون شجرة فألقوها على ثلمة الحائط فجاء قريش بن عبد الله العبدىّ الى الشجرة فرمى بها وخرج فى ثلاثة فباتوا فى ناووس فكمنوا فيه وجبن الآخرون فلم يخرجوا فقتلوا حين أصبحوا وقتل سورة فلما قتل خرج الجنيد من الشعب يريد سمرقند مبادرا فقال له خالد بن عبيد الله بن حبيب سَرْسَر ومجشر بن مزاحم السلمىّ يقول أذكرك الله أقم والجنيد يتقدّم فلما رأى المجشر ذلك نزل فأخذ بلجام الجنيد فقال والله لاتسير ولتنزلنّ طائعا أوكارها ولاندعك تُهلكنا بقول هذا الهجرىّ انزل فنزل ونزل الناس فلم يتتامّ نزولهم حتى طلع الترك فقال المجشر لولقونا ونحن نسير ألم يستأصلونا فلما أصبحوا تناهضوا فانكشفت طائفة وجال الناس فقال الجنيد أيها الناس انها النار فتراجعوا وأمر الجنيد رجلا فنادى أىّ عبد قاتَلَ فهو حرٌّ فقاتل العبيد قتالا شديدا عجب الناس منه جعل أحدهم يأخذ اللبد فيجوبه ويجعله فى عنقه يتوقى به فسرّ الناس بما رأوا من صبرهم فكرّ العدوّ وصبر الناس حتى انهزم العدوّ فمضوا فقال موسى بن النعر للناس أتفرحون بما رأيتم من العبيد والله ان لكم منهم ليوما أرونان ومضى الجنيد فأخذ العدوّ رجلا من عبد القيس فكتفوه وعلقوا فى عنقه رأس بلعاء العنبرىّ ابن مجاهد بن بلعاء فلقيه الناس فأخذ بنو تميم الرأس فدفنوه ومضى الجنيد الى سمرقند فحمل عيال من كان مع سورة الى مرو وأقام بالسغد أربعة أشهر وكان صاحب رأى خراسان فى الحرب المجشر ابن مزاحم السلمىّ وعبد الرحمن بن صبح الخرقىّ وعبيد الله بن حبيب الهجرىّ وكان المجشر يُنزل الناس على راياتهم ويضع المسالح ليس لأحد مثل رأيه فى ذلك وكان عبد الرحمن

ابن صبيح اذا نزل الامر العظيم في الحرب لم يكن لأحد مثل رأيه وكان عبيد الله بن خبيب على تعبية القتال وكان رجال من الموالي مثل هؤلاء في الرأي والمشورة والعلم بالحرب فمنهم الفضل بن بسام مولى بني ليث وعبد الله بن أبي عبد الله مولى بني سليم والبختري بن مجاهد مولى بني شيبان قال فلما انصرف الترك الى بلادهم بعث الجنيد سيف بن وصاف العجلي من سمرقند الى هشام فجبن عن السير وخاف الطريق فاستعفاه فأعفاه وبعث نهار بن توسعة أحد بني تميم اللات وزميل بن سويد المرّي مرّة غطفان وكتب الى هشام أن سورة عصاني امرته بلزوم الماء فلم يفعل فتفرّق عنه أصحابه فأتتني طائفة الى كس وطائفة الى نسف وطائفة الى سمرقند وأصيب سورة في بقية أصحابه قال فدعا هشام نهار بن توسعة فسأله عن الخبر فأخبره بما شهد فقال نهار بن توسعة

لعمرك ما حابيتني إذ بعثتني * ولكنما عرّضتني للمتالف
دعوت لها قوما فما فيها بواركو بها * وكنت امرء اركابه للمخاوف
فأيقنت إن لم يدفع الله انني * طعام سباع أو لطير عوائف
قرين عراك وهو أيسر هالك * عليك وقد زملته بصحائف
فإني وإن آثرت منه قرابة * لأعظم حظا في حباء الخلائف
على عهد عثمان وفدنا وقبله * وكنا أولي مجد تليد وطارف

قال وكان عراك معهم في الوفد وهو ابن عم الجنيد فكتب الى الجنيد قد وجهت اليك عشرين ألفا مددا عشرة آلاف من أهل البصرة عليهم عمرو بن مسلم ومن أهل الكوفة عشرة آلاف عليهم عبد الرحمن بن نعيم ومن السلاح ثلاثين ألف رمح ومثلها ترسة فأفرض فلا غاية لك في الفريضة لخمسة عشر ألفا قال ويقال ان الجنيد أوفد الوفد الى خالد بن عبد الله فأوفد خالد الى هشام ان سورة بن الحرّ خرج يتصيّد مع أصحاب له فهجم عليهم الترك فأصيبوا فقال هشام حين أتاه مصاب سورة انا لله وانا اليه راجعون مصاب سورة بن الحرّ بخراسان والجرّاح بالباب وابلى نصر بن سيار يومئذ بلاء حسنا فانقطع سيفه وانقطع سيور ركابه فأخذ سيور ركابه فضرب به رجل حتى أثخنه وسقط في اللهب مع سورة يومئذ عبد الكريم بن عبد الرحمن الحنفي واحد عشر رجلا معه وكان ممن سلم من أصحاب سورة ألف رجل فقال عبد الله بن حاتم بن النعمان رأيت فساطيط مبنية بين السماء والارض فقلت لمن هذه فقالوا لعبد الله بن بسطام وأصحابه فقتلوا من غد فقال رجل مررت في ذلك الموضع بعد ذلك بحين فوجدت رائحة المسك ساطعة قال ولم يشكر الجنيد لنصر ما كان من بلائه فقال نصر

إن تحسدوني على حسن البلاء لكم * يوما فمثل بلائي جرّ لي الحسدا

يأبى الإله الذى أعلى بقدرته * كعبى عليكم وأعطى فوقكم عضدا
وضربى الترك عنكم يوم فرقكم * بالسيف فى الشعب حتى جاوز السندا

قال وكان الجنيد يوم الشعب أخذ فى الشعب وهو لا يرى أن أحدا يأتيه من الجبال وبعث ابن الشخير فى مقدمته واتخذ ساقة ولم يتخذ مجنبتين وأقبل خاقان فهزم المقدمة وقتل من قتل منهم وجاءه خاقان من قبل ميسرته وجبغويه من قبل الميمنة فأصيب رجال من الازد وتميم وأصابوا له سرادقات وأبنية فأمر الجنيد حين أمسى رجلا من أهل بيته فقال له امش فى الصفوف والدراجة وتسمع ما يقول الناس وكيف حالهم ففعل ثم رجع اليه فقال رأيتهم طيبة أنفسهم يتناشدون الاشعار ويقرؤن القرآن فسرّه ذلك وحمد الله قال ويقال نهضت العبيد يوم الشعب من جانب العسكر وقد أقبلت الترك والسغد ينحدرون فاستقبلهم العبيد وشدّوا عليهم بالعمد فقتلوا منهم تسعة فأعطاهم الجنيد أسلابهم وقال ابن السجف فى يوم الشعب ويعنى هشاما

أذكر يتامى بأرض الترك ضائعة * هزلى كأنهم فى الحائط الحجل
وارحم والاً فهبها أمة دمرت * لا أنفس بقيت فيها ولا ثقل
لا تأملن بقاء الدهر بعدهم * والمرء ما عاش ممدود له الأمل
لاقوا كتائب من خاقان معلمة * عنهم يضيق فضاء السهل والجبل
لما رأوهم قليلا لا صريخ لهم * مدّوا بأيديهم لله وابتهلوا
وبايعوا ربّ موسى بيعة صدقت * ما فى قلوبهم شكّ ولا دغل

قال فأقام الجنيد بسمرقند ذلك العام وانصرف خاقان الى بخارى وعليها قطن بن قتيبة فخاف الناس الترك على قطن فشاورهم الجنيد فقال قوم الزم سمرقند واكتب الى أمير المؤمنين يمدّك بالجنود وقال قوم تسير فتأتى رَبنجن ثم تسير منها الى كس ثم تسير منها الى نسف فتتصل منها الى أرض زمّ وتقطع النهر وتنزل آمل فتأخذ عليه بالطريق فبعث الى عبد الله بن أبى عبد الله فقال قد اختلف الناس علىّ وأخبره بما قالوا فما الرأى فاشترط عليه ألا يخالفه فيما يشير به عليه من ارتحال أو نزول أو قتال قال نعم قال فانى أطلب اليك خصالا قال وما هى قال تخندق حيثما نزلت ولا يفوتنك حمل الماء ولو كنت على شاطئ نهر وأن تطيعنى فى نزولك وارتحالك فأعطاه ما أراد قال أما ما أشار وابه عليك فى مقامك بسمرقند حتى يأتيك الغياث فالغياث يبطئ عنك وان سرت فأخذت بالناس غير الطريق فتتّ فى أعضادهم فانكسروا عن عدوّهم فاجترأ عليك خاقان وهو اليوم قد استفتح بخارى فلم يفتحوا له فان أخذت بهم غير الطريق تفرّق الناس عنك مبادرين الى منازلهم ويبلغ أهل بخارى فيستسلموا العدوّ وهم وان أخذت الطريق الاعظم هابك العدوّ والرأى لك أن

تعمد الى عيالات من شهد الشعب من أصحاب سورة فتقسمهم على عشائرهم وتحملهم معك فانى أرجو بذلك أن ينصرك الله على عدوك وتعطى كل رجل تخلف بسمرقند ألف درهم وفرسا قال فأخذ برأيه فخلف فى سمرقند عثمان بن عبد الله بن الشخير في ثمانى مائة أربعمائة فارس وأربعمائة راجل وأعطاهم سلاحا فشتم الناس عبد الله بن أبى عبد الله مولى بنى سليم وقالوا عرضنا الخافان والترك ما أراد الا هلاكنا فقال عبد الله بن حبيب لحرب بن صبيح كم كانت لكم الساقة اليوم قال ألف وستمائة قال لقد عرضنا للهلاك قال فأمر الجنيد بحمل العيال قال وخرج والناس معه وعلى طلائعه الوليد بن القعقاع العبسى وزياد ابن خيران الطائى فسرح الجنيد الاشهب بن عبيد الله الحنظلى ومعه عشرة من طلائع الجند وقال له كلما مضيت مرحلة فسرح الى رجلا يعلمنى الخبر قال وسار الجنيد فلما صار بقصر الريح أخذ عطاء الدبوسى بلجام الجنيد وكبحه فقرع رأسه هارون الشاشى مولى بنى حازم بالرمح حتى كسره على رأسه فقال الجنيد لهارون خل عن الدبوسى وقال له مالك يا دبوسى فقال أنظر أضعف شيخ فى عسكرك فسلحه سلاحا تاما وقلده سيفا وجعبة وترسا وأعطه رمحا تم سر بنا على قدر مشيه فانا لا نقدر على السوق والقتال وسرعة السير ونحن رجالة ففعل ذلك الجنيد فلم يعرض للناس عارض حتى خرجوا من الاماكن المخوفة ودنا من الطواويس فجاءتنا الطلايع بإقبال خاقان فعرضوا له بكرمينية أول يوم من رمضان فلما ارتحل الجنيد من كرمينية قدم محمد بن الرندى فى الاساورة آخر الليل فلما كان فى طرف مفازة كرمينية رأى ضعف العدو فرجع الى الجنيد فأخبره فنادى منادى الجنيد الا يخرج المكتبون الى عدوهم فخرج الناس ونشبت الحرب فنادى رجل أيها الناس صرتم حرورية فاستقتلتم وجاء عبد الله بن أبى عبد الله الى الجنيد يضحك فقال له الجنيد ما هذا بيوم ضحك فقيل له انه ضحك تعجبا فالحمد لله الذى لم يلقك هؤلاء الا فى جبال معطشة قهم على ظهر وأنت مخندق آخر النهار كالين وأنت معك الزاد فقاتلوا قليلا ثم رجعوا وكان عبد الله بن أبى عبد الله قال للجنيد وهم يقاتلون ارتحل فقال الجنيد وهل من حيلة قال نعم تمضى برايتك قدر ثلاث غلاء فان خاقان ودانك أقمت فينطوى عليك اذا شاء فأمر بالرحيل وعبد الله بن أبى عبد الله على الساقة فأرسل اليه أنزل قال أنزل على غير ماء فأرسل اليه ان لم تنزل ذهبت خراسان من يدك فنزل وأمر الناس أن يسقوا فذهبت الناس الرجالة والناشبة وهم صفان فاستقوا وباتوا فلما أصبحوا ارتحلوا فقال عبد الله بن أبى عبد الله انكم معشر العرب أربعة جوانب فليس يغيب بعضهم بعضا كل ربع لا يقدر أن يزول عن مكانه مقدمة وهم القلب ومجنبتان وساقة فان جمع خاقان خيله ورجاله ثم صدم جانبا منكم وهم الساقة كان بوار كم وبالحرى أن يفعل وأنا أتوقع ذلك في يومى فشدوا

الساقة بخيل فوجه الجنيد خيل بنى تميم والمجففة وجاءت الترك فمالت على الساقة وقد دنا المسلمون من الطواويس فاقتتلوا فاشتد الامر بينهم فحمل سلم بن أحوز على رجل من عظماء الترك فقتله قال فنطير الترك وانصرفوا من الطواويس ومضى المسلمون فأتوا بخارى يوم المهرجان قال فتلقونا بدراهم بخارية فأعطاهم عشرة عشرة فقال عبد المؤمن ابن خالد رأيت عبد الله بن أبى عبد الله بعد وفاته في المنام فقال حدث الناس عنى برأيى يوم الشعب قال وكان الجنيد يذكر خالد بن عبد الله و يقول ربذة من الربذ صنبور بن صنبور قل بن قل هيفة من الهيف وزعم أن الهيفة الضبع والعجرة الخنزيرة والقل الفرد قال وقدمت الجنود مع عمرو بن مسلم الباهلى فى أهل البصرة وعبد الرحمن بن نعيم العامرى فى أهل الكوفة وهو بالصغانيان فسرح معهم الحوثرة بن يزيد العنبرى فمن انتدب معه من التجار وغيرهم وأمرهم أن يحملوا ذرارى أهل سمرقند ويدعوا فيها المقاتلة ففعلوا ﴿قال أبو جعفر﴾ وقد قيل ان وقعة الشعب بين الجنيد وخاقان كانت فى سنة ١١٣ وقال نصر بن سيار يذكر يوم الشعب وقتال العبيد

إنى نشأت وحسادى ذوو عدد * ياذا المعارج لاتنقص لهم عددا
ان تحسدونى على مثل البلاء لكم * يوما فمثل بلائى جر لى الحسدا
يأبى الإله الذى أعلى بقدرته * كعبى عليكم وأعطى فوقكم عددا
أرمى العدو بأفراس مكلمة * حتى اتخذن على حساده يدا
من ذا الذى منكم فى الشعب اذ وردوا * لم يتخذ حومة الأثقال معتمدا
فما حفظتم من الله الوصاة ولا * أنتم بصبر طلبتم حسن ماوعدا
ولا نهاكم عن التوثاب فى عتب * إلا العبيد بضرب يكسر العمدا
هلا شكرتم دفاعى عن جنيدكم * وقع القنا وشهاب الحرب قد وقدا

(وقال ابن عرس العبدى) يمدح نصرا يوم الشعب ويذم الجنيد لان نصرا ابلى يومئذ

يانصر أنت فتى نزار كلها * فلك المآثر والفعال الأرفع
فرجت عن كل القبايل كربة * بالشعب حين تخاضعوا وتضعضعوا
يوم الجنيد إذا القنا متشاجر * والنحر دام والخوافق تلمع
مازلت ترميهم بنفس حرة * حتى تفرج جمعهم وتصدعوا
فالناس كل بعدها عتقاؤكم * ولك المكارم والمعالى أجمع

وقال الشرعى الطائى

تذكرت هندا فى بلاد غريبة * فيالك شوقا هل لشملك مجمع

تذكرتها والشاش بيني وبينها * وشعب عصام والمنايا تطلع
بلاد بها خافان جم زحوفه * ونيلان في سبعين ألفا مقنع
اذا دب خافان وسارت جنوده * أتتنا المنايا عند ذلك شرع
هنالك هند مالنا النصف منهم * وما إن لنا ياهند في القوم مطمع
ألا رب خود خدلة قد رأيتها * يسوق بها جهم من السغد أصمع
أحامي عليها حين ولى خليلها * تنادى اليها المسلمين فتسمع
تنادى بأعلى صوتها صف قومها * ألا رجل منكم يغار فيرجع
ألا رجل منكم كريم يردني * يرى الموت في بعض المواطن ينفع
فما جاوبوها غير إن نصيفها * بكف الفتى بين البرازيق أشنع
إلى الله أشكو نبوة في قلوبها * ورعبا ملا أجوافها يتوسع
فمن مبلغ عني ألوكا صحيفة * إلى خالد من قبل أن نتوزع
* بأن بقايانا وأن أميرنا * إذا ما عددناه الذليل الموقع
هم أطمعوا خافان فينا وجنده * ألا ليتنا كنا هشيما يزعزع

وقال ابن عرس واسمه خالد بن المعارك من بني غنم بن وديعة ابن لكيز بن أفصى وذكر علي بن محمد عن شيخ من عبد القيس ان أمه كانت أمة فباعه أخوه تميم بن معارك من عمرو بن لقيط أحد بني عامر بن الحارث فأعتقه عمرو لما حضرته الوفاة فقال يا أبا يعقوب كم لي عندك من المال قال ثمانون ألفا قال أنت حر وما في يديك لك قال فكان عمر ينزل مرو الروذ وقد اقتتلت عبد القيس في ابن عرس فردوه الى قومه فقال ابن عرس للجنيد

أين حماة الحرب من معشر * كانوا جمال المنسر الحارد
بادوا بآجال توافوا لها * والعائر المهمل كالبائد
فالعين تجري دمعها مسبلا * ما الدمع العين من زائد
أنظر ترى للميت من رجعة * أم هل ترى في الدهر من خالد
كنا قديما يتقى بأسنا * وندرأ الصادر بالوارد
حتى منينا بالذى شامنا * من بعد عز ناصر آئد
كعاقر الناقة لا ينثني * مبتدئا ذى حنق جاهد
فتقت مالم يلتئم صدعه * بالجحفل المحتشد الزائد
تبكي لها إن كشفت ساقها * جدعا وعقرا لك من فائد

تركتنا أجزاء مغبوطة * يقسمها الجازر للناهد
ترقت الأسياف مسلولة * تزيل بين العضد والساعد
تساقط الهامات من وقعها * بين جناحي مبرق راعد
إذ أنت كالطفلة في خدرها * لم تدر ما كيدة الكائد
إنا أناس حربنا صعبة * تعصف بالقائم والقاعد
أضحت سمرقند وأشياعها * أحدوثة الغايب والشاهد
وكم ثوى في الشعب من حازم * جلد القوى ذي مرة ماجد
يستنجد الخطب ويغشى الوغى * لاهايب غس ولا ناكد
ليتك يوم الشعب في حفرة * مرموسة بالمدر الجامد
تلعب بك الحرب وأبناؤها * لعب صقور بقطا وارد
طار لها قلبك من خيفة * ماقلبك الطائر بالعائد
لاتحسبن الحرب يوم الضحى * كشربك المزاء بالبارد
أبغضت من عينك تبريجها * وصورة في جسد فاسد
جنيد ما عيصك منسوبه * نبعا ولا جدك بالصاعد
خمسون ألفا قتلوا ضيعة * وأنت منهم دعوة الناشد
لاتمرين الحرب من قابل * ماأنت في العدوة بالحامد
قلدته طوقا على نحره * طوق الحمام الغرد الفارد
قصيدة حبرها شاعر * تسعى بها البرد إلى خالد

﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة ابراهيم بن هشام المخزومي كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وقد قيل ان الذي حج بالناس في هذه السنة سليمان بن هشام وكانت عمال الامصار في هذه السنة عمالها الذين كانوا في سنة ١١١ وقد ذكرناهم قبل

﴿ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

فمما كان فيها من ذلك هلاك عبد الوهاب بن بخت وهو مع البطال عبد الله بأرض الروم فذكر محمد بن عمر عن عبد العزيز بن عمران عبد الوهاب بن بخت غزا مع البطال سنة ١١٣

فانهزم الناس عن البطال وانكشفوا فجعل عبد الوهاب يكرّ فرسه وهو يقول ما رأيت فرسا أجبن منه وسفك الله دمي ان لم أسفك دمك ثم ألقى بيضته عن رأسه وصاح أنا عبد الوهاب ابن بخت أمن الجنة تفرّون ثم تقدّم في نحور العدو فرّ برجل وهو يقول واعطشاه فقال تقدّم الى أمامك فخالط القوم فقُتل وقُتل فرسه ﴿ومن ذلك﴾ ما كان من تفريق مسلمة ابن عبد الملك الجيوش في بلاد خاقان ففتحت مدائن وحصون على يديه وقتل منهم وأسر وسبى وحرق خلق كثير من الترك أنفسهم بالنار ودان لمسلمة من كان وراء جبال بلنجر وقتل ابن خاقان ﴿ومن ذلك﴾ غزوة معاوية بن هشام أرض الروم فرابط من ناحية مرعش ثم رجع ﴿وفي هذه السنة﴾ صار من دُعاة بني العباس جماعة الى خراسان فأخذ الجنيد بن عبد الرحمن رجلا منهم فقتله وقال من أصيب منهم فدمه هدر ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة في قول أبي معشر سليمان بن هشام بن عبد الملك حدّثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وقال بعضهم الذي حجّ بالناس في هذه السنة ابراهيم بن هشام المخزومي وكان عمال الامصار في هذه السنة هم الذين كانوا عمالها في سنة احدى عشرة واثنتي عشرة وقد مضى ذكرنا لهم

﴿ ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة ﴾

﴿ذكر الاخبار عن الاحداث التي كانت فيها﴾

فمن ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وسليمان بن هشام على الصائفة اليمنى فذكر ان معاوية بن هشام أصاب ربض أقرن وان عبد الله البطّال التقى وقسطنطين في جمع فهزمهم وأسر قسطنطين وبلغ سليمان بن هشام قيسارية ﴿وفي هذه السنة﴾ عزل هشام ابن عبد الملك ابراهيم بن هشام عن المدينة وأمّر عليها خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم قال الواقدي قدم خالد بن عبد الملك المدينة للنصف من شهر ربيع الاول وكانت إمرة ابراهيم بن هشام على المدينة ثماني سنين وقال الواقدي في هذه السنة ولي محمد بن هشام المخزومي مكة وقال بعضهم بل ولي محمد بن هشام مكة سنة ١١٣ فلما عزل ابراهيم أقرّ محمد بن هشام على مكة ﴿وفي هذه السنة﴾ وقع الطاعون فيما قيل بواسط ﴿وفيها﴾ قفل مسلمة بن عبد الملك عن الباب بعد ما هزم خاقان وبنى الباب فاحكم ما هنالك ﴿وفي هذه السنة﴾ ولي هشام مروان بن محمد أرمينية وآذربيجان واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة فقال أبو معشر فيما حدّثني أحمد بن ثابت عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عنه حج بالناس سنة ١١٤ خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم وهو على المدينة وقال بعضهم حج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام وهو أمير مكة فأقام خالد بن عبد الملك تلك السنة لم يشهد الحجّ قال الواقدي حدّثني بهذا الحديث عبد الله بن جعفر عن صالح بن

كيسان قال الواقدى وقال لى أبو معشر حج بالناس سنة ١١٤ خالد بن عبد الملك ومحمد ابن هشام على مكة قال الواقدى وهو الثبت عندنا وكان عمال الامصار فى هذه السنة هم العمال الذين كانوا فى السنة التى قبلها غير أن عامل المدينة فى هذه السنة كان خالد بن عبد الملك وعامل مكة والطائف محمد بن هشام وعامل أرمينية وآذربيجان مروان بن محمد

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة

﴿ذكر الاخبار عما كان فيها من الاحداث﴾

فما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام أرض الروم ﴿وفيها﴾ وقع الطاعون بالشام ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام بن اسماعيل وهو أمير مكة والطائف كذلك قال أبو معشر فيما حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه وكان عمال الامصار فى هذه السنة عمالها فى سنة ١١٤ غير انه اختلف فى عامل خراسان فى هذه السنة فقال المدائنى كان عاملها الجنيد بن عبد الرحمن وقال بعضهم كان عاملها عمارة ابن حُريم المرّى وزعم الذى قال ذلك ان الجنيد مات فى هذه السنة واستخلف عمارة ابن حريم وأما المدائنى فانه ذكر ان وفاة الجنيد كانت فى سنة ١١٦ ﴿وفى هذه السنة﴾ أصاب الناس بخراسان قحط شديد ومجاعة فكتب الجنيد الى الكوران مرو كانت آمنة مُطمئنّة يأتيها رزقها رغدا من كلّ مكان فكفرت بأنعم الله فاحملوا اليها الطعام قال علىّ بن محمد أعطى الجنيد فى هذه السنة رجلا درهما فاشترى به رغيفا فقال لهم تشكون الجوع ورغيف بدرهم لقد رأيتنى بالهند وان الحبة من الحبوب لتباع عددا بالدرهم وقال ان مرو كما قال الله عزّ وجلّ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة

﴿ذكر ما كان فيها من الاحداث﴾

فمن ذلك ما كان من غزوة معاوية بن هشام أرض الروم الصائفة ﴿وفيها﴾ كان طاعون شديد بالعراق والشأم وكان أشدّ ذلك فيما ذكر بواسط ﴿وفيها﴾ كانت وفاة الجنيد بن عبد الرحمن وولاية عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى خراسان

﴿ذكر الخبر عن أمرهما﴾

* ذكر علىّ بن محمد عن أشياخه أن الجنيد بن عبد الرحمن تزوّج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب فغضب هشام على الجنيد وولى عاصم بن عبد الله خراسان وكان الجنيد سقى بطنه فقال هشام لعاصم ان أدركته وبه رمق فازهق نفسه فقدم عاصم وقدمات الجنيد قال وذكروا أن جبلة بن أبى روّاد دخل على الجنيد عائدا فقال ياجبلة مايقول الناس قال

قلت

قلت يتوجعون للامير قال ليس عن هذا سألتك ما يقولون وأشار نحو الشأم بيده قال قلت يقدم على خراسان يزيد بن شجرة الرهاوي قال ذلك سيد أهل الشأم قال ومن قلت عصمة أو عصام وكنيت عن عاصم فقال ان قدم عاصم فعدو جاهد لا مرحبا به ولا أهلا قال فمات في مرضه ذلك في المحرم سنة ١١٦ واستخلف عمارة بن حريم وقدم عاصم بن عبد الله فحبس عمارة بن حريم وعمال الجنيد وعذبهم وكانت وفاته بمرو فقال أبو الجويرية عيسى ابن عصمة يرثيه

هلك الجودُ والجنيدُ جميعا * فعلى الجودِ والجنيدِ السلامُ
أصبحا ثاويَيْن في أرضِ مرو * ماتغنَّتْ على الغصونِ الحمامُ
كُنتُما نُزْهَةَ الكرامِ فلما * مُتَّ ماتَ النَّدَى ومات الكرامُ

ثم ان أبا الجويرية أتى خالد بن عبد الله القسري وامتدحه فقال له خالد ألست القائل

* هلك الجود والجنيدُ جميعا * مالك عندنا شيءٌ فخرج فقال
تظلُّ لامعةُ الآفاقِ تَحْمِلُنا * إلى عُمارةَ والقُودُ السراهيدُ

قصيدة امتدح بها عمارة بن حريم ابن عم الجنيد وعمارة هو جدّ أبي الهيذام صاحب العصبية بالشأم قال وقدم عاصم بن عبد الله فحبس عمارة بن حريم وعمال الجنيد وعذبهم

﴿وفي هذه السنة﴾ خلع الحارث بن سُرَيج وكانت الحرب بينه وبين عاصم بن عبد الله

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

* ذكر علي عن أشياخه قال لما قدم عاصم خراسان واليا أقبل الحارث بن سُرَيج من النخذخني وصل الى الفارياب وقدّم أمامه بشر بن جُرْمُوز قال فوجه عاصم الخطاب ابن محرز السلمي ومنصور بن عمر بن أبي الحرفاء السلمي وهلال بن عُلَيم التميمي والاشهب الحنظلي وجرير بن هميان السدوسي ومقاتل بن حيان النبطي مولى مصقلة الى الحارث وكان خطاب ومقاتل بن حيان قالا لا تلقوه الا بأمان فأبى عليهما القوم فلما انتهوا اليه بالفارياب قيّدهم وحبسهم ووكل بهم رجلا يحفظهم قال فأوثقوه وخرجوا من السجن فركبوا دوابهم وساقوا دواب البريد فمروا بالطالقان فهم سهرب صاحب الطالقان بهم ثم أمسك وتركهم فلما قدموا مرو أمرهم عاصم فخطبوا وتناولوا الحارث وذكروا خبث سيرته وغدره ثم مضى الحارث الى بلخ وعليها نصر فقاتلوه فهزم أهل بلخ ومضى نصر الى مرو * وذكر بعضهم لما أقبل الحارث الى بلخ وكان عليها التُجيبي بن ضبيعة المرّي ونصر بن سيار وولاهما الجنيد قال فانتهى الى قنطرة عطاء وهي على نهر بلخ على فرسخين من المدينة فتلقى نصر بن سيار في عشرة آلاف والحارث بن سريج في أربعة آلاف فدعاهم الحارث الى الكتاب والسنة والبيعة للرضى فقال قطن بن عبد

الرحمن بن جزى الباهلى ياحارث أنت تدعو الى كتاب الله والسنة والله لو أن جبريل عن يمينك وميكائيل عن يسارك ما أجبتك فقاتلهم فأصابته رمية فى عينه فكان أول قتيل فانهزم أهل بلخ الى المدينة وأتبعهم الحارث حتى دخلها وخرج نصر من باب آخر فأمر الحارث بالكف عنهم فقال رجل من أصحاب الحارث انى لأمشى فى بعض طرق بلخ اذ مررت بنساء يبكين وامرأة تقول يا أبتاه ليت شعرى من دهاك واعرابى الى جنبى يسير فقال من هذه الباكية فقيل له ابنة قطن بن عبد الرحمن بن جزى فقال الاعرابى أنا وأبيك دهيتك فقلت أنت قتلته قال نعم قال ويقال قدم نصر والتجيبى على بلخ فحبسه نصر فلم يزل محبوسا حتى هزم الحارث نصرا وكان التجيبى ضرب الحارث أربعين سوطا فى امرة الجنيد فحوله الحارث الى قلعة باذ كر بزم فجاء رجل من بنى حنيفة فادعى عليه انه قتل أخاه أيام كان على هراة فدفعه الحارث الى الحنفى فقال له التجيبى افتدى منك بمائة ألف فلم يقبل منه وقتله وقوم يقولون قتل التجيبى فى ولاية نصر قبل أن يأتيه الحارث قال ولما غلب الحارث على بلخ استعمل عليها رجلا من ولد عبد الله بن حازم وسار فلما كان بالجوزجان دعا وابصة بن زرارة العبدى ودعا دجاجة ووحشا العجليين وبشر بن جرموز وأبا فاطمة فقال ماترون فقال أبو فاطمة مرو بيضة خراسان وفرسانهم كثير ولم يلقوك الا بعبيدهم لانتصفوا منك فأقم فان أتوك قاتلتهم وان أقاموا قطعت المادة عنهم قال لا أرى ذلك ولكن أسير اليهم فأقبل الحارث الى مرو وقد غلب على بلخ والجوزجان والفاريات والطالقان ومرو الروذ فقال أهل الدين من أهل مرو ان مضى الى أبرشهر ولم يأتنا فرق جماعتنا وان أتانا نكب قال وبلغ عاصما ان أهل مرو يكاتبون الحارث قال فأجمع على الخروج وقال ياأهل خراسان قد بايعتم الحارث بن شريح لايقصد مدينة الا خليتموها له انى لاحق بأرض قومى أبرشهر وكاتب منها الى أمير المؤمنين حتى يمدنى بعشرة آلاف من أهل الشأم فقال له المجشر بن مزاحم ان أعطوك بيعتهم بالطلاق والعتاق فأقم وان أبوا فسر حتى تنزل أبرشهر وتكتب الى أمير المؤمنين فيمدك بأهل الشأم فقال خالد بن هريم أحد بنى ثعلبة بن يربوع وأبو محارب هلال بن عليم والله لانخليك والذهاب فيلزم منادينك عند أمير المؤمنين ونحن معك حتى نموت ان بذلت الاموال قال افعل قال يزيد بن قران الرياحى ان لم أقاتل معك ماقاتلت فابنة الابرد بن قرة الرياحى طالق ثلاثا وكانت عنده فقال عاصم أكلكم على هذا قالوا نعم وكان سلمة بن أبى عبد الله صاحب حرسه يحلفهم بالطلاق قال وأقبل الحارث بن سريج الى مرو فى جمع كثير يقال فى ستين ألفا ومعه فرسان الازد وتميم منهم محمد بن المثنى وحماد بن عامر بن مالك الحمانى وداود الأعسر وبشر بن أنيف الرياحى وعطاء الدبوسى ومن الدهاقين الجوزجان وترسل دهقان لفاريات

وسهرب ملك الطالقان وقرياقس دهقان مرو فى أشباههم قال وخرج عاصم في أهل مرو وفي غيرهم فعسكر بجياسر عند البيعة وأعطى الجند دينارا دينارا فخف عنه الناس فاعطاهم ثلاثة دنانير ثلاثة دنانير وأعطى الجند وغيرهم فلما قرب بعضهم من بعض أمر بالقناطر فكسرت وجاء أصحاب الحارث فقالوا تحصروننا فى البرية دعونا نقطع اليكم فتناظركم فيما خرجنا له فأبوا وذهب رجالتهم يصلحون القناطر فأتاهم رجالة أهل مرو فقاتلوهم فمال محمد بن المثنى الفراهيدى برايته الى عاصم فأمالها في ألفين فأتى الازد ومال حماد بن عامر بن مالك الحمانى الى عاصم وأتى بنى تميم قال سلمة الازدى كان الحارث بعث الى عاصم رسلا منهم محمد بن مسلم العنبرى يسألونه العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال وعلى الحارث بن سريج يومئذ السواد قال فلما مال محمد بن المثنى بدأ أصحاب الحارث بالحملة والتقى الناس فكان أول قتيل غياث بن كلثوم من أهل الجارود فانهزم أصحاب الحارث فغرق بشر كثير من أصحاب الحارث فى انهار مرو والنهر الاعظم ومضت الدهاقين الى بلادهم فضرب يومئذ خالد بن علباء بن حبيب بن الجارود على وجهه وأرسل عاصم بن عبد الله المؤمن بن خالد الحنفى وعلباء بن أحمر اليشكرى ويحيى بن عقيل الخزاعى ومقاتل بن حيان النبطى الى الحارث يسأله ما يريد فبعث الحارث محمد بن مسلم العنبرى وحده فقال لهم ان الحارث واخوانكم يقرؤنكم السلام ويقولون لكم قد عطشنا وعطشت دوابنا فدعونا ننزل الليلة ونختلف الرسل فيما بيننا ونتناظر فان وافقناكم على الذى تريدون والا كنتم من وراء أمركم فأبوا عليه وقالوا مقالا غليظا فقال مقاتل بن حيان النبطى ياأهل خراسان انا كنا بمنزلة بيت واحد وثغرنا واحد ويدنا على عدونا واحدة وقد أنكرنا ما صنع صاحبكم وجه اليه أميرنا بالفقهاء والقراء من أصحابه فوجه رجلا واحدا فقال محمد انما أتيتكم مبلغا نطلب كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيأتيكم الذى تطلبون من غد ان شاء الله تعالى وانصرف محمد بن مسلم الى الحارث فلما انتصف الليل سار الحارث فبلغ عاصما فلما أصبح سار اليه فالتقوا وعلى ميمنة الحارث رابض بن عبد الله بن زرارة التغلبى فاقتتلوا قتالا شديدا فحمل يحيى بن حضين وهو رأس بكر بن وائل وعلى بكر بن وائل زياد بن الحارث بن سريج فقتلوا قتلا ذريعا فقطع الحارث وادى مرو فضربوا عند منازل الرهبان وكف عنه عاصم قال وكانت القتلى مائة وقتل سعيد بن سعد بن جزء الازدى وغرق خازم بن موسى بن عبد الله بن خازم وكان مع الحارث بن سريج واجتمع الى الحارث زهاء ثلاثة آلاف فقال القاسم بن مسلم لما هزم الحارث كف عنه عاصم ولو ألح عليه لاهلكه وأرسل الى الحارث انى رادع عليك ما ضمنت لك ولا صحابك على ان ترتحل ففعل قال وكان خالد بن عبيد الله بن حبيب أتى الحارث ليلة هزم وكان أصحابه

أجمعوا على مفارقة الحارث وقالوا ألم تزعم انه لا يرد لك راية فاتاهم فسكنهم وكان عطاء الدبوسى من الفرسان فقال لغلامه يوم زرق أسرج لى برذونى لعلى ألاعب هذه الحمارة فركب ودعا الى البراز فبرز له رجل من أهل الطالقان فقال بلغته أى كير خر ﴿قال أبو جعفر﴾ الطبرى رحمه الله ﴿وحج بالناس فى هذه السنة﴾ الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو ولى العهد كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وغيره وكانت عمال الامصار فى هذه السنة عمالها فى التى قبلها الا ما كان من خراسان فان عاملها فى هذه السنة عاصم بن عبد الله الهلالى

﴿ ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة ﴾

﴿ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث ﴾

فما كان فيها غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزوة سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة اليمنى من نحو الجزيرة وفرق سراياه فى أرض الروم ﴿وفيها﴾ بعث مروان بن محمد وهو على أرمينية بعثين فافتتح أحدهما حصونا ثلاثة من اللان ونزل الآخر على تومانشاه فنزل أهلها على الصلح ﴿وفيها﴾ عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان وضمها الى خالد بن عبد الله فولاها خالد أخاه أسد بن عبد الله وقال المدائنى كان عزل هشام عاصما عن خراسان وضم خراسان الى خالد بن عبد الله فى سنة ١١٦

﴿ ذكر الخبر عن سبب عزل هشام عاصما وتوليته خالدا خراسان ﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر على عن أشياخه ان عاصم بن عبد الله كتب الى هشام بن عبد الملك أما بعد يا أمير المؤمنين فان الرائد لا يكذب أهله وقد كان من أمر أمير المؤمنين الى ما يحق به على نصيحته وان خراسان لا تصلح الا ان تضم الى صاحب العراق فتكون موادها ومنافعها ومعونتها فى الاحداث والنوائب من قريب لتباعد أمير المؤمنين عنها وتباطئ غياثه عنها فلما مضى كتابه خرج الى أصحابه يحيى بن حضين والمجشر بن مزاحم وأصحابهم فاخبرهم فقال له المجشر أبعد ما مضى الكتاب كانك بأسد قد طلع عليك فقدم أسد بن عبد الله بعث به هشام بعد كتاب عاصم بشهر فبعث الكميت بن زيد الاسدى الى أهل مرو بهذا الشعر

ألا أبلغ جماعة أهل مرو * على ما كان من نأى وبعد
رسالة ناصح يهدى سلاما * ويأمر فى الذى ركبوا بجد
وأبلغ حارثا عنا اعتذارا * إليه بأن من قبلى بجهد
ولولا ذاك قد زارتك خيل * من المضرين بالفرسان تردى
فلا تهنوا ولا ترضوا بخسف * ولا يغررك أسد بعهد

وكونوا كالبغايا إن خدعتم * وإن أقرتم ضيما لوغد
وإلا فارفعوا الرايات سودا * على أهل الضلالة والتعدى
فكيف وأنتم سبعون ألفا * رماكم خالد بشبيه قرد
ومن ولى بذمته رزينا * وشيعته ولم يوف بعهد
ومن غشى قضاعة ثوب خزى * بقتل أبى سلامان بن سعد
فهلا يا قضاع فلا تكونى * توابع لا أصول لها بنجد
وكنت اذا دعوت بنى نزار * أتاك الدهم من سبط وجعد
فجدع من قضاعة كل أنف * ولا فازت على يوم بمجد

قال ورزين الذى ذكر كان خرج على خالد بن عبد الله بالكوفة فاعطاه الامان ثم لم يف به وقال فيه نصر بن سيار حين أقبل الحارث الى مرو وسود رايانه وكان الحارث يرى رأى المرجئة

دع عنك دنيا وأهلا أنت تاركهم * ما خير دنيا وأهل لا يدومونا
* إلا بقية أيام الى أجل * فاطلب من الله أهلا لا يموتونا
واكثر تقى الله فى الاسرار مجتهدا * إن التقى خيره ما كان مكنونا
واعلم بأنك بالاعمال مرتهن * فكن لذاك كثير الهم محزونا
إنى أرى الغبن المردى بصاحبه * من كان فى هذه الأيام مغبونا
تكون للمرء أطوارا فتمنحه * يوما عثارا فطورا تمنح اللينا
بينا الفتى فى نعيم العيش حوله * دهر فأمسى به عن ذاك مزبونا
تحلوله مرة حتى يسر بها * حينا وتمقره طعما أحايينا
هل غابر من بقايا الدهر تنظره * إلا كما قد مضى فيما تقضونا
فامنح جهادك من لم يرج آخرة * وكن عدو القوم لا يصلونا
واقتل موالهم منا وناصرهم * حينا تكفرهم والعنهم حينا
والعائبين علينا ديننا وهم * شر العباد اذا خابرتهم دينا
والقائلين سبيل الله بغيتنا * لبعد ما نكبوا عما يقولونا
فاقتلهم غضبا لله منتصرا * منهم به ودع المرتاب مفتونا
إرجاؤكم لزركم والشرك فى قرن * فأنتم أهل إشراك ومرجونا
لا يبعد الله فى الأجداث غيركم * اذ كان دينكم بالشرك مقرونا

ألقى به الله رعبا فى صدوركم * والله يقضى لنا الحسنى ويعلينا
كيما نكون الموالى عند خائفة * عما تروم به الإسلام والدينا
وهل تعيبون منا كاذبين به * غال ومهتضم حسبى الذى فينا
يأبى الذى كان يبلى الله أولكم * على النفاق وما قد كان يبلينا

قال ثم عاد الحارث لمحاربة عاصم فلما بلغ عاصما ان أسد بن عبد الله قد أقبل وانه قد سير على مقدمته محمد بن مالك الهمدانى وانه قد نزل الدندانقان صالح الحارث وكتب بينه وبينه كتابا على ان ينزل الحارث أى كور خراسان شاء وعلى ان يكتبا جميعا الى هشام يسألانه كتاب الله وسنة نبيه فان أبى اجتمعا جميعا عليه فختم على الكتاب بعض الرؤساء وأبى يحيى بن حضين ان يختم وقال هذا خلع لأمير المؤمنين فقال خلف بن خليفة ليحيى

أبى همم قلبك إلا اجتماعا * ويأبى رقادك إلا امتناعا
بغير سماع ولم تلقنى * أحاول من ذات لهو سماعا
حفظنا أمية فى ملكها * ونحظر من دونها أن تراعا
ندافع عنها وعن ملكها * إذا لم نجد بيديها امتناعا
أبى شعب ما بيننا فى القديم * وبين أمية إلا انصداعا
ألم تختطف هامة ابن الزبير * وننتزع الملك منه انتزاعا
جعلنا الخلافة فى أهلها * إذا اصطرع الناس فيها اصطراعا
نصرنا أمية بالمشرفى * اذا انخلع الملك عنها انخلاعا
ومنا الذى شد أهل العراق * ولو غاب يحيى عن الثغر ضاعا
على ابن سريج نقضنا الأمور * وقد كان أحكمها ما استطاعا
حكيم مقالته حكمة * اذا شتت القوم كانت جماعا
عشية زرق وقد أزمعوا * قمعنا من الناكثين الزماعا
ولولا فتى وائل لم يكن * لينضح فيها رئيس كراعا
فقل لأمية ترعى لنا * أيادى لم نجزها واصطناعا
أتلهين عن قتل ساداتنا * ونأبى لحقك إلا اتباعا
أمن لم يبغك من المشترين * كآخر صادف سوقا فباعا
أبى ابن حضين لما تصنعين إلا اضطلاعا والاتباعا
ولو يأمن الحارث الوائلين * لراعك فى بعض من كان راعا

وقد

وقد كان أصعر ذا نيرب * أشاع الضلالة فيما أشاعا
كفينا أمية مختومة * أطاع بها عاصم من أطاعا
فلولا مراكز راياتنا * من الجند خاس الجنود الضياعا
وصلنا القديم لها بالحديث * وتأبى أمية إلا انقطاعا
ذخائر في غير نا نفعها * وما إن عرفنا لهن انتفاعا
ولو قدمتها وبان الحجا * ب لارتعت بين حشاك ارتياعا
فأين الوفاء لأهل الوفا * ء والشكر أحسن من أن يضاعا
وأين ادخار بني وائل * إذا الذخر في الناس كان ارتجاعا
ألم تعلمي أن أسيافنا * تداوي الغليل وتشفي الصداعا
إذا ابن حضين غدا باللوا * ء وأسلم أهل القلاع القلاعا
إذا ابن حضين غدا باللوا * ء أشار النسور به والضباعا
اذا ابن حضين غدا باللوا * ء ذكي وكانت معد جداعا

قال وكان عاصم بن سليمان بن عبد الله بن شراحيل اليشكري من أهل الرأي فاشار على يحيى بنقض الصحيفة وقال له غمرات ثم ينجلين وهي المغمضات فغمض قال وكان عاصم ابن عبد الله في قرية بأعلى مرو لكندة ونزل الحارث قرية لبني العنبر فالتقوا بالخيل والرجال ومع عاصم رجل من بني عبس في خمسمائة من أهل الشأم وابراهيم بن عاصم العقيلي في مثل ذلك فنادى منادي عاصم من جاء برأس فله ثلثمائة درهم فجاء رجل من عماله برأس وهو عاض على أنفه ثم جاءه رجل من بني ليث يقال له ليث بن عبد الله برأس ثم جاء آخر برأس فقيل لعاصم ان طمع الناس في هذا لم يدعوا ملاحا ولا علجا الا أتوك برأسه فنادى مناديه لا يأتنا أحد برأس فمن أتانا به فليس له عندنا شيء وانهزم أصحاب الحارث فأسر وا منهم أسارى وأسروا عبد الله بن عمر والمازني رأس أهل مرو الروذ وكان الاسراء ثمانين أكثرهم من بني تميم فقتلهم عاصم بن عبد الله على نهر الدندانقان وكانت اليمانية بعثت من الشأم رجلا يعدل بألف يكنى أبا داود أيام العصبية في خمسمائة فكان لا يمر بقرية من قرى خراسان الا قال كأنكم بي قد مررت راجعا حاملا رأس الحارث بن سريج فلما التقوا دعا الى البراز فبرز له الحارث بن سريج فضربه فوق منكبه الايسر فصرعه وحامى عليه أصحابه فحملوه فخولط فكان يقول يا أبرشهر الحارث بن سريج اه يا أصحاب المعمور اه ورمى فرس الحارث بن سريج في لبانه فنزع النشابة واستعضره وألح عليه بالضرب حتى نزقه وعرقه وشغله عن ألم الجراحة قال وحمل عليه رجل من أهل الشأم فلما ظن ان الرمح مخالطه مال

عن فرسه واتبع الشأمىّ فقال له أسألك بحرمة الاسلام فى دمى قال أنزل عن فرسك فنزل وركبه الحارث فقال الشأمىّ خذ السرج فوالله انه خير من الفرس فقال رجل من عبد القيس

تَوَلَّتْ قُرَيْشٌ لَذَّةَ العَيْشِ وَاتَّقَتْ * بِنَا كُلَّ فَجٍّ من خُراسانَ أَغْبَرا
فلَيْتَ قُرَيْشا أَصْبَحوا ذاتَ لَيْلَةٍ * يَعُومُونَ فى لُجِّ من البحرِ أَخْضَرا

قال وعظم أهل الشأم يحيى بن حضين لما صنع فى أمر الكتاب الذى كتبه عاصم وكتبوا كتابا وبعثوا مع محمد بن مسلم العنبرى ورجل من أهل الشأم فلقوا أسد بن عبد الله بالرى ويقال لقوه ببيهق فقال ارجعوا فانى أصلح هذا الامر فقال له محمد بن مسلم هُدِمَتْ دارى فقال ابنيها لك وأردّ عليكم كل مظلمة قال وكتب أسد الى خالد ينتهل انه هزم الحارث ويخبره بأمر يحيى قال فاجاز خالد يحيى بن حضين بعشرة آلاف دينار وكساه مائة حلّة قال وكانت ولاية عاصم أقل من سنة قيل كانت سبعة أشهر وقدم أسد بن عبد الله وقد انصرف الحارث فحبس عاصما وسأله عما انفق وحاسبه فاخذه بمائة ألف درهم وقال انك لم تغزُ ولم تخرج من مرو ووافق عمارة بن حُرَيم وعمال الجنيد محبوسين عنده فقال لهم أسيرُ فيكم بسيرتنا أم بسيرة قومكم قالوا بل بسيرتك فخلى سبيلهم قال على عن شيوخه قالوا لما بلغ هشام بن عبد الملك أمر الحارث بن سريج كتب الى خالد بن عبد الله ابعث أخاك يصلح ما أفسد فان كانت رجيّة فلتكن به قال فوجه أخاه أسدا الى خراسان فقدم أسد وما يملك عاصم من خراسان الا مرو وناحية أبرشهر والحارث بن سريج بمرو والروذ وخالد بن عبيد الله الهجرىّ بآمل ويخاف ان قصد للحارث بمرو والروذ دخل خالد بن عبيد الله مرو من قبل آمل وان قصد لخالد دخلها الحارث من قبل مرو والروذ فأجمع على ان يوجه عبد الرحمن بن نعيم الغامدىّ فى أهل الكوفة وأهل الشأم فى طلب الحارث الى ناحية مرو والروذ وسار أسد بالناس الى آمل واستعمل على بنى تميم الحوثرة بن يزيد العنبرىّ فلقيهم خيل لأهل آمل عليهم زياد القرشى مولى حيان النبطى عندركايا عثمان فهزمهم حتى انتهوا الى باب المدينة ثم كرّوا على الناس فقتل غلام لاسد بن عبد الله يقال له جبلة وهو صاحب علمه وتحصنوا فى ثلاث مدائن لهم قال فنزل عليهم أسد وحصرهم ونصب عليهم المجانيق وعليهم خالد بن عبيد الله الهجرىّ من أصحاب الحارث فطلبوا الامان فخرج اليهم رويد بن طارق القطعىّ مولى لهم فقال ما تطلبون قالوا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال فلكم ذلك قالوا على ان لا تأخذ أهل هذه المدن بجنايتنا فاعطاهم ذلك واستعمل عليهم يحيى بن نعيم الشيبانى أحد بنى ثعلبة بن شيبان ابن أخى مصقلة بن هبيرة ثم أقبل أسد فى طريق زَمّ يريد مدينة بلخ فتلقاه مولى لمسلم بن عبد الرحمن فاخبره ان أهل بلخ قد بايعوا سليمان بن عبد الله بن خازم فقدم بلخ فاتخذ سُفُنا

وسار

وسار منها الى الترمذ فوجد الحارث محاصرا سنانا الاعرابي السلمي ومعه بنو الحجاج بن هارون النميري وبنو زرعة وآل عطية الأعور النصري في أهل الترمذ والسبل مع الحارث فنزل أسد دون النهر ولم يطق القطوع اليهم ولا ان يمدهم وخرج أهل الترمذ من المدينة فقاتلوا الحارث قتالا شديدا وكان الحارث استطرد لهم ثم كر عليهم فانهزموا فقتل يزيد بن الهيثم بن المخل وعاصم بن معول النجلي في خمسين ومائة من أهل الشأم وغيرهم وكان بشر بن جرموز وأبو فاطمة الايادي ومن كان مع الحارث من القرى يأتون أبواب الترمذي فيبكون ويشكون بني مروان وجورهم ويسألونهم النزول اليهم على ان يمالئوهم على حرب بني مروان فيأبون عليهم فقال السبل وهو مع الحارث ياحارث ان الترمذ قد بنيت بالطبول والمزامير ولا تفتح بالبكاء وانما تفتح بالسيف فقاتل ان كان بك قتال وتركه السبل وأتى بلاده قال وكان أسد حين مر بارض زم تعرض للقاسم الشيباني وهو في حصن بزم يقال له باذكر ومضى حتى أتى الترمذ فنزل دون النهر ووضع سريره على شاطئ النهر وجعل الناس يعبرون فمن سفلت سفينته عن سفن المدينة قاتلهم الحارث في سفينة فالتقوا في سفينة فيها أصحاب أسد فيهم أصغر بن عيناء الحميري وسفينة أصحاب الحارث فيها داود الاعسر فرمى أصغر فصك السفينة وقال أنا الغلام الاحمري فقال داود الاعسر لا مرحبا انتميت اليه لا أرض لك ولا زق سفينته بسفينة أصغر فاقتتلوا واقبل الاشكند وقد أراد الحارث الانصراف فقال له انما جئتك ناصرا لك ولمن الاشكند وراءه دير وأقبل الحارث باصحابه وخرج اليه أهل الترمذ فاستطرد لهم فاتبعوه ونصر مع أسد جالس ينظر فأظهر الكراهية وعرف ان الحارث قد كادهم فظن أسد انه انما فعل ذلك شفقة على الحارث حين ولى فاراد أسد معاتبة نصر فاذا الاشكند قد خرج عليهم فحمل على أهل الترمذ فهربوا وقتل في المعركة يزيد بن الهيثم بن المخل الجرموزي من الازد وعاصم بن معول وكان من فرسان أهل الشأم ثم ارتحل أسد الى بلخ وخرج أهل الترمذ الى الحارث فهزموه وقتلوا أبا فاطمة وعكرمة وقوما من أهل البصائر ثم سار أسد الى سمرقند في طريق زم فلما قدم زم بعث الى الهيثم الشيباني وهو في باذكر وهو من أصحاب الحارث فقال انكم انما أنكرتم على قومكم ما كان من سوء سيرتهم ولم يبلغ ذلك النساء ولا استحلال الفروج ولا غلبة المشركين على مثل سمرقند وأنا أريد سمرقند وعلي عهد الله وذمته ان لا يبدأك مني شر ولك المؤاساة واللطف والكرامة والامان ولمن معك وأنت ان غمصت ما دعوتك اليه فعلي عهد الله وذمة أمير المؤمنين وذمة الامير خالد إن أنت رميت بسهم ان لا أومنك بعده وإن جعلت لك ألف أمان لا أفي لك به فخرج اليه على ما أعطاه من الامان فآمنه وسار معه الى سمرقند فاعطاهم عطاءين وحملهم على ما كان من دواب ساقها معه وحمل معه طعاما من بخارى وساق معه شياء كثيرة من شاء الاكراد قسمها

فيهم ثم ارتفع الى ورغسر وماء سمرقند منها فسكر الوادى وصرفه عن سمرقند وكان يحمل الحجارة بيديه حتى يطرحها في السكر ثم قفل من سمرقند حتى نزل بلخ وقد زعم بعضهم ان الذى ذكرت من أمر أسد وأمر أصحاب الحارث كان فى سنة ١٨ ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة خالد بن عبد الملك * وكان العامل فيها على المدينة وعلى مكة والطائف محمد بن هشام ابن اسماعيل وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله وعلى أرمينية وآذربيجان مروان بن محمد ﴿وفيها﴾ توفيت فاطمة بنت على وسكينة ابنة الحسين بن على ﴿وفى هذه السنة﴾ أخذ أسد بن عبد الله جماعة من دعاة بنى العباس بخراسان فقتل بعضهم ومثل ببعضهم وحبس بعضهم وكان فيمن أخذ سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ولاهز بن قريظ وخالد بن ابراهيم وطلحة بن رزيق فأتى بهم فقال لهم يا فسقة ألم يقل الله تعالى عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام فذكر ان سليمان بن كثير قال اتكلم أم اسكت قال بل تكلم قال نحن والله كما قال الشاعر

لو بغير الماء حلقى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصارى

تدرى ما قصتنا صيدت والله العقارب بيدك أيها الامير انا أناس من قومك وان هذه المضرية انما رفعوا اليك هذا لانا كنا أشد الناس على قتيبة بن مسلم وانما طلبوا بثأرهم فتكلم ابن شريك بن الصامت الباهلى وقال ان هؤلاء القوم قد أخذوا مرة بعد مرة فقال مالك ابن الهيثم أصلح الله الامير ينبغى لك ان تعتبر كلام هذا بغيره فقالوا كانك يا أخا باهلة تطلبنا بثأر قتيبة نحن والله كنا أشد الناس عليه فبعث بهم أسد الى الحبس ثم دعا عبد الرحمن بن نعيم فقال له ما ترى قال أرى أن تمن بهم على عشائرهم قال فالتميميان اللذان معهم قال تخلى سبيلهما قال انا اذا من عبد الله بن يزيد نفى قال فكيف تصنع بالربعى قال أخلى والله سبيله ثم دعا بموسى بن كعب وأمر به فألجم بلجام حمار وأمر باللجام أن يجذب فجذب حتى تحطمت أسنانه ثم قال اكسروا وجهه فدق أنفه ووجأ لحيته فندر ضرس له ثم دعا بلاهز ابن قريظ فقال لاهز والله ما في هذا الحق أن تصنع بنا هذا وتترك اليمانيين والربعيين فضربه ثلثمائة سوط ثم قال اصلبوه فقال الحسن بن زيد الازدى هو لى جار وهو برىء مما قذف به قال فالآخرون قال أعرفهم بالبراءة فخلى سبيلهم

﴿ ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائة ﴾

﴿ ذكر الخبر عما كان فى هذه السنة من الاحداث ﴾

فمن ذلك غزوة معاوية وسليمان ابنى هشام بن عبد الملك أرض الروم ﴿وفيها﴾ وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيد الى خراسان واليا على شيعة بنى العباس فنزل فيها ذكر مرو وغير اسمه وتسمى بخداش ودعا الى محمد بن على فسارع اليه الناس وقبلوا ما جاءهم به وسمعوا

اليه وأطاعوا ثم غيّر ما دعاهم اليه وتكذّب وأظهر دين الخرّمية ودعا اليه ورخص لبعضهم في نساء بعض وأخبرهم أن ذلك عن أمر محمد بن علي فبلغ أسد بن عبد الله خبره فوضع عليه العيون حتى ظفر به فأتى به وقد تجهز لغزو بلخ فسأله عن حاله فأغلظ خداش له القول فأمر به فقطعت يده وقلع لسانه وسملت عينه * فذكر محمد بن علي عن أشياخه قال لما قدم أسد آمل في مبدأ أمره بخداش صاحب الهاشمية فأمر به قرعة الطبيب فقطع لسانه وسمل عينه فقال الحمد لله الذي انتقم لابي بكر وعمر منك ثم دفعه الى يحيى بن نعيم الشيباني عامل آمل فلما قفل من سمرقند كتب الى يحيى فقتله وصلبه بآمل وأتى أسد بخزّ ورمولى المهاجر بن دارة الضبّي فضرب عنقه بشاطئ النهر ثم نزل أسد منصرفه من سمرقند بلخ فسرّح جُدَيعا الكرماني الى القلعة التي فيها ثقل الحارث وثقل أصحابه واسم القلعة التبوشكان من طخارستان العليا وفيها بنو برزى التغلبيون وهم أصهار الحارث فحصرهم الكرماني حتى فتحها فقتل مقاتلتهم وقتل بني برزى وسبى عامة أهلها من العرب والموالي والذراري وباعهم فيمن يزيد في سوق بلخ فقال علي بن يعلى وكان شهد ذلك نقم على الحارث أربعمائة وخمسون رجلا من أصحابه وكان رئيسهم جرير بن ميمون القاضي وفيهم بشر بن أنيف الحنظلي وداود الاعسر الخوارزمي فقال الحارث ان كنتم لابدّ مفارقي وطلبتم الامان فاطلبوه وأنا شاهد فانه أجدر أن يجيبوكم وان ارتحلت قبل ذلك لم يعطوا الامان فقالوا ارتحل أنت وخلنا ثم بعثوا بشر بن أنيف ورجلا آخر فطلبوا الامان فأمنهما أسد ووصلهما فغدرا بأهل القلعة وأخبراه أن القوم ليس لهم طعام ولا ماء فسرّح أسد الكرماني في ستة آلاف منهم سالم بن منصور البجلي على ألفين والازهر بن جرموز النميري في أصحابه وجند بلخ وهم ألفان وخمسمائة من أهل الشأم عليهم صالح بن القعقاع الازدي فوجه الكرماني منصور بن سالم في أصحابه فقطع نهر ضرغام وبات ليله وأصبح فأقام حتى متع النهار ثم سار يومه قريبا من سبعة عشر فرسخا فاتعب خيله ثم انتهى الى كشتم من أرض جيغويه فانتهى الى حائط فيه زرع قد قصب فأرسل أهل العسكر دوابهم فيه وبينهم وبين القلعة أربع فراسخ ثم ارتحل فلما صار الى الوادي جاءته الطلائع فأخبرته بمجيء القوم ورأسهم المهاجر بن ميمون فلما صاروا الى الكرماني كابدهم فانصرفوا وسار حتى نزل جانبا من القلعة وكان أول ما نزل في زهاء خمسمائة في مسجد كان الحارث بناه فلما أصبح تتامت اليه الخيل وتلاحقت من أصحاب الازهر وأهل بلخ فلما اجتمعوا خطبهم الكرماني فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل بلخ لا أجد لكم مثلا غير الزانية من أتاها أمكنته من رجلها أتاكم الحارث في ألف رجل من العجم فأمكنتموه من مدينتكم فقتل أشرافكم وطرد أميركم ثم سرتم معه من مكانفيه الى مرو فخذلتموه ثم انصرف اليكم منهزما

فأمكنتموه من المدينة والذى نفسى بيده لا يبلغنى عن رجل منكم كتب كتابا اليهم فى سهم الا قطعت يده ورجله وصلبته فأما من كان معى من أهل مرو فهم خاصتى ولست أخاف غدرهم ثم نهد الى القلعة فأقام بها يوما وليلة من غير قتال فلما كان من الغد نادى مناد انا قد نبذنا اليكم بالعهد فقاتلوهم وقد عطش القوم وجاعوا فسألوا أن ينزلوا على الحكم ويترك لهم نساؤهم وأولادهم فنزلوا على حكم أسد فأقام أياما وقدم المهلب بن عبد العزيز العتكى بكتاب أسد أن احمل الى خمسين رجلا منهم فيهم المهاجر بن ميمون ونظراءه من وجوههم فحملوا اليهم فقتلهم وكتب الى الكرمانى أن يصير الذين بقوا عنده أثلاثا فثلث يصلبهم وثلث يقطع أيديهم وأرجلهم وثلث يقطع أيديهم ففعل ذلك الكرمانى وأخرج أثقالهم فباعها فيمن يزيد وكان الذين قتلهم وصلبهم أربعمائة واتخذ أسد مدينة بلخ دارا فى سنة ١١٨ ونقل اليها الدواوين واتخذ المصانع ثم غزا طخارستان ثم أرض جيغويه ففتح وأصاب سبيا ﴿وفى هذه السنة﴾ عزل هشام خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم عن المدينة واستعمل عليها محمد بن هشام بن اسماعيل (ذكر الواقدى) ان أبا بكر بن عمرو بن حزم يوم عزل خالد عن المدينة جاءه كتاب بامرته على المدينة فصعد المنبر وصلى بالناس ستة أيام ثم قدم محمد بن هشام من مكة عاملا على المدينة ﴿وفى هذه السنة﴾ مات على بن عبد الله بن العباس وكان يكنى أبا محمد وكانت وفاته بالحميمة من أرض الشام وهو ابن ثمان أو سبع وسبعين سنة وقيل انه ولد فى الليلة التى ضرب فيها على بن أبى طالب وذلك ليلة سبع عشرة من رمضان من سنة ٤٠ فسماه أبوه عليا وقال سميته باسم أحب الخلق الى وكناه أبا الحسن فلما قدم على عبد الملك بن مروان أكرمه وأجلسه على سريره وسأله عن كنيته فأخبره فقال لا يجتمع فى عسكرى هذا الاسم والكنية لأحد وسأله هل ولد له من ولد وكان قد ولد له يومئذ محمد بن على فأخبره بذلك فكناه أبا محمد ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام وهو أمير مكة والمدينة والطائف وقد قيل انما كان عامل المدينة فى هذه السنة خالد ابن عبد الملك وكان الى محمد بن هشام فيها مكة والطائف والقول الاول قول الواقدى وكان على العراق خالد بن عبد الله واليه المشرق كله وعامله على خراسان أخوه أسد بن عبد الله وعامله على البصرة واحداثها وقضائها والصلاة بأهلها بلال بن أبى بردة وعلى أرمينية وآذربيجان مروان بن محمد بن مروان

﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة ﴾

﴿ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث ﴾

فمن ذلك غزوة الوليد بن القعقاع العبسى أرض الروم ﴿وفيها﴾ غزا أسد بن عبد الله الختل فافتتح قلعة زغرزك وسار منها الى خداش وملأ يديه من السبى والشاء وكان الجيش قد هرب

الى الصين ﴿وفيها﴾ لقى أسد خاقان صاحب الترك فقتله وقتل بشرا كثيرا من أصحابه وسلم أسد والمسلمون وانصرفوا بغنائم كثيرة وسبى

﴿ذكر الخبر عن هذه الغزوة﴾

* ذكر علىّ بن محمد عن شيوخه انهم قالوا كتب ابن السائحى الى خاقان أبى مزاحم وانما كنى أبا مزاحم لانه كان يزاحم العرب وهو بنواكث يعلمه دخول أسد الختل وتفرّق جنوده فيها وانه بحال مضيعة فلما أتاه كتابه أمر أصحابه بالجهاز وكان لخاقان مرج وجبل حمى لا يقربها أحد ولا يتصيد فيها يتركان للجهاد فضاء ما كان فى المرج ثلاثة أيام وما فى الجبل ثلاثة أيام فتجهزوا وارتعوا واد بغوا مسوك الصيد واتخذوا منها أوعية واتخذوا القسىّ والنشاب ودعا خاقان ببرذون مسرّج ملجم وأمر بشاة فقطعت ثم علقت فى المعاليق ثم أخذ شيأ من ملح فصيّره فى كيس وجعله فى منطقته وأمر كل تركى أن يفعل مثل ذلك وقال هذا زادكم حتى تلقوا العرب بالختّل وأخذ طريق خشوراغ فلما أحس ابن السائحى ان خاقان قد أقبل بعث الى أسد أخرج عن الختّل فان خاقان قد أظلك فشتم رسوله ولم يصدّقه فبعث صاحب الختل انى لم أكذبك وأنا الذى أعلمته دخولك وتفرّق جندك وأعلمته أنها فرصة له وسألته المدد غير انك أمعرت البلاد وأصبت الغنائم فان لقيك على هذه الحال ظفر بك وعادتنى العرب أبدا ما بقيت واستطال علىّ خاقان واشتدّت مؤونته وامتنّ علىّ بقوله أخرجت العرب من بلادك ورددت عليك ملكك فعرف أسد أنه قد صدقه فأمر بالاثقال أن تقدّم وولى عليها ابراهيم بن عاصم العقيلىّ الجزرىّ الذى كان ولى سجستان بعد وأخرج معه المشيخة فيهم كثير بن أمية أبو سليمان بن كثير الخزاعىّ وفضيل ابن حيان المهرىّ وسنان بن داود القطعىّ وكان على أهل العالية سنان الاعرابىّ السلمىّ وعلى الاقباض عثمان بن شباب الهمذانىّ جدّ قاضى مرو فسارت الاثقال فكتب أسد الى داود بن شعيب والاصبغ بن ذؤالة الكلبىّ وقد كان وجههما فى وجه ان خاقان قد أقبل فانضما الى الاثقال الى ابراهيم بن عاصم قال ووقع الى داود والاصبغ رجل دبوسىّ فأشاع أن خاقان قد كسر المسلمين وقتل أسدا وقال الاصبغ ان كان أسد ومن معه أصيبوا فان فيناهشام نعاز اليه فقال داود بن شعيب قبح الله الحياة بعد أهل خراسان فقال الاصبغ جبذا الحياة بعد أهل خراسان قتل الجرّاح ومن معه فاضرّ المسلمين كثير ضرّ فان هلك أسد وأهل خراسان فلن يخذل الله دينه وان الله حىّ قيوم وأمير المؤمنين حىّ وجنود المسلمين كثير فقال داود أفلا ننظر ما فعل أسد فخرج على علم فسارا حتى شارفا عسكر ابراهيم فاذا هما بالنيران فقال داود هذه نيران المسلمين أراها متقاربة ونيران الاتراك متفرّقة فقال الاصبغ هم فى مضيق ودنوا فسمعوا نهيق الحمير فقال داود أما علمت أن الترك

ليس لهم حمير فقال الاصبغ أصابوها بالامس ولم يستطيعوا أكلها في يوم ولا اثنين فقال داود نسرّح فارسين فيكبّران فبعثا فارسين فلما دنوا من العسكر كبّرا فأجابهما العسكر بالتكبير فأقبلوا الى العسكر الذى فيه الاثقال ومع ابراهيم أهل الصغانيان وصغان خذاه فقام ابراهيم ابن عاصم مبادرا قال وأقبل أسد من الختل نحو جبل الملح يريد أن يخوض نهر بلخ وقد قطع ابراهيم بن عاصم بالسبي وما أصاب فأشرف أسد على النهر وقد أتاه أن خافان قد سار من سويات سبع عشرة ليلة فقام اليه أبو تمام بن زحر وعبد الرحمن بن خنفر الازديان فقالا أصلح الله الامير ان الله قد أحسن بلاءك في هذه الغزوة فغنمت وسلمت فاقطع هذه النطفة واجعلها وراء ظهرك فأمر بهما فوجئت رقابهما وأخرجا من العسكر وأقام يومه فلما كان من الغد ارتحل وفي النهر ثلاثة وعشرون موضعا يخوضه الناس وفي موضع مجتمع ماء يبلغ دفّتي السرج فخاضه الناس وأمر أن يحمل كل رجل شاة وحمل هو بنفسه شاة فقال له عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير ان الذى أنت فيه من حمل الشاة ليس باحطر مما تخاف وقد فرّقت الناس وشغلتهم وقد أظلك عدوّك فدع هذا الشاء لعنة الله عليه وأمر الناس بالاستعداد فقال أسد والله لا يعبر رجل ليست معه شاة حتى تفنى هذه الغنم الا قطعت يده فجعل الناس يحملون الشاء الفارس يحملها بين يديه والراجل على عنقه وخاض الناس ويقال لما حفرت سنابك الخيل النهر صار بعض المواضع سباحة فكان بعضهم يميل فيقع عن دابته فأمر أسد بالشاء أن تقذف وخاض الناس فما استكملوا العبور حتى طلعت عليهم الترك بالدهم فقتلوا من لم يقطع وجعل الناس يقتحمون النهر ويقال كانت المسلحة على الازد وتميم وقد خلف ضعفة الناس وركب أسد النهر وأمر بالابل أن يقطع بها الى ما وراء النهر حتى تحمل عليها الاثقال وأقبل رهج من ناحية الختل فاذا خافان فلما توافى معه صدر من جنده حمل على الازد وبنى تميم فانكشفوا وركض أسد حتى انصرف الى معسكره وبعث الى أصحاب الاثقال الذين كان سرّح أمامه ان انزلوا وخندقوا مكانكم في بطن الوادى قال وأقبل خافان فظن المسلمون أنه لا يقطع اليهم وبينهم وبينه النهر فلما نظر خافان الى النهر أمر الاشكند وهو يومئذ اصبهبذ نسا أن يسير في الصف حتى يبلغ أقصاه ويسأل الفرسان وأهل البصر بالحرب والماء هل يطاق قطوع النهر والحمل على أسد فكلهم يقول لا يطاق حتى انتهى الى الاشتيخن فقال بلى يطاق لانا خمسون ألف فارس فاذا نحن اقتحمنا دفعة واحدة ردّ بعضنا عن بعض الماء فذهب جريته قال فضربوا بكوساتهم فظنّ أسد ومن معه انه منهم وعيد فاقتحموا دوابهم فجعلت تنخر أشدّ النخير فلما رأى المسلمون اقتحام الترك ولوا الى العسكر وعبرت الترك فسطع رهج عظيم لا يبصر الرجل دابته ولا يعرف بعضهم بعضا فدخل المسلمون عسكرهم وحووا ما كان خارجا وخرج الغلمان

بالبراذع والعمد فضربوا وجوه الترك فأدبروا وبات أسد فلما أصبح وقد كان عبأ أصحابه من الليل تخوفا من غدر خاقان وغدوه عليه ولم يرشيأ دعا وجوه الناس فاستشارهم فقالوا له اقبل العافية قال ما هذه عافية بلى هي بلية لقينا خاقان أمس فظفرنا به وأصاب من الجند والسلاح فما منعه منا اليوم الا أنه قد وقع في يديه أسراء فاخبروه بموضع الاثقال أمامنا فترك لقاءنا طمعا فيها فارتحل فبعث أمامه الطلائع فرجع بعضهم فأخبره أنه عاين طوفات الترك واعلاما من أعلام الاشكند في بشر قليل فسار والدواب مثقلة فقيل له انزل أيها الامير واقبل العافية قال وأين العافية فأقبلها انما هي بلية وذهاب الانفس والاموال فلما أمسى أسد صار الى منزل فاستشار الناس أينزلون أم يسيرون فقال الناس اقبل العافية وما عسى أن يكون ذهاب المال بعافيتنا وعافية أهل خراسان ونصر بن سيار طرق فقال أسد مالك يا ابن سيار مطرق لا تكلم قال أصلح الله الامير خلتان كلتاهما لك ان تسر نغث من مع الاثقال وتخلصهم وان أنت انتهيت اليهم وقد هلكوا فقد قطعت فحمة لا بد من قطوعها فقبل رأيه وسار يومه كله قال ودعا أسد سعيدا الصغير وكان فارسا مولى باهلة وكان عالما بأرض الختل فكتب كتابا الى ابراهيم يأمره بالاستعداد فان خاقان قد توجه الى ما قبلك وقال سر بالكتاب الى ابراهيم حيث كان قبل الليل فان لم تفعل فأدبري من الاسلام ان لم يقتلك وان أنت لحقت بالحارث فعلي أسد مثل الذي حلف ان لم يبع امرأتك الدلال في سوق بلخ وجميع أهل بيتك قال سعيد فادفع الي فرسك الكميت الذنوب قال لعمري لئن جدت بدمك وبخلت علي بالفرس اني للئيم فدفعه اليه فسار على دابة من جنائبه وغلامه على فرس له ومعه فرس أسد يجنبه فلما حاذى الترك وقد قصدوا الاثقال طلبته طلائعهم فتحول على فرس أسد فلم يلحقوه فأتى ابراهيم بالكتاب وتبعه بعض الطلائع يقال عشرون رجلا حتى رأوا عسكر ابراهيم فرجعوا الى خاقان فأخبروه فغدا خاقان على الاثقال وقد خندق ابراهيم خندقا فأتاهم وهم قيام عليه فأمر أهل السغد بقتالهم فلما دنوا من مسلحة المسلمين ثاروا في وجوههم فهزموهم وقتلوا منهم رجلا فقال خاقان اركبوا وصعد خاقان تلا فجعل ينظر العورة ووجه القتال قال وهكذا كان يفعل ينفرد في رجلين أو ثلاثة فاذا رأى عورة أمر جنوده فحملت من ناحية العورة فلما صعد التل رأى خلف العسكر جزيرة دونها مخاضة فدعا بعض قواد الترك فأمرهم أن يقطعوا فوق العسكر في مقطع وصفه حتى يصيروا الى الجزيرة ثم ينحدروا في الجزيرة حتى يأتوا عسكر المسلمين من دبر وأمرهم أن يبدؤا بالاعاجم وأهل الصغانيان وأن يدعوا غيرهم فانهم من العرب وقد عرفهم بأبنيتهم وأعلامهم وقال لهم ان أقام القوم في خندقهم فأقبلوا اليكم دخلنا نحن خندقهم وان ثبتوا على خندقهم فادخلوا من دبره عليهم ففعلوا ودخلوا عليهم من ناحية

الاعاجم فقتلوا صغان خذاه وعامة أصحابه واحتووا على أموالهم ودخلوا عسكر ابراهيم فأخذوا عامة مافيه وترك المسلمون التعبية واجتمعوا في موضع وأحسوا بالهلاك فاذا رهج قد ارتفع وتربة سوداء فاذا أسد في جنده قد أتاهم فجعلت الترك ترتفع عنهم الى الموضع الذى كان فيه خاقان وابراهيم يتعجب من كفهم وقد ظفروا وقتلوا من قتلوا وأصابوا ما أصابوا وهو لا يطمع في أسد قال وكان أسد قد أغذ السير فأقبل حتى وقف على التل الذى كان عليه خاقان وتنحى خاقان الى ناحية الجبل فخرج اليه من بقى ممن كان مع الاثقال وقد قتل منهم بشر كثير قتل يومئذ بركة بن خولى الراسبى وكثير أبو أمية ومشيخة من خزاعة وخرجت امرأة صغان خذاه الى أسد فبكت زوجها فبكى أسد معها حتى علا صوته ومضى خاقان يقود الاسراء من الجند في الاوهاق ويسوق الابل موقرة والجوارى قال وكان مصعب بن عمر والخزاعى نفر من أهل خراسان قد أجمعوا على مواقفتهم فكفهم أسد وقال هؤلاء قوم قد طابت لهم الريح واستكلبوا فلا تعرضوا لهم وكان مع خاقان رجل من أصحاب الحارث بن سريج فأمره فنادى يا أسد أما كان لك فيما وراء النهر مغزى انك لشديد الحرص قد كان لك عن الختل مندوحة وهى أرض آبائى وأجدادى فقال أسد كان ما رأيت ولعل الله أن ينتقم منك قال كور مغانون وكان من عظماء الترك لم أر يوما كان أحسن من يوم الاثقال قيل له وكيف ذلك قال أصبت أموالا عظيمة ولم أر عدوا أسمح من أسراء العرب بعدو أحدهم فلا يكاد يبرح مكانه وقال بعضهم سار خاقان الى الاثقال فارتحل أسد فلما أشرف على الظهر ورأى المسلمين الترك فامتنعوا وقد كانوا قاتلوا المسلمين فامتنعوا فأتوا الاعاجم الذين كانوا مع المسلمين فقاتلوهم فأسروا أولادهم قال فاردف كل رجل منهم وصيفا أو وصيفة ثم أقبلوا الى عسكر أسد عند مغيب الشمس قال وسار أسد بالناس حتى نزل مع الثقل وصبحوا أسدا من الغد وذلك يوم الفطر فكادوا يمنعونهم من الصلاة ثم انصرفوا ومضى أسد الى بلخ فعسكر في مرجها حتى أتى الشتاء ثم تفرق الناس في الدور ودخل المدينة ففى هذه الغزاة قيل له بالفارسية

أز ختلان آمديه * بروتباه آمديه
آبار باز آمديه * خشنك نزار آمديه

قال وكان الحارث بن سريج بناحية طخارستان فانضم الى خاقان فلما كان ليلة الاضحى قيل لاسدان خاقان نزل جزة فأمر بالنيران فرفعت على المدينة فجاء الناس من الرساتيق الى مدينة بلخ فأصبح أسد فصلى وخطب الناس وقال ان عدو الله الحارث بن سريج استجلب طاغيته ليطفئ نور الله ويبدل دينه والله مذله ان شاء الله وان عدوكم الكلب أصاب من اخوانكم من أصاب وان يرد الله نصركم لم يضركم قلتكم وكثرتهم فاستنصروا

الله وقال انه بلغني أن العبد أقرب ما يكون الى الله اذا وضع جبهته لله وانى نازل و واضع جبهتى فادعوا الله واسجدوا لربكم وأخلصوا له الدعاء ففعلوا ثم رفعوا رؤسهم وهم لا يشكون فى الفتح ثم نزل عن المنبر وضحى وشاور الناس فى المسير الى خاقان فقال قوم أنت شاب ولست ممن تخوف من غارة على شاة ودابة تخاطر بخروجك قال والله لاخرجن فإما ظفر وإما شهادة ويقال أقبل خاقان وقد استمد من وراء النهر وأهل طخارستان وجيغويه الطخارى بملوكهم وشاكريتهم بثلاثين ألفا فنزلوا الحلم وفيها مسلحة عليها أبو العوجاء بن سعيد العبدى فناوشهم فلم يظفر وامنه بشئ فساروا على حاميتهم فى طريق فيروز بخشين من طخارستان فكتب أبو العوجاء الى أسد بمسيرهم قال فجمع الناس فاقرأهم كتاب أبى العوجاء وكتاب الفرافصة صاحب مسلحة جزة بعد مرو رخاقان به فشاور أسد الناس فقال قوم تأخذ بأبواب مدينة بلخ وتكتب الى خالد والخليفة تستمده وقال آخرون تأخذ فى طريق زم وتسبق خاقان الى مرو وقال قوم بل تخرج اليهم وتستنصر الله عليهم فوافق قولهم رأى أسد وما كان عزم عليه من لقائهم ويقال ان خاقان حين فارق أسدا ارتفع حتى صار بأرض طخارستان عند جيغويه فلما كان وسط الشتاء أقبل فمر بجزة وسار الى الجوزجان وبث الغارات وذلك أن الحارث بن سريج أخبره أنه لا نهوض بأسد وانه لم يبق معه كبير جند فقال البخترى بن مجاهد مولى بنى شيبان بل بث الخيول حتى تنزل الجوزجان فلما بث الخيل قال له البخترى كيف رأيت رأيى قال وكيف رأيت صنع الله عز وجل حين أخذ برأيك فأخذ أسد من جبلة بن أبى روّاد عشرين ومائة ألف درهم وأمر للناس بعشرين عشرين ومعه من الجنود من أهل خراسان وأهل الشأم سبعة آلاف رجل واستخلف على بلخ الكرمانى بن على وأمره أن لا يدع أحدا يخرج من مدينتها وان ضرب الترك باب المدينة فقال له نصر بن سيار الليثى والقاسم بن بخيت المراغى من الازد وسليم بن سليمان السلمى وعمرو بن مسلم بن عمرو ومحمد بن عبد العزيز العتكى وعيسى الاعرج الحنظلى والبخترى بن أبى درهم البكرى وسعيد الاحمر وسعيد الصغير مولى باهلة أصلح الله الامير ائذن لنا فى الخروج ولا تهجن طاعتنا فاذن لهم ثم خرج فنزل بابا من أبواب بلخ وضربت له قبة فازتان والصق احداهما بالاخرى وصلى بالناس ركعتين طولهما ثم استقبل القبلة ونادى فى الناس ادعوا الله وأطال فى الدعاء ودعا بالنصر وأمن الناس على دعائه فقال نصرتم ورب الكعبة ثم انفتل من دعائه فقال نصرتم ورب الكعبة ان شاء الله ثلاث مرات ثم نادى مناديه برئت ذمة الله من رجل حمل امرأة ممن كان من الجند قالوا ان أسدا انما خرج هاربا فخلف أم بكر أم ولده وولده فنظر فاذا جارية على بعير فقال سلوا لمن هذه الجارية فذهب بعض الاساورة فسأل ثم رجع فقال لزياد بن

الحارث البكرى وزياد جالس فقطب أسد وقال لا ينتهون حتى أسطو بالرجل منكم يكرم علىّ فأضرب ظهره وبطنه فقال زياد ان كانت لى فهى حرة لا والله أيها الامير ما معى امرأة فانّ هذا عدوّ حاسد وسار أسد فلما كان عند قنطرة عطاء قال لمسعود بن عمرو الكرمانى وهو يومئذ خليفة الكرمانى على الازد ابغنى خمسين رجلا ودابة أحلفهم على هذه القنطرة فلا تدع أحدا ممن جازها أن يرجع اليها فقال مسعود ومن أين أقدر على خمسين رجلا فأمر به فصرع عن دابته وأمر بضرب عنقه فقام اليه قوم فكلموه فكف عنه فلما جاز القنطرة نزل منزلا فأقام فيه حتى أصبح وأراد المقام يومه فقال له العذافر بن زيد ليأتمر الامير على المقام يومه حتى يتلاحق الناس قال فأمر بالرحيل وقال لا حاجة لنا الى المتخلفين ثم ارتحل وعلى مقدمته سالم بن منصور البجلى فى ثلثمائة فلقى ثلثمائة من الترك طليعة لخاقان فأسر قائدهم وسبعة منهم معه وهرب بقيتهم فأتى به أسد قال فبكى التركى قال ما يبكيك قال لست أبكى لنفسى ولكنى أبكى لهلاك خاقان قال كيف قال لانه قد فرّق جنوده فيما بينه وبين مرو قال وسار أسد حتى نزل السدرة قرية ببلخ وعلى خيل أهل العالية ريحان بن زياد العامرى العبدلى من بنى عبد الله بن كعب قال فعزله وصيّر على أهل العالية منصور ابن سالم ثم ارتحل من السدرة فنزل خريستان فسمع أسد صهيل فرس فقال لمن هذا فقيل للعقار بن ذعير فتطيّر من اسمه واسم أبيه فقال ردّوه قال ابى مقتول غادى على الترك قال أسد قتلك الله ثم سار حتى اذا شارف العين الحارّة استقبله بشر بن رزين أو رزين بن بشر فقال بشارة ورزانة ماوراءك يا رزين قال ان لم تغثنا غلبنا على مدينتنا قال قد للمقدام ابن عبد الرحمن بطاول برمحى وسار فنزل من مدينة الجوزجان بفرسخين ثم أصبحنا وقد تراءت الخيلان فقال خاقان للحارث من هذا فقال هذا محمد بن المثنى ورأيته ويقال ان طلائع لخاقان انصرفت اليه فأخبرته ان رهجا ساطعا طلع من قبل بلخ فدعا خاقان الحارث فقال ألم تزعم أن أسدا ليس به نهوض وهذا رهج قد أقبل من ناحية بلخ قال الحارث هذا اللص الذى كنت قد أخبرتك أنه من أصحابى فبعث خاقان طلائع فقال انظروا هل ترون على الابل سريرا وكراسى فجاءته الطلائع فأخبروه أنهم عاينوها فقال خاقان اللصوص لا يحملون الاسرّة والكراسى وهذا أسد قد أتاك فسار أسد غلوة فلقيه سالم بن جناح فقال ابشر أيها الامير قد حزرتهم ولا يبلغون أربعة آلاف وأرجو أن يكون عقيرة الله فقال المجشر بن مزاحم وهو يسايره أنزل أيها الامير رجالك فضرب وجه دابته وقال لو أطعت يا مجشر ما كنا قد مناهها هنا وسار غير بعيد وقال يا أهل الصباح انزلوا فنزلوا وقرّبوا دوابهم وأخذوا النبل والقسى قال وخاقان فى مرج قد بات فيه تلك الليلة قال وقال عمرو بن أبى موسى ارتحل أسد حين صلى الغداة فمرّ بالجوزجان وقد استباحها خاقان حتى بلغت خيله

الشبورقان قال وقصور الجوزجان اذذاك ذليلة قال وأتاه المقدام بن عبد الرحمن بن نعيم الغامدي في مقاتلته وأهل الجوزجان وكان عاملها فعرضوا عليه أنفسهم فقال أقيموا في مدينتكم وقال للجوزجان ابن الجوزجان سر معي وكان على التعبية القاسم بن بخيت المراغي فجعل الازد وبني تميم والجوزجان بن الجوزجان وشاكريته ميمنته وأضاف اليهم أهل فلسطين عليهم مصعب بن عمر والخزاعي وأهل قنسرين عليهم صفراء بن أحمر وجعل ربيعة ميسرة عليهم يحيى بن حضين وضم اليهم أهل حمص عليهم جعفر بن حنظلة البهراني وأهل الازد وعليهم سليمان بن عمر والمقري من حمير وعلى المقدمة منصور بن مسلم البجلي وأضاف اليهم أهل دمشق عليهم حملة بن نعيم الكلبي وأضاف اليهم الحرس والشرطة وغلمان أسد قال وعبى خاقان الحارث بن سريج وأصحابه وملك السغد وصاحب الشاش وخراغره أباخاناخره جد كاوس وصاحب الختل وجيغويه والترك كلهم ميمنة فلما التقوا حمل الحارث ومن معه من أهل السغد والبابية وغيرهم على الميسرة وفيها ربيعة وجندان من أهل الشأم فهزمهم فلم يردهم شئ دون رواق أسد فشدت عليهم الميمنة وهم الازد وبنو تميم والجوزجان فماوصلوا اليهم حتى انهزم الحارث والاتراك وحمل الناس جميعا فقال أسد اللهم انهم عصوني فانصرهم وذهب الترك في الارض عباديد لايلوون على أحد فتبعهم الناس مقدار ثلاثة فراسخ يقتلون من يقدرون عليه حتى انتهوا الى أغنامهم فاستاقوا أكثر من خمس وخمسين ومائة ألف شاة ودواب كثيرة وأخذ خاقان طريقا غير الجادة في الجبل والحارث بن سريج يحميه ولحقهم أسد عند الظهر ويقال لما واقف أسد خاقان يوم خربستان كان بينهم نهر عميق فأمر أسد برواقه فرفع فقال رجل من بني قيس بن ثعلبة ياأهل الشأم أهكذا رأيكم اذ حضر الناس رفعتم الابنية فأمر به فحط وهاجت ريح الحرب التي تسمى الهفافة فهزمهم الله واستقبلوا القبلة يدعون الله ويكبرون وأقبل خاقان في قريب من أربعمائة فارس عليهم الحمرة وقال لرجل يقال له سورى انما أنت ملك الجوزجان ان أسلمت العرب فمن رأيت من أهل الجوزجان وقد أتاه فاقتله وقال الجوزجان لعثمان بن عبد الله بن الشخير انى لأعلم ببلادى وطرقها فهل لك في أمر فيه هلاك خاقان ولك فيه ذكر مابقيت قال ماهو قال تتبعني قال نعم فأخذ طريقا يسمى ورادك فاشرفوا على طوقات خاقان وهم آمنون فأمر خاقان بالكوسات فضربت ضربة الانصراف وقد شبت الحرب فلم يقدر الترك على الانصراف ثم ضربت الثانية فلم يقدروا ثم ضربت الثالثة فلم يقدروا لاشتغالهم فحمل ابن الشخير والجوزجان على الطوقات وولى خاقان مدبرا منهزما فحوى المسلمون عسكرهم وتركوا قدورهم تغلى ونساء من نساء العرب والمواليات ومن نساء الترك ووجل بخاقان برذونه فحماه الحارث بن سريج قال ولم يعلم الناس أنه

خاقان ووجد عسكر الترك مشحونا من كل شئ من آنية الفضة وصناجات الترك وأراد الخصي ان يحمل امرأة خاقان فاعجلوه عن ذلك فطعنها بخنجر فوجدوها تتحرك فاخذوا خفها وهو من لبود مضرب قال فبعث أسد بجوارى الترك الى دهاقين خراسان واستنقذ من كان في أيديهم من المسلمين قال وأقام أسد خمسة أيام قال فكانت الخيول التي فرق تقبل فيصيبهم أسد فاغتنم الظفر وانصرف الى بلخ يوم التاسع من خروجه فقال ابن السيف المجاشعي

لو سِرْتَ في الأرض تقيسُ الأرضا * تقيسُ منها طولها والعرضا
لم تلق خيرا مرة ونقضا * من الأمير أسدٍ وأمضا
أفضى إلينا الخيرُ حين أفضى * وجمع الشمل وكان رفضا
* ما فاتهُ خاقانُ إلا ركضا * قد فُضَّ من جُموعه ما فُضَّا
يا ابنَ سُرَيجٍ قد لقيتَ حَمْضا * حَمْضابه يُشفى صداعُ المرضا

قال وارتحل أسد فنزل جزة الجوزجان من غد وخاقان بها فارتحل هاربا منه وندب أسد الناس فانتدب ناس كثير من أهل الشأم وأهل العراق فاستعمل عليهم جعفر بن حنظلة البهراني فساروا ونزلوا مدينة تسمى ورد من أرض جزة فباتوا بها فاصابهم ريح ومطر ويقال أصابهم الثلج فرجعوا ومضى خاقان فنزل على جيغويه الطخاري وانصرف البهراني الى أسد ورجع أسد الى بلخ فلقوا خيل الترك التي كانت بمرو الروذ منصرفة لتغير على بلخ فقتلوا من قدروا عليه منهم وكان الترك قد بلغوا بيعة مرو الروذ وأصاب أسد يومئذ أربعة آلاف درع فلما صار ببلخ أمر الناس بالصوم لافتتاح الله عليهم قال وكان أسد يوجه الكرماني في السرايا فكانوا لا يزالون يصيبون الرجل والرجلين والثلاثة وأكثر من الترك ومضى خاقان الى طخارستان العليا فاقام عند جيغويه الآخر لحى تعزز به وأمر بصنيعة الكوسات فلما جفت وصلح أصواتها ارتحل الى بلاده فلما ورد شروسنة تلقاه خرابغره أبوخاخره جد كاوس أبي أفشين باللعابين وأعد له هدايا ودواب له ولجنده وكان الذي بينهما متباعدا فلما رجع منهزما أحب ان يتخذ عنده يدا فاتاه بكل ما قدر عليه ثم أتى خاقان بلاده وأخذ في الاستعداد للحرب ومحاصرة سمرقند وحمل الحارث بن سريج وأصحابه على خمسة آلاف برذون وفرق براذين في قواد الترك فلاعب خاقان يوما كورصول بالنرد على خطر تدرجة فقمر كورصول الترقشي فطلب منه التدرجة فقال انثي فقال الآخر ذكر فتنازعا فكسر كورصول يد خاقان فخلف خاقان ليكسرن يد كورصول وبلغ كورصول فتنحى وجمع جمعا من أصحابه فبيت خاقان فقتله فاصبحت الترك فتفرقوا عنه وتركوه مجردا فاتاه زريق بن طفيل الكشاني وأهل بيت الحوكيين وهم من عظماء الترك فحمله ودفنه وصنع

به

به مايصنع بمثله اذا قتل فتفرقت الترك في الغارات بعضها على بعض وانحاز بعضهم الى الشاش فعند ذلك طمع أهل السغد في الرجعة اليها قال فلم يسلم من خيل الترك التي تفرقت في الغارات الا زر بن الكسي فانه سلم حتى صار الى طخارستان وكان أسد بعث من مدينة بلخ سيف بن وصاف العجلي على فرس فسار حتى نزل الشبور قان قال وفيها ابراهيم بن هشام مسلحة فحمله منها على البريد حتى قدم على خالد بن عبد الله فاخبره ففظع به هشام فلم يصدقه وقال للربيع حاجبه ويحك ان هذا الشيخ قد أتانا بالطامة الكبرى اذا كان صادقا ولا أراه صادقا اذهب فعده ثم سله عما يقوله وأتني بما يقول فانطلق اليه ففعل الذي أمره به فاخبره بالذي أخبر به هشاما قال فدخل عليه أمر عظيم فدعا به بعد فقال من القاسم بن بخيت منكم قال ذلك صاحب العسكر قال فانه قد أقبل قال فان كان قد أقبل فقد فتح الله على أمير المؤمنين وكان أسد وجهه حين فتح الله عليه فاقبل القاسم بن بخيت فكبر على الباب ثم دخل يكبر وهشام يكبر لتكبيره حتى انتهى اليه فقال الفتح يا أمير المؤمنين وأخبره الخبر فنزل هشام عن سريره فسجد سجدة الشكر وهي واحدة عندهم قال فحسدت القيسية أسدا وخالدا وأشاروا على هشام ان يكتب الى خالد بن عبد الله فيأمر أحاه ان يوجه مقاتل بن حيان فكتب اليه فدعا أسد مقاتل بن حيان على رؤوس الناس فقال سر الى أمير المؤمنين فاخبره بالذي عاينت وقل الحق فانك لا تقول غير الحق ان شاء الله وخذ من بيت المال حاجتك قالوا اذا لا يأخذ شيأ قال اعطه من المال كذا وكذا ومن الكسوة كذا وكذا وجهزه فسار فقدم على هشام بن عبد الملك وهو والأبرش جالسان فسأله فقال غزونا الختل فاصبنا أمرا عظيما وانذر أسد بالترك فلم نحفل بهم حتى لحقوا واستنقذوا من غنائمنا واستباحوا بعض عسكرنا ثم دفعونا دفعة قريبا من خلم فانتهى الناس الى مشاتيهم ثم جاءنا مسير خاقان الى الجوزجان ونحن قريبو العهد بالعدو فسار بنا حتى التقينا برستاق بيننا وبين أرض الجوزجان فقاتلناهم وقد حاز واذراري من ذراري المسلمين فحملوا على ميسرتنا فكشفوهم ثم حملت ميمنتنا عليهم فاعطانا الله عليهم الظفر وتبعناهم فراسخ حتى استبعنا عسكر خاقان فأجلى عنه وهشام متكئ فاستوى جالسا عند ذكره عسكر خاقان فقال ثلاثا أنتم استبعتم عسكر خاقان قال نعم قال ثم ماذا قال دخلوا الختل فانصرفوا قال هشام ان أسد الضعيف قال مهلا يا أمير المؤمنين ما أسد بضعيف وما أطاق فوق ما صنع فقال له هشام حاجتك قال ان يزيد بن المهلب أخذ من أبي حيان مائة ألف درهم بغير حق فقال له هشام لأكلفنك شاهدا احلف بالله انه كما قلت فحلف فردها عليه من بيت مال خراسان وكتب الى خالد أن يكتب الى أسد فيها فكتب اليه فاعطاه أسد مائة ألف درهم فقسمها بين ورثة حيان على كتاب الله وفرائضه ويقال بل كتب الى أسد أن يستخبر عن ذلك فان كان ماذكر حقا أعطى مائة ألف درهم وكان الذي جاء

بفتح خراسان الى مرو وعبد السلام بن الاشهب بن عتبة الحنظلى قال فاوفد أسد الى خالد بن عبد الله وفدا في هزيمته يوم سان ومعهم طوقات خاقان ورؤوس من قتلوا منهم فاوفدهم خالد الى هشام فاحلفهم انهم صدقوا فحلفوا فوصلهم فقال أبو الهندى الاسدى لأسد يذكر وقعة سان

أبا منذر رمت الأمور فقسمتها * وسألت عنها كالحريص المساوم
فما كان ذو رأى من الناس قسمته * برأيك إلا مثل رأى البهائم
أبا منذر لولا مسيرك لم يكن * عراق ولا انقادت ملوك الأعاجم
ولا حج بيت الله مذ حج راكب * ولا عمر البطحاء بعد المواسم
فكم من قتيل بين سان وجزة * كثير الأيادى من ملوك قماقم
تركت بأرض الجوزجان تزوره * سباع وعقبان لحز الغلاصم
وذى سوقة فيه من السيف خطة * به رمق حامت عليه الحوائم
فمن هارب منا ومن دائن لنا * أسير يقاسى منهمات الأداهم
فذلك نفوس من تميم وعامر * ومن مضر الحمراء عند المآزم
هم أطمعوا خاقان فينا فأصبحت * جلائبه ترجو احتواء المغانم

قال وكان السبل أوصى عند موته ابن السائحى حين استخلفه بثلاث خصال فقال لا تستطل على أهل الختل استطالتى التى كانت عليهم فانى ملك ولست بملك انما أنت رجل منهم فلا يحتملون لك ما يحتملون للملوك ولا تدع ان تطلب الجيش حتى ترده الى بلادكم فانه الملك بعدى والملوك هم النظام والناس ما لم يكن لهم نظام طغام ولا تحاربوا العرب واحتالوا لهم كل حيلة تدفعونهم بها عن أنفسكم ما قدرتم فقال له ابن السائحى أما ما ذكرت من تركى الاستطالة على أهل الختل فانى قد عرفت ذلك وأما ما أوصيت من رد الجيش فقد صدق الملك وأما قولك لا تحاربوا العرب فكيف تنهى عن حربهم وقد كنت أكثر الملوك لهم محاربة قال قد أحسنت اذ سألت عما لا تعلم انى قد جربت قوتكم بقوتى فلم أجدكم تقعون منى موقعا فكنت اذا حاربتهم لم أفلت منهم الا جريضا وانكم ان حاربتموهم هلكتم في أول محاربتكم اياهم قال وكان الجيش قد هرب الى الصين وابن السائحى الذى أخبر أسد بن عبد الله بمسير خاقان اليه فكره محاربة أسد ﴿وفي هذه السنة﴾ خرج المغيرة بن سعيد وبيان فى نفر فأخذهم خالد فقتلهم

﴿ذكر الخبر عن مقتلهم﴾

أما المغيرة بن سعيد فانه كان فيما ذكر ساحرا حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن الاعمش قال سمعت المغيرة بن سعيد يقول لو أردت ان أحيى عادا وثمود او قرونا بين ذلك

كثيرا

كثيرا لأحيائهم قال الاعمش وكان المغيرة يخرج الى المقبرة فيتكلم فيرى مثل الجراد على القبور ونحو هذا من الكلام وذكر أبو نعيم عن النضر بن محمد عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال قدم علينا رجل من أهل البصرة يطلب العلم فكان عندنا فامرت جاريتي يوما ان تشتري لي سمكا بدرهمين ثم انطلقت أنا والبصري الى المغيرة بن سعيد فقال لي يا محمد أتحب ان أخبرك لم افترق حاجباك قلت لا قال أفتحب ان أخبرك لم سماك أهلك محمدا قلت لا قال أما انك قد بعثت خادمك يشتري لك سمكا بدرهمين قال فنهضنا عنه قال أبو نعيم وكان المغيرة قد نظر في السحر فاخذه خالد القسري فقتله وصلبه وذكر أبو زيد أن أبا بكر بن حفص الزهري قال أخبرني محمد بن عقيل عن سعيد بن مرداس مولى عمرو بن حريث قال رأيت خالدا حين أتى بالمغيرة وبيان في ستة رهط أو سبعة أمر بسرير فأخرج الى المسجد الجامع وأمر بأطنان قصب ونفط فأحضرا ثم أمر المغيرة ان يتناول طنا فكع عنه وتأنى وصبت السياط على رأسه فتناول طنا فاحتضنه فشد عليه ثم صب عليه وعلى الطن نفط ثم ألهبت فيهما النار فاحترقا ثم أمر الرهط ففعلوا ثم أمر بيانا آخرهم فقدم الى الطن مبادرا فاحتضنه فقال خالد ويلكم في كل أمر تحمقون هلا رأيتم هذا المغيرة ثم أحرقه قال أبو زيد لما قتل خالد المغيرة وبيانا أرسل الى مالك بن أعين الجهني فسأله فصدقه عن نفسه فاطلقه فلما خلا مالك بمن يثق به وكان فيهم أبو مسلم صاحب خراسان قال

ضربت له بين الطريقين لاحيا * وطنت عليه الشمس فيمن يطينها
وألقيته في شبهة حين سالني * كما اشتبهت في الخط سين وشينها

فقال أبو مسلم حين ظهر أمره لو وجدته لقتلته باقراره على نفسه قال أحمد بن زهير عن علي ابن محمد قال خرج المغيرة بن سعيد في سبعة نفر وكانوا يدعون الوصفاء وكان خروجهم بظهر الكوفة فأخبر خالد القسري بخروجهم وهو على المنبر فقال اطعموني ماء فنعى ذلك عليه ابن نوفل فقال

أخالد لا جزاك الله خيرا * وأيرٌ في حرامك من أمير
تمنى الفخر في قيس وقسر * كأنك من سراة بني جرير
وأمك علجة وأبوك وغد * وما الاذناب عدلا للصدور
جرير من ذوى يمن أصيل * كريم الأصل ذى خطر كبير
وأنت زعمت أنك من يزيد * وقد دوحقتم دحق العبور
وكنت لدى المغيرة عبد سوء * تبول من المخافة للزئير
وقلت لما أصابك أطعموني * شرابا ثم بلت على السرير
لأعلاج ثمانية وشيخ * كبير السن ليس بذى نصير

﴿وفى هذه السنة﴾ حكم بهلول بن بشر الملقب كُثارة فقتل

﴿ذكر الخبر عن مخرجه ومقتله﴾

ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن بهلولا كان يتأله وكان له قوت دانق وكان مشهورا بالبأس عند هشام بن عبد الملك فخرج يريد الحج فامر غلامه ان يبتاع له خلا بدرهم فجاءه غلامه بخمر فامر بردها وأخذ الدرهم فلم يُجب الى ذلك فجاء بهلول الى عامل القرية وهى من السواد فكلمه فقال العامل الخمر خير منك ومن قومك فمضى بهلول في حجه حتى فرغ منه وعزم على الخروج على السلطان فلقى بمكة من كان على مثل رأيه فاتعدوا قرية من قرى الموصل فاجتمع بها أربعون رجلا وأمروا عليهم البهلول وأجمعوا على ان لا يمروا بأحد الا أخبروه انهم أقبلوا من عند هشام على بعض الاعمال ووجههم الى خالد لينفذهم في أعمالهم فجعلوا لا يمرون بعامل الا أخبروه بذلك وأخذوا دواب من دواب البريد فلما انتهوا الى القرية التى كان ابتاع فيها الغلام الخل فأعطى خمرا قال بهلول نبدأ بهذا العامل الذى قال ما قال فقال له أصحابه نحن نريد قتل خالد فان بدأنا بهذا شهرنا وحذرنا خالدا وغيره فننشدك الله ان لا تقتل هذا فيفلت منا خالد الذى يهدم المساجد ويبنى البيع والكنائس ويولى المجوس على المسلمين وينكح أهل الذمة المسلمات لعلنا نقتله فيريح الله منه قال والله لا أدع ما يلزمنى لما بعده وأرجو ان أقتل هذا الذى قال لى ما قال وأدرك خالدا فاقتله وان تركت هذا وأتيت خالدا شهر أمرنا فافلت هذا وقد قال الله عز وجل قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قالوا أنت ورأيك فاتاه فقتله فتذربهم الناس وعلموا انهم خوارج وابتدروا الى الطريق هرابا وخرجت البُرُد الى خالد فاخبروه ان خارجة قد خرجت وهم لا يدرون حينئذ من رئيسهم فخرج خالد من واسط حتى أتى الحيرة وهو حينئذ فى الخلق وقد قدم فى تلك الايام قائد من أهل الشأم من بنى القين فى جيش قد وجهوا مدد العامل خالد على الهند فنزلوا الحيرة فلذلك قصدها خالد فدعا رئيسهم فقال قاتل هؤلاء المارقة فان من قتل منهم رجلا أعطيته عطاءه سوى ما قبض بالشأم وأعفيته من الخروج الى أرض الهند وكان الخروج الى أرض الهند شاقا عليهم فسارعوا الى ذلك فقالوا نقتل هؤلاء النفر ونرجع الى بلادنا فتوجه القينى اليهم فى ستمائة وضم اليهم خالد مائتين من شرط الكوفة فالتقوا على الفرات فعبأ القينى أصحابه وعزل شرط الكوفة فقال لا تكونوا معنا وانما يريد فى نفسه ان يخلو هو وأصحابه بالقوم فيكون الظفر لهم دون غيرهم لما وعدهم خالد وخرج اليهم بهلول فسأل عن رئيسهم حتى عرف مكانه ثم تلبث له ومعه لواء أسود فحمل عليه فطعنه فى فرج درعه فانفذه فقال قتلتنى قتلك الله فقال بهلول الى النار أبعدك الله وولى أهل الشأم مع شرط أهل الكوفة منهزمين حتى بلغوا باب الكوفة وبهلول وأصحابه يقتلونهم فاما الشأميون فانهم كانوا على

خيل جياد فقاتوه وأما شرط الكوفة فانه لحقهم فقالوا اتق الله فينا فانا مكرهون مقهورون فجعل يقرع رؤوسهم بالرمح ويقول الحقوا النجاء النجاء ووجد البهلول مع القيني بدرة فأخذها وكان بالكوفة ستة نفر يرون رأى البهلول فخرجوا اليه يريدون اللحاق به فقتلوا وخرج اليهم البهلول وحمل البدرة بين يديه فقال من قتل هؤلاء النفر حتى أعطيه هذه الدراهم فجعل هذا يقول أنا وهذا يقول أنا حتى عرفهم وهم يرون أنه من قبل خالد جاء ليعطيهم مالا لقتلهم من قتلوا فقال بهلول لاهل القرية أصدق هؤلاء هم قتلوا النفر قالوا نعم وخشى بهلول أنهم ادعوا ذلك طمعا في المال فقال لاهل القرية انصرفوا أنتم وأمر باولئك فقتلوا وعاب عليه أصحابه فحاجهم فأقر واله بالحجة وبلغت هزيمة القوم خالدا وخبر من قتل من أهل صريفين فوجه فائدا من بني شيبان أحد بني حوشب بن يزيد بن رويم فلقيهم فيما بين الموصل والكوفة فشد عليهم البهلول فقال نشدتك بالرحم فاني جانح مستجير فكف عنه وانهزم أصحابه فأتوا خالدا وهو مقيم بالحيرة ينتظر فلم يرعه الا الفل قد هجم عليه فارتحل البهلول من يومه يريد الموصل فخافه عامل الموصل فكتب الى هشام أن خارجة خرجت فعاثت وأفسدت وأنه لا يأمن على ناحيته ويسأله جندا يقاتلهم به فكتب اليه هشام وجه اليهم كثارة بن بشر وكان هشام لا يعرف البهلول الا بلقبه فكتب اليه العامل ان الخارج هو كثارة قال ثم قال البهلول لأصحابه أنا والله ما نصنع بابن النصرانية شيأ يعني خالدا وما خرجت الا لله فلم لا نطلب الرأس الذي يسلط خالدا وذوى خالد فتوجه يريد هشاما بالشأم فخاف عمال هشام موجدته ان تركوه يجوز بلادهم حتى ينتهي الى الشأم فجند له خالد جندا من أهل العراق وجند له عامل الجزيرة جندا من أهل الجزيرة ووجه اليه هشام جندا من أهل الشأم فاجتمعوا بدير بين الجزيرة والموصل وأقبل بهلول حتى انتهى اليهم ويقال التقوا بالكحيل دون الموصل فأقبل بهلول فنزل على باب الدير فقالوا له تزحزح عن باب الدير حتى نخرج اليك فتنحى وخرجوا فلما رأى كثرتهم وهو في سبعين جعل من أصحابه ميمنة وميسرة ثم أقبل عليهم فقال أكلكم يرجو أن يقتلنا ثم يأتي بلده وأهله سالما قالوا انا نرجو ذلك ان شاء الله فشد على رجل منهم فقتله فقال أما هذا فلا يأتي أهله أبدا فلم يزل ذلك ديدنه حتى قتل منهم ستة نفر فانهزموا فدخلوا الدير فحاصرهم وجاءتهم الامداد فكانوا عشرين ألفا فقال له أصحابه الا نعقر دوابنا ثم نشد عليهم شدة واحدة فقال لا تفعلوا حتى نبلي الله عذرا ما استمسكنا على دوابنا فقاتلوهم يومهم ذلك كله الى جنح العصر حتى أكثروا فيهم القتل والجراح ثم ان بهلولا وأصحابه عقروا دوابهم وترجلوا وأصلتوا لهم السيوف فأوجعوا فيهم فقتل عامة أصحاب بهلول وهو يقاتل ويذود عن أصحابه وحمل عليه رجل من جديلة قيس يكنى أبا الموت فطعنه فصرعه فوافاه من بقي من أصحابه فقالوا له ول أمرنا من بعدك

من يقوم به فقال ان هلكتُ فأمير المؤمنين دِعامة الشيبانيّ فان هلك دعامة فأمير المؤمنين عمرو اليشكريّ وكان أبو الموت انما اختل البهلول ومات بهلول من ليلته فلما أصبحوا هرب دعامة وخلاهم فقال رجل من شعرائهم

لبئس أميرُ المؤمنينَ دِعامة * دِعامةُ في الهيجاء شرُّ الدَّعائم

وقال الضحاك بن قيس يرثي بهلولا ويذكر أصحابه

بُدِّلتُ بعد أبي بشر وصحبته * قوما على مَعَ الأحزاب أعوانا
كأنهم لم يكونوا من صحابتنا * ولم يكونوا النابالأمس خُلاَّنا
ياعينُ أذرى دُموعا منكِ تهتانا * وابكى لناصحبةً بانوا وإخوانا
خلَّوا الناظاهر الدنيا وباطنها * وأصبحوا في جنان الخلد جيرانا

قال أبو عبيدة لما قتل بهلول خرج عمرو اليشكريّ فلم يلبث ان قتل ثم خرج العنزيّ صاحب الاشهب وبهذا كان يعرف على خالد في ستين فوجه اليه خالد السمط بن مسلم البَجليّ في أربعة آلاف فالتقوا بناحية الفرات فشدّ العنزيّ على السمط فضربه بين أصابعه فألقى سيفه وشُلت يده وحمل عليهم فانهزمت الحرورية فتلقاهم عبيد أهل الكوفة وسفلتهم فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم قال أبو عبيدة ثم خرج وزير السختيانيّ على خالد في نفر وكان مخرجه بالحيرة فجعل لا يمرّ بقرية الا أحرقها ولا أحد الا قتله وغلب على ما هنالك وعلى بيت المال فوجه اليه خالد قائدا من أصحابه وشرطا من شُرط الكوفة فقاتلوه وهو في نفر فقاتل حتى قتل عامة أصحابه وأثخن بالجراح فأخذ مرتثا فأتى به خالد فأقبل على خالد فوعظه وتلا عليه آيات من القرآن فأعجب خالدا ما سمع منه فامسك عن قتله وحبسه عنده وكان لا يزال يبعث اليه في الليالي فيؤتى به فيحادثه ويسائله فبلغ ذلك هشاما وسعي به اليه وقيل أخذ حرورياً قد قتل وحرق وأباح الاموال فاستبقاه فاتخذه سميرا فغضب هشام وكتب الى خالد يشتمه ويقول لا تستبق فاسقا قتل وحرّق وأباح الاموال فكان خالد يقول انى أنفس به عن الموت لما كان يسمع من بيانه وفصاحته فكتب فيه الى هشام يرقق من أمره ويقال بل لم يكتب ولكنه كان يؤخر أمره ويدفع عنه حتى كتب اليه هشام يؤنبه ويأمره بقتله واحراقه فلما جاءه أمر عزيمة لا يستطيع دفعه بعث اليه والى نفر من أصحابه كانوا أخذوا معه فأمر بهم فأدخلوا المسجد وأدخلت أطنان القصب فشدّ وافيها ثم صبّ عليهم النفط ثم أخرجوا فنصبوا في الرحبة ورموا بالنيران فما منهم أحد الا من اضطرب وأظهر جزعا الا وزيرا فانه لم يتحرك ولم يزل يتلو القرآن حتى مات ﴿ وفي هذه السنة ﴾ غزا أسد بن عبد الله الختل وفيها قتل أسد بدرطرخان ملك الختل

﴿ذكر الخبر عن غزوة أسد الختل هذه الغزوة وسبب قتله بدر طرخان﴾

* ذكر علي بن محمد عن أشياخه الذين ذكرناهم قبل أنهم قالوا غزا أسد بن عبد الله الختل وهي غزوة بدر طرخان فوجه مصعب بن عمرو الخزاعي اليها فلم يزل مصعب يسير حتى نزل بقرب بدر طرخان فطلب الأمان على أن يخرج الى أسد فأجابه مصعب فخرج الى أسد فطلب منه أشياء فامتنع ثم سأله بدر طرخان أن يقبل منه ألف ألف درهم فقال له أسد انك رجل غريب من أهل البامیان اخرج من الختل كما دخلتها فقال له بدر طرخان دخلت أنت خراسان على عشرة من المحدقة ولو خرجت منها اليوم لم تستقل على خمسمائة بعير وغير ذلك انى دخلت الختل بشيء فاردده علي حتى أخرج منها كما دخلتها قال وماذاك قال دخلتها شابا فكسبت المال بالسيف ورزق الله أهلا وولدا فاردد علي شبابي حتى أخرج منها هل ترى أن أخرج من أهلي وولدي فما بقائي بعد أهلي وولدي فغضب أسد قال وكان بدر طرخان يثق بالامان فقال له أسد اختم في عنقك فاني أخاف عليك معرة الجند قال لست أريد ذلك وأنا أكتفي من قبلك برجل يبلغ بي مصعبا فأبى أسد الا أن يختم في عنقه فختم في رقبته ودفعه الى أبي الاسد مولاه فسار به أبو الاسد فانتهى الى عسكر المصعب عند المساء وكان سلمة بن أبي عبد الله في الموالي مع مصعب فوافى أبو الاسد سلمة وهو يضع الدراجة في موضعها فقال سلمة لابي الاسد ما صنع الامير في أمر بدر طرخان فقص الذي عرض عليه بدر طرخان واباء أسد ذلك وسرحه معه الى المصعب ليدخله الحصن فقال سلمة ان الامير لم يصب فيما صنع وسينظر في ذلك وينبغي انما كان ينبغي له أن يقبض ما عرض عليه أو يحبسه فلا يدخله حصنه فانا انما دخلناه بقناطر اتخذناها ومضايق أصلحناها وكان يمنعه أن يغير علينا رجاء الصلح فأما إن يئس من الصلح فانه لا يدع الجهد فدعه الليلة في قبتي ولا تنطلق به الى مصعب فانه ساعة ينظر اليه يدخله حصنه قال فأقام أبو الاسد وبدر طرخان معه في قبة سلمة وأقبل أسد بالناس في طريق ضيق فتقطع الجند ومضى أسد حتى انتهى الى نهر وقد عطش ولم يكن معه أحد من خدمه فاستسقى وكان السغدي بن عبد الرحمن أبو طعمة الجرمي معه شاكريا له ومع الشاكري قرن تبني فأخذ السغدي القرن فجعل فيه سويقا وصب عليه ماء من النهر وحركه وسقى أسد او قوما من رؤساء الجند فنزل أسد في ظل شجرة ودعا برجل من الحرس فوضع رأسه في فخذه وجاء المجشر بن مزاحم السلمي يقود فرسه حتى قعد تجاهه حيث ينظر أسدا فقال أسد كيف أنت يا أبا العدبس قال كنت أمس أحسن حالا مني اليوم قال وكيف ذاك قال كان بدر طرخان في أيدينا وعرض ما عرض فلا الامير قبل منه ما عرض عليه ولا هو شد يده عليه لكنه خلى سبيله وأمر بادخاله حصنه لما عنده زعم من الوفاء فندم أسد عند ذلك ودعا بدليل من أهل

الختل ورجل من أهل الشأم نافذ فارد الفرس فأتى بهما فقال للشامي ان أنت أدركت بدر طرخان قبل أن يدخل حصنه فلك ألف درهم فتوجها حتى انتهيا الى عسكر مصعب فنادى الشأمي ما فعل العلج قيل عند سلمة وانصرف الدليل الى أسد بالخبر وأقام الشامي مع بدر طرخان في قبة سلمة وبعث أسد الى بدر طرخان فحوّله اليه فشتمه فعرف بدر طرخان أنه قد نقض عهده فرفع حصاة فرمى بها الى السماء وقال هذا عهد الله وأخذ أخرى فرمى بها الى السماء وقال هذا عهد محمد صلى الله عليه وسلم وأخذ يصنع كذلك بعهد أمير المؤمنين وعهد المسلمين فأمر أسد بقطع يده وقال أسد من ههنا من أولياء أبي فديك رجل من الازد فقتله بدر طرخان فقام رجل من الازد فقال أنا فقال اضرب عنقه ففعل وغلب أسد على القلعة العظمى وبقيت قلعة فوقها صغيرة فيها ولده وأمواله فلم يوصل اليهم وفرّق أسد الخيل في أودية الختل قال وقدم أسد مرو وعليها أيوب بن أبي حسان التميمي فعزله واستعمل خالد بن شديد ابن عمه فلما شخص الى بلخ بلغه أن عمارة ابن خريم تزوّج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب فكتب الى خالد بن شديد احمل عمارة على طلاق ابنة يزيد فان أبى فاضربه مائة سوط فبعث اليه فأتاه وعنده العُدَافر بن زيد التميمي فأمره بطلاقها ففعل بعد أباء منه وقال عذافر عمارة والله فتى قيس وسيدها وما بها عليه أبهة أي ليست بأشرف منه فتوفي خالد بن شديد واستخلف الاشعث بن جعفر البجلي ﴿وفيها﴾ شرى الصحاري بن شبيب وحكم بجبل

﴿ذكر خبره﴾

* ذكر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أن الصحاري بن شبيب أتى خالدا يسأله الفريضة فقال وما يصنع ابن شبيب بالفريضة فودّعه ابن شبيب ومضى وندم خالد وخاف أن يفتق عليه فتقا فأرسل اليه يدعوه فقال أنا كنت عنده آنفا فأبوا ان يدعوه فشدّ عليهم بسيفه فتركوه فركب وسار حتى جاوز واسطا ثم عقر فرسه وركب زورقا يضفي مكانه ثم قصد الى نفر من بني تيم اللات بن ثعلبة كانوا بجبل فأتاهم متقلدا سيفا فأخبرهم خبره وخبر خالد فقالوا له وما كنت ترجو بالفريضة كنت لأن تخرج الى ابن النصرانية فتضربه بسيفك أحرى فقال اني والله ما أردت الفريضة وما أردت الا التوصل اليه لئلا ينكرني ثم أقتل ابن النصرانية غيلة بقتله فلانا وكان خالد قبل ذلك قد قتل رجلا من قعدة الصفرية صبرا ثم دعاهم الصحاري الى الوثوب معه فأجابه بعضهم وقال بعضهم ننتظر وأبى بعضهم وقالوا نحن في عافية فلما رأى ذلك قال

لم أرد منه الفريضة إلاّ * طمعا في قتله أن أنالا
فأريح الأرض منه ومن * عاث فيها وعن الحق مالا

كُلّ جبارٍ عنيـــد أراهُ * تَرَكَ الحق وسَنَّ الضـلالا
إنّـــنى شارٍ بنفسى لربى * تارِكٌ قيلاً لديهـــمْ وقالا
بائعٌ أهـــلى ومالى أرجو * فى جنانِ الخلدِ أهـلاً ومالا

قال فبايعه نحو من ثلاثين فشرى بجبل ثم سار حتى أتى المبارك فبلغ ذلك خالدا فقال قد كنت خفتها منه ثم وجّه اليه خالد جندا فلقوه بناحية المناذر فقاتلهم قتالا شديدا ثم انطوا عليه فقتلوه وقتلوا جميع أصحابه ﴿قال أبو جعفر﴾ وحج بالناس فى هذه السنة أبو شاكر مسلمة ابن هشام بن عبد الملك وحجّ معه ابن شهاب الزُّهرىّ فى هذه السنة وكان العامل فى هذه السنة على المدينة ومكة والطائف محمد بن هشام وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله القسرىّ وعامل خالد على خراسان أخوه أسد بن عبد الله وقد قيل أن أخا خالد أسدا هلك فى هذه السنة واستخلف عليها جعفر بن حنظلة البهرانىّ وقيل أن أسدا أخا خالد بن عبد الله انما هلك فى سنة ١٢٠ وكان على أرمينية وآذربيجان مروان بن محمد

﴿ ثم دخلت سنة عشرين ومائة ﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

فمن ذلك غزوة سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وافتتاحه فيها ذكرسندرة وغزوة اسحاق بن مسلم العقيلىّ وافتتاحه قلاع تومانشاه وتخريبه أرضه وغزوة مروان بن محمد أرض الترك ﴿وفيها﴾ كانت وفاة أسد بن عبد الله فى قول المدائنىّ

﴿ذكر الخبر عن سبب وفاته﴾

وكان سبب ذلك انه كانت به فيما ذكر دُبيلة فى جوفه فحضر المهرجان وهو يبلغ فقدم عليه الامراء والدهاقين بالهدايا فكان ممن قدم عليه ابراهيم بن عبد الرحمن الحنفىّ عامله على هراة وخراسان ودهقان هراة فقدما به هديّة قوّمت بألف ألف فكان فيما قدما به قصران قصر من فضة وقصر من ذهب وأباريق من ذهب وأباريق من فضة وصحاف من ذهب وفضة فأقبلا وأسد جالس على السرير وأشراف خراسان على الكراسىّ فوضعا القصرين ثم وضعا خلفهما الاباريق والصحاف والديباج المروىّ والقوهىّ والهروىّ وغير ذلك حتى امتلأ السماط وكان فيما جاء به الدهقان أسدا كرة من ذهب ثم قام الدهقان خطيبا فقال أصلح الله الامير انا معشر العجم أكلنا الدنيا أربعمائة سنة أكلناها بالحلم والعقل والوقار ليس فينا كتاب ناطق ولا نبىّ مرسل وكانت الرجال عندنا ثلاثة ميمون النقيبة أينما توجه فتح الله على يده والذى يليه رجل تمت مروّته فى بيته فان كان كذلك رحّب وحيّى وعظم وقوّد وقدّم ورجل رحب صدره وبسط يده فرُجّى فاذا كان كذلك قوّد وقدّم وان الله جعل صفات هؤلاء الثلاثة الذين أكلنا بهم أربعمائة سنة فيك أيها الامير وما نعلم أحدا هو

أتم كتخدانية منك انك ضبطت أهل بيتك وحشمك ومواليك فليس منهم أحد يستطيع أن يتعدى على صغير ولا كبير ولا غنى ولا فقير فهذا تمام الكتخدانية ثم بنيت الايوانات فى المفاوز فيجيء الجائى من المشرق والآخر من المغرب فلا يجدان عيبا الا أن يقولا سبحان الله ما أحسن ما بنى ومن يمن نقيبتك انك لقيت خاقان وهو فى مائة ألف معه الحارث بن سريج فهزمته وقللته وقتلت أصحابه وأبحت عسكره وأمارحب صدرك وبسط يدك فانا ماندرى أى المالين أقر لعينك أمال قدم عليك أم مال خرج من عندك بل أنت بما خرج أقر عينا فضحك أسد وقال أنت خيردها قين خراسان وأحسنهم هدية وناوله تفاحة كانت فى يده وسجد له دهقان هراة وأطرق أسد ينظر الى تلك الهدايا فنظر عن يمينه فقال يا عذافر بن يزيد مر من يحمل هذا القصر الذهب ثم قال يا معن بن أحمر رأس قيس أو قال قاسر بن مربهذا القصر يحمل ثم قال يا فلان خذ ابريقا ويا فلان خذ ابريقا وأعطى الصحاف حتى بقيت صحفتان فقال قم يا ابن الصيداء فخذ صحيفة قال فأخذ واحدة فرزنها فوضعها ثم أخذ الاخرى فرزنها فقال له أسد مالك قال آخذ أرزنهما قال خذهما جميعا وأعطى العرفاء وأصحاب البلاء فقام أبو اليعفور وكان يسير أمام صاحب خراسان فى المغازى فنادى هلم الى الطريق فقال أسد ما أحسن ماذكرت بنفسك خذ ديباجتين وقام ميمون العذاب فقال الى الى يساركم الى الجادة فقال ما أحسن ماذكرت نفسك خذ ديباجة قال فأعطى ما كان فى السماط كله فقال نهر بن توسعة

تقلون إن نادى لروع مثوب * وأنتم غداة المهرجان كثير

ثم مرض أسد فأفاق افاقة فخرج يوما فأتى بكمثرى أول ما جاء فأطعم الناس منه واحدة واحدة وأخذ كمثراة فرمى بها الى دهقان هراة فانقطعت الدبيلة فهلك واستخلف جعفر البهرانى وهو جعفر بن حنظلة سنة ١٢٠ فعمل أربعة أشهر وجاء عهد نصر بن سيار فى رجب سنة ١٢١ فقال ابن عرس العبدى

نعى أسد بن عبد الله ناع * فريع القلب للملك المطاع
ببلخ وافق المقدار يسرى * وما لقضاء ربك من دفاع
فجودى عين بالعبرات سحا * ألم يحزنك تفريق الجماع
أتاه حمامه فى جوف صبغ * وكم بالصبغ من بطل شجاع
كتائب قد يجيبون المنادى * على جرد مسومة سراع
سقيت الغيث انك كنت غيثا * مريعا عند مرتاد النجاع

وقال سليمان بن قتة مولى بنى تيم بن مرة وكان صديقا لاسد

سَقَى اللهُ بلخاً سَهْلَ بلخٍ وحَزْنَها * ومَرْوَىْ خُراسانَ السَّحابَ المُجَمَّما
وَما بي لِتَسْقاهُ ولكنَّ حُفرةً * بها غَيَّبُوا شِلْوًا كريماً وأعظَما
مُراجِمَ أقوامٍ ومُرْدِي عظيمةٍ * وطَلَّابَ أوتارٍ عفرنا عَثَمْثَما
لقد كان يعطي السيفَ في الروعِ حقَّهُ * ويُرْوِي السِّنانَ الزَّاغبيَّ المُقَوَّما

﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة وجّهت شيعة بني العباس بخراسان الى محمد بن علي بن العباس سليمان بن كثير ليعلمه أمرهم وما هم عليه

﴿ذكر الخبر عن سبب توجيههم سليمان الى محمد﴾

وكان السبب في ذلك موجدة كانت من محمد بن علي على من كان بخراسان من شيعته من أجل طاعتهم لخداش الذي ذكرنا خبره قبل وقبولهم منه ما روى عليه من الكذب فترك مكاتبتهم فلما أبطأ عليهم كتابه اجتمعوا فذكروا ذلك بينهم فأجمعوا على الرضا بسليمان بن كثير ليلقاه بأمرهم ويخبره عنهم ويرجع اليهم بما يرد عليه فقدم فيما ذكر سليمان بن كثير على محمد بن علي وهو متنكر لمن بخراسان من شيعته فأخبره عنهم فعنفهم في اتباعهم خداشا وما كان دعا اليه وقال لعن الله خداشا ومن كان على دينه ثم صرف سليمان الى خراسان وكتب اليهم معه كتابا فقدم عليهم ومعه الكتاب مختوما ففضوا خاتمه فلم يجدوا فيه شيأ الا بسم الله الرحمن الرحيم فغلظ ذلك عليهم وعلموا ان ما كان خداش أتاهم به لامره مخالف ﴿وفي هذه السنة﴾ وجّه محمد بن علي بكير بن ماهان الى شيعته بخراسان بعد منصرف سليمان بن كثير من عنده اليهم وكتب معه اليهم كتابا يعلمهم ان خداشا حمل شيعته على غير منهاجه فقدم عليهم بكير بكتابه فلم يصدّقوه واستخفوا به فانصرف بكير الى محمد ابن علي فبعث معه بعصيّ مضبّبة بعضها بالحديد وبعضها بالشبه فقدم بها بكير وجمع النقباء والشيعة ودفع الى كل رجل منهم عصا فعلموا أنهم مخالفون لسيرته فرجعوا وتابوا ﴿وفي هذه السنة﴾ عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن أعماله التي كان ولاه اياها كلها

﴿ذكر سبب عزل هشام خالدا﴾

قد قيل في ذلك أقوال نذكر ما حضرنا من ذلك ذكره فما قيل في ذلك ان فروخ أبا المثنى كان قد تقبّل من ضياع هشام بن عبد الملك بموضع يقال له رستاق الزّمان أو نهر الرمان وكان يُدعى بذلك فروخ الرمانيّ فثقل مكانه على خالد فقال خالد لحسان النبطيّ ويحك أخرج الى أمير المؤمنين فزد على فروخ فخرج فزاد عليه ألف ألف درهم فبعث هشام رجلين من صلحاء أهل الشأم فحازى الضياع فصار حسان أثقل على خالد من فروخ فجعل يضربه فيقول له حسان لا تفسدني وأنا صنيعتك فأبى الا الاضرار به فلما قدم عليه بثق البثوق على الضياع ثم خرج الى هشام فقال ان خالدا بثق البثوق على ضياعك فوجّه هشام

فقال يوسف أنظروا دليلا عالما بالطريق فأتى بعدة فاختار منهم رجلا وسار من يومه واستخلف على اليمن ابنه الصلت فشيعه فلما أراد أن ينصرف سأله أين تريد فضربه مائة سوط وقال يا ابن اللخناء أيخفى عليك اذا استقر بى منزل فسار فكان اذا أتى الى طريقين سأل فاذا قيل هذا الى العراق قال أعرق حتى أتى الكوفة قال عمر قال علىّ عن بشر بن عيسى عن أبيه قال قال حسان النبطىّ هيأت لهشام طيبا فانى لبين يديه وهو ينظر الى ذلك الطيب اذ قال لى ياحسان فى كم يقدم القادم من العراق الى اليمن قال قلت لا أدرى فقال

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى * فأصبحت مسلوب الإمارة نادما

قال فلم يلبث الا قليلا حتى جاء كتاب يوسف من العراق قد قدمها وذلك فى جمادى الآخرة سنة ١٢٠ قال عمر قال علىّ قال سالم زنبيل لما صرنا الى النجف قال لى يوسف انطلق فأتنى بطارق فلم أستطع ان آبى عليه وقلت فى نفسى من لى بطارق فى سلطانه ثم أتيت الكوفة فقلت لغلمان طارق استأذنوا لى على طارق فضربونى فصحت له ويلك ياطارق أنا سالم رسول يوسف وقد قدم على العراق فخرج فصاح بالغلمان وقال أنا آتيه قال وروى أن يوسف قال لكيسان انطلق فأتنى بطارق فإن كان قد أقبل فاحمله على أكاف وان لم يكن أقبل فأت به سحبا قال فأتيت بالحيرة دار عبد المسيح وهو سيد أهل الحيرة فقلت له ان يوسف قد قدم على العراق وهو يأمرك أن تشد طارقا وتأتيه به فخرج هو وولده وغلمانه حتى أتوا منزل طارق وكان لطارق غلام شجاع معه غلمان شجعاء لهم سلاح وعدة فقال لطارق ان أذنت لى خرجت الى هؤلاء فيمن معى فقتلتهم ثم طرت على وجهك فذهبت حيث شئت قال فأذن لكيسان فقال اخبرنى عن الامير يريد المال قال نعم قال فأنا أعطيه ماسأل وأقبلوا الى يوسف فتوافوا بالحيرة فلما عاينه ضربه ضربا مبرحا يقال خمسمائة سوط ودخل الكوفة وأرسل عطاء بن مقدم الى خالد بالحمة قال عطاء فأتيت الحاجب فقلت استأذن لى على أبى الهيثم فدخل وهو متغير الوجه فقال له خالد مالك قال خير قال ماعندك خير قال عطاء بن مقدم قال استأذن لى على أبى الهيثم فقال ائذن له فدخلت فقال ويل امها سخطة قال فلم أستقر حتى دخل الحكم بن الصلت فقعد معه فقال له خالد ما كان ليلى علىّ أحد هو أحب الىّ منكم وخطب يوسف بالكوفة فقال ان أمير المؤمنين أمرنى بأخذ عمال ابن النصرانية وأن أشفيه منهم وسأفعل وأزيد والله ياأهل العراق ولأقتلن منافقيكم بالسيف وجناتكم بالعذاب وفساقكم ثم نزل ومضى الى واسط وأتى بخالد وهو بواسط قال عمر قال حدثنى الحكم بن النضر قال سمعت أباعبيدة يقول لما حبس يوسف خالدا صالحه عنه أبان بن الوليد وأصحابه على تسعة آلاف ألف درهم ثم ندم يوسف وقيل له لو لم تفعل لأخذت منه مائة ألف ألف درهم قال ما كنت لأرجع وقد رهنت لسانى بشىء وأخبر

اصحاب

أصحاب خالد خالدا فقال قد أسأتم حين أعطيتموه عند أوّل وهلة تسعة آلاف ألف ما آمن أن يأخذها ثم يعود عليكم فارجعوا فجاؤا فقالوا انّا قد أخبرنا خالدا فلم يرض بما ضمنا وأخبرنا أن المال لا يمكنه فقال أنتم أعلم وصاحبكم فأما أنا فلا أرجع عليكم فان رجعتم لم أمنعكم قالوا فانّا قد رجعنا قال وقد فعلتم قالوا نعم قال فنكم أنى النقص فوالله لا أرضى بتسعة آلاف ألف ولا مثلها ولا مثليها فأخذ أكثر من ذلك وقد قيل انه أخذ مائة ألف ألف * وذكر الهيثم بن عدىّ عن ابن عياش أن هشاما أزمع على عزل خالد وكان سبب ذلك أنه اعتقد بالعراق أموالا وحفر أنهارا حتى بلغت غلته عشرين ألف ألف منها نهر خالد وكان يغلّ خمسة آلاف ألف و باجوّى و بارُمّانا والمبارك والجامع وكورة سابور والصلح وكان كثيرا ما يقول اننى والله مظلوم ما تحت قدمى من شىء الا وهو لى يعنى أن عمر جعل لبجيلة ربع السواد قال الهيثم بن عدىّ أخبرنى الحسن بن عمارة عن العُريان بن الهيثم قال كنت كثيرا ما أقول لأصحابى انى أحسب هذا الرجل قد تخلى منه أن قريشا لا تحتمل هذا ونحوه وهم أهل حسد وهذا يُظهر ما يظهر فقلت له يوما أيها الامير ان الناس قد رَمَوْك بأبصارهم وهى قريشٌ وليس بينك وبينها إلّ وهم يجدون منك بُدًّا وأنت لا تجد منهم بدا فأنشدك الله الا ما كتبت الى هشام تخبره عن أموالك وتعرض عليه منها ما أحبّ فما أقدرك على أن تأخذ مثلها وهو لا يستفسدك وان كان حريصا على ذلك فلعمرى لأن يذهب بعض ويبقى بعض خير من أن تذهب كلها وما كان يستحسن فيما بينك وبينه أن يأخذها كلها ولا آمن أن يأتيه باغ أو حاسد فيقبل منه فلأن تعطيه طائعا خير من أن تعطيه كارها فقال ما أنت بمتمّهم ولا يكون ذلك أبدا قال فقلت أطعنى واجعلنى رسولك فوالله لا يحلّ عُقْدَةَ الا شددتُها ولا يشدّ عقدة الا حللتُها فقال انّا والله لا نعطى على الذُلّ قال قلت هل كانت لك هذه الضياع الا في سلطانه وهل تستطيع الامتناع منه ان أخذها قال لا قلت فبادره فانه يحفظها لك ويشكرك عليها ولو لم تكن له عندك يدا الا ما ابتدأك به كنت جديرا أن تحفظه قال لا والله لا يكون ذلك أبدا قال قلت فما كنت صانعا اذا عزلك وأخذ ضياعك فاصنعه فان اخوته وولده وأهل بيته قد سبقوا لك وأكثروا عليه فيك ولك صنائع تعود عليهم بما بدا لك ثم استدرك استتمام ما كان منك الى صنائعك من هشام قال قد أبصرتُ ما تقول وليس الى ذلك سبيل وكان العريان يقول كانكم به قد عزل وأخذ ماله وتُجُنّى عليه ثم لا ينتفع بشىء قال فكان كذلك قال الهيثم وحدّثنى ابن عياش أن بلال بن أبى بُرْدَة كتب الى خالد وهو عامله على البصرة حين بلغه تعتّب هشام عليه أنه حدث أمرا لا أجد بدا من مشافهتك فيه فان رأيت أن تأذن لى فانما هى ليلة ويومها اليك ويوم عندك وليلة ويومها منصرفا فكتب اليه أن أقبل اذا شئت فركب هو ومولیان له الجمازات فسار يوما وليلة ثم

فكتب الى يوسف بن عمر أما بعد فاذا قدم عليك فلان وفلان فاجمع بينهم وبين يزيد بن خالد القسرى فان هم اقرُّوا بما ادعى عليهم فسرح بهم الى وان هم أنكروا فسله بينة فان هو لم يقم البينة فاستحلفهم بعد العصر بالله الذى لا اله الا هو ما استودعهم يزيد بن خالد القسرىُّ وديعة ولا له قبلهم شيئاً ثم خلِّ سبيلهم فقالوا لهشام انا نخاف ان يتعدَّى كتابك ويطول علينا قال كلا أنا باعث معكم رجلا من الحرس يأخذه بذلك حتى يعجل الفراغ فقالوا جزاك الله والرحم خير القد حكمت بالعدل فسرَّح بهم الى يوسف واحتبس أيوب بن سلمة لأن أمَّ هشام بن عبد الملك ابنة هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومىّ وهو فى أخواله فلم يؤخذ بشىء من ذلك القرف فلما قدموا على يوسف فأدخلوا عليه فأجلس زيد بن على قريبا منه وألطفه فى المسألة ثم سألهم عن المال فانكروا جميعا وقالوا لم يستودعنا مالا ولا له قبلنا حق فاخرج يوسف يزيد بن خالد اليهم فجمع بينه وبينهم وقال له هذا زيد بن علىٍّ وهذا محمد بن عمر بن علىّ وهذا فلان وفلان الذين كنت ادعيت عليهم ما ادعيت فقال مالى قبلهم قليل ولا كثير فقال يوسف أفى تهزأ أم بأمير المؤمنين فعذَّبه يومئذ عذابا ظنَّ انه قد قتله ثم أخرجهم الى المسجد بعد صلاة العصر فاستحلفهم فحلفوا له وأمر بالقوم فبسط عليهم ما عدا زيد بن علىّ فانه كف عنه فلم يقتدر عند القوم على شىء فكتب الى هشام يعلمه الحال فكتب اليه هشام ان استحلفهم وخل سبيلهم فخلى عنهم فخرجوا فلحقوا بالمدينة وأقام زيد بن على بالكوفة وذكر عبيد ابن جناد عن عطاء بن مسلم الخفاف ان زيد بن على رأى فى منامه انه أضرم فى العراق نارا ثم أطفأها ثم مات فهالته فقال لابنه يحيى يابنى انى رأيت رؤيا قد راعتنى فقصها عليه وجاءه كتاب هشام بن عبد الملك يأمره بالقدوم عليه فقدم فقال له الحق بأميرك يوسف فقال له نشدتك بالله يا أمير المؤمنين فوالله ما آمن ان بعثتنى اليه ان لا اجتمع أنا وأنت حيَّين على ظهر الارض بعدها فقال الحق بيوسف كما تؤمر فقدم عليه ﴿وقد قيل﴾ ان هشام بن عبد الملك انما استقدم زيدا من المدينة عن كتاب يوسف بن عمر وكان السبب فى ذلك فيما زعم أبو عبيدة ان يوسف بن عمر عذب خالد بن عبد الله فادعى خالد انه استودع زيد بن علىّ وداود ابن علىّ بن عبد الله بن عباس ورجلين من قريش أحدهما مخزومىٌّ والآخر جُمَحىٌّ مالا عظيما فكتب بذلك يوسف الى هشام فكتب هشام الى خاله ابراهيم بن هشام وهو عامله على المدينة يأمره بحملهم اليه فدعا ابراهيم بن هشام زيدا وداود فسألهما عما ذكر خالد فحلفا ما أودعهما خالد شيأ فقال انكما عندى لصادقان ولكن كتاب أمير المؤمنين قد جاء بما ترياان فلابد من انفاذه فحملهما الى الشأم فحلفا بالايمان الغلاظ ما أودعهما خالد شيأ قط وقال داود كنت قدمت عليه العراق فأمر لى بمائة ألف درهم فقال هشام أنتما عندى أصدق من ابن النصرانية فاقدما على يوسف حتى يجمع بينكما وبينه فتكذباه فى وجهه وقيل ان زيدا

انما قدم على هشام مخاصما ابن عمه عبد الله بن حسن بن حسن بن علي ذكر ذلك عن جويرية بن أسماء قال شهدت زيد بن علي وجعفر بن حسن بن حسن يختصمان في ولاية وقوف علي وكان زيد يخاصم عن بني حسين وجعفر يخاصم عن بني حسن فكان جعفر وزيد يتبالغان بين يدي الوالي الى كل غاية ثم يقومان فلا يعيدان مما كان بينهما حرفا فلما مات جعفر قال عبد الله من يكفينا زيدا قال حسن بن حسن بن حسن أنا أكفيكه قال كلا انا نخاف لسانك ويدك ولكني أنا قال اذن لا تبلغ حاجتك وحجتك قال أما حجتي فسأبلغها فتنازعا الى الوالي والوالي يومئذ عندهم فيما قيل ابراهيم بن هشام قال فقال عبد الله لزيد أتطمع ان تنالها وأنت لأمة سندية قال قد كان اسماعيل لأمة فنال أكثر منها فسكت عبد الله وتبالغا يومئذ كل غاية فلما كان الغد أحضرهم الوالي وأحضر قريشا والانصار فتنازعا فاعترض رجل من الانصار فدخل بينهما فقال له زيد وما أنت والدخول بيننا وأنت رجل من قحطان قال أنا والله خير منك نفسا وأبا وأما قال فسكت زيد وانبرى له رجل من قريش فقال كذبت لعمر الله لهو خير منك نفسا وأبا وأما وأولا وآخرا وفوق الارض وتحتها فقال الوالي وما أنت وهذا فأخذ القرشي كفا من الحصى فضرب به الارض وقال والله ما على هذا من صبر وفطن عبد الله وزيد لشماتة الوالي بهما فذهب عبد الله ليتكلم فطلب اليه زيد فسكت وقال زيد للوالي أم والله لقد جمعتنا الأمر ما كان أبو بكر ولا عمر ليجمعانا على مثله واني أشهد الله ان لا انازعه اليك محقا ولا مبطلا ما كنت حيا ثم قال لعبد الله انهض يا ابن عم فنهضا وتفرق الناس وقال بعضهم لم يزل زيد ينازع جعفر بن حسن ثم عبد الله بعده حتى ولي هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المدينة فتنازعا فأغلظ عبد الله لزيد وقال يا ابن الهندكية فتضاحك زيد وقال قد فعلتها يا أبا محمد ثم ذكر أمه بشيء وذكر المدائني ان عبد الله لما قال ذلك لزيد قال زيد أجل والله لقد صبرت بعد وفاة سيدها فما تعتبت بابها اذ لم يصبر غيرها قال ثم ندم زيد واستحيى من عمته فلم يدخل عليها زمانا فأرسلت اليه يا ابن أخي اني لأعلم ان أمك عندك كأم عبد الله عنده وقيل ان فاطمة أرسلت الى زيد ان سب عبد الله امك فاسبب أمه وانها قالت لعبد الله أقلت لأم زيد كذا وكذا قال نعم قالت فبئس والله ما صنعت أم والله لنعم دخيلة القوم كانت فذكر ان خالد بن عبد الملك قال لهما أغدوا علينا غدا فلست لعبد الملك ان لم أفضل بينكما فباتت المدينة تغلي كالمرجل يقول قائل كذا وقائل كذا قائل يقول قال زيد كذا وقائل يقول قال عبد الله كذا فلما كان الغد جلس خالد في المجلس في المسجد واجتمع الناس فمن شامت ومن مهموم فدعا بهما خالد وهو يحب ان يتشاتما فذهب عبد الله يتكلم فقال زيد لا تعجل يا أبا محمد أعتق زيدا ما يملك ان خاصمك الى خالد أبدا ثم أقبل على خالد فقال له يا خالد لقد جمعت ذرية رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم لامر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر قال خالد أما لهذا السفيه أحد فتكلم رجل من الانصار من آل عمرو بن حزم فقال يا ابن أبي تراب وابن حسين السفيه ما ترى لوال عليك حقا ولا طاعة فقال زيد اسكت أيها القحطاني فانا لا نجيب مثلك قال ولم ترغب عني فوالله اني لخير منك وأبي خير من أبيك وأمي خير من أمك فتضاحك زيد وقال يا معشر قريش هذا الدين قد ذهبت أفذهبت الاحساب فوالله انه ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال كذبت والله أيها القحطاني فوالله لهو خير منك نفسا وأبا وأما ومحتدا وتناوله بكلام كثير قال القحطاني دعنا منك يا ابن واقد فاخذا بن واقد كفا من حصى فضرب بها الارض ثم قال له والله ما لنا على هذا صبر وقام وشخص زيد الى هشام بن عبد الملك فجعل هشام لا يأذن له فيرفع اليه القصص فكلما رفع اليه قصة كتب هشام في أسفلها ارجع الى أميرك فيقول زيد والله لا أرجع الى خالد أبدا وما أسأل مالا انما أنا رجل مخاصم ثم أذن له يوما بعد طول حبس وذكر عمر بن شبة عن أيوب بن عمر بن أبي عمر قال حدثني محمد بن عبد العزيز الزهري قال لما قدم زيد بن علي على هشام بن عبد الملك أعلمه حاجبه بمكانه فرقى هشام الى علية له طويلة ثم أذن له وأمر خادما ان يتبعه وقال لا يرينك واسمع ما يقول قال فاتبعته الدرجة وكان بادنا فوقف في بعضها فقال والله لا يحب الدنيا أحد الا ذل فلما صار الى هشام قضى حوائجه ثم مضى نحو الكوفة ونسي هشام ان يسأل الخادم حتى مضى لذلك أيام ثم سأله فأخبره فالتفت الى الابرش فقال والله ليأتينك خلعه أول شيء فلم يأته أول من ذلك شيء وكان كما قال وذكر عن زيد انه حلف لهشام على أمر فقال له لا أصدقك فقال يا أمير المؤمنين ان الله لم يرفع قدر أحد عن ان يرضى بالله ولم يضع قدر أحد عن ان لا يرضى بذلك منه فقال له هشام لقد بلغني يا زيد انك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هناك وأنت ابن أمة فقال زيد ان لك يا أمير المؤمنين جوابا قال تكلم قال انه ليس أحد أولى بالله ولا أرفع عنده منزلة من نبي ابتعثه وقد كان اسماعيل من خير الانبياء وولد خيرهم محمدا صلى الله عليه وسلم وكان اسماعيل ابن أمة وأخوه ابن صريحة مثلك فاختاره الله عليه وأخرج منه خير البشر وما على أحد من ذلك جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانت أمه فقال له هشام أخرج فقال أخرج ثم لا ترانى الا حيث تكره فقال له سالم يا أبا الحسين لا يظهرن هذا منك ﴿رجع الحديث﴾ الى حديث هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف قال فجعلت الشيعة تختلف الى زيد بن علي وتأمره بالخروج ويقولون انا لنرجو أن تكون المنصور وان يكون هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية فاقام بالكوفة فجعل يوسف بن عمر يسأل عنه فيقال هو هاهنا فيبعث اليه أن اشخص فيقول نعم ويعتل له بالوجع فمكث ما شاء الله ثم سأل أيضا عنه فقيل له هو مقيم بالكوفة بعد لم يبرح فبعث اليه فاستحثه

بالشخوص فاعتل عليه باشياء يبتاعها وأخبره انه فى جهازه ورأى جدّ يوسف فى أمره فتهيأ ثم شخص حتى أتى القادسية وقال بعض الناس أرسل معه رسولا حتى بلغه العذيب فلحقته الشيعة فقالوا له أين تذهب عنا ومعك مائة ألف رجل من أهل الكوفة يضربون دونك باسيافهم غدًا وليس قبلك من أهل الشأم الا عدّة قليلة لوان قبيلة من قبائلنا نحو مذحج أو همدان أو تميم أو بكر نصبت لهم لكفتكهم باذن الله تعالى فنشدك الله لما رجعت فلم يزالوا به حتى ردّوه الى الكوفة وأما غير أبى مخنف فانه قال ماذكر عبيد بن جناد عن عطاء بن مسلم ان زيد بن على لما قدم على يوسف قال له يوسف زعم خالد انه قد أودعك مالا قال انى يودعنى مالا وهو يشتم آبائى على منبره فأرسل الى خالد فأحضره فى عباة فقال هذا زيد زعمت انك قد أودعته مالا وقد أنكر فنظر خالد فى وجههما ثم قال أتريدان تجمع مع اثمك فىّ اثما فى هذا وكيف أودعه مالا وأنا أشتمه وأشتم آباءه على المنبر قال فشتمه يوسف ثم رده وأما أبو عبيدة فذكر عنه انه قال صدق هشام زيدا ومن كان يوسف قرفه بما قرفه به ووجههم الى يوسف وقال انهم قد حلفوا لى وقبلت أيمانهم وأبرأتهم من المال وانما وجهت بهم اليك لتجمع بينهم وبين خالد فيكذبوه قال ووصلهم هشام فلما قدموا على يوسف أنزلهم وأكرمهم وبعث الى خالد فأتى به فقال قد حلف القوم وهذا كتاب أمير المؤمنين ببراءتهم فهل عندك بينة بما ادعيت فلم تكن له بينة فقال القوم لخالد ما دعاك الى ما صنعت قال غلظ على العذاب فادعيت ما ادّعيت وأملت ان يأتى الله بفرج قبل قدومكم فاطاقهم يوسف فضى القرشيان الجمحى والمخزومى الى المدينة وتخلف الهاشميان داود بن على وزيد بن على بالكوفة وذكر ان زيدا أقام بالكوفة أربعة أشهر أو خمسة ويوسف يأمره بالخروج ويكتب الى عامله على الكوفة وهو يومئذ بالحيرة يأمره بإزعاج زيد وزيد يذكر انه ينازع بعض آل طلحة بن عبيد الله فى مال بينه وبينهم بالمدينة فيكتب العامل بذلك الى يوسف فيقره أياما ثم يبلغه ان الشيعة تختلف اليه فيكتب اليه أن اخرجه ولا تؤخره وان ادعى انه ينازع فليجر جريا وليوكل من يقوم مقامه فيما يطالب به وقد بايعه جماعة منهم سلمة بن كهيل ونصر بن خزيمة العبسى ومعاوية بن اسحاق بن زيد بن حارثة الانصارى وحجية بن الاخلج الكندى وناس من وجوه أهل الكوفة فلما رأى ذلك داود بن على قال له يا ابن عم لا يغرنّك هؤلاء من نفسك ففى أهل بيتك لك عبرة وفى خذلان هؤلاء اياهم فقال يا داود ان بنى أمية قد عتوا وقست قلوبهم فلم يزل به داود حتى عزم على الشخوص فشخص حتى بلغا القادسية وذكر عن أبى عبيدة انه قال اتبعوه الى الثعلبيّة وقالوا له نحن أربعون ألفا ان رجعت الى الكوفة لم يتخلف عنك أحد وأعطوه المواثيق والأيمان المغلظة فجعل يقول انى أخاف ان تخذلونى وتسلمونى كفعلكم بأبى وجدى فيحلفون له فيقول داود بن على يا ابن عم ان هؤلاء يغرونك من نفسك

ماتقولون فقالوا خل سبيله فسأله عن سنه قال لا أدرى قال كم غزوت قال اثنتين وسبعين غزوة قال أشهدت يوم العطش قال نعم قال لو أعطيتنى ماطلعت عليه الشمس ما أفلت من يدى بعد ماذكرت من مشاهدتك وقال لعاصم بن عمير السغدى قم الى سلبه فخذه فلما أيقن بالقتل قال من أسرنى قال نصر وهو يضحك يزيد بن قران الحنظلى وأشار اليه قال هذا لا يستطيع أن يغسل أسته أو قال لا يستطيع أن يتم بوله فكيف يأسرنى فأخبرنى من أسرنى فانى أهل ان أقتل سبع قتلات قيل له عاصم بن عمير قال لست أجد مس القتل اذ كان الذى أسرنى فارسا من فرسان العرب فقتله وصلبه على شاطئ النهر قال وعاصم ابن عمير هو الهزار مرد قتل بنهاوند أيام قحطبة قال فلما قتل كورصول تخدرت الترك وجاؤا بأبنيته فحرقوها وقطعوا آذانهم وجردوا وجوههم وطفقوا يبكون عليه فلما أمسى نصر وأراد الرحلة بعث الى كورصول بقارورة نفط فصبها عليه وأشعل فيه النار لئلا يحملوا عظامه قال وكان ذلك أشد عليهم من قتله وارتفع نصر الى فرغانة فسبى منها ثلاثين ألف رأس قال فقال عنبر بن برغمة الازدى كتب يوسف بن عمر الى نصر سر الى هذا الغار زذنبه بالشاش يعنى الحارث بن سريج فان أظفرك الله به وبأهل الشاش فخرب بلادهم واسب ذراريهم واياك ورطة المسلمين قال فدعا نصر الناس فقرأ عليهم الكتاب وقال ماترون فقال يحيى بن حضين امض لامر أمير المؤمنين وأمر الامير فقال نصر يايحيى تكلمت ليالى عاصم بكلمة فبلغت الخليفة فحظيت بها وزيد فى عطائك وفرض لاهل بيتك وبلغت الدرجة الرفيعة فقلت أقول مثلها سر يايحيى فقد وليتك مقدمتى فأقبل الناس على يحيى يلومونه فقال نصر يومئذ وأى ورطة أشد من أن نكون فى السفر وهم فى القرار قال فسار الى الشاش فأتاه الحارث بن سريج فنصب عرادتين تلقاء بنى تميم فقيل له هؤلاء بنو تميم فتقلهما فنصبهما على الازد ويقال على بكر بن وائل وأغار عليهم الاخرم وهو فارس الترك فقتله المسلمون وأسروا سبعة من أصحابه فأمر نصر بن سيار برأس الاخرم فرمى به فى عسكرهم بمنجنيق فلما رأوه ضجوا ضجة عظيمة ثم ارتحلوا منهزمين ورجع نصر وأراد أن يعبر فحيل بينه وبين ذلك فقال أبو نميلة صالح بن الابار

كنا وأوبة نصر عند غيبته * كراقب النوء حتى جاده المطر

أودى بآخر منه عارض برد * مستعجف بمنايا القوم منهمر

وأقبل نصر فنزل سمرقند فى السنة التى لقى فيها الحارث بن سريج فأتاه بخارى خذاه منصرفا وكانت المسلحة عليهم ومعهم دهقانان من دهاقين بخارى وكانا أسلما على يدى نصر وقد أجمعا على الفتك بواصل بن عمرو القيسى عامل بخارى وببخارا خذاه يتظلمان من بخارا خذاه واسمه طوق سياده فقال بخارا خذاه لنصر أصلح الله الامير قد علمت أنهما قد أسلما على

يديك فما بالهما معلق الخناجر عليهما فقال لهما نصر ما بالكما معلق الخناجر وقد أسلمتما قالا بيننا وبين بخارا خذاه عداوة فلا نأمنه على أنفسنا فأمر نصر هارون بن السياوش مولى بني سليم وكان يكون على الرابطة فاجتذبهما فقطعهما ونهض بخارا خذاه الى نصر يسارّه في أمرهما فقالا نموت كريمين فشدّ أحدهما على واصل بن عمرو فطعنه في بطنه بسكين وضربه واصل بسيفه على رأسه فأطار قحف رأسه فقتله ومضى الآخر الى بخارا خذاه وأقيمت الصلاة وبخارا خذاه جالس على كرسيّ فوثب نصر فدخل السرادق وأحضر بخارا خذاه فعثر عند باب السرادق فطعنه وشدّ عليه الجوزجان بن الجوزجان فضربه بحربز كان معه فقتله وحُمل بخارا خذاه فأدخل سرادق نصر ودعا له نصر بوسادة فاتّكأ عليها وأتاه قرعة الطبيب فجعل يعالجه وأوصى الى نصر ومات من ساعته ودُفن واصل في السرادق وصلى عليه نصر وأما طوق سياده فكشطوا عنه لحمه وحملوا عظامه الى بخارى قال وسار نصر الى الشاش فلما قدم أشروسنة عرض دهقانها أبار اخرّه مالا ثم نفذ الى الشاش واستعمل على فرغانة محمد بن خالد الازديّ ووجّهه اليها في عشرة نفر وردّ من فرغانة أخا جيش فيمن كان معه من دهاقين الختّل وغيرهم وانصرف منها بتماثيل كثيرة فنصبها في أشروسنة وقال بعضهم لما أتى نصر الشاش تلقاه قدرملك بها بالصلح والهدية والرهن واشترط عليه اخراج الحارث بن سريج من بلده فأخرجه الى فاراب واستعمل على الشاش نيزك بن صالح مولى عمر وبن العاص ثم سار حتى نزل قبا من أرض فرغانة وقد كانوا أحسّوا بمجيئه فأحرقوا الحشيش وحبسوا الميرة ووجّه نصر الى ولي عهد صاحب فرغانة في بقية سنة ١٢١ فحاصروه في قلعة من قلاعها فغفل عنهم المسلمون فخرجوا على دوابهم فاستاقوها وأسروا ناسا من المسلمين فوجّه اليهم نصر رجالا من بني تميم ومعهم محمد بن المثنّى وكان فارسا فكايدهم المسلمون فأهملوا دوابهم وكمنوا لهم فخرجوا فاستاقوا بعضها وخرج عليهم المسلمون فهزموهم وقتلوا الدهقان وأسروا منهم أسراء وحمل ابن الدهقان المقتول على ابن المثنى فختله محمد بن المثنى فأسره وهو غلام أمرد فأتى به نصرا فضرب عنقه وكان نصر بعث سليمان بن صول الى صاحب فرغانة بكتاب الصلح بينهما قال سليمان فقدمت عليه فقال لي من أنت قلت شاكريّ خليفة كاتب الامير قال فقال ادخلوه الخزائن ليرى ما أعددنا فقيل له قم قال قلت ليس بي مشي قال قدّموا له دابة يركبها قال فدخلت خزائنه فقلت في نفسي يا سليمان شمت بك اسرائيل وبشر بن عبيد ليس هذا الا لكراهة الصلح وسأنصرف بخفّي حنين قال فرجعت اليه فقال كيف رأيت الطريق فيما بيننا وبينكم قلت سهلا كثير الماء والمرعى فكر ما قلت له فقال ما علمك فقلت قد غزوت غرشستان وغورا والختل وطبرستان فكيف لا أعلم قال فكيف رأيت ما أعددنا

قلت

قلت رأيت عُدَّة حسنة ولكن أما علمت أن صاحب الحصار لا يسلم من خصال قال وما هُن قلتُ لا يأمن أقرب الناس اليه وأحبهم اليه وأوثقهم في نفسه أن يثب به يطلب مرتبته ويتقرب بذلك أو يفنى ماقد جمع فيسلم برمَّته أو يصيبه داء فيموت فقطَّب وكره ماقلت له وقال انصرف الى منزلك فانصرفت فأقمت يومين وأنا لا أشكُّ في تركه الصلح فدعاني فحملتُ كتاب الصلح مع غلامي وقلت له ان أتاك رسولي يطلب الكتاب فانصرف الى المنزل ولا تظهر الكتاب وقل لي انى خلفتُ الكتاب في المنزل فدخلتُ عليه فسألني عن الكتاب فقلت خلفتُه في المنزل فقال ابعث من يجيئك به فقبل الصلح وأحسن جائزتي وسرَّح معي أمه وكانت صاحبة أمره قال فقدمتُ على نصر فلما نظر الىَّ قال ما مثلك الا كما قال الاوَّل * فأرسِلْ حكيمًا ولا توصِه * فأخبرته فقال وُفقت وأذن لأمه عليه وجعل يكلمها والترجمان يعبّر عنها فدخل تميم بن نصر فقال للترجمان قل لها تعرفين هذا فقالت لا فقال هذا تميم بن نصر فقالت والله ما أرى له حلاوة الصغير ولا نبل الكبير قال أبو اسحاق بن ربيعة قالت لنصر كلُّ ملك لا يكون عنده ستَّة أشياء فليس بملك وزير يباثه بنيَّات نفسه وما شجر في صدره من الكلام ويشاوره ويثق بنصيحته وطبّاخ اذا لم يشته الطعام اتخذ له ما يشتهي وزوجة اذا دخل عليها مغتما فنظر الى وجهها زال غمُّه وحصن اذا فزع أو جهد فزع اليه فأنجاه تعني البرذون وسيف اذا فارع الاقران لم يخش خيانته وذخيرة اذا حملها فأين وقع بها من الارض عاش بها ثم دخل تميم بن نصر في مرفَلَة وجماعة فقالت من هذا فقالوا هذا فتى خراسان هذا تميم بن نصر قالت ماله نبل الكبار ولا حلاوة الصغار ثم دخل الحجاج بن قتيبة فقالت من هذا فقالوا الحجاج بن قتيبة قال فحيَّته وسألت عنه وقالت يامعشر العرب مالكم وفاء لا يصلح بعضكم لبعض قتيبة الذي وطَّن لكم ما أرى وهذا ابنه تُقعده دونك فحقُّك أن تجلسه هذا المجلس وتجلس أنت مجلسه ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي كذلك قال أبو معشر حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه وكذلك قال الواقدي وغيره وكان عامل هشام بن عبد الملك على المدينة ومكة والطائف في هذه السنة محمد بن هشام وعامله على العراق كله يوسف بن عمر وعامله على آذربيجان وأرمينية مروان بن محمد وعلى خراسان نصر بن سيار وعلى قضاء البصرة عامر بن عبيدة وعلى قضاء الكوفة ابن شبرمة

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائة ﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

فمن ذلك مقتل زيد بن علي

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

* ذكر هشام عن أبي مخنف أن زيد بن علي لما أمر أصحابه بالتأهب للخروج والاستعداد أخذ من كان يريد الوفاء له بالبيعة فيما أمرهم به من ذلك فانطلق سليمان بن سراقة البارقي الى يوسف بن عمر فأخبره خبره وأعلمه أنه يختلف الى رجل منهم يقال له عامر والى رجل من بني تميم يقال له طُعْمَة ابن أخت لبارق وهو نازل فيهم فبعث يوسف يطلب زيد بن علي في منزلهما فلم يوجد عندهما وأخذ الرجلان فأتي بهما فلما كلمهما استبان له أمر زيد وأصحابه وتخوف زيد بن علي أن يؤخذ فتعجل قبل الاجل الذي جعله بينه وبين أهل الكوفة قال وعلى أهل الكوفة يومئذ الحكم بن الصلت وعلى شرطه عمرو بن عبد الرحمن رجل من القارة وكانت ثقيف أحواله وكان فيهم ومعه عبيد الله بن العباس الكندي في أناس من أهل الشأم ويوسف بن عمر بالحيرة قال فلما رأى أصحاب زيد بن علي الذين بايعوه أن يوسف بن عمر قد بلغه أمر زيد وأنه يدس اليه ويستبحث عن أمره اجتمعت اليه جماعة من رؤوسهم فقالوا رحمك الله ما قولك في أبي بكر وعمر قال زيد رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحدا من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما الا خيرا قالوا فلم تطلب اذا بدم أهل هذا البيت الا أن وثبا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم فقال لهم زيد ان أشد ما أقول فيما ذكرتم انا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس أجمعين وان القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا قد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة قالوا فلم يظلمك هؤلاء اذا كان أولئك لم يظلموك فلم تدعو الى قتال قوم ليسوا لك بظالمين فقال ان هؤلاء ليسوا كأولئك ان هؤلاء ظالمون لي ولكم ولانفسهم وانما ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والى السنن أن تحيا والى البدع أن تطفأ فان أنتم أجبتمونا سعدتم وان أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا سبق الامام وكانوا يزعمون أن أبا جعفر محمد بن علي أخا زيد بن علي هو الامام وكان قد هلك يومئذ وكان ابنه جعفر بن محمد حيا فقالوا جعفر امامنا اليوم بعد أبيه وهو أحق بالامر بعد أبيه ولا نتبع زيد بن علي فليس بامام فسماهم زيد الرافضة فهم اليوم يزعمون أن الذي سماهم الرافضة المغيرة حيث فارقوه وكانت طائفة منهم قبل خروج زيد مروا الى جعفر بن محمد بن علي فقالوا له ان زيد بن علي فينا يبايع أفترى لنا أن نبايعه فقال لهم نعم بايعوه فهو والله أفضلنا وسيدنا وخيرنا فجاؤا فكتموا ما أمرهم به قال واستتب لزيد بن علي خروجه فواعد أصحابه ليلة الاربعاء أول ليلة من صفر سنة ١٢٢ وبلغ يوسف بن عمر أن زيدا قد أزمع على الخروج فبعث الى الحكم بن الصلت فأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الاعظم يحصرهم فيه فبعث الحكم الى العرفاء والشرط والمناكب والمقاتلة فأدخلهم المسجد ثم نادى مناديه ألا ان الامير يقول من أدركناه في رحله فقد برئت منه الذمة ادخلوا

المسجد

المسجد الاعظم فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم وطلبوا زيدا في دار معاوية بن اسحاق بن زيد بن حارثة الانصاري فخرج ليلا وذلك ليلة الاربعاء في ليلة شديدة البرد من دار معاوية بن اسحاق فرفعوا الهرادي فيها النيران ونادوا يا منصور أمت أمت يا منصور فكلما أكلت النار هُرْديا رفعوا آخر فمازالوا كذلك حتى طلع الفجر فلما أصبحوا بعث زيد بن علي القاسم التنعي ثم الحضرمي ورجلا آخر من أصحابه يناديان بشعارهما فلما كانوا في صحراء عبد القيس لقيهم جعفر بن العباس الكندي فشدوا عليه وعلى أصحابه فقتل الرجل الذي كان مع القاسم التنعي وارتث القاسم فأتي به الحكم فكلمه فلم يرد عليه شيأ فأمر به فضربت عنقه على باب القصر فكان أول من قتل من أصحاب زيد بن علي هو وصاحبه وأمر الحكم بن الصلت بدروب السوق فغلقت وغلقت أبواب المسجد على أهل الكوفة وعلى أرباع الكوفة يومئذ على ربع أهل المدينة ابراهيم بن عبد الله بن جرير البجلي وعلى مذحج وأسد عمرو بن أبي بذل العبدي وعلى كندة وربيعة المنذر بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندي وعلى تميم وهمدان محمد بن مالك الهمداني ثم الخيواني قال وبعث الحكم بن الصلت الى يوسف بن عمر فأخبره الخبر فأمر يوسف مناديه فنادى في أهل الشأم من يأتي الكوفة فيقترب من هؤلاء القوم فيأتيني بخبرهم فقال جعفر بن العباس الكندي أنا فركب في خمسين فارسا أمامه حتى انتهى الى جبانة سالم السلولي فاستخبرهم ثم رجع الى يوسف بن عمر فأخبره فلما أصبح خرج الى تل قريب من الحيرة فنزل عليه ومعه قريش وأشراف الناس وعلى شرطته يومئذ العباس بن سعيد المزني فبعث الريان بن سلمة الارائشي في ألفين ومعه ثلثمائة من القيقانية رجالا معهم النشاب وأصبح زيد بن علي فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتي رجل وثمانية عشر رجلا فقال زيد سبحان الله أين الناس فقيل له هم في المسجد الاعظم محصورون فقال لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر وسمع نصر بن خزيمة النداء فأقبل اليه فلقي عمرو بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم بن الصلت في خيله من جهينة عند دار الزبير بن أبي حكيمة في الطريق الذي يخرج الى مسجد بني عدي فقال نصر بن خزيمة يا منصور أمت فلم يرد عليه شيأ فشد عليه نصر وأصحابه فقتل عمرو ابن عبد الرحمن وانهزم من كان معه وأقبل زيد بن علي من جبانة سالم حتى انتهى الى جبانة الصائدين وبها خمسمائة من أهل الشأم فحمل عليهم زيد بن علي فيمن معه فهزمهم وكان تحت زيد بن علي يومئذ برذون أدهم بهيم اشتراه رجل من بني نهد بن كهمس بن مروان النجاري بخمسة وعشرين دينارا فلما قتل زيد بعد ذلك أخذه الحكم بن الصلت قال وانتهى زيد بن علي الى باب دار رجل من الأزد يقال له أنس بن عمرو وكان فيمن بايعه فنودي وهو في الدار فجعل لا يجيب فناداه زيد يا أنس أخرج الى رحمك الله فقد جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فلم يخرج اليه فقال زيد ما أخلفكم قد فعلتموها

الله حسينكم قال ثم ان زيدا مضى حتى انتهى الى الكناسة فحمل على جماعة بها من أهل الشأم فهزمهم ثم خرج حتى ظهر الى الجبانة ويوسف بن عمر على التل ينظر اليه هو وأصحابه وبين يديه حزام بن مرة المزني وزمزم بن سليم الثعلبي وهما على المجففة ومعه نحو من مائتي رجل والله لو أقبل على يوسف لقتله والريان بن سلمة يتبع أثر زيد بن علي بالكوفة في أهل الشأم ثم ان زيدا أخذ ذات اليمين على مصلى خالد بن عبد الله حتى دخل الكوفة وكانت فرقة من أصحاب زيد بن علي حيث وجه الى الكناسة قد انشعبت نحو جبانة مخنف بن سليم ثم قال بعضهم لبعض ألا ننطلق نحو جبانة كندة قال فما زاد الرجل على أن تكلم بهذا الكلام وطلع أهل الشأم فلما رأوهم دخلوا زقاقا فمضوا فيه وتخلف رجل منهم فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين ثم خرج اليهم فقاتلهم ساعة ثم انهم صرعوه فجعلوا يضربونه بأسيافهم فنادى رجل منهم فارس مقنع بالحديد أن اكشفوا المغفر ثم اضربوا رأسه بعمود حديد ففعلوا وقتل وحمل أصحابه عليهم فكشفوهم عنه وقد قتل وانصرف أهل الشأم وقد اقتطعوا رجلا ونجا سائرهم فذهب ذلك الرجل حتى دخل دار عبد الله بن عوف فدخل أهل الشأم عليه فأسروه فذهب به الى يوسف بن عمر فقتله قال وأقبل زيد بن علي وقد رأى خذلان الناس اياه فقال يا نصر بن خزيمة أتخاف أن يكونوا قد جعلوها حسينية فقال له جعلني الله لك الفداء أما أنا فوالله لأضربن معك بسيفي هذا حتى أموت فكان قتاله يومئذ بالكوفة ثم ان نصر بن خزيمة قال لزيد بن علي جعلني الله لك الفداء ان الناس في المسجد الاعظم محصورون فامض بنا نحوهم فخرج بهم زيد نحو المسجد فمر على دار خالد بن عرفطة وبلغ عبيد الله بن العباس الكندي اقباله فخرج في أهل الشأم وأقبل زيد فالتقوا على باب عمر بن سعد بن أبي وقاص فكع صاحب لواء عبيد الله وكان لواؤه مع سلمان مولاه فلما أراد عبيد الله الحملة ورآه قد كع عنه قال احمل يا ابن الخبيثة فحمل عليهم فلم ينصرف حتى خضب لواؤه بالدم ثم ان عبيد الله برز فخرج اليه واصل الخناط فاضطربا بسيفيهما فقال للاحول خذها مني وأنا الغلام الخناط وقال الآخر قطع الله يدي ان كلت بقفيز أبدا ثم ضربه فلم يصنع شيأ وانهزم عبيد الله بن العباس وأصحابه حتى انتهوا الى دار عمر ومن حريث وجاء زيد وأصحابه حتى انتهوا الى باب الفيل فجعل أصحاب زيد يدخلون رايتهم من فوق الابواب ويقولون يا أهل المسجد اخرجوا وجعل نصر بن خزيمة يناديهم ويقول يا أهل الكوفة اخرجوا من الذل الى العز اخرجوا الى الدين والدنيا فانكم لستم في دين ولا دنيا فأشرف عليهم أهل الشأم فجعلوا يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد وكان يومئذ جمع كبير بالكوفة في نواحيها وقيل في جبانة سالم وانصرف الريان بن سلمة الى الحيرة عند المساء وانصرف زيد بن علي فيمن معه وخرج اليه ناس من أهل الكوفة فنزل دار الرزق فأتاه الريان بن سلمة فقاتله عند دار الرزق

قتالا

قتالا شديدا فجُرح من أهل الشأم وقُتل منهم ناس كثير وتبعهم أصحاب زيد من دار الرزق حتى انتهوا الى المسجد فرجع أهل الشأم مساء يوم الاربعاء اسوأ شيء ظنا فلما كان من الغد غداة يوم الخميس دعا يوسف بن عمر الريان بن سلمة فلم يوجد حاضرا تلك الساعة وقال بعضهم بل أتاه وليس عليه سلاحه فأوقف به وقال له أف لك من صاحب خيل اجلس فدعا العباس بن سعيد المزني صاحب شرطته فبعثه في أهل الشأم فسار حتى انتهى الى زيد بن علي في دار الرزق ونَمَّ خشب للنجار كثير فالطريق متضايق وخرج زيد في أصحابه وعلى مجنبتيه نصر بن خزيمة العبسي ومعاوية بن اسحاق الانصاري فلما رآهم العباس ولم يكن معه رجال نادى يا أهل الشأم الارض الارض فنزل ناس كثير ممن معه فاقتتلوا قتالا شديدا في المعركة وقد كان رجل من أهل الشأم من بني عبس يقال له نائل بن فروة قال ليوسف بن عمر والله لئن أنا ملأت عيني من نصر بن خزيمة لأقتلنه أو ليقتلني فقال له يوسف خذ هذا السيف فدفع اليه سيفا لا يمرُّ بشيء الا قطعه فلما التقى أصحاب العباس بن سعيد وأصحاب زيد واقتتلوا بصر نائل بن فروة بنصر بن خزيمة فأقبل نحوه فضرب نصرا فقطع فخذه وضربه نصر ضربة فقتله فلم يلبث نصر أن مات واقتتلوا قتالا شديدا ثم ان زيد ابن علي هزمهم وقتل من أهل الشأم نحوا من سبعين رجلا فانصرفوا وهم بشر حال وقد كان العباس بن سعيد نادى في أصحابه أن اركبوا فان الخيل لا تطيق الرجال في المضيق فركبوا فلما كان العشيُّ عبأهم يوسف بن عمر ثم سرَّحهم فأقبلوا حتى التقوا هم وأصحاب زيد فحمل عليهم زيد في أصحابه فكشفهم ثم تبعهم حتى أخرجهم الى السبخة ثم شدَّ عليهم بالسبخة حتى أخرجهم الى بني سليم ثم تبعهم في خيله ورجاله حتى أخذوا على المسناة ثم ان زيدا أظهر لهم فيما بين بارق ورُؤاس فقاتلهم هنالك قتالا شديدا وصاحب لوائه يومئذ رجل يقال له عبد الصمد بن أبي مالك بن مسروح من بني سعد بن زيد حليف العباس بن عبد المطلب وكان مسروح السعدي تزوج صفية بنت العباس بن عبد المطلب فجعلت خيلهم لا تثبت لخيله ورجله فبعث العباس الى يوسف بن عمر يعلمه ذلك فقال له ابعث الى الناشبة فبعث اليهم سليمان بن كيسان الكلبي في الفيقانية والبخارية وهم ناشبة فجعلوا يرمون زيدا وأصحابه وكان زيد حريصا على أن يصرفهم حين انتهوا الى السبخة فأبوا عليه فقاتل معاوية ابن اسحاق الانصاري بين يدي زيد بن علي قتالا شديدا فقتل بين يديه وثبت زيد بن علي ومن معه حتى اذا جنح الليل رُمي بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى فتشبَّث في الدماغ فرجع ورجع أصحابه ولا يظن أهل الشأم أنهم رجعوا الا للمساء والليل قال فحدثني سلمة بن ثابت الليثي وكان مع زيد بن علي وكان آخر من انصرف من الناس يومئذ هو وغلام لمعاوية بن اسحاق قال أقبلت أنا وصاحبي نقص أثر زيد بن علي فنجده قد أنزل وأدخل بيت حران بن كريمة مولى لبعض العرب في سكة البريد في دور أرحب

وشاكر قال سلمة بن ثابت فدخلت عليه فقلت له جعلني الله فداك أبا الحسين وانطلق أصحابه فجاؤا بطبيب يقال له شقير مولى لبني رؤاس فانتزع النصل من جبهته وأنا أنظر اليه فوالله ماعدا ان انتزعه جعل يصيح ثم لم يلبث ان قضى فقال القوم أين ندفنه وأين نواريه فقال بعض أصحابه نلبسه درعه ونطرحه في الماء وقال بعضهم بل نحتز رأسه ونضعه بين القتلى فقال ابنه يحيى لا والله لا تأكل لحم أبي الكلاب وقال بعضهم لا بل نحمله الى العباسية فندفنه قال سلمة فأشرت عليهم أن ننطلق به الى الحفرة التي يؤخذ منها الطين فندفنه فيها فقبلوا رأيي وانطلقنا وحفرنا له بين حفرتين وفيه حينئذ ماء كثير حتى اذا نحن أمكنا له دفناه وأجرينا عليه الماء وكان معنا عبد له سندي قال ثم انصرفنا حتى نأتي جبانة السبيع ومعنا ابنه فلم نزل بها وتصدع الناس عنا وبقيت في رهط معه لا تكون عشرة فقلت له أبن تريد هذا الصبح قد غشيك ومعه أبو الصبار العبدي قال فقال النهرين فقلت له ان كنت انما تريد النهرين فظننت أنه يريد أن يتشطط الفرات ويقاتلهم فقلت له لا تبرح مكانك تقاتلهم حتى تقتل أو يقضي الله ماهو قاض فقال لي أنا أريد نهرى كربلاء فقلت له فالنجاء قبل الصبح فخرج من الكوفة وأنا معه وأبو الصبار ورهط معنا فلما خرجنا من الكوفة سمعنا أذان المؤذنين فصلينا الغداة بالنخيلة ثم توجهنا سراعا قبل نينوى فقال لي انى أريد سابقا مولى بشر بن عبد الملك بن بشر فأسرع السير وكنت اذا لقيت القوم أستطعمهم فأطعم الارغفة فأطعمها اياه فيأكل وناكل معه فانتهينا الى نينوى وقد أظلمنا فأتينا منزل سابق فدعوت على الباب فخرج الينا فقلت له أما أنا فآتي الفيوم فأكون به فاذا بدا لك أن ترسل الي فأرسل قال ثم انى مضيت وخلفته عند سابق فذلك آخر عهدي به قال ثم ان يوسف بن عمر بعث أهل الشأم يطلبون الجرحى في دور أهل الكوفة فكانوا يخرجون النساء الى صحن الدار ويطوفون البيت يلتمسون الجرحى قال ثم دل غلام زيد بن علي السندي يوم الجمعة على زيد فبعث الحكم بن الصلت العباس بن سعيد المزني وابن الحكم بن الصلت فانطلقا فاستخرجاه فكره العباس أن يغلب عليه ابن الحكم بن الصلت فتركه وسرح بشيرا الى يوسف بن عمر غداة يوم الجمعة برأس زيد بن علي مع الحجاج بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل فقال أبو الجويرية مولى جهينة

قل للذين انتهكوا المحارم * ورفعوا الشمع بصفحرا سالم

كيف وجدتم وقعة الأكارم * يا يوسف بن الحكم بن القاسم

قال ولما أتى يوسف بن عمر البشير أمر بزيد فصلب بالكناسة هو ونصر بن خزيمة ومعاوية ابن اسحاق بن زيد بن حارثة الانصاري وزياد النهدي وكان يوسف قد نادى من جاء برأس فله خمسمائة درهم فجاء محمد بن عباد برأس نصر بن خزيمة فأمر له يوسف بن عمر بألف درهم وجاء الاحول مولى الاشعريين برأس معاوية بن اسحاق فقال أنت قتلته فقال أصلح

الله الامير ليس أنا قتلته ولكني رأيته فعرفته فقال اعطوه سبعمائة درهم ولم يمنعه أن يتم له ألفا الا أنه زعم أنه لم يقتله وقد قيل ان يوسف بن عمر لم يعلم بأمر زيد ورجوعه من الطريق الى الكوفة بعد ما شخص الا بإعلام هشام بن عبد الملك اياه وذلك أن رجلا من بني أمية كتب فيما ذكر الى هشام يذكر له أمر زيد فكتب هشام الى يوسف يشتمه ويجهله ويقول انك لغافل وزيد غار زذنبه بالكوفة يبايع له فالجج في طلبه فأعطه الامان فان لم يقبل فقاتله فكتب يوسف الى الحكم بن الصلت من آل أبي عقيل وهو خليفته على الكوفة بطلبه فطلبه فخفي عليه موضعه فدس يوسف مملوكا له خراسانيا ألكن وأعطاه خمسة آلاف درهم وأمره أن يلطف لبعض الشيعة فيخبره أنه قد قدم من خراسان حبا لأهل البيت وأن معه مالا يريد أن يقويهم به فلم يزل المملوك يلقى الشيعة ويخبرهم عن المال الذي معه حتى أدخلوه على زيد فخرج فدل يوسف على موضعه فوجه يوسف اليه الخيل فنادى أصحابه بشعارهم فلم يجتمع اليه منهم الا ثلثمائة أو أقل فجعل يقول كان داود بن علي أعلم بكم قد حذرني خذلانكم فلم أحذر وقيل ان الذي دل على موضع زيد الذي كان دفن فيه وكان دفن في نهر يعقوب فيما قيل كان أصحابه قد سكروا النهر ثم حفروا له في بطنه فدفنوه في ثيابه ثم أجروا عليه الماء عند قصار كان به فاستجعل جعلا على أن يدلهم على موضعه ثم دلهم فاستخرجوه فقطعوا رأسه وصلبوا جسده ثم أمروا بحراسته لئلا ينزل فمكث يحرس زمانا وقيل انه كان فيمن يحرسه زهير بن معاوية أبو خيثمة وبعث برأسه الى هشام فأمر به فنصب على باب مدينة دمشق ثم أرسل به الى المدينة ومكث البدن مصلوبا حتى مات هشام ثم أمر به الوليد فأنزل وأحرق وقيل ان حكيم بن شريك كان هو الذي سعى بزيد الى يوسف فأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فانه قال في أمر يحيى بن زيد لما قتل زيد عمد رجل من بني أسد الى يحيى بن زيد فقال له قد قتل أبوك وأهل خراسان لكم شيعة فالرأي أن تخرج اليها فقال وكيف لي بذلك قال تتوارى حتى يكف عنك الطلب ثم تخرج فواراه عنده ليلة ثم خاف فأتى عبد الملك بن بشر بن مروان فقال له ان قرابة زيد بك قريبة وحقه عليك واجب قال له أجل ولقد كان العفو عنه أقرب الى التقوى قال فقد قتل وهذا ابنه غلاما حدثا لا ذنب له وان علم يوسف بن عمر بمكانه قتله فتجيره وتواريه عندك قال نعم وكرامة فأتاه به فواراه عنده فبلغ الخبر يوسف فأرسل الى عبد الملك قد بلغني مكان هذا الغلام عندك وأعطى الله عهد الئن لم تأتني به لا كتبن فيك الى أمير المؤمنين فقال له عبد الملك أتاك الباطل والزور وأنا أواري من ينازعني سلطاني ويدعي فيه أكثر من حقي ما كنت أحشاك على قبول مثل هذا علي ولا الاستماع من صاحبه فقال صدق والله ابن بشر ما كان ليواري مثل هذا ولا يستر عليه فكف عن طلبه فلما سكن الطلب خرج يحيى في نفر من الزيدية الى خراسان وخطب يوسف بعد قتل زيد بالكوفة فقال يا أهل الكوفة ان يحيى بن زيد

ينتقل فى حجال نسائكم كما كان يفعل أبوه والله لو بدا لى صفحته لعرقت حصيّه كما عرقت خصي أبيه * وذكر عن رجل من الانصار قال لما جيء برأس زيد فصلب بالمدينة في سنة ١٢٣ أقبل شاعر من شعراء الانصار فقام بحياله فقال

ألا ياناقضَ الميثا * قِ أبشرْ بالذى ساكا
نَقَضْتَ العهدَ والميثا * قَ قدْ ما كان قدْماكا
لقد أخلفَ ابليسُ الـ * ـذى قد كان مَناكا

قال فقيل له ويلك أتقول هذا المثل زيد فقال أن الامير غضبان فأردتُ أن أرضيه فردَّ عليه بعض شعرائهم

ألا ياشاعرَ السوْ * ءِ لقد أصبحتَ أفّاكا
أتشتمُ ابنَ رسول الله وترْضى مَنْ تولاكا
ألا صبَّحكَ اللهُ * بخزْيٍ ثم مَسّاكا
ويوم الحشر لاشكَّ * بأن النارَ مثواكا

وقيل كان خراش بن حوشب بن يزيد الشيبانىّ على شرط يوسف بن عمر فهو الذى نبش زيدا وصلبه فقال السيدُ

بتُّ ليلى مُسهّدا * ساهرَ الطَّرف مُقصدا
ولقد قلتُ قولةً * وأطلتُ التبلُّدا
لعَن اللهُ حوْشبًا * وخراشًا ومَزْيَدا
* ويزيدًا فإنه * كان أعتى وأعندا
ألفَ ألفٍ وألفَ ألـ * ـفٍ من اللعْن سرمدا
إنهم حاربوا الإلـ * ـهَ وآذوْا محمدا
شركوا في دم المطـ * ـهر زيد تعنُّدا
ثم عالوه فوق جذْ * عٍ صريعا مُجرَّدا
ياخراشَ بنَ حوشبَ * أنتَ أشقى الورى غدا

(قال أبو مخنف) ولما قتل يوسف زيد بن علىّ أقبل حتى دخل الكوفة فصعد المنبر فقال ياأهل المدرة الخبيثة انى والله ماتقرّن بى الصَّعْبَةُ ولا يقعقع لى بالشنان ولا أخوَّف بالذئب هيهات حُبيتُ بالساعد الاشدّ ابشروا ياأهل الكوفة بالصغار والهوان لاعطاء لكم عندنا ولا رزق ولقد هممتُ أن أخرب بلادكم ودوركم وأحرمكم أموالكم أمَ والله ماعلوتُ منبرى الا أسمعتُكم ماتكرهون عليه فانكم أهل بغى وخلاف مامنكم الا من حارب الله ورسوله الا حكيم بن شريك المحاربىّ ولقد سألت أمير المؤمنين أن يأذن لى فيكم ولو أذن

لقتلت

لقتلت مقاتلتكم وسبيت ذراريكم ﴿وفي هذه السنة﴾ قتل كلثوم بن عياض القشيري الذي كان هشام بن عبد الملك بعثه في خيول أهل الشأم الى افريقية حيث وقعت الفتنة بالبربر ﴿وفيها﴾ قتل عبد الله البطّال في جماعة من المسلمين بأرض الروم ﴿وفيها﴾ ولد الفضل ابن صالح ومحمد بن ابراهيم بن محمد بن علي ﴿وفيها﴾ وجه يوسف بن عمر ابن شبرمة على سجستان فاستقضى ابن أبي ليلى ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام المخزومي كذلك حدّثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وغيره وكانت عمال الامصار في هذه السنة العمال في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل الا أن قاضي الكوفة كان فيما ذكر في هذه السنة محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة ﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

فمن ذلك ما جرى بين أهل السغد ونصر بن سيار من الصلح

﴿ذكر الخبر عن ذلك وسببه﴾

ذكر علي بن محمد عن شيوخه أن خاقان لما قتل في ولاية أسد تفرّقت الترك في غارة بعضها على بعض فطمع أهل السغد في الرجعة اليها وانحاز قوم منهم الى الشاش فلما ولي نصر بن سيار أرسل اليهم يدعوهم الى الفيئة والمراجعة الى بلادهم وأعطاهم كل ما أرادوا قال وكانوا سألوا شروطا أنكرها أمراء خراسان منها أن لا يعاقب من كان مسلما وارتد عن الاسلام ولا يعدى عليهم في دين لأحد من الناس ولا يؤخذون بقبالة عليهم في بيت المال ولا يؤخذ أسراء المسلمين من أيديهم الا بقضية قاض وشهادة العدول فعاب الناس ذلك على نصر وكلموه فقال أم والله لو عاينتم شوكتهم في المسلمين ونكايتهم مثل الذي عاينت ما أنكرتم ذلك فأرسل رسولا الى هشام في ذلك فلما قدم الرسول أبى أن ينفذ ذلك لنصر فقال الرسول جربت يا أمير المؤمنين حربنا وصلحنا فاختر لنفسك فغضب هشام فقال الابرش الكلبي يا أمير المؤمنين تألف القوم واحمل لهم فقد عرفت نكايتهم كانت في المسلمين فأنفذ هشام ما سأل ﴿وفي هذه السنة﴾ أوفد يوسف بن عمر الحكم بن الصلت الى هشام بن عبد الملك يسأله ضم خراسان اليه وعزل نصر بن سيار

﴿ذكر الخبر عن سبب ذلك وما كان من الامر فيه﴾

* ذكر علي عن شيوخه قال لما طالت ولاية نصر بن سيار ودانت له خراسان كتب يوسف بن عمر الى هشام حسده له أن خراسان دبرة دبرة فان رأى أمير المؤمنين أن يضمها الى العراق فأسرح اليها الحكم بن الصلت فانه كان مع الجنيد وولي جسيم أعمالهم فأعمر بلاد أمير المؤمنين بالحكم وأنا باعث بالحكم بن الصلت الى أمير المؤمنين فانه أديب أريب

ونصيحته لامير المؤمنين مثل نصيحتنا ومودتنا أهل البيت فلما أتى هشاما كتابه بعث الى دار الضيافة فوجد فيها مقاتل بن على السعدى فأتوه به فقال أمن خراسان أنت قال نعم وأنا صاحب الترك قال وكان قدم على هشام بخمسين ومائة من الترك فقال أتعرف الحكم ابن الصلت قال نعم قال فما ولى بخراسان قال ولى قرية يقال لها الفاريات خراجها سبعون ألفا فأسره الحارث بن سريج قال ويحك وكيف أفلت منه قال عرك اذنه وقفده وخلى سبيله قال فقدم عليه الحكم بعد بخراج العراق فرأى له جمالا وبيانا فكتب الى يوسف أن الحكم قدم وهو على ما وصفت وفيما قبلك له سعة وخل الكنانى وعمله ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا نصر فرغانة غزوته الثانية فأوفد مغراء بن أحمر الى العراق فوقع فيه عند هشام

﴿ذكر الخبر عن ذلك وما كان من هشام ويوسف بن عمر فيه﴾

* ذكر أن نصرا وجه مغراء بن أحمر الى العراق وافدا منصرفه من غزوته الثانية فرغانة فقال له يوسف بن عمر يا ابن أحمر يغلبكم ابن الاقطع يا معشر قيس على سلطانكم فقال قد كان ذلك أصلح الله الامير قال فاذا قدمت على أمير المؤمنين فابقر بطنه فقدموا على هشام فسألهم عن أمر خراسان فتكلم مغراء فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر يوسف بن عمر بخير فقال ويحك أخبرنى عن خراسان قال ليس لك جند يا أمير المؤمنين أعد ولا أنجد منهم من سرادق فى السماء وفراسية مثل الفيل وعدة وعدد من قوم ليس لهم فائد قال ويحك فما فعل الكنانى قال لا يعرف ولده من الكبر فرد عليه مقالته وبعث الى دار الضيافة فأتى بشبيل بن عبد الرحمن المازنى فقال له هشام أخبرنى عن نصر قال ليس بالشيخ يخشى خرفه ولا الشاب يخشى سفهه المجرب المجرب قد ولى عامة ثغور خراسان وحروبها قبل ولايته فكتب الى يوسف بذلك فوضع يوسف الارصاد فلما انتهوا الى الموصل تركوا طريق البريد وتكادحوا حتى قدموا بيهق وقد كتب الى نصر بقول شبيل وكان ابراهيم بن بسام فى الوفد فكر به يوسف ونعى له نصرا وأخبره أنه قد ولى الحكم بن الصلت بن أبى عقيل خراسان فقسم له ابراهيم خراسان كله حتى قدم عليه ابراهيم بن زياد رسول نصر فعرف أن يوسف قد مكر به وقال أهلكنى يوسف، وقيل ان نصرا أوفد مغراء وأوفد معه حملة ابن نعيم الكلبى فلما قدموا على يوسف أطمع يوسف مغراء ان هو ينقص نصرا عند هشام أن يوليه السند فلما قدما عليه ذكر مغراء بأس نصر ونجدته ورأيه وأطنب فى ذلك ثم قال لو كان الله متعنا منه ببقية فاستوى هشام جالسا ثم قال ببقية ماذا قال لا يعرف الرجل الا بحرمه ولا يفهم عنه حتى يدنى منه وما يكاد يفهم صوته من الضعف لأجل كبره فقام حملة الكلبى فقال يا أمير المؤمنين كذب والله ما هو كما قال هو وهو فقال هشام ان نصرا ليس كما وصف وهذا أمر يوسف بن عمر حسد النصر وقد كان يوسف كتب الى هشام يذكر كبر نصر وضعفه ويذكر له سلم بن قتيبة فكتب اليه هشام الله عن ذكر الكنانى فلما قدم

مغراء على يوسف قال له قد علمت بلاء نصر عندى وقد صنعت به ما قد علمت فليس لى فى صحبته خير ولا لى بخراسان مقام فأمرنى بالمقام فكتب الى نصر انى قد حوّلت اسمه فاشخص الىّ من قبلك من أهله وقيل ان يوسف لما أمر مغراء بعيب نصر قال كيف أعيبه مع بلائه وآثاره الجميلة عندى وعند قومى فلم يزل به فقال فما أعيبه أعيب تجربته أم طاعته أو يمن نقيبته أو سياسته قال عبه بالكبر فلما دخل على هشام تكلم مغراء فذكر نصرا بأحسن ما يكون ثم قال فى آخر كلامه لولا فاستوى هشام جالسا فقال ما لولا قال لولا أن الدهر قد غلب عليه قال ما بلغ به ويحك الدهر قال ما يعرف الرجل الا من قريب ولا يعرفه الا بصوته وقد ضعف عن الغزو والركوب فشق ذلك على هشام فتكلم حملة بن نعيم فلما بلغ نصرا قول مغراء بعث هارون بن السياوش الى الحكم بن نميلة وهو فى السراجين يعرض الجند فأخذ برجله فسحبه عن طنفسة له وكسر لواءه على رأسه وضرب بطنفسته وجهه وقال كذاك يفعل الله بأصحاب الغدر * وذكر على بن محمد عن الحارث بن أفلح بن مالك بن أسماء بن خارجة لما ولى نصر خراسان أدنى مغراء بن أحمر بن مالك بن سارية النميرى والحكم بن نميلة بن مالك والحجاج بن هارون بن مالك وكان مغراء بن أحمر النميرى رأس أهل قنسرين فآثر نصر مغراء وسنى منزلته وشفعه فى حوائجه واستعمل ابن عمه الحكم بن نميلة على الجوزجان ثم عقد للحكم على أهل العالية وكان أبوه بالبصرة عليهم وكان بعده عكابة بن نميلة ثم أوفد نصر وفدا من أهل الشأم وأهل خراسان وصيّر عليهم مغراء وكان فى الوفد حملة بن نعيم الكلبى فقال عثمان بن صدقة بن وثاب لمسلم بن عبد الرحمن بن مسلم عامل طخارستان

حيّرنى مسلم مراكبه * فقلت حسبى من مسلم حكما
هذا فتى عامر وسيّدها * كفى بمن ساد عامرا كرما

يعنى الحكم بن نميلة قال فتغير نصر لقيس وأوحشه ما صنع مغراء قال وكان أبو نميلة صالح الابار مولى بنى عبس خرج مع يحيى بن زيد بن على بن حسين فلم يزل معه حتى قتل بالجوزجان وكان نصر قد وجد عليه لذلك فأتى عبيد الله بن بسام صاحب نصر فقال

قد كنت فى همة حيران مكتئبا * حتى كفانى عبيد الله تهمامى
ناديته فسما للمجد مبتهجا * كغرة البدر جلى وجهه أظلام
فاسلم برأى أبى ليث وصولته * ان كنت يوما حفاظ بامرئ سامى
تظفر يداك بمن تمت مروءته * واختصه ربه منه بإكرام
ماضى العزائم ليث مضاربه * على الكريهة يوم الروع مقدام
لا هذر ساحة النادى ولا مذل * فيه ولا مسكت إسكات إفحام
له من الحلم ثوباه ومجلسه * إذا المجالس شانت أهل أحلام

قال فأدخله عبيدالله على نصر فقال أبو نميلة أصلحك الله انى ضعيف فان رأيت ان تأذن لراويتى فأذن له فأنشده

فاز قِدْحُ الكلبيِّ فاعتقدت مغـ * ـراء فى سَعْيِهِ عُرُوقُ لئيم
* فأبينى لمن أبيتُ أم ابنى * العبدِ مغراء أم لصميم
فلئن كان منكم ما يكونُ الـ * ـغدرُ والكفرُ من خصال الكريم
ولئن كان أصله كان عبدًا * ما عليكم من غدره من شتيم
وليثـ * ـه ليثٌ وأىُّ ولاةٍ * بأيادٍ بيضٍ وأمرٍ عظيم
أسمنته حتى إذا راح مغبو * طًا بخيرٍ من سنبها المقسوم
كاد ساداته بأهوَنَ من نهـ * ـقةٍ غيرِ بقفرةٍ مرقوم
فضربنا لغيرنا مثل الكلـ * ـب ذميما والذمُّ للمذموم
وحمدنا ليثا ويأخذُ بالقضـ * ـل ذوو الجود والندى والحلوم
فاعلمن يا بنى القساورة الغلـ * ـب وأهل الصفا وأهل الحطيم
أن فى شكر صالحينا لما يدْ * حضُ قولَ المرهَّق الموصوم
قد رأى الله ما أتيتَ ولن ينـ * ـقُص نبحُ الكلاب زُهرَ النجوم

فلما فرغ قال نصر صدقت وتكلمت القيسية واعتذروا قال واها ان نصر قيسا وباعدهم حين فعل مغراء ما فعل فقال فى ذلك بعض الشعراء

لقد بغّض الله الكرام إليكمُ * كما بغّضَ الرحمنُ قيسًا إلى نصرِ
رأيتُ أبا ليثٍ بهنّ سَراتهمْ * ويُدنى إليه كلَّ ذى والثٍ غُمرِ

﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة يزيد بن هشام بن عبدالملك كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى أيضا وكان عمال الامصار فى هذه السنة هم العمال الذين كانوا فى السنة التى قبلها وقد ذكرتهم قبل

﴿ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة﴾

﴿ذكر الاخبار عما كان فيها من الاحداث﴾

فما كان فيها من ذلك مقدم جماعة من شيعة بنى العباس الكوفة يريدون مكة وشرى بكير بن ماهان فى قول بعض أهل السير أبا مسلم صاحب دعوة بنى العباس من عيسى بن معقل العجلى

﴿ذكر الخبر عن سبب ذلك﴾

وقد اختلف فى ذلك فاما على بن محمد فانه ذكر ان حمزة بن طلحة السلمى حدثه عن أبيه قال كان بكير بن ماهان كاتبا لبعض عمال السند فقدمها فاجتمعوا بالكوفة فى دار فعمز بهم

فاخذوا

فأخذوا الحبس بكير وخلى من الباقين وفي الحبس يونس أبو عاصم وعيسى بن معقل العجلي ومعه أبو مسلم يخدمه فدعاهم بكير فاجابوه الى رأيه فقال لعيسى بن معقل ما هذا الغلام قال مملوك قال تبيعه قال هو لك قال احب ان تأخذ ثمنه قال هو لك بما شئت فأعطاه أربعمائة درهم ثم أخرجوا من السجن فبعث به الى ابراهيم فدفعه ابراهيم الى موسى السراج فسمع منه وحفظ ثم صار الى ان اختلف الى خراسان وقال غيره توجه سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب من خراسان وهم يريدون مكة في سنة ١٢٤ فلما دخلوا الكوفة أتوا عاصم بن يونس العجلي وهو في الحبس فدلتهم بالدعاء الى ولد العباس ومعه عيسى وادريس ابنا معقل حبسهما يوسف بن عمر فيمن حبس من عمال خالد بن عبد الله ومعهما أبو مسلم يخدمهما فرأوا فيه العلامات فقالوا من هذا قالوا غلام معنا من السراجين وقد كان أبو مسلم يسمع عيسى وادريس يتكلمان في هذا الرأى فاذا سمعهما بكى فلما رأوا ذلك منه دعوه الى ما هم عليه فأجاب وقبل ﴿وفي هذه السنة﴾ غزا سليمان بن هشام الصائفة فلقي أليون ملك الروم فسلم وغنم ﴿وفيها﴾ مات في قول الواقدي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن اسماعيل كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وحج في هذه السنة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك معه امرأته أم سلمة بنت هشام بن عبد الملك وذكر محمد بن عمران يزيد مولى أبي الزناد حدثه قال رأيت محمد بن هشام على بابها يرسل بالسلام وألطافه على بابها كثيرة ويعتذر فتأبى حتى كان يأيس من قبول هديته ثم أمرت بقبضها وكان عمال الامصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عمالها في سنة ١٢٢ وفي سنة ١٢٣ وقد ذكرناهم قبل

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة ﴾

﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

فمن ذلك غزوة النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة ومن ذلك وفاة هشام بن عبد الملك بن مروان فيها وكانت وفاته فيما ذكر أبو معشر لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه وكذلك قال الواقدي والمدائني وغيرهما غيرانهم قالوا كانت وفاته يوم الاربعاء لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر فكانت خلافته في قول جميعهم تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحدا وعشرين يوما في قول المدائني وابن الكلبي وفي قول أبي معشر وثمانية أشهر ونصفا وفي قول الواقدي وسبعة أشهر وعشرة ليال واختلف في مبلغ سنه فقال هشام بن محمد الكلبي توفي وهو ابن خمس وخمسين سنة وقال بعضهم توفي وله اثنتان وخمسون سنة وقال محمد بن عمر كان هشام يوم توفي ابن أربع وخمسين سنة وكانت وفاته بالرصافة وبها قبره وكان يكنى أبا الوليد

﴿ذكر الخبر عن العلة التي كانت بها وفاته﴾

حدثني أحمد بن زهير قال حدثني علي بن محمد قال حدثني شيبة بن عثمان قال حدثني عمرو بن كليع قال حدثني سالم أبو العلاء قال خرج علينا هشام بن عبد الملك يوما وهو كئيب يعرف ذلك فيه مسترخ عليه ثيابه وقد أرخى عنان دابته فسار ساعة ثم انتبه فجمع ثيابه وأخذ بعنان دابته وقال للربيع أدع الأبرش فدعي فسار بيني وبين الابرش فقال له الابرش يا أمير المؤمنين لقد رأيت منك شيأ غمني قال وما هو قال رأيتك قد خرجت على حال غمني قال ويحك يا أبرش وكيف لا أغتم وقد زعم أهل العلم اني ميتٌ الى ثلاثة وثلاثين يوما قال سالم فرجعت الى منزلي فكتبت في قرطاس زعم أمير المؤمنين يوم كذا وكذا انه يسافر الى ثلاثة وثلاثين يوما فلما كان في الليلة التي استكمل فيها ثلاثة وثلاثين يوما اذا خادم يدق الباب يقول أجب أمير المؤمنين واحمل معك دواء الذبحة وقد كان أخذه مرة فتعالج فأفاق فخرجتُ ومعي الدواء فتغرغر به فازداد الوجع شدة ثم سكن فقال لي يا سالم قد سكن بعض ما كنت أجد فانصرف الى أهلك وخلف الدواء عندي فانصرفت فما كان الا ساعة حتى سمعت الصراخ عليه فقالوا مات أمير المؤمنين فلما مات أغلق الخزان الابواب فطلبوا مقما يسخن فيه الماء لغسله فما وجدوه حتى استعاروا مقما من بعض الجيران فقال بعض من حضر ذلك ان في هذا المعتبر لمن اعتبر وكانت وفاته بالذبحة فلما مات صلى عليه ابنه مسلمة بن هشام

﴿ذكر بعض سير هشام﴾

حدثني أحمد بن زهير قال حدثني علي بن محمد عن وسنان الأعرجي قال حدثني ابن أبي نحيلة عن عقال بن شبة قال دخلت على هشام وعليه قباء فقلت أخضر فوجهني الى خراسان وجعل يوصيني وأنا أنظر الى القباء فقطن فقال مالك قلتُ رأيت عليك قبل أن تلي الخلافة قباء فقلت أخضر فجعلتُ أتأمل هذا أهو ذاك أم غيره فقال هو والله الذي لا إله الا هو ذاك مالي قباء غيره وأما ما ترون من جمعي هذا المال وصونه فانه لكم قال وكان عقال مع هشام فأما شبة أبو عقال فكان مع عبد الملك بن مروان وكان عقال يقول دخلتُ على هشام فدخلت على رجل محشوٍّ عقلا

حدثني أحمد بن زهير قال حدثني علي قال قال مروان بن شجاع مولى لمروان بن الحكم كنت مع محمد بن هشام بن عبد الملك فأرسل الي يوما فدخلتُ عليه وقد غضب وهو يتلهف فقلتُ مالك فقال رجل نصراني شجَّ غلامي وجعل يشتمه فقلت له على رسلك قال فما أصنع قلت ترفعه الى القاضي قال وما غير هذا قلت لا قال خصيٌّ له أنا أكفيك فذهب فضربه وبلغ هشام فطلب الخصيَّ فعاذ بمحمد فقال محمد ابن هشام لم آمرك وقال الخصيُّ بلى والله لقد أمرتني فضرب هشام الخصيَّ وشتم ابنه

وحدثني أحمد قال علي لم يكن أحد يسير في أيام هشام في موكب الا مسلمة بن عبد الملك قال ورأى هشام يوما سالما في موكب فزجره وقال لأعلمن متى سرتَ في موكب

وكان يقدم الرجل الغريب فيسير معه فيقف سالم ويقول حاجتك ويمنعه أن يسير معه وكان سالم كانه هو أمر هشاما قال ولم يكن أحد من بني مروان يأخذ العطاء الا عليه الغزو فمنهم من يغزو ومنهم من يخرج بدلا قال وكان لهشام بن عبد الملك مولى يقال له يعقوب فكان يأخذ عطاء هشام مائتي دينار ودينارا يفضل بدينار فيأخذها يعقوب ويغزو وكانوا يصيرون أنفسهم في أعوان الديوان وفي بعض ما يجوز لهم المقام به ويوضع به الغزو عنهم وكان داود وعيسى ابنا علي بن عبد الله بن عباس وهما لأم في أعوان الشرق بالعراق لخالد ابن عبد الله فأقاما عنده فوصلهما ولولا ذلك لم يستطع أن يحبسهما فصيرهما في الاعوان فسمرا وكانا يسامرانه ويحدثانه قال فولى هشام بعض مواليه ضيعة له فعمرها فجاءت بغلة عظيمة كبيرة ثم عمرها أيضا فأضعفت الغلة وبعث بها مع ابنه فقدم بها على هشام فأخبره خبر الضيعة فجزاه خيرا فرأى منه انبساطا فقال يا أمير المؤمنين ان لي حاجة قال وما هي قال زيادة عشرة دنانير في العطاء فقال ما يخيل الى أحدكم أن عشرة دنانير في العطاء الا بقدر الجوز لا لعمري لا أفعل حدثني أحمد قال حدثنا علي قال قال جعفر بن سليمان قال لي عبد الله بن علي جمعت دواوين بني مروان فلم أر ديوانا أصح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام حدثنا أحمد قال قال علي قال غسان بن عبد الحميد لم يكن أحد من بني مروان أشد حصرا في أمر أصحابه ودواوينه ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام حدثني أحمد قال حدثنا علي قال قال حماد الابح قال هشام لغيلان ويحك يا غيلان قد أكثر الناس فيك فنازعنا بأمرك فان كان حقا اتبعناك فان كان باطلا نزعت عنه قال نعم فدعا هشام ميمون بن مهران ليكلمه فقال له ميمون سل فان أقوى ما يكون اذا سألتم قال له أشاء الله أن يعصى فقال له ميمون أفعصى كارها فسكت فقال هشام أجيبه فلم يجبه فقال له هشام لأقالني الله ان أقلته وأمر بقطع يديه ورجليه حدثني أحمد قال حدثنا علي عن رجل من غني عن بشر مولى هشام قال أوتي هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط فقال اكسروا الطنبور على رأسه وضربه فبكى الشيخ قال بشر فقلت له وأنا أعزيه عليك بالصبر فقال أترانى أبكي للضرب انما أبكي لاحتقاره للبربط اذ سماه طنبورا قال وأغلظ رجل لهشام فقال له هشام ليس لك أن تغلظ لامامك قال وتفقد هشام بعض ولده ولم يحضر الجمعة فقال له ما منعك من الصلاة قال نفقت دابتي قال أفعجزت عن المشي فتركت الجمعة فمنعه الدابة سنة قال وكتب سليمان بن هشام الى أبيه ان غلتي قد عجزت عني فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بدابة فعل فكتب اليه قد فهم أمير المؤمنين كتابك وما ذكرت من ضعف دابتك وقد ظن أمير المؤمنين أن ذلك من قلة تعهدك لعلفها وان علفها يضيع فتعهد دابتك في القيام عليها بنفسك ويرى أمير المؤمنين رأيه في حملانك قال وكتب اليه بعض عماله انى قد بعثت الى أمير المؤمنين بسلة دراقن فليكتب الي أمير

المؤمنين بوصولها فكتب اليه قد وصل الى أمير المؤمنين الدراقن الذى بعثت به فأعجبه فزد أمير المؤمنين منه واستوثق من الوعاء قال وكتب الى بعض عماله قد وصلت الكمأة التى بعثت بها الى أمير المؤمنين وهى أربعون وقد تغير بعضها ولم تؤت فى ذلك الامن حشوها فاذا بعثت الى أمير المؤمنين منها شيأ فأجد حشوها فى الظرف الذى تجعلها فيه بالرمل حتى لا تضطرب ولا يصيب بعضها بعضا ❁ حدثنى أحمد قال حدثنى على قال حدثنا الحارث بن يزيد قال حدثنى مولى لهشام قال بعث معى مولى لهشام كان على بعض ضياعه بطيرين ظريفين فدخلت اليه وهو جالس على سرير فى عرصة الدار فقال أرسلهما فى الدار قال فأرسلتهما فنظر اليهما فقلت يا أمير المؤمنين جائزتى قال ويلك وما جائزة طيرين قلت ما كان قال خذ أحدهما فعدوت فى الدار عليهما فقال مالك قلت أختار خيرهما قال أتختار أيضا خيرهما وتدع شرهما الى دعهما ونحن نعطيك أربعين درهما أو خمسين درهما قال وأقطع هشام أرضا يقال لها دورين فأرسل فى قبضها فاذا هى خراب فقال لذويد كاتب كان بالشأم ويحك كيف الحيلة قال ما تجعل لى قال أربعمائة دينار فكتب دورين وقراها ثم أمضاها فى الدواوين فأخذ شيأ كثيرا فلما ولى هشام دخل عليه ذويد فقال له هشام دورين وقراها لا والله لا تلى لى ولاية أبدا وأخرجه من الشأم ❁ حدثنى أحمد قال حدثنا على عن عمير بن يزيد عن أبى خالد قال حدثنى الوليد بن خليد قال رآنى هشام بن عبد الملك وأنا على برذون طخارى فقال يا وليد بن خليد ما هذا البرذون قلت حملنى عليه الجنيد فحسدنى وقال والله لقد كثرت الطخارية لقدمات عبد الملك فما وجدنا فى دوابه برذونا طخاريا غير واحد فتنافسه بنو عبد الملك أيهم يأخذه ومامنهم أحد الا يرى انه ان لم يأخذه لم يرث من عبد الملك شيأ قال وقال بعض آل مروان لهشام أتطمع فى الخلافة وأنت بخيل جبان قال ولم لا أطمع فيها وأنا حليم عفيف قال وقال هشام يوما للابرش أوضعت اعنزك قال اى والله قال لكن اعنزى تأخر ولادها فاخرج بنا الى اعنزك نصب من ألبانها قال نعم أفأقدم قوما قال لا قال أفأقدم خباءك حتى يضرب لنا قال نعم فبعث برجلين بخباء فضرب وغداهشام والابرش وغدا الناس فقعد هشام والابرش كل واحد منهما على كرسى وقدم الى كل واحد منهما شاة فحلب هشام الشاة بيده وقال تعلم يا ابرش انى لم أبس الحلب ثم أمر بملة فسجنت وأوقد بيده النار ثم فحصها وألقى الملة وجعل يقلبها بالمحراث ويقول يا ابرش كيف ترى رفقى حتى نضجت ثم أخرجها وجعل يضربها بالمحراث ويقول جبينك جبينك والابرش يقول لبيك لبيك وهذا شى لا تقوله الصبيان اذا خبزت لهم الملة ثم تغدى وتغدى الناس ورجع قال وقدم علباء بن منظور الليثى على هشام فأنشده

قالت عُلَيَّةُ واعتزمتُ لرحلة * زَوْراء بالأذنين ذات تَسَدُّرِ
أين الرحيلُ وأهلُ بيتكَ كلُّهم * كلٌّ عليكَ كبيرُهم كالأصغرِ

فأصاغر أمثال سلكان القطا * لا فى ثرى مال ولا فى معشر
إنى إلى ملك الشآم لراحل * وإليه يرحل كل عبد موقر
فلأتركنك إن حبيت غنية * بندى الخليفة ذى الفعال الازهر
إنا أناس ميت ديواننا * ومتى يصبه ندى الخليفة ينشر

فقال له هشام هذا الذى كنت تحاول وقد أحسنت المسئلة فأمر له بخمسمائة درهم وألحق له عيلا فى العطاء قال وأتى هشاما محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال مالك عندى شئ ثم قال اياك أن يغرك أحد فيقول لم يعرفك أمير المؤمنين انى قد عرفتك أنت محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فلا تقيمن وتنفق ما معك فليس لك عندى صلة فالحق بأهلك قال وقف هشام يوما قريبا من حائط له فيه زيتون ومعه عثمان بن حيان المرى وعثمان قائم يكاد رأسه يوازى رأس أمير المؤمنين وهو يكلمه اذ سمع نقض الزيتون فقال لرجل انطلق اليهم فقل لهم ألقطوه لقطا ولا تنفضوه نفضا فتتفقأ عيونه وتتكسر غصونه قال وحج هشام فأخذ الابرش مخنثين ومعهم البرابط فقال هشام احبسوهم وبيعوا متاعهم فما أدرى ما هو وصيروا ثمنه فى بيت المال فاذا صلحوا فردوا عليهم الثمن وكان هشام بن عبد الملك ينزل الرصافة وهى فيما ذكر من أرض قنسرين وكان سبب نزوله اياها فيما حدثنى أحمد بن زهير بن حرب عن على بن محمد قال كان الخلفاء وابناء الخلفاء ينتبذون ويهربون من الطاعون فينزلون البرية خارجا عن الناس فلما أراد هشام أن ينزل الرصافة قيل له لا تخرج فان الخلفاء لا يطعنون لم ير خليفة طعن قال أتريدون أن تجربوا بى فنزل الرصافة وهى برية ابتنى بها قصرين والرصافة مدينة رومية بنتها الروم وكان هشام أحول ✿ حدثنى أحمد عن على قال بعث خالد بن عبد الله الى هشام بن عبد الملك بجراد فجعل بين يديه بأرجوزة أبى النجم

والشمس فى الافق كعين الأحول * صفراء قد همت ولما تفعل

فغضب هشام وطرده ✿ وحدثنى أحمد بن زهير قال حدثنى على بن محمد قال حدثنا أبو عاصم الضبى قال مر بى معاوية بن هشام وأنا أنظر اليه فى رحبة أبى شريك وأبو شريك رجل من العجم كانت تنسب اليه وهى مزرعة وقد اختبز خبزة فوقف على فقلت الغداء فنزل وأخرجها فوضعها فى لبن فأكل ثم جاء الناس فقلت من هذا قالوا معاوية بن هشام فأمر لى بصلة وركب وثار بين يديه ثعلب فركض خلفه فما تبعه غلوة حتى عثر به فرسه فسقط فاحتملوه ميتا فقال هشام تالله لقد أجمعت أن أرشحه للخلافة ويتبع ثعلبا قال وكانت عند معاوية بن هشام ابنة اسماعيل بن جرير وامرأة أخرى فأخرج هشام كل واحدة منهما من نصف الثمن بأربعين ألفا ✿ حدثنى أحمد بن زهير قال حدثنا على قال قال

فحذم كاتب يوسف بعشني يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمراء تخرج طرفاها من كفي ولؤلؤ حبُّه أعظم ما يكون من اللؤلؤ فدخلت عليه فدنوت منه فلم أر وجهه من طول السرير وكثرة الفرش فتناول الحجر والحبَّة فقال أكتب معك بوزنهما قلت يا أمير المومنين هما أجل عن أن يكتب بوزنهما ومن أين يوجد مثلهما قال صدقت وكانت الياقوتة للرائقة جارية خالد بن عبد الله اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار ❁ حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا ابراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثنا حسين بن يزيد عن شهاب بن عبد ربه عن عمرو بن علي قال مشيت مع محمد بن علي الى داره عند الحمام فقلت له انه قد طال ملك هشام وسلطانه وقد قرب من العشرين وقد زعم الناس أن سليمان سأل ربه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فزعم الناس أنها العشرون فقال ما أدري ما أحاديث الناس ولكن أبي حدثني عن أبيه عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يعمر الله ملكا في أمة نبي مضى قبله ما بلغ ذلك النبي من العمر (وفي هذه السنة) ولي الخلافة بعد موت هشام بن عبد الملك الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وليها يوم السبت في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥ في قول هشام بن محمد الكلبي وأما محمد بن عمر فانه قال استُخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الاربعاء لستّ خلون من شهر ربيع الآخر من سنة ١٢٥ وقال في ذلك علي بن محمد مثل قول محمد بن عمر

﴿ خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ﴾

﴿ ذكر الخبر عن بعض أسباب ولايته الخلافة ﴾

قد مضى ذكري سبب عقد أبيه يزيد بن عبد الملك بن مروان له الخلافة بعد أخيه هشام ابن عبد الملك وكان الوليد بن يزيد يوم عقد له أبوه يزيد ذلك ابن احدى عشرة سنة فلم يمت يزيد حتى بلغ ابنه الوليد خمس عشرة سنة فندم يزيد على استخلافه هشاما أخاه بعده وكان اذا نظر الى ابنه قال الله بيني وبين من جعل هشاما بيني وبينك فتوفي يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة وولي هشام وهو للوليد مكرم معظم مقرب فلم يزل ذلك من أمرهما حتى ظهر من الوليد بن يزيد مجون وشرب الشراب حمله على ذلك فيما حدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد عن جويرية بن أسماء واسحاق بن أيوب وعامر بن الاسود وغيرهم عبد الصمد بن عبد الاعلى الشيباني أخو عبد الله بن عبد الاعلى وكان مؤدب الوليد واتخذ الوليد ندماء فأراد هشام أن يقطعهم عنه فولاه الحج سنة ١١٩ فحمل معه كلابا في صناديق فسقط منها صندوق فيها ذكر علي بن محمد عمن سميت من شيوخه عن البعير وفيه كلب فأجالوا على الكرى السياط فأوجعوه ضربا وحمل معه قبة عملها على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة وحمل معه خمرا وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ويجلس فيها فخوفه أصحابه وقالوا لا نأمن الناس عليك وعلينا معك فلم يحر كها وظهر للناس منه تهاون بالدين واستخفاف به وبلغ ذلك هشاما فطمع في خلعه والبيعة لابنه مسلمة بن هشام

وأراده على أن يخلعها ويبايع لمسلمة فأبى فقال له اجعلها له من بعدك فأبى فتنكّر له هشام وأضرّ به وعمل سرّا في البيعة لابنه فأجابه قوم قال فكان ممن أجابه خالاه محمد وابراهيم ابنا هشام بن اسماعيل المخزومي وبنو القعقاع بن خليد العبسي وغيرهم من خاصته قال وتمادى الوليد في الشراب وطلب اللذات فأفرط فقال له هشام ويحك ياوليد والله ما أدري أعلى الاسلام أنت أم لا ما تدع شيأ من المنكر الا أتيته غير متحاش ولا مستتر به فكتب اليه الوليد

يا أيها السائلُ عن ديننا * نحن على دين أبي شاكرِ
نشربها صِرْفا وممزوجةً * بالسُّخن أحيانا وبالفاترِ

فغضب هشام على ابنه مسلمة وكان يكنى أبا شاكر وقال له يعيّرني بك الوليد وأنا أرشحك للخلافة فالزم الادب واحضر الجماعة وولاه الموسم سنة ١١٩ فأظهر النسك والوقار واللين وقسم بمكة والمدينة أموالا فقال مولى لاهل المدينة

يا أيها السائلُ عن ديننا * نحن على دين أبي شاكر
الواهبِ الجُرْدَ بأرسانها * ليس بزنديقٍ ولا كافرِ

يعرّض بالوليد وأمّ مسلمة بن هشام أمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاص فقال الكميت

إن الخلافةَ كانتْ أوتادُها * بعدَ الوليدِ الى ابنِ أمِّ حكيم

فقال خالد بن عبد الله القسري أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاكر فغضب مسلمة بن هشام على خالد فلما مات أسد بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله كتب أبو شاكر الى خالد بن عبد الله بشعر هجابه نوفل خالد وأخاه أسدا حين مات

أراحَ من خالدٍ وأهلكه * ربٌّ أراحَ العبادَ من أسدِ
أمّا أبوهُ فكان مُؤتشبًا * عبدَ الثيالِ عُبِدَ قفدِ

وبعث بالطومار مع رسول على البريد الى خالد فظن أنه عزاه عن أخيه ففض الخاتم فلم ير في الطومار غير الهجاء فقال ما رأيت كاليوم تعزيةً وكان هشام يعيب الوليد وينتقصه وكثر عبثه به وبأصحابه وتقصيره به فلما رأى ذلك الوليد خرج وخرج معه ناس من خاصته ومواليه فنزل بالأزرق بين أرض بلقين وفزارة على ماء يقال له الاغدف وخلف كاتبه عياض بن مسلم مولى عبد الملك بن مروان بالرصافة فقال له اكتب الىّ ما يحدث قبلكم وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الاعلى فشربوا يوما فلما أخذ فيهم الشرابُ قال الوليد لعبد الصمد يا أبا وهب قل أبياتا فقال

ألم ترَ للنجمِ إذ شيّعا * يُبادرُ في بُرجهِ المَرْجعا

تحيّر عن قصد مجرانه * أتى الغور والتمس المطلعا
فقلت وأعجبني شأنه * وقد لاح اذ لاح لي مظمعا
لعلّ الوليد دنا ملكه * فأمسى اليه قد استجمعا
وكنا نؤمل في ملكه * كتأميل ذي الجدب أن يمرعا
عقدنا له محكمات الأمو * ر طوعا فكان لها موضعا

ورُوي الشعر فبلغ هشاما فقطع عن الوليد ما كان يُجرى عليه وكتب الى الوليد بلغني عنك انك اتخذت عبد الصمد خدنا ومحدّثا ونديما وقد حقّق ذلك عندي ما بلغني عنك ولم أبرئك من سوء فأخرج عبد الصمد مذموما مدحورا فأخرجه وقال فيه

لقد قذفوا أباوهب بأمر * كبير بل يزيد على الكبير
فأشهد أنهم كذبوا عليه * شهادة عالم بهم خبير

وكتب الوليد الى هشام يُعلمه اخراج عبد الصمد واعتذر اليه مما بلغه من منادمته وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج اليه وكان ابن سهيل من أهل اليمن وقد ولي دمشق غير مرّة وكان ابن سهيل من خاصّة الوليد فضرب هشام ابن سهيل وسيّره وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد وبلغه أنه يكتب بالاخبار الى الوليد فضربه ضربا مبرّحا وألبسه المسوح فبلغ الوليد فقال من يثق بالناس ومن يصطنع المعروف هذا الاحول المشؤم قدّمه أبي على أهل بيته فصيّره ولي عهده ثم يصنع بي ما ترون لا يعلم أن لي في أحد هوى الا عبث به كتب الى أن أخرج عبد الصمد فأخرجته وكتبت اليه أن يأذن لابن سهيل في الخروج الى فضربه وسيّره وقد علم رأيي فيه وقد علم انقطاع عياض بن مسلم الي وتحرّمه بي ومكانه مني وانه كاتبي فضربه وحبسه يضارّني بذلك اللهم أجرني منه وقال

أنا النذير لمسدي نعمة أبدا * إلى المقاريف مالم يخبر الدخلا
إن أنت أكرمتهم ألفيتهم بطرا * وإن أهنتهم ألفيتهم ذللا
أتشمخون ومنا رأس نعمتكم * ستعلمون إذا كانت لنا دولا
أنظر فإن كنت لم تقدر على مثل * له سوى الكلب فاضرب به له مثلا
بينا يسمّنه للصيد صاحبه * حتى إذا ما نوى من بعد ما هزلا
عدا عليه فلم تضرّه عدوته * ولو أطاق له أكلا لقد أكلا

وكتب الى هشام لقد بلغني الذي أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عني ومحو ما محا من أصحابي وحرمي وأهلي ولم أكن أخاف أن يبتلي الله أمير المؤمنين بذلك ولا أبالي به منه فان يكن ابن سهيل كان منه ما كان فحسب العير أن يكون قدر الذئب ولم يبلغ من صنيعي في ابن سهيل واستصلاحه وكتابي الى أمير المؤمنين فيه كنه ما بلغ أمير المؤمنين من

قطيعتي فان يكن ذلك لشيء في نفس أمير المؤمنين عليّ فقد سبّب الله لي من العهد وكتب لي من العُمر وقسم لي من الرزق مالا يقدر أحد دون الله على قطع شيء منه دون مدّته ولا صرف شيء عن مواقعه فقدر الله يجري بمقاديره فيما أحبّ الناس أو كرهوا ولا تأخير لعاجله ولا تعجيل لآجله فالناس بين ذلك يقترفون الآثام على نفوسهم من الله أو يستوجبون الاجور عليه وأمير المؤمنين أحقّ أمّته بالبصر بذلك والحفظ له والله الموفق لأمير المؤمنين لحسن القضاء له في الامور فقال هشام لأبي الزُّبير يا نَسطاس أترى الناس يرضون بالوليد ان حدث بي حدث قال بل يطيل الله عمرك يا أمير المؤمنين قال ويحك لابدّ من الموت افترى الناس يرضون بالوليد قال يا أمير المؤمنين ان له في أعناق الناس بيعة فقال هشام لئن رضي الناس بالوليد ما أظنّ الحديث الذي رواه الناس أن من قام بالخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار الا باطلا وكتب هشام الى الوليد قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قطع ما قطع عنك وغير ذلك وأمير المؤمنين يستغفر الله من اجرائه ما كان يجري عليك وأمير المؤمنين أخوف على نفسه من اقتراف المآثم عليها في الذي كان يجري عليك منه في الذي أحدث من قطع ما قطع ومحو ما محا من صحابتك لامرين أمّا أحدهما فإيثار أمير المؤمنين اياك بما كان يجري عليك وهو يعلم وضعك له وإنفاقك في غير سبيله وأما الآخر فاثبات صحابتك وإدرار أرزاقهم عليهم لاينالهم ماينال المسلمين في كلّ عام من مكروه عند قطع البعوث وهم معك تجول بهم في سفهك ولأمير المؤمنين أحرى في نفسه للتقصير في القتر عليك منه للاعتداء عليك فيها مع ان الله قد نصر أمير المؤمنين في قطع ما قطع عنك من ذلك ما يرجو به تكفير ما يتخوّف مما سلف فيه منه وأما ابن سهيل فلعمري لئن كان نزل منك بما نزل وكان أهلا ان تُسَرّ فيه أو تساء ما جعله الله كذلك وهل زاد ابن سهيل لله أبوك على أن كان مغنياز فانا قد بلغ في السفه غايته وليس ابن سهيل مع ذلك بشرّ ممن تستصحبه في الامور التي يكرم أمير المؤمنين نفسه عن ذكرها مما كنت لعمر الله أهلا للتوبيخ به ولئن كان أمير المؤمنين على ظنك به في الحرص على فسادك انك اذا بغيرا لله عن هوى أمير المؤمنين من ذلك وأما ما ذكرت مما سبّب الله لك فان الله قد ابتدأ أمير المومنين بذلك واصطفاه له والله بالغ أمره لقد أصبح أمير المؤمنين وهو على اليقين من ربه انه لا يملك لنفسه فيما أعطاه من كرامته ضرّا ولا نفعا وان الله ولي ذلك منه وانه لابدّ له من مزايلته والله أرأف بعباده وأرحم من أن يولي أمرهم غير الرضي له منهم وان أمير المؤمنين من حسن ظنه بربه لعلى أحسن الرجاء أن يوليه تسبيب ذلك لمن هو أهله في الرضا له به ولهم فان بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبلغه ذكره أو يؤديه شكره الا بعون منه ولئن كان قد لأمير المؤمنين تعجيل وفاة ان في الذي هو مفض اليه ان شاء

الله من كرامة الله خلفا من الدنيا ولعمرى ان كتابك الى أمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر من سفهك وحمقك فاربع على نفسك من غلوائها وارقأ على ظلعك فان لله سطوات وعينا يصيب بذلك من يشاء ويأذن فيه لمن يشاء ممن شاء الله وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الامور اليه وأرضاها له فكتب الوليد الى هشام

رأيتك تبني جاهدا في قطيعتي * فلو كنت ذا إرب لهدمت ما تبني
تشير على الباقين مجني ضغينة * فويل لهم إن مت من شر ما تجني
كأني بهم والليت أفضل قولهم * ألا ليتنا والليت إذ ذاك لا يغني
كفرت يد امن منعم لو شكرتها * جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن

قال فلم يزل الوليد مقيما في تلك البرية حتى مات هشام فلما كان صبيحة اليوم الذي جاءته فيه الخلافة أرسل الى أبي الزبير المنذر بن أبي عمرو فأتاه فقال له يا أبا الزبير ما أتت على ليلة منذ عقلت عقلي أطول من هذه الليلة عرضت لي هموم وحدثت نفسي فيها بأمور من أمر هذا الرجل قد أولع بي يعني هشاما فاركب بنا نتنفس فركبا فسارا ميلين ووقف على كثيب وجعل يشكو هشاما اذ نظر الى رهج فقال هؤلاء رسل هشام نسأل الله من خيرهم اذ بدا رجلان على البريد مقبلان أحدهما مولى لأبي محمد السفياني والآخر جردبة فلما قربا أتيا الوليد فنزلا يعدوان حتى دنيا منه فسلما عليه بالخلافة فوجم وجعل جردبة يكرر عليه السلام بالخلافة فقال ويحك أمات هشام قال نعم قال فمن كتابك قال من مولاك سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل فقرأ الكتاب فانصرفا فدعا مولى أبي محمد السفياني فسأله عن كاتبه عياض ابن مسلم فقال يا أمير المؤمنين لم يزل محبوسا حتى نزل بهشام أمر الله فلما صار في حد لا ترجى الحياة لمثله أرسل عياض الى الخزان ان احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلن أحد منه الى شيء وأفاق هشام افاقة فطلب شيأ فمنعوه فقال أرانا كنا خزانا للوليد ومات من ساعته وخرج عياض من السجن فختم أبواب الخزائن وأمر بهشام فأنزل عن فرشه فما وجدوا له فقما يسخن له فيه الماء حتى استعاروه ولا وجدوا كفنا من الخزائن فكفنه غالب مولى هشام فكتب الوليد الى العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ان يأتي الرصافة فيحصي ما فيها من أموال هشام وولده ويأخذ عماله وحشمه الا مسلمة بن هشام فانه كتب اليه ان لا يعرض له ولا يدخل منزله فانه كان يكثر ان يكلم أباه في الرفق به ويكفه عنه فقدم العباس الرصافة فأحكم ما كتب به اليه الوليد وكتب الى الوليد يأخذ بني هشام وحشمه واحصاء أموال هشام فقال الوليد

ليت هشاما كان حيا يرى * مخلبه الأوفر قد أترعا

﴿ويروى﴾

لَيْتَ هشاعاشَ حتى يرى * مكيالَهُ الأوفرَ قد طُبِّعا
كِلناهُ بالصاعِ الذى كاله * وما ظلمْناهُ به إصبعا
وما أتيناذاكَ عَنْ بدعةٍ * أحللهُ الفرقانُ لى أجمعا

فاستعمل الوليد العمال وجاءته بيعته من الآفاق وكتب اليه العمال وجاءته الوفود وكتب اليه مروان بن محمد بارك الله لأمير المؤمنين فيما أصاره اليه من ولاية عباده ووراثة بلاده وكان من تغشى غمرة سكرة الولاية ماحمل هشاما على ماحاول من تصغير ماعظم الله من حق أمير المؤمنين ورام من الامر المستصعب عليه الذى أجابه اليه المدخولون فى آرائهم وأديانهم فوجدوا ماطمع فيه مستصعبا وزاحمته الاقدار بأشد منا كبها وكان أمير المؤمنين بمكان من الله حاطه فيه حتى ازره بأكرم مناطق الخلافة فقام بما أراه الله له أهلا ونهض مستقلا بما حمل منها مثبتة ولايته فى سابق الزبر بالاجل المسمى خصه الله بها على خلقه وهو يرى حالاتهم فقلده طوقها ورمى اليه بأزمة الخلافة وعصم الامور فالحمد لله الذى اختار أمير المؤمنين لخلافته ووثائق عرى دينه وذب له عما كاده فيه الظالمون فرفعه ووضعهم فمن أقام على تلك الخسيسة من الامور أوبق نفسه وأسخط ربه ومن عدلته التوبة نازعا عن الباطل الى حق وجد الله توابا رحيما أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله انى عندما انتهى الىّ من قيامه بولاية خلافة الله نهضت الى منبرى على سيفان مستعدا بهما لاهل الغش حتى أعلمت من قبلى ما امتن الله به عليهم من ولاية أمير المؤمنين فاستبشر والذلك وقالوا لم تأتنا ولاية خليفة كانت آمالنا فيها أعظم ولاهنى لنا أسر من ولاية أمير المؤمنين وقد بسطت يدى لبيعتك فجددتها ووكدتها بوثائق العهود وترداد المواثيق وتغليظ الايمان فكلهم حسنت اجابتهم وطاعتهم فأثبهم يا أمير المؤمنين بطاعتهم من مال الله الذى آتاك فانك أجودهم جودا وأبسطهم يدا وقد انتظروك راجين فضلك قبلهم بالرحم الذى استرحموك وزدهم زيادة يفضل بها من كان قبلك حتى يظهر بذلك فضلك عليهم على رعيتك ولولا ما أحاول من سد الثغر الذى أنابه خفت ان يحملنى الشوق الى أمير المؤمنين ان استخلف رجلا على غير أمره واقدم لمعاينة أمير المؤمنين فانها لا يعدلها عندى عادل نعمة وان عظمت فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لى فى المسير اليه لأشافهه بأمور كرهت الكتاب بها فعل فلما ولى الوليد أجرى على زمنى أهل الشأم وعميانهم وكساهم وأمر لكل انسان منهم بخادم وأخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة وزادهم على ما كان يخرج لهم هشام وزاد الناس جميعا فى العطاء عشرة عشرة ثم زاد أهل الشأم بعد زيادة العشرات عشرة عشرة لأهل الشأم خاصة وزاد من وفد اليه من أهل بيته فى جوائزهم الضعف وكان وهو ولى عهد يطعم من وفد اليه من أهل الصائفة فاقلا ويطعم من صدر عن الحج بمنزل يقال له زيزاء ثلاثة أيام ويعلف دوابهم ولم يقل فى

شيء يسأله لا فقيل له ان فى قولك أنظر عدة ما يقيم عليها الطالب فقال لا أعود لسانى شيأ لم أعتده وقال

ضمنت لكم إن لم تعفني عوائق * بأن سماء الضر عنكم ستقلع
سيوشك إلحاق معا وزيادة * وأعطية منى عليكم تبرع
محرم ديوانكم وعطاؤكم * به يكتب الكتاب شهرا وتطبع

﴿وفى هذه السنة﴾ عقد الوليد بن يزيد لابنيه الحكم وعثمان البيعة من بعده وجعلهما وليى عهده أحدهما بعد الآخر وجعل الحكم مقدما على عثمان وكتب بذلك الى الامصار وكان ممن كتب اليه بذلك يوسف بن عمر وهو عامل الوليد يومئذ على العراق وكتب بذلك يوسف الى نصر بن سيار وكانت نسخة الكتاب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن عمر الى نصر ابن سيار أما بعد فانى بعثت اليك نسخة كتاب أمير المؤمنين الذى كتب به الى من قبلى الذى ولى الحكم ابن أمير المؤمنين وعثمان ابن أمير المؤمنين من العهد بعده مع عقال بن شبة التميى وعبد الملك القينى وأمرتهما بالكلام فى ذلك فاذا قدما عليك فاجمع لقراءة كتاب أمير المؤمنين الناس ومرهم فليحشدوا له وقم فيهم بالذى كتب أمير المؤمنين فاذا فرغت فقم بقراءة الكتاب وأذن لمن أرادان يقوم بخطبة ثم بايع الناس لهما على اسم الله وبركته وخذ عليهم بالمواثيق على الذى نسخت لك فى آخر كتابى هذا الذى نسخ لنا أمير المؤمنين فى كتابه فافهمه وبايع عليه نسأل الله ان يبارك لامير المؤمنين ورعيته فى الذى قضى لهم على لسان أمير المؤمنين وان يصلح الحكم وعثمان ويبارك لنا فيهما والسلام عليك وكتب النصر يوم الخميس للنصف من شعبان سنة خمس وعشرين ومائة بسم الله الرحمن الرحيم تبايع لعبد الله الوليد أمير المؤمنين والحكم ابن أمير المؤمنين ان كان من بعده وعثمان ابن أمير المؤمنين ان كان بعد الحكم على السمع والطاعة وان حدث بواحد منهما حدث فأمير المؤمنين أملك فى ولده ورعيته يقدم من أحب ويؤخر من أحب عليك بذلك عهد الله وميثاقه فقال الشاعر فى ذلك

نؤمل عثمان بعد الوليد * للعهد فينا ونرجو يزيدا
كما كان إذ ذاك فى ملكه * يزيد يرجى لذاك الوليدا
على أنها شسعت شسعة * فنحن نؤملها أن تعودا
فإن هى عادت فأوصى القريب * عنها اليؤيس منها البعيدا

قال أحمد قال على عن شيوخه الذين ذكرت فقدم عقال بن شبة وعبد الملك بن نعيم على نصر وقد ما بالكتاب وهو أما بعد فان الله تباركت أسماؤه وجل ثناؤه وتعالى ذكره اختار الاسلام دينا لنفسه وجعله خير خيرته من خلقه ثم اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس فبعثهم به

وأمرهم به وكان بينهم وبين من مضى من الامم وخلا من القرون قرنا فقرنا يدعون الى التى هى أحسن ويهدون الى صراط مستقيم حتى انتهت كرامة الله فى نبوته الى محمد صلوات الله عليه على حين دروس من العلم وعمى من الناس وتشتيت من الهوى وتفرق من السبل وطموس من أعلام الحق فأبان الله به الهدى وكشف به العمى واستنقذ به من الضلالة والردى وأبهج به الدين وجعله رحمة للعالمين وختم به وحيه وجمع له ما أكرم به الانبياء قبله وقفى به على آثارهم مصدقا لما نزل معهم ومهيمنا عليه وداعيا اليه وآمرا به حتى كان من أجابه من أمته ودخل فى الدين الذى أكرمهم الله به مصدقين لما سلف من أنبياء الله فيما يكذبهم فيه قومهم منتصحين لهم فيما ينهونه ذابين لحرمهم عما كانوا منتهكين معظمين منها لما كانوا مصغرين فليس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحد كان يسمع لأحد من أنبياء الله فيما بعثه الله به مكذبا ولا عليه فى ذلك طاعنا ولا له مؤذيا يتسفيه له أو رد عليه اذ جحد لما أنزل الله عليه معه فلم يبق كافرا الا استحل بذلك دمه وقطع الاسباب التى كانت بينه وبينه وان كانوا آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتهم ثم استخلف خلفاءه على منهاج نبوته حين قبض نبيه صلى الله عليه وسلم وختم به وحيه لانفاذ حكمه واقامة سنته وحدوده والاخذ بفرائضه وحقوقه تأييدا بهم للاسلام وتشييدا بهم لعراه وتقوية بهم لقوى حبله ودفعا بهم عن حريمه وعدلا بهم بين عباده واصلاحا بهم لبلاده فانه تبارك وتعالى يقول ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين فتتابع خلفاء الله على ما أورثهم الله عليه من أمر أنبيائه واستخلفهم عليه منه لا يتعرض لحقهم أحد الا صرعه الله ولا يفارق جماعتهم أحد الا أهلكه الله ولا يستخف بولايتهم ويتهم قضاء الله فيهم أحد الا أمكنهم الله منه وسلطهم عليه وجعله نكالا وموعظة لغيره وكذلك صنع الله بمن فارق الطاعة التى أمر بلزومها والاخذ بها والائرة لها والتى قامت بها السموات والارض قال الله تبارك وتعالى ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقال عز ذكره وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون فبالخلافة أبقى الله من أبقى فى الارض من عباده والبها صيره وبطاعة من ولاه اياها سعد من ألهمها ونصرها فان الله عز وجل علم أن لا قوام لشئ ولا صلاح له الا بالطاعة التى يحفظ الله بها حقه ويمضى بها أمره وينكل بها عن معاصيه ويوقف عن محارمه ويذب عن حرماته فمن أخذ بحظه منها كان لله وليا ولأمره مطيعا ولرشده مصيبا ولعاجل الخير وآجله مخصوصا ومن تركها ورغب عنها وحاد الله فيها أضاع نصيبه وعصى ربه وخسر دنياه وآخرته وكان ممن غلبت عليه الشقوة واستحوذت عليه الامور الغاوية التى تورد أهلها أفظع المشارع وتقودهم الى شر المصارع فيما

يحل الله بهم فى الدنيا من الذلة والنقمة ويصيرهم فيما عندهم من العذاب والحسرة والطاعة رأس هذا الامر وذروته وسنامه وزمامه وملاكه وعصمته وقوامه بعد كلمة الاخلاص التى ميز الله بها بين العباد وبالطاعة نال المفلحون من الله منازلهم واستوجبوا عليه ثوابهم وفى المعصية مما يحل بغيرهم من نقمائه وتصييرهم عليه ويحق من سخطه وعذابه وينزل بالطاعة والاضاعة لها والخروج منها والادبار عنها والتبدل بها أهلك الله من ضل وعتا وعمى وغلا وفارق مناهج البر والتقوى فالزموا طاعة الله فيما عراكم ونالكم وألم بكم من الامور وناصحوها واستوثقوا عليها وسارعوا اليها وخالصوها وابتغوا القربة الى الله بها فانكم قد رأيتم مواقع قضاء الله لاهلها فى اعلائه اياهم وافلاجه حجتهم ودفعه باطل من حادهم وناواهم وساماهم وأراد اطفاء نور الله الذى معهم وخبرتم مع ذلك ما يصير اليه أهل المعصية من التوبيخ لهم والتقصير بهم حتى يؤول أمرهم الى تبار وصغار وذلة وبوار وفى ذلك لمن كان له رأى وموعظة عبرة ينتفع بواضحها ويتمسك بحظوتها ويعرف خيرة قضاء الله لاهلها ثم ان الله وله الحمد والمن والفضل هدى الامة لأفضل الامور عافية لها فى حقن دمائها والتئام ألفتها واجتماع كلمتها واعتدال عمودها واصلاح دهمائها وذخر النعمة عليها فى دنياها بعد خلافته التى جعلها لهم نظاما ولامرهم قواما وهو العهد الذى ألهم الله خلفاءه توكيده والنظر للمسلمين فى جسيم أمرهم فيه ليكون لهم عند ما يحدث بخلفائهم ثقة فى المفزع وملتجأ فى الامر ولما للشعث وصلاحا لذات البين وتثبيتا لأرجاء الاسلام وقطعا لنزغات الشيطان فيما يتطلع اليه أولياؤه ويوثبهم عليه من تلف هذا الدين وانصداع شعب أهله واختلافهم فيما جمعهم الله عليه منه فلا يريهم الله فى ذلك الا ما ساءهم وأكذب أمانيهم ويجدون الله قد أحكم بما قضى لأوليائه من ذلك عقد أمورهم ونفى عنهم من أراد فيها إدغالا أو بها إغلالا أو لما شدد الله منها توهينا أو فيما تولى الله منها اعتماد افأكمل الله بها لخلفائه وحزبه البر الذين أودعهم طاعته أحسن الذى عودهم وسبب لهم من اعزازه واكرامه واعلائه وتمكينه فأمر هذا العهد من تمام الاسلام وكمال ما استوجب الله على أهله من المنن العظام ومما جعل الله فيه لمن أجراه على يديه وقضى به على لسانه ووفقه لمن ولاه هذا الامر عنده أفضل الذخر وعند المسلمين أحسن الاثر فيما يؤثر بهم من منفعته ويتسع لهم من أمنه ويستندون اليه من عزه ويدخلون فيه من وزره الذى يجعل الله لهم به منعة ويحرزهم به من كل مهلكة ويجمعهم به من كل فرقة ويقمع به أهل النفاق ويعصمهم به من كل احتلاف وشقاق فاحمدوا الله ربكم الرؤف بكم الصانع لكم فى أموركم على الذى دلكم عليه من هذا العهد الذى جعله لكم سكنا ومعولا تطمئنون اليه وتستظلون فى أفنائه ويستنهج لكم به مثنى أعناقكم وسمت وجوهكم وملتقى نواصيكم فى أمر دينكم ودنياكم فان لذلك خطرا عظيما من النعمة وان فيه من الله بلاء حسنا فى سعة العافية يعرفه ذوو الالباب والنيات المريئون من أعمالهم فى العواقب والعارفون

منار مناهج الرشد فانتم حقيقون بشكر الله فيما حفظ به دينكم وأمر جماعتكم من ذلك جدير ون بمعرفة كنه واجب حقه فيه وحمده على الذى عزم لكم منه فلتكن منزلة ذلك منكم وفضيلته فى أنفسكم على قدر حسن بلاء الله عندكم فيه ان شاء الله ولا قوة الا بالله ثم ان أمير المؤمنين لم يكن منذ اسـ تخلفه الله بشئ من الامور أشد اهتماما وعناية منه بهـذا العهد لعلمه بمنزلتـه من أمر المسلمين وما أراهم الله فيـه من الامور التى يغبطون ويكرمهم فيما يقضى لهم ويختار له ولهم فيه جهده ويستقضى له ولهم فيه إلهه ووليه الذى بيده الحكم وعنده الغيب وهو على كل شئ قدير ويسأله ان يعينه من ذلك على الذى هو أرشد له خاصة وللمسلمين عامة فرأى أمير المؤمنين ان يعهد لكم عهدا بعد عهد تكونون فيه على مثل الذى كان عليه من كان قبلكم فى مهلة من انفساح الأمل وطمأنينة النفس وصـلاح ذات البين وعلم موضع الامر الذى جعله الله لأهله عصمة ونجاة وصـلاحا وحياة ولكل منافق وفاسق يحب تلف هذا الدين وفساد أهله وقاوخسارا وقد عافى أمير المؤمنين ذلك الحكم ابن أمير المؤمنين وعثمان ابن أمير المؤمنين من بعده وهما ممن يرجو أمير المؤمنين ان يكون الله خلقه لذلك وصاغه له وأكمل فيه أحسن مناقب من كان يوليه اياه فى وفاء الرأى وصحة الدين وجزالة المروءة والمعرفة بصالح الامور ولم يألكم أمير المؤمنين ولا نفسـه فى ذلك اجتهادا وخـيرا فبايعوا للحكم ابن أمير المؤمنـين باسم الله وبركته ولأخيه من بعـده على السمع والطاعة واحتسبوا فى ذلك أحسن ما كان الله يريكم ويبليكم ويعوّدكم ويعرّفكم فى اشباهه فيما مضى من اليسر الواسع والخير العام والفضل العظـيم الذى أصبحتم فى رجائه وخفضه وأمنه ونعمته وسـلامته وعصمته فهو الامر الذى استبطأتموه واستسرعتم اليـه وحمدتم الله على امضائه اياه وقضائه لكم وأحدثتم فيه شكرا ورأيتموه لكم حظا تستبقونه وتجهدون أنفسكم فى أداء حق الله عليكم فانه قد سبق لكم فى ذلك من نعم الله وكرامته وحسن قسمه ما أنتم حقيقون ان تكون رغبتكم فيه وحـدبكم عليـه على قدر الذى أبلاكم الله وصـنع لكم منه وأمير المؤمنين مع ذلك ان حدث بواحد من ولى عهده حَدَثٌ أولى بان يجعـل مكانه وبالمنزل الذى كان به من أحب ان يجعل من أمته أو ولده ويقدمه بين يدى الباقى منهـما ان شاء أو ان يؤخره بعـده فاعلموا ذلك وافهموه نسأل الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ان يبارك لأمير المؤمنين ولكم فى الذى قضى به على لسانه من ذلك وقدر منـه وان يجعل عاقبته عافيـة وسرورا وغبطة فان ذلك بيده ولا يملكه الا هو ولا يرغب فيه الا اليـه والسلام عليكم ورحمة الله وكتب سمال يوم الثلاثاء لثمان بقين من رجب سنة خمس وعشرين ومائة ﴿وفى هذه السنة﴾ ولى الوليد نصر بن سيار خراسان كلها وأفرده بها ﴿وفيها﴾ وفد يوسف بن عمر على الوليـد فاشترى نصرا وعماله منه فرد اليه الوليـد ولاية خراسان ﴿وفى هذه السنة﴾ كتب يوسف بن عمر الى نصر بن سيار يأمره بالقدوم عليه ويحمل معه

ماقدر عليه من الهدايا والاموال

﴿ذكر الخبر عما كان من أمر يوسف ونصر فى ذلك﴾

* ذكر على عن شيوخه أن يوسف كتب الى نصر بذلك وأمره أن يقدم معه بعياله أجمعين فلما أتى نصرا كتابه قسم على أهل خراسان الهدايا وعلى عماله فلم يدع بخراسان جارية ولا عبدا ولا برذونا فارها الا أعده واشترى ألف مملوك وأعطاهم السلاح وحملهم على الخيل قال وقال بعضهم كان قد أعد خمسمائة وصيفة وأمر بصنعة أباريق الذهب والفضة وتماثيل الظباء ورؤس السباع والايايل وغير ذلك فلما فرغ من ذلك كله كتب اليه الوليد يستحثه فسرح الهدايا حتى بلغ أوائلها بيهق فكتب اليه الوليد يأمره أن يبعث اليه ببرابط وطنابير فقال بعض شعرائهم

أبشر يا أمين الله أبشر بتباشير * بإبل يحمل المال
عليها كالأنابير * بغال تحمل الخمر * حقائبها طنابير
ودل البربريات * بصوت البم والزير * وقرع الدف أحيانا
ونفخ بالمزامير * فهذا لك فى الدنيا * وفى الجنة تخبير

قال وقدم الازرق بن قرة المسمعي من الترمذ أيام هشام على نصر فقال لنصرانى أريت الوليد بن يزيد في المنام وهو ولي عهد شبه الهارب من هشام ورأيته على سرير فشرب عسلا وسقانى بعضه فأعطاه نصر أربعة آلاف دينار وكسوة وبعثه الى الوليد وكتب اليه نصر فأتى الازرق الوليد فدفع اليه المال والكسوة فسر بذلك الوليد وألطف الازرق وجزى نصرا خيرا وانصرف الازرق فبلغه قبل أن يصل الى نصر موت هشام ونصر لا علم له بما صنع الازرق ثم قدم عليه فأخبره فلما ولى الوليد كتب الى الازرق والى نصر وأمر رسوله أن يبتدئ بالازرق فيدفع اليه كتابه فأتاه ليلا فدفع اليه كتابه وكتاب نصر فلم يقرأ الازرق كتابه وأتى نصرا بالكتابين فكان فى كتاب الوليد الى نصر يأمره أن يتخذ له برابط وطنابير وأباريق ذهب وفضة وأن يجمع له كل صناجة بخراسان يقدر عليها وكل بازى وبرذون فاره ثم يسير بذلك كله بنفسه فى وجوه أهل خراسان فقال رجل من باهلة كان قوم من المنجمين يخبرون نصرا بفتنة تكون فبعث نصر الى صدقة بن وثاب وهو ببلخ وكان منجما وكان عنده وألح عليه يوسف بالقدوم فلم يزل يتباطأ فوجه يوسف رسولا وأمره بلزومه يستحثه بالقدوم أو ينادى في الناس أنه قد خلع فلما جاءه الرسول أجازه وأرضاه وتحول الى قصره الذى هو دار الامارة اليوم فلم يأت لذلك الا يسير حتى وقعت الفتنة فتحول نصر الى قصره بماجان واستخلف عصمة بن عبد الله الاسدى على خراسان وولى المهلب ابن إياس العدوى الخراج وولى موسى بن ورقاء الناجى الشاش وحسان من أهل

صغانيان الأسدي سمرقند ومقاتل بن علي السغدي آمل وأمرهم اذا بلغهم خروجه من مرو أن يستحلبوا الترك وأن يغيروا على ما وراء النهر لينصرف اليهم بعد خروجه يعتل بذلك فبيناهو يسير يوما الى العراق طرقه ليلا مولى لبني ليث فلما أصبح أذن للناس وبعث الى رسل الوليد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد كان في مسيري ما قد علمتم وبعثني بالهدايا مما رأيتم فطرقني فلان ليلا فأخبرني أن الوليد قد قتل وأن الفتنة قد وقعت بالشأم وقدم منصور بن جمهور العراق وقد هرب يوسف بن عمر ونحن في بلاد قد علمتم حالها وكثرة عدو نائم دعا بالقادم فأحلفه أن ما جاء به لحق فحلف فقال سلم بن أحوز أصلح الله الامير لو حلفت لكنت صادقا انه بعض مكايد قريش أرادوا تهجين طاعتك فسر ولا تهجنا قال يا سلم أنت رجل لك علم بالحروب ولك مع ذلك حسن طاعة لبني أمية فأما مثل هذا من الامور فرأيك فيه رأي أمة هتماء ثم قال نصر لم أشهد بعد ابن خازم أمرا مفظعا الا كنت المفزع في الرأي فقال الناس قد علمنا ذلك فالرأي رأيك ﴿وفي هذه السنة﴾ وجه الوليد ابن يزيد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي واليا على المدينة ومكة والطائف ودفع اليه ابراهيم ومحمد ابني هشام بن اسماعيل المخزومي موثقين في عباءتين فقدم بهما المدينة يوم السبت لاثنتي عشرة بقيت من شعبان سنة ١٢٥ فأقامهما للناس بالمدينة ثم كتب الوليد اليه يأمر أن يبعث بهما الى يوسف بن عمر وهو يومئذ عامله على العراق فلما قدما عليه عذبهما حتى قتلهما وقد كان رفع عليهما عند الوليد أنهما أخذا مالا كثيرا (وفي هذه السنة) عزل يوسف بن محمد سعد بن ابراهيم عن قضاء المدينة وولاها يحيى بن سعيد الانصاري ﴿وفيها﴾ غزى الوليد بن يزيد أخاه العمر بن يزيد بن عبد الملك وأمر على جيش البحر الاسود بن بلال المحاربي وأمره أن يسير الى قبرس فيخيرهم بين المسير الى الشأم ان شاؤا وان شاؤا الى الروم فاختارت طائفة منهم جوار المسلمين فنقلهم الاسود الى الشأم واختار آخرون أرض الروم فانتقلوا اليها ﴿وفيها﴾ قدم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب مكة فلقوا في قول بعض أهل السير محمد بن علي فأخبروه بقصة أبي مسلم ومارأوا منه فقال لهم أحر هو أم عبد قالوا أما عيسى فيزعم أنه عبد وأما هو فيزعم أنه حر قال فاشتروه واعتقوه وأعطوا محمد بن علي مائتي ألف درهم وكسوة بثلاثين ألف درهم فقال لهم ما أظنكم تلقوني بعد عامي هذا فان حدث بي حدث فصاحبكم ابراهيم بن محمد فاني أثق به وأوصيكم به خيرا فقد أوصيته بكم فصدروا من عنده وتوفي محمد بن علي في مستهل ذي القعدة وهو ابن ثلاث وستين سنة وكان بين وفاته وبين وفاة أبيه علي سبع سنين ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر ﴿وفي هذه السنة﴾ قتل يحيى بن زيد بن علي بخراسان

﴿ذكر الخبر عن مقتله﴾

قد مضى ذكرنا قبل أمر مصير يحيى بن زيد بن علي الى خراسان وسبب ذلك ونذكر الآن سبب مقتله اذ كان ذلك في هذه السنة * ذكر هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف قال أقام يحيى بن زيد بن علي عند الحريش بن عمرو بن داود ببلخ حتى هلك هشام بن عبد الملك وولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك فكتب يوسف بن عمر الى نصر بن سيار بمسير يحيى بن زيد وبمنزله الذي كان ينزل حتى أخبره أنه عند الحريش وقال له ابعث اليه وخذه أشد الاخذ فبعث نصر بن سيار الى عقيل بن معقل العجلي يأمره أن يأخذ الحريش ولا يفارقه حتى تزهق نفسه أو يأتيه بيحيى بن زيد بن علي فبعث اليه عقيل فسأله عنه فقال لا علم لي به فجلده ستمائة سوط فقال له الحريش والله لو انه كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه فلما رأى ذلك قريش بن الحريش أتى عقيلا فقال لا تقتل أبي وأنا أدلك عليه فأرسل معه فدله عليه وهو في بيت في جوف بيت فأخذه ومعه يزيد بن عمر والفضل مولى عبد القيس كان أقبل معه من الكوفة فأتى به نصر بن سيار فحبسه وكتب الى يوسف بن عمر يخبره بذلك فكتب يوسف الى الوليد بن يزيد فكتب الوليد الى نصر بن سيار يأمره أن يؤمنه ويخلي سبيله وسبيل أصحابه فدعاه نصر بن سيار فأمره بتقوى الله وحذره الفتنة وأمره أن يلحق بالوليد بن يزيد وأمر له بألفي درهم وبغلين فخرج هو وأصحابه حتى انتهى الى سرخس فأقام بها وعليها عبد الله بن قيس بن عباد فكتب اليه نصر بن سيار أن يشخصه عنها وكتب الى الحسن بن زيد التميمي وكان رأس بني تميم وكان على طوس أن انظر يحيى ابن زيد فاذا مر بكم فلا تدعه يقيم ببطوس حتى يخرج منها وأمرهما اذا هو مر بهما أن لا يفارقاه حتى يدفعاه الى عمرو بن زرارة بأبرشهر فأشخصه عبد الله بن قيس من سرخس ومر بالحسن بن زيد فأمره أن يمضي ووكل به سنجان بن فروخ بن مجاهد بن بلعاء العنبري أبا الفضل وكان على مسلحة قال فدخلت عليه فذكر نصر بن سيار وما أعطاه فاذا هو كالمستقل له فذكر أمير المؤمنين الوليد بن يزيد فأثنى عليه وذكر مجيئه بأصحابه معه وأنه لم يأت بهم الا مخافة أن يسم أو يغم وعرض بيوسف وذكر أنه اياه يتخوف وقد كان أراد أن يقع فيه ثم كف فقلت له قل ما أحببت رحمك الله فليس عليك مني عين فقد أتى اليك ما يستحق أن تقول فيه ثم قال العجب من هذا الذي يقيم الاحراس أو أمر الاحراس قال وهو حينئذ يتفصد والله لو شئت أن أبعث اليه فأتى به مربوطا قال فقلت له لا والله ما بك صنع هذا ولكن هذا شيء يصنع في هذا المكان أبد المكان بيت المال قال واعتذرت اليه من مسيري معه وكنت أسير معه على رأس فرسخ فأقبلنا معه حتى وقعنا الى عمرو بن زرارة فأمر له بألف درهم ثم أشخصه حتى انتهى الى بيهق وخاف اغتيال يوسف

﴿فهرست الجزء الثامن من تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري﴾

صحيفة

٢ (سنة ثمانين) وذكر الاحداث الجليلة التي كانت فيها

٣ توجيه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الى سجستان لحرب رتبيل صاحب الترك

٥ (سنة احدى وثمانين) فتح فاليقلا وقتل بحير بن ورقاء الصريمي وذكر الخبر عن مقتله

١٢ (سنة اثنتين وثمانين) ذكر الخبر عما كان بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد من الحروب بالزاوية

١٤ ذكر الخبر عن وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الاشعث

١٧ وفاة المغيرة بن المهلب بخراسان

١٩ وفاة المهلب بن أبي صفرة وذكر الخبر عن سبب موته ومكان وفاته

٢٠ تولية الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب وعزل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة

٢٠ (سنة ثلاث وثمانين) هزيمة عبد الرحمن بن محمد بدير الجماجم

٢٦ ذكر الخبر عن سبب الوقعة بمسكن بين الحجاج وابن الأشعث وعن صفتها

٣٧ (سنة أربع وثمانين) غزوة عبد الله بن عبد الملك بن مروان الروم وقتل الحجاج أيوب بن القرية

٣٨ فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك وذكر سبب فتحه اياها

٣٩ (سنة خمس وثمانين) هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وذكر السبب الذي به هلك وكيف كان

٤٢ عزل الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب عن خراسان واستعماله عليها المفضل بن المهلب

٤٤ غزو المفضل باذاغيث وذكر الخبر عن ذلك

٤٥ قتل موسى بن عبد الله بن خازم السلمي بالترمذ وذكر سبب قتله بها

٥٣ ذكر الخبر عما أراده عبد الملك بن مروان من خلع أخيه عبد العزيز بن مروان وما كان من أمرهما

٥٣ وفاة عبد العزيز بن مروان

٥٥ بيعة عبد الملك لابنيه الوليد وسليمان وجعلهما وليي عهد المسلمين

٥٦ (سنة ست وثمانين) خبر هلاك عبد الملك بن مروان

٥٧ ذكر الخبر عن مبلغ سنه يوم توفي وذكر نسبه وكنيته وذكر أولاده وأزواجه

٥٨ خلافة الوليد بن عبد الملك

٥٩ قدوم قتيبة بن مسلم خراسان واليا عليها من قبل الحجاج وذكر ما كان من أمره

٦٠ غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم وحبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب

صحيفة

٢١٨ (سنة خمس عشرة ومائة) غزوة معاوية بن هشام أرض الروم ووقوع الطاعون بالشأم
٢١٨ (سنة ست عشرة ومائة) وفاة الجنيد بن عبد الرحمن وولاية عاصم بن عبد الله
وذكر الخبر عن أمرهم ٢١٩ خلع الحارث بن سريج وذكر الخبر عن ذلك
٢٢٢ (سنة سبع عشرة ومائة) عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان
وذكر الخبر عن ذلك ٢٢٨ وفاة فاطمة بنت على وسكينة ابنة الحسين بن على
٢٢٨ (سنة ثمانى عشرة ومائة) غزوة معاوية وسليمان ابنى هشام بن عبد الملك أرض الروم
٢٣٠ وفاة على بن عبد الله بن العباس
٢٣٠ (سنة تسع عشرة ومائة) غزوة الوليد بن القعقاع العبسى أرض الروم وغزوة أسد بن
عبد الله الختل ٢٤٠ خروج المغيرة بن سعيد فى نفر وذكر الخبر عن مقتلهم
٢٤٢ حكم بهلول بن بشر وذكر الخبر عن مخرجه ومقتله ٢٤٥ ذكر الخبر عن غزوة أسد
الختل وسبب قتله بدر طرخان ٢٤٦ ذكر خبر الصحارى بن شبيب
٢٤٧ (سنة عشرين ومائة) وفاة أسد بن عبد الله وذكر الخبر عن سبب وفاته
٢٤٩ توجيه شيعة بنى العباس بخراسان الى محمد بن على بن العباس وذكر الخبر عن سبب
توجيههم ٢٤٩ عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله وذكر سبب ذلك
٢٥٢ ذكر الخبر عن عمل هشام فى عزل خالد حين صح عزمه على عزله
٢٥٦ قدوم يوسف بن عمر العراق وتوليته خراسان جديع بن على الكرمانى
٢٦٠ (سنة احدى وعشرين ومائة) قتل زيد بن على بن حسين بن على بن أبى طالب وذكر
الخبر عن سبب مقتله وأموره وسبب مخرجه ٢٧١ (سنة اثنتين وعشرين ومائة)
ذكر الخبر عن مقتل زيد بن على ٢٧٩ قتل كلثوم بن عياض القشيرى وعبد الله
البطال ٢٧٩ (سنة ثلاث وعشرين ومائة) ذكر الخبر عما جرى بين أهل السغد
ونصر بن سيار من الصلح ٢٨٢ (سنة أربع وعشرين ومائة) ٢٨٣ وفاة محمد
ابن على بن عبد الله بن عباس ٢٨٣ ﴿سنة خمس وعشرين ومائة﴾
٢٨٣ وفاة هشام بن عبد الملك بن مروان
٢٨٤ ذكر الخبر عن العلة التى كانت بها وفاته وذكر بعض سيره
٢٨٨ خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وذكر أسباب ولايته الخلافة
٢٩٧ تولية الوليد نصر بن سيار خراسان ووفود يوسف بن عمر على الوليد
٢٩٨ ذكر الخبر عما كان من أمر يوسف ونصر
٢٩٩ توجيه الوليد بن يزيد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفى والياعلى المدينة ومكة
والطائف ٢٩٩ قتل يحيى بن زيد بن على بخراسان ٣٠٠ ذكر الخبر عن مقتله

﴿تمت﴾

صحيفة

٨٤ غزوة قتيبة بن مسلم سمرقند وذكر الخبر عن ذلك
٩٠ عزل موسى بن نصير طارق بن زياد عن الأندلس وذكر الخبر عن ذلك وجدب أهل افريقية وعزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة وذكر سبب عزل الوليد إياه عنها وضرب عمر بن عبد العزيز حبيب بن عبد الله بن الزبير
٩١ (سنة أربع وتسعين) غزوة العباس بن الوليد أرض الروم وغزوة عبد العزيز بن الوليد أرض الروم والرجفة بالشأم وافتتاح القاسم بن محمد أرض الهند وغزوة قتيبة شاش وفرغانة وذكر الخبر عن غزوة قتيبة
٩٢ قدوم عثمان بن حيان المرّي المدينة والياً عليها وذكر الخبر عن سبب ولايته
٩٣ قتل الحجاج سعيد بن جُبَيْر وذكر الخبر عن مقتله
٩٦ (سنة خمس وتسعين) غزوة العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الروم وفتح آخر الهند وبناء واسط القصب وانصراف موسى بن نصير إلى افريقية
٩٦ موت الحجاج بن يوسف واستخلافه لما حضرته الوفاة على الصلاة ابنه عبد الله وافتتاح العباس بن الوليد قنسرين وقتل الوضاحي بأرض الروم وذكر ولد المنصور عبد الله بن محمد بن علي وتولية الوليد بن عبد الملك يزيد بن أبي كبشة على الحرب والصلاة بالمصرين الكوفة والبصرة
٩٧ (سنة ست وتسعين) غزوة بشر بن الوليد الشاتية ووفاة الوليد بن عبد الملك
٩٩ افتتاح قتيبة بن مسلم كاشغر وغزوه الصين وذكر الخبر عن ذلك
١٠٢ خلافة سليمان بن عبد الملك وعزل سليمان بن عبد الملك عثمان بن حيان عن المدينة
١٠٣ عزل سليمان يزيد بن أبي مسلم عن العراق وقتل قتيبة بن مسلم بخراسان
١١٢ عزل سليمان بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري عن مكة وغزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ووفاة قُرّة بن شريك العبسي
١١٣ (سنة سبع وتسعين) تجهيز سليمان بن عبد الملك الجيوش الى القسطنطينية وغزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم وغزوة عمر بن هبيرة الفزاري أرض الروم وقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بالأندلس وتولية سليمان بن عبد الملك يزيد ابن المهلب خراسان وذكر الخبر عن سبب ولايته
١١٦ شخوص يزيد بن المهلب الى خراسان أميراً عليها
١١٧ عزل سليمان طلحة بن داود الحضرمي عن مكة
١١٧ (سنة ثمان وتسعين) توجيه سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة الى القسطنطينية
١١٨ بيعة سليمان بن عبد الملك لابنه أيوب وفتح مدينة الصقالبة وغزوة الوليد بن هشام

صحيفة

٦٠ (سنة سبع وثمانين) عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن اسماعيل عن المدينة
٦١ تولية الوليد عمر بن عبد العزيز المدينة وقدوم نيزك على قتيبة وذكر الخبر عن ذلك
٦٢ غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ومعه يزيد بن جبير وغزوة قتيبة بيكند وذكر الخبر عن غزوته
٦٤ (سنة ثمان وثمانين) وذكر ما كان فيها من الاحداث
٦٥ ميلاد الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأمر الوليد بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدم بيوت أزواج رسول الله وادخالها في المسجد وابتداء عمر بن عبد العزيز في بناء المسجد وغزوة مسلمة الروم وفتحه حصن قسطنطين وغزالة وحصن الأخرم وغزوة قتيبة تومشكث ورامينه
٦٦ كتابة الوليد بن عبد الملك الى عمر بن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحفر الآبار في البلدان
٦٧ (سنة تسع وثمانين) افتتاح المسلمين حصن سورية وغزو قتيبة بخارى وولاية خالد ابن عبد الله القسرى مكة وغزوة مسلمة بن عبد الملك الترك
٦٨ (سنة تسعين) غزوة مسلمة أوض الروم من ناحية سوريا وغزوة العباس بن الوليد وقتل محمد بن القاسم الثقفى داهر بن صصة ملك السند واستعمال الوليد قرة بن شريك على مصر وأسر الروم خالد بن كيسان صاحب البحر وفتح قتيبة بخارى وهزم جموع العدو بها
٦٩ تجديد قتيبة الصلح بينه وبين طرخون ملك السغد وغدر نيزك ونقضه الصلح الذى كان بينه وبين المسلمين
٧٠ قتال قتيبة أهل الطالقان وذكر الخبر عن سبب ذلك
٧١ هروب يزيد بن المهلب واخوته الذين كانوا معه فى السجن وذكر الخبر عن سبب تخلصهم من سجن الحجاج ومسيرهم الى سليمان بن عبد الملك
٧٤ (سنة احدى وتسعين) غزوة عبد العزيز بن الوليد الصائفة وغزوة مسلمة الترك
٧٥ غزوة موسى بن نصير الأندلس وقتل قتيبة بن مسلم نيزك طرخان
٧٩ غزو قتيبة شومان وكس ونسف غزوته الثانية وذكر الخبر عن ذلك
٨٢ (سنة اثنتين وتسعين) غزوة مسلمة بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرض الروم وغزوة طارق بن زياد الأندلس وغزوة قتيبة سجستان
٨٣ (سنة ثلاث وتسعين) غزوة العباس بن الوليد أرض الروم وغزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم وقتل قتيبة ملك خام جرد وذكر الخبر عن سبب ذلك

صحيفة
٨٤ غزوة قتيبة بن مسلم سمرقند وذكر الخبر عن ذلك
٩٠ عزل موسى بن نصير طارق بن زياد عن الأندلس وذكر الخبر عن ذلك وجدب أهل افريقية وعزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة وذكر سبب عزل الوليد إياه عنها وضرب عمر بن عبد العزيز حبيب بن عبد الله بن الزبير
٩١ (سنة أربع وتسعين) غزوة العباس بن الوليد أرض الروم وغزوة عبد العزيز بن الوليد أرض الروم والرجفة بالشأم وافتتاح القاسم بن محمد أرض الهند وغزوة قتيبة شاش وفرغانة وذكر الخبر عن غزوة قتيبة
٩٢ قدوم عثمان بن حيان المرّي المدينة والياً عليها وذكر الخبر عن سبب ولايته
٩٣ قتل الحجاج سعيد بن جُبَيْر وذكر الخبر عن مقتله
٩٦ (سنة خمس وتسعين) غزوة العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الروم وفتح آخر الهند وبناء واسط القصب وانصراف موسى بن نصير إلى افريقية
٩٦ موت الحجاج بن يوسف واستخلافه لما حضرته الوفاة على الصلاة ابنه عبد الله وافتتاح العباس بن الوليد قنسرين وقتل الوضاحي بأرض الروم وذكر ولد المنصور عبد الله بن محمد بن علي وتولية الوليد بن عبد الملك يزيد بن أبي كبشة على الحرب والصلاة بالمصرين الكوفة والبصرة
٩٧ (سنة ست وتسعين) غزوة بشر بن الوليد الشاتية ووفاة الوليد بن عبد الملك
٩٩ افتتاح قتيبة بن مسلم كاشغر وغزوه الصين وذكر الخبر عن ذلك
١٠٢ خلافة سليمان بن عبد الملك وعزل سليمان بن عبد الملك عثمانَ بن حيان عن المدينة
١٠٣ عزل سليمانُ يزيدَ بن أبي مسلم عن العراق وقتل قتيبة بن مسلم بخراسان
١١٢ عزل سليمانُ بن عبد الملك خالدَ بن عبد الله القسري عن مكة وغزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ووفاة قُرّة بن شريك العبسي
١١٣ (سنة سبع وتسعين) تجهيز سليمان بن عبد الملك الجيوش الى القسطنطينية وغزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم وغزوة عمر بن هبيرة الفزاري أرض الروم وقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بالأندلس وتولية سليمانُ بن عبد الملك يزيدَ ابن المهلب خراسان وذكر الخبر عن سبب ولايته
١١٦ شخوص يزيد بن المهلب الى خراسان أميراً عليها
١١٧ عزل سليمان طلحة بن داود الحضرمي عن مكة
١١٧ (سنة ثمان وتسعين) توجيه سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة الى القسطنطينية
١١٨ بيعة سليمان بن عبد الملك لابنه أيوب وفتح مدينة الصقالبة وغزوة الوليد بن هشام

صحيفة

وعمرو بن قيس انطاكية وغزوة يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان
١٢٤ فتح يزيد جرجان الفتح الآخر
١٢٦ وفاة أيوب بن سليمان بن عبد الملك وفتح مدينة الصقالبة وغزوة داود بن سليمان الر
١٢٦ (سنة تسع وتسعين) وفاة سليمان بن عبد الملك ١٢٧ ذكر الخبر عن بعض سيره
١٢٨ خلافة عمر بن عبد العزيز وذكر الخبر عن سبب استخلاف سليمان اياه
١٣٠ توجيه عمر بن عبد العزيز الى مسلمة وهو بأرض الروم وأمره بالقفول منها واغارة الترك على آذربيجان
١٣١ (سنة مائة) خروج الخارجة التي خرجت على عمر بن عبد العزيز بالعراق
١٣٢ شخوص عمر بن هبيرة الفزاري الى الجزيرة عاملا لعمر عليها وحمل يزيد بن المهلب من العراق الى عمر بن عبد العزيز وذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف وصل اليه حتى استوثق منه
١٣٣ عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله عن خراسان وذكر سبب عزل عمر اياه
١٣٥ ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعيم وعبد الرحمن ابن عبد الله القشيري خراسان وأول الدعوة
١٣٦ (سنة احدى ومائة) هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز وذكر الخبر عن سبب هربه منه ١٣٧ وفاة عمر بن عبد العزيز
١٣٨ ذكر بعض سيره ١٤٠ وفاة عمارة بن أكيمة الليثي
١٤٠ زيادة في سير عمر بن عبد العزيز ١٤١ خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان
١٤٢ قتل شوذب الخارجي وذكر الخبر عن مقتله ١٤٤ لحوق يزيد بن المهلب بالبصرة
١٥١ (سنة اثنتين ومائة) مسير العباس بن الوليد ومسلمة بن عبد الملك الى يزيد بن المهلب وقتل يزيد بن المهلب وذكر الخبر عن مقتله
١٦٠ توجيه مسلمة بن عبد الملك سعيد بن عبد العزيز بن الحارث الى خراسان
١٦١ ذكر الخبر عن أمر سعيد في ولاية خراسان وعزل سعيد شعبة بن ظهير عن سمرقند وذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شعبة وسبب هذه الوقعة
١٦٤ قطع سعيد خزينة نهر بلخ وغزوه السغد وذكر الخبر عما كان من أمره
١٦٦ عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان وذكر الخبر عن سبب عزله
١٦٧ غزوة عمر بن هبيرة الروم بأرمينية وتوجيه ميسرة رسله من العراق الى خراسان
١٦٧ قتل يزيد بن أبي مسلم بافريقية وذكر الخبر عن سبب قتله
١٦٨ (سنة ثلاث ومائة) عزل عمر بن هبيرة سعيد خزينة عن خراسان وغزوة العباس ابن الوليد الروم واغارة الترك على اللان وضم مكة الى عبد الرحمن بن الضحاك الفهري

صحيفة

ووﻻية عبد الواحد بن عبد الله النضرى الطائف واستعمال عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشى على خراسان
١٦ ارتحال أهل السغد عن بلادهم وذكر الخبر عما كان منهم ومن صاحب فرغانة
١٧ (سنة أربع ومائة) وقعة الحرشى بأهل السغد وقتله من قتل من دهاقينها
١٧٣ عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة ومكة
١٧٤ غزوة الجراح بن عبد الله الحكمى أرض الترك ودخول أبو محمد الصادق الى محمد بن على
١٧٦ تولية عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد خراسان وذكر الخبر عن سبب توليته اياه
١٧٨ (سنة خمس ومائة) غزوة الجراح بن عبد الله الحكمى اللان
١٧٨ موت الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان
١٧٩ ذكر بعض سيره وأموره وخلافة هشام بن عبد الملك
١٨٠ قدوم بكير بن ماهان من السند وعزل هشام بن عبد الملك عمر بن هبيرة عن العراق
١٨ (سنة ست ومائة) عزل هشام بن عبد الملك عن المدينة عبد الواحد بن عبد الله النضرى وعن مكة والطائف وغزوة سعيد بن عبد الملك الصائفة وغزوة الحجاج بن عبد الملك اللان وميلاد عبد الصمد بن على وموت الامام طاووس وذكر الخبر عن سبب الوقعة التى كانت بين المضرية واليمانية وربيعة
١٨٤ غزوة مسلم بن سعيد الترك وذكر الخبر عن ذلك
١٨٧ قدوم خالد بن عبد الله القسرى أميرا على العراق واستعماله أخاه أسد بن عبد الله أميرا على خراسان
١٨٨ (سنة سبع ومائة) خروج عباد الرعينى باليمن ١٧٩ غزوة أسد الغور
١٩٠ (سنة ثمان ومائة) غزوة مسلمة بن عبد الملك الروم وغزوة أسد بن عبد الله الختل
١٩١ (سنة تسع ومائة) غزوة عبد الله بن عقبة ومعاوية بن هشام أرض الروم وقتل عمر بن يزيد الاسيدى وذكر الخبر عن ذلك
١٩٢ عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن خراسان وذكر الخبر عن ذلك
١٩٦ (سنة عشرة ومائة)
١٩٦ دعاء الاشرس أهل الذمة من أهل سمرقند ومن وراء النهر الى الاسلام
٢٠٤ (سنة احدى عشرة ومائة) غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزوة سعيد ابن هشام الصائفة اليمنى ٢٠٥ (سنة اثنتى عشرة ومائة)
٢٠٦ وقعة الجنيد مع الترك ٢٠٩ ذكر الخبر عن مقتل سورة بن الحر التميمى
٢١٦ (سنة ثلاث عشرة ومائة) وهلاك عبد الله بن بخت بأرض الروم
٢١٧ (سنة أربع عشرة ومائة) وما فيها من الاحداث

صحيفة

٢١٨ (سنة خمس عشرة ومائة) غزوة معاوية بن هشام أرض الروم ووقوع الطاعون بالشأم
٢١٨ (سنة ست عشرة ومائة) وفاة الجنيد بن عبد الرحمن وولاية عاصم بن عبد الله
وذكر الخبر عن أمرهم ٢١٩ خلع الحارث بن سريج وذكر الخبر عن ذلك
٢٢٢ (سنة سبع عشرة ومائة) عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان
وذكر الخبر عن ذلك ٢٢٨ وفاة فاطمة بنت على وسكينة ابنة الحسين بن على
٢٢٨ (سنة ثمانى عشرة ومائة) غزوة معاوية وسليمان ابنى هشام بن عبد الملك أرض الروم
٢٣٠ وفاة على بن عبد الله بن العباس
٢٣٠ (سنة تسع عشرة ومائة) غزوة الوليد بن القعقاع العبسى أرض الروم وغزوة أسد بن
عبد الله الختل ٢٤٠ خروج المغيرة بن سعيد فى نفر وذكر الخبر عن مقتلهم
٢٤٢ حكم بهلول بن بشر وذكر الخبر عن مخرجه ومقتله ٢٤٥ ذكر الخبر عن غزوة أسد
الختل وسبب قتله بدر طرخان ٢٤٦ ذكر خبر الصهارى بن شبيب
٢٤٧ (سنة عشرين ومائة) وفاة أسد بن عبد الله وذكر الخبر عن سبب وفاته
٢٤٩ توجيه شيعة بنى العباس بخراسان الى محمد بن على بن العباس وذكر الخبر عن سبب
توجيههم ٢٤٩ عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله وذكر سبب ذلك
٢٥٢ ذكر الخبر عن عمل هشام فى عزل خالد حين صح عزمه على عزله
٢٥٦ قدوم يوسف بن عمر العراق وتوليته خراسان جديع بن على الكرمانى
٢٦٠ (سنة احدى وعشرين ومائة) قتل زيد بن على بن حسين بن على بن أبى طالب وذكر
الخبر عن سبب مقتله وأموره وسبب مخرجه ٢٧١ (سنة اثنتين وعشرين ومائة)
ذكر الخبر عن مقتل زيد بن على ٢٧٩ قتل كلثوم بن عياض القشيرى وعبد الله
البطال ٢٧٩ (سنة ثلاث وعشرين ومائة) ذكر الخبر عما جرى بين أهل السغد
ونصر بن سيار من الصلح ٢٨٢ (سنة أربع وعشرين ومائة) ٢٨٣ وفاة محمد
ابن على بن عبد الله بن عباس ٢٨٣ ﴿سنة خمس وعشرين ومائة﴾
٢٨٣ وفاة هشام بن عبد الملك بن مروان
٢٨٤ ذكر الخبر عن العلة التى كانت بها وفاته وذكر بعض سيره
٢٨٨ خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وذكر أسباب ولايته الخلافة
٢٩٧ تولية الوليد نصر بن سيار خراسان ووفود يوسف بن عمر على الوليد
٢٩٨ ذكر الخبر عما كان من أمر يوسف ونصر
٢٩٩ توجيه الوليد بن يزيد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفى والياعلى المدينة ومكة
والطائف ٢٩٩ قتل يحيى بن زيد بن على بخراسان ٣٠٠ ذكر الخبر عن مقتله

مركز الوثائق والبحوث
30018000012116
المكتبة